مجلة الأزهر

٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨١

المجلد الثالث والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١١هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

م ١٢ ع ٣٢٢٢٦ دوريات

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول
السنة الثالثة والستون
المحرم ١٤١١ هـ
اغسطس ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

فى الهجرة فقه وقيم ومثل

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

لم تكن هجرة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة حدثاً من الأحداث العابرة التى تطوى فى سطور الصحف ، أو تطمر فى غمار الأحداث ، ولكنها اكبر واجل واعظم من كل حادثة أو حدث ، لأنها تمثل تحولاً بالدعوة وتوسعاً فى مجالاتها ، ودعماً لمقوماتها وحركة وفكراً وحياة ، انبعثت تذكى الروح المعنوية لجماهير المسلمين المقيمين فى المدينة ، والذين كانوا يترقبون بزوغ نور الإسلام على يثرب بقدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها واتخاذها مقراً للدعوة الإسلامية .

كانت الهجرة بداية انطلاق إلى آفاق تتسع فيها الدعوة وتسعى وتنتشر ، وتعم الجزيرة العربية وما حولها ، ولتصبح المدينة قاعدة الدولة والدعوة .

في الهجرة فقه وقيم ومثل

في الهجرة برزت أخلاق ومبادىء كما كان فيها أمور خارقة لما اعتاده الناس ، فقد أيد الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - في هجرته بجنود لم يبصرهم الناس كما قال في كتابه في سورة التوبة :

﴿ .. فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا .. ﴾

قيم برزت بالهجرة :

وكان في الهجرة تلك الصداقة الصادقة التي تخلت عن المال والأهل والولد في سبيل الصحبة ، تلك هي صداقة وصحبة أبي بكر - رضي الله عنه - وفداؤه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترتيب وتدبير أمر الرحلة المباركة وعمالها من أولاد أبي بكر وعماله .

كانت كل تحركات أبي بكر حال رحلة الهجرة تشير إلى حرصه على سلامة صاحبه وبلوغه مقصده ، فهو يرتاد الطريق ويمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، ومن ثم فقد برزت في الهجرة قيم الإيمان العميق بمبادىء الحق والعدل والخير والوفاء النادر .

وذلك كله سمو في الخلق الإنساني وبعث للثقة في قدرة الإنسان - متى استقام على طريق الله - على النهوض بالأعباء التي اناطها الله به حين استخلف في الأرض ، وهي إقامة الدين الحق الذي يصون الأمن ويشيع الإخاء والمودة .

فِقْهُ التجربة برز ظاهراً واضحاً في تحديد المهام لكل المعاونين في نجاح الهجرة .

ومن فقه الهجرة جواز الاستعانة بغير المسلم فيما يحسنه مما يلزم المسلمين فقد اختير دليل الرحلة خبيراً يعرف دروب الصحراء . وكان غير مسلم .

بهذه الهجرة نشأت الدولة بعد أن أقيم المسجد وعقدت المعاهدات وتوالت التشريعات وتوالى النصر والانتصارات حتى دخلت الجزيرة كلها في دين الله .

كان الإسلام دعوة ودولة ولحق الرسول - صلى الله عليه وسلم - برحاب الله - راضياً مرضياً .

التاريخ للدولة :

وكان لابد لهذه الدولة من سمة وتاريخ ولم يكن للمسلمين ثمت قرار باتخاذ حدث معين يعتبر تأريخاً للدولة .

فقد نقلت كتب التاريخ ، أن التأريخ جرى على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببدء بعثته بهذا الدين ، حتى كانت إمارة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد كتب أبو موسى الأشعري إليه : أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلا ندري على أيها نعمل ..

وروى ميمون بن مهران قال : رفع إلى أمير المؤمنين عمر صَكٌّ محله شعبان فقال : أى الشعابين هو ؟ الذى مضى أو الذى نحن فيه أم الآتى ؟

وقال قرة بن خالد : كان عند عمر عامل جاء من اليمن فقال لعمر : أما تؤرخون ؟ إنى رأيت باليمن شيئاً يسمونه التاريخ ، يكتبون من عام كذا وشهر كذا .
فقال عمر : إن هذا لحسن فأرخوا ..

وفى رواية أخرى أنه جمع وجوه الصحابة فقال :
إن الأموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقت (أى مؤرخ) فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك ؟
فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الروم .

فقيل : إنه يطول وإنهم يكتبون من عند ذى القرنين . فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
ثم قالوا : من عند وفاته .
ثم قالوا : من مولده .

وقال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : منذ خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يعنى يوم هاجر .

فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة .

وقد كانت هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى المدينة فى ربيع الأول .
فقال : بأى شهر نبدأ فنصيره أول السنة ؟

فقالوا : رجب فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه .
وقال آخرون : شهر رمضان .

وآخرون قالوا : شهر ذى الحجة . لأن فيه الحج . وآخرون قالوا : الشهر الذى خرج فيه مهاجراً .
وآخرون قالوا : من الشهر الذى قدم فيه المدينة ، وقد كانت الهجرة فى شهر ربيع الأول .
فقال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أرخوا من المحرم أول السنة وهو شهر حرام وأول الشهور فى العدة وهو منصرف الناس من الحج . فلما عزموا على تأسيس التاريخ الهجرى حسبما اقترح عثمان . رجعوا ثمانية وستين يوماً ، وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة ، ثم أحصوا من أول يوم فى المحرم إلى آخر عمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان عشر سنين وشهرين ، وأما إذا حسب عمره من شهر الهجرة الحقيقية (ربيع الأول) فيكون قد عاش فى المدينة تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً .

وعمر ـ رضى الله عنه ـ بهذا : هو واضع التاريخ الهجرى ومؤصله ولم يكن هذا التاريخ على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

←

في الهجرة فقه وقيم ومثل

وهذا يدلنا على أن أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدروا آثر الهجرة وما تلاها من نصر الإسلام ، وانتشاره ، ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، فكانت بحق دنيا وحياة ودولة ولم تكن حدثاً من الأحداث وإنما كانت نصراً من الله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(1) .

وبعـــد :

أليست الهجرة حَرِيَّةً بأن تكون ظاهرة بارزة وتكون تأريخاً للمسلمين يتوجون بها أيامهم وتاريخهم . بلى .

ثم أليس في هذا التاريخ حجة على أولئك الذين يصمون كل أمر لم يكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بأنه بدعة ؟

ثم أليس عمر هو الذي جمع الناس على صلاة التراويح عشرين ركعة حين رأى إقبال الناس على صلاتها جماعة ؟ قال : نعمت البدعة .

ثم أليس عمر هو الذي فرض الخراج على أرض العراق وغيرها مما فتح عنوة ، وهو الذي دون الدواوين ؟

فخذوا أيها المسلمون من الهجرة والتأريخ بها فقها وقيماً ومثلاً عليا في فضل الصحبة والإخاء والفداء من الصغار والكبار ، خذوا منها فكر الإسلام وثقافته ولا تعدلوا عنه فتضلوا وتهلكوا ، واتخذوا القرآن إماماً ، والسنة شرعة ، ومنهاجاً ، فهما الطريق المستقيم ..

شيـخ الأزهـــر
جاد الحق على جاد الحق

---

(1) سورة التوبة - الآية 40 .

زهد سيد الزاهدين

صلى الله عليه وسلم

د/ على أحمد الخطيب

بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

فهذه كلمة في « الزهد » عن مطالعات ، وليست عن ممارسة ، وارجو ان اكون يوما من الزاهدين .

قال - عليه الصلاة والسلام :

« عَرَض عليّ ربي ليجعل لى بطحاء[1] مكة ذهبا . قلت : لا ، يارب ، ولكن اشبع يوما واجوع يوما[2] ... فإذا جعتُ تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعتُ شكرتك وحمدتك »[3] .

فالله - تعالى - القادر ، المُجيبُ رغبةَ رسولِهِ - صلى الله عليه وسلم - هو الذى يعرض عليه أن يجعل له ما اتسع من بطحاء مكة ذهبا خالصا .

ومحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قادر في هذا المقام ان يقول : نعم ، يارب ، فيسيل الذهب من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله .

لكنه - عليه الصلاة والسلام - يترك جبلا من ذهب ابتغاء وجه الله .

أليس هو سيد الزاهدين . صلى الله عليه وسلم !؟

ومن هنا أشرقت المعرفة في نفس أبى داود الطائى فقال : « إنما الزاهد من قَدَرَ فتَرَكَ » ، وهنا قَدَرَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وتَرَكَ .

فأما من لا يملك فليس من الزاهدين ، فإن ادَّعى الزهد قلنا له : إن الله - تعالى - « يَكْرَهُ زُهدَ الْخصِيّ »[4] فلا زهد عن « حِرْمان » .

---

(١) البطحاء والابطح والبطيحة : المكان المتسع يَمُرُّ به السيلُ فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ، ومنه بطحاء مكة .

(٢) قال ثلاثا .

(٣) صحيح الترمذى ٤/٥٧٥ طبعة اولى مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٢ .

(٤) كناية عن فاقد الشيء يتظاهر بالزهد فيما يستدعيه .

زهد سيد الزاهدين صلى الله عليه وسلم

ولا زهد أيضاً عن « إشباع » فإنِ امْرُؤٌ ضاق بما أَشْبَعَ نفسَهُ منه غاية الشِّبَعِ فإنما ضاق عن « مَلَلٍ » لا عن « زهد » .

والزاهد يترك « حقا » فأما من ترك ماليس له ، وعَفَّ عن الحرام فإنما أَمْرُهُ « نزاهة » وليس « زهداً » .

والزاهد إنما يترك من أجل « الله » ليكون ما يتركه إشباعا لذى حاجة من يتيم أو بائس أو مسكين ، وليس يتركه لظالم ، فمن تخلى عن « حقه » لظالم طواعية فليس بزاهد ، بل « تاجر » يريد اكثر مما ترك ،أو « معين » على الظلم ، وشِرْعةُ العزيز الجليل ترفضُ الظلمَ والعونَ عليه ، أو « مُكْرَهٌ » مغلوب على أمره لم يَرْكَنْ ـ كَسَابِقَيْهِ ـ إلى ظالم .

الا لعنة الله على الظالمين .

ثم ازْهَدْ ـ إذا زَهِدتَ ـ في نفسك : فالزهد مذهب شخصى ليس لك أن تحمل عليه عِيالَك فتدفع بهم إلى سوء لا يعلم إلا الله ـ سبحانه ـ مدى شَرِّه ، ولا تنس قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله ـ عز وجل ـ يحب العبدَ التقى الْغَنِىَّ الْخَفِىَّ »(٥) .

والزهد لا يعارض أوامر هذا الدِّينِ الجليل ، فَلْيَكْثُر المالُ بين يديك ، وَأَوْفِ الله ـ تعالى ـ حقه ، وارزق منه أهلَك وولَدَك في غير مَخِيلَةٍ ولا إسراف ، وَهَبِ البائس واليتيم وذا الحاجة ، فإنما الخوف على المكثرين اموالَهُم الذين يمنعون حق الله ، وحق الناس وذوى الحاجة .

قال ابو ذر ـ رضى الله ـ تعالى عنه :

« كنت أمشى مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حَرَّةِ(٦) المدينة فاستقبلنا أُحُد فقال ـ عليه الصلاة والسلام : يا أبا ذرّ .

قلت : لبيك يارسول الله .

قال : ما يَسُرُّنى ان عندى مثلَ أُحُدٍ هذا ذَهَبًا تمضى علىّ ثالثة وعندى منه دينار ـ إلا شيئا ارصده لِدَيْن ـ إلا ان اقول به في عباد الله : « هكذا وهكذا وهكذا » عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، ثم مشى ثم قال : إن الأكثرين هم الْمُقِلُّون يوم القيامة(٧) .

يريد ـ عليه الصلاة والسلام : انه لايُبْقى من هذا الذهب المماثل وزنُهُ أُحُداً شيئا منه ، بل يسرع ـ على مدى ثلاث ليال في توزيعه على ذوى الحاجة في كل مكان حتى لا يكون لديه منه شىء إلا شيئا يَسُدّ دَيْناً ، وإنه لَيَسِيرٌ يسير يسير إن كان .

قال ابن عباس ـ رضوان الله عليهما : « فمات ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا ليدة(٨) ، وترك درعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير »(٩) .

---

(٥) رواه مسلم ، وأحمد واللفظ لأحمد ـ المسند ١/١٦٨ ط أولى الميمنية .
(٦) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود التي احرقت ، وبعضها تخلف عن البراكين .
(٧) صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ـ باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم : ما يسرنى ان عندى ـ الحديث .
(٨) الوليدة : الأمة ، يريد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يترك لنفسه مملوكة ، بل اعتقها .
(٩) مسند احمد ١/٣٠٠ الميمنية .

مع الإمام الأكبر

عيد الأضحى المبارك

الأحاديث الأكبر في حديث هام لآخر ساعة

الزكاة في أموال صندوق موظفي ماليزيا

الزكاة في أموال اليتامى المودعة في البنوك وشهادات الاستثمار

عيد الأضحى المبارك

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

*** هذا يوم عيد الأضحى المبارك ، نحتفل به عيداً للمسلمين ، يعقب يوم الحج الأكبر ، حيث كان حجاج بيت الله الحرام ، وقوفاً بالأمس على عرفات يكبرون ويهللون ، خاشعين خاضعين لله رب العالمين ، يسألونه من فضله ، كلهم على صعيد واحد ، لا فرق بين غنى وفقير ، وصحيح وسقيم ، ذابت من بينهم الفوارق ، وارتفعت الحواجز ، قد تجردوا مما اعتادوه من لباس وزينة ، يربطهم الإسلام بروابطه الوثيقة ، تلك الروابط التى لا تتصل بالدم ، ولا تقوم على علاقة النسب ، وإنما تجتمع على المثل الفاضلة التى صاغهم عليها الإسلام .**

* تلك المثل التى تصور المستوى الرفيع للإنسانية ، ونحن ـ المسلمين ـ إذ نحتفل بيوم عيد الأضحى ، إنما نحيى به فى نفوسنا الروابط الإنسانية التى جمعت بين المسلمين فى الأساس وفى الغاية ..

* هذا العيد إعلان وتعبير عن الشعور النفسى بالفرح والسرور بموسم شرعه الله للمسلمين رباطا للأخوة المشتركة ، فها نحن نشارك أولئك الذين وفقهم الله لأداء فريضة الحج فى سرورهم بإتمام نعمتهم التى حازوها فضلاً من الله ورحمة وسروراً بما شملهم الله به من قبول التوبة .

* وسنة الإسلام فى أعياده التى شرعها أن يتيح للمسلمين توثيق الصلات الإنسانية وتعميق الأخوة الإسلامية بالتزاور والتهانى والتصافح والتسامح واظهار الفرح والسرور وإباحة ممارسة اللهو غير الضار وغير المفسد ، فإن القلوب إذا ملّت كلّت ، فكان العيد ترويحاً وفسحة فى نطاق ما أباح الله من الطيبات .

* روى أنس قال : قدم النبى ـ ﷺ ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : « ماهذان اليومان ؟ » « قالوا : يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية » فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الله أبدلكم بهما عيدى الفطر والأضحى » ..

* إن عيد الأضحى : يعقب المؤتمر السنوى العام للمسلمين ، حيث كان التقاء الحجاج التقاء الأخوة في الله ، لا يحملون حقداً بسبب الدنيا ومافيها من شواغل ، .. ولا يتعالى أحد على آخر بسبب مال أو جاه ، كان لقاء الإيمان بالله وفى سبيل الله ومسارعة إلى رضوان الله بأداء فريضة الحج ، فكانوا فى الخير وللخير .. لأنفسهم ولأمتهم ..

* إن هذا العيد من مراسم الحج الذى يتحقق بالانتقال من مكان إلى مكان ، ومن ذكرى إلى ذكرى..

* ابتدأت هذه العبادة بطواف القدوم حول الكعبة : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وسعياً بين الصفا والمروة .. : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .. ثم الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة ثم الإفاضة من عرفة إلى المشعر الحرام ، وهو المزدلفة يوم العيد أو يوم النحر ، ثم رمى الجمار أيام التشريق الثلاثة بعده ، ثم الطواف بالكعبة .. هذه العبادة تهدف إلى صفاء النفوس وتزكيتها .. وإلى تهيئة جو قدسى تتصل فيه النفوس بجلال الله سبحانه ، وتعلن فيه راضية مرضية هاتفة : « لبيك اللهم لبيك .. » استجابة لأمره مهتدية بهديه ، متخلية عن فتنة الدنيا وزينتها .. متحلية بوقار الإيمان وجلال الإخلاص لله وحده ..

* سيذكر المسلمون حين وقفوا على عرفات ونحن نذكر معهم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد أوفد على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ وقد كان أميراً على الحج فى العام التاسع من الهجرة برسالة تلاها على الناس جميعاً ، وكان فيهم المسلم وغير المسلم قال على ـ رضى الله عنه ـ فى هذا الموقف ، إنى رسول رسول الله إليكم جميعاً : فقالوا : بماذا ؟ فتلا عليهم أوائل سورة التوبة ثم قال : أمرت بتبليغ أربع : لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان من المشركين له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته .

* وفى العام العاشر حج الرسول ـ ﷺ ـ وخطب الناس على عرفات خطبة اشتهرت وذاعت .. أرسى فيها الحقوق وحدد الواجبات ، وأعلن ـ قبل أن يعلن الناس ـ أن للإنسان حقوقاً وله التكريم ، أعلن المواساة والمساواة بين الناس جميعاً ، وألا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وأن المؤمنين إخوة ، ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس ..

* نذكر اليوم موقف رسول الله ـ ﷺ ـ ونصحه للأمة وإبلاغه الرسالة ونذكر كلماته ونتخذها لنا دستوراً وإماما ..

* ونشكر الله سبحانه أن وجه قلوب بعض قادة الأمة الإسلامية إلى المبادرة إلى مواساة الشعب الإيرانى المسلم فى محنة الزلزال الذى تهدمت به القرى والمدن وهلكت الأموال والأقوات وابتلعت الأرض الكثير من الممتلكات واستشهد الآلاف من الناس رجالاً ونساء وأطفالاً ، فاللهم رحمتك ، وإن عصينا فإنك أنت الغفور الرحيم .

* وإن تقدير من بادروا إلى هذه المواساة وتجاوزوا الواقع من الخلافات مع إيران لأمر يستحق الذكر والإشادة ، لأنه من أخلاق الإسلام ، وهو تطبيق عملى لقول الرسول ﷺ الذى شبه فيه المسلمين جميعاً فى توادهم وتراحمهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

* إن من الواجب أن نذكر الزعماء : محمد حسنى مبارك ، وصدام حسين ، وخادم الحرمين بالشكر والتقدير لما سارعوا إليه من نجدة إيران بالإمدادات التى تعين على إيواء المشردين بالزلزال والمرضى والجوعى ..

عيد الأضحى

* ويدعو الأزهر الشريف سائر هيئات الإغاثة الإسلامية والعالمية إلى المبادرة إلى نجدة المنكوبين وإلى المشاركة فى إعمار ما تخرب من قرى ومدن وزرع وصناعة ، ويستحث الأزهر الشريف سائر الزعماء المسلمين أن يقودوا شعوبهم إلى تقديم المزيد من احتياجات الإغاثة والإعمار ..

* ثم علينا أن ننظر إلى ما عليه حال الأمة الإسلامية من استكانة فى مواجهة أحداث العصر التى تزحف إلى أرضهم ومقدساتهم ، فهذا التهجير الذى استهدف مزاحمة الفلسطينيين فى ديارهم ، وإزاحتهم من وطنهم وإنه لأمر خطير أن تتكاتف الصهيونية مع الشيوعية والاشتراكية وغيرهما مما ظهر من مذاهب فى هذا العصر .. خطير أن يتحالف كل هؤلاء ضد العرب والمسلمين وأن يتغافلوا عما يتنادون به من حقوق الإنسان ، وحق تقرير المصير وأن يتجاهلوا العدل الذى تغياه الناس فى التعامل ، دون أن يأخذ المسلمون حذرهم .

* إن هذا الذى يحدث فى فلسطين وفى أفغانستان ، وفى غيرهما من بلاد المسلمين أمر ينبغى أن يشد انتباه الشعوب الإسلامية حكاماً ومحكومين فيقابلوا هذا العدوان المتعمد بما يناسبه من إعداد ومن استعداد حتى لا تفاجأ الأمة الإسلامية بالأمر الواقع الذى تفرضه الصهيونية ومن يظاهرونها على استلاب الأرض وزرع الفتن والخلافات بين شعوب المسلمين .

* وإن من حق المسلمين على أنفسهم أن يتعرفوا من هم الأصدقاء لقضاياهم ومن هم الذين يتظاهرون بالصداقة والمودة وتعلن أفعالهم أنهم على غير ما تظاهروا به . فالصديق من صدقك وأكدت أفعاله أقواله ، ولابد لاستظهار الواقع من المكاشفة حفاظاً على سلام الأمة وسلامتها .

* ونحن نستقبل اليوم ـ عيد الأضحى المبارك ـ نتذاكر أنه عيد التضحية بالأهواء والشهوات ، لتكون الأمة صفا واحداً بل وجسداً واحداً ، كما جاء فى قول رسول الله ـ ﷺ ـ حتى تواجه الأخطار التى ضد أحاطت بها والمؤامرات التى تحاك أمنها وسلامتها بما يناسب حجمها وخطورتها .

* ولتواجه الأمة الإسلامية ـ حكاماً ومحكومين ـ هذه الأخطار بالثبات والعزم والإعداد والاستعداد وتقدير الخطى والبعد عن التهور والاندفاع مع الاستعانة بالله والتوكل عليه : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ .

بل : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ..

* فى يوم عيد الأضحى المبارك ـ باسم الأزهر الشريف :

** أهنىء الشعوب الإسلامية .. وأصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء بهذا العيد .. وأدعو الله أن يجمع الأمة : حكاما ومحكومين ـ على ما فيه صلاح أمرها وحماية مقدساتها وأرضها ، وعرضها فى كل مكان ، وأن يرفع من قدر الأمة الإسلامية وقدرتها على أن تجتاز محنتها ..

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

الإمـــام الأكـــبر

فى حديث هام

لمجـلة آخـر سـاعة

حديث مع فضيلة الإمام الأكبر
أجـراه حسـن عـلام

- ليس الدين هدفا حزبيا ، والمسلمون جميعا مطالبون بأن يكونوا حزب الاسلام
- أطالب بعقوبة علنية للعابثين بأمن الحرم
- المؤسسات الدينية لم تقصر فى مواجهة الفكر المتطرف

اكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى حديثه « لآخر ساعة » :
ان المغفرة هى اكبر وسام من الله لحجاج بيت الله الحرام .
وَبَيَّنَ المعانى السامية التى تحف مناسك الحج ، وفلسفة الاحتفال بعيد الأضحى المبارك ، وسر تحديد أيامه بأربعة ، والدروس المستفادة من قصة الفداء العظيم .
ونادى فضيلته باستثمار موسم الحج لدراسة احوال المسلمين ومشاكلهم فى هذا التجمع الإسلامى المهيب ، وطالب بمحاكمة « علانية » لكل العابثين بامن الحرم والحجاج ، ليكونوا عبرة لغيرهم !
وتطرق حديث شيخ الأزهر لعدد من القضايا السياسية والإسلامية الهامة ومنها : انه يرفض إنشاء حزب دينى فى مصر واسباب ذلك .. وكيفية مواجهة التطرف . كما كشف شيخ الازهر عن موقف الإسلام من « العلمانية » وافكارها .
وهل تعتبر فى خندق المذاهب المنحرفة كالباطنية والاسماعيلية والبهائية والماسونية ؟

لقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عن كل التساؤلات التى طرحتها « آخر ساعة » ..

● ما فلسفة الاحتفال بعيد الأضحى ؟ . ولماذا تحددت أيامه بأربعة ؟ . وما الدروس المستفادة من قصة الفداء العظيم ؟

يقول الإمام الأكبر :

ـ لعل كلمة فلسفة تبحث عن الحكمة أو العلة « للحدث » ، وتحديد العيدين للمسلمين جاء في الحديث المروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) .. انه حين هاجر إلى المدينة وجد أهلها يلعبون في يومين .. بالتعبير المعاصر لهم « اجازة » في يومين ، فقال : ما هذا ؟ .. قالوا : هذان يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال : إن الله أبدلكم بهما عيدى :الفطر والأضحى ..

إذن عيد الأضحى مشروع بعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .. هذا من ناحية الأساس التشريعي للاحتفال بعيد الأضحى ، وهو أحد الأيام التى اقسم الله بها (سبحانه وتعالى) في قوله : ﴿ وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، لان جمهور المفسرين اجمعوا على أن هذه الليالي العشر هى العشرة أيام الأولى من ذى الحجة ، ثم اليوم العاشر من ذى الحجة يعقب يوم الحج الأكبر ، وهو اليوم الذى يبدأ فيه بعد الوقوف بعرفة ، رمى الجمار ، والطواف والسعى وغيرها من المناسك ، والايام التالية هى أيام انتماء ايضا وهى مناسك للحج ومن هنا كانت ايام العيد أربعة أيام !

التسمية وحكمة التشريع

وعيد الأضحى بالذات يحمل معنى التضحية والفداء ، فهو امتثال لما كان من إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ، حين رأى إبراهيم عليه السلام انه يذبح ولده إسماعيل ، وهى رؤيا من نبى وبالتالى فهى حق ، فامتثل لها وخرج مع ابنه ليتم هذا الأمر : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ.قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فسنة الأضحية جاءت اتباعا لفدية إسماعيل فهذا الذبح سنة عن الله سبحانه وتعالى ، استنها لنبيه إبراهيم واتخذها المسلمون شعاراً ليوم عيد الأضحى المبارك فصارت الأضحية سنة أيضاً لفعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث روى أنه ضحى بكبشين أملحين وقال ـ عند ذبح أحدهما : « اللهم إن هذا عن محمد وآل محمد ، وقال ـ عند ذبح الآخر : اللهم إن هذا عن أمة محمد ممن شهد لك بالتوحيد ولى بالبلاغ » ، وبهذا نكون قد وقفنا عند الحكمة من تسمية العيد « بالأضحى » ، وعند حكمة تشريعه ..

والدروس المستفادة من قصة الفداء العظيم كثيرة أهمها أن المسلمين يجب أن يضحوا أولا بأهوائهم وشهواتهم في سبيل الكلمة العليا لله ، وفي سبيل إصلاح المجتمع وصلاحه ، وإقامة العدل والمساواة فى المجتمع الإسلامي .

التصدى للعابثين بامن الحرم

● ما موقف الإسلام من العابثين بامن البيت الحرام والحجاج ؟

ـ إن الله حرم مكة وما حولها وجعلها حَرَمًا آمنا ، حرم فيها الجدل والقتال والفحشاء ، وحرم فيها حتى قتل أي حيوان غير مؤذ ، كذلك حرم فيها الخصام والخروج على آداب الإسلام بوجه عام ، ومن هنا من دخل هذا المكان كان آمنا ، فالأمن والأمان مفروض لكل الموجودات في مكة ، فالطير والزرع والحشائش والشجر وكل ذلك حرام التعرض له إلا ما كان مؤذيا من الدواب والحشرات ، فلو أن حاجا صاد حماما يعتبر مرتكبا « جناية » ويلزم بتعويض هذه الجناية ، فما بالك بمن يقتل إنساناً .. إلخ .

ـ إن من يرتكب مثل هذه المخالفة في الحرم ـ سواء كان في ذات المسجد الحرام ، أو في مكة أو في داخل المنطقة الحرام ـ تكون مضاعفة ، وبالتالى ، فعقابها مضاعف .

السيئة جزاؤها سيئة عند الله ، لكنَّ جزاءَها في الحرم مضاعف ، قال تعالى ـ في كتابه : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ اشار ـ سبحانه ـ إلى أن مجرد (النية) ليرتكب إثما ـ داخل الحرم ، ولو لم يفعله ـ يعذب عذاباً أليما ، مع أن (نية) الإثم خارج الحرم دون فعله لا عقاب عليها ، كذلك يضاعف العقاب على من يرتكب إثما ..

● معنى ذلك ان التصدى من جانب السلطات السعودية لكل من يحاول العبث بامن الحرم او ترويع الحجاج واجب ؟

قال الإمام الاكبر :

ـ نعم .. هذا أمر واجب .. لكن خلاف الفقهاء : هل من يرتكب جريمة في الحرم يقتص منه ويعاقب داخل الحرم ؟ .. أو ينتظر حتى يخرج من الحرم ويعاقب ؟

ولكن الذى أميل إليه أن من اخل بأمن الحرم ينبغى أن يجرى عقابه « علانية » حتى يرتدع غيره !

● كيف يمكن استثمار تجمع هذا الكم الغفير من الحجاج على عرفات ليكون مؤتمرا عاما للمسلمين يناقشون فيه مشاكلهم المختلفة ، بدلا من قصر الحج على تادية المناسك فقط ؟

ـ إن الله فرض الحج مرة واحدة في العمر على المسلم والمسلمة ، ودعا المسلمين جميعاً للحج تلبية لما أمر به إبراهيم (عليه السلام) في قول الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ ، كما جاء في القرآن : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، ومن هنا فإن اجتماع المسلمين في موسم الحج ووقوفهم جميعاً على عرفات في اليوم التاسع من (ذى الحجة) يمثل اجتماعا هاماً وجمعاً عظيماً للمسلمين من شتى شعوبهم على اختلاف السنتهم والوانهم ومواقعهم ، وهذا ولا شك يكون مناسبة عظيمة القدر ، جلية الفائدة ، لو أن المسلمين استثمروا هذا الجمع الحاشد الكبير للتعرف على احوال الشعوب الإسلامية ومواجهة الأحداث التي تحيط بهم بخطة مشتركة ، ويتعارفون في نفس الوقت خلال

هذا المؤتمر على كل نواحي القصور في إبلاغ الرسالة والتعاون والتعاطف بينهم ، وهو اجتماع ينبغي أن يكون لفحص المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعوق تقدم الأمة الإسلامية ونهضتها ، والأمر في حد ذاته يحتاج إلى تنظيم فلابد أن يكون لهذه الوفود قياداتٌ تلتقى وتنظم وتعلن على الناس ما انتهت إليه من قرارات أو توصيات يلتزم بها الجميع ، أما أن يذهب الناس لتادية الفريضة فقط دون أن يستفاد بهذا اللقاء الخطير الذى توافد عليه الناس طواعية لا كرها طلبا لرحمة الله ... لرضوانه وثوابه ، فلابد من استثمار موسم الحج في صالح الإسلام والمسلمين ..

● بماذا تفسر إحجام الإيرانيين عن تادية فريضة الحج هذا العام باعدادهم المعتادة كل عام ؟

ـ اعتقد أن للحجاج الإيرانيين ظروفاً خاصة نتيجة تلك الخلافات التي وقعت سياسيا من الحكومة الإيرانية بعدم رضوخها للقرارات التى اتخذها وزراء خارجية المؤتمر الإسلامي بتحديد عدد الحجاج بنسبة عدد السكان في كل دولة ابتغاء أن يكون العدد بقدر سعة الأماكن التى تؤدى فيها المناسك ، وهذه مصلحة جماعية للمسلمين ما كان ينبغى أن يخرج عليها أحد ..

ارتفاع تكاليف الحج

● كثير من المسلمين تمنوا الحج هذا العام ، ولكن تكاليف الحج الباهظة التى تتزايد عاماً بعد عام منعتهم من تادية الفريضة .. فهل يثابون على نيتهم ؟

ـ الاستطاعة نسبية متغيرة من وقت إلى آخر : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، فمتى كان المسلم لا يجد نفقات الحج زائدة عن حاجة أسرته الاساسية ولم يكن مدينا ولا تنطبق عليه الشروط الواجبة لا يجب عليه الحج ، ولكن « النية » في الحج يثاب عليها !

● وهناك البخيل الذي يملك نفقات الحج ، ولكنه لا يؤدى الفريضة ؟

ـ إذا توافرت شروط الحج مع القدرة المالية للمسلم ولم يحج ، لا شك انه يكون آثما ومرتكبا كبيرة من الكبائر هى ترك اداء فريضة من الفرائض الأساسية في الإسلام ، وإذا كان قد تركها جحوداً لها فلا شك انه يكون بهذا خارجا عن الإسلام ، وإذا تركها إهمالا وكسلا وتقصيرا فهو عاص .. نسأل الله له التوبة والهداية والمغفرة .

● وموقف من يكرر الحج كل عام ؟

ـ تكرار الحج أو الحج اكثر من مرة ، لا عيب فيه ولا ضرر مادام قادراً لان الحج في العمر مرة ، فإذا زاد من الطاعة فلا يمنع من ذلك إلا إذا كان يضر بغيره ممن لم يحج أو يحجب غيره عنها ، وتلك مسألة

يجب أن يقتنع بها الناس أولا ، فإذا لم يقتنعوا وتزاحم الذين حجوا مع الذين لم يحجوا قبلهم فإن الأولوية لا شك لمن لم يؤد الفريضة !

سألت الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن قضية (وقف تنفيذ الحدود) إذا كانت للمصلحة العامة ، ورويت له هذه القصة مشيراً بحاكم عادل فى هذا العصر :

● في عام ١٩٦٨ امتدت ايادى بعض الحجاج للسرقة (٢٥ حاجاً) وجرت محاكمتهم بالسعودية وأمر القاضى بقطع أيديهم ، ولكن عند تصديق شهيد الإسلام الملك فيصل على هذا الحكم ، علق عليه بما معناه أن هؤلاء الحجاج أرادوا العودة بهدايا إلى أهليهم فامتدت أيديهم إلى ما لا يخصهم ، فأمر (رحمه الله) بوقف الحد اقتداء بعمر بن الخطاب في عام (الرمادة) ، وأمر بترحيلهم فورا ولم يسترد منهم المسروقات !

فهل من حق الحاكم إذا رأى من مصلحة الأمة أن يخالف نصا ؟

شيخ الأزهر يجيب بحسم :

— ليس من حق الحاكم أن يعطل حكماً من حدود الله لا سيما الحدود التى شرعها الله ، لكن إذا كانت هناك ضرورة لتعطيل الحكم .. أى عدم تنفيذه (كما فعل عمر بن الخطاب فى عام المجاعة) ، فإن ذلك لا يعد تعطيلاً للحكم وإنما يعد تنفيذاً لقاعدة الضرورة التى قال الله عنها : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ .

والحادثة (موضع السؤال) فى تقديري « الشخصى » لا تدخل فى الضرورة ، وإنما قد تدخل فى « السياسة » ، لأن هناك فرقاً بين تعطيل الحد فى عام (المجاعة) وتعطيل الحد من أجل السرقة لشراء (هدايا) ، فلتذهب الهدايا إلى الجحيم،ولا يعطل حد من حدود الله .

● ● ●

اللقاء يمتد مع فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ، ويطول الحوار الذى جرى بمنزله فى حى « المنيل » .. ويتطرق الحديث إلى قضايا سياسية هامة هى حديث الساعة ، ولا يتردد الشيخ الجليل فى الإجابة عن سؤال واحد مهما كانت حساسيته ..

● ما رايكم فيما نادى به البعض بإنشاء حزب دينى فى مصر ؟

قال شيخ الأزهر :

— الأحزاب السياسية بواقعها الحاضر لم تكن معروفة فى صدر الإسلام ، وإن كانت نصوص القرآن والسنة لا تمنع أن يكون هناك اختلاف فى الرأى فى عداد الأمور التى تقع فى المجتمع ، وهذا الاختلاف هو الذى نجعله ـ تجاوزاً ـ مبرراً لقيام الأحزاب !

الأصل أن الأحزاب السياسية تقوم بتنوع المسالك التى يسلكها كل حزب للوصول إلى هدف إصلاحى للمجتمع ، هذا الهدف قد يكون سياسياً أو اقتصاديا أو اجتماعياً ، أو شاملاً لكل هذه الأغراض ، والدين فى ذاته ليس من بين هذه الأغراض حتى يقام من أجله حزب ، لأن الدين يحكم الجميع ، **وليس**

الدين هدفاً حزبياً ينشا من اجله حزب؛لأن كل المسلمين مطالبون بان يكونوا حزب الإسلام .

● **إذن فضيلتك ترفض إنشاء حزب دينى فى مصر ؟**

ـ بهذا الهدف .. وبهذا المسمى ايضاً .

● **الفكر المتطرف .. كيف يمكن مواجهته فى هذا العصر على ضوء ظروف بلادنا التى نمر بها ، وبصراحة .. هل ادت المؤسسات الدينية فى مصر (بما فيها الأزهر) دورها لتبصير الشباب المتطرف بمفاهيم الإسلام الصحيحة وبالتالى نبذ التطرف ؟**

شيخ الأزهر يتحدث بصراحة :

ـ إذا عرفنا مصادر الفكر « المتطرف » أمكننا أن نحدد إذا كانت المؤسسات الدينية قد أدت واجبها .. أم لا ؟ .. ما مصادر هذا الفكر ؟ .. هل حُصرت ؟ .. هل ضبطت وأمكن السيطرة عليها إنها أسئلة تحتاج إلى إجابات من الجهات المعنية .

إن القول بأن الجهات المسئولة عن الدعوة قد قصرت أو أهملت فذلك أمر فيه كثير من التجاوز ، فهذه الجهات تقوم بمسئوليتها فى كل الأماكن .. المساجد ، المدارس ، النوادى ، كل المؤسسات الاجتماعية على اختلاف مسمياتها ، حتى فى المؤسسات العقابية ايضاً ، يقوم رجال الدعوة بتأدية واجبهم ، ويتحدثون عن الصحيح فى الإسلام الذى يواجه هذه الأفكار المتطرفة .

لكن حقيقة الأمر أن هؤلاء الذين وُسِمُوا بالتطرف ليسوا من الذين تصل إليهم نصائح رجال الدعوة ؛ لأنهم فى الغالب انعزلوا عن لقاء العلماء ، فالأمر إذن فى حاجة إلى ترتيب اللقاءات بين هؤلاء والعلماء ، وفى حاجة إلى التعرف على مصادر الأفكار التى يعتنقونها ، ومن أين يتلقونها؛ثم دراسة هذه الأفكار ليست بعناوينها العامة ولكن بجزئياتها حتى يمكن للعلماء أن يواجهوا أصحابها بالرأى الصحيح وبالدليل الصحيح ايضاً .

منابع فكر الجماعات

● **الإمام الأكبر يتحدث عن « منابع » فكر الجماعات الإسلامية المتطرفة وكانها مجهولة وكل مسلم يتابع الحركة الإسلامية يعرف ان مصادر فكر هؤلاء هما « ابن تيمية » و« ابن قيم الجوزية » .. فلماذا لم يعكف العلماء على دراسة هذا الفكر الذى يستمده هؤلاء المتطرفون ويقومون بالرد عليه .. إذا كان « التشخيص » متوافرا .. فبالتالى العلاج اسهل ؟**

قال شيخ الأزهر :

ـ أعتقد أنه إذا كانت المنابع محصورة فى كتب هذين الإمامين فلا تعد مصدر (خطر) إلا لسوء الفهم لما فيها،ذلك أن هذين الإمامين لهما فقه وفكر ، وقد وجدا فى عصر فيه كثير من الفتن والخروج ، وكان من مقتضى هذا الفكر والخروج أن تكون لهذه الظروف (فتاوى خاصة) لا ينبغى أن تتخذ قاعدة فقهية ..

هؤلاء الذين يأخذون من هذه الكتب لا يميزون بين ما هو « وقتى » له ظروفه ، وما هو « أساسى »

مطرد فى الإسلام .. وهذا هو سوء الفهم بعينه بالنسبة لهؤلاء ، الذين يصمون به كل مسلم لمجرد أمر « تافه » بالخروج عن الإسلام ، بل يكفرونه .. إلى آخر « مصطلحاتهم » التى نسمع عنها . ومن هنا كان عليهم أن يستزيدوا علماً لأصول الإسلام وفكره الصحيح المستقى من القرآن والسنة !

وأعتقد أنهم لو اتبعوا وصايا الله (سبحانه وتعالى) فى كتابه ، ووصايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا على هدى ، لكنهم (فيما أعتقد) وبما يقال عنهم ضلوا طريق العلم الصحيح ، فالعلم ينبغى أن يؤخذ عن العلماء وليس عن مجرد « متحدث » !

● **لماذا حمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ السيف .. ولم يكتف « بالإقناع » ؟**

ـــ هذه دعوى (غير صحيحة) لأن الإسلام والرسالة كانت فى مكة وقد ظل ثلاثة عشر عاماً ينادى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه ويدعوهم للإسلام فما استعمل السيف ، نعم كان المسلمون قلة ، ولكن أيضاً كان فى مكنتهم أن يدافعوا عن أنفسهم وأن يستثيروا عصبيتهم القبلية ، ولكن لم يلجأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ذلك لأن فى هذا تدميراً لوحدة العرب فى هذا الوقت ، وفتنة كبرى بين قبائل مكة ، فكانت الدعوة فى الواقع دعوة إقناع وليست دعوة إجبار وإكراه ، ثم عندما انتقل بالدعوة إلى المدينة هل بدأ بالسيف ، إن من أسلم من أهل المدينة كان مقتنعاً بالإسلام ، وهو لم يغادر إلى المدينة إلا حين صار فيها قوم مسلمون بايعوه فى مكة على أن يحموا دعوته حماية أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم ، فلما صار المجتمع مسلماً كان لابد أن ينشر الدعوة فى جزيرة العرب باعتبارها موطن الرسالة .

هل فاجأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس بالقتال ؟

أم كان يرسل الرسل بالكتب إلى الأمراء والملوك لتبليغ الرسالة ؟

فلما دخل فى الإسلام من دخل ، وكره من كره كان لابد أن يواجه هؤلاء « المكابرين » الذين لم يدخلوا الإسلام ، إكراهاً على الدين لأن القرآن يقول : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ، وإنما هو بما نسميه بمنطقنا اليوم (الحرب الوقائية) ، فلم تكن حرباً لاستلاب أموال ، ولا للاستيلاء على أرض ، ولا إكراه على عقيدة ، وإنما هى وقاية للمجتمع الإسلامى !

انهيار الشيوعية وماذا يعنى ؟

● **ظاهرة المد الإسلامى فى بعض الجمهوريات السوفيتية ، وتحليلكم للمتغيرات التى حدثت فى أوروبا الشرقية وانهيار الشيوعية ؟**

الإمام الأكبر يقول :

ـــ ما حدث فى أوروبا الشرقية من متغيرات يدل على أن تلك الشعوب لم تكن مقتنعة بما كانت عليه من فكر وعقيدة سياسية واجتماعية فى ظل النظام الشيوعى ، والدليل على ذلك أنه بمجرد أن انطلق الضوء الأخضر ـ كما يقال ـ انتقد النظام وتغيرت الأمور ، وتغير رجال الحكم فى كثير من هذه الدول ، وظهر للشعوب « وقفات » كان لها أثرها فى تغيير الأمور بتلك البلاد ..

←

وفى روسيا نفسها التى كانت حاكمة لهذه المجموعة الشيوعية بقوتها وقدرتها وأفكارها ومذهبها بدأت الأمور فيها تأخذ وجهاً آخر ، وإن كانت لم تتخل بعد عن الفكر « الماركسى » فلقد أطلقت الحريات قليلاً ولكنها لم تشمل المسلمين بالقدر الكافى . ولا تزال العوائق والحواجز توضع أمامهم نحو التحرك لأخذ موقعهم الطبيعى مثل غيرهم من الشعوب التى تشارك فى جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

إن ما أتمناه أن تكون للشعوب الإسلامية فى مواقعها الحرية الكاملة فى أن تقوم بواجباتها الدينية والإسلامية ، وأن يرخص لها بافتتاح المدارس والمساجد وأن تأخذ سمتها التى تميزها عن غيرها .

لقد سمعنا أن الأمور انطلقت بالنسبة لغير المسلمين وأقصد الجمهوريات التى أعلنت الاستقلال والعودة إلى ذاتها وإن كانت قد أخذ على يديها (كما يقال) ولكن لها صوت عال ولم تذهب إليها « الجيوش » لتخمد صوتها كما فعلوا ببعض الجمهوريات الإسلامية .

المطلوب أن تكون الجمهوريات الإسلامية على قدم المساواة فى المطالبة بالحقوق كغيرها من تلك الجمهوريات التى ارتفع صوتها والتى بدأت تجاهر بأن لها شخصياتها وذاتها ..

دعم الانتفاضة وتهويد القدس

● الانتفاضة الفلسطينية .. بعض الدول الإسلامية تتردد فى دعمها ماديا على اساس الثراء البالغ للقيادات الفلسطينية ؟

شيخ الأزهر يؤيد تدعيم الانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة بكل قوة ، وبغض النظر عن أية اعتبارات أخرى ويقول :

ـــ أعتقد أن دعم الانتفاضة الفلسطينية داخل فلسطين ، بل وأى حركة على أرض الإسلام تبتغى عودة الأرض لأصحابها وتقرير مصيرها أمر واجب على المسلمين بغض النظر عن زعامات أغنياء أدوا دورهم أو العكس ، وعلى المسلمين جميعا أن يبادروا إلى دعم الانتفاضة ، لأن هذه الانتفاضة هى التى أعادت لقضية فلسطين الحياة ، ونفضت عنها التراب ، وأن الموقف الآن جد خطير ، فلم تعد الانتفاضة وحدها هى التى فى الميدان وإنما صارت هناك الهجرة اليهودية من كافة أنحاء العالم لاحتلال الأرض وطرد أصحابها ، وهذا ما ينبغى أن يتنبه إليه المسلمون بنظرة جادة لأن الخطر ليس موجها إلى فلسطين فحسب ولكنه موجه إلى كل العرب المسلمين !

● قرار إسرائيل بتهويد « القدس » واعتبارها عاصمة سياسية والعمل المطلوب امام محاولات « التهويد » الإسرائيلية ؟ .

قال الإمام : نأمل أن تعود القدس عربية إسلامية كما أعادها صلاح الدين بعد حروب استمرت اكثر من مائتى عام ، جند لها الغرب كل إمكانياته فى ذلك الوقت من الزمان الطويل ، ومازال يعيد الكرة الآن

ولكن بطرق وأساليب أخرى ، وعلى العرب والمسلمين أن يواجهوا ذلك تماما ، ولعل الأمر الهام الذى يعينهم على ذلك هو وحدة الصف والكلمة والشعور بالمسئولية التى تدفعهم للعمل بقول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ لتستمر المفاوضات ، ولكن لا تبعدهم عن الاستعداد والإعداد فإن التجربة الماضية فى هذه القضية .. وأقصد قضية فلسطين .. منذ أن ظهرت ، علمتنا أن التقصير والتردد كان فى الغالب من العرب ، إننا نأمل حزما وحسما ونتأمل الآية الكريمة : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

استئناف الحوار مع المنظمة

● **موقف الأزهر بالنسبة لقرار أمريكا الأخير بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ؟**

لقد أيد الأزهر البيان الذى أصدرته رئاسة الجمهورية بشأن قرار الولايات المتحدة الأمريكية وقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ، والحقيقة هو بيان عبر عن شعور المصريين ويتناسق مع دور مصر الإيجابى فى تحريك قضية السلام .

كان واجبا على امريكا

وكان هذا البيان بمثابة وقفة مع الصديق حيث سبق أن تعهدت أمريكا بمتابعة الحوار مع المنظمة . بل وكانت قد بدأته فعلا ، والولايات المتحدة سبق لها أن تعهدت بالعمل على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بشأن الأرض المحتلة ، كان مأمولا منها أن تقف بجانب الفلسطينيين والمضطهدين والمعذبين على أرضهم والذين تطردهم القوات الإسرائيلية وتأتى بالمهجرين من يهود الاتحاد السوفيتى وغيره كى يحتلوا الأرض والديار التى يقيم عليها عرب فلسطين ، والمنتظر من الولايات المتحدة أيضا أن تلزم إسرائيل بالقانون الدولى والأعراف الدولية وبأن تكف عن اضطهاد الشعب الفلسطينى ، وأن توقف العدوان على المساجد والكنائس واحتلالها بالقوة ، والكف عن قتل النساء والأطفال والشيوخ دون مراعاة لأى اعتبارات إنسانية .

وعلى أمريكا أن تقارن بين صداقتها لإسرائيل المنتهكة للحقوق الإنسانية وبين صداقتها للشعوب العربية والإسلامية التى تسعى للسلام . وأن تعود إلى الحق والعدل وتعزيز الموقف الفلسطينى فى الحصول على حق تقرير المصير ، وتنفيذ قرارات الجمعية العمومية للمنظمة الدولية وقرارات مجلس الأمن وما انتهى إليه الرأى العام العالمى من شجب لهذا العدوان الإسرائيلى .

إننا نحيى موقف الحكومة المصرية المستمر من قضية السلام فى المنطقة وسعيها الدائم إلى استقرار الأمور واستمرار الأمن ودعوتها لجميع الدول فى المنطقة لأن تعيش فى إطار حسن الجوار بدلا من الحروب واضطهاد الفلسطينيين وطردهم من ديارهم وإحلال غرباء على أرضهم ، وعلى المنظمات الدولية بجميع أجهزتها والرأى العام العالمى بكافة منظماته الإقليمية شجب الأعمال الوحشية التى تقوم بها إسرائيل فى الأرض المحتلة .

وقد عبرنا عن الأمل فى إمكان عدول أمريكا عن قرارها الخطير بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لموقع أمريكا فى العالم ، وصداقاتها فى العالم العربى والإسرائيلى ، ولقد لمسنا « كما قرأ العالم » استجابة أمريكا لجهود مصر بالنسبة لمواصلة مساعى جهود السلام .

معونات مصر والعراق لإيران

● بالنسبة لبشائر استئناف الحوار بين العراق وإيران ، وموقف مصر من الزلزال المروع والوقوف إلى جانب الشعب الإيرانى فى محنته وتقديم المساعدات ؟

قال فضيلة الإمام : لاشك أنه اتجاه محمود ؛ فإن الحرب بين العراق وإيران ـ وقد استمرت نحو ثمانى سنوات ـ استنزفت أموال ورجال الدولتين ، وشغلت العالم العربى والإسلامى طويلا ، وأضعفت من هيبة المسلمين فى العالم وإنهاء هذه الحرب ، وإنهاء آثارها بالصلح أمر يجب أن يسارع إليه ، ويكون ذلك بإزالة أية عوائق تقف فى سبيل هذا الصلح ، وانها لمبادرة سارة وطيبة أن يسارع الرئيس حسنى مبارك والرئيس صدام حسين وغيرهما من زعماء العرب والمسلمين ، إلى مواساة إيران فى نكبتها التى وقعت بسبب الزلزال ، وأن يسارع الجميع إلى نجدتها وإغاثتها ، لاشك ان ذلك أمر سار ويبشر بالخير ، وهذا السلوك هو خلق الإسلام ، وإنا لنأمل أن تقوى هذه الروح نموا بين الزعماء المسلمين وأن تظهر آثارها العملية « سياسيا » فى القريب العاجل إن شاء الله .

العلمانية ومبادئها

● العلمانية وما تدعو إليه من مبادىء وافكار نعرفها جميعا واهم شعاراتها : لا دين فى السياسة .. ولا سياسة فى الدين ، وعزل العبادة عن العمل السياسى .. هل تعتبر بهذا المفهوم سيفا مسلطا على الإسلام .. البعض يضعها فى خندق المذاهب المنحرفة ، كالباطنية والإسماعيلية والماسونية .. والبعض الآخر ينسب « العلمانية » إلى العِلْم .. ما رايكم فى كل هذا ؟

يقول الإمام الأكبر :

ـ العلمانية لا تنتسب إلى « العلم » لأن الإسلام أولا مع العلم ويدعو إليه ، والمسلمون « وليس ذلك تشبثا بالماضى » هم الذين نشروا العلم والعلوم .. العلم بمعناه العام لا المقصور على علوم اللغة والشريعة ، وعلمهم هو الذي أقيمت عليه هذه الحضارات المادية المعاصرة .

العلمانية هى مفهوم يدعو إلى التخلص من الدين وعزله عن حركة المجتمع ، وهذا لاشك مذهب وفكر خاطىء ، وهو فكر مادى لا يفترق عن الحضارة الغربية فى شىء ، وما فى الحضارة الغربية من فصل بين الدين وبين نظام الحياة ، هذا أمر كانت له ظروفه الماضية حين تسلط رجال الدين فى أوروبا على الحكم والحكام وكانت نتيجة تسلطهم هذه « المآسى » الاجتماعية والسياسية التى نعرفها جميعا ، أما حركة المسلمين منذ تاريخ الإسلام فلم يحدث فيها شىء من تلك المآسى ، وكان الإسلام والحياة متواكبين متعاونين ينظمان حياة المسلمين حين كان المسلمون متمسكين بدينهم ومؤدين لفروضه وأحكامه

وتشريعاته ، فإذا عاد المسلمون إلى هذا الطريق واستمدوا أحكامهم من مصادر الإسلام عادت إليهم سمعتهم وشخصيتهم واختلفوا عن غيرهم ونبذوا أى فكر يخالف أصول الإسلام ، فحين ننظر « مثلا » إلى مبدأ « تنظيم الدولة وإداراتها » لم يكن معروفا لدى المسلمين فى البداية ، لكن حين فتحوا ما حولهم من بلاد .. الروم والفرس وكانتا دولتين لهما حضارة ووجدوا عندهما « نظاما » نقله عمر ، يقال إن عمر دون الدواوين . بمعنى أنشأ الإدارات والاختصاصات ووزع السلطات .

تشديد العقوبة للمدمنين

● **بالنسبة لبعض الأخطار الاجتماعية التى تهدد مجتمعنا واهمها « ظاهرة الإدمان » هل تؤيد فضيلتكم تشديد العقوبة على جريمة « التعاطى » حماية للمجتمع من هذا الخطر ؟**

قال شيخ الأزهر :

نعم .. واجب أولى الأمر إنزال العقاب الرادع على المتعاملين فى هذه الآفة بكل صور التعامل : زراعة ، صناعة ، تجارة ، الاستعمال ، التهريب ، إن كل من تعامل مع المخدرات أو المشمومات على أى صفة من صفات التعامل يعتبر قد ارتكب كبيرة من الكبائر التى حرمها الإسلام ، بل وندعو كل الناس أن يقدروا خطر المخدرات والمشمومات والمسكرات ، وأن يباعدوا بينها وبين ذات أنفسهم وأهليهم ، وتبليغ المسئولين عن كل من يتعامل معها حتى تبرأ ذمتهم ، وحتى يقوم هؤلاء بواجبهم نحو حماية المجتمع من هذا الخطر الذى يواجه الأمة فى اقتصادها ومستقبلها كله ، وأن نرى باعيننا الضياع الذى يلحق بهؤلاء المدمنين ، والدمار الذى يحل بأسرهم .. لابد أن نزن مواقفنا ونعيد حساباتنا .

وما يجرى على الخمر من تحريم يجرى على كل ما يفتر من حشيش وأفيون ، وما جد على المجتمع من أنواع « الشم » لأن الهدى النبوى الشريف جمع ذلك كله تحت لواء نهى واحد حيث روى عن « أم سلمة » رضى الله عنها ـ قالت : « نهى رسول الله ﷺ ـ عن كل مسكر ومفتر » ومن هنا كانت المحافظة على العقل واحدة من الضرورات الخمس التى حث الإسلام على المحافظة عليها وصيانتها بل وتنميتها .

فالعقل تنميته بالعلم والتعلم والتفكير والتدبر . فيما تعمر به الحياة ، وجعل الإسلام العقل منارا ونورا للإنسان ، كما جعل إتلافه خطيئة وكبيرة من الكبائر ، وحرم أى شىء يؤدى إلى إتلاف العقل أو فتوره لأن الإقدام على التعاطى أو الشم بمثابة « الانتحار » الذى نهى الله عنه فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ .

● **الإمام الأكبر شيخ الأزهر اين يجد نفسه « القاضى » الذى احترف القضاء سنوات طويلة .. ام « رجل دين » تولى الفتوى ومهمة الدعوة فى فترة من الزمن .. أم « السياسى » بحكم منصب شيخ الأزهر ؟**

قال الشيخ جاد الحق الإمام الأكبر :

أعتقد أن شيخ الأزهر يستقر فى نفسه الكثير من العمل الذى زاوله مدة طويلة وهو شخصية « قاض » الذى يدرس كل الأمور بتأن ليصل إلى الحق والعدل فى كل ما يعرض عليه ، وهذا لا يفترق عن شخصية « العالم » المسلم فمن صفاته أيضا التأنى والتفكير الطويل فيما هو واجب عليه من إفتاء ونصح ، أما « السياسى » فذاك قدر مشترك بين شيخ الأزهر وغيره من المصريين لأن العمل بالسياسة ليس حقا شخصيا فحسب ، وإنما هو حق للوطن فى أغلب الأمور .

فتــوى يـــان

لفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

١ الزكاة فى أموال صندوق موظفى ماليزيا

الصندوق : موارده ومصارفه واستثماراته(*)

وحق الموظفين فيه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد .

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب السيد سفير ماليزيا فى القاهرة المؤرخ ١٩٩٠/٥/٧ م ، وفيه :

أن جميع الموظفين بماليزيا يخصم من رواتبهم شهريا ٩٪ تدخر فى صندوق التوفير للموظفين ، وتضيف الحكومة إلى هذه النسبة مثلها لكل موظف ، ويعاد صرف هذه المدخرات إلى أصحابها بعد بلوغهم سن التقاعد وهو ٥٥ سنة ، وان هذه الأموال تتزايد إلى ملايين الدولارات سنويا للعدد الكبير من الموظفين المساهمين فى هذا الصندوق واكثرهم من المسلمين .

واضاف السيد السفير فى معلومات ملحقة ان للموظف صرف مدخراته قبل سن التقاعد :

« ا » فى حالة العجز الكامل عن العمل .

« ب » او عند وفاته حيث تصرف المدخرات لورثته .

« جـ » او عند مغادرته البلاد نهائيا .

« د » او لشراء منزل لإقامته واسرته .

وان تلك المدخرات تستثمر فى مشاريع إنتاجية ويشترك الموظفون المشاركون فى الصندوق والحكومة فى عائد استثمار هذه المدخرات كما تستثمر تلك المدخرات فى الإقراض للمؤسسات والهيئات دون الأفراد وبالفوائد ، ولهذه المدخرات عائد نام ، ويعطى للموظف بعد التقاعد فرصة

* العناوين الفرعية من عمل التحرير .

الاختيار فيما إذا كان سيستمر فى الادخار فى الصندوق مع صرف العائد سنويا أو ينهى مشاركته .

مطلوب الفتوى :

وطلب السيد السفير بيان الحكم الشرعى فيما إذا كانت الزكاة واجبة على هذه الأموال المدخرة فى صندوق التوفير للموظفين ؟ وما مقدار هذه الزكاة ؟

وقد كتب فضيلة الإمام جواب ذلك ، مبينا .

الزكاة : معناها وحكمها وشروط وجوبها :

الزكاة تطلق فى الإسلام على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله للمستحقين كما تطلق على نفس إخراج هذه الحصة .

والزكاة فريضة ثابتة قطعا فى ثلاثين موضعا من القرآن الكريم وثابتة بالسنة القولية والعملية فى أحاديث كثيرة وفيرة ، وقد صار هذا معلوما من الدين بالضرورة باعتبارها أحد أركان الإسلام الخمسة .

وهى مفروضة :

فى المال النامى المملوك ملكا تاما متى بلغ النصاب المحدد شرعا بمقتضى السنة النبوية .

وكان فائضا عن الحوائج الأصلية لمالكه .

وسالما من الدين .

وأن يمر على ملك هذا المال لصاحبه حَوْلٌ قمرى ، وهذا فى النقود والماشية وعروض التجارة وأشباهها ، أما الزروع والثمار والمعادن والكنوز فلا يشترط فى وجوب الزكاة عليها مرور الحول .

الزكاة واجبة فى مال هذا الصندوق بتوافر شروطها .

ولما كان الظاهر من السؤال أن أموال صندوق التوفير للموظفين فى ماليزيا هو صندوق حكومى تودع فيه النسبة التى تقتطع من مرتب الموظفين مضافا إليها مثلها منحة من الحكومة .

وأن حصيلة أموال الصندوق تستثمر بمعرفة إدارته الحكومية فى المشاريع الإنتاجية وفى الإقراض للمؤسسات والهيئات دون الأفراد ، ومع هذا فليس من حق الموظف سحب مدخراته هذه إلا فى الحالات سالفة الذكر وبهذا الاعتبار صارت حقا له ، وفى حكم الدَّيْنِ القوى كما قال فقهاء المذهب الحنفى، أو المال الذى فى يده كما قال أبوعبيد، وعندئذ تجب فيها الزكاة سنويا متى بلغت مدخرات كل موظف مع منحة الدولة له، والعائد نصابا وتوافرت باقى الشروط المنوه بها فيما سبق .

آراء الأئمة فى زكاة الدين :

ومذهب الإمام مالك أنه لا زكاة فى الديون إلا إذا قبضها مالكها .

وعندئذ يزكيها لعام واحد ، وإن بقيت أعواما على ملكه دون قبض ..

وفى مذهب الإمام احمد : تجب زكاة الدين إذا كان ثابتا فى ذمة المدين ولو كان مفلسا إلا انه لا يجب إخراج زكاته إلا عند قبضه .

وفى مذهب الإمام الشافعى : تجب زكاة الدين إذا كان ثابتا ، وكان من نوع الدراهم او الدنانير او عروض التجارة سواء كان حالا او مؤجلا ، ولا يجب إخراج زكاة الدين على الدائن إلا عند التمكن من قبضه وعندئذ يجب إخراجها عن الأعوام الماضية .

ما يجب عمله بشأن الصندوق :

لما كان ذلك : وكان المستفاد مما سبق ان تلك المدخرات فى ذلك الصندوق تحت يد الحكومة الماليزية ، والحقوق فيه للمشاركين من الموظفين مضمونه ـ كانت حصة كل موظف كدين قوى مضمون اداؤه فى اجل معين هو بلوغ سن التقاعد ، او عند وفاة صاحبه ويستحقه ورثته ، او فى الحالات الأخرى الطارئة سالفة الإشارة ، وكانت اقوال فقهاء المذاهب الأربعة على هذا الوجه فى شان زكاة الدين وكان فقه المذهب الحنفى يقول : بإخراج الزكاة على الدين القوى المضمون وهذا اصلح للفقراء ومستحقى الزكاة الآخرين المحددين وصفا فى القرآن الكريم فى سورة التوبة(١) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ ﴾ .

من ثَمَّ : أميل إلى الفتوى فى هذه الواقعة بوجوب الزكاة فى هذه الأموال اصلا وعائدا ومنحة الحكومة لكل موظف على حدة متى بلغ استحقاقه نصابا وهو ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب بالعملة المحلية بالسعر السائد وقت وجوب إخراج الزكاة بمضى الحول . ومع تحقق باقى الشروط الأخرى المنوه عنها فيما سبق ، ويجب إخراجها سنويا فى ميقات حولان الحول لكل موظف حتى لا تتراكم الزكوات دينا على هذه الأموال ، ويتعطل انتفاع مستحقى الزكاة بها وامتثالا لقول الله سبحانه فى شان المزروعات فى سورة الانعام(٢) ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ .

ويكون الصندوق مسئولا عن إخراج الزكوات فى المواعيد الحولية لكل موظف بتوكيل يحرره الموظفون لإدارة البنك فى شان إخراج الزكاة .

هذا : وباعتبار ان هذه المدخرات نقود أو فى حكمها ، فتخرج الزكاة منها بواقع ٢,٥٪ اى ربع العشر وفقا لما ورد تقديره فى السنة النبوية .

والله سبحانه وتعالى اعلم .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

(١) الآية : ٦٠ (٢) من الآية : ١٤١

(٢) الزكاة فى أموال اليتيم المودعة فى البنوك وشهادات الاستثمار

الاستفتاء :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب المواطن السيد / م . ا . ص بالاسكندرية المؤرخ ٤ من شوال ١٤١٠ هـ .. ٢٩/٤/١٩٩٠ وقد جاء به :

انه الولى الشرعى على حفيده القاصر الذى فقد والديه ، وان لهذا القاصر الأموال التالية :

١٨٥٠ جنيهاً مبلغ مودع بحساب للقاصر فى بنك مصر بفائدة قدرها ٦٪ سنوياً .

١٠٠٥٠ جنيهاً قيمة إحدى عشرة شهادة استثمار البنك الأهلى « ا » ذات القيمة المتزايدة وليس لها عائد، وإنما تصرف قيمتها بعد عشر سنوات ٤٨٢٤٠ جم بواقع ٤٨٠٪ .

١٠٠٠ جنيه قيمة شهادتى استثمار البنك الأهلى « ب » ذات العائد السنوى بفائدة ١٦,٢٥٪ وذلك عن حول كامل من اول المحرم سنة ١٤١٠هـ لآخر ذى الحجة ١٤١٠ هـ .

وطلب الإفادة عن حكم تادية الزكاة المفروضة عن تلك الأموال المملوكة لحفيده القاصر ، كل على حدة لاختلاف نوعها ..

اجاب فضيلة الإمام مبيناً ابتداء :

معنى الزكاة واستعمال لفظها :

إن الزكاة فى اللغة : النماء والطهارة والصلاح والبركة يقال « زكا » الشىء إذا زاد ونما و« زكا » فلان إذا صلح .

والزكاة فى الشرع تطلق على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله للمستحقين . كما تطلق على نفس فعل إخراج هذه الصدقة .

فهذا اللفظ من الأسماء المشتركة التى تطلق على عين « فهى الطائفة من المال المزكى بها » كما تطلق على معنى « وهو الفعل الذى هو التزكية » ومن قبيل هذا الأخير قول الله سبحانه فى سورة « المؤمنون » : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[1] حيث إن المراد ـ والله أعلم ـ الفعل الذى هو التزكية ، وليس مال الزكاة .

وسميت هذه الحصة من المال المخرجة من أى نوع من أنواع الأموال ـ زكاة لأنها تزيد فى المال الذى أخرجت منه وتوفره معنى وتقيه الآفات .

وليس النماء والطهارة مقصورين على المال فحسب ، وإنما يمتدان ليشملا نفس المزكى صاحب المال

←

---

(١) الآية رقم ٤ .

سواء أدى بنفسه أو بوكيل أو ولى عنه على ما يشير إليه قول الله سبحانه فى سورة التوبة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا .. ﴾[٢] .

ورود « الزكاة » فى الكتاب العزيز :

وقد تكررت كلمة الزكاة معرفة فى القرآن الكريم ثلاثين مرة ، ثمان منها فى السور المكية وباقيها فى السور المدنية .

وقد جاءت الزكاة مقرونة بالصلاة فى آية واحدة فى سبعة وعشرين موضعاً من هذه الثلاثين ، وفى موضع منها ذكرت فى سياق واحد مع الصلاة ، وإن لم تكن فى آيتها .

صيغ ورودها فى الكتاب ، وبيان السنة فيها :

ولقد أوجب القرآن الكريم الزكاة وفرضها فى الأموال بصيغ متنوعة كلها آمرة . كما بين القرآن مستحقى الزكاة فى آية : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ ﴾ بسورة التوبة [٣] .

وقد أكدت السنة وبينت ما أجمله القرآن ، باعتبارها البيان القولى والتطبيقى العملى للقرآن وفقاً لما تلقى الرسول ﷺ عن ربه وبإذنه ووحيه على مايدل عليه قول الله سبحانه فى سورة النحل:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] . ولقد حددت السنة أنصبة الزكاة ومقاديرها والأموال التى تجب فيها .

وهى ثالثة دعائم الإسلام كما جاءت فى الحديث المشهور المتفق عليه عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ « بنى الإسلام على خمس .. » وأحاديث كثيرة مبينة ومؤكدة أركان الإسلام الخمسة ..

ولقد حذر القرآن الكريم فى آيات عديدة من منع الزكاة وجاءت الأحاديث من السنة مؤكدة لهذا التحذير الشديد و بالوعد والوعيد كما جاءت بالترهيب والترغيب فى أداء الزكاة وصارت فرضيتها مما هو معلوم من الدين بالضرورة،وأجمعت الأمة على ذلك تتناقل هذا جيلاً بعد جيل .

هل فى مال الصبى والمجنون والمعتوه زكاة ..؟ ومن يخرجها ؟

وتجب الزكاة فى مال كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل واختلف الفقهاء فى وجوبها فى مال الصبى والمجنون والمعتوه على قولين :

أحدهما : وجوب الزكاة فى أموالهم . وهو قول جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو الأقوى دليلاً فقد استندوا إلى :

عموم الآيات والأحاديث الصحيحة التى دلت على وجوب الزكاة فى مال الأغنياء وجوبا مطلقاً دون أن تستثنى صبياً ولا مجنوناً ولا معتوها .

(٢) الآية رقم ١٠٣ .   (٣) الآية ٦٠ .   (٤) من الآية ٤٤ .

وبما جاء فى السنة من الأمر بالاتجار بمال اليتيم حتى لا تذهبه أو تستهلكه الصدقة .

وبما صح عن الصحابة من إيجاب الزكاة فى مال اليتيم وهذه الأدلة مبسوطة فى مواضعها من كتب الفقه المتنوعة .

واجب الولى عند إخراج الزكاة :

ومن ثم وجب على ولى اليتيم أو المجنون أو المعتوه إخراج الزكاة من مال مَنْ فى ولايته من هؤلاء وتعتبر نية الولى فى الإخراج كنية صاحب المال البالغ العاقل ، وينبغى للولى أن يستأذن القاضى فى إخراج الزكاة من مال اليتيم متى بلغ نصابا نامياً ووجبت فيه الزكاة ، حتى لا يتعرض للمطالبة بما أدى مستقبلاً من الصغير متى بلغ أو من غيره .

ولما كانت أموال هذا القاصر كما جاءت فى السؤال منها : مبلغ نقدى مودع بفائدة ٦٪ سنوياً و باقى أمواله شهادات استثمار البنك الأهلى « أ » و« ب » وهذه الشهادات ما هى إلا صكوك بمديونية البنك لهذا الطفل بقيمة هذه الشهادات المتنوعة فى القيمة والفائدة ، ومالك هذه الصكوك مالك دين مؤجل ولكنه يصير حالاً عند نهاية الأجل ، فتجب زكاته لمدة عام إن مضى على ملكيته عام أو أكثر وفقاً لمذهب كل من الإمامين مالك وأبى يوسف .

لكن القول الصحيح فى الدَّيْن المرجو اداؤه وهو الدَّيْنُ القوى ـ فى اصطلاح بعض الفقهاء ـ وهو ماكان على مُقِرٍّ مُوسِرٍ ، وجوبُ تزكيتِهِ كل عام وفقا لقول جمهور الفقهاء واختيار أبى عبيد وغيره ؛ لأن الدَّيْنَ المرجو بمنزلة مافى اليد .

ومن ثم يتعين اعتبار شهادات الاستثمار المملوكة لهذا القاصر من باب السندات الدائنة للبنك ، بل إنها ديون ذات خصوصية تميزها عن الديون التى تحدث عنها الفقهاء ؛ لأن هذه السندات أو الشهادات الاستثمارية تجلب لصاحبها فائدة ، وإن كانت محظورة باعتبارها من ربا الفضل إذ أن حظر هذه الفائدة لا يكون سبباً لإعفاء صاحب السندات من الزكاة ، إذ ارتكاب الحرام لا يعطى صاحبه ميزة على غيره ، ومن هنا أجمع الفقهاء على وجوب الزكاة فى الحلى المحرم ، بينما اختلفوا فى الحلى المباح هل تجب فيه الزكاة أو لا تجب ؟

ولما كانت الأموال المرقومة بالسؤال ملكاً لهذا القاصر وهى فى جملتها دين لدى البنوك وان اختلفت فى نوعية الإيداع .

فأولها وديعة نقداً بفائدة سنوية .

وثانيها شهادات استثمار « أ » ذات القيمة المتزايدة ولا تصرف قيمتها إلا بعد عشر سنوات .

وثالثها شهادات استثمار « ب » ذات العائد السنوى ١٦,٢٥٪ .

ومن ثم تعتبر وعاءً واحداً للزكاة على الولى « السائل » إخراج الزكاة عنها بواقع ربع العشر ٢,٥٪ متى بلغت جملتها النصاب الشرعى الذى تجب فيه الزكاة باعتبارها نقداً ، وهذا النصاب ما تقابل قيمته بالنقود الحالية « الجنيه المصرى » قيمة ٨٥ جراماً من الذهب عيار ٢١ وذلك متى توافرت باقى شروط الزكاة ومنها تحقق هذا النصاب .

←

وهذه الشروط الاخرى هى بإجمال :

الملك التام للمال بأن يكون مالكه متمكناً منه أو فى حكم المتمكن منه .

وأن يكون المال ناميا حقيقة أو حكماً ، والنقود أموال نامية لأنها واسطة التبادل .

وبلوغ النصاب ـ كما تقدم ـ

وأن يكون هذا المال فائضاً عن حوائج القاصر الأصلية وهى : النفقة والسكنى والملبس ثم السلامة من الدين وحولان الحول .

لما كان ذلك ، فمتى توافرت هذه الشروط فى مال هذا القاصر المرقوم فى ورقة السؤال وجب على وليه « جَدِّهِ » إخراج زكاته إذا كان قد مضى على ملك القاصر لمجموعه حَوْلٌ كامل وبلغ مبلغ النصاب أو زاد بما يقابل قيمة ٨٥ جراماً من الذهب عيار ٢١ بالعملة السائدة « الجنيه المصرى » وفى هذه الحال يكون الواجب إخراجه سنوياً ٢,٥٪ من جملة المال أصلاً وعائداً ..

والأولى أن يستأذن الولى محكمة الولاية على المال المختصة فى إخراج الزكاة متى تحققت شروط وجوبها فى هذا المال . على نحو ماسبق إيضاحه ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

من فقه الكتاب والسنة

٢

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

« قاعدة التعارض بين الكتاب والسنة وتطبيقاتها »

قال الشيخ محمد الغزالى : فى كتاب « السنة النبوية » صفحة « ١٨ » توثيق السنة لون من إحقاق الحق وإبطال الباطل وهذا جيد ، ثم قال : فى صفحة « ٢١ » ما معناه إن السنة إذا عارضت القرآن فهى مردودة كما فعلت السيدة عائشة بحديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ، وعلى هذا حكم فى كتابه بالوضع على كل حديث صحيح أو مشهور بدا له أنه عارض القرآن الكريم ، ولهذا رأينا أن نذكر ما قاله علماء أصول الفقه وأصول الحديث فيما إذا تعارضت السنة ظاهراً مع القرآن الكريم ، ونناقشه على ضوئه فيما رده من الحديث .

قاعدة التعارض بين الكتاب والسنة :

التعارض بين الكلامين هو دلالة أحدهما على نقيض مادل عليه الآخر .

قال العلماء : ولا يتحقق إلا بتحقق أمور ثمانية : أبرزها تحقق الموضوع والمحمول والنسبة والزمان والمكان ، وهذا التعارض لا يتحقق فى الأدلة الشرعية ولا سيما بين القرآن الكريم والسنة الشريفة إلا بحسب الظاهر للمجتهدين والناظرين فيهما ، وبحسب ظنهم فقط ، لا بحسب الواقع : لأن من العقائد أنه لا تناقض فى آيات الكتاب وأحاديث السنة : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾[1] .

←

(١) سورة النساء آية « ٨٢ » .

من فقه الكتاب والسنة

فمتى لاحظ الناظر فى القرآن والسنة شيئاً من التعارض بعد الفحص والتثبت ، فعليه أن يحمله على الظاهر لا على الواقع ، وسبب هذا التعارض إما الجهل بالمراد من كل منهما وهذا هو الكثير الغالب ، وإما الجهل بتاريخ ورود كل منهما .

ونقصد بالسنة : المتواترة أو المشهورة أو صحيحة السند ، أما الأحاديث التى لم يصح سندها كخبر الغرانيق « وخبر لحم البقرداء » فهذه ساقطة من أصلها ولا يقال إنها عارضت القرآن الكريم .

فإذا تعارض القرآن الكريم مع الحديث المتواتـر أو المشهور أو الصحيح بحث أولاً : عن التاريخ فإن تبين تقدم السنة نسخها القرآن كقوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾(٢) بعد ما ثبت بالسنة أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس بالمدينة ، وكقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾(٣) بعد ما ثبت بالسنة الاتفاق فى عهد الحديبية على أنه لا يأتى الرسول أحد من قريش وإن كان على دين الإسلام إلا رده إليهم(٤) وإن تبين تقدم الكتاب حكمنا بنسخ السنة له بشرط أن يكون الحديث متواتراً أو مشهوراً وقد اختلف العلماء فى وجود هذا القسم ، أما إذا كان صحيح السند فقط فلا ينسخ القرآن إجماعاً ، وروى عن الشافعى أنه لا نسخ بين القرآن والسنة ونوقش هذا القول فى علم أصول الفقه . والمحققون من الشافعية على خلافه .

إما إذا لم يعلم التاريخ فقد اختلفت طريقة العلماء فمنهم من يرجح الكتاب على السنة فإن تعذر الترجح جمع بينهما ، وحجة هذا الفريق أنه ليس من المعقول العمل بالمرجوح مع وجود الراجح ، ومنهم من يقوم بالجمع بينهما بأن يحمل الكتاب على معنى والسنة على معنى آخر ، قالوا : لأن إعمال الدليلين خير من إهمال أحدهما ، ولهم طرائق فى الجمع مبسوطة فى علم أصول الفقه .

لكن الشرط فى الجمع ألا يكون الحديث مخالفاً لعقيدة وألا يكون مكذباً لخبر من أخبار القرآن الكريم ، وأن يمكن تأويله بحمله على معنى صحيح ، فإذا فقد شرط من هذه الشروط حكم بوضع الحديث .

فالحديث الصحيح فما فوقه إذا عارض القرآن الكريم ظاهراً سواء قلنا بالترجيح أو بالجمع : لا يحكم بوضعه بل يحمل على معنى صحيح إلا إذا فقد شرطاً من الشروط الثلاثة .

ونضرب لذلك الأمثال : قوله ﷺ : « من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها » متفق عليه عن أنس(٥) هذا الحديث عارض قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ فى الوقت إذا ضاق : كوقت الظهر إذا ضاق بحيث

---

(٢) سورة البقرة آية « ١٤٤ » .
(٣) سورة الممتحنة آية « ١٠ » .
(٤) صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة الحديبية ـ جـ ٥ ـ ص ٦٨ .
(٥) « الدراية فى تخريج أحاديث الهداية » ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٦ .

لا يسع إلا الظهر : وقد نسي العشاء فإن هذا الوقت الضيق وقت الظهر بالقرآن ووقت للعشاء بالسنة ، فها هنا رجح العلماء الكتاب على السنة وقالوا يصلى الظهر وحملوا الحديث على ما إذا لم يضق الوقت ، وقوله ﷺ : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان » أخرجه الترمذى وصححه : عارض قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[6] الدالة على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، رجح الجمهور الآية وحملوا الحديث على نصيحتها ألا تعرض نفسها للفتنة ، وجمع أحد بين الآية والحديث فقال : إن الوجه والكفين ليسا بعورة فى الصلاة للآية وهى عورة خارج الصلاة للحديث .

فالحاصل أن الحديث الصحيح لا يحكم بوضعه إلا إذا خالف العقيدة أو كذب خبراً أو تعذر تأويله .

وبناء على هذه القاعدة نعرض للأحاديث التى ردها الشيخ الغزالى :

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » رواه البخارى من طريق عمر وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما بسندين صحيحين ولا شذوذ فيه ولا علة وظاهره يعارض القرآن لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾[7] فتطبيقاً لقاعدة التعارض : جمع البخارى بين الآية والحديث بحمل البكاء على ما معه نوح أو على البكاء الذى أوصى به الميت ، أما غيره فلا يعذب به بما جاء فى القرآن ، وحمله ابن جرير على الحزن والألم وأن الميت يتألم كما يتألم الحى لأن روحه باقية وهذا لا يعارض استبشار الميت ببشارة الملائكة له بالجنة لأن الإنسان قد يجتمع له سرور من شىء وحزن بشىء آخر ، وردته السيدة عائشة رضى الله عنها استنباطا من القرآن الكريم الآية السابقة ، وقد رجح جمهور العلماء طريقة الجمع بين القرآن والحديث كما سلكها البخارى[8] بحمل البكاء على مامعه نوح وما للميت سبب فيه ، وجمع ابن جرير بتفسير التعذيب بالحزن كما قدمنا وذلك الجمع قضاء لحق السماع وصحة السند ، ولم يقولوا بمذهب عائشة رضى الله عنها إلا ما روى عن الشافعى[9] .

قال المؤلف فى صفحة « ٢٣ » : « وعندى أن ذلك المسلك الذى سلكته أم المؤمنين أساس لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم » نقول وما عنده مخالف لما عليه جمهور الأصوليين والفقهاء والمفسرين والمحدثين كما بينا ذلك فى قاعدة التعارض ، ولم يقل أحد برد هذا الحديث إلا الشافعى لكن لم يتخذ منه قاعدة كما يفهم من كلامه فى الرسالة ومن كلام أصولى الشافعية .

ودأب العلماء المحافظين على الكتاب والسنة ألا يفتحوا أبواب الرد والوضع على أحاديث النبى ﷺ إلا عند الضرورة كما أسلفنا حتى لا يطمعوا الجاهلين فى المزيد ، ولهذا المبدأ ألفت كتب كثيرة فى الجمع بين الكتاب والسنة وبين ←

---

(٦) سورة النور آية « ٣١ » .
(٧) سورة فاطر آية « ١٨ » .
(٨) « عمدة القارى » شرح صحيح البخارى ـ جـ ٨ ـ ص ٧٩ ، ٨٠ .
(٩) كتاب اختلاف الحديث بهامش كتاب الأم ـ جـ ٧ ـ ص ٢٦٦ : ٢٦٨ .

السنن المتعارضة « كمشكل الآثار » للطحاوى و« مشكل الحديث » لابن فورك و« تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة .

وقد أشرف أهل العلم على أدلة الشريعة إشرافاً واعياً دقيقاً ووفقوا مابين أدلتها ما وجدوا التعارض ، وهاهى كتبهم على اختلاف مذاهبهم ناطقة بما نقول ، وكفى المسلمين ما هم فيه من أحداث سياسية واقتصادية وغيرها مما يثقل كواهلهم حتى نفتح عليهم باب شر ، هم فى غنى عنه وقد كفاهم العلماء مؤنته .

٢ ـ حديث « لا يقتل مسلم بكافر »[١٠] رواه البخارى فى كتاب « الديات » من حديث طويل بلفظ « وألا يقتل مسلم بكافر » وفى كتاب « العلم » بلفظ « لا يقتل مؤمن بكافر » وأخرج أبو داود والنسائى عن قيس بن عبادة عن على رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد فى عهده ، من أحدث حدثاً فعلى نفسه ، ومن أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[١١] الحديث الأول استدل به الجمهور على أنه لا يقتل مسلم بكافر سواء أكان ذمياً أو حربياً أو مستأمناً والحديث الثانى استدل به الجمهور أيضاً على مذهبهم السابق ، واستدل به الحنفية على أنه لا يمنع من قتل المسلم بالذمى الثابت بعمومات القرآن ، أما الحديث الأول[١٢] فإنه يعارض القرآن ظاهرا فى قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[١٣] وقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[١٤] فإن القتلى فى الآية الأولى ، والنفس فى الآية الثانية شاملان للمسلمين والكفار ، فأما إذا قتل مسلم كافراً فيتعارضان مع الحديث ، فالجمهور يجمعون بين الآيتين والحديث بتخصيصهما به لأن لفظى القتلى والنفس عامان وهما ظنيا الدلالة بالإجماع ، للإجماع على استثناء الحربى منهما فإنه لا قصاص بقتله ، اما الحنفية فإنهم استدلوا بحديث النسائى وأبى داود وقالوا لا تعارض[١٥] بينه وبين الآيتين ، لأن المراد بالكافر الحربى .

بيانه أن مقتضى اللغة أن يزاد قيد فى قوله ﷺ : « ولا ذو عهد فى عهده » أى بكافر وذلك لأنه معطوف على « ألا لا يقتل مسلم بكافر » والعطف يوجب التشريك فى العامل وقيوده فيكون التقدير : « ولا ذو عهد فى عهده بكافر ، ولأننا لو لم نقيد المعطوف لما قتل الذمى ولو قتل مسلماً فإن الذمى ذو عهد ، ثم إن المراد بالكافر فى قولنا ذو عهد فى عهده بكافر ، الكافر الحربى لا مطلقاً لأننا لو تركنا الكافر عاماً لما جاز قتل الذمى بالذمى ، ثم قالوا: يلزم من تخصيص الكافر فى الجملة الثانية بالحربى تخصيصه فى الجملة الأولى ـ لا يقتل مسلم بكافر ـ بالحربى لتشريك المعطوف والمعطوف عليه فى العامل

(١٠) « نصب الراية » ـ حـ ٤ ـ ص ٣٣٤ .
(١١) نصب الراية ـ حـ ٤ ـ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
(١٢) المبدع شرح المقنع ـ حـ ٨ ـ ص ٢٦٨ .
(١٣) سورة البقرة آية « ١٧٨ » .
(١٤) سورة المائدة آية « ٤٥ »
(١٥) التقرير والتحبير ـ حـ ١ ـ ص ٢٣٢ .

وقيده ، فيصير معنى الحديث بعد هذا التصرف اللغوى : لا يقتل مسلم بحربى ولا ذو عهد فى عهده بحربى[16] .

وبهذا يتبين الا تعارض بين الآيتين والحديث لأن الحربى مستثنى من الآيتين بالإجماع فيكون تقدير الآية الأولى «كتب عليكم القصاص فى القتلى»غير الحربيين ، والثانية «وكتبنا عليهم فيها ان النفس»غير الحربية «بالنفس».

فلا يكون الحديث معارضا لهما ، فيبقى الحديثان على صحتهما ولا يحكم عليهما ولا على أحدهما بالوضع كما فعل المؤلف ، فلا الحنفية ولا غيرهم قدموا ظاهر القرآن على الحديث فى هذه المسألة كما ادعى المؤلف صفحة « ٢٥ » .

٣ ـ قال ﷺ : « لا يقاد والد بولده » ظاهر كلام المؤلف أن مالكا قدم عمل أهل المدينة على هذا الحديث[17] والأمر ليس كذلك .

وخلاصة المسألة أن الأئمة الثلاثة عملوا بهذا الحديث من رواية عمر وقد صححه البيهقى والدارقطنى وحَسَّنَهُ العلماء من طريق ابن عباس بلفظ « لا تقام الحدود فى المساجد ولا يقتل الوالد بالولد » ، وقال ابن قدامة فى المغنى[18] إنه حديث مشهور لأنه اشتهر بين الفقهاء وعملوا به لا سيما الأئمة الثلاثة ، ولهذا رأوا أن الوالد لا يقتل بقتل ولده وجمعوا بين القرآن والحديث بتخصيص آية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى ﴾ بهذا الحديث لأن العام فى الآية ظنى ولا سيما بعد تخصيصه بالحربى إجماعاً .

أما مالك فإنه ـ كما نقل ابن العربى ـ[19] رأى أن هذا الحديث باطل ، وفى مسألة قتل الوالد بالولد حكم قاعدة القصاص ، وهى أنه لا يجب إلا عند القتل بقصد القتل ، أما عند القتل بقصد التأديب كالضرب بالعصا الصغيرة فلا يجوز كما قرر الفقهاء ذلك فى العمد وشبه العمد ، إذا علم ذلك : فشفقة الأب يفهم منها عند الضرب قصد التأديب فلا قصاص بقتل الوالد ولده : إلا إذا قامت بينة قاطعة على أن الوالد قصد قتل ابنه بأن أضجعه وذبحه ، وسموا هذا النوع قتل الغيلة .

فلا أثر لعمل أهل المدينة هنا بل دار الكلام حول صحة الحديث أو شهرته وبين الحكم بوضعه فمَنْ صَحَّحَ الحديث أو قال إنه مشهور : قال : إنه معارض للقرآن وجمع بينهما بجعل الحديث مخصصا للقرآن ومن قال بوضعه لم يحكم فى المسألة إلا القرآن .

٤ ـ حديث دية المرأة على النصف من دية الرجل هذا الحديث أخرجه البيهقى بسنده إلى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ ورواه عن إبراهيم النخعى عن على رضى الله عنه بلفظ « عقل المرأة على النصف من عقل الرجل فى النفس وما دونها » وقال إنه مرسل لكن المرسل حجة وإن لم يكن صحيحاً فى اصطلاح المحدثين ، ورواه ابن أبى شيبة مسندا من طريق الشعبى ، ورواه الشافعى فى مسنده عن ابن شهاب عن مكحول وعطاء ، قالوا : أدركنا الناس على أن دية

←

(١٦) « العناية شرح الهداية » بهامش فتح القدير ـ حـ ٨ ـ ص ٢٥٧ .
(١٧) السنة النبوية ـ ص ٢٥ .
(١٨) « المغنى والشرح الكبير » حـ ٩ ـ ص ٥٣١ .
(١٩) « ابن العربى » أحكام القرآن ـ حـ ١ ـ ص ٦٤

الحر المسلم على عهد النبى ﷺ مائة من الإبل » وفيه أن دية الحرة المسلمة على النصف من دية الرجل »[٢٠] .

قال ابن قدامة فى المغنى:قال ابن المنذر وابن عبد البر: أجمع أهل العلم على ان دية المرأة نصف دية الرجل وحكى غيرهما عن ابن عُلَيَّة والأصم أنهما قالا:ديتها كدية الرجل لقوله عليه السلام : « فى النفس المؤمنة مائة من الإبل » قال : وهذا قول شاذ يخالف إجماع الصحابة وسنة النبى ﷺ،فإن فى كتاب عمرو بن حزم دية المرأة على النصف من دية الرجل وهى أخص مما ذكراه ، وهما فى كتاب واحد فيكون ما ذكرنا مفسرا لما ذكروه مخصصا له »[٢١] والمراد بالكتاب كتابُ رسول الله ﷺ إلى اهل اليمن رواه ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم،أخرجه النسائى وابن خزيمة وابن حبان[٢٢] .

وقال الشافعى فى الأم : « لا أعلم مخالفاً من اهل العلم قديماً ولا حديثاً فى أن دية المرأة نصف دية الرجل »[٢٣] .

وبهذا يتبين أن الحديث صحيح بل هو مشهور لإجماع أهل العلم أو اكثرهم على العمل به فى القرنين الثانى والثالث .

وبعد هذا البيان نقرأ فى كتاب السنة صفحة « ٢٥ » : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وهى سوأة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون فالدية فى القرآن واحدة للرجل والمرأة .. »[٢٤] .

فالمؤلف اولاً : يفرق فى دية المرأة بين مذهب المحدثين والفقهاء وهذا غلط فى النقل لا يليق بأمثاله ، فقد علمنا مما تقدم ان هناك إجماعاً أو ما يشبه الإجماع على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وتأييد بالسنة المرفوعة والموقوفة على علىّ رضى الله عنه .

ثانياً : يصف هذا التنصيف الصادر عن جمهرة الفقهاء بأنه سوأة اى عورة فكرية وخلقية وزعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب . وهذا ذم لم ينزل إليه مؤمن جاهل فضلاً عن عالم ، ودليل على أن المؤلف بصدد حكمه على الأحاديث والأحكام عن فكر لم يتشبع باحترام سلفه من ائمة الإسلام وماهكذا تكون حرية الرأى وقلم الكاتبين .

ثالثاً : يقرر أن القرآن سوى فى الدية بين المرأة والرجل مع أن القرآن ذكر لفظ الدية مجملاً[٢٥] وترك بيانها للسنة كما هو المقرر أن

(٢٠) نصب الراية ـ حـ ٤ ـ ص ٣٦٣ .
(٢١) المغنى والشرح الكبير ـ حـ ٩ ـ ٥٣١ ، ٥٣٢ .
(٢٢) نيل الأوطار ـ حـ ٧ ـ ص ٩٧ .
(٢٣) الأم ـ حـ ٦ ـ ص ٩٢ .
(٢٤) الأم ـ حـ ٦ ـ ص ٩٢ .
(٢٥) القرطبى ـ تفسير الجامع لأحكام القرآن ـ حـ ٥ ـ ص ٣٢٥ .

السنة مبينة للقرآن كما بينت الصلاة والزكاة ، فهى التى بينت أن الدية مائة من الابل وهى التى بينت أن دية المرأة على النصف من دية الرجل .

رابعاً : ينسب إلى الفقه الحنفى أنه يسوى فى الديات بين الجميع ، وهذا خطأ لأن الفقه الحنفى يقرر ان دية المرأة على النصف من دية الرجل ، كما هو مذكور فى جميع كتب الحنفية .

ثم قال المؤلف فى صفحة « ٢٦ » : « إن الرجل يقتل فى المرأة كما تقتل المرأة فى الرجل ، فدمهما سواء بالاتفاق ، فما الذى يجعل دية دون دية ؟ » .

ونحن نترك الجواب لأبى بكر بن العربى ، قال فى أحكام القرآن : « إن الدية لما كانت جبراً تفاوتت بحسب المرتبة لأنها حق مالى يتفاوت بالصفات بخلاف القتل ، فإنه لما شرع زجراً لم يعتبر فيه التفاوت »[٢٦] على أن الله العليم بأحوال عباده الحكيم فى تشريعه كما سوى بين الرجل والمرأة فى أحكام : فرق بينهما فى أحكام لأسباب : ففرق بينهما فى الدية لأنها جبر وعوض مالى ، وفى الشهادة أمام القضاء لما يعتريها من الضلال والنسيان قال تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾[٢٧] وفى الميراث لأن أعباءها المالية أقل من أعباء الرجل .

وبعد : فإن الذى يبدو لنا ان الشيخ الغزالى اختمرت عنده فكرة تنقية الحديث فاندفع ينقذها من غير ان يستصحب معه حرمة صحة الأسانيد ، والنظرة الفاحصة فى عمل المحدثين وفقه الفقهاء ، والمراعاة الكاملة لأقدار سلفنا الصالح الذين حصنوا الإسلام بإيمانهم وطهارة أفكارهم وعدالتهم فى أحكامهم ، والله يهدينا جميعا إلى سواء الصراط .

د . احمد فهمى ابو سنة

---

(٢٦) ابن العربى ـ احكام القرآن ـ حـ ١ ـ ص ٤٧٨ .

(٢٧) سورة البقرة « ٢٨٢ » .

في ذكرى الهجرة الطيبة

على مفترق الطريق

للشيخ : معوض عوض إبراهيم

ذاك عـام يهل فينـا جـديـــدا
فاحرصوا ان يكون عاماً سعيداً
بعـد عام مضى بمـا قـد فعلنـا
وتـولى عنـا ، بعيـداً بعيـداً
وسنلقـاه في غـد ، ويـح نفسى
بـالـذى قـدم العبـاد شهيـداً
إن مـا مـر لا سبيـل إليـه
كيف ترجو من فائت ان يعودا ؟!
فـارع يومـا تحياه ، واحـرص عليـه
في رضـا الله كـي تـعيش حميـداً
رافعـا بـالتقى قـواعـد دنيـا
هى لـولا التقى ابت ان تجودا
رب عفوا عما مضى ، واهد نفسى
ونفـوس الـورى الصراط الـرشيـدا

نحن في هذه الأيام على مفترق الطريق ، بين عام هجرى انطوت صحائفه التى لا ندرى ما الله صانع بها ، وعام نبتدىء أيامه التى لا ندرى ما الله قاض فيها ، وهذه الأيام ماضيها وآتيها صحائف نكتب سطورها بأقوالنا وأعمالنا ، وماأسعد الذين يتداركون مر الأيام ، وكر الشهور والأعوام ، بعمل صالح ينافسون فيه إخوانهم المستخلفين معهم على عمارة هذا الكوكب ، وإبلاغ الحياة الدنيا كمالها كى تكون أخراهم على غرارها .

فالأيام تمضى ، والأعمار تطوى ، والليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد ، وفي ذلك مايلهى عن الدنيا ، ويذكر بالآخرة ، حيث نصير لا محالة إلى الله بسجل فعالنـا ، لا بحسب مصنوع ، ولا بمجد موضوع .

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ « سورة النجم ٣١ » .

ومن كلام الإمام علي : « أن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل » (١) .

إنها حقيقة لا تخفى إلا على مفتونى الحياة ، وأسرى بهارجها ، ومتاعها القليل ، وقد جعلنا الله خلائف الأرض ، واستعمرنا فيها ، وهدانا سبلنا حتى غرت الأهواء من غرت وغلبت عليهم الشهوات .

---

(١) أخرجه الإمام ابن حجر بسنده في كتاب « الرقاق » جـ ١١ من فتح البارى .

وتداخلت فى تصورهم حدود الخير والشر ، فرأوا المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، وأمروا أحياناً بالمنكر ونهوا عن المعروف « وتعس من ليس له قلب يعرف به المعروف ، وينكر به المنكر » . كما قال معاذ بن جبل - رضى الله عنه - .

إننا على مفترق الطريق بين عامين ، مضى أحدهما ، وأقبل الآخر ، أحوج مانكون إلى لحظة تأمل ومحاسبة نود أن تطول وتصدق وتثمر فينا العبرة الهادية والعظة الباقية ، والعلم البصير الذى نغدو به ونروح إلى معالى الأمور ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع . كما كان يدعو النبي - صلى الله عليه وسلم - .

إن الحياة يؤلف عناصرها الأحياء ، وهم يقيمون على أمر الله قواعدها ، ويرسلون على هداه أركانها ، ويرفعون بصوالح الأعمال بنيانها ، ويأخذون بتقوى الله ووسائله الربانية ما بث سبحانه فى أطوافها من أنعمه التى جعلها - وله الفضل والمنة - فى متناولهم ، فى علو وسفل ، وبر وبحر ، وسهل ووعر ، وانظر كم مرة تطالعك كلمة « لكم » بكل ما تحمل من معانى التخصيص وايثار الله للإنسان فى قوله تعالى :

﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ « سورة إبراهيم ٣٢ - ٣٤ » .

﴿ اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ « سورة الجاثية ١٢ - ١٣ » .

إن وقفة التأمل ضرورة ماسة نعرف منها أين نحن مما يجمل للمؤمن من نهوضه بواجب الاستخلاف مع لداته وأقرانه وإخوان فرصة زمانه ، فإن وجدنا خيراً حمدنا الله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وشمرنا لمزيد من الإحسان الذى لا تزدهر الحياة بغيره ، ولا تطيب العقبى بسواه ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ « الأحقاف » ..

وحين يسرع الأوبة إلى الله ذاهل ويخلص التوبة غافل ، سنجد الله تعالى يبسط لهما يد الرضوان والإحسان مع من استثناهم من عباد الرحمن فقال : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً . وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾ « سورة الفرقان ٧٠ - ٧١ » .

والمؤمن يدرك بوقفة التأمل أن الزمان وعاء الإيمان والإحسان ، كما هو وعاء ما يقابل ذلك ويضاده من الخلاف عن أمر الله « واتباع الهوى ، وايثاره على هدى الله » ، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ « سورة القصص ٥٠ » .

وما أبرك المؤمن وهو يمضى من وقفة التأمل بما أفاد من عبرة انقضاء الأيام ، وقد ودع عاماً مضى واستقبل آخر أشرقت شمسه ، واتسع ضحاه وهو يقدم بمضى بعض لحظاته حجة الله على الغافلين الذاهلين عن حقيقة قول القائل :

يأتى على المرء إصباح وإمساء
وكلنا لصروف الدهر نسَّاء

في ذكرى الهجرة الطيبة

والحسن البصري ـ رحمه الله ـ يقول : « يا ابن آدم : أنت أيام تمر ، وكلما مر يوم ذهب بعضك » !!

وارحم الراحمين ينادي : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ « سورة الحشر ١٨ ـ ١٩ » .

ويا ويح من ضل وجهل وذهل وزين له سوء عمله فرآه حسنا حتى نسي ربه فأنساه الله نفسه ، وهو تعالى يذكر المنافقين بأنهم ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ . . ﴾ « سورة التوبة ـ ٦٧ » ..

يقضي على المرء في أيام محنته ، حتى يرى حسناً ما ليس بالحق والمؤمن وهو يعيش يومه ، يذكر أمسه ، ويرقب غده ويؤمله بقدر ما أحسن من عمل ، لا بمجرد التمني والأمل ، فبالأعمال الصالحة تحرز الدنيا والآخرة على سواء .

وبالتمني والتشهي يجمد الغافلون في مواقعهم ، والدنيا تتحرك من حولهم ، ويجتني العاملون جناها دونهم ، وربما هتف بهم من قريب صائح الحق وهم في غفلة ساهون .

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً :
ندمت على التفريط في زمن البذر
ولات ساعة مندم ...

وصدق الله العظيم : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ « سورة النساء ١٢٣ ـ ١٢٤ » .

فهل نرهف لمر الأيام أسماعنا ؟!

ونمعن في تتابع خطاها أبصارنا ؟!

نستبصر ونتدبر ونستيقن أن الحياة تنقضي كأمس الدابر ، وأننا سنواجه الآخرة كما واجهنا العام الذي أقبل وإذا كان الذي أقبل في دنيا الناس ينفد ، فإن الآخرة تبقى وتتجدد بعدل الله الذي يقوم قائمه ولا يزول ، فيمن أحسن ، وفيمن أساء ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ « سورة الأنبياء

ولقد كان للتابعي الجليل عبدالله بن المبارك علمه بالله وكتابه وسنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وعلمه بقيمة الوقت فأورثه كل ذلك بصراً بالحياة وتصاريفها ، وفهما للوقت وقيمته والانتفاع به وتوجيه الناس إلى اغتنام لحظاته التي تتتابع وكأن بعضها يسوق بعضا فيما يثرى الحياة ، ونجده خيرا وأعظم أجراً حين نلقى الله .. وما كان أبصره وهو يقول :

اغتنم ركعتــين زلفـى إلى الله
إذا كنت فـارغـاً مستــريحـاً
وإذا ماهممت بالنطق بالباطل
فاجعـل مكانــه التســـبيحا
فاغتنام السكـوت أفضل من خـوض
وإن كنت بــالكـلام فصيحــاً

ولقد وعظ أبو عبد الله الإمام محمد بن إسماعيل البخاري فقال :

أقبـل على صلـواتـك الخمس
كم مصبــح وعســاه لا يمسى !!
واستقبـل اليوم الجـديد بتـوبـة
تمحــو ذنـوب صحيفــة الأمس
فليفعلن بــوجهـك الغض البــلى
فـعــل الظــلام بطلعــة الشمس

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ « سورة الأنعام ١٠٤ » .

وبالله التوفيق

أما آن لهذا الصحابى

أن يسترد حقه؟

للأستاذ : السيد حسن قرون

من مباحث تفسير القرآن الكريم معرفة أسباب النزول ، وهو علم عنى به السلف الصالح كوسيلة من وسائل الإيضاح بجانب الوسائل التى استحدثت لفهم معانى القرآن ومراميه ، وقد راعنى أن أرى شيئا من التاريخ يذكر عند تفسير السورة أو الآية مما لا يمت إلى اسباب النزول بصلة من ذلك حكاية « عتبة بن أبى لهب » فقد وجدت كتب التفسير تتحدث عنه وتنسب إليه أفعالا وأقوالا أغضبت النبى ﷺ فدعا عليه بالهلاك ، تجد ذلك عند تفسير الآيات الأولى من سورة «النجم» ، والمفسرون الذين نظرت فى تفسيرهم : الزمخشرى فى كشافه ، وابن كثير فى تفسير القرآن العظيم ، والنسفى وآخرون على أن المهم عند من تعرض لحكاية عتبة بن أبى لهب لم يتغير ، ورجعت إلى كتب التاريخ والسير لعلنا نصل إلى الصحيح فنستريح ، وإنك لتعجب إذا جعلت أول من أتحدث عن تدوينه أبا الفرج الأصفهانى فى كتابه «الأغانى» وقد اخترته لأن أبا الفرج قرشى أموى ومن بنى عبد مناف الذين منهم عتبة بن أبى لهب . فماذا قال عن عتبة ؟

يقول أبو الفرج فى أخبار « الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب » تزوج عتبة إحدى بنات النبى ﷺ ، فلما بعثه الله تعالى عاداه عمه «أبو لهب» من دون بنى هاشم وظاهر عليه وكذلك امرأة أبى لهب «حمالة الحطب» ، وهى أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب ، واقسمت أم جميل على ابنها أن يطلق ابنة النبى - ﷺ - فطلقها . فمن هى ؟

يذكر أبو الفرج فى سياق حديثه أن رقية وأم كلثوم كانتا متزوجتين «لعتبة وعتيبة»(١) ابنى أبى لهب ، فلما جاء الإسلام أمرهما أبوهما بطلاق ابنتى النبى فطلقاهما .. وآل الأمر إلى زواج عثمان بن عفان من رقية فى مكة ثم زواجه

---

(١) رقية لعتبة ، وأم كلثوم لعتيبة كما ذكر ذلك ابن سعد فى الطبقات الكبرى فى الجزء الثامن الخاص بالنساء ، وعلل الانفصال بنزول سورة «تبت يدا أبى لهب» .

من أختها بعد وفاتها بالمدينة ـ ويفهم من الكلام أن رقية كانت لعتبة وأم كلثوم لعتيبة ـ

ثم يقول أبو الفرج : « وذكر لى أن عتبة بن أبى لهب جاء إلى النبى ﷺ وقد انزل عليه (والنجم إذا هوى) فقال : انا اكفر برب النجم إذا هوى ، فقال النبى ﷺ : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك . قال ابن العباس (هو عبدالله) فخرج عتبة إلى الشام فى ركب فيهم هبار بن الأسود حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة ـ وهى مسبعة ـ نزلوا ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة بن أبى لهب : اتريدون أن تجعلونى حجرة ـ سياجا ـ لا والله لا أبيت إلا وسطكم فبات وسطهم ، قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشم رءوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فأنشب أنيابه فى صدغيه ، فصاح : أى قوم ، قتلنى قتلنى ، فأمسكوه ، فلم يلبث أن مات فى ايديهم » .

توفى أبو الفرج الأصفهانى سنة ٣٥٦ هـ فهو أسبق الذين قرات لهم فى هذا الشأن إلا محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ وسآتيك بما كتبه بعد أن أخلص من الذين تابعوا رواية أبى الفرج فلننظر ما جاد به قلم الزمخشرى فى كشافه ـ توفى الزمخشرى سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٤ م .

قال عند تفسيره سورة النجم رأويا عن عروة بن الزبير وخلاصة قوله : إن عتبة بن أبى لهب أراد الخروج إلى الشام فقال : لآتين محمدا فلأوذينه ، وكان طلق ابنته ، فأتاه فقال يامحمد(٢) هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذى دنا فتدلى ، وتفل فى وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ، وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها ، وقال ما كان أغناك ياابن أخى عن هذه الدعوة ، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ، ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليه راهب من الدير ، فقال لهم إن هذه أرض مسبعة ، فقال أبو لهب لأصحابه : أغيثونا يامعشر قريش هذه الليلة فإنى أخاف على ابنى دعوة محمد ، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان :

من يرجع العام إلى أهله
فما أكيل السبع بالراجع

ومن عجيب الأمر أن الشيخ محمد عليان المرزوقى الشافعى فى بحثه الناجم عن تفسير الكشاف والمسمى «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» ساق القصة كما هى إلا أنه شرح بعض الألفاظ وأعرب ما يحتاج إلى إعراب من البيت موضوع الشاهد : « من يرجع العام .. البيت » فذكر اسم الشاعر وهو حسان بن ثابت والحق بالبيت ثلاثة أبيات هى مع الشاهد ، والأبيات تعتبر سخرية بقريش :

لا يرفع الرحمن مصروعكم
ولا يوهن قوة الصارع

وكان فيه لكم عبرة
للسيد المتبوع والتابع

من يرجع العام إلى أهله
فما أكيل السبع بالراجع

(٢) يعنى نفسه .

من عـاد فـالليث لـه عـائـد
أعظـم بـه مـن خبـر شائـع

واكيل السبع إلى الآن هو عتبة ، وقد نسب إليه فى تلك الرواية أنه تفل فى وجه النبى ، وأن النبى دعا عليه وأبو طالب وجم لتلك الدعوة وأن عتبة أخبر اباه بها ، ولذا طلب أبو لهب الغوث من معشر قريش فى الأرض المسبعة .

وجاء ابن كثير بعد الزمخشرى ـ توفى ابن كثير سنة ٧٧٤ هـ فروى عن ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن ابى لهب من طريق محمد بن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن «هبار بن الأسود» الذى رأيناه فى الرواية الأولى قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما .. وحكى حكاية عتبة مع النبى ﷺ وإيذائه إياه ودعاء النبى عليه وسؤال أبى لهب ابنه عن الدعاء فقال له قال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك . قال أبو لهب والله ما آمن عليك دعاءه ، واتخذ كل الاحتياطات حتى لا يصاب عتبة بسوء ، ولكن الأسد نفذ مقتضى الدعاء ، ولم يستشهد ابن كثير بالشعر كما فعل الزمخشرى غير أنه انفرد بجعل ابن اسحاق من ضمن الرواة .

ومازال الحديث عن عتبة

فماذا قال ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ .. والرواية مذكورة فى «السيرة النبوية» لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ فإلى السيرة النبوية .

تقول الرواية :

وكان رسول الله ﷺ قد زوج عتبة بن أبى لهب رقية أو أم كلثوم ، فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة قالوا : إنكم قد فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبى العاص (بن الربيع) فقالوا له : فارق صاحبتك (صاحبته زينب وهى بنت خالته خديجة) ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ، فلم يقبل قولهم ولم يفارقها .. ثم مشوا إلى عتبة بن أبى لهب ، فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتمونى بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها ، فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ولم يكن أدخل بها .. وخلف عليها عثمان بن عفان بعده .

وقد سقت إليك كل هذه الروايات لتتبين معى الحقيقة(٣) وكان آخرها رواية ابن إسحاق ولم يذكر عن عتبة أنه قال : هو كافر برب النجم إذا هوى ، أو يكفر بالنجم إذا هوى وبالذى دنا فتدلى ، لكن الروايات دارت كلها حول عتبة وتركت عتيبة ومعتب ، وعتيبة لم يذكر فى الذين أسلموا بعد فتح مكة ، كما ذكر (عتبة ومعتب) فقد أسلما وكانا مع النبى ﷺ فى غزوة حنين وثبتا معه مع الذين ثبتوا من أهله وأصحابه ، ولهما عقب كما يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى .. أما عتيبة فقد سكتت الكتب عنه فهو إذن أكيل السبع لكفره وايذائه النبى بفعله وقوله ، والمحدثون بعد رواية الحديث « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» وقفوا آخر الأمر بالسؤال أعتيبة أم عتبة ؟ والجواب واضح : إنه عتيبة والله الموفق .

السيد حسن قرون

(٣) يجب عند طبع الكتب المذكورة التنبيه على الخطأ وذكر الصواب .

وأفوض أمرى إلى الله

للأستاذ
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

وردت هذه الكلمات النيرات ضمن آية كريمة على لسان مؤمن آل فرعون ، فيما يحكيه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ - غافر ٤٤ - .

وقد قال هذه العبارة بعد أن ضاق ذرعا بإعراض قومه عن رسالة الهدى التى جاء بها موسى - عليه السلام - وكان لا يكف عن تبصيرهم بأن ماجاء به موسى - عليه السلام - هو الحق ، وأن ما هم فيه هو الباطل .

وكان هذا المؤمن ظهيرا لموسى - عليه السلام - من بين آل فرعون الذين أجمعوا على الضلال حتى هموا بقتل موسى وبالبطش بمن معه ومنهم هذا المؤمن .

وقد حاولوا أن يزينوا له اتباع الباطل الذى هم فيه ، فلما لم يستجب لهم هموا بقتله ، وفوض أمره إلى الله فيهم ، فأنجاه الله من شرهم ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ - غافر ٤٥ - .

قال القرطبى - رحمه الله - فى تفسيره : وقاه الله من إلحاق أنواع العذاب به ، فطلبوه فما وجدوه ، لأنه فوض أمره إلى الله فيه .

وقيل : هرب إلى الجبل فما قدروا عليه ،
وقيل : نجاه الله مع بنى إسرائيل مع أنه كان قبطيا .

لقد كان لتفويضه أثر طيب فى استجابة الله له وإمداده بعونه وكفالته له ، وفى ذلك دلالة على أن التفويض له شأن مذكور وأمر مشكور .

معنى التفويض:

جاء فى لسان العرب : فوض إليه الأمر صيره إليه ، وجعله الحاكم فيه ، وفى حديث الدعاء : « فوضت أمرى إليك » أى رددته إليك ، وفى حديث الفاتحة : « فوض إلىّ عبدى » .

وهذا الحديث هو مارواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « قال الله ـ عز وجل ـ : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله ـ تعالى ـ حمدنى عبدى .

وإذا قال العبد : الرحمن الرحيم قال الله ـ تعالى ـ أثنى على عبدى .

وإذا قال العبد : مالك يوم الدين قال الله ـ تعالى ـ مجدنى عبدى ـ وقال مرة : فوض إلى عبدى .

فإذا قال :إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل .

فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم .. إلى آخره قال : هذا لعبدى ولعبدى ماسأل » تفسير القرطبى ، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لعبد الرءوف المناوى الحديث رقم ١١٥ ـ فهذه السورة تضمنت التفويض إلى الله والتذلل له وطلب الاستعانة به والتوكل عليه ، وفى ذلك من تعظيم الله مافيه .

التفويض والتوكل :

وإذا كان التفويض معناه رد الحكم إلى الله والاستعانة به فما معنى التوكل إذن ؟

التوكل من الوكالة ، ومن أسماء الله ـ تعالى ـ (الوكيل) : ومعناه : القيم والكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته انه يستقل بأمر الموكول إليه ، وفى التنزيل : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ .
ـ الإسراء ـ

والمتوكل على الله هو الذى يعلم بأن الله كافل رزقَهُ وأَمْره ، فيركن إليه وحده ، ولا يتوكل على أحد غيره .

وفيه معنى الاستسلام ، فمن معانى (وَكَّلَ) اللغوية : وكل إليه الأمر : سلمه .

والرجل الذى يكل أمره إلى الله متوكل ، أما الذى يكله إلى العباد فهو وَكِل ـ أنشد ابن برى فيما يحكيه ابن منظور فى لسان العرب :

لما رأيت أننى راعى غنم
وأننى وكل على بعض الخدم

عجز وتعذير إذا الأمر ازم

أراد أن المتوكل على بعض الخدم عجز .

فالوَكِل والمواكل والوُكَلة ـ مثل هُمَزَة ـ والتُكَلة ـ بإبدال الواو تاء ـ هو العاجز الذى يكل أمره إلى غيره ، ومثله المتواكل بالألف بعد الواو . وقد استشهد ابن برى أيضاً بقول امرأة تخاطب طفلها :

أشبه أبا أمك أو أشبه حمل
ولا تكونن كهِلَّوْفٍ وَكِل

يصبح فى مضجعه قد انجدل
وَارْقَ إلى الخيرات زَنْئاً فى الجبل

والهلوف : الثقيل الجافى أو العظيم اللحية ، وزنئا : صاعدا فى الجبل تقصد الرقى والعلو والوَكِل هو البليد الجبان العاجز .

لسان العرب مادة وكل ، وزنأ .

فإذا كانت مادة (وكل) تتسع المعنى وضده ، فإن مادة فوض لا تتسع إلا إلى الاعتصام بالله والاستسلام له ، فهى أخص من الأخرى .

وأفوض أمرى إلى الله

التوكل والتفويض بين اللغويين والعالمين :

وإذا كان هذا هو فهم اللغويين لكلا اللفظين فإن العالمين لهم فهم آخر حولهما.

قال أهل التذوق : التوكل هو الاعتصام بالله - تعالى - ومحله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله - تعالى - وإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره .

والأثر المشهور يؤكد ذلك حين جاء رجل معه ناقة فقال : أدعها وأتوكل فقال له النبى - ﷺ - : « اعقلها وتوكل » .

أخرجه القشيرى عن انس بن مالك - رضى الله عنه - الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

ولأهل المعرفة تعبيرات تصور حقيقة التوكل وأنه لا ينافى الأخذ بالأسباب ، فهذا إبراهيم بن أدهم يقول : عليك بعمل الأبطال ، والكسب من الحلال ، والنفقة على العيال - اللمع للطوسى ص ٢٩٠ .

وسفيان الثورى يقول فى تنفيره من البطالة :

ابلُ الرجال إذا أردت إخاءهم
وتوسمن أمورهم وتفقد

ودع التخشع والتذلل تبتغى
قرب امرىء إن تدن منه تبعد

حلية الأولياء ٦/٣٧٦ .

إنه ينبه إلى مرض اجتماعى يبدو عند بعض الناس هو الاستذلال للناس طمعا فيما عندهم . وهذا ينافى التوكل الحقيقى على الله - مع أنه ينافى الكرامة الإنسانية أيضاً .

ويؤكد هذا المعنى الخواص حين يقول :

إذا ما مددتُ الكف التمس الغنى
إلى غير من قال : اسألونى - فَشُلَّت

سأصبر نفسى إن فى الصبر عزة
وأرضى بدنيائى وإن هى قلت

إن الخواص يدور فى فلك وصية رسول الله - ﷺ - المشهورة لابن عباس - رضى الله عنه - : «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك - تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، ولو اجتمع الخلق على أن يعطول شيئا لم يكتبه الله - عز وجل - لك لم يقدروا عليه ، وعلى أن يمنعوك شيئا كتبه الله - عز وجل - لك لم يقدروا عليه ، فاعمل لله - تعالى - بالرضا فى اليقين ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

أخرجه أبو نعيم فى حليته جـ ١ ص ٣١٤ - ترجمة ابن عباس - .

التوكل واليقين :

والأخذ بالأسباب لا يعنى الاعتماد عليها كل الاعتماد وطرح اليقين بقدرة الله بل يعنى الوثوق بأنها **مجرد وسيلة إلى تحقيق المطلوب** إذا شاء الله . فالطبيب يصف الدواء ولكن الشفاء بيد الله وحده ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ - الشعراء ٨٠ - .

ولعل هذا هو ما يعنيه ذو النون المصرى بقوله : « التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة » .

« هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى

شكر وإن منع صبر » . ـ الرسالة القشيرية ـ ٨٧ .

روى القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ قال عن إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام :

« ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال : ياإبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ؛ فقال جبريل : فاسأل ربك، فقال :

حسبي من سؤالي علمه بحالي . قال الله : ﴿ يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ رواه ابى بن كعب .

وقد أشار النبي ـ ﷺ ـ إلى هذا المعنى بقوله : « من انقطع إلى الله ـ عز وجل ـ كفاه كل مئونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها » ـ رواه الطبراني في الصغير ، وإحياء علوم الدين باب التوكل .

وبقوله ـ ﷺ ـ : « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده » أخرجه الحاكم ، والبيهقي في الزهد عن ابن عباس ، والغزالي في إحيائه في باب التوكل .

والتوكل هو حال النبي ـ ﷺ ـ وحال من سار على قدمه وقد وصفهم الحق ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ـ آل عمران ١٧٣ ، ١٧٤ .

ومن ثم فقد قال العلماء : « من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان » .

لا تعارض بين التوكل والتفويض :

والتفويض هو أقصى درجات التوكل ، وقد جعل العالمون هذا السلوك درجات فقالوا : التوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة الموحدين .

وكان التوكل صفة المؤمنين لأن الإيمان ماوقر في القلب وصدقه العمل .

وقد جاء حديث القرآن الكريم عن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح في وصف المؤمنين ، وهم الذين قالوا : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

وكان التسليم صفة الأولياء ، لأن الولي هو الذي توالت لله حركاته وسكناته ، أو الذي تولى الله أمره ، فهو مع الله بلا علاقة .

وكان التفويض صفة الموحدين ، لأن التوحيد هو ثمرة الجهاد النفسي الخالص لله وهو خلاصة المذاقات والمواجيد ، هو الذي يقول فيه ابراهيم ابن أدهم : ـ

وخذ الله صاحبا ودع الخلق جانبا .
وهو مقام عالٍ عز من يصل إليه .

وكان هو مقام سيد الرسل الذي يقول : إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ، هذا التفويض هو أقصى درجة في التوكل

وهذه المنزلة يقول فيها القشيري : « من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها » .

حاجتنا إلى التوكل والتفويض :

ونحن في أمس الحاجة إلى التوكل على الله

وأفوض أمرى إلى الله

والتفويض إليه ، مع أخذ الأسباب التى يدعو الشرع إلى اتخاذها فى المعاش والمعاد .

روى عن الحسين - رضى الله عنه - أنه قال : « إن الصدق فى التوكل هو أن يتعب بدنك ويستريح قلبك ، لأن الجوارح تعمل والقلوب تتوكل ، والتوكل من أرقى المراتب لأنه يضمن للعبد الفوز بحب الله - تعالى - ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ - آل عمران ١٥٩ - .

وقد دعا الله إلى التوكل عليه فى مواضع متفرقة فى القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى - ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ - المائدة ٢٣ - .

وضمن النصر والفوز والكفاية للمتوكلين فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ الطلاق ٣ - ونحن فى أزماننا الراهنة وما أكثرها - فى أشد الحاجة إلى من يتولى عنا درء الأخطار ويزيل عن كواهلنا الأعباء الثقال .

ما أحوجنا إلى الراحة النفسية التى يستشعرها المتوكل أو المفوض حين تكفكف دموعه يد الرحمن الحانية ، وتسعد وجدانه رحمته الواسعة فيردد ما سوف يردده أهل الجنة فى سعادتهم الغامرة ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ - الطور ٢٨ - .

إن الإنسان الذى يوكل إنسانا مثله أو يفوضه فى قضاء مصالحه يشعر بالراحة والأمن والاطمئنان فكيف إذا وكل القادر الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، أو فوض أمره إلى الرحيم الذى لا تخفى عليه خافية ، ولا يجدى أمام حوله مكر الماكرين ولاختل المخاتلين ؟!

إن التوكل على الله يدرأ الأخطار ويكشف نوايا الأشرار ويفتح أمام المؤمنين الطريق لاتخاذ الأسباب الكفيلة بتحقيق النصر والفوز والنجاح :

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران ١٥٩ ، ١٦٠ .

تصويب واعتذار

عن خطا وقع فى مسالة ميراث بالعدد (ذى الحجة) ١٤١٠ هـ ص ١٢٤٤ .

وها هو نص الفتوى والاستفتاء :

سال السيد : ا . عبد المجيد . قال : توفيت امراة عن زوج ، وام ، وإخوة لام ذكور وإناث ، فمن يرث وما نصيبه ؟

وقد اجابت لجنة الفتوى بالأزهر :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد ؛ فنفيد بان :

للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث

وللام السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة

وللإخوة لام الثلث فرضا لعدم وجود من يحجبهم ، يقسم بينهم للذكر مثل الانثى ... والله اعلم

زيد بن ثابت

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

في حياة النبي صلى الله عليه وسلم :

كان زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أحد أذكياء الأنصار وفضلائهم وأحد علمائهم ووجهائهم وهو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لوذان وأمه النوار[1] بنت مالك بن معاوية بن عدى ، وينتهى نسبه من جهة أبيه ومن جهة أمه كليهما إلى النجار فهو انصارى خزرجي ، وقد ولد زيد في المدينة وقبل (بُعاث) بست سنين[2] وهاجر النبي عليه الصلاة والسلام وله من العمر إحدى عشرة سنة . ويظهر أن زيداً قد لازم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنهما فور شخوصهما إلى (يثرب) لتعليم أهلها القرآن بإذن من النبي عليه الصلاة والسلام .

والدليل على هذا انه كان يحفظ عند هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة بضع عشرة سورة[3] وهو قدر من القرآن لم يتح لغيره ممن هم في مثل سنه وفي غير سنه ، وما أشك في أن مخايل ذكاء زيد هذا ودلائل فطنته قد بدت مبكرة وقبل أوانها المعتاد ؛ ولهذا فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكد يستقر في المدينة حتى أحضره أقاربه إليه وقالوا له فرحين مستبشرين : إن هذا الغلام قد حفظ بضع عشرة سورة من القرآن ، وقد أعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن خَبرَهُ واستشف المواهب التى آتاها الله إياه . وقال له وهو لا يشك في نجابته وصفاء قريحته : يازيد إنى أخشى اليهود على كتاب الله تعالى فتعلم العبرية[4] ، وفي رواية أخرى أنه قال له : إن كتباً تأتينى ولا أحب أن يطلع عليها أحد فتعلم السريانية وسواء أصحت هذه الرواية أم أن سابقتها هي الصحيحة ؛ فإن زيداً قد حذق اللغتين معاً في خمسة عشر يوماً أو في سبعة عشر وهى مدة غاية في القصر مما يدل على أن زيداً قد بلغ الأوج الذى لا يدرك في سرعة الحفظ وقوة التحصيل .

ومن الرواة : من ذكر أن زيداً لم يتعلم العبرية والسريانية وحسب وإنما تعلم الفارسية والحبشية والرومية والقبطية[5] . وهو أمر لم يعهده الناس في أحد منهم من قبل .

وقد تتساءل : وكيف تعلم هذه اللغات كلها ،

←

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/٥٦١ ط دار الفكر بيروت .
(٢) أسد الغابة ٢/٢٧٨ ط دار الشعب .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٥/٣٤٦ ط مكتبة المعارف بيروت .
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ١/٥٦١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨/٣٤٦ .
(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٣٥٨ ، البداية والنهاية .

زيد بن ثابت

ومن الذى علمه إياها ؟ والجواب : أنه تعلم العبرية والسريانية من اليهود ، وتعلم الفارسية من رسول كسرى وتعلم الرومية والحبشية والقبطية من خدام النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكان تعلمه لكل لغة من هذه اللغات فى وقت هو غاية فى الضآلة والقصر ولا جدال فى أن ذكاء زيد ومواهبه الخارقة هى التى دفعت النبى عليه الصلاة والسلام إلى أن يتخذه كاتباً بين يديه . فكان يكتب له الوحى[٦] وكان يقرأ له الرسائل التى ترد إليه من شتى أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ومن الملوك والحكام من خارجها ، وكان كذلك يكتب له فى حوائجه المختلفة ، وبعبارة أوجز وأشمل كان له بمنزلة يده وعينيه ، وقد كان زيد دقيقاً شديد الانتباه لما كان يمليه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جاء فى صحيح البخارى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية . دعانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : اكتب « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته ، فنزل الوحى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فثقلت فخذه على فخذى حتى كادت ترضها فنزل (غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ) فأمرنى فألحقتها : فقال زيد : فإنى لأعرف موضع ملحقها عند صَدْعٍ فى ذلك اللوح ـ يعنى من عظام[٧] .

فانظر كيف أن النبى عليه الصلاة والسلام . قد كان يدعو زيداً عندما ينزل عليه القرآن ، وكيف كان يأتمنه على كتابته ، وكيف كان الوحى ينزل وفخذه على فخذه وأخيراً وليس آخراً . كيف كان زيد يحفظ مايثبته وما يمحوه ومكانه .على اللوح على الرغم من قدم الحوادث ومر الأعوام والشهور . ولاريب فى أن ملازمة زيد للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكثرة تردده عليه لكتابة الوحى بين يديه قد أَفَادَهُ من وجوه شتى وجوانب متعددة ؛ فقد قتبس من علمه واقتطف من فضله واستقى من خلقه ونبله ، وقد ظهر هذا واضحاً فى حياة النبى ـ صلوات الله عليه فكان زيد يفتى[٨] الناس ويقضى بينهم ويؤتيهم مما آتاه الله من الفقه والعلم .

وقد عده رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النفر الذين ذكر مزاياهم من أصحابه فقال : «ارحم امتى بأمتى ابو بكر ؟ واشدها فى دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان واقضاهم علىٌّ بن ابى طالب ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت[٩] ولكل امة امين وامين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ولم تكن شهرة زيد العقلية هى التى كانت تميزه فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ـ وحسب وإنما كانت شجاعته وحسن بلائه وجوده بنفسه فى سبيل ربه ونبيه مثلاً يضرب وأسوة يقتدى بها ؛ فقد عرض على النبى صلوات الله عليه فى كل من بدر وأحد ، فرده لصغر سنه[١٠]وشهد المشاهد كلها بعد ذلك بدءاً من الخندق وانتهاء بتبوك فكان ضمن الذين جاء فيهم قوله تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَابَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[١١] وقد غادر

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة . ٥٦١/١
(٧) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٧/٥ .
(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٠/٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٧/٥ .
(٩) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦/٥ .
(١٠) الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦١/١ .
(١١) الأحزاب الآية ٢٣ .

النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الدنيا وهو عنه راض .

فى عهد الراشدين ..

وكما كان زيد بن ثابت رضى الله عنه أحد رهبان المسلمين وفرسانهم فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، فقد كان كذلك فى حياة أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، كان عالماً يحج إليه الناس . يستفتونه فيفتيهم ويسألونه فيفيدهم ، وكان فارساً يغشى المعارك[١٢] ويخوض المواقع ويحمل روحه على كفيه لا يغليها فى سبيل الله ولا يضن بها فى إعلاء كلمته وانتصار دينه ، ففى خلافة أبى بكر رضى الله عنه انخرط فى الجيوش التى خرجت لقتال المرتدين واعادتهم إلى الحق الذى خرجوا منه والدين الذى رجعوا عنه ، يقول الرواة : إن سهماً قد أصابه فى اليمامة[١٣] ولولا لطف الله لكان فيه حتفه والقضاء عليه ، وفى خلافة أبى بكر كذلك وبعد أن استحر القتل فى الحفاظ وخشى عمر أن يذهب القرآن بذهاب اهله ، طلب عمر إلى ابى بكر أن يجمع القرآن ، فلما وافق دعا أبو بكر رضى الله عنه زيداً وقال له : (إنك شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتبع القرآن واجمعه) ففعل[١٤] ما أمره به وكان يقول : « لقد كلفنى ابو بكر بشىء لو كلفنى بدلاً منه نقل أُحُدٍ لكان أهون علىّ » ، إجلالاً لكتاب الله وخوفاً من عقابه سبحانه إذا هو غفا أو أخطأ وقد حمل ـ رضى الله عنه ـ هذه المهمة على كاهله فراس فريقا قام بالأمانة وأداها كأحسن ما يكون الأداء وأعظمه .

وفى خلافة الفاروق رضى الله عنه كان يزيد موضع التقدير منه ومن أصحاب النبى ـ عليه الصلاة والسلام كافة .

ويقول الرواة : إن عمر قد استخلفه على المدينة مرتين :[١٥] إحداهما فى حجته الأولى ، والأخرى فى حجته الثانية واستخلفه مرة ثالثة عندما خرج إلى الشام وهناك أثنى عليه ونوه بعلمه وفقهه وقال : وهو يخطب الناس فى الجابية :

من أراد أن يسأل عن شىء فى الفرائض فليسأل زيد بن ثابت وكان يفرق العلماء فى النواحى ويستبقى زيداً فى المدينة إلى جواره فإذا سئل عن ذلك قال : إن هذا البلد فى حاجة إلى علمه وفقهه وكما أجل الصديق والفاروق هذا العالم الجليل ، فقد أجله عثمان وعلى كذلك ، فقد سجل الرواة : أن ذا النورين كان يستخلفه على المدينة إذا خرج عنها وكان علىّ يقدره ويُوقِرُهُ على الرغم من أنه لم يقاتل معه شأنه فى هذا شأن أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص وغيرهم ممن لم يرفع سيفاً فى وجه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله رضوان الله عليهم .

وفى الخامس والأربعين على المشهور هوى هذا الكوكب اللامع والنجم الساطع بعدما أضاء للناس الطريق وأنار لهم السبيل وقد أثنى عليه ابن عباس[١٦] وغيره بما هو أهله وقالوا : لقد مات العلم يوم مات أبو سعيد فرضى الله عنه وأحسن فى الآخرة له الأجر والمثوبة .

---

(١٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦١/١ .
(١٣) أسد الغابة ٢٧٩/٢ .
(١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦١/٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦/٥ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦١/١ .
(١٥) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٧/٥ .
(١٦) الإصابة فى تمييز الصحابة ٥٦٢/١ .

ليبيا والإسلام

للأستاذ / محمد المتناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين فاما بعد :

فقد حفزنى إلى كتابة هذا البحث ما ينبغى ان اقوم به من تعريف باحوال المسلمين فى هذا البلد حتى يتسنى للمسلمين ـ عبر مجلة الأزهر ـ أن يتعارفوا على إخوانهم ، وإنها لسنة حسنة ان يقدم كل منا معلوماته عن كل موطن يعيش فيه المسلمون فيتم التعارف فيما بينهم ، ويتكامل التعاطف المنشود لرفعتهم .

ولم يكن سهلا ميسورا التعرف العلمى على احوال هذا الجزء من غرب افريقيا الذى يتمثل فيه هذا الوطن « ليبريا » وحسب القارىء أن يعلم ان لكل قبيلة بهذا الوطن لغتها الخاصة ، مما يضاعف العناء ، لولا الرغبة الشديدة فى الحديث عن هذا الوطن ، وإلقاء ضوء من التعريف عليه ، والتيسير الذى اتاحه الله ـ تعالى ـ لى بوجود إخوة عدة من أهل البلاد يتحدثون العربية . ويتقنون الترجمة عن شيوخ القبائل .

والحق أن طبيعة هذه البلاد ، ومناخها ، وجغرافية موقعها اكسبت اهلها ذكاء وحفظا نادرين ، وقد بارك الله ـ سبحانه فى أعمارهم فقد جاوز بعضهم المائة بكثير ، ولايزال متمتعا بقوة ذاكرته وتاريخ بلاده .

والمسلمون ـ بليبريا ـ يعنون جداً بإقامة المساجد ، وتدريس العربية لابنائهم بها إلى جانب العقيدة وعلوم الشريعة .

ويعنى مجلس الكنائس العالمى بهذه المنطقة وله فيها مراكز للتبشير ، وطبع الكتب والنشرات ، وينشطون فى إقامة المدارس والكنائس والمستشفيات والإذاعات التبشيرية كما يقدمون هدايا عينية ومالية للمواطنين ، لإغرائهم ، واجتذابهم للنصرانية .

وتضم البلاد جاليات عربية ، وبخاصة اللبنانية وهى جالية كبيرة لها اثرها البارز بهذه البلاد وارجو أن اوفق فى إمداد القارىء بتعريف كامل لليبريا والله المعين .

محمد المتناوى

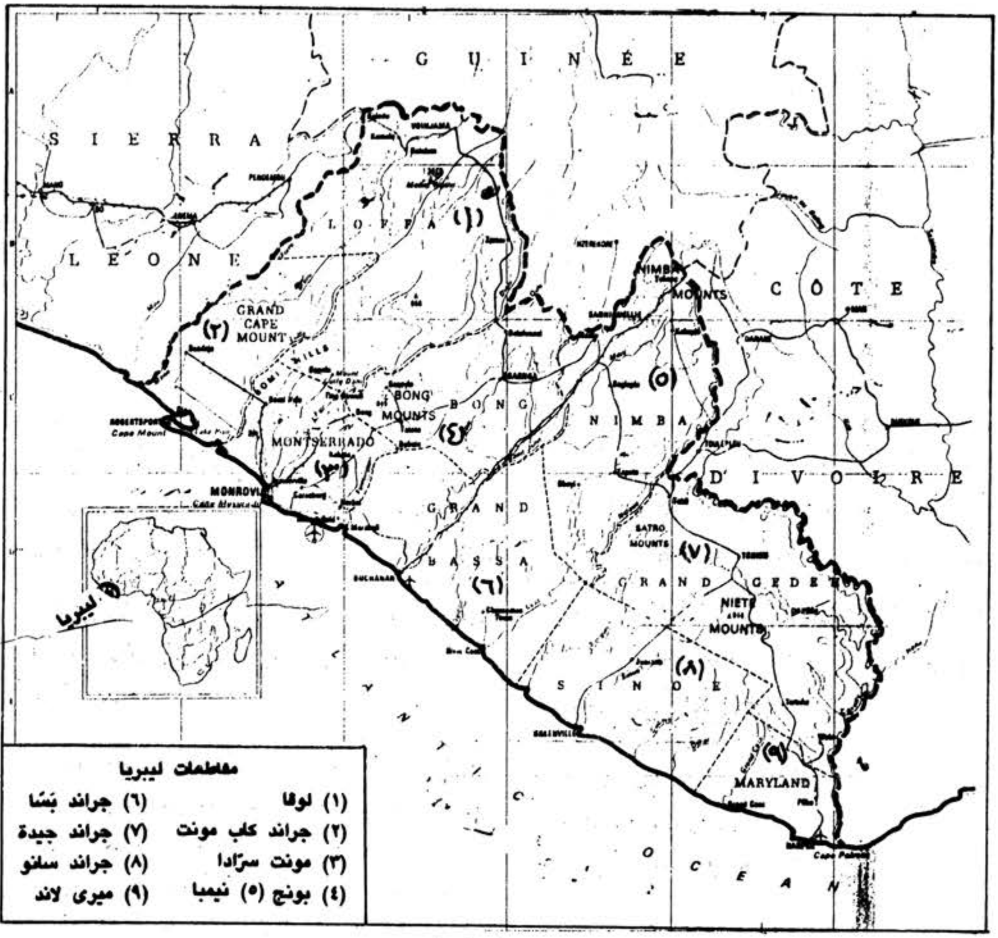

ليبريا السياسيه

شكرًا لكلية التربية بجامعة طنطا لمساعدتها فى تقديم هاتين الخريطتين

ليبريا :

إذا لم تكن زرت ليبريا فسوف أحاول أن اجعلها اقرب إليك من خلال هذه السطور .

ليبريا تعد من الدول النامية ، وهى ككل دولة نامية إسلامية ، ينقصها الكثير جدا برغم ما تحويه ارضها من ثروات طبيعية تحتاج إلى ممارسة العمل المخلص ليعود خيرها على البلد وأهله .

الموقع الجغرافى :

تقع ليبريا ضمن دول غرب القارة الافريقية ، على المحيط الأطلنطى . وهو حدها الغربى ويحدها من الشرق غينيا وساحل العاج ، ومن الجنوب ساحل العاج أيضا . ومن الشمال سيراليون .

←

ليبريا والاسلام

وليبريا وجيرانها أعضاء فى اتفاقية الميثاق التعاونى لدول غرب أفريقيا .

المساحة والسكان :

ورد فى الأطلس العربى المطبوع ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م (الإصدار الثانى الطبعة الثالثة) .

تقع ليبريا على مساحة من الأرض تقدر بـ (١١١٣٧٠ كم٢) تقريبا ، وعدد السكان حسب تعداد ١٩٧١ م (١,٥٧٠,٠٠٠) نسمة وقد يصل التعداد الآن إلى أكثر من ٢ مليون نسمة تقريبا .

ويتحدث أهلها من القبائل لغات عدة بينما الانجليزية هى اللغة الرسمية للبلاد .

العاصمة :

العاصمة (منروفيا) وهى شبه جزيرة تقع على المحيط الأطلنطى وتعتبر مركزا تجاريا هاما .

أهم الموانىء :

١ ـ منروفيا : وهـذا الميناء تستغلـه ، الجاليات(١) التى تعمل بالتجارة فى ليبريا فتصدر منه البن ، والكولا ، والأخشاب . وتستقبل فيه البضائع المستوردة من الخارج . والتى يباع معظمها عن طريق (الترانزيت) إلى دول أخرى ، بمعنى أن هذه البضائع لا يدخل منها البلاد إلا القليل وتخزن .

ثم تباع خارج ليبريا دون تحصيل مكوس جمركية عليها .

٢ ـ ميناء باصا : ويقع فى مدينة باصا على المحيط أيضا . وأهمية هذا الميناء كبيرة حيث يصدر منه خام الحديد لشركات التعدين الأجنبية (الأمريكية السويدية) وسوف نتعرض لها بالحديث الذى يعرف بها .

الناحية الاقتصادية والاجتماعية :

ليبريا دول غنية جداً بثرواتها المعدنية ، وأرضها الخصبة الصالحة للزراعة وكثرة مياهها وانهارها ، ومع هذه الثروات فشعبها فقير جدا بل هو شعب معدم .

فبعض هذه الثروات مستغل لمصلحة شركات دول غربية والبعض الآخر لا يجد الجهد اللائق بتنميته ، وسوف نلقى الضوء ، على هذه العناصر الاقتصادية ، فى السطور الآتية :

الثروة المعدنية :

تتمثل الثروة المعدنية فى العناصر التالية :

(الحديد) تتمتع هذه البلاد بثروة هائلة ، من « أكسيد » معدن الحديد ، فسلسلة جبال « لامكو » المارة بليبريا ، يعتبر معظم نسيج بنيانها من « اكاسيد » الحديد ، وقد أخذت حق تعدينه شركة عالمية ـ سويدية أمريكية ـ معروفة بشركة « لامكو » التى استنزفت أو كادت تستنزف آخر طن منه فى ليبريا فأسرعت بالاتفاق على تعدين الجزء المار من هذه السلسلة بغينيا . وسوف ينقل الخام عن طريق السكك الحديدية ، التى اقامتها الشركة من مدينة « لامكو » بمحافظة « نمبا » بليبريا مارة داخلها إلى ميناء « باصا » حيث ينقل إلى دول الغرب ، عن طريق المحيط الأطلنطى .

(١) هذه الجاليات عموما هى : الصينية والفلبينية والهندية واللبنانية .

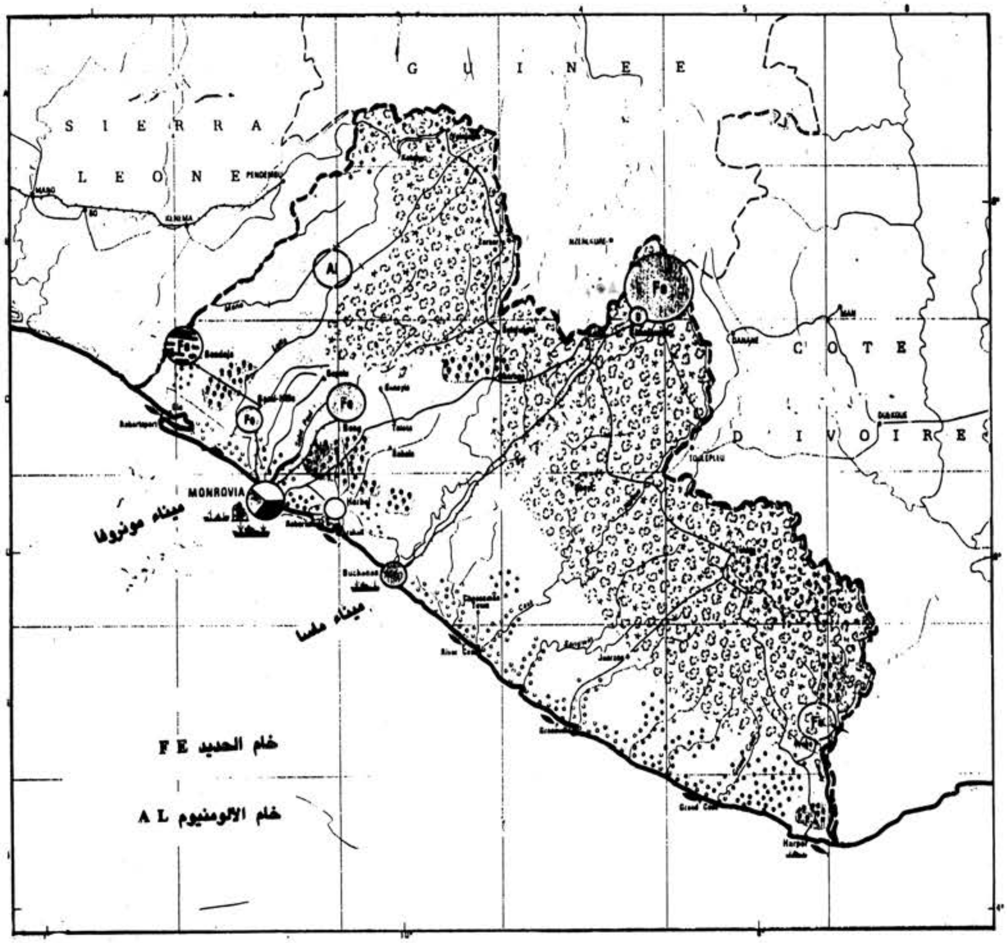

ثروات ليبريا الطبيعية

ملاحظة :

وتستطيع أن تلاحظ مقدار الربح الهائل لهذه الشركة من المثال الآتى : أنشأت هذه الشركة للعاملين بها ، مدينتين :

الأولى : فى محافظة نمبا على حدود (غينيا) والأخرى ، فى (باصا) على المحيط حيث الميناء[٢] .

كلتا المدينتين صممت على أحدث الطرز المعمارية .. وما وصل إليه الفكر الحضارى الغربى .

منازلها على شكل « فيلات » رائعة الهندسة المعمارية والزخرفية (الديكور) تحيط بكل (ڤيلا) حديقة غناء بها أبدع الزهور ، مزودة بالكهرباء ، والمياه الباردة والساخنة وبين هذه العرائس (الخرسانية) المتوجة بالرياحين . تتهادى شوارع واسعة مظللة من الجانبين

(٢) لذلك سميت الأولى : « لا مكونمبا » والأخرى : « لامكو باصا » .

←

بالأشجار ، يتوسط كل منها جزيرة خضراء مزينة بالزهور الطبيعية بطول الشارع .

وتتمتع كل مدينة بجميع المرافق الحيوية ، من أسواق فخمة ، ومكتب بريد ، ومستشفى مكتمل التخصصات والمعدات ، ونـواد رياضيـة ، وحمامات سباحة وفندق من الدرجة الأولى ، ومطاعم عامة . وخط تليفونى متصل بالقمر الصناعى .

فإذا دخلت إحدى هاتين المدينتين ، نسيت ليبريا وما فيها وما عليها ، لا تذكرها إلا عند الخروج منها فتصطدم بالواقع المرير والفارق الشاسع بين الحياة داخل المدينة وخارجها .

وبالطبع ، فإن هاتين المدينتين ، ثم الخط الحديدى الواصل بين مناطق التعدين وميناء « باصا » .. كل ذلك تعتبر إقامته من هامش ارباح هذه الشركات الأجنبية .. هذا الهامش يمكن أن يشير فى جلاء إلى ضخامة الأرباح المركبة لهذه الشركات المستغلة لثروات هذا الشعب وبلده النامى .

الماس :

وتعتبر ليبريا من الدول التى تحوى أراضيها كنوزا كبيرة من الماس وهذه المنطقة من دول غرب افريقيا ، تقوم فيها تجارة الماس ، والتنقيب عنه على قدم وساق .

ومعظم المنقبين عن الماس وأصحاب الخبرة فى هذا المضمار مسلمون وهم منتشرون داخل غابات الدولة .

ويجمع الماس تجار أغلبهم مسلمون .. ويعيشون فى المدن ، ثم تصب الحصيلة لدى تجار الماس بالعاصمة ومعظمهم كذلك مسلمون ويقوم هؤلاء التجار . بدورهم ببيع الماس فى أوروبا وأمريكا ، وإسرائيل كما يوجد مركز تجميع للماس ، فى فندق « الديكور » بمنروفيا ـ العاصمة « خاص بإسرائيل » .

والطبقة المشتغلة بالماس من المـواطنين ميسورون حالا . لكن نراهم دائما ، فى حالى انخفاض وارتفاع مادى ، تبعا لظهور الماس واختفائه . لعدم استغلال الثروات التى يحصلون عليها ، فى مشاريع تدر عليهم دخلا دائما بجانب التعدين ، والحق انهم يقومون بأعمال خيرية كثيرة جداً فى حق الفقراء لكنها وقتية على اننا نحمد الله على اهتمام بعضهم بإقامة مشاريع يمكن أن تدر أرباحا مستمرة .

الذهب :

يوجد خام الذهب بصوره المتعددة ولكنه لا يجد إقبالا عليه كإقبال الناس على استخراج الماس لغلو ثمنه والطلب الملح عليه ، فالمشتغلون بالذهب قلة قليلة ، حتى لا يذكر بجانب الماس .

« يتبع »

الماوردى ... قاضيا

(٣٦٤هـ - ٤٥٠هـ)

للأستاذ / أيمن محمد ميدان

يُعَدُّ « ابو الحسن الماوردى » واحداً من ابرز المفكرين الإسلاميين والقضاة العدول الذين لم يخشوا سطوة سلطان مهما كانت ، ولم يحنوا الهامة امام جبار مهما كان باسه وعناده .. فقد كان جريئاً فى موطن العدل شجاعاً فى موضع الحق .

ولد بالبصرة فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى لأب بسيط ينتمى إلى أسرة متوسطة الحال تتخذ من صناعة « ماء الورد » مهنة لها ، وإلى هذه المهنة نُسب « ابو الحسن » واشتهر ، وذاع صيته ، فقيل : الماوردى .

عشق العلم منذ طفولته المبكرة عشقاً يضرب به المثل ، فراح يتنقل بين مراكز الفكر ومجالسه يعب من مناهله الكثير ومشاربه المتنوعة ، فتفقه على يدى عالم البصرة « أبى القاسم الصيمرى » ، وارتحل إلى « بغداد » حاضرة الفكر والثقافة فى عصره ، فأخذ العلم على يد عالمها الفذ « أبى حامد الاسفراييني » .. وغيرهما كثير من علماء الفقه والحديث والأصول والتفسير .. إلخ ، فنبغ فى ميادين فكرية كثيرة ومجالات عملية متعددة ، منها أنه ولى القضاء ، وتقلد أعلى مناصبه .

عاصر سيطرة بنى بويه على خلفاء بنى العباس ، ورأى استبدادهم بكل شىء وتقلص نفوذ الخلفاء ، بل القضاء عليه ، فحين طلب الأمير البويهى من الخليفة المطيع لله أن يمده بالمال للجهاد زاعماً أن هذا من واجبات الإمام .. رد عليه قائلاً :

« الغزو يلزمنى إذا كانت الدنيا فى يدى ، وإلىّ تدبير المال والرجال .. وليس لى منها إلا القوت القاصر على كفائى .. وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف فلا يلزمنى حج ولا غزو .. ولا شىء مما تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم منى هذا الاسم الذى تخطبون به على منابركم ،

الماوردى .. قاضياً

تسكنون به رعاياكم ، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار وتركت لكم الأمر كله » .

مكانته :

وسط هذا المناخ المفعم برائحة الإرهاب السياسى استطاع « الماوردى » أن يشق لنفسه طريقاً واضحة ، ويثبت لذاته قدماً راسخة ، فاحتل مكانة مرموقة بين العامة ومنزلة عظيمة لدى خلفاء بنى العباس ، وملوك بنى بويه ، وصار من أخص الناس بهم . فكثر ماكان رسولاً لهم ، ووسيطاً بينهم وبين خصومهم .. فيقبلون حكمه ، ويرضون برأيه ، وينزلون عند قضائه ..

يقول ابن الأثير فى كتابه « الكامل » :

« حدث خلاف بين جلال الدولة .. وأبى كاليجار .. ورأى الخليفة القائم بالله أن يصلح بينهما ، ويضع حداً لخلافهما ، [فـ] أرسل الماوردى على رأس الوفد المفاوض واستقر الرأى على عقد الصلح بينهما .. » .

وكان إلى جانب ذلك فقيهاً سنياً يستمد أصالته وأراءه من كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، وكان لنبوغه فى هذا المضمار كبير الأثر فى أن تزعُّم مذهب الشافعية فى زمنه .

كلفه الخليفة العباسى القادر بالله مع ثلاثة من أئمة المذاهب الفقهية أن يصنف كل واحد منهم مصنفاً مختصراً فى الفقه كل على مذهبه ، فصنف « الماوردى » كتاب « الإقناع » الذى حاز إعجاب الخليفة فأثنى عليه بقوله : « حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا » .

مؤلفاته :

كان لطبيعة نشأة « الماوردى » ومراحل تطور حياته كثير الأثر فيما صنف وأبدع فزود المكتبة العربية والإسلامية بثروة فكرية ثرة وتراث معرفى يغطى أغلب جوانب الفكر الإسلامى وآفاقه الرحبة ، يتسم هذا التراث بعمق فكر صيغ بأسلوب منهجى سلس .. استمد معطيات هذا التراث وذاك الفكر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مدعما إياه بأقوال المفسرين واللغويين والشعراء ، فى عرض بليغ لوجهات نظرهم بأمانة علمية بالغة الدقة .... نذكر من مؤلفاته :

النكت والعيون .. فى التفسير . والإقناع والحاوى .... فى الفقه . وأدب القاضى .. فى القضاء . وأدب الدنيا والدين ..... فى الأخلاق .

والأحكام السلطانية والولايات الدينية ... فى السياسة ، ويعد هذا الكتاب مصدرا لكل من يلج ميدان « نظام الحكم فى الإسلام ومبادئه » .

مواقفه واجتهاداته :

إن نظرة ثاقبة لجوانب حياته لتميط اللثام عن مواقف كثيرة ومتنوعة تكشف عن مدى نقاء عنصر الرجل وأصالته وندرته ، واعتزازه بدينه ، وغضبه لله ..... وتجسد شجاعته فى الحق ، وجرأته فى العدل ، فلم يداهن خليفة ، ولم يمالىء ملكا ، ولم يصده عن إعلان الحق رغبة فى سلطان أو رهبة من بطش ....

من بين مواقفه الكثيرة نذكر رفضه الإفتاء بأن يخطب لجلال الدولة البويهى بلقب « ملك الملوك » على حين أفتى بعض الفقهاء بجواز ذلك ، فخطب لجلال الدولة بذلك ، ولزم الماوردى بيته ثلاثة أشهر ، فكان لصمته واعتزاله بداره

أقوى صدى وأعمق أثراً فى نفس جلال الدولة البويهى .. فاستدعاه وأكرمه .

يذكر الإمام السبكى فى طبقاته الكبرى هذا الموقف قائلاً : وحاصله أنه فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة فى شهر رمضان أمر الخليفة جلال الدولة بن بويه شاهنشاه الأعظم ملك الأملاك ..

وخطب له بذلك .. وكتب جلال الدولة إلى الفقهاء فى ذلك . فكتب الصيمرى الحنفى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية . وكتب القاضى أبو الطيب الطبرى بأن اطلاق ملك الملوك جائز ..

ومعناه ملك ملوك الأرض .. وأفتى الماوردى بالمنع ، وشدد فى ذلك ، وكان الماوردى من خواص جلال الدولة .. فلما أفتى بالمنع انقطع عنه ، فطلبه جلال الدولة ، فمضى إليه ، فلما دخل ، قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحداً لحابيتنى لما بينى وبينك ، وما حملك إلا الدين ، فزاد بذلك محلك عندى » .

وما هى إلا فترة زمنية قصيرة أعقبت تعميم لقب « ملك الملوك » حتى بدأ نجم أسرة البويهيين فى الأفول ، ثم زالت من الوجود كأن لم تكن ، ويمد الله فى عمر القاضى الماوردى ليشهد أفول هذا النجم ، وإزاحة ذاك الكابوس .

وتميز إلى جانب هذا باجتهادات متفردة دفعت بعض المعاصرين له من الفقهاء إلى رميه بالابتداع .. من ذلك اجتهاده فى توريث ذوى الأرحام الذى دفع بالإمام الشينيزى أن يذهب إليه فصعد إلى المسجد ، فصلى ركعتين ، ثم التفت إلى الماوردى وقال له : أيها الشيخ ، اتبع ولا تبتدع . فقال له : بل أجتهد ولا أقلد ، فلبس الشينيزى نعله ، وانصرف .

إن حياة كتلك التى عاشها الماوردى ، لا يتصور معها الباحث أن صاحبها قد سنحت له الفرصة لكى يخلو إلى نفسه ، وينصت إلى صوت الشعر فى أعماقه فيترجم إحساساً ، أو يجسد خفقة قلب ، أو يقرر موقفاً .. على أن القارىء لسيرة الرجل الذاتية لا يعدم أن يلتقى بقطعة من الشعر هنا ، أو نتفة هناك من ذلك قوله يسجل رؤيته حول العلم الذى يرى فيه حياة تضاف إلى عمر الإنسان ، والجهل موتا يهيمن عليه ، وإن كان فى أعماقه قلب ينبض ، أو لسان يلهج ، فيقول :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله

فأجسادهم دون القبور قبور

وإن امرءاً لم يحى بالعلم صدره

فليس له حتى النشور نشور

وفى النهاية : رحم الله أبا الحسن الماوردى القاضى والفقيه ورجل السياسة ، فقد كان شجاعاً فى موطن الحق ، جريئاً فى موقف العدل ، لم يداهن خليفة ، ولم يمالىء ملكاً ، ولم تصده عن إعلان الحق رغبة فى جاه أو رهبة من بطش .

التعليم والثقافة

في ظلال الإسلام

من عصر النبوّة إلى العصر الحديث

٢

للأستاذ الدكتور
السيد تقى الدين

المدارس الأجنبية :

وكان بنو أمية حكماء إذ تركوا المدارس الكبرى المسيحية أو الصابئية أو الفارسية قائمة فى الاسكندرية وبيروت وأنطاكية وحران ونصيبين وجنديسابور لم يمسوها بأذى وقد احتفظت هذه المدارس بأمهات الكتب فى الفلسفة والعلم ومعظمها فى ترجمته السريانية واستهوت هذه الكتب المسلمين العارفين باللغتين السريانية واليونانية وما لبثت أن ظهرت ترجماتها إلى اللغة العربية .

الأمراء والعلم :

وشجع الأمراء من بنى العباس هذه الحركة العلمية وأرسل « المنصور » و« المأمون » و« المتوكل » الرسل إلى القسطنطينية وغيرها من المدن يطلبون من أهلها أن يمدوهم بالكتب اليونانية وبخاصة كتب الطب والعلوم الرياضية[1] ..

صناعة الورق والمكتبات :

لما فتح المسلمون (سمرقند) عام ٧١٢ م عرفوا صناعة استخراج عجينة من الكتان وغيرها من النباتات ذات الألياف ثم تجفيف هذه العجينة بعد صنعها رقائق رفيعة ، ودخلت هذه الصناعة فى بلاد الشرق الأدنى واستعملت فيها بدل رقائق الجلد فى وقت لم يكن نبات البردى قد نسى فيه بعد ، وافتتح أول مصنع للورق فى بلاد

(١) قصة الحضارة تاليف ول ديورانت جـ ٢ ـ من المجلد الرابع ص ٢٧٢ .

الإسلام فى بغداد عام ٧٩٤ م على يد « الفضل ابن يحيى وزير هارون الرشيد » ونقل العرب هذه الصناعة إلى صقلية وأسبانيا ومنها انتقلت إلى إيطاليا وفرنسا

التأليف والمؤلفون :

وييسر هذا الاختراع تأليف الكتب فى كل بلد انتقل إليه ، يقول اليعقوبى : إنه كان فى بغداد على أيامه ٨٩١ م أكثر من مائة بائع كتب كانت حوانيتهم تستخدم ـ فضلا عن بيع الكتب لنسخها وكتابة الخط المزخرف ـ ندوات أدبية ، وكان كثير من الطلاب يحصلون على أرزاقهم من نسخ المخطوطات وبيعها لتجار الكتب .

ولم يكن المؤلفون يحصلون على شىء من بيع كتبهم ، وكانوا يعتمدون فى معاشهم على وسائل للرزق أثبت من هذه وأقوى أساساً .

وكان فى معظم المساجد مكتبات كما كان فى معظم المدن دور عامة للكتب تضم كتب العلم والأدب والفن ، وكانت مفتحة الأبواب لطلاب العلم وكان فى مدينة (الموصل) عام ١١٥٠ م مكتبة عامة يجد فيها من يؤمها حاجاتهم من الكتب والورق ، وبلغت فهارس الكتب التى اشتملت عليها (مكتبة الرى العامة) عشرة مجلدات وكانت (مكتبة البصرة) تعطى رواتب وإعانات لمن يشتغلون فيها من الطلاب وقضى (ياقوت الجغرافى) . فى (مكتبتى مرو وخوارزم) ثلاث سنين يجمع المعلومات التى يتطلبها كتابه « معجم البلدان » . ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب فى بلد آخر من بلاد العالم ما بلغه فى بلاد الإسلام فى القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر من الميلاد . فى هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية .

بيت الحكمة :

أنشأه المأمون فى بغداد سنة ٨٣٠ م وهو مجمع علمى ومرصد فلكى ومكتبة عامة وقد أنفق فى إنشائه مائتى ألف دينار وأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال .

الثقافة العامة :

ولم يقف الأمر عند ضرورة العناية بالعلم والعلماء ، لأن العلم حاجة من حاجات الإنسان لاغنى له عنها شأنه فى ذلك شأن الماء والهواء والطعام ، بل ارتقت النظرة فى بلاد الإسلام المتحضرة التى تريد حياة فكرية راقية وألوانا من المعرفة المتعددة ـ إلى العمل على تكوين أسلوب ثقافى يناسب الحركة الحضارية فكانت هناك نظرة إلى الثقافة العامة ، وإلى الثقافة الشخصية .

كيف تكون للمجتمع ثقافة عامة ؟ وما أسس التكوين الثقافى الشخصى ؟

وإذا كان العلم والثقافة يلتقيان فى إعداد المادة العلمية اللازمة لبناء الفرد ليرقى فى مدارج الحضارة فلا شك أن الثقافة بشطريها : العام والشخصى تكون مرحلة أرقى من مرحلة التعليم فلم يعد الأمر مقصورا على معلومات تقدم فى محاريب العلم لمن يتجه إليها بل أصبح الطالب هو الذى يبحث عن الثقافة سواء فى محاريب العلم أم خارجها . أصبح التثقيف الذاتى ظاهرة

التعليم والثقافة

اجتماعية وأصبحت الثقافة تعنى أسلوب الحياة المتحضرة ينبغى أن يلم به الإنسان المستنير، بل هو يحرص على ذلك ويسعى جاهداً فى طلبه، لأنه لا ينبغى أن يكون فى معزل عن متطلبات العصر وينبغى أن لا يقصر فى تراثه العلمى والأدبى فالكتاب للجميع والثقافة للجميع والمجتمع كله يتحرك مع التيار الثقافى وليس طلبة المدارس والمعاهد وحدهم، والباحث - وإن تخصص فى فرع من فروع المعرفة - لا ينبغى له أن يعيش داخل دائرة مغلقة ليتفوق فى فرع ما وحسب، بل لابد أن يلم بثقافة عصره واتجاهاته الفكرية ليكون مع تخصصه موسوعياً يأخذ من كل فن بطرف .

ولا شك أن هذه نظرة حضارية متقدمة التفت إليها العرب فى وقت مبكر جداً بالنسبة لمسيرة التاريخ، وتركت آثاراً واضحة فى الحياة الثقافية ولاسيما فى عصر العرب الزاهر : عصر بنى العباس .

عنيت الثقافة العربية فى الإسلام بما كان فيه من أحداث كبار فسيرة رسول الله ﷺ، وأخبار الخلفاء، والغزوات والفتوح، وما تخللها من شعر وأدب وقصص، ومن كان يفد على الخلفاء والولاة من شعراء وما كانوا يقولون . وما تكون من مذاهب دينية من خوارج وشيعة ومرجئة ومعتزلة وما كان لذلك من أدب، وما كان من أحزاب سياسية وانحياز الخطباء إلى هذه الأحزاب، كل ذلك كان جزءا من الثقافة العامة العربية يتثقف بها من كانوا عرباً فى أصلهم ومن كانوا فرساً أو رومانيين أو يونانيين .

وعلى الجملة من كانوا فى أرض الخلافة الإسلامية وبخاصة من أسلموا وتعلموا وما كان ينبغ النابغ ويشتهر إلا إذا عرفها وأحاط بطرف منها ؛ فكانت بذلك عنصراً من عناصر الثقافة العامة فى العصر العباسى .

ولقد هجم العلماء فى هذا العصر من عرب وموال على هذه الثقافة يبحثون عنها من نواحيها المتعددة ويرحلون إلى البادية أحياناً وإلى الأمصار أحياناً ويسمعون للرجال والنساء والصبيان والخاصة والعامة [٢] .

وكان أهم عمل لهؤلاء العلماء تحويل الثقافة العربية من ثقافة لسانية شفهية فى الغالب إلى ثقافة كتابية تحريرية ذلك أن عقول أهل الشرق الأدنى فى ذلك الوقت تتأثر بما يصل إليها عن طريق الأذن شأنهم فى هذا شأن جميع الناس قبل اختراع الطباعة .

وكانت القصة والقصيدة أكثر فنون الأدب انتشاراً . كانت القصائد تنشأ لكى تقرأ بصوت عال أو تغنى، وكان كل شخص فى بلاد الإسلام من الخليفة إلى العامل والفلاح يطرب لسماعها وقلما كان هناك شخص لا يفهم الشعر أو يتذوقه أو يقرضه [٣] .

كانت هذه هى الخطوة الأولى ليتناول العلماء بعض ما جمع ينقحونه، ويميزون خطأه من

---

(٢) ضحى الإسلام لاحمد امين جـ ١ ص ٣٣٠

(٣) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت جـ ٢ من المجلد الرابع ص ٢٢٥ .

صوابه ، ويضعون له القواعد . كان الإنسان الذى يعيش فى أرض الخلافة الإسلامية يشعر بأنه محتاج إلى طائفة من المعارف ليستطيع أداء دوره فى الأمة الإسلامية عامة والمجتمع العربى خاصة ، وكان يطلق على هذه المعارف اسم « الأدب » . والأدب بهذا المفهوم قد اختلف باختلاف الأوساط والطبقات فلم يبق على حالة واحدة فى جميع الأمكنة والأزمنة فكان من الطبيعى أن يتغير ويتبدل ، ومن المنتظر أن يساير تطوره الثقافة الشخصية الفردية أو العامة فتزيد بزيادته وتنقص بنقصانه فتقدمت هذه الثقافة الفردية وازدهرت ازدهاراً بالغاً حتى بلغت أوجها .

العناية بالأدب :

والأدب بهذا المفهوم أيضا يتطلب جهوداً مستمرة تترتب على دراسات طويلة ليكتسب الإنسان نصيبه من المعارف ، وعلى ذلك فهذا اللون من الأدب يكاد يكون معدوماً فى العصر الجاهلى ؛ لأن الشاعر فى ذلك العصر ، والخطيب فى ذلك العهد ، والكاهن والقائف وغيرهم لا يتعلمون تعلما ولا يتفقهون بل يتكلمون على مواهبهم ويعلمون بما يفيدهم الاحتكاك والمعاشرة .

وإن ضربنا صفحاً عن الاعتقاد العام بأن الشاعر والخطيب إنما ينطقان بما يضع تابعهما على طرف لسانهما ، فإننا نتميز شيئاً من الأدب فى فصاحتهما ومعرفتهما باللغة العربية ، ومثل هذه المعرفة فى تاريخ الأدب العربى تمثل قاعدة من قواعد الثقافة الشخصية فلما جاء الإسلام صرف المسلمون عنايتهم إلى الدين والسياسة والحرب حينا فخالطوا الفرس والروم وغيرهما من الأمم المتحضرة المثقفة ، وزالوا عما كانوا عليه من الانفراد النسبى فاختلطوا بهذه الشعوب ، وأخذوا بأسباب حضارتها ومدنيتها ، ولكنهم لم ينسوا عروبتهم ودينهم فأخذت العلوم الإسلامية تنمو وتتفنن ويتميز بعضها عن بعض .

جهود التصنيف الأدبي :

هنالك شرع المسلمون فى جمع ما للقبائل العربية من عناصر ثقافية فالتمسوا مفردات اللغة وتراكيبها والتقطوا من العشائر ما كانت تتداوله من أسجاع وأشعار وخطب وأخبار .

ثم رأوا من الخير أن ينقلوا بعض الآثار الأجنبية فارسية كانت أو يونانية إلى اللغة العربية ، وأن يضيفوا إلى ذلك أخباراً وأساطير وقصصاً متفرقة الأصول ، متعددة المصادر فلم يألوا جهداً فى تكوين ثقافة لها خصائص إنسانية حضارية ويرجع الفضل فى جميع ذلك إلى أهل القرن الثانى للهجرة .

ولما كان القرن الثالث أصبح المسلمون ولديهم مادة متوافرة متراكمة لا يحتمل ثقلها أحفظ الرجال ، ولا يسعها أضخم الأسفار حتى إنه أضحى من الضرورى أن يفصل بين العلوم والمعارف التى لا يحتاج إليها إلا العالم المتخصص فى فن من فنون العلم وبين ما لا يسوغ للشريف أن يجهله ولايجوز للبديل أن يهمله ، وبعبارة أخرى أمسى من اللازم فى ذلك العصر أن تقوم شخصيات بارزة معروفة بسعة علمها وعقلها ، يشاركهم أدباء ملمون بجميع

التعليم والثقافة

أطراف الأدب بتأليف كتب معدة للأوساط المثقفة ويأخذوا لذلك من كل شيء بطرف ، ولكن ليس كل إنسان بقادر على القيام بهذا الاصطفاء والاختيار ؛ لأنه يتطلب ذوقاً سليماً وروحاً انتقادية ممتازة وحساسية خاصة بالمادة المطلوبة ، وتبصراً بما يحتاج إليه المثقفون .

وقد اضطلع بهذه المهمة الجسيمة علماء أفذاذ من أمثال : الجاحظ فى « البيان والتبيين » و « الحيوان » و « رسائل الجاحظ » و « البخلاء » وأبى حنيفة الدينورى فى كتابه « الأخبار الطوال » وابن قتيبة فى « عيون الأخبار » وغير هؤلاء كثير .

مصادر الثقافة العامة :

ويبدو لنا أن العناصر التى تكوِّن الثقافة العامة فى العصر العباسى صادرة عن ثلاثة مصادر :

١ ـ القرآن الكريم والحديث الشريف وما دار حولهما من دراسات ومانشأ عنهما من علوم .

٢ ـ الأدب العربى المحض أى اللغة والشعر والنثر والروايات التاريخية والأنساب والمعارف وما إليها .

٣ ـ الآداب الأجنبية من فارسية وهندية بما فيهما من الأخبار وسير الملوك وغير ذلك من الأساطير والحكم ثم تأتى اليونانية بما فيها من منتجات الفكر .

وقد حاول الباحثون والمفكرون ولاسيما الجاحظ أن يؤلفوا بين تلك المصادر مبرزين بطبيعة الحال المصدر الدينى والعربى .

« يتبـع »

مفاتيح الجنة

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

فى إحدى المنشآت ذات الإجراءات الأمنية البسيطة المخصصة للقاء السجناء جلست ذات أصيل اتجاذب اطراف الحديث مع شخص كان ذات يوم احد القضاة ذوى الشهرة الواسعة والسلطان العريض.

كنت قد تعرفت به فى ايام وظروف مغايرة لما هو عليه الآن. فنتيجة اتهامه بالرشوة والابتزاز فقد كل شيء: الأسرة والوظيفة والشهرة والجاه.

وبعد أن تبادلنا بعض المداعبات الخفيفة سألته وقد اغرورقت عيناى بالدمع: لماذا؟ فنظر عبر النافذة فى أسى قبل أن يجيب مغمغما: كان مرادى أن أكون سعيداً وعملت كل ما فى وسعى لتحقيق هذا الهدف باحثا عنه فى النجاح والمال والشهرة والجنس والشراب. ونلت كل شيء. ثم استطرد متسائلا: ولكن هل تدرى علام حصلت حقيقة؟ فهززت رأسى نفيا فأطبق يديه ثم فتحهما قائلاً: لا شيء ... لا شيء سوى ما ترى، لقد ادركت أخيراً وأنا فى السجن أن تحصيل السعادة بأسلوبى قد انتهى بى إلى بؤس الروح. نعم شقاء الروح، ذلك الأثر المدمر للحياة المادية، شقاء الروح هو الطاعون الذى يبيد صفة الحياة فى ملايين البشر. فهم بحثا عن السعادة الموهومة يعيشون ما وصفه الكاتب « Thoreau » بأنه حياة القنوط الهادىء. إنه الإحساس اليائس الذى يتملك الناس عندما يكتشفون أن حياتهم لا تعنى شيئا فى قليل أو كثير.

وهو اكتشاف مروع يصيب بالشلل التام أى احتمال لوجود السعادة بصرف النظر عن السمعة والثروة والممتلكات المادية. وفى كتاب: (إنسان العصر باحثا عن الروح) كتب DR. Carl Gung مانصه: إن حوالى ثلث ما أعالج من حالات مرضية لا يعانى أصحابها من مرض يمكن تعريفه أو تشخيصه (إكلينيكيا) بل من خلو حياتهم من دفء الأحاسيس واستيلاء الفراغ الروحى عليها.

←

مفاتيح الجنة

إن « السعادة » إذا اعتبرت هدفا شخصيا لم تكن اكثر من « انانية » بحتة ، والأهم من ذلك الاهتمام بالآخرين ، وأن تكون منتجا معهم بحيث تترك فراغا كبيراً عند رحيلك عنهم .

وفى الخبر : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم[1] » .

واكد القرآن الكريم الهدف الأسمى من الحياة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات ٥٦ .

إذاً فالرسالة العظمى المنوطة بالإنسان هى عبادة الله وما يستتبعه ذلك من استخلاف فى الأرض وإعمارها .

أما أن يعيش الإنسان وجوديا خالى الذهن فارغ القلب خاوى الروح ، فذلك ما يأباه كل حصيف . إن ما يصيبنا من إحباط وينتزع البهجة من أيامنا انتزاعا ، لهو غياب المعنى السامى وانعدام المغزى وفقدان الرؤية الصحيحة للأشياء . ساعتئذ تتسرب أيامنا من بين أيدينا يوما إثر يوم ... عندئذ يستوى أن تكون هذه الأيام مَلْأى بالنجاح أو بالفشل ، بالمسرات أو بالأحزان .

السؤال المهم هو :

هل كانت تعنى حياتنا شيئا ؟

هل كان ذهابنا عن الدنيا يتركها اكثر فقراً أو يتركها ـ فقط ـ أقل ازدحاما ؟

إن أسعد الناس هم أولئك الذين يكتشفون أن الفرحة الحقيقية والوفاء الصادق ماهما إلا أثر جانبى للحياة الهادفة . وقد يدعى البعض أن هوية الشخص غير ذات بال . ويزيدون المسألة تمييعا فينكرون أهمية المكان والظروف التى يوجد فيها الإنسان ويقولون : إن أى إنسان قادر على إيجاد هدف ما . وهم ينسون أو يتناسون أن الإنسان هو ابن بيئته وظروفه وثقافته وقبل ذلك وبعده هو ابن دينه ومعتقده .

ومن ثم أرى من الضرورى أن أقدم للقارىء ثمانية أمور هى فى رأيى بمثابة المفاتيح التى أنعم الله بها على أولئك الموعودين بفردوسه المأمول ، وهى الكفيلة بجعل الحياة جديرة بالعيش فيها ، وإليك هى :

١ ـ أن يكون الله ورسوله أحب إليك مِمَّا سواهما . وهى من الصفات التى ذكرها ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديثه المشهور : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : مَنْ أحب المرء لايحبه إلا لله عز وجل ، ومن كان الله ـ عز وجل ـ ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومَنْ كان أن يقذف فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن انقذه الله منه » أخرجه النسائى ح ٩٦/٨ كتاب الإيمان.ومعنى ذلك أن يعيش لله قلبا وقالبا روحا وجسداً شكلاً وموضوعاً . ولذا قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

فالصلة الوطيدة بالله ضرورية لسعادة الإنسان ، وتزداد السعادة كلما ازدادت التقوى

(١) المعنى صحيح ، ولكن الحديث ليس فى الصحيح ، وهو عند الطبرانى ، وابى نعيم فى الحيلة (المقاصد الحسنة) .

ومراقبة النفس مراقبة شديدة لتستقيم مع أمر الله تعالى .

وليس ذلك تنفيراً من الدنيا أو تزهيدا فيها فالمال عصب الحياة ولامراء فى أهميته القصوى فى تعمير الكون .

والدين ضرورة لا غناء عنها من قريب أو من بعيد ، فكل منا قد اعتركته الحياة وذاق حلوها ومرها ، شهدها ، وصابها لاغنى لأى منا عن عناية الله ورعايته ...

إذا لم يكن عـون من الله للفتى
فـأول مـا يجنـى عليـه اجتـهـاده

والدين هو مصدر القوة اليقينية الحقيقية على الإطلاق وليس معنى أن اكون متدينا أن اكون خانعا خفيض الصوت هزيل النفس بطىء الخطو . فقد كان سيدنا عمر كما ـ حكت عائشة رضى الله عنها : إذا قال أسمع وإذا مشى أسرع .. وإذا ضرب أوجع .

وتلك صفات إيجابية تجعل المؤمن فى الغاية من القوة والمحبة لإخوانه على بر وتقوى وعمل صالح .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل ٩٧ .

والعمل الصالح هو ما ينفع الفرد والجماعة ومن ثم نبتعد شيئا فشيئا عن التقوقع على ذواتنا والانكباب على مصالحنا الفردية الضيقة التى التصقت بالبؤرة من تفكيرنا ونقترب اكثر واكثر من الإحساس بحاجة المحتاجين ورعاية الفقير والمسكين .

إن الدين هو الأساس المتين الذى فى ظله تزخر حياتنا بالمعنى وتَغْنَى بالقيمة . فلا نبالى بما نلاقى ونكابر فى سبيل الله ، مؤمنين بوعده سبحانه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَاكَتَبَ اللَّهُ لَنَا . . . ﴾ التوبة ٥١ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ العنكبوت ٦٩ .

فالحياة لله وفى الله تزيل ما بالروح من خواء وما بالنفس من ضيق لتسرى فيهما حلاوة الإيمان ونشوى اليقين .

٢ ـ الرضا والشكر :

فإنه ينبغى أن يشكل الشكر على النعمة جانبا هاما من حياة كل منا ، فالشكر طريق الزيادة تماما كما ينبغى للصبر أن يشكل الجانب الآخر للصورة . فاعترافك بالنعمة وإحساسك الغامر بها لا يقلل من حدة الابتلاء فقط ، بل يضع المشاكل فى إطارها الصحيح فإذا هى محدودة .

وقديما سأل أحد الصالحين واحداً من الذين حاصرهم الهم وأنساهم التعود حلاوة جدة النعمة :

« أيسرك أن يأخذ الله سمعك أو بصرك أو عقلك ولك بكلٍّ مائة ألف ؟ قال : لا ... فقال له : فاحمد الله » فالشكر ـ إذاً ـ يمد الإنسان بطاقة جبارة تعينه على حل ما تراكم من مشاكل أغرقه فيها اليأس وجَمَّدَ تفكيره الجحود فأصيب بالسأمة فعلينا أن يكون أملنا فى الله غير محدود .

٣- **الإيثار** : وهو تفضيلك غيرك على نفسك ، فغيرك أولى بك منك . وقد امتدح الله به الأنصار الذين فضلوا إخوانهم المهاجرين على ذواتهم . فقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . الحشر ٩ .

وأنت بالإيثار إنما تسعد غيرك بل تسعد نفسك - أيضا - فى الحقيقة .

وهذا الإصرار على الإيثار والحرية فيه تجلت كأنصع ما تكون فى جهاد المسلمين للكفار فى معركة اليرموك ويبدو ذلك مع الجرحى السبعة الذين كانوا على وشك الشهادة وكانوا يتحرقون عطشا إلى الماء ، فلما أُتوا به فى أرض المعركة أخذ كل منهم يؤثر صاحبه على نفسه بالماء حتى استشهدوا جميعا ولم يتناول أحدهم منه قطرة .

٤ - الصفح والغفران :

لقد علمنا ديننا الحنيف أن يكون الحب والبغض لله لا لشىء غير ذلك ؛ لأن كلا من الحب والبغض إن لم يكن لله أثقل كاهل صاحبه .

إن المقت والكراهية والبغضاء أمور تسحق الروح وتدمر النفس وتضنى الفؤاد وتبدد كل أمل فى العيش الهنىء .

وفى الكتاب العزيز قوله تعالى :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف ١٩٩ .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ الشورى ٤٣.

من منا لم يطل به عمر دون أن يكون ضحية الحيف والظلم والغيبة والنميمة والألسنة الحداد ! ولذا حَبَّبَ الله للناس أن يغفر بعضهم لبعض .

إن أولئك الذين يسارعون بالاستغفار مما ارتكبوا من أخطاء بالتوبة إلى الله والندم على ما فرط منهم ، وأولئك الذين يغفرون للآخرين ما اقترفوا من جرم فى حقهم ، لهم السعداء حقا لأنهم لم يضيعوا أياما غالية وقد انطوت صدورهم على ذكريات أليمة لجراح أصابتهم فى أيام ليس بأيديهم أن يرجعوها .

ولنا فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسوة والمثل فعندما قتل عمه حمزة رضى الله عنه فى غزوة أحد على يدى (وحشى الحبشى) بإيعاز من هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان التى لاكت كبده بعد أن بقرت بطنه ، توعد - صلى الله عليه وسلم - المشركين بقتل سبعين من رجالهم ثأراً لعمه ، لكن سرعان ما استجاب قلبه العطوف لأمر السماء بل عفا عمن مثلوا بجثة أعز الناس لديه فكانت المكافأة من السماء نصرا للدعوة وإعزازا لها فى حروب الردة حينما قَتَلَ وحشى مسيلمة الكذاب . فيالها من معادلة بقتله أبغض الناس للإسلام بعد أن قتل أحب الناس للإسلام ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم .

٥ - حسن الخلق :

وهو منبع كل خير وأساس كل فضيلة ولو شئنا تلخيص كل ما كتب الشعراء وأبدعت القرائح فى حسن الخلق لقلنا ببساطة إن أسعد من فى الوجود هم أولئك الذين تفانوا فى محبة الآخرين .

وحسبنا قول رسول الله - صلى الله عليه

وسلم : « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون .

قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟

قال : المتكبرون . » .

الترمذى ح ٤/٣٧٠ كتاب البر والصلة .

ولنكن صرحاء حين نعلن هذه الحقيقة ونؤكد عليها ، فعندما نقول إن فى التعامل مع الناس والاختلاط بهم كثيراً من المخاطرة بل والمجازفة فإننا لا نتجاوز الحقيقة فى قليل أو كثير ولا ينكر أحد أن أحب الناس إلينا هم أقرباؤنا ، وأقرباؤنا هم فى أحيان كثيرة أشد الناس إساءة إلينا .

أليست هذه حقيقة ؟ !

ومن المؤسف أنه أمر من الصعب اتقاء نتائجه واجتناب عواقبه ، وقد جاء أحدهم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ وأحلم عنهم ويجهلون علىّ ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ(٢) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك .

صحيح مسلم . باب صلة الرحم ح ٨/٨

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه من الخير التعامل مع الناس وتحمل أذاهم على العيش فى عزلة وانفراد نهباً لأفكار ربما كان من الصعب عليك وحدك الإفلات من إسارها ؛ فالسعداء يعلمون أن مشاركتهم للآخرين أفراحهم وأتراحهم هى الفرحة يتقاسمها الناس فيحسون لها معنى وطعما وقيمة .

---

٦ ـ التوازن النفسى :

وهو ضبط النفس والتحكم فى الانفعالات بمعنى عدم الإفراط فى الفرح أو الإغراق فى الحزن وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ الحديد ٢٣ .

ومن قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » صحيح مسلم .

ح ٨/٢٢٧ كتاب الزهد

فهو لن يكون نهبا للأهواء الذاتية والرغبات الشخصية تذهب به يمنة ويسرة ، ونحن هنا لا ندعوه إلى أن يكون كئيبا جامداً خلوا من الأحاسيس . فالإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان ، لا يمنعه ذلك مثلا أن يكون فكها تسرى فى أوصاله روح الدعابة والظرف . ففى الأوقات العصيبة يكون الترويح عن النفس أحد أهم الوسائل المستخدمة فى المحافظة على التوازن المطلوب بالترويح عن النفس من وقت لآخر « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا

←

(٢) الملُّ والملَّةُ : الرماد الحار يحمى ليُدْفنَ فيه الخبز لينضج .

مفاتيح الجنة

كلت ملت » حكى لى أحدهم عن أحد الضباط ـ وكان يشغل وظيفة شديدة الحساسية كثيرة الأعباء فهو يقوم بالإشراف على شئون المجرمين الذين تم إطلاق سراحهم من السجن ـ أنه ، برغم ذلك ، كانت الدعابة لا تفارق وجهه والاسترخاء والبشاشة تسرى فيه سريان الشذى فى الورد . كان يقول دائما : إن الضحك هو العلاج الناجح ويقول عنه أصدقاؤه : إنه دائرة معارف من النكات تمشى على الأرض قد اكتظت عن آخرها بالقصص المثير الملىء بالسخرية والفكاهة ومن ثم فمن المستحيل عليك البقاء معه مكتئبا ، إنه عدو الاكتئاب اللدود . ونحن لا ندعو هنا بالطبع إلى كثرة الضحك فكثرته تذهب المهابة وتميت القلب ولكننا نؤكد ما أثبتته الدراسات الطبية من أن شيئا من المرح هو الوسيلة الإنسانية التى لا يُبارى تأثيرها السحرى فى إزالة التوتر والقلق والإحباط والخوف إنها تجعل نفس الإنسان حديقة غناء انتثرت فى أحواضها أزاهير الثقة بالله والنفس والأمل والرجاء .

والسعداء حقا هم أولئك الذين يعرفون بالضبط متى ينبغى أن يكونوا جادين ومتى ينبغى أن يكونوا باسمين ، فسليمان النبى الملك ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لم يَمْنَعْهُ وقار الملك وكثرة عدد جيشه من أن يتبسم ضاحكا من تحذير النملة لبنى جنسها من خطر جنوده الداهم على حياتهم.

٧ ـ إخلاص النية :

فالنية الحسنة الخالصة قد ترتقى بالعمل الصالح من درجة (العادة) إلى منزلة (العبادة) . ورسولنا ـ صلى الله عليه وسلم : أكد ذلك حين قال : وفى بضع أحدكم صدقة . قالوا : يارسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ فقال : أرأيتم لو وضعها فى الحرام أليس كان عليه وزر ـ أو الوزر ـ ؟ قالوا : بلى ، قال : فكذلك إذا وضعها فى الحلال يكون له الأجر » .

مسند الإمام أحمد ١٦٨/٥

وهكذا سمت النية بالعمل الغريزى إلى منزلة نالت أجراً كما تكون العبادة .

٨ ـ كن متفائلاً :

الحياة ـ بحمد الله ـ تعبق بالمستبشرين الذين فهموا روح الأمر النبوى الذى جاء فيه « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »[٣] ، إذ اتخذوه دستور حياة ودواء لما استعصى من الأدواء .

فإنه لا بديل للتفاؤل سوى اليأس والإحباط ..... وفيهما مافيهما من حطام الروح . وفى الكتاب العزيز : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف ٨٧ .

(٣) أخرجه البخارى ج ١٩/١ فى كتاب العلم .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

على درب التوحيد

"أم معبد" في طريق الهجرة النبوية

الخريف

المثل الغائبة

على درب التوحيد

للأستاذ رشاد محمد يوسف

ربى سبحانك يَاأَحَدُ   يارب الرحمة ياصَمَدُ
يافرداً ليس له ثان   فى الملك وليس له ولد
لا تاخذ نوما او سنة   لو كل العالم قد رقدوا
باق والدنيا فانية   ما طال على الدرب الأمد
لا مهرب لا منجى إلا   ما شاء الله وما وعدوا

لا ظلم اليوم فمن زرعوا   ياتون اليوم وقد حصدوا
فالجنة للتقوى ماوى   ولمن فى صدِق قد عبدوا
الحور العين وما وُعِدُوا   والكوثر والعيش الرغد
والنار لعُبّاد الدنيا   ولمن كفروا ولمن شردوا
ولمن اغرتهم غايتهم   ولغير الخالق قد سجدوا

يانورَ النور انا بشر   اغفو واتوب واجتهد
قصرت والهانى املى   وانا عن بابك ابتعد
رباه ذنوبى تفزعنى   واخاف الامس وارتعد
خذنى لرحابك يارباه   بظل الرحمة ابترد
ادعوك ويشفع لى انى   قد عشت ونورك لى مدد

ادعوك ويشفع لى ندمى   وعلى توحيدك استند
وعلى الإسلام وشرعته   يتواصل إِنْشادٌ غَرِدُ
يارب التوبة والغفران   ورب الرحمة ياأحد
لا تغلق بابك فى وجهى   فرضاك الحق هو السند

أم معبد
فى طريق الهجرة النبوية

للأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى

لكِ الخيرُ والإسعاد ياام مَعْبَدِ … سعدت بإيواء النبى محمدِ
وفى شاتك العجفاء للناس آية … تظل حديثا شيقا كل موعد
خلا بيتك القاصى فما فيه "مِيرة" … ولا لبن يرجى لظمآن مُجهَدِ
وفوق الفيافى البيد كم من مسافر … يبيت على شوق إلى من يزود
فهل فى خيام البيد زاد لجائع … وهل فى بيوت البدو إيواء سيد ؟
اتاك رسول الخير والبر سائلا … قليلا من الألبان ياام معبد
يبلّ بها حر الطوى فى مفازة … يموت القطا من جوها المتوقد
أَجَبْتِ : ارانا مسنتين فلا حياً … يجود بهطّال بصحراء فدفدِ ..
وهاتيك دارى والشياه سقيمة … وقد عجزت والموت منها بمرصد ..
فقال لها : هل تاذنين بحلبها ؟ … فدرت وفاضت وارتوى كل من صدِى
وبعد قليل جاءها الزوج متعباً … من الرعى فى قفر من العشب اجرد
وما راعه إلا شياهٌ حوافل … وزاد من الألبان فى كل مزود
فقالت له : قد مر بالبيت سائل … امين ابى طاهر ايمن اليد
بهىٌ ، وسيمٌ ، ادعج العين ربعةٌ … مهيب كريم القول غير مُفَنَّدِ
رسول قلاه قومه عن ضغينة … وحقد ومن يحرم رضا الله يحقد
فهاجر ليلا والأعادى ببابه … وايديهم فوق الزناد المسدد
ولما بدت انوار طلعته عموا … ومن يتكلف رؤية الشمس يرمد
وسار وفى يمناه اسمى رسالة … عليها حياة الناس فى اليوم والغد
إلى طيبة حيث استقرت ركابه … لدى نُجُبٍ ارباب مجد وسؤدد
سيبقى على الدنيا ينابيع حكمة … ويحيا - لمن يبغى الهوى - خير مرشد

ملاحظة : الأوصاف التى ذكرت ماخوذة من رواية ام معبد

الخريف

للأستاذ / محمد سلطان لطيف

شاء الرواح فهم قبل الموعد   يطوى غلالة عهده المتورد
قلق الجنان إلى الرحيل كانما   يخشى الإقامة فى البناء المجهد
وَجِمًا كمن يبدى تجمل راحل   يذر الحمى من بعد طول تعود

***

وهتفت : ما بك ياشباب !! فرابنى   فى سمته صمت خفى المقصد
وسالت : مالك .. هل تراك زهدتنا   فاجاب بعد تريث وتردد
لا .. مازهدت اخا الحياة وإنما   صرنا إلى ميعادنا المتحدد
قد حان بعد المكث يوم ترحلى   والأمر ما شاء الحكيم السرمدى
وقضى بان الكائنات حوادث   مرصودة الغايات قبل المولد
ناموسها ألاَّ ثبات لحالة   صيرورة بين العشية والغد
شهدت معاهدنا بزوغ كواكب   ترعى على كثب افول الفرقد
قد صار غيرك للشباب اخا المنى   ومشى خريفك فى ربوع المعهد

***

شجوى على عهد الصبا معزوفه   اوحى بها نغم الصبا لمغرد
غنى على ايك تباعد صحبه   وبكى لشجو غنائه المتفرد
رحل الشباب .. ولو بشىء يفتدى   افدى الشباب بكل ما ملكت يدى
قد كان يالفنى ربيعاً مفعماً   بالنور والأحلام والزهر الندى
وقضى مع صيف الحياة فتوة   لا تستقر لها الصروف بمرصد
حتى إذا بلغ المقدر لم يعد   إلا سراباً فى مخيلة الصدى
هذا خريف العمر يااهلا به   لكنما ذكر الصبا من عودى
تعتادنى احلامه فى يقظتى   ويضىء اطياف المساء بمرقدى

ياذكريات الحب والأنس الذى ... ما شاع إلا فى رحاب السؤدد
قيم العلا كانت وراء فعالنا ... والعرف ما املى كريم المحتد
كنا شبابا لا يجوز به الهوى ... حد العفاف فلم نزد أو نعتدى
ومشيت للمرآة التمس الوفا ... فيها والقى نظرة المتزيد
هذا انا .. وكتاب ايامى مشت ... فوق الجبين سطوره بتجعد
خفت البريق بمقلتى فما أرى ... إلا وميض تكلفى وتشددى
والشيب جلل هامتى بسحائب ... بيض تزاحم فى فجاج الأسود

***

وبدت تغشينى ظلال كابة ... وكأنما بات الفنا مترصدى
هذا نذير بالشتاء فبعده ... يأتى الشتاء بافقه المتلبد
وغدا سيهجر روضتى عشاقها ... هجر الطيور لدوحها المتجرد

***

واستغرقتنى ساعة بعض الرؤى ... فى بحر اشجانى وبرد تجمدى
وتساءلت نفسى !! لاية غاية ... بعد العطاء يطول عمر المقعد
وتلمست روحى الخلاص بشاطئ ... فيه السكينة للكيان المرعد
فتركت مرآتى ولذت بصورة ... ومضت خلال ترنحى وتبلدى
ولدى ـ وقد بلغ الشباب ـ كفايتى ... وعزاء نفس الغارب المتزود
الفيته بالباب يرقب وقفتى ... متبسم الوجه الصبوح الأصيد
احسست نورا قد اضاء بصيرتى ... ولمست دفئاً بالسنا المتولد
ورأيت فيه بدايتى وفتوتى ... الطارف الأسنى يجدد متلدى
وهتفت من فرط الرضا متهللا ... اهلاً بايام الصبا المتجدد

المثل الغائبة

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

ياشامخ النفس والأشواق والأملِ ... يامن هواك إلى الأمجاد والمُثُلِ
تابى الدنية فى عيش ، ومرتزق ... لا تستجيب لداعى الشر والخطل
اليوم عصرك فى زيف وعربدة ... أَلْقَى غوايته فى اقوم السبل !!
يامن رمى بك فى انوائه قَدَرٌ ... قف صامدا ، راسخ الأقدام كالجبل
مستعصما لائذا بالله من فتن ... شعواء تكبت صوت الحق بالجدل !
أو بالمناصب والأموال غامرة ... أو بالهوان وقمع السيف والأسل
إن العواصف والأمواج عاتية ... ترمى بكل جليل القدر فى الوحل !
باسم الحضارة والتجديد كم هدمت ... فى الناس من قيم عليا بلا وجل
تالله ما جمل الدنيا سوى مثل ... فى الأرض قد عبقت كالعطر فى الأول
فاستروحت امم انسامها ومشت ... فى العيش آمنة فى أجمل الحلل
تمسى وتصبح فى عز ومكرمة ... تعطى الأنام بلا قيد ولا مثل
ياليتها بقيت فى الناس سائدة ... تسقى بسلسالها الشافى من العلل
لكنها لم تزل فى الدين كامنة ... مذ بثها للورى ريحانة الرسل
من رامها سفرت للعين عن كثب ... من غير شائبة فيها ولا دغل
خذها من الوحى ، فى مكنونه دررا ... واقض الحياة كريم النفس فى جذل
ما فى سواها سلام يَنْعُه مِقَة ... فى الناس من سائر الأديان والملل

العالم الجليل الأستاذ الدكتور

محمد شمس الدين إبراهيم

عضو مجمع البحوث الإسلامية وطرف من تاريخ حياته

للأستاذ ناصر محمود وهدان

علم من اعلام الازهر المعاصرين ، اسهم فى الحركة العلمية بجهود عظيمة ، وتخرج به كثير من أجيال النابهين فى عصره ، وجل اساتذة العقيدة الإسلامية فى الأزهر ، والبلاد العربية .

لقد استرعى انتباهى من حديثه لى ذلك العمق الذى يعالج به مايتناوله من بحث مستندا على الدراسات الجيدة للسابقين والمعاصرين فى العقيدة الإسلامية ومايخدمها من علوم اخرى .

وقصارى القول فيه أنه لم يكن من حملة علم ينقله إلى طلبته فحسب ، بل كان إلى ذلك مثلا طيبا من الأسوة الصالحة ، يجمع بين التربية والتعليم ، كما يفعل الوالد الصالح فى تزويد بنيه بالرعاية الخالصة ، والتوجيه النافع السديد ، فتتوثق العلائق بينه وبين طلابه وطلاب طلابه كما تتوثق بين الولد البار ، ووالده الحكيم .

هذا هو الدكتور/ محمد شمس الدين ، أستاذ العقيدة والفلسفة المتفرغ بكلية أصول الدين بالقاهرة .

مولده ونشأته

قال : اسمى محمد شمس الدين إبراهيم

د . محمد شمس الدين

سالم ، ولدت فى محافظة الإسكندرية ، قسم الجمرك فى ٦/٤/١٩١٠ م .

حفظت القرآن الكريم على يد معلمى الأول الشيخ / سيد ـ رحمه الله ، وكان رجلا صالحا ساعدنى فى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، حتى اننى كنت أقرأ الخاتمة مرة كل ثلاثة أيام ، وختمت حفظ القرآن الكريم ، وعمرى أحد عشر عاما ومع ذلك لم ألتحق بالأزهر إلا بعد عام كامل أتقنت فيه علم القراءات والتجويد وذلك بعد أن أقنع معلمى الشيخ/ سيد أخى الأكبر ـ الذى كفلنى وتولى أمرى وأمر العناية بتعليمى بعد وفاة

←

• من أعلام الأزهر

والدى وأنا ابن خمس سنين تقريبا ـ بضرورة الانتظام معه لمدة عام . وقد تم ذلك حتى بعد أن أغلق شيخى مكتبه لتقدمه فى السن ـ رحمه الله .

وأذكر أننى كنت أقابله بعد التحاقى بالأزهر ، فأقدم له الاحترام اللائق به إلى أن انقطعت أخباره عنى .

تعليمه (الابتدائى والثانوى)

وفى سبتمبر عام ١٩٢٣ م التحقت بمعهد الاسكندرية ، وعلى مدى السنوات الأربع للقسم الابتدائى درس لنا فيها الشيخ/ محمود شلتوت مادته الأخلاق والسيرة النبوية ، والدكتور/ محمد عبد الله دراز مادة التوحيد ، والشيخ/ عبد الحليم قادوم مادة الفقه ، والشيخ / محمد جمال الدين مادة النحو .

ولك أن تتصور اليوم الدراسى الكامل الذي كنا نقضيه بالمعهد فى هذه السن المبكرة ، والذى يبدأ من الساعة (٢/١ ٦ص) حتى الساعة (٤/١ ٦) مغربيا يتخلله أوقات الراحة لصلاتى الظهر والعصر فقط ، وكنا ندرس فى اليوم الواحد أربع مواد ، والحصة مدتها لاتقل عن ساعتين إلا ربعا والعام الدراسى لايقل عن أحد عشر شهرا ، أما عدد تلاميذ الفصل الواحد فلا يزيد على خمسة وعشرين تلميذا !! ومما ساعد على تحصيل الطلاب فى هذه الفترة أسباب منها : قلة عدد الطلاب مع طول العام الدراسى ، واليوم الدراسى الكامل ، ومع ذلك كان الأساتذة يقولون لنا وخاصة فى القسم الثانوى : إن زمن العلم ولّـى !!!

كنّا ندرس «الأجرومية » فى الصف الأول الابتدائى ، درسناها بشرح الكفراوى فى أول الأمر ، ثم أعدناها بشرح الشيخ/خالد ، فى نفس السنة ، ولذلك كنا نستعين بكتاب التوضيحات على الأجرومية .

وفى الصف الثانى أخذنا كتاب « الأزهرية » ، وكتاب «قطر الندى » بالصف الثالث .

أما الصف الرابع فكنا ندرس فيه كتاب « شرح ابن عقيل » على ألفية بن مالك .

وأذكر من زملائى فى القسم الابتدائى على سبيل المثال :

الدكتور /أحمد الكومى ، صديق العمر من عام ١٩٢٣ م ، والدكتور/محمود زيادة ـ رحمه الله ـ .

والدكتور/يوسف الضبع ، والدكتور/سيد محمد الحكيم وهما معاران بالسعودية الآن .

ومن المواد التى درسناها فى القسم الثانوى كتاب : « التصريح على التوضيح » فى النحو ، وكتاب «السعد » فى البلاغة ، وكان كتابا يُضرب به المثل للأستاذ الذى يقوم بتدريسه . وأذكر من أساتذتى فى القسم الثانوى وقتها الشيخ/ حسن مرزوق أستاذ الفقه ، والشيخ /عبد العزيز المراغى أستاذ التفسير . والدكتور/ عبد الله ماضى أستاذ التاريخ ، والمستشار/الشافعى اللبان ، أستاذ نظم الحكم وابن عم عميد المعهد الشيخ/عبد المجيد اللبان ـ رحمهم الله جميعا .

ولم ينته عام ١٩٣١/٣٠ م إلا بحصولى على شهادة الثانوية الازهرية .

من تاريخ التعليم فى الأزهر

وفى عام (١٩٣١) افتتحت الكليات الأزهرية الثلاث (أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية) كنظام جديد للتعليم العالى ، فالتحقت بكلية أصول الدين ، وكنت من طلاب الدفعة الأولى التى التحقت بها فور إنشائها .

وكـان نظام التعليم العـالى قبل عـام (١٩٣١ م) تابعا للجامع الأزهر يتلقى فيه

الطلاب دروسهم داخل الجامع الأزهر بدون تخصص فالطالب يدرس فيه سائر العلوم من (فقه ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، وأدب وأصول) وغيرها من العلوم الأخرى ..

أما نظام الالتحاق بالكليات الثلاث السابقة فيقوم على تخيير طلاب القسم العالى بين البقاء على نظامهم فى التحصيل أو التحاق - من يرغب من ناجحى السنة الأولى إلى السنة الثانية بكلية أصول الدين أو الشريعة ، أما الطلاب الحاصلون على شهادة الثانوية الأزهرية فليس أمامهم إلا الالتحاق بالسنة الأولى فقط بإحدى الكليات الأزهرية الثلاث السابقة .

ومن أساتذتى الذين درّسوا لنا فى سنى الكلية : الشيخ/ عبد المجيد اللبان شيخ معهد الاسكندرية مذ كنت طالبا فيه ، وأول عميد لكلية أصول الدين فور إنشائها ، والذى كانت صلته قوية بالحكومة آنذاك لما يحظى به من احترام وتقدير عظيمين لديها ، باعتباره أحد رجالات ثورة (١٩١٩) ، والشيخ /محمد على سلامة مدرس التوحيد مع الشيخ الألمعى /محمود أبو دقيقة . والشيخ/ محمد شعبان مدرس التفسير ، والشيخ/عبدالعزيز خطاب مدرس البلاغة ، والشيخ / محمد الشافعى الظواهرى مدرس التوحيد بالاشتراك مع الشيخ /سلامة ، والشيخ أبو دقيقة ، والشيخ/ أمين الخولى مدرس الفلسفة مع الدكتور /محمد غلاب ، والشيخ / محمد أبو زهرة مدرس « تاريخ الجدل » الذى كان أنيقا فى كتابه ، وملبسه أيضا - رحمهم الله جميعا ، والدكتور/ على حسن عبد القادر مدرس الأخلاق - أمد الله فى عمره -

وكانت مدة الدراسة بالكلية أربع سنوات حصلت بعدها فى يناير (١٩٣٦ م) على شهادة العالية وكان ترتيبى فيها الحادى عشر ، والثانى بالنسبة للطلاب الجُدد .

ويرجع سر تأخر دفعتى فى الحصول على العالية إلى يناير ١٩٣٦ بدلا من يونية ١٩٣٥ م إلى موقف لاينسى .

موقف لاينسى

فقد قامت ثورة عارمة بالأزهر ، ونحن فى السنة النهائية بالكلية لأسباب من أهمها المطالبة بعودة الشيخ/مصطفى المراغى لمشيخة الأزهر مرة ثانية بعد أن تركها عام (١٩٢٧ م) وعين الملك فؤاد بدلا منه الشيخ /الأحمدى الظواهرى خلفا له .

ولم تنته المظاهرات ، وتعطل الدراسة بالأزهر إلا بعد أن اضطر الملك لتلبية مطالب المتظاهرين بإعادة الشيخ/ المراغى شيخا للأزهر للمرة الثانية فى صيف عام (١٩٣٥ م) .

وأعاد الدراسة ، وامتحنا نحن طلاب السنة الرابعة - فى يناير (١٩٣٦ م) بدلا من يونية ١٩٣٥ لهذا السبب .

سياسة الدراسات العليا وشهادة العالمية

وبعد حصولى على شهادة العالمية بكلية أصول الدين ، افتتح قسم تخصص المادة ، شعبة العقيدة والفلسفة ، فالتحقت بها ، وكانت الدراسة فيها عجيبة الشأن ؛ لأننا كنا ندرس فيها خمس سنوات متواصلة ، تنتهى بامتحان نقل يسمى الامتحان التمهيدى . وهذا الامتحان يمهد للدخول فى مرحلة الإعداد لرسالة (الدكتوراه) فى مدة لاتقل عن سنتين ، وكان من نظام الشعبة الا يزيد عدد طلابها على خمسة طلاب ، ومع ذلك فمن السهل أن تسمع عبارة : لم ينجح أحد فى الدور الأول لصعوبة الامتحان .

وكانت طريقة الامتحان كمايلى : امتحان تحريرى فى المنطق والأخلاق . وامتحان تعيين فى مادة التوحيد ، وذلك على طريقة تحديد موضوع والامتحان فيه وكان من الممكن أن يستمر

←

امتحان التعيين هذا من ثلاث إلى أربع ساعات متواصلة ، ثم تحديد موضوع فى الفلسفة يحضره الطالب ثم يلقيه على اللجنة الممتحنة فى اجتماع علنى للجميع ، ثم يناقش بعد هذه المحاضرة مناقشة علنية .

ولايستحق درجة النجاح إلا من يحصل على درجة (٧٠٪) على الأقل فى كل مادة مماسبق من أجل هذا كان من الصعب جدا نجاح أى طالب من الدور الأول ، وهذا ماحدث لى ولزملائى فى عام (١٩٤٠) ثم دخلنا الامتحان فى العام التالى ، وكنا أربعة زملاء فقط فى شعبة التوحيد والفلسفة ، فنجحت مع الدكتور/ على مصطفى الغرابى ، ثم تبعنا باقى الزملاء فى الأعوام التالية ، وبنجاحى فى امتحان التعيين تفرغت لعمل رسالتى للعالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه » .

واذكر من أعضاء لجنة امتحان التعيين الشيخ /أمين الخولى والشيخ /أبو شوشة أستاذ الفقه بكلية الشريعة ، وكان الشيخ الجبالى أستاذ المنطق رئيسا للجنة - رحمهم الله -

رسالة الدكتوراه

... كان عنوان رسالتى للدكتوراه « الغزالى وقيمة نقده فى الفلسفة » أما المشرف عليها فكان الدكتور/محمد البهى - رحمه الله - ، وقد قمت بنسخ رسالتى ست نسخ - منها نسخة لى - لتوزع على أعضاء اللجنة - وهى رسالة لم تطبع حتى الآن !! - وكان نظام المناقشة كالمعتاد يبدأ بإلقاء الطالب بيانا عن رسالته ، ثم تبدأ المناقشة بعد ذلك ، وأذكر أن المناقشة يومها كانت عنيفة لوجود الشيخ الجبالى عضوا فيها ، مع ماعرف عنه من شدة فى مناقشة الطلبة ، وذلك مع الشيخ /عيسى منون أستاذ التوحيد ، وعميد الكلية بعد ذلك ، والشيخ/ الطيب النجار أستاذ التفسير ، ووالد الدكتور/ محمد الطيب النجار - رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، والشيخ/محمد يوسف موسى أستاذ التاريخ والفلسفة بالكلية ، وأستاذ الشريعة بكلية حقوق عين شمس بعد ذلك ، والدكتور/ البهى مشرفا - رحمهم الله جميعا .

وفى ١٩٤٦/١/٢٧ م حصلت على شهادة العالمية - الدكتوراه - من درجة أستاذ[1] .

التدرج الوظيفى

ومن طلابى فيه الدكتور/ محمود حمدى الزقزوق عميد كلية أصول الدين الآن .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٤ م انتقلت إلى كلية أصول الدين مدرسا بها مع زميل الدراسة منذ الصغر الدكتور /أحمد الكومى ، وإن كان قد سبقنى إلى الكلية بشهور معدودة ، وحصلت على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٦٦ !! على الرغم من حصولى على الدكتوراه وعملى مدرسا بالمعاهد الدينية ثم الكلية منذ عام ١٩٤٦ م .

وفى ٣١/مارس/١٩٧١ م رقيت إلى درجة أستاذ بكلية أصول الدين بأسيوط اسما وظللت كذلك حتى أحلت إلى المعاش عام ١٩٧٥ م ثم عينت بعد ذلك أستاذا متفرغا بقسم العقيدة والفلسفة ، وعضو اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة من قسم العقيدة والفلسفة بالجامعة حتى الآن ، أما عن نظام الترقية على أيامنا - فهو يشبه النظام المعمول به الآن - وإن كان أصعب منه بكثير - فهو يتلخص فى أن يقدم الباحث إنتاجا علميا تلقى القبول ، وتقرة اللجنة الدائمة لترقية أساتذه الجامعة ويتم فى سرية تامة .

---

(١) اطلعت على براءة منح شهادة العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراة - لفضيلة الدكتور /شمس ، والمسجلة بالكلية تحت رقم (٧٧) .. الكاتب .

الاعارات الخارجية

بالنسبة لإعاراتى الخارجية فقد تمت أثناء عملى فى الكلية حيث أعرت إلى الجامعة الإسلامية بليبيا للمرة الأولى عام ١٩٦٤ م كأستاذ للتوحيد والفلسفة حتى عام ١٩٦٩ م وكان من زملائى فى هذه البعثة د /بيصار ، د/على جبر ـ رحمهما الله ، ود/عبد العزيز عبد العال عبيد ـ أمد الله فى عمره ـ ثم أعرت إلى ليبيا المرة الثانية عام ١٩٧١م حتى عام ١٩٧٤م وبعدها أعرت إلى المملكة العربية السعودية لمدة عام بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز المعروفة الآن باسم جامعة أم القرى .

جهوده العلمية ومنهجه فيها

أما عن آثارى العلمية فى مجال الطباعة والنشر فإنها متواضعة ويرجع السبب فى ذلك لإشرافى على العديد من الرسائل الجامعية فضلا عن حضور الكثير من المؤتمرات كمؤتمر السنة عام ١٩٨٧ م ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ، وكذلك لتعدد إعاراتى للخارج .

ومن مؤلفاتى :

١ ـ كتاب تيسير القواعد المنطقية ، وهو كتاب فى المنطق القديم ، وجارى إعادة طبعه .

٢ ـ كتاب محاضرات فى المنطق الحديث ومناهج البحث .

٣ ـ كتاب توضيحات على العقائد .

٤ ـ كتاب محاضرات فى شرح نصوص فلسفية .

٥ ـ كتاب محاضرات فى التوحيد ، والعقيدة والفكر الحديث .

هذا بالإضافة إلى كتابة بعض الأبحاث المتفرقة فى المجلات الدينية .

أما عن الرسائل الجامعية التى أشرفت عليها : فهى تزيد على مائة وعشرين رسالة حتى الآن ، وأذكر أن أول رسالة ناقشتها كانت رسالة ماجستير تدور حول موضوع : تطوير علم الكلام ، وذلك عام ١٩٧١ م للدكتور/ يحيى حسن هاشم فرغلى الأستاذ بكلية أصول دين طنطا الآن .

أما عن آخر الرسائل التى ناقشتها فهما : رسالة دكتوراه بعنوان « العرض بين الفلاسفة والمتكلمين » ، والرسالة الأخرى بعنوان « دفاع الشيخ/ مصطفى صبرى عن الفكر الأشعرى فى العصر الحديث » وهى رسالة دكتوراه مهمة لمدرس مساعد بكلية أصول دين أسيوط واسمه « محمد عبد الحافظ عبده » .

ومن الرسائل المهمة التى أوصت اللجنة المشاركة معى بطبعها لأهميتها رسالة الدكتور/عبد الرحمن النجار ـ رحمه الله ـ وكيل وزارة الأوقاف السابق ـ موضوعها حول « المسلمين فى القرن الأفريقى » وقد أشرفت عليها على الرغم من أنها تتبع لقسم الدعوة ، وكان من أعضاء اللجنة معى أبنائى الدكتور/ الحسينى أبو فرحة ، والدكتور /الحسينى أبو هاشم ـ رحمه الله .

اختياره عضوا بمجمع البحوث الاسلامية

فى الثامن من شوال عام ١٤٠٠ هـ (الثامن من أغسطس عام ١٩٨٠ م) صدر القرار الجمهورى رقم ٤٣٢ لسنة ١٩٨٠ م بتعيينى ضمن اثنى عشر عضوا من الزملاء ـ أعضاء بمجمع البحوث الإسلامية منهم الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ(جاد الحق على جاد الحق ، والدكتور/ أحمد فهمى أبو سنة وغيرهما .

ولقد انشىء المجمع فى عام ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١ م وحل هذا المجمع محل جماعة كبار

←

من أعلام الأزهر

العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى القوانين السابقة .

نصائح للمشتغلين بالعقيدة والفلسفة

ولا يفوتنى أن انصح أبنائى المعيدين الجدد الذين لازالوا على الدرب بالاطلاع المستمر ، والرجوع إلى أساتذتهم فى كل مايعن لهم .

ومن أهم الكتب القديمة ـ فى مجال العقيدة والفلسفة ـ التى انصح بقراءتها : كتاب : «المواقف » للقاضى/عضد الدين الإيجى ، على أن يدرك القارىء أن دراسة الجيد من القديم وحده لاتفى بالغرض ، وكذلك الجيد من الحديث ، لأنه لابد من الجمع بين القديم والحديث معاً ، فمن لا قديم له ، لا جديد له .

ومن الكتب الجيدة القديمة فى مجال التوحيد أيضا كتاب : « المقاصد » لسعد الدين التفتازانى ، وكتاب : « المطالع » للبيضاوى ، وكتاب « الإرشاد » و « الشامل » لإمام الحرمين الجوينى .

ومن الكتب المخطوطة المهمة أيضا التى عملت فيها رسالتان تحت إشراف انصح بقراءة كتاب « أبكار الأفكار » للآمدى .

أما عن أهم الكتب الحديثة فى مجال العقيدة والفلسفة فهى كثيرة وخاصة ماكتبه طلابنا من أساتذة الكلية وكليات أصول الدين بجامعة الأزهر ومن أحسن مايقرأ من الكتب الحديثة المعاصرة « القول المفيد فى علم التوحيد » للشيخ/محمود أبو دقيقة ـ رحمه الله ـ وكتابى « مقارنة الأديان ، وتاريخ الجدل » للمرحوم الشيخ /محمد أبو زهرة ، فهو يؤرخ فى كتابه الأخير منهما للمناظرات التى كانت تجرى بين أهل الفرق المختلفة فى العقائد والفقه وغيره ، وبالكتاب صور ونماذج لهذه المناظرات ، والحقيقة يعد كل من كتب بعد الشيخ / أبى زهرة فى هذا المجال رداً وعولا ، اضف إلى هذا مواقفة الشجاعة وخاصة موقفه من أحد رؤساء العرب عام ١٩٧٢ م الذى رفض الشيخ بشدة ـ وهو ضيف فى بلاده ـ ما اقترحه مخالفا للشريعة الإسلامية رحمه الله كان شجاعا لايخاف فى الحق لومة لائم .

من مظاهر التقدير

من مظاهر التقدير التى حظيت بها أننى حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر عام ١٩٧٣ م (٢) .

★ أمنية الشيخ :

اتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يظل الأزهر كعبة للمسلمين جميعا ، كما أتمنى أن ينشط أعضاء قسم العقيدة والفلسفة بالجامعة فى دراسة القديم والحديث والمزاوجة بينهما حتى يكون لهذا القسم القيمة الكبرى باعتباره القسم الباحث فى العلوم العقلية التى من شأنها تربية ملكة التفكير السليم وذلك كله خدمة للعلم والدين .

وأتمنى ـ أيضا ـ لمصرنا العزيزة أن يحميها الله ـ سبحانه وتعالى ـ من المبادىء الهدامة ، وأن يوفق الله المسئولين إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية حتى ينطبق على مصر أنها بلد إسلامي دينه الرسمى الإسلام عقيدة وعملا . والله الموفق والمستعان .

---

(٢)اطلعت على براءة الوسام الذى منحه السيد الرئيس مبارك للدكتور/ شمس ، والموقع عليه بتاريخ ١٥/مارس/١٩٨٣ م .. الكاتب .

العلوم الكونية

الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة

أمراض المفاصل وإصاباتها

الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة

أ. د. أحمد فؤاد باشا

يتحدثون الآن فى دنيا العلم و « التقنية » - كما فى دنيا البشر - عن تعاقب الاجيال المختلفة من الاكتشافات والمخترعات ، وازدياد تطورها خلال السنوات الاخيرة بمعدلات لا عهد لنا بها من قبل .

وإذا كانت اجيال « التقنيات » القديمة قد احدثت ثورة هائلة وتغييراً جوهرياً فى مظاهر حياتنا المختلفة ، فإن الأجيال الجديدة والقادمة يتوقع لها أن تحدث اثراً اقوى واخطر فى بنية المجتمع البشرى باسره ، وسوف نعرض هنا لهذه القضية الهامة بالحديث عن بعض « التقنيات » المتقدمة - على سبيل المثال لا الحصر - متمثلة فى اجيال الحاسبات والمجاهر والموصلات الفائقة .

(ا) اجيال الحاسبات الالكترونية :

من المتعارف عليه أن كل إنجاز تقنى يمر فى دورة حياته - منذ ولادته واختبار صلاحيته على أيدى الباحثين والمخترعين - بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحاً للاستخدام على نطاق واسع ، حيث يأخذ فى الانتشار تدريجياً إلى أن يشكل ظاهرة شعبية يتفاعل معها أفراد المجتمع بصورة مباشرة ، ثم يأخذ بعد ذلك فى التراجع والإنحسار حتى يتقادم ويندثر بعد أن تكون هناك تقنية جديدة ارقى وافضل قد حلت محله . ويمكن ملاحظة هذه المراحل التى يطلق عليها اسم « موجات التقنية » Waves of technology فى العديد من التقنيات السائدة حاليا كالراديو والتليفزيون والسيارة وغيرها .

وقد انضمت الحاسبات الشخصية -person al Computers إلى التقنيات الآخذة فى الانتشار بعد ان اصبح امتلاكها فى متناول الملايين من الناس واصبحنا نعيش ما يسمى بعصر المعلومات والمعلوماتية . Informatics .

وبالنسبة للحاسبات الالكترونية التى شهدت تطوراً سريعاً منذ ظهورها لأول مرة فى منتصف

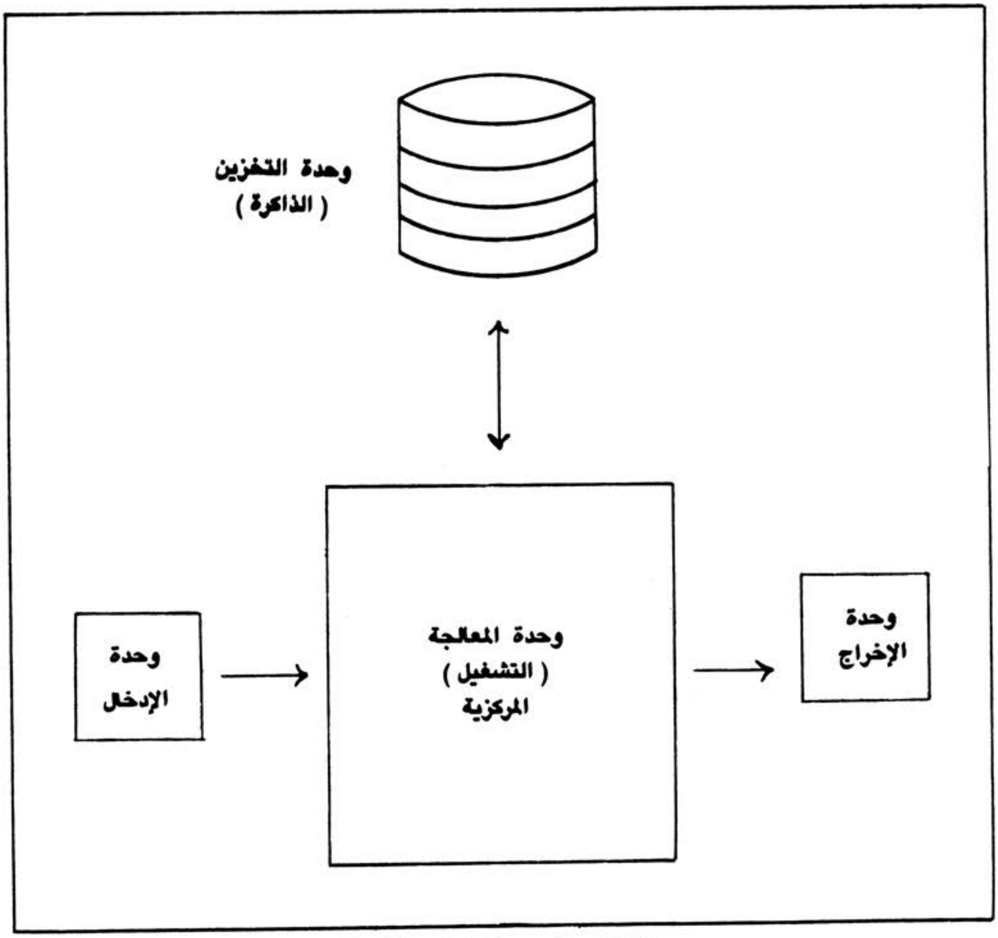

رسم تخطيطي يوضح وحدات الحاسب الرئيسية

العقد الخامس من هذا القرن فإنها تنقسم عادة إلى الأجيال الآتية :

١ - **الجيل الأول** : الذى بدأ بأول تصميم منطقى لحاسب الكترونى وضعه عالم الرياضيات فون نيومان John Von Neumann فى عام ١٩٤٥ وفقاً لمبدأ التسلسل أو التعاقب فى المعالجة Sequential Processing حيث لا يبدأ الحاسب فى تنفيذ أمر جديد إلا بعد الانتهاء تماماً من تنفيذ الأمر السابق .

وقد أفاد العالمان الأمريكيان إيكارت J.P. Echert وموشلى J.W. Mauchly من افكار فون نيومان واستطاعا فى عام ١٩٤٦ أن يطورا اول اجهزة هذا الجيل المعروف باسم « إنياك » ENIAC[1] .

ولما كانت أجهزة الجيل الأول تعتمد فى بنائها

(١) هذه هي الحروف الاولى من اسم الجهاز باللغة الانجليزية : Electronic Numerical Integrator and Calculator ويعنى « جهاز الحساب والتكامل الالكتروني الرقمي » .

الأجيال الجديدة

على الصمامات المفرغة التى كانت مألوفة آنذاك فى أجهزة الراديو القديمة ، فإنها كانت عرضة لأعطال كثيرة بسبب ما تحتاجه من طاقة كهربية عالية ، وما تشعه من طاقة حرارية كبيرة ، فضلاً عما تشغله من حيز كبير وما تستنفده من جهد ومال .

٢ ـ **الجيل الثانى** : وفيه حلت « الترانزستورات » محل الصمامات المفرغة ، فتميزت حاسباته بصغر حجمها وانخفاض كلفتها وقلة استهلاكها للطاقة ، وزادت قدرتها على معالجة المعطيات وسعتها لتخزين البيانات ، مئات الألوف من المرات . وقد ظهر هذا الجيل فى عام ١٩٥٩ مع بدء مسيرة التطور النوعى فى تقنية الالكترونيات الدقيقة Micro -electro-nics .

٣ ـ **الجيل الثالث** الذى اعتمد على تقنية الدوائر المتكاملة Integrated Circuits وهى ثمرة تطور علم الالكترونيات Electronics وعلم أشباه الموصلات Semiconductors ، وتصنع من شرائح السيليكون النقى التى يُصفّ عليها مئات الترانزستورات وتعتبر الدوائر الالكترونية المتكاملة سمة العصر الحديث لأهميتها فى تطور المدنية المعاصرة فبفضل هذا الإنجاز العلمى أمكن اختزال حجم الأجهزة الالكترونية المختلفة بحيث وصل ببعضها من حجم « الثلاجة » إلى حجم « علبة الكبريت » . وقد تميزت أجهزة هذا الجيل من الحاسبات بأنها وجّهت التفكير نحو استخدام الاسطوانات المغناطيسية فى التخزين وأدت إلى ظهور الحاسبات الصغيرة Mini computers

٤ ـ **الجيل الرابع** ، وهو النوع السائد اليوم منذ ظهوره فى أوائل السبعينيات ، وقد تحقق بفضل تقدم تقنية التكامل المكثف Large Scale integration الذى تحمل فيه رقاقة من السيليكون فى مساحة ظفر طفل صغير عشرات الألوف من الترانزستورات ووحدات التحويل الدقيقة . وكان هذا التطور الهام على موعد مع إنجازين خطيرين هما : المعالج الدقيق Microprocessor وذاكرة أشباه الموصلات Semiconductormemory

أما الأول فهو دائرة متكاملة تحتل كل وحدات المعالجة المركزية والمنطق والحساب ، التى يتكون منها جوهر الحاسب الالكترونى ، بينما يستكمل الثانى المكونات المطلوبة بتوفيره احتياجات الحاسب من الذاكرة التى تختزن المعطيات والنتائج . وقد تحقق الجمع بين هذين الإنجازين فى جهاز الحاسب الدقيق Micro computer الذى ينتشر اليوم ، فى كل واحد من أنشطة الحياة اليومية وفى كل مكان ، بسرعة انتشار النار فى الهشيم(٢) .

وهكذا نرى أهمية الآثار التى أحدثتها ثورة الالكترونيات الدقيقة فى تطور أجيال الحاسبات الالكترونية وتمكينها من إنجاز العمليات الموكلة إليها لحل مختلف مشاكل الإنسان العلمية والاجتماعية والاقتصادية بسرعة هائلة . فقد

(٢) راجع فى ذلك مقال د . أسامة الخولي بعنوان « الحاسوب .. هذا الطفل الذى ولد كبيراً » ، عالم الفكر ، مجلد ١٨ ، عدد ٣ ، أكتوبر ١٩٨٧ ، ومن الجدير بالذكر أن ثورة الحاسب الدقيق « المايكروكومبيوتر » لن تنتشر إلا مع ظهور جهاز آي بي إم الشخصي (IBM PC) عام ١٩٨١ ، والذى وفر مزايا لم تكن معروفة فى الأجهزة الكبيرة أو الصغيرة .

أصبحت الحاجة ملحة لوجود حاسبات تنفذ آلاف الملايين من العمليات فى الثانية الواحدة فى ميادين متنوعة تتفاوت بين تصميم الطائرات والصواريخ وإدارة حركتها ، ودراسة المعالم الجيولوجية ، وحركات الكواكب ، والارصاد الجوية ، وعلم الأحياء والوراثة والسلالات البشرية .. إلى غير ذلك من التطبيقات الشاملة Generic applications والدراسات والأبحاث التى تتناولها فروع العلم المختلفة .

وقد دفعت هذه الحاجة الملحة لوجود حاسبات عملاقة Super computers أو حاسبات فائقة Hyper computers بالباحثين إلى تصور طريقة معالجة جديدة تنقصه مبدأ فون نيومان القائم على تسلسل العمليات وتحقق معالجة متوازية Parallel Processing لجميع العمليات المطلوبة فى آن واحد . وتتوقف قدرة وسرعة هذه الحاسبات على عدد العمليات المطلوب تنفيذها تزامنيا تبعاً لمنطق التوازى ، ويتوقع لها أن تفتح آفاقا جديدة لميادين علمية هامة فى مجالات الطاقة النووية وحركة جزيئات المادة وتركيب المجرات ومعالجة الصور المأخوذة عن الأقمار الصناعية وغيرها .

ويرى المحللون لتقدم تقنية الحاسبات أنها تتخذ الآن مساراً جديداً عن طريق التطورات السريعة التى تحدث فى معدات الحاسب Hard-ware والبرمجيات Software[٣] . ذلك أن تصغير حجم Miniaturization المكونات الالكترونية يعتبر عاملاً أساسيا فى انخفاض تكلفة الحاسب ، بالإضافة إلى انه كلما قل حجم الترانزستورات أو العناصر الأخرى المصفوفة على رقائق السيليكون ، فإن زيادة طردية تحدث فى سرعة التشغيل وفى عدد العناصر الموجودة فى وحدة المساحة من الرقاقة ، ومن المتوقع أن تستمر عملية تصغير الحجم بمعدلها الراهن الذى يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ بالمائة سنويا لمدة عقدين آخرين تقريبا ، بفضل ما يلقاه هذا التوجه من تعزيز نتيجة تحسينات هندسية صعبة ، ولكنها ممكنة .

من ناحية أخرى ، تظهر بعض الدراسات الحديثة أن المعدل الذى يمكن به تطوير البرمجيات وتعميمها هو الذى سيحدد فى نهاية الأمر سرعة تغلغل نظم الحاسبات ومدى تأثيرها فى المشاريع الصناعية والمشاريع المتعلقة بالخدمات والاقتصاد . وتؤكد هذه الدراسات أن تقنية الحاسبات سوف تصبح عما قريب أداة فكرية واسعة الانتشار وستضاهى الهاتف « التليفون » انتشارا فى نهاية الأمر ، وسوف تؤدى وحدات الربط البصرية Visual inter-faces وغيرها من وحدات الربط الطبيعية إلى تيسير استخدام الحاسبات عن طريق شبكة عالية القدرة بوسعها أن تربط بين أية مجموعة من الأطباء يحاولون التعرف على تشخيص صعب ، أو مجموعة من المستثمرين يضعون تخطيطا لإحدى الصفقات ، أو مجموعة من

(٣) يطلق على المكونات الطبيعية لنظام الحاسب اسم Hardware وهي المعدات التى يمكن أن نراها ونلمسها وتشمل : وحدة الإدخال التى يدخل المستخدم عن طريقها برامجه وبياناته إلى الحاسب ومثالها المألوف هي لوحة المفاتيح ، ووحدة الذاكرة التى تحتوي على تعليمات البرامج ، كما تحتوي على البيانات الداخلة أو المرحلية أو الخارجة ، ووحدة التشغيل المركزية التى تقوم بتنفيذ البرامج المخزّنة فى وحدة الذاكرة ، ووحدة الإخراج التى يخرج الحاسب عن طريقها النتائج المطلوبة ، وتمثل وحدة الطباعة وحدة إخراج كما تمثل الشاشة وحدة إدخال وإخراج . أما كلمة البرمجيات Software فتطلق على كل أنواع البرامج المصاحبة لنظام الحاسب .

الأجيال الجديدة

الفيزيائيين الفلكيين يصممون نموذجاً لما يسمونه تطوير الكون ، أو مجموعة من مهندسى ملاحة جوية يصممون مركبة فضائية جديدة ، أو طلابا يدرسون لتأدية اختبار ما ، أو مؤتمرين يتحاورون عن بعد لاتخاذ قرار او توصيات بشان قضية ما ، أو ما إلى ذلك(٤) .

٥ ـ **الجيل الخامس** ، وهو مشروع طموح بدأه اليابانيون فى عام ١٩٨٢ بإنشاء مركز أبحاث خاص يرأسه الدكتور فوتشى K. Fuchi لتطوير حاسبات الذكاء الاصطناعى Artificial intelli-gence . ويخطط العلماء لهذه الحاسبات بحيث تحقق تغييرات كمية فى السرعة والقدرة والاستنتاج المنطقى ، ويكون بإمكانها القدرة على التعلم وعمل الاستنتاجات واتخاذ القرارات . ويهدف تطوير هذا الجيل إلى جعل الأنواع الذكية قادرة على مناظرة الإنسان بلغاته القومية وفهم الكلام والصور ، والتصرف بالطرق التى نعتبرها جزءاً شاملاً من التفكير المنطقى المؤدى إلى استنتاجات العقل البشرى(٥) .

ومهما يكن من أمر هذا الجيل العجيب وتفاؤل المبشرين به ، فإن هناك نقاطا أساسية سوف تثار دائما عند الحديث عن الحاسبات الذكية فى صورة تساؤلات ، هى : كيف يمكن للحاسب الذكى أن يفكر ويدرك كما يدرك الإنسان ويفكر ؟ وهل يتوافر فى الحاسب الذكى القدرة على الابتكار والأصالة اللازمين للتفكير ؟ وحتى مع قدرة الحاسب على السلوك الذكى ، كيف يتصرف بطريقة كما لو كان أمامه أمثلة حية ؟ ، وماذا يفعل عندما يكون التصرف الأصح هو عدم القيام بعمل معين ؟ ! لكن الخبراء فى أى مجال لا يملّون من تنبؤاتهم فى شأن المستقبل ، وتوقعاتهم المسرفة فى التفاؤل ، والتى يصل بعضها إلى حدّ الخيال الجامح . ومن يدرى ؟ فربما يطلع علينا قريبا من يتنبأ بجيل سادس لم تخطر صفاته بعد على خاطر أحد !! ...(٦) .

احمد فؤاد باشا

---

(٤) راجع مقال ا . بليد عن « الجيل القادم من الحواسب » ، مجلة العلوم ، ع ٧ ، الكويت ١٩٨٩ .

(٥) راجع فى ذلك كتاب :

E.A.Feigenbaum & Mc Corduck : The Fifth Generation : Artificial In Telligence and Japan's Computer Challenge to the World, Addison Wesley, 1983.

ويمكن الاطلاع على تعريف بهذا الكتاب فى مجلة عالم الفكر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧

(٦) بعد الانتهاء من إعداد هذا المقال طالعت مقالاً عن محاضرة القاها ا . اربيب عن تصور لجيل سادس من الحاسبات القادرة على التفكير والحدس ومحاكاة الدماغ استناداً إلى تصميم شبكة اعصاب اصطناعية . راجع تلخيص هذه المحاضرة فى العدد ١٨ (١٩٨٩) من مجلة آفاق علمية ، إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، الأردن .

دراسة فى الطب

أمراض وإصابات المفاصل

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد مزيد

امراض العظام والمفاصل اصبحت منتشرة بين كثير من الناس فى مختلف الاعمار، وزاد منها استخدام الإنسان للوسائل الحديثة مثل السيارات فى التنقل وقلة المشى بصفة عامة، والجلوس الطويل امام «التليفزيون» فى أوضاع غير سليمة، مع تحسن مستوى التغذية، والترف وزيادة الإقبال على الطعام بصفة عامة مما يزيد من وزن الجسم ويحد من قدرة الإنسان على مزاولة الرياضات المختلفة، ويقلل من نشاطاته وحركته تلك التى تعتبر ضرورة لاستهلاك السعرات الحرارية التى تتجمع بالجسم بعد استهلاك كمية زائدة من الحاجة الضرورية للإنسان.

وتنقسم امراض المفاصل والعظام إلى مجموعات متعددة منها على سبيل المثال:

اولا: امراض المفاصل الطرفية:

أى مفاصل الطرفين العلويين والسفليين واليدين والقدمين.

وهذه تشمل أولا:

١ ـ التهابات المفاصل نتيجة «للروماتويد» المفصلى.

٢ ـ التهابات الغضاريف المكونة لسطح المفصل وتسمى الالتهاب العظمى الغضروفى.

٣ ـ الالتهابات المفصلية الناتجة عن درن المفاصل.

٤ ـ الالتهابات المفصلية الصديدية.

٥ ـ التهابات المفاصل الناتجة عن ترسيبات كيماوية تحت سطح الغضروف المكون للمفصل ـ وخلاله.

٦ ـ تلف سطح المفصل العظمى الغضروفى الناتج عن قصور الدورة الدموية بالعظام المكونة للمفصل.

٧ ـ التهابات المفاصل نتيجة لأمراض الدم «هيموفيليا» وهذه أكثر شيوعا فى الذكور، وفى السن الصغيرة.

٨ ـ التورم بالغشاء المبطن لسطح المفصل.

←

● الكاتب: أستاذ جراحات العظام والمفاصل والعمود الفقرى بطب (عين شمس).

ثانيا : إصابات المفاصل :

تحدث الإصابات تلفا للمفاصل الكبرى والمتوسطة للأطراف سواء العليا أو السفلى منها وذلك للأسباب الآتية :

(أ) تمزق الأربطة التى تحيط بالمفصل وتتلاحم مع بعضها مكونة محفظة المفصل .

(ب) كسر بأعلى العظام المكونة للمفصل ويمتد الكسر إلى داخل المفصل حتى يشمل سطح الغضروف المكون للمفصل .

(جـ) انفصال جزء من عظم المفصل المتصل بأحد الأربطة الداخلية للمفصل .

(د) كسر غضروف عظمى بسطح المفصل وينتج عنه انفصال جزء من العظم والغضروف بسطح المفصل ويكون الجسم السائب داخل المفصل ولهذا الجسم مشاكله الخاصة .

(هـ) الارتشاح الدموى الشديد وتجمع الدم داخل المفصل نتيجة لتهتك الغشاء المبطن للمفصل بالإصابة الشديدة أو السقوط على أحد المفاصل ، وهذا أكثر شيوعا بمفصل الركبة خاصة عند الشباب فى الملاعب .

اعراض الالتهاب المفصلى :

أولا : الألم .

ثانيا : فقد الوظيفة أى عدم القدرة على استخدام المفصل فى الحركة ، والوقوف والمشى بصورة طبيعية .

ثالثا : إحمرار سطح المفصل وتورمه .

رابعا : تشوه المفصل حيث ينثنى فى اتجاه محدد نتيجة لتيبس العضلات وتشنجها فى وضع يسمح بتجميع أكبر كمية من السائل الناتج عن الالتهابات المفصلية داخل محفظة المفصل .

خامسا : تورم الغدد اللمفاوية أعلى المفصل المصاب بمنطقة «الورك» بالطرف السفلى ، والإبط بالطرف العلوى .

سادسا : تغيرات فى الدم ونسبة الكرات الدموية إلى بعضها ، وكذلك سرعة الترسيب ، ووجود الميكروبات بأنواعها المختلفة فى بعض الحالات .

سابعا : دراسة التغيرات الكيماوية بالجسم وتركيز «انزيمات» خاصة بالتمثيل الغذائى لبعض المكونات العضوية كالبروتينات بالجسم ، أو المواد غير العضوية مثل حمض البوليك والفوسفور وخلافه تساعد فى تشخيص حالات كثيرة من أمراض المفاصل .

كيفية تشخيص امراض وإصابات المفاصل :

أولا : التشخيص الشعاعى :

١ ـ تستخدم الأشعة السينية X - Ray لتشخيص أمراض المفاصل حيث إن الأمراض المختلفة تترك بصمتها بالمفصل والعظام المحيطة به ، وتختلف الصورة فى حالة الالتهابات الصديدية عنها فى حالة الالتهابات الدرنية «السل العظمى» أو «الروماتويد» المزمن ، أو الالتهابات الناتجة عن اختلال التمثيل الغذائى لأحد البروتينات أو المواد غير العضوية ، وهذه يحددها ويميز بينها الطبيب المتخصص فى أمراض المفاصل والعظام ، وتساعد كثيراً فى التشخيص والعلاج .

(ب) الأشعة المقطعية بالكمبيوتر :

تساعد فى دقة التشخيص لبعض حالات التهابات وأورام المفاصل وإصابات غضاريف المفاصل .

(جـ) الأشعة بالرنين المغناطيسى :

وهذه ترسم صورة تشريحية للمفصل والأنسجة المحيطة به ، وتعتبر آخر ما توصل إليه العلم الحديث فى مجال التصوير الشعاعى للجسم فى أجزائه المختلفة .

(د) استخدام المواد الملونة للمفصل مع التصوير لأجزاء المفصل الداخلية «Arthrography» :

كانت هذه الوسيلة تستخدم لإيضاح المكونات الداخلية للمفصل مثل الغضروف الهلالى بصفة خاصة ، أو أكياس حول المفصل ، وقل استخدامها بعد ظهور الأشعة المقطعية والتصوير بالرنين المغناطيسى .

ثانيا : المناظير :

(أ) كوسيلة تشخيص دقيقة وهامة :

وهذه الوسيلة تعتبر انتصاراً علمياً حديثاً حيث يمكن التشخيص الدقيق جداً بالمنظار الضوئى وفحص ودراسة جميع مكونات المفصل من الداخل ورؤيتها بالعين وهذا يحتاج لتدريب عملى على استخدام المناظير الضوئية حتى تزداد دقة التشخيص ، ويمكن أخذ عينة من أغشية المفصل والسوائل الداخلية .

(ب) كوسيلة علاج جراحى محدد :

يمكننا باستخدام المنظار الضوئى علاج حالات كثيرة داخل المفصل ، مثل :

– استئصال جزء منفصل من الغضروف الهلالى – استخراج جسم عظمى – أو غضروفى سائب داخل المفصل .

– تفكيك الالتهابات الداخلية بالمفصل والتى تحد من حركة المفصل وتحدث صوتا أثناء المشى مما يسبب قلقا زائداً لبعض المرضى .

– يساعد المنظار فى جراحات توصيل الأربطة المتمزقة داخل المفصل .

– يساعد المنظار فى تركيب الرباط الصليبى الصناعى عوضا عن الرباط المتمزق وهذه تهم لاعبى الكرة بدرجة كبيرة ولقد تم لى معالجة مئات الحالات جراحيا وشملت هذه الحالات أنواع الالتهابات المختلفة بأنواعها المتقدم شرحها وباختصار شديد حيث لا تسمح المساحة بمزيد من الإيضاح .

وتختلف الجراحات حسب نوع الالتهاب ودرجة تأثر المفصل به وعمر المريض ، وقد عولجت بعض الحالات بالمفاصل الصناعية الاستبدالية .

وحالات أخرى بالتثبيت الكامل للمفصل وحالات بإصلاح التشوه المفصلى .

وحالات احتاجت إطالة العضلات والأوتار أو نقلها من جهة إلى جهة أخرى حول المفصل .

وفى حالات الإصابة :

تم بنجاح كبير علاج إصابات المفاصل باستخدام شرائح خاصة ومسامير خاصة للكسور داخل المفصل وحوله .

– وإعادة توصيل أربطة داخل المفصل وحول المفصل .

– واستخدام الأربطة الصناعية الحديثة للتعويض عن تلف أو تمزق أحد الأربطة الصليبية داخل المفصل .

– وتركيب المفصل الصناعى النصفى أو المفصل الكامل لإصلاح التلف الجزئى أو الكامل لأحد المفاصل .

وبالله التوفيق ..

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الذى يعادى نعم الله

قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه : لا تعادوا نعم الله ـ عز وجل ـ

قيل : ومن يعادى نعم الله ؟

قال : « الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .

نصيحة

نظر أبو أمامة الباهلى إلى رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى .

فقال : نعم الرجل أنت لو كان هذا فى بيتك !!

هذا

لدغ العقارب لم يكن لعداوة
لكن للؤم تقتضيه طباعها

رءوس النعم

كان أبو يوسف القاضى ـ صاحب أبى حنيفة يقول : رءوس النعم ثلاثة :

أولها : نعمة الإسلام التى لا تتم النعم إلا بها .

والثانية : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها .

والثالثة : نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها .

أنت حر لوجه الله

قال بعض البخلاء لغلامه : هات الطعام وأغلق الباب .

قال : يامولاى ليس هذا حزما بل أغلق الباب أولا ، وأقدم الطعام ثانيا .

فقال له : اذهب فأنت حر لوجه الله ـ تعالى ـ لعلمك بأسباب الحزم .

للامام على ـ رضى الله عنه

● ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن منه نية الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله .

● ترك الذنب أهون من طلب التوبة .

- السخاء ما كان ابتداء ، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم .
- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .
- أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله .
- لكل امرىء في ماله شريكان : الوارث والحوادث .

حقائق

كان الناس يراءون بما يفعلون لا بما يقولون ، فصاروا يراءون بما يقولون ولا يفعلون .
ثم صاروا يراءون بما لا يقولون ولا يفعلون .

مرارة تحميل الجميل

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - :

لا تحملن لمن يمن — من الأنام عليك منة
واختر لنفسك حظها — واصبر فإن الصبر جُنَّة
منن الرجال على القلو — ب أشد من وقع الأسنة

« هكذا كانوا »

سأل عمر بن عبد العزيز ابن أبي سليكة عن عبد الله بن الزبير :

فقال : ما رأيت نفساً أثبت من نفسه ، لقد مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره ، فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ، ولا ركع دون الركوع .

فوائد الحد من الشره

صفاء الذات ، رقة القلب ، انكسار النفس ، تذكر أهل البلاء والحاجة ، كسر شهوات المعاصي ، دفع النوم ، التفرغ للعبادة ، صحة البدن ، خفة المؤونة ، التمكن من الإيثار .

« وصية »

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه :

يابني ازحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك وابق فضول كسبك لآخرتك . ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلًّا ، وصم صوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم صوماً يضر بصلاتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ، وكن كالأب لليتيم ، ولا تحاب القريب ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجهين البتة .

الزهد والورع

قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : الزهد : ترك ما لا ينفع في الآخرة .
والورع : ترك ما تخاف ضرره في الآخرة .
قال ابن القيم : وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها .

دعاء

« اللهم لا ترزقني رزقا يطغيني ، ولا تبتليني بفقر يضنيني ، وأعطني في الآخرة حظا وافرا ، وفي الدنيا معاشا واسعا » .

ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ / محمد فريد وجدى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

إنه ليوم مبارك الطلعة ميمون العودة ، ثرٌ بالجهاد ، عامر بمكارم الاخلاق ، زاخر بالبطولات ، يذكر المسلمين بنصر عقيدتهم ، وإشعاعها فى كل مكان ، فكانوا بحق خير امة اخرجت للناس ، وإنهم لكذلك ما مارسوا اوامر دينهم ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

قال الكاتب ـ رحمه الله :

إن فاتحة كل عام من أعوام السنة القمرية تثير فى نفوسنا ذكرى الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة المنورة ، وتثير معها ذكريات أخرى لآيات وعبر تزداد على مر الأحقاب عظمة ، وتكسب على نسبة تقدم العلوم وتتابع الحوادث جلالا وروعة .

لما شرف الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ برسالته إلى الناس كافة ، اخذ يدعو إلى الإسلام سراً ، فاتخذ دار الأرقم بن أبى الأرقم للاجتماع فيهابمن يؤمن به ، فكان يوافيه السابقون إلى قبول دعوته ، فيبلغهم ما ينزله الله عليه من الوحى .

لبث على تلك الحال مدة ، ثم أمره الله أن يدعو إلى دينه عشيرته الأقربين ، وهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو نوفل وبنو عبدشمس ، فدعاهم إليه وبشرهم وانذرهم . فرد عليه جمهورهم بكلام لين إلا عمه أبا لهب ، فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب ، فإن أسلمتموه ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم . فقال عمه أبوطالب : والله لنمنعنه ما بقينا ، وانصرف الجمع .

ثم أمر الله رسوله بأن يدعو الناس كافة واعداً إياه بأن يحفظه من كيد الكائدين فانزل عليه قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

فاضطلع ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما حمله ربه من أعباء الرسالة أحسن اضطلاع ، فلم يدع وسيلة إلا قام بها ، فأغضب ذلك قريشا وهى قبيلته التى يعتزى إليها ، فشرعت فى صده عما

هو فيه من طريق المحاسنة أولاً ، ثم بالإغراء بالمال والجاه ثانياً ، فلما لم يرفع بمسوّلاتها رأساً ، ولم يقم لها وزناً ، عمدت إلى الاستهزاء به والتشنيع عليه ، ثم إلى اضطهاده واضطهاد الذين اتبعوه ، واستهترت فى ذلك بما أملته عليها جاهليتها .

فلما اشتد على المسلمين الأمر ، وضاق عليهم الخناق ، أذن الله لهم فى التفرق فى الأرض هرباً بدينهم ، وأشار عليهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهجرة إلى الحبشة ، فخرجوا ولم يبق مع رسول الله إلا القليل .

فى هذه الأثناء أسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً شديداً مهيباً ، فكسب المسلمون بإسلامه قوة .

فخاف المشركون أن يفلت الأمر من أيديهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يعتمدوا على أقسى الوسائل فى قمع حركتهم ، فرأوا أن يطلبوا إلى عشيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم من ذكرنا آنفا ، أن يسلموه لهم ، فلما أبوا عليهم ذلك قرروا مقاطعتهم ، واجتمع قادتهم وكتبوا عهدا بذلك ووضعوه فى جوف الكعبة ، فرأى عشيرته أن ينتقلوا إلى شعب أبى طالب ، فدخلوه جميعاً ، وبقوا فيه ثلاث سنين حتى نفدت أقواتهم وأكلوا ورق الشجر فلما رأى النبى ﷺ ماحل بأصحابه وعشيرته أمرهم بأن يهاجروا إلى الحبشة ثانية ، فهاجر منهم إليها ثلاثة وثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة ، فأرسلت قريش وراءهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليكيدوا لهم كيداً عند النجاشى ، فلم يرفع بسعايتهم رأساً .

ولما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالشعب مع عشيرته ، وصل إلى مكة وفد من نصارى نجران باليمن ، فلما رأوا أمارات النبوة عليه وما يتحمله من الشدة فى سبيل الدعوة إلى دينه ، أدركوا أنه رسول الله حقاً فآمنوا به ، وكان عددهم عشرين رجلاً ، ورجعوا إلى قومهم .

فلما نمى إلى قريش أن رجالاً من أهل المدينة اتصلوا سراً بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآمنوا على يده وأخذوا يدعون قومهم للإيمان به ، وأن المسلمين شرعوا يهاجرون إليهم زرافات ووحدانا ، سراً وعلانية ، أدرك القرشيون أن الساعة قد أزفت لتنفيذ ماأضمروه من قتل رسول الله وتفريق دمه فى قبائلهم ، فأوحى الله إليه بما بيتوه له من الشر ، وأمره أن يهاجر إلى المدينة . فصدع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمر ربه ، وخرج إليها هو وأبو بكر ليلاً ، فلما أدركهما الصبح اختفيا بغار موحش فى الطريق ، موقنين أن المشركين سيتعقبونهما ، ولما أمنا الطلب خرجا منه وتابعا طريقهما حتى وصلا إلى المدينة ، فاستقبلهما أهلها باحتفاء عظيم ، وكان الإسلام قد استبحر فيها ، فاتخذها ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقراً لدعوته ، وجعل أهلها أنصاراً له ، وقبلوا هم أن يدافعوا عنه بأموالهم وأرواحهم من يقصده بسوء ولو تألب عليه العالم كله .

هذه حوادث فذة فى تاريخ الإنسانية لا يجوز إغفال النظر فيها ، وبخاصة تحت ضوء العلوم الاجتماعية ، فقد أبانت نواحى إذا جليت تجلت منها آيات بينات تستصغر بجانبها أكبر حوادث التاريخ ، وتصبح من أقوى الأدلة على صحة الرسالة المحمدية ، ونحن نبينها فى ثلاثة فصول :

(**أولها**) : ظهور دعوة عامة للأمم كافة ، من بيئة لم تنضج بعد حتى لدعوة خاصة .

(**ثانيها**) : تطوع طائفة لا يزيد عددها على بضعة ألوف للدفاع عنها حيال العالم كله ونجاحها فى ذلك .

←

من روائع الماضي

(ثالثها) : تحقق ما وعد به الكتاب الكريم

هذه الطائفة من النصر ومن تبوؤ خلافة الله فى الأرض .

فيحسن بنا أن نتولى النظر فى هذه الآيات الثلاث ، فنقول :

نجاح دعوة عامة فى بيئة لم تنضج لدعوة خاصة :

قرر العلم الاجتماعى أن المجتمعات أول ما تنشأ تكون على حالة قبائل ، متعددة متباينة فى الأخلاق والعادات ، فتبقى على ما هى عليه قرونا حتى يحدث لها بفعل عوامل التطور ما يدفعها إلى التوحد ، فتنشأ منها أمة ساذجة ، فلا تزال تعركها الحوادث ، وتقوِّم من أودها ، وتقوى من روابطها ، قروناً أخرى حتى تصير أمة مستحصدة العرى ، قوية البنية ، تصلح للكفاح والغلب . وعلى هذا الترتيب التدريجى تظهر فيها المبادىء والأصول الأدبية ، فلم يشاهد قط أمة تتكون تكوناً فجائياً على أكمل ما تكون قوة وصلابة ، ولا أمة كانت مجردة من المبادىء والأصول ، تنهض بغتة لتملى على العالم أرفع الأصول وأكمل المبادىء ، وتنجح فى ذلك نجاحاً لا مرمى بعده فى سنين معدودة .

العالم كله يعلم أن العرب كانوا على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مثل ما كانوا عليه منذ أجيال كثيرة : قبائل متفرقة ، وأوزاعا متنافرة ، لا يوحد كلمتهم دين ، ولا تضم نشرهم جامعة ، وكانت بينهم حروب متوارثة ، وإحن وثارات قائمة على اعتبارات جاهلية موبقة ، عاشوا كل تلك الأجيال على هذه الحال معتبرين ما كانوا فيه من مفاخرهم . لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، ولا لتحديد وجهتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكن فى طبيعة بلادهم ، وقحولة بيئتهم ، ما يضطرهم إلى حياة مشتركة تعم جنسهم كله . لم يكونوا وهم فى أمية مطبقة ليتأثروا بحاجات عقلية تدعوهم للنظر ، وتجبرهم على التفكير ، ثم تحفزهم إلى تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أرسل إليهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهدى ودين الحق ، أنكروه ولكن أى إنكار ، وثاروا عليه ولكن أية ثورة ، فرموا رسول الله بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، بل بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الإسلامية فقال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ . . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً . إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ

الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ .

فكان الحق جل وعلا وهم فى موقفهم هذا يداول لهم بين الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، ويضرب لهم الأمثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ؛ فلم يزدادوا إلا عتوا واستكبارا ، ونفورا من الحق وإنكارا ، وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكاد تذهب نفسه حسرات عليهم ، فيمده الله بالآيات تهدئة لقلبه ، وتأسية له بالرسل من قبله ، من مثل قوله تعالى : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ . وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

هذه كانت حال البيئة التى أرسل فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الاستعصاء عن قبول دعوته ، والتمادى فى مناوأته ، حتى قررت قتله والتخلص منه ، فأطلعه الله على مابيتوه له من الشر ، وأمره بالهجرة إلى المدينة بعد أن لبث فيهم ثلاث عشرة سنة لا يألوهم نصحا . وليس بعد هذا دليل على أن تلك البيئة لم تكن مستعدة لإحداث أى انقلاب فى حالتها الاجتماعية والأدبية . وفى هذا الاستعصاء أكبر رد على الذين يقولون إن العرب كانوا على وشك تغيير ما هم عليه من الحالة النفسية ، فلما قام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدعوة فيهم اتبعوه وأيدوه .

تطوع طائفة للدفاع عن الدعوة الإسلامية .

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد عمد بعد أن يئس من قومه أن يعرض نفسه على القبائل التى كانت تأتى إلى مكة للحج أيام الموسم ، فكانوا لا يأبهون لدعوته ، فاتفق أن قابل فيمن قابلهم رجالاً من الأوس والخزرج سكان المدينة ، فاستحسنوا دعوته ووعدوه بعرض أمره على قومهم ، فحضر خصيصاً لهذه الدعوة فى العام التالى نحو سبعين رجلاً منهم ، فاجتمعوا فى جنح الظلام فى شعب من شعاب مكة ، وقبلوا أن يدخلوا فى الإسلام ، وأن يدافعوا عنه ولو أداهم ذلك إلى مكافحة العالم أجمع ، وجر ذلك إلى فنائهم جميعاً . ثم قالوا ومالنا على هذا كله ؟ فقال لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لكم الجنة ، قالوا رضينا ، وانصرفوا على أن يهاجر إليهم هو ومن بقى بمكة معه من أصحابه ، وأن يستدعى من ذهب إلى الحبشة منهم ليوافوا إخوانهم بالمدينة ، ثم انفضوا على ذلك .

هنا أربع آيات من أكبر ما استجلاه الناس من آيات الله فى خلقه :

(أولها) : قبول قبيلتين من قبائل العرب اليمانية دعوة يقوم بها رجل من قبيلة عدنانية ، على ما كان بين هاتين الفئتين من التنافس والتنافر فى تاريخهما كله ، ومعنى قبولهما دعوته خضوعهما لسلطانه ، وهذا ما كان ليحدث بين قبيلتين تمت إحداهما للأخرى بصلة القرابة ، فكيف به بين فريقين متنافسين ؟

(ثانيها) : اضطلاع طائفة من الناس لا يزيد عدد آحادها على بضعة آلاف بعبء خطير يعرضها لمعاداة جميع قبائل العرب ، بل شعوب الأرض كافة .

(ثالثها) : اطمئنان هذه الطائفة إلى الإسلام إلى حد معاداة العالم كله في سبيله ، ولم تمض عليهم فيه حقبة من الدهر تكفى لأن تطبع نفسياتهم بطابعه ، وتحبب إليهم بذل أرواحهم في نصرته . هذه طفرة لم يُشاهَد لها مثيل في تاريخ النفسية الإنسانية .

(رابعها) : رضاء هذه الطائفة بالجنة جزاء على هذه التضحية ، فلا الملك ولا سلطانه ، ولا الدنيا ولا ملذاتها كانت لديهم شيئاً يمكن أن يعوقهم من إجابتهم دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

لا مشاحة في أن هذه آيات يجب أن يراها الناس ويتأملون فيها ، فإنها من أدل الدلائل على التأييد الإلهى لرسوله ، ومن أقوى الشواهد على أن النبوة أمر تخرق له سنن الكون ، وتخضع له قواه ونواميسه .

تحقق ما وعد الله به رسوله من النصر :

إن شئت أن تشهد آية هى أكبر وأجل آيات الله في عباده ، فاشهد أن قام رجل في جماعة أمية ، في أحط دركات الجاهلية ، يدعوها لأن تجتمع على دين لا عهد لها بمثله ، يخلعها عن أكثر عاداتها ، ويمتلخها عن أثبت موروثاتها ، ويقيمها على نهج جديد لم تعهده في جميع أدوار تاريخها ، فينجح في ذلك نجاحاً لم يقدر مثله لمصلح كان قبله أو جاء بعده .

تقول دائرة معارف لاروس في عرض كلامها عن الإصلاحات الاجتماعية : « إن المبادىء الجديدة والأصول الطريفة ، لا يمكن أن تسرى في نفسية أمة من الأمم بمجرد بثها فيها ، ولكن لابد من مرور أجيال متعاقبة عليها قبل أن ترسخ في نفسيتها وتصبح حالاً لها ، وتصدر أعمالها عنها » .

نقول : هذا ما قرره العلم ، ودلت عليه التجارب الإصلاحية في الأمم ، ولكن الدعوة الإسلامية ، على سمو أصولها عن كل الأصول المعروفة إلى اليوم ، قد قبلتها الطائفة التى انتدبت لحمايتها ، وقامت على سنتها طفرة ، فتأدت بها إلى السيادة . على الأرض ، وهذا وحده من أكبر المعجزات في نظر العلم الاجتماعى ، لأنه ينقض أكبر ناموس فيه ، وهو ناموس التطورات التدريجية .

وقد أشار الكتاب نفسه إلى جلالة هذا الأمر ، فإضافة إلى محض قدرة العزيز العليم إكباراً لشأنه ، وإعظاماً لخطره ، فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .
وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

إننا نذكر كل هذه الحوادث الكبر ، كلما عنت فرصة لذكرها ، لأن الأمر أكبر من أن تكفى فيه البحوث المستفيضة والتحليلات الدقيقة ، فغرابته وإعجازه يتجددان بزيادة مادة العلم ، وتوالى العبر العالمية .

وسلام على المرسلين ..
والحمد لله رب العالمين .

اللغة والأدب والنقد

من قضايا الاختزال

حول ديوان ابنة الإسلام

من قضايا الاختزال

فى كلام العرب

(٤)

للأستاذ : عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

٣ـ حذف فعل المدح ، والذم ، والترحم ، الاغراء ، التحذير ، الاختصاص :

فمثال قولهم : « الحمد لله أهل الحمد » بإضمار الفعل أمدح [١] . وفى قولهم : مررت بزيد الرجل الصالح نصبت «الرجل الصالح» على المدح [٢] .

وزعم يونس أن النصب على المدح فى قوله تعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ (النساء ١٦٢)﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ ﴾ (البقرة ١٧٧) [٣] .

ومثال الذم قولهم : مررت بأخيك الفاجر الفاسق نصب الفاجر الفاسق على تقدير فعل « أذم » وفى التنزيل قوله تعالى :﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (المسد ٤) نصب حمالة على الذم[٤] .

ومثال الترحم قولهم : مررت به المسكين بنصب المسكين على تقدير : أَرْحَمُ المسكين[٥] .

ومن أمثلة الإغراء قول الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

أى الزم أخاك واحفظ أخوته ، ومن الإغراء باسم الفعل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾(المائدة ١٠٥) فنصب أنفسكم بفعل محذوف تقديره الزموا[٦] .

ومن التحذير قولهم : رأسك والحائط ، الأسد الأسد معناه : احذر الأسد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ (الشمس ١٣) ومعناه : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء[٧] .

---

(١) مغنى اللبيب ٢/٦٣٣ .
(٢ ، ٣) كتاب الجمل فى النحو للخليل بن أحمد صـ ٦٠ .
(٤) مغنى اللبيب ٢/٦٣٣ ، الجمل للخليل بن أحمد صـ ٦٣ .
(٥) الجمل صـ ٦٤ .
(٦) الجمل صـ ٥٤ ، ٥٦ .
(٧) الجمل صـ ٥٥ .

ومن النصب بفعل محذوف تقديره : أخص : قولهم : إنا بنى عبد الله نفعل كذا نصب « بنى » لأنه اختصاص . . . ولم يخبر أنهم بنو عبد الله كأنه قال : إنا أعنى بنى عبد الله ، قال الشاعر :

إنـــا بنى تغلب قـــوم معـــاقلنـــا
بيض السيوف إذا ما أفزع البلد

نصب « بنى » على الاختصاص [8] .

ومن حذف الفعل : «المصدر المنصوب » نيابة عن فعله فى « الدعاء » والشكر « والعجب » والأمر :

فمثال «الدعاء » قولهم : تبا لهم وسحقا[9] . ونقول فى الحمد والشكر : حمدا لله وشكرا ، وفى التعجب نقول : عجبا وفى الأمر يقول الشاعر قطرى بن الفجاءة الخارجي :

فصـــبرا فى مجال المـــوت صـــبرا
فـــما نـــيـــل الخلود بمســـتـــطاع

ونقول فى الاستفهام : اقعودا والناس قيام على معنى أتقعدون الناس قيام ؟ ويقول الخليل عن هذا الفعل الذى ناب عنه « قعودا » وهذا فعل ليس بماضٍ ولا مستقبل ، وهو فعل دائم أنت فيه قال الشاعر :

أطـــربـــا وأنـــت قـــنسرى
والـــدهـــر بـــالإنســـان دوارى

أراد : تطرب طربا[10] .

وقد صاغ ابن مالك فى ألفيته حذف فعل المصدر النائب عن فعله قائلا :

والحـذف حتم مع آت بـدلا
من فعله كنـدلا اللذ كانـدلا

وعلل الأشمونى سر الحذف قائلا : لأنه لايجوز الجمع بين البدل والمبدل منه [11] . ومن المصدر الذى حذف فعله : المصدر الذى سيق لتفصيل عاقبة ماقبله نحو قوله تعالى : ﴿ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ (محمد ٤) ومن ذلك أيضا : المصدر المكرر او المحصور الذى وقع بعد اسم عين نحو : أنت سيرا سيرا ، وإنما أنت سيرا ، وما أنت إلا سيرا ، فالتكرار عوض من اللفظ بالفعل ، والحصر ينوب مناب التكرير[12] .

ومن المصادر التى حذف فعلها حذفا واجبا : المصدر المؤكد لنفسه أو لغيره فالمؤكد لنفسه هو : الواقع بعد جملة هى نصر فى معناه نحو : له على ألف عرفا » أى اعترافا ، فقوله : له على الف نص فى الاعتراف فكأن المصدر يؤكد هذه الجملة لانها بمعناه . والمصدر المؤكد لغيره هو : الواقع بعد جملة تحتمل معناه وغيره ، نحو : «أنت ابنى حقا فجملة « زيد ابنى » تحتمل الحقيقة ، والمجاز ، وبذكر المصدر « حقا » صارت نصا فى معنى المصدر ، ومثل ذلك : « لا افعل كذا البتة » ، فجملة « لا افعل كذا » تحتمل استمرار النفى وانقطاعه ، ويذكر « البتة » رفع احتمال الانقطاع وصارت الجملة السابقة بمعنى المصدر (البتة)[13] .

ومن المصادر التى حذف فعلها : أن يكون المصدر فعلا علاجيا تشبيهيا بعد جملة مشتملة عليها وعلى صاحبه مثل : مررت فإذا له صوتَ صوتُ حمار بنصب « صوت » الثانى لأن جملة « له صوت » فى معنى : يصوت ، والمصدر « صوت » الثانى مشعر بحدوث وتجدد ، بمعنى انه يحتاج فى إحداثه إلى تحريك عضو له ، أى انه ليس أمرا معنويا [14] .ويلحظ مما سبق أن هذه المصادر التى حذف عاملها لها افعال ،

(٨) الجمل صـ ٦٦ .
(٩) الجمل للخليل بن احمد صـ ٨٦ .
(١٠) الجمل للخليل بن احمد صـ ٨٧ .
(١١) شرح الاشمونى ٢/١١٦ .
(١٢) شرح الاشمونى ٢/١١٨ .
(١٣) منار السالك ١/٣١٣ .
(١٤) المرجع السابق نفس الصفحة وما بعدها .

من قضايا الاختزال

ولكنها لم تذكر استغناء بمصدرها عنها ، وقد يكون ذلك المصدر لافعل له أصلا وذلك مثل « بله » إذا استعمل مضافا نحو قول الشاعر :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها
بله الأكف كأنها لم تخلق

فـ « بله » مصدره بمعنى : « ترك » مضاف لمفعوله ، وفعله مهمل ، وقد أقيم هذا المصدر مقامه ، ومعنى البيت : أن السيوف تترك القوم بارزة رءوسهم عن محالها ، منفصلة ، كأنها لم تخلق على الأبدان ، فتركا لذكر الأكف لأنها سهلة القطع بالنسبة إلى الرءوس (١٥) هذا وقضايا « الاختزال » عند « النحاة » كثيرة ، ومنتشرة بين أغلب أبوابه ، ويمكن أن تدرس هذه القضايا مجتمعة للكشف عن فلسفة العربية فى ذلك ، وقد فعل ذلك « ابن جنى » فى « الخصائص » (١٦) تحت عنوان « شجاعة العربية » ، وكذلك فعل « ابن هشام » فى كتابة المغنى (١٧) ، وقبلهما ذكر « سيبويه » كثيرا من قضايا الاختزال فى لغة العرب(١٨) والجدير بالذكر أن « المختزل » عند النحاة كالمذكور ، فهو يراعى عند توظيف الأجزاء فى التركيب ، سواء كان المحذوف « حرفا » أو « غير حرف » ، يقول « سيبويه » عن مراعاة حذف الحرف : « تقول جئتك أنك تريد المعروف » ـ بفتح همزة « أن » ـ إنما أراد : جئتك لأنك تريد المعروف ، ولكنك حذفت اللام ههنا كما تحذفها من المصدر إذا قلت :

واغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

أى لادخاره (١٩) . وفى قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ التقدير : فعمله لنفسه وإساءته عليها .

ويلحظ ـ هنا ـ أن التقدير عمل أوجبه المعنى وسمحت به التراكيب اللغوية دون إفساد ، أو خلل ، أو تكلف . ويروق لى ـ هنا ـ أن أقول : « إن من ينكر التأويل والتقدير فى اللغة واحد من اثنين :

الأول : رجل لم يعرف اللغة حق معرفتها لأنه بحكم ثقافته لم يتهيأ للتمكن منها ، ولم يتدرج فى دراستها ، فهو عنها غريب أو كالغريب .

الثانى : رجل عرفها وتجرد لدراستها ولكنه لم ينضج بعد ، أو نضج ولكنه يطلب نوعا من الزعامة يرى نفسه أهلا له ، وكافيا فيه ، ولم تتهيأ له التجربة الطويلة إلى تعين على فقهها والنفاذ إلى اغوارها البعيدة وأسرارها الدقيقة ، فهو يتعجل الاجتهاد ، ويتكلف الإمامة قبل الأوان . (٢٠)

ولكن يحسن ألا يتعرض دارس العربية الناشىء لشىء من قضايا الحذف ، لأننى بحكم تجربتى فى حقل التعليم من مراحله الأولى وجدت عند الدارسين عدم إدراك لقضايا الحذف مثل : النصب بأن مضمرة وجوبا أو جوازا ، وحذف المبتدأ أو الخبر وجوبا .

٧ ـ حذف المفعول به بين النحويين والبلاغيين :

من الموضوعات المشتركة بين « النحو » « والبلاغة » حذف « المفعول به » ، ونعرض ذلك فيمايلى للكشف عن منهج كل منهما فى البحث ، واستنباط الأسرار من وراء ذلك الحذف .

---

(١٥) شرح الاشمونى وحاشية الصبان عليه ١٢١/٢ .
(١٦) الجزء الثانى من ٣٦٠ ـ ٣٨٠ .
(١٧) انظر الجزء الثانى بتحقيق محيى الدين من ٦٠٣ ـ ٦٤٣ .
(١٨) انظر مادة « حذف » فى الجزء الخامس لتقف على قضايا الحذف فى الكتاب .
(١٩) كتاب سيبويه ١٢٦/٣ ، ١٢٧ .
(٢٠) من قضايا اللغة والنحو ٨٩ .

حذف المفعول به عند النحويين :

ناقش « الرضى » حذف المفعول به قائلا : وحذف المفعول به على ضربين :

(أ) إما مَنْوى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (١٢٩ آل عمران) أى : لمن يشاؤه

(ب) أو غير منوى ، وذلك إما :

١ ـ لتضمين الفعل معنى اللازم ، كقوله تعالى :﴿ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ (النور ٦٣) أى : يعدلون .

قول الشاعر :

وأن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها

إلى الضيف يجرح فى عراقبها نصلى

أى : يؤثر بجرح .

٢ ـ وإما للمبالغة بترك التقييد ، كما تقول : فلان يعطى ويمنع ، قال الله تعالى :﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ (البقرة ٢٤٥)[(٢١)]

ونلحظ ـ هنا ـ أن فكرا نحويا متأنيا يصف ما فى لسان العرب فى هذه الظاهرة التى لا يوجد فيها مفعول به ، ويصوغ قانونها مشفوعا بالبرهان والدليل ، أى عن طريق النص الذى يحتج به . وقد خصص « ابن هشام » فى المغنى [(٢٢)] فصلا لحذف المفعول به ، بين فيه « كثرة ذلك الحذف وقلته » ، فيكثر الحذف بعد :

ـ « لوشئت » ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩ الأنعام) .

ـ « وبعد نفى العلم ونحوه » ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٣) ،﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (الواقعة ٨٥) .

ـ « وعائد الموصول » نحو قوله تعالى : ﴿ أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (الفرقان ٤١) ، ثم بين أن حذف « عائد الموصوف » دون ذلك ، كقول الشاعر :

حميت حمى تهامة بعد نجد

وما شيء حميت بمستباح

كما وضح أن « حذف عائد المخبر عنه »دونهما مثل قول الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعى

على ذنبا كله لم أصنع

وقول الآخر :

فأقبلت زحفا على الركبتين

فثوب لبست وثوب أجر

وبين « ابن هشام » أن الحذف يأتى فى غير ذلك مثل قوله تعالى :

﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾(المجادلة ٤) .

وذكر « ابن هشام » أن من « غريب حذف المفعول به » حذف المقول « وبقاء القول » ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ « يونس ٧٧ » أى هو سحر ، بدليل « أسحر هذا » ، ثم رجع « ابن هشام » إلى كثرة حذف المفعول به فى الفواصل نحو قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾(الضحى ٣) ، ثم بين بعد ذلك أنه يجوز « حذف مفعولى أعطى » نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ﴾ (الليل ٥) « حذف ثانيهما فقط » نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (الضحى ٥) ، كما يجوز « حذف

البقية ص ١١٧

(٢١) شرح الرضى ٣٤٤/١ .

(٢٢) مغنى اللبيب ٦٢٣/٢ بتحقيق محيى الدين .

حول ديوان ابنة الإسلام

للشاعرة / علية الجعار

دراسة بقلم
أحمد محمود مبارك

● منذ اكثر من عشر سنوات والشاعرة علية الجعار تتجه بشعرها وجهة إسلامية خالصة . بحيث اصبح - فى السنوات الأخيرة - جلّ شعرها ذا سمات إسلامية واضحة ، ينطلق من قلب مؤمن ، وروح شفيفة ، وفكر يشع بنور الإسلام الحنيف ، ولأن الشاعرة علية الجعار صادقة الموهبة ، ممتلكة لأدوات التعبير الشعرى الجيد وعناصره ؛ فإن إنتاجها الشعرى المتميز يعد إضافة ذات قيمة لشعرنا العربى الإسلامى جاءت من صوت شعرى نسائى ، فى وقت ندرت فيه الأصوات الشعرية النسائية . واتجه اغلب الموجود منها إلى التقليد الأعمى لموجات التغريب ، ومعطيات الفكر المادى المشبوه المشوّه . وقد تجلى الاتجاه الإسلامى الخالص للشاعرة علية الجعار فى ديوانها « ابنة الإسلام » الذى صدر فى طبعته الأولى عام ١٩٨٧ م عن المكتب المصرى الحديث .

● والديوان يزخر بتسعة وتسعين عملاً شعريا تتسم جميعها بالقصر حتى أن اغلب هذه الأعمال عبارة عن مقطوعات أو قصائد قصيرة ما بين اربعة وثمانية ابيات .. بيد أن هذه المقطوعات والقصائد القصيرة لا يعوزها طول أو إفاضة . إذ جاءت فى تركيزها متوائمة مع الفكرة والومضة الشعورية الوجدانية .. وتتنوع تلك الأعمال لتشمل الابتهالات والرجاء للخالق العظيم . والتسبيح بحمده وشكره على نعمه ، والتأمل فى الكون وما خلق المولى عز وجل من منطلق إيمانى إسلامى بحت ، كما يشمل الديوان قصائد الفكر والتاريخ الإسلامى والتجاوب مع الأحداث والمناسبات الإسلامية

والملاحظ على هذه القصائد تميزها بسلاسة الأسلوب . وشفافية العبارة وبساطتها . بغير عناء أسلوبى تركيبى . كما أن اغلب هذه القصائد قد كتبت على النهج العمودى التام ذى البحر الواحد - تاماً كان أو مجزوءاً - وثمة قصائد قليلة اخرى كُتبت وفق النظام المقطعى

حيث تنوع القافية فى كل مقطع . دون أن تخرج الشاعرة عن هذا النطاق إلى ما يسمى بـ « الشعر التفعيلى » ... ولعل هذا يمثل موقفاً من الشاعرة تجاه « الشعر التفعيلي » .. على إطلاقه . وبصرف النظر عن الجيد منه المرتبط بالجذور التراثية والعمودية الأصيلة . وذاك الشاذ الغريب المشبوه .. فثمة شعراء عرب أصلاء واضحون فى سمتهم واتجاههم الإسلامى المضىء . لا يجدون غضاضة فى الجمع بين الشكلين العمودى والتفعيلى المتزن ، من أمثال الشاعر السعودى المتألق عبدالرحمن صالح العشماوى والشاعـر الفلسطيني الإسلامى محمود مفلح والشاعر محيى الدين عطية . وغيرهم فى كل البلاد العربية ..

وتتميز قصائد الديوان أيضاً بصدق التجربة الشعورية ورهافة الإحساس الموسيقي وثراء الوجدان المصور . بحيث ينتهى القارىء من قراءة الديوان وهو يشعر بالتجاوب الشديد مع قصائده والتأثر الوجدانى الذى يتسرب إلى مشاعره كأشعة نورانية تنقل إليه التجربة الشعورية الإيمانية بعمق وشفافية .. مما يقطع بأننا أمام شاعرة صادقة الموهبة قادرة على التعبير الشعرى المتميز المؤثر فى نطاق هذا النهج الإسلامى المضىء ..

وليس هذا تقريراً نظرياً مجرداً ينقصه البرهان والدليل ، وإنما هو حقيقة سوف يكشف عنها استعراضنا التحليلى الموضوعى لنماذج من مقطوعات وقصائد هذا الديوان ..

● تبدأ الشاعرة ديوانها متوجهة للمولى عز وجل بالدعاء والرجاء . تحت عنوان « هدية ص ٥ » :

أعطنى يا واسع الجود من الجود هدية
نظرة فيها الرضا يا خالقى منك إليّهْ
تهت ياربّاه جهلاً فى ظـلام البشريـــة
فاسكب النور من الفيض الإلهى عليّهْ

ثم تتعدد بعد هذه الافتتاحية مقطوعات وقصائد الدعاء والرجاء والابتهال وتتنوع بحورها الشعرية التامة والمجزوءة تساوقاً مع طبيعة التجربة الشعرية وروح القصيدة ومضمونها الفكرى .. فتنتقل الشاعرة من « مجزوء الرمل » الذى كتبت المقطوعة السابقة على منواله إلى ترنيمة روحية أخرى بعنوان « ابتهال ص ١ » كتبت على أمواج البحر البسيط .

تلجأ فيها الشاعرة إلى الهادى الغفور جل شأنه لتسأله الهدى والعفو . مقرة بضعفها الإنسانى ..

من لى سواك إله الكون يهديني
وفى طريق الهدى والنور يبقينى
ياواسع العفو هب لى منك مغفرة
إلى جنـانك يـاالله تـدنينى
الذنب عندى يا الله يقتلنى
والعفو عندك يا الله يحيينى
خطاءة أنا يا الله يـدفعنى
إلى ذنوبى ما حملت من طينى
لكنها هفوات لست أنكـرها
وأنت تعلم يا ربى بتكوينى
جلت صفاتك يا غفار لى أملٌ
فى العفو عندك إن خَفَّتْ موازينى

والمتأمل فى النموذجين السابقين يجد أنه بجانب القدرة التعبيرية المنسـابة بعفـوية وشفافية .. فإن التعبير الشعرى لم يجىء تقريرياً نظمياً وإنما اتسم بتصوير موحٍ وعاطفة جياشة سخية .. فقد جاءت الصور الشعرية والتعبيرات الإيحائية ملتحمة فى نسيج القصيدة متوائمة مع منطلقها الفكرى والشعورى . وبغير تركيب منفر غريب فى الوقت نفسه . وكان من الطبيعى ـ ونحن بصدد شاعرة إسلامية تفرز موهبتها الشعرية نتاجها من المنطلقات الإسلامية النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

حول ديوان ابنة الاسلام

- أن يزخر التعبير الشعرى تركيباً وتصويرا بمفردات ومجازات وصور فنية مستمدة من هذين المصدرين الأساسيين لديننا الإسلامى الحنيف ولنتأمل ذلك فى قولها :

« خطاءة أنا يالله يدفعنى
إلى ذنوبى ما حملت من طينى
لى أمل فى العفو عندك إن خفت موازينى
فاسكب النور من الفيض الإلهى عليّة
العفو عندك يالله يحيينى »

والواقع أن تلك الظاهرة تعد ظاهرة عامة واضحة فى جميع قصائد الديوان ..

وإذا ماانتقلنا إلى القصيدة الابتهالية الثرية « أنس فؤادى . ص ٢٠ » سيلوح تضافر الصور الشعرية البسيطة فيما بينها - والتى تنطوى على تصوير داخلى استبطانى وجدانى نفسى . وتصوير خارجى مرئى - تضافراً مكوناً لوحة فنية إيمانية شديدة التأثير ومن خلال لغة رقراقة مموسقة جميلة ... إذ تقول الشاعرة :

وانهال سيل من دموع فوق خدى فى سكون
أنا فى الوجود غريبة يارب هل دمعى يهون
أنس فؤادى فى الطريق فأنت تعلم من أكون

ثم تنطلق القافية النونية المقيدة - والتى نرى أنها فى سكونها وإسارها القيدى قد جاءت معبرة عن الحالة الوجدانية التى رسمتها الشاعرة لنفسها فى الفقرة السابقة فهى حالة إحساس بالغربة والوحشة .. والعجز الدامع - وتتحرر القافية وتشرق النفس بنور العطف الإلهى الفياض والرضا الربانى .. ويسمو التصوير الشعرى ويتنوع تنوعاً متلاحماً :

وإذا بفيض من رضا الرحمن يرسخ فى يقيني
يضفى على نفسى السـلام فتغمض التقوى عيونى
وأحس نوراً قد تلألأ من ضياه فى جبينى
فأغيب فى حضن الحنان ومن سواه يحتوينى

● وإذا ماانتقلنا إلى عنصر آخر من العناصر الموضوعية التى يزخر بها هذا الديوان الإسلامى الثرى . فإننا سنتوقف أمام رسم الشاعرة لمشاعرها وخلجات وجدانها ، ونبضات قلبها وهى فى طريقها إلى رحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة المنورة حيث تقول فى قصيدتها « إلى المدينة المنورة ص ١٤ » :

دعانى فأسرعت للموعد
وبالقلب شوق إلى أحمد
أتيت بحب كضوء النهار
ينير الطريق إلى سيدى
وأحلامى الظامئات ارتوين
من المنهل الطاهر المورد

وتقول فى قصيدة « فى رحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ١٠ » :

أنا فى طريقى كاد رشادى
يضيع من الفرحة الطاغيه
وكاد الفؤاد يطير حنيناً
إليه على متن أشواقيه
وبانت على البعد مئذنتان
تحيطان بالقبة الزاهيه
يجللها النور . نور الحبيب
فتزهو على البعد فى الباديه
وملت على عتبات الرسول ﷺ
أقبل صفحتها الساميه

......

أحقا أنا فى رحاب الرسول
أحقا ظفرت بأحلاميه

* * *

والمتأمل فى الأسلوب التصويرى الذى كتبت به أبيات القصيدتين السابقتين سيلاحظ أن الصور الشعرية رغم بساطتها تتنوع لتشمل

مجازات واستعارات قائمة على التشخيص الفنى والتراسل فيما بين المادى والمعنوى .. كقولها :

« أغيب فى حضن الحنان »

و .. « متن أشواقيه »

و .. « تغمض التقوى عيونى »

وتشمل تشبيهات موفقة ذات تأثير جمالى . مثل قولها :

« أتيت بحب كضوء النهار » ..

وإذا كنا لا نجد صوراً مبتكرة أو مركبة ، فإن العبرة فى التعبير الشعرى الجمالى الجيد ليست بابتكار صور غريبة تجىء متنافرة مع الفكرة . ومنشقة عن التجربة الشعورية . وإنما بتوافق الصور مع الفكرة ومع سمت التجربة وطبيعتها . بحيث لا نكون فى النهاية بصدد عمل شعرى مشوه الدلالة مركب الإيحاء تركيباً مُنفراً غير موصل . كما هو الشأن فى كثير من القصائد التى ينسبها البعض لما يُطلق عليه « الحساسية الجديدة » أو « الحداثة الشعرية » تلك التى لا نرى فى غالبية المطروح منها غير « حداثة الهيبز » . أو الهلوسات المتشاعرة .

وبإيجاز شديد ـ غير أنه غير مُخل ـ ترسم الشاعرة مشاعرها رسماً باطنياً وظاهرياً معاً . وهى فى رحاب الكعبة الشريفة . بحيث يشعر القارىء بعد أن ينتهى من قراءة هذه القطعة الشعرية التى لا تتجاوز ثلاثة أبيات أنه ليس بحاجة إلى مزيد من البيان أو الاسترسال المضيف .. فالشحنة الروحية التى يستشعرها كافية لإحساسه بكل أبعاد التجربة الشعرية وجوانبها . تقول الشاعرة فى مقطوعتها : « فى رحاب الكعبة ص ١٨ » :

ووقفت أرقبها وكل جوارحى

تهتز فى شوق وفى إيمانى

ونسيت ابنى والخلائق كلها

وذهلت عن أهلى وعن أوطانى

ونسيت حتى النفس . كل غرورها

وطموحها . سبحان من أنسانى

ولنا أن نتساءل : أليست موسيقى « الكامل » بكل ما توحى به من هدوء وتأمل ورؤية ، قد جاءت متآزرة تماماً مع هذه التجربة الروحية ـ موضوع المقطوعة ـ بما يقطع بأصالة موهبة الشاعرة ورهافة إحساسها الموسيقى . وبما يدحض ـ من ناحية أخرى ـ زعم البعض ممن يناهضون عروض البحور الشعرية العربية الستة عشر . ويقصرون نتاجهم على تفعيلات الخبب والمتقارب . فى كل أشعارهم التى يزعمون أنها « حداثية » ـ هؤلاء الذين يدعون أنه لا علاقة بين موسيقى البحور الشعرية وبين المحتوى الفكرى للقصيدة .. أليس زعمهم تبريراً فاشلاً . لعجزهم عن امتلاك موسيقى بحور الشعر العربى . فيحاولون تغطية هذا العجز بقولهم بعدم التلازم ، أو عدم وجود علاقة بين الموسيقى الشعرية وموضوع التجربة الشعرية .

● ولأن الشاعر الإسلامى دائم التأمل فى ملكوت الله .. فقد زخر الديوان بعديد من المقطوعات والقصائد التى تنطلق من هذا التأمل الإيمانى . من ذلك تلك اللوحة الشعرية المتألقة « فى فضاء الله ص ٣٨ » .. المنسابة فى تعبيرها السلس على أنغام مجزوء الوافر ..

وتشرق طلعة الفجر

تفتح أعين الطير

فتسعى تطلب الأرزا

ق فى بر وفى بحر

وتسبح فى فضاء الله فى أمن وفى يسر

وتمنحها يد الرزاق ما ترجوه من خير

فسبحان الذى يمناه فينا بالندى تسرى

ولا تقل شفافية وألقا عن هذه المقطوعة . تلك

←

حول ديوان ابنة الاسلام

المقطوعة التأملية الإيمانية التى تتواءم فكرتها مع انغام البحر البسيط . والمعنونة بـ .. « من أنبت الزهر . ص ٤٠ » .

من أنبت الزهر فتانا من الطين
من أودع العطر فى قلب الرياحين
ومن أحال الدجى نوراً بأعيننا
وأطلق البدر يسرى فى موازين
والشمس تشرق فى الآفاق دائبة

من قال للشمس فى آفاقها : كونى
الله خالق هذا الكون من عدم
قد صاغه الله بين الكاف والنون
سبحان من تسجد الدنيا لقدرته
من يملك الأمر يوم العرض والدين

والنفوس النقية والأبصار التى لم يغبشها قتام الجحود ، هى التى حينما تتأمل فى الكون تزداد يقيناً وإيماناً ، وتردد خاشعة مبتهلة قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . . . . . ومن منطلق هذا النور القرآنى تكتب الشاعرة مقطوعة لا تعنونها وإنما تستقيها من الآية القرآنية الكريمة السابقة . مشيرة إلى ذلك صراحة .

تقول الشاعرة فى تلك الأبيات :

فى الكون آيات تطل وتبهر
تهدى إلى الإيمان من يتفكر
يمضى الوجود لغاية مرسومة
منذ ابتداء الخلق لا تتغير
كل بحسبان يسير مقدراً
أنت الذى تقضى به وتقدر
كل إليك مآله ومصـيره
يارب فهو مسبح ومكبر
يارب آمنا بعدلك فاكفنا
نـاراً يصيب عذابهـا من انكروا

ولاشك أن تأثير الأسلوب القرآنى على الشاعرة فى هذه القصيدة قد بلغ ذروته .. ولايفوتنا أن نذكر خصيصة إيجابية فنية تتجلى فى هذه القصيدة . بل وكل قصائد ومقطوعات الديوان تقريباً .. وهى رسوخ القافية وعدم قلقلتها أو اهتزازها .. وتتجلى أهمية تلك الميزة . إذا ما اطلعنا على عدد غير قليل من القصائد العربية التى تطرح على الساحة الشعرية والتى يعتورها الافتعال فى التقفية .

وتتعدد قصائد ومقطوعات الديوان فى نطاق هذا المنحى التأملى التعبدى من ذلك « قصيدة النحل ص ٥٣ » .. ومقطوعة « يسبح الكون ص ٥٤ » . « ومقطوعة الجبل ص ٤١ » ... « ومقطوعة الشمس ص ٦٧ » ... مما لايتسع المجال لعرضه وتحليله محيلين القارىء إلى الديوان ليستمتـع بهذا الإنتـاج الشعرى المضىء .. منتقلين إلى عنصر آخر من العناصر الموضوعية الجزئية لهذا الديوان الإسلامى التعبدى الشامل .. وهو يشمل القصائد التى تنطلق منها الحكمة والدعوة إلى الخير والصلاح والموعظة الحسنة . بعد تأمل عميق فى أحوال الناس والمجتمع . فمن منطلق ماروى عن الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى . وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » (١) يخط يراع الشاعرة تلك الأبيات المضيئة . ليكون شعرها دعوة للعدل واجتناب الظلم .. وهى دعوة موجهة للحاكم والمحكوم :

(١) صحيح مسلم ١٧/٨ ط دار التحرير ١٣٨٤ هـ .

يا ظالماً يحيى ضميرك فى الظـلام

لا تنس جبـاراً عليمـاً ذا انتقـام

اللـه عـدل ليس يظلم عبـده

والظلم عند الله فى الـدنيا حـرام

ياحاكما فى الأرض بين عباده

اعـدل فانت محـاسب يوم الـزحام

ومن منطلق قول الحق تبارك وتعالى فى القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ الإسراء ٣٧ - توجه الشاعرة هذه النصيحة المضيئة للمختالين والمتكبرين فى الأرض ...

يـاأيها المختـال كبراً هـازئـاً بـالآخـرين

يـاأيهـا الجبـار لا يـومـا تحن ولا تلـين

من أنت يا إنسان أصلك ثابت ماء وطين

الله أحسن خلقنا فاخضع لرب العالمـين

واحن الجـبين فكل عز فى سجود الساجدين

● ونقتطف مما أفاض به وجدان الشاعرة . وأفرزته موهبتها الشعرية الأصيلة . فى محور مناجاتها للمولى عز وجل وهى تدعوه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى قولها فى مقطوعة الرحمن ص ١١٣ .

يامن تجلى باسمه الرحمن

وأفاض رحمته على الأكوان

من خصنا بمحمد خير الورى

وأغاثنا بـالدين والقـرآن

أدعوك يارحمن كن لى راحماً

فأنا الضعيف العاجز الإنسان

وقولها فى مقطوعتها الدالية المتالقة صياغة وتصويراً . والتى تلتحم موسيقى البحر الكامل بنسيجها التحاماً جمالياً مؤثراً . تحت عنوان « الكريم ص ١١٤ » :

يامن خزائن جوده لا تنفد

وعطـاؤه ونوالـه يتجـدد

هذى يدى تمتد نحوك ترتجى

فضلاً ولا أرجو سواك واقصد

أنت الكريم وباب فضلك واسع

وأنا على أعتاب فضلك أسجد

وليس صعباً على القارىء ان يكتشف ان هذا التعبير الشعرى العفوى الراقى يدلل على ذوبان روح فى تلك التجارب الشعرية الإيمـانية التعبدية . كما يؤكد ايضا قدرة الشاعرة على التعبير السلس الذى يجمع بين الرصانة والعذوبة والبساطة . وتلـك خصيصة من خصائص الإسلامية الشعرية .

● ونختتم جولتنا فى هذا الديوان الثرى المعطاء . ودراستنا له بتلك القصيدة التى أطلقت الشاعرة عنوانها على الديوان .. وهى قصيدة « ابنة الإسلام ص ٣١ » .. التى تتغنى فيها الشاعرة وتفخر بانتسابها إلى الإسلام الحنيف :

ياسائلا عنى وعن آبائيا

أو ليس أصلى كالحقيقة زاهيا

إنى ابنة الإسلام أكرم والد

حسبى من الدنيا به نسبا ليا

ثم تستعرض أحوال المرأة المتردية فى الجاهلية . ثم إكرام الإسلام الحنيف لها وإنصافه إياها فتقول :

فى الجاهلية كنت كما مهملا

وانوثتى عار يسير ورائيا

كفر وعصيان وكبر جهالة

إن لم يئدنى فى الطفولة آليا

......

حتى أضاء الكون نور محمد

صلى عليه الله نوراً هاديا

فتشبثت روحى به وبدينه

وتحطمت فى ظله أغلاليا

← حول ديوان ابنة الاسلام

وأعزنى الإسلام وارتفعت به
راسى وارسى فى الحياة مكانيا
......

ثم تستعرض صوراً مضيئة من التاريخ العطر للمسلمات الطاهـرات فى العصر الإسلامى الأول ... حيث تقول :

إنى أنا (أسماء) حيث تتبعت
خطو النبى بغار ثور نائيا
حملت إليه الزاد فى جوف الدجى
لم تخش ذئبا فى الفيافى ضاريا
قد آمنت بالحق ليس يخيفها
يوماً أبو جهل عتياً قاسياً

ثم تنتقل إلى نموذج مضىء آخر لتتحدث عن « أم عمارة » نسيبة بنت كعب الأنصارية . ودورها الجهادى البطولى المشرف فى غزوة أحد ..

ونسيبة خاضت غمار الحرب فى
أحد فكانت فيه سيفا ماضيا
كانت تذود عن النبى بروحها
وتصد عنه المشركين عواتيا
فأنا نسيبة بنت كعب واسمها
سيظل رمزاً للشجاعة باقيا

وتلك دعوة مضيئة لأن تتأسى المسلمات المعاصرات بهاتين الشخصيتين النسـائيتين العظيمتين وغيرهما . ممن يفخر بهن التاريخ الإسلامى على مر العصور .. وما أجمل وأنفع وأرشد أن تتأسى بناتنا وسيداتنا بهذه الأسوة الحسنة .. وأن يبتعدن عن التأثر بتلك النماذج الغربية والمتغربة . الضالة المضلة التى لا يجلب تقليدها إلا الهوان والضياع والغى ..

● وأخيرا فإننا نرجو أن نكون بتلك الدراسة لهذا الديوان الطيب قد أحطنا بأهم ملامحه ومضامينه الروحية الثرية . وسماته الفنية الإيجابية . رغم قصر الدراسة التى تحتمها المساحة المتاحة .. والله من وراء القصد

احمد محمود مبارك

حين خير ما نشر

إعداد: عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

صورة المسلم

للأستاذ : احمد بهجت

حين جادل المجادلون فى إبراهيم وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - حسم الله تعالى الامر بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

إبراهيم مسلم إذن .. وإسماعيل مسلم هو الآخر .. والمسلمون من ابناء هذا الزمان يدينون باسمهم لهذا الأب الأعلى إبراهيم قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ .

ما صورة المسلم كما قدمها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؟

وما هى صورة المسلم كما قدمها خاتم النبيين محمد ﷺ ؟

هى صورة إنسان عليه أن يخرج من قلبه كل شىء سوى الله ، حتى حياة ابنه ، حين وقع اختبار المسلم سبقت رحمة الله تعالى بكبش عظيم فدى الابن ، وكان عيداً لملايين المسلمين الذين لم يولدوا بعد .

هذا هو المسلم وهذه هى صورته .

إن التضحية فى الإسلام أصل عميق الجذور ، إن فى القرآن آية تجمع خصائص المسلم فى كلمات حاسمة ، إن الله تعالى يقول لمحمد - ﷺ - ولجميع اتباعه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

نحن نفهم أن تكون الصلاة لله .. ونفهم ان يكون النسك لله ولكن ما لا يفهمه المسلمون : كيف تكون الحياة لله والممات لله ؟ إن الصلاة والتعبد يتمان فى أوقات قصيرة ، والمسلم الحقيقى هو الذى يستمر بقية اليوم فى تعبده لله حتى لو كان يزرع أو يصنع أو يطعم اولاده أو يسقى زوجه .. إن إخلاص النية لله ومحاولة توجيه كل أعمالنا لوجه الله الكريم .. هى باختصار صفات المسلم كما يرضاها الله تعالى لعباده .

إسرائيل ودول جنوب شرق آسيا

إذا كان الحديث عن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا بكافة أبعاده العسكرية والاقتصادية والاجتماعية أصبح من الامور

من خير ما نشر

المألوفة مع ما يثيره التوغل الإسرائيلى فى كل من افريقيا وأمريكا اللاتينية من اهتمامات وتساؤلات ، فإن الحديث عن العلاقات الإسرائيلية مع دول جنوب شرق آسيا خاصة : سنغافورة ، تايوان ، كوريا الجنوبية ، اندونيسيا ، تايلاند يطرح العديد من علامات الاستفهام حول طبيعة هذه العلاقات وأسباب قيامها وظروف نشأتها وتأثيرها علينا كدول عربية ثم أخيرا استراتيجية مواجهة هذه العلاقات المتنامية .

ففى إطار تزايد اهمية دول جنوب شرق آسيا وخاصة فى السنوات الأخيرة بما تمتلك من قوة اقتصادية كبيرة ، وبالنظر إلى أن الصراع اليوم هو صراع على القوة الاقتصادية سواء للحصول أو للمحافظة عليها ؛ فإن تأثير هذه العلاقات علينا كدول عربية سيكون اقتصاديا فى الأساس فكل إضافة لرصيد هذه العلاقات مع إسرائيل يعد سحبا للعلاقات الاقتصادية المتوقعة بيننا وبين هذه الدول .

كما أن العلاقات المتميزة بين إسرائيل وهذه الدول ستعطى إسرائيل مكانة متميزة بدرجة اكبر فى المجتمع الدولى خاصة فى حالة زيادة ارتباط هذه الدول باليابان لتشكيل قوة اقتصادية هائلة تتمكن من مواجهة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوروبا الموحدة عام ١٩٩٢ .

كذلك فإن التعاون النووى بين إسرائيل وهذه الدول ... قد يحقق لإسرائيل قفزة تكنولوجية فى المجال النووى تجعل الحديث عن الردع التقليدى أو الكيماوى العربى أمرا غير ذى بال ، ويفرغ مبادرة الرئيس مبارك لنزع أسلحة التدمير الشامل من المنطقة من اى مضمون .

وانطلاقا من خطورة تأثير هذه العلاقات كما رأينا ، ورغبة فى قيام علاقات اقتصادية قوية بين هذه الدول والدول العربية للمساهمة فى التنمية الاقتصادية ، فالأمر يتطلب استراتيجية متكاملة تقوم على عدة عناصر أهمها :

١ ـ ضرورة زيادة وعى المواطن العربى بهذه المنطقة الحيوية وفائدتها اقتصاديا بالنسبة لمجالات التعاون من خلال زيادة مساحة الحديث بين تلك المنطقة إعلاميا .

٢ ـ التركيز على زيادة العلاقات الاقتصادية المتبادلة كمدخل عام لتحسين وتدعيم العلاقات فى كافة المجالات السياسية والعسكرية .

٣ ـ نشاط سياسى من قبل الدوائر الدبلوماسية العربية لتعريف هذه الدول بظروف منطقة الشرق الأوسط وثقافاتها ، ومحاولة توضيح طبيعة المشكلات السياسية العربية وعلى راسها القضية الفلسطينية .

٤ ـ مخاطبة الرأى العام الداخلى فى هذه الدول لتوضيح ما يمكن أن تجرهم إليه علاقات التعاون العسكرى مع إسرائيل وخاصة فى المجال النووى من مخاطر إذا تم فضح هذه العلاقات التى قد لا يعلم الرأى العام عنها شيئا .

إن هذه العلاقات يجب أن تثير اهتمامنا كعرب ، وتقرع أجراس الإنذار لنا بأن نفتح جسور التعاون مع تلك الدول فى كافة المجالات . فشكل النظام الدولى الجديد يفتح الباب على مصراعيه لهذه الكتلة الاقتصادية كى تتبوأ مكانة متميزة ، وإذا لم نستطع الآن أن نتدارك ما فاتنا وندخل فى علاقات وثيقة مع هذه الدول فإن إسرائيل ستكمل « مشوار » العلاقات الخاصة والمتميزة براحة كبيرة ودون منازعة من أحد فهل يتنبه صانعو السياسة الخارجية فى العالم العربى ؟

عن مجلة السياسة الدولية

مع حجاج الاتحاد السوفيتي فوق جبل عرفات

للأستاذ : سمير رجب

فوق جبل عرفات التقيت بهم .. مجموعة من حجاج الاتحاد السوفيتي الذين جاءوا لأول مرة فى حياتهم لأداء فريضة الحج .. من بين « ١٥٥٠ » حاجاً قرر الملك فهد ملك السعودية استضافتهم بالكامل طوال أداء المناسك .

قالوا لى :

لقد ظللنا متمسكين بتعاليم الدين الإسلامي رغم العنف والقهر اللذين مارستهما الشيوعية ضدنا .. إلا أننا لم نيأس من رحمة الله .

تقدمنا مرارا بطلبات عديدة ليسمحوا لنا بالسفر إلى الأراضى المقدسة .. فكانوا يمزقون طلباتنا ويلقون بها فى وجوهنا !

الآن تغير الحال كثيرا . وإن كان جورباتشوف مازال مصرا على التمسك بتلابيب الشيوعية .. ونحن نرى أن النظرية انهارت من أساسها وكان لابد أن تنهار .. فالدين هو السياج المتين الذى يحمى حياة الفرد وماله وأسرته وعرضه .. أما فيما عدا ذلك فكله إلى زوال .. وهذا ما نشهده أمامنا .

عن جريدة الجمهورية

الاحتلال الهندى يرتكب مذابح فى كشمير

دخل الصراع فى « كشمير » مرحلة جديدة فبقدر ما تزداد حدة القمع الذى يتعرض له المسلمون من قبل قوات الاحتلال الهندى بقدر ما تزداد مقاومتهم وإصرارهم على التمسك بمواقفهم العادلة وقد اتضح هذا بعد مذبحة أول مارس فى « سريناجار » التى قامت بها القوات الهندية وراح ضحيتها أكثر من مائة مسلم .

لقد فتحت قوات الاحتلال النار على حشد من الوف المسلمين تجمعوا فى المدينة للتوجه إلى مكاتب هيئة المراقبين التابعين للأمم المتحدة .

وقع هذا العدد الكبير من القتلى الذى يمثل أعلى نسبة من الضحايا فى يوم واحد فى تاريخ العاصمة فى نهاية أسبوع شهد تجمعات جماهيرية تتضخم يوما بعد آخر فى كشمير كلها .

وهذا الحضور الهائل لمسلمى كشمير فى شوارع العاصمة بالرغم من الصقيع ورياح (الهيمالايا) الباردة الذى عبر عن إرادة صلبة ، وعزيمة لا تلين فى مواصلة عملية الجهاد ملأ قلوب قوات الاحتلال بالرعب وهزهم من الأعماق خاصة عندما قامت مسيرة ضخمة أخرى امتدت فيها عربات النقل وحدها على طول ١٢ ميلا .

ومع تواصل التجمعات الجماهيرية الكبرى التى تعبر استمراريتها عن مدى عمق إحساس الجماهير بعدالة قضيتهم قررت قوات الاحتلال مرة أخرى القيام بمحاولة سحق الحركة قبل أن تكتسح كل شىء فى طريقها فكانت قرارات حظر التجول المدعومة بأوامر إطلاق النار لغرض القتل .

عن جريدة الهلال الدولى

القضية الاريترية

لاشك أن القضية الإريترية شهدت تصعيدا جوهريا منذ أن تولى (منجستو هيلا ماريام) قمة السلطة فى أثيوبيا حيث اعتمد على الحل العسكرى مستبعدا بصورة مطلقة أى نوع من الحوار من منطلق فهمه بأن إريتريا جزء من أثيوبيا ولا نقاش حول هذا الموضوع مع أن

من خير مانشر

الثورة الإريترية أضحت تسيطر اليوم على ما يقارب الثمانين بالمائة من إريتريا بل وعقدت مؤتمراتها مؤخرا داخل إريتريا .

لقد قرر منجستو منذ البداية تصفية الثورة الإريترية من جذورها فنقل معظم وحداته العسكرية إلى إريتريا حيث قامت بعمليات تمشيط عسكرى واسعة امتدت لبضع سنوات شملت كل المدن والقرى ، وخلافا لما توخاه منجستو فقد أحرز هذا الأسلوب نتائج عكسية تماما ، فالحل العسكرى البحت قاد إلى توسيع قاعدة المقاومة عبر انخراط ألوف الإريتريين حتى النساء والأطفال فى صفوف الثورة الإسلامية ، وهذه المحصلة بدورها دفعت « نظام أديس أبابا » إلى التصعيد مما جعل إريتريا خلال السنوات الماضية مسرحا للعنف ، والعنف المضاد ، وسجلت يوميات الحرب هزائم متلاحقة للجيش الأثيوبى وانتصارات باهرة للثورة الإريترية التى توجت بالاستيلاء على ميناء مصوع الاستراتيجى .

إضافة إلى الخسائر العسكرية فى إريتريا فقد خسرت أديس أبابا ـ باعتراف منجستو ـ معارك رئيسية فى « إقليم تيجراى » بما فيها المعركة الأخيرة التى منى فيها الجيش الأثيوبى بخسارة آلاف المقاتلين ، وفقد السيطرة على عاصمة الإقليم ولم يسجل نصرا فى إقليم أوجادين .

عن مجلة رسالة الجهاد

قرآن وسنة

لفضيلة الدكتور : عبد الجليل شلبى

كانت قاعة المؤتمرات فى بغداد تغص بالمستمعين ، ولا غرو فى ذلك ، فقد جاء إلى هذا المؤتمر مندوبون من سبعين دولة ، وكان الراغبون فى الحديث كثيرين لم يتسع الوقت لهم جميعا . ولكن كان للرغبة فى الكلام دلالتها على الشعور الذى يملأ نفوس القوم ويغمرها بالاستياء من (العدوانات) الإسرائيلية وتأييد أمريكا لإسرائيل ودفاعها عنها وحرصها على استعمال ما يسمى بـ « الفيتو » إذا وُجِهَ نقد إليها .

وقف مندوب من أبناء أسبانيا ، فأعلن رأيه فى نقاط : طالب أن تأخذ الدول الإسلامية والعربية والدول الأخرى التى تتعامل معها بها .. وأبرز ما فى هذه النقاط مطالبته بمقاطعة السفن والطائرات الأمريكية ، فلا تعمل فى شحنها ولا تفريغ ما عليها ، ولا يسافر شخص واحد عليها ودعا كل مندوب فى المؤتمر أن يعلن ذلك فى بلاده ، فيعرف الناس هناك أولا بشذوذ الموقف الأمريكى الإسرائيلى ، واستعمال القوم قوتهم الغاشمة ضد قوم أبرياء لا يريدون إلا أراضيهم .

ثم دعوة الناس بناء على هذا التوضيح بمقاطعة الطائرات والسفن والبضائع الأمريكية .

● أعجبت بهذا الرأى وأود أن يؤخذ به ، فهو من ناحية لا يحرج أى حكومة إزاء أمريكا ، لأن هذه المقاطعة من الشعب والجماعات وليس من الحكومات .

ومن ناحية جرب هذا العمل ونجح عام ١٩٥٩ حينما قاطع العمال فى موانى نيويورك الباخرة المصرية « كليوباترا » وبقيت أياما فى الميناء محملة ببضائعها ، وكانت بصدد العودة حقا ، ومازادت الحكومة الأمريكية يوم ذاك على أن ناشدت الحمالين الا يقاطعوا السفينة وضاع الرجاء ، ولكن العمال العرب أعلنوا أيضا مقاطعة السفن الأمريكية ، وإزاء هذا اضطر عمال أمريكا إلى تفريغ السفينة « كليوباترا » ثم السفن الأخرى بعد ذلك ولم تتكرر المقاطعة إذ

كان أثرها معروفا(*) .

امريكا تعيش على بترول العرب وتصرف بضائعها فى بلاد العرب . وتستقبل سياحاً من العرب ، وليس لها فى العالم سوق أروج من أسواق العرب ، ومع ذلك هى اكبر أعداء العرب واكبر مشجع لإسرائيل ضد العرب ، ومن وراء تشجيعها يشجع الآخرون .

عن جريدة الجمهورية .

الوحدة الأوروبية والاقتصاد العربى

فى الوقت الذى تبقى فيه أمة التوحيد مجزأة ومتفرقة إلى ما يزيد على ٧٠ سياسة اقتصادية تتضارب وتتنافر أكثر بكثير مما تنسجم وتتقارب .

نرى أن أوروبا الغربية تتحرك حثيثا تجاه وحدة اقتصادية كاملة ، لتصير سوقا واحدة واسعة مفتوحة تتحرك العمالة بين دولها الاثنتى عشرة بحرية كاملة ، وتتعاظم التجارة البينية داخل دول السوق الأوروبية المشتركة ، وعلاوة على ذلك فإن أوروبا الغربية من خلال اتحادها فيما يسمى « السوق الأوروبية المشتركة » سوف تتعامل مع العالم الخارجى كتلة واحدة وسياسة واحدة ومصلحة واحدة وقراراً واحداً . ولهذا باتت كافة الوحدات والتكتلات الاقتصادية تأخذ حذرها وتدرس أمرها لتعرف كيف تتعامل مع هذا العملاق الأوروبى القادم مع عام ١٩٩٢ م .

ومن الزاوية المصرفية وحدها ، فإن الإعلان النهائى للوحدة الاقتصادية الأوروبية سوف يضطر العديد من البنوك العربية إلى تصفية نشاطها التجارى فى دول المجموعة الأوروبية بعد عام ١٩٩٢ . إذ أعربت الدول العربية عن مخاوفها من احتمال أن تضطر بنوكها فى دول المجموعة الأوروبية والتى يقدر عددها بثلثى إجمالى بنوكها فى الخارج إلى إغلاق أبوابها ، بسبب ما تتوقعه هذه الدول من منافسة قوية من جانب البنوك الأخرى .

وتشعر الدول العربية بالقلق بشكل خاص بشأن شرط المعاملة بالمثل الذى تضعه المجموعة الأوروبية ، والذى يشترط السماح لجميع دول المجموعة الأوروبية بالقيام بأنشطة فى أى بلد يرغب فى بدء أنشطة تجارية مع أى دولة من دول المجموعة ، وهذا الشرط يحرم العديد من الدول العربية من ممارسة أى نشاط مصرفى فى أوروبا الغربية طالما ظلت تغلق أبوابها أمام البنوك الأجنبية .

عن مجلة الاقتصاد الإسلامى

* أجرى الله ـ تعالى ـ فضل تفريغ السفينة كليوباترا على يدى فضيلة الدكتور محمود حب الله مدير المركز الإسلامى بواشنطن يوم ذاك .

أنباء وآراء

أنباء فضيلة الإمام الأكبر
إعداد : الشئون الفنية

فضيلة الامام الأكبر في زيارة لجمهورية العراق

تلبية للدعوة الموجهة لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر من السيد نائب رئيس الجمهورية العراقية ، غادر فضيلته القاهرة صباح الاثنين الموافق ١٩/٧/١٩٩٠ على رأس وفد مكون من السادة أصحاب الفضيلة :

الشيخ أحمد راضى مدير عام الدعوة والإعلام الدينى . والشيخ أحمد إسماعيل مدير عام منطقة القاهرة الأزهرية . والشيخ مهدى عبد الحميد مدير عام الإعلام والعلاقات العامة .

وذلك لحضور اجتماعات لجنة هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

الرئيس العراقى يلتقى بفضيلة الامام الأكبر

أكد الرئيس العراقى صدام حسين أهمية دور الأزهر الشريف فى قيادة الأمة الإسلامية . وقال خلال استقباله لفضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

إن للأزهر دورا حضاريا مشهودا له .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم السبت الموافق ٢٣/٦/١٩٩٠ السيد / حليف إدريس على وزير العدل الجيبوتى . حضر اللقاء السيد / أدن شيخ حسن سفير جيبوتى بالقاهرة .

وقد بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير الذى بحث مع فضيلته سبل دعم الأزهر لجمهورية جيبوتى وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر لزيادة عدد المبعوثين لجمهورية جيبوتى .

وفى نهاية اللقاء توجه السيد وزير العدل الجيبوتى بخالص الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والحفاوة .

كما استقبل فضيلته ظهر يوم الأربعاء الموافق ٢٧/٦/٩٠ بمكتبه فضيلة السيد على أوسودان رئيس جامعة مسلمى ميندناو بمصاحبة السيد / حسن مرهو بيصار سفير الفليبين بالقاهرة وقد قدم السيد رئيس الجامعة شكره وشكر مسلمى ميندناو على ما يقدمه الأزهر من عون ومساعدة للمسلمين فى الفليبين كما تم بحث زيادة المنح لطلاب (جامعة ميندناو) وتدريب المدرسين الفليبين فى مجال العلوم العربية والإسلامية وفى نهاية اللقاء توجه رئيس الجامعة بخالص الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والحفاوة .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد: صفوت عبد الجواد
عبد المنعم فودة

الامام الأكبر فى بغداد

الأزهر ينشر الإسلام دون تعصب فكرى او مذهبى

● اكد فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن مصر لم تدخر وسعا لتقديم كافة سبل الدعم للأزهر الشريف لينهض برسالته فى خدمة الدعوة الإسلامية ونشر تعاليم الدين الإسلامى الحنيف فى سائر انحاء العالم وأكد الإمام الأكبر فى محاضرة ألقاها فى بغداد وحضرها كبار رجال الدعوة الإسلامية بالعراق أن الأزهر يقوم بنشر الدعوة الإسلامية وعلوم اللغة العربية دون تعصب لفكر أو مذهب وقال : إن للأزهر الآن خمسة آلاف مبعوث يعملون على نشر الدعوة الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم كما أن هناك ١٥ ألف طالب من الوافدين يدرسون فى معاهد وكليات الأزهر ، واكد ان الأزهر لا يدخر وسعا فى التعاون مع المنظمات الإسلامية العالمية فى سبيل خدمة المسلمين فى كل انحاء العالم واضاف شيخ الازهر أن مصلحة الناس والعرف والعادات تعد من مصادر التشريع الفرعية التى يمكن الاخذ بها بشرط أن تدور فى إطار القواعد الإسلامية الصحيحة ، واكد على انه ينبغى على العلماء وهم ينقلون الفتاوى الدينية عن العلماء والائمة القدماء أن يراعوا الظروف التى ظهرت خلالها هذه الفتاوى قبل تطبيقها حرفيا فى ظروف مختلفة تماما .

واشار شيخ الازهر إلى انه إذا اختلف العلماء فيما بينهم عليهم أن يحتكموا إلى العقل والعلم وأكد على أن الإسلام أمر المسلمين بمعاملة أهل الكتاب بالتى هى أحسن .

هذا وقد عقد اجتماع خلال زيارة شيخ الأزهر لبغداد تم فيه استعراض عدد من القضايا الإسلامية وسبل دعم العلاقات بين الأزهر ووزارة الأوقاف العراقية ، شارك فى هذا الاجتماع كبار المسئولين العراقيين عن التعليم والأوقاف .

توسيع الحرم المكى ومسجد الرسول

● أعلن السيد عبد الوهاب أحمد عبد الواسع وزير الحج والأوقاف السعودى أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يقوم بنفسه بالإشراف المباشر على مشروع توسعة الحرم المكى الشريف لتبلغ طاقته الاستيعابية نحو مليون من المصلين وهى أكبر توسعة عرفها التاريخ .

كذلك يجرى حاليا تنفيذ مشروع مماثل لتوسعة مسجد الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالمدينة المنورة لتصل طاقته الاستيعابية إلى ٨٠٠ الف ، واضاف وزير الحج والأوقاف السعودى أن مسجدى قباء والقبلتين

أنباء وآراء

نالا حظهما من التوسعة وجودة البناء وكذا مساجد كل المواقيت وأنه تم استكمال « دور المملكة » وهى مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة مما يضمن توزيعه على أكبر عدد من المسلمين فى شتى البقاع . وقد اشتمل هذا المشروع على ترجمات عدة باللغات المختلفة بمعانى القرآن الكريم وفى مقدمتها الانجليزية والفرنسية والأردية والصينية والتركية والملاوية .

دراسات حرة للنساء بالأزهر

بدأت جامعة الأزهر بالتعاون مع الأزهر الشريف تنظيم دراسات حرة للنساء بالجامع الأزهر دون التقيد بسن معينة .

تبدأ الدراسة عقب صلاة العصر يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع .

ويقوم بإلقاء المحاضرات والدروس نخبة ممتازة من مدرسات جامعة الأزهر فى التخصصات الإسلامية ، وتعنى الدراسة - فى المقدمة - بفقه المرأة لتعريفها بما يخصها من أحكام ، وتضم الدراسة تعريفا بالسنة الشريفة ، إلى جانب تراجم عن أمهات المؤمنين وتضحياتهن من أجل الإسلام .

ويشمل البرنامج دراسة فى التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية للتعريف بغزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم ما قامت به المرأة المسلمة من دور كبير فى نشر الدعوة الإسلامية .

موسكو تعترف (غزو أفغانستان انتهاك لحقوق الانسان)

أذاع (راديو مونت كارلو) وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن وزير الخارجية السوفيتى (إدوارد شيفر نادزة) قال أمام البرلمان السوفيتى فى موسكو : إن غزو القوات السوفيتية لأفغانستان كان انتهاكا صارخا للمبادىء الأخلاقية والقيم الإنسانية .

واضاف شيفر نادزة أن قرار الغزو اتخذ فى غفلة من الحزب ومن الشعب وكان ذلك انتهاكا لمبادىء الحزب .

استراتيجية للعمل الاسلامى لوزراء أوقاف الدول الاسلامية بمكة المكرمة .

بحث وزراء أوقاف الدول الإسلامية التى تضم السعودية ومصر والعراق والأردن والكويت والمغرب وأندونيسيا وباكستان - فى مكة المكرمة خلال اجتماع المجلس التنفيذى ، بحثوا وضع سياسة استراتيجية للعمل الإسلامى فى ضوء تطورات وتوصيات مؤتمر وزراء أوقاف الدول الإسلامية الرابع الذى عقد فى جدة فى ديسمبر الماضى .

كما بحث المجلس موضوع التنسيق بين وزارات الأوقاف بالدول الإسلامية والمنظمات الشعبية الإسلامية .

الاحتفال بحفظة القرآن الكريم

تم فى احتفال كبير بمبنى جمعية الشبان المسلمين بمحافظة بنى سويف توزيع الجوائز على خمسين فائزا من حفظة القرآن الكريم من أبناء العاملين وقد بلغت قيمة الجوائز الموزعة على الفائزين خمسة عشر الف جنيه .

أزمة المسلمين فى ليبريا

وقعت فى ليبريا مذابح عديدة للمسلمين فى إقليم (بنمبا) وذلك إثر دخول مجموعات مسلحة

من المتمردين الذين هاجموا قرى إسلامية عديدة وأحرقوها تماماً .

جاء هذا فى تقرير لمكتب مسلمى افريقيا فى ليبريا ونقلته (مجلة التضامن الإسلامى التى تصدر بمكة المكرمة) .

وجوب المحافظة على حقوق المسلمين فى بلاد الاقليات المسلمة

رفضت وزارة التربية والتعليم البريطانية إعانة المدرسة الإعدادية الإسلامية فى حى (بروديزبورى) شمال غرب لندن والتى يدرس بها (٩٥) تلميذا وتلميذة وتقدم للالتحاق بها هذا العام ألف تلميذ وتلميذه على قائمة الانتظار .

صرح بذلك الشيخ / يوسف إسلام مدير المدرسة وذكر أنه قد طلب معونة قدرها مليون جنيه استرلينى ولكن الوزارة رفضت بدعوى أن هناك أماكن شاغرة بالمدرسة مع العلم بأنه يوجد تفرقة فى المعاملة ، فالوزارة تدفع إعانة للمدارس اليهودية فى حين ترفض إعانة المدرسة الإسلامية .

من قضايا الاختزال - بقية

أولهما فقط » نحو قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ﴾ (التوبة ٢٩) .

وبالمقارنة بين « الرضى » و « ابن هشام » يبدو لى مايلى :

— أنهما يتفقان فى دراسة ظاهرة حذف المفعول دراسة وصفية .

— يظهر أن « الرضى » أدق فى صوغ قانون هذه الظاهرة .

— أشار الرضى إلى « قصد المبالغة » من وراء الحذف ، وذاك أمر يكشف عن رغبة المتكلم بالتركيب الذى آثر فيه الحذف على الذكر .

— أشار « الرضى » إلى « قضية التضمين » فى اللغة وهى : « إشراب الفعل معنى فعل آخر » وتلك مسألة نحتاج إلى تتبع للكشف عن « أهدافها وقوانينها » .

هذا وقد تعرض النحاة « إلى المفعول به الذى لا يجوز حذفه » وحصروا ذلك فيما يأتى :

١ - إذا كان المفعول به نائبا عن الفاعل ، لأنه صار عمدة كالفاعل .

٢ - أن يكون متعجبا منه نحو : ما أحسن زيدا .

٣ - أن يكون مجابا به نحو : « زيدا » لمن قال : من رأيت ؟ إذ لو حذف لم يحصل جواب .

٤ - أن يكون محصورا نحو : ماضربت إلا زيدا ، إذ لو حذف لأفهم - التركيب - نفى الضرب مطلقا ، والمقصود نفيه مقيدا .

٥ - أن يكون عامله محذوفا نحو : خيرا لنا وشرا لعدونا .

٦ - إذا كان المبتدأ غير لفظ « كل » والعائد المفعول نحو : زَيْدٌ ضَرَبْتُه ، فلا يقال اختيارا زيد ضربته - بحذف العائد ورفع زيد - بل يجب عند الحذف نصب زيد(٢٣) .

(٢٣) انظر همع الهوامع ٣/١٣ بتصرف يسير ، وشرح الرضى ١/٣٤٣ .

فهـــرس

الموضوع	الصفحة
● في الهجرة .. فقه وقيم ومثل	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١
● زهد سيد الزاهدين	
د. علي أحمد الخطيب	٥
« باب مع الإمام الأكبر »	
● عيد الأضحى المبارك	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٨
● الإمام الأكبر في حديث هام لمجلة آخر ساعة	
حديث أجراه / حسن علام	١١
● فتوى الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٢٢
● من فقه الكتاب والسنة	
الأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة	٢٩
● في ذكرى الهجرة الطيبة	
للشيخ معوض عوض إبراهيم	٣٦
● أما آن لهذا الصحابي	
للأستاذ / السيد حسن قرون	٣٩
● وأفوض أمري إلى الله	
للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي قرني	٤٢
● زيد بن ثابت	
للأستاذ الدكتور / عبد العزيز غنيم	٤٧
ليبيريا والإسلام	
للأستاذ / محمد المتناوي	٥٠
الماوردي قاضياً	
للأستاذ / أيمن محمد ميدان	٥٥
التعليم والثقافة في ظلال الإسلام	
للأستاذ الدكتور / السيد تقي الدين	٥٨
● مفاتيح الجنة	
للأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير	٦٣
الشعر والشعراء	
إشراف د. حسن جاد	
● على درب التوحيد	
للأستاذ / رشاد محمد يوسف	٧٠
● أم معبد في طريق الهجرة النبوية	
للأستاذ أحمد المنشاوي الورداني	٧١
● الخريف	
للأستاذ محمد سلطان لطيف	٧٢

الموضوع	الصفحة
● المثل الغائبة	
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	٧٤
● من أعلام الأزهر	
العالم الجليل الأستاذ الدكتور	
محمد شمس الدين إبراهيم	
للأستاذ ناصر محمود وهدان	٧٥
« باب العلوم الكونية »	
● الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٨٢
● دراسة في الطب	
للأستاذ الدكتور / محمد أحمد مزيد	
● طرائف ومواقف	
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٠
● من روائع الماضي	
إعداد / عبد الفتاح حسن الزيات	٩٢
« باب اللغة والأدب والنقد »	
● من قضايا الاختزال	
للأستاذ / عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد	٩٨
● حول ديوان ابنة الإسلام	
للشاعرة / علية الجعار	
دراسة / أحمد محمود مبارك	١٠٢
● من خير ما نشر	
إعداد : عادل رفاعي خفاجة	
أحمد تقي الدين	١٠٩
● أنباء وآراء	
أنباء فضيلة الإمام الأكبر إعداد : الشئون الفنية	
أنباء العالم الإسلامي	
إعداد : د. عبد العزيز عزت عبد الجليل	
صفوت محمد عبد الجواد	
عبد المنعم حافظ فودة	
« القسم الإنجليزي »	
إشراف د. أنس مصطفى النجار	
● المقالة الثانية	
للأستاذ / سعد مصطفى مصطفى	١٢٢
● المقالة الأولى	
للدكتور / أنس مصطفى النجار	١٢٦

The spectrum of morality is inclusively integrative, it combines Faith in Allah, religious rites, spiritual observances, social conduct, decision making, intellectual pursuits, temperament, attitudes of character, manners, emotions, habits, and all other aspects of human individual and social life. Because morality is an essential aspect of Islam Theism, the tone of morality is inherent in all Islamic teachings, and is repeatedly stressed in various contexts throughout the Holy Quran. Every moral value is mentioned many times in several contexts appearing either singly, or as an article of a system which is itself an element of a complete religious supersystem. These are so numerous, and it is beyond the scope of this treatise to enumerate and classify all such passages that pertain to human morality that are part of the Holy Quran, and the Hadith of the Prophet. Moral values in Islam are not designed to intimidate mankind, or imprison his freedom of will, thought or action. Moral values are meant to develop a healthy personality, cultivate a wholesome character, maintain a balanced stable psychology, and primal to all consolidate the association with The Creator, The Infinite Source of all Goodness.

Mankind is created fallible and imperfect and, in order to rectify mistakes, the path to repentance and atonement (Tawbah) is open to all those who have done wrong, and seek penitence. The act of (Tawbah) is in itself a form of worship. It is a practice that always results in spiritual reform, moral growth and maturity by which the finer qualities of mankind crystalize and develop, and human potentials for good righteous morals become developed.

Morality and the provision of a value system is the most fundamental requirement for the wholesomeness of human society. Moral obligations are incumbent on every individual in society in all its units and subdivisions of human life. The standards and norms of a value system are practiced in a human society according to moral codes, which originate from a divine system of values. The ethical formalism should be instituted in the culture of young generations, and maintained in practice of all phases of life. The grace of the conscience, the mental splendor of the sense of right, the psychological stability of stoicism, and the spiritual elegance of the moral value system are all essential elements that must be instituted and practiced in the human society as primary requirements for its survival and posterity.

comprise the relationship of man and the Creator, the relationship of man and man, man and the other elements of creatures in the universe, and man and his innermost self. The ultimate role of mankind in all these relationships is to champion and proliferate the human value system as designed by Divine patterns. The main purpose is to practice virtue, chastity, honesty, simplicity, humbleness, compassion, generosity, magnanimity, righteousness and a general form of elegant grace that qualifies mankind to be human. The primordial precursor arbitrator of all human thought, intention, and action, is Belief and Faith; the quality of all human behaviour, feelings, and life's conduct, is an outcome of this basic criterion. The life of mankind must be essentially occupied with objective constructive thought and serious beneficial pursuits.

The purpose of Divine Scriptures is to provide a structured formulation of regulatory system of legislative code of practice for moral human life. This code is classified into positive commitments which must be observed and negative prescriptions which must be avoided. Both the positive commitments and the negative prescriptions are aimed to optimize the conscience function of mankind, build his personality, deepen his axioms of belief, and justify the healthy function of distinctive selection and discriminative analysis. The positive commitments essentially act as perpetual reminders and energizers of faith, the continual strong link with The Creator. These are mainly the forms of worship, which have extensive and far-reaching implications of both individual and social moral values. The negative prescriptions are preventive and pre-cautionary measures to safeguard, maintain the original quality of the human value system, and protect it from degeneration, devaluation, perversion, indecency, and temptation. The ultimate preservation of the human value system in both individual and society depends upon the extent and degree of observance of the divine articles of faith. The doctrines of prohibition are introduced for the spiritual, psychological, mental, and physical health of man; which reflect on the moral and material benefit of society. These articles of prohibition are therefore not for the deprivation of mankind but for enrichment, not for suppression but for discipline, not for limitation but for expansion and proliferation. These prohibitions are acts of Divine Mercy and Grace. The Holy Quran indicates in several statements the articles of prohibitions. In one of these statements, the grounds and foundations of sound moral conduct is given, "say" The Things that my Lord has indeed forbidden are: sinful deeds, whether open or secret, shameful acts and trespasses against truth or reason, assigning partners to Allah, and saying things about Allah of which you have no knowledge (Surat Al-Aarraf, vii, 33).

→

highest and most supreme organism of creation. No other creation is attr - ibuted with the faculty of thought and discriminative arbitration of inte - ntion and action except Mankind.

knowledge of The Creator and the absolute belief in the Divine Transcendent Truth, formulates the basic essential molecular foundation of the proper function of all human faculties, most of all the psychosynthesis of the human mind. Allah (God), the Maker and Sustainer of the whole Composite Universe, the Provider of mankind, the Ultimate Active Intelligent Force and Energy in nature - Allah has provided mankind with the faculty of cognitive thought and the ultraprecise mechanism of distinctive selection and mental energy. In order to achieve the rank bestowed upon Mankind by The Creator, the human race was destined to adhere to certain distinctive obligations in order to maintain the standards required to meet with the qualification of being human. Any deviation from the normative standards and the inborn value system, undermines the quality of being human, and brings down human grade to low levels comparable to that of lower organisms or even lower. The Creator ordained that human thought, intentions, and actions should be of supreme quality of grace, chastity and purity. With all the freedom of thought and action bestowed upon mankind, it is expected that mankind should live and act in conformity with all values that should preserve the quality of being human.

With this basic premise, the doctrinal teachings of Islam provide specific importance to the concept of morality, and consider morality as a fundamental element of Faith. The composite law of Islamic Shariah is essentially designed to formulate, organize, arbitrate, classify and quantitate the science of human intention, action, and conduct in all its inclusive forms in human life.

The concept of morality in Islamic teachings centers around certain fundamental axioms of faith. The nucleus upon which everything else is structured is that Allah, The Creator is the Source of all goodness, truth and ultimate grace. Man is created as the responsible dignified honourable vicegerent of Allah on earth. The doctrines of faith dictate that all things are permissible in principle except what is singled out as obligatory and must be observed, and what is singled out as forbidden and must be avoided. The ultimate responsibility of mankind is to Allah and only to Allah. Based on these manifestations of belief, the dimensions of morality become far-reaching and involve the total life of the individual. These dimensions

THE CONCEPT OF MORALITY IN ISLAM

By: Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The lexicological origin of the word "Morality" pertains to the ethics of standard principles controlling human conscience that differentiates and justifies right from wrong, virtue from vice, good from evil, normal from abnormal. This inward monitor, inner arbiter, ethical censor is basically a fundamental quality of all biological life, from unicellular organisms to higher mammals and vertebrates. The complexity of development of this primitive biological quality, varies according to the organism. In mankind, this quality is most highly developed and accurately organized. Distinct from all other biological organisms, the human being is the only creature that possesses a unique faculty of discriminative analysis; and a functional force of thought, intention, and action. Such sequence occurs under conditions of absolute mental freedom; the only restraint is the faculty of discriminative analysis and the voice of conscience. It is an inborn natural quality of mankind to act and function according to a differential mechanism of distinctive selection between the two opposites of morality and immorality. The normal human being, with an integrated personality, healthy psychosynthesis, with a developed adjustive reaction and normal conditioned response, possesses the behavioural norms of the human value system. This faculty enables mankind to discriminate between various human actions and conduct, to condemn what is immoral and applaud what is moral.

The faculty of arbitration in the genesis of human creation is totally integrated and associated with all other mental capacities of intelligence, comprehension, wisdom, perception and cognitive thought. This total structure indicates the existence of a delicate balance between normal and abnormal functions of the mind that will ultimately lead to normal and abnormal thoughts and actions. This sequence of understanding indicates that normal intentions and actions are the consequence of a healthy properly functioning arbitration mechanism of the human mind; and that abnormal intentions and actions are the consequence of an unhealthy disorganized arbitration. This value system constituted the basic elements of human creation, for the purpose that Mankind should be the

→

Damascus. At Al-Gabiah, Omar received the emissary of Abu Ubaydah, who informed Omar of the Muslim triumph, and asked whether the men of Al-Qaqáa should have a share in the spoils or not. Omar did not continue his journey, he wrote to Abu Ubaydah to include the men of Al-Qaqaa in the spoils of battle. The whole territory of north Syria once again settled down, and the Muslim warriors returned to their original positions.

The three Muslim formations under Suhayl ibn Adii Abd-Allah ibn Utban and Al-Walid ibn Uqbah commanded by Ayyadh ibn Ghanm, subdued the nomad tribes resident in the desert stretch between the Euphrates river and the Syrian mainland. All the lands in this region and further north to the plains of the Euphrates river submitted in allegiance to Islam. Omar ibn Al Khattab personally interfered in the negotiations regarding the "Jiziah" when some of those tribes insisted to remain Christians, Omar ibn Al-Khattab wrote to Al-Walid ibn Uqbah that there was no compulsion in religion, and that Islam called for freedom of faith. These tribes were Banu Taghleb, Banu Ayyadh, Banu Rabieah and Tanukh. Most of these tribes in latter years followed the Muslim faith. Omar ibn Al-Khattab had relieved at Walid ibn Uqbah from his command over those tribes because of continuous dispute between Al-Walid and the tribes, an act of administrative diplomacy. Omar appointed Furat ibn Hayyan to replace Al-Walid ibn Uqbah as Omar's commissioner to govern those tribes. With these final amendments of government, the whole complete Syrian and Palestinian territories had become totally under Muslim administration.

The vanguards of Muslim warriors under Khalid ibn Al Walid and Ayyadh ibn Ghanm penetrated north into the territories of Armenia and Qalqiliah. The spoils of Muslim expansion were excessive, and it is related that Khalid ibn Al-Walid was over carried by military pride and personal sureness and pomposity. He deliberately took issues to his own decision without consulting with the head of State Omar ibn Al-Khattab. In some instance, Khalid ibn Al-Walid even refused the directions of Omar, and his actions and replies had a shade of insubordination. Omar ibn Al-Khattab wrote to Abu - Ubaydah ibn Al-Garrah with instruction to dismiss Khalid ibn Al-Walid from his command and from service. This was the end of the greatest military commander Islam had ever known, a common end for a unique man. The story of Omar ibn Al-Khattab, and Khalid ibn Al-Walid is narrated in extensive analytical detail by most chroniclers some favouring Omar and others favouring Khalid. The fact remained that both men were of unique extraordinary qualifications, two driving expanding forces, one had to give way for the other to grow. No man is qualified to pass judgement in the dispute between those two great men. Omar ibn Al-Khattab was the head of state, and what he decided must be executed with all respect, homage and obedience. Omar ibn Al-Khattab the greatest of all at all times.

Confronting the critical situation, Omar ibn Al-Khattab responded with confident promptness, vigilant alertness, talented strategy and emphatic determination. He planned to defeat the Roman-Tribal association that was threatening Muslim crusaders in Syria, and to save the juvenile state from an impending catastrophe. Omar ibn Al-Khattab wrote to Saad ibn Abi Waqqas in Iraq to mobilize men under the command of Al-Qaqáa ibn Amre to march to Homs in support of Abu Ubaydah, this was to be an immediate action. Omar also instructed Saad to comission Suhayl ibn Adii, Abd-Allah ibn Utban, and Al-Walid ibn Uqbah to lead Muslim veterans to the dwellings of the nomad tribes who assembled and marched against Abu- Ubaydah at Homs. Threatening raids against these dwellings would induce the nomad tribes to return in defence of their homes. The three men responsible for the raids of the tribal dwellings were under the command of Ayyadh ibn Ghanm. Omar ibn Al-Khattab did not content himself with these measures. He considered the situation more grievous, and that Heraclius would not venture into such a gambit unless he was prepared. As an optimal counter measure, Omar ibn Al-Khattab assembled an army from the tribes of the Arab Peninsula, which he personally commanded, and marched north at the head of that army from Al-Madinah on his way to Syria to reinforce the Muslims with Abu Ubaydah at Homs.

By these justified optimal acts of prudence foresight on the part of Omar ibn Al-Khattab, the whole juvenile Muslim state was stirred up to confront an enemy who was endangering its very existance. The news of Muslim troop movements echoed throughout the whole territories between Iraq east and the Syrian coast west. Al-Qaqáa ibn Amre was on his way to Homs; Ayyadh ibn Ghanm commanding three separate formations was threatening the dwellings of the nomad tribes between Iraq and Syria; and Omar ibn Al-Khattab was marching from Al-Madinah towards Homs in north Syria. Abu Ubaydah and Muslim warriors at Homs became reassured and confident of the situation. The nomad tribes as expected decided to return to defend their dwellings against the three armies under the command of Ayyadh ibn Ghanm. Abu Ubaydah made sure that the nomad tribes retreated to defend their dwellings and that he was faced only with the Roman forces confronting him from the west. Abu Ubaydah convened with his army commanders, and decided to attack the Romans before they prepared for the new situation after the retreat of the nomad tribes. The combat between the Muslims at Homs and the Roman forces was very fierce but short, the Muslims defeated the Romans who retreated to the coast to leave the Syrian soil by ships to Alexandria. Muslim triumph over Romans took place before Al-Qaqáa ibn Amre had reached Homs, and also before Omar ibn Al-Khattab had reached Al-Gabiah on the road to

signing the truce of Jerusalem. The Romans in Syria and Palestine had suffered defeat on the hands of Muslim warriors. The Roman expulsion from the territories of Syria and Palestine north of the Arab Peninsula was complete without hope of return. On the other hand, the Persian expulsion from the territories of Iraq between the two rivers was also final. The muslim authority was completely dominant over all the regions east from the Tigress river to the Mediterranian coast west. The clans and tribes resident in the middle between Iraq and Syria were nomads moving freely through the regions between the mainland of Iraq and Syria. These tribes remained more or less under no authority, and they realized that the joint impact of Muslim domination in both Iraq and Syria, would eventually bring them under Muslim administration. They decided to oppose that by supporting the Romans against the Muslims. They made contact with Emperor Heraclius of their willingness to support him, if he were to send seaborne troops to attack the Muslims and retrieve lost territories north of Syria. Heraclius considered that it might be a surge of fortune, to defeat the Muslims, regain Syria and Palestine, and declare Jerusalem once again a Christian city. These Christian nomad tribes wrote again to Heraclius, they were adherent Christians, resistant to Muslim domination of these lands, ready to struggle for their purpose. Heraclius evaluated his military strength; his fleet was intact, the harbours of the eastern Byzantine Empire, except those on the Syrian coast, were strong and fortified. The whole campaign could be successful if the nomad Christian arabs were to attack the Muslims from the desert, and the Roman troops were to attack from the Sea. Emperor Heraclius approved the alliance and wrote to the tribes informing them that the Roman fleets from Alexandria and Constantinople were on their way to the Syrian coast carrying men and weapons.

The masses of the nomad tribes gathered to march towards Homs; and the Roman ships sailed from Alexandria to Antaqiah carrying Roman legions and war machine. The news of this assembly and association reached Abu Ubaydah ibn Al-Garrah. He convened with his army commanders and decided to assemble all Muslim warriors at Homs; he also wrote the details of the situation to Omar ibn Al-Khattab. The sequence of events followed very rapidly, Abu Ubaydah ibn Al-Garrah found himself surrounded by the throngs of normad tribes, coming from the east; and the seaborne Roman forces coming from Antaqiah. The whole territory of north Syria was ablaze with insurgence and conflict. The juvenile Muslim state was at stake, and Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah was at the head of the Muslim state. He was the man upon whose shoulders remained the burden of responsibility.

OMAR IBN AL-KHATTAB

"THE INSURGENCE IN NORTH SYRIA"

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

After the Truce of Jerusalem was signed, the Muslim commanders Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, Khalid ibn Al-Walid, Yazied ibn Abi Sufyan, and Amre ibn Al-Aass; each returned to their respective territory of command. The system of administration was totally dictated by Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah according to Islamic doctrine of "Shurah". This system was based on absolute justice, social equality, human respect, individual rights and freedom. Such values were essential doctrines in Islamic system of government, according to the teachings of the Holy Quran and Sunnah. The governor of each territory was appointed by Omar ibn Al - Khattab, to implement closely the values of the new creed of Islam. The administrative link between the inhabitants of Plastine and Syria, and the Muslim warriors newly resident in these territories, was dictated by the terms of truce previously agreed upon and signed by the two parties. The inhabitants of Syria and Palestine were slow and reluctant in adopting Islam. They were mostly Christians who remained adherent to the teachings of the Christian faith, which are essentially in part similar to those of Islam. The social transition from Christianity to Islam without compulsion took place over a long period of time. The situation in Iraq was different, the dominant persian religious practice in Iraq was essentially Zoroastrianism (Incendiarism, or fire worship) which is a form of idolatory. This religious practice was irrational and inconsistent with the Divine doctrines of Islamic Theism. The social transition from Zoroastrianism to Islam was rapid, and the proliferation of Islam in Iraq was much more pronouced than in Syria and Palestine. The Muslims in Iraq were resident in certain newly developed cities of Al-Koufah and Al-Basrah. In Syria and Palestine, the Muslims lived among the inhabitants of the major cities of Damascus, Homs, Jerusalem and others. The system of Administration in Iraq, Syria and Palestine was identical, the doctrines of Islam optimizing all values governing human societies.

Omar ibn Al-Khattab returned to Al-Madinah after arranging and

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART I

MOHARRAM, 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab
The Insurgence in North Syria
By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Concept of Morality in Islam
By: Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

صفر ١٤١١ هـ
سبتمبر ١٩٩٠ م
الجزء الثانى
السنة الثالثة والستون

م ١٢
ع ٣٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

نوادر الأخلاق

يقضى الله - عز وجل - امراً ؛ فإذا إنسان يفوق الناسَ بخلق عظيم فى إنسانيته ، نادر فى امثاله ، ثَرّ فى عطائه . ولهذه الندرة الفريدة تفقده إذا تلمسته - فى الناس - على نسبة مئوية ، او الفية ، او ماشئت من عَدَدٍ ، ذلك انه فى هذا الإنسان وَحْدَهُ ، صار به امة وَحْدَه لما اكتمل له - به - من صفات الخير جميعا .

وكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نوادرُ هذه الأخلاق .

كان لا ينسى يداً امتدت إليه بـ « معروف » فهو - عليه الصلاة والسلام - يحفظه ... ويرعاه ... ويثيب عليه ، سواء أداه إليه مؤمن او كافر .

لم ينس - عليه الصلاة والسلام - « معروف » خديجة ، ولا « جميل » ابى بكر - رضى الله عنهما ، كما حفظ يد ابى الْبَخْتَرِى والْمُطْعِمِ بنَ عَدِىٍّ على كفرهما .

لم ينس - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يأتى خديجة - رضى الله عنها - متعبا قد تغير لونه مما كان فيه من شدة فتفزعها هيئته فتتدفق شفقة عليه ورحمة . وحنانا به ، وتمسح عن وجهه ، ولا تزال به حتى يَطْعَمَ ويشرب ويضحك .

وواسته - صلى الله عليه وسلم - بكل ماملكت من حب وحنان وقرابة ، فظل يذكر جميلها هذا ، ويردده حياته حتى ضاقت عائشة - رضى الله عنها - فقالت : « قد أبدلك الله خيرا منها » !

قال - عليه الصلاة والسلام : « ما أبدلنى الله خيرا منها ، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء » مسند أحمد .

وما ارفع ماكان لها من جزاء ، روى البخارى - رضى الله عنه - قال :

اتى جبرائيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هى اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب .

ونعم البيت .. بيت فى الجنة من لؤلؤ ، لاصَخَبَ فيه لانها لم ترفع صوتها على النبى - صلى الله عليه وسلم ، ولا نَصَبَ لأنها لم تتعبه يوما فى الدهر - رضوان الله عليها .

كانت خديجة أوّل من آمن من النساء ، وكان أبو بكر أوّل من آمن من احرار الرجال .

وكان أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ماكان هارون لموسى عليهم الصلاة والسلام .

جعل ماله كله لله - تعالى - وجعل نفسه ردْءاً لرسول الله ، وأسلم على يديه كبار الصحابة - رضى الله عنهم : الزبير بن العوام ،وعثمان بن عفان ،وطلحة بن عبيد الله وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

كان أبو بكر أحب الرجال إلى قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحين شكاه عمر إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فى أمر - قال صلى الله عليه وسلم :

".. إن الله بعثنى إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ... فهل انتم تاركو لى صاحبى ... !!! فما أوذى بعدها ." صحيح البخارى .

والمعروف محفوظ لدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن من كافر،هذا ابو البَخْتَرى بن هاشم بن الحارث بن أسد القرشى - آلمه وآذاه ما أحدثت قريش من مقاطعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم وبنى هاشم وبنى عبد المطلب وما قرروه فى تلك الصحيفة الظّالمة ، وضرب فى ذلك - أبا جهل ، وسعى حثيثا لنقضها ، وعَلِمَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وحفظ تلك الْيَدَ لهُ ، فلما كانت (وقعة بدر) وهزم الله - سبحانه - المشركين ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه :

« مَنْ لقى أبا البحترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله »(١) فلقيه الْمُجذَّر بن زياد الْبَلَوِىَ - رضى الله عنه - فقال له : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهانا عن قتلك .

وظل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشكر لِلْمُطْعِم بن عَدِىّ يده فهو الذى اجار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَرْجِعَه من الطائف حين اتخذت قريش من ذهابه - عليه الصلاة والسلام - إليه حجة صبغتها بدعاية طاغية أنه عليه الصلاة والسلام - ذهب إلى الطائف ليؤلب حربا عليها فمنعته دخول مكة ، فدخلها فى جوار المطعم هذا ، وبات ليلة عنده فى حراسته وحراسة بنيه ، وكانوا مشركين .

وشاء الله أن يموت المطعم قبل (بدر) بنحو سبعة أشهر مشركا . لكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَدَّ أن يكافئه ، فلما حضر ولدُه (جُبَيْر) فى أمر الأسرى من قريش فى بدر ليطلق سراحهم ، قال - صلى الله عليه وسلم - له : « لو كان أبوك الشيخ حيا فأتانا فيهم لشفعناه فيهم »(٢)

صلى الله عليك سيدى يارسول الله - على خير مأبحب واحسن مايرضى . د. على أحمد الخطيب

(١ - ٢) ابن كثير - السيرة النبوية ٢/٤٦ ، ١٥٤ ، ٤٣٦ مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٨٤ هـ - وانظر مجلة الأزهر رمضان ١٤٠٨ هـ ص ١١٣٥

مع الرئيس
محمد حسني مبارك

مؤتمر
القمة العربية الطارئ
ووزراء خارجية الدول الإسلامية

إعداد
عادل خفاجة

مؤتمر القمة العربى الطارئ

● بدأت الجهود المحمودة للرئيس محمد حسنى مبارك لاحتواء الأزمة بين العراق والكويت قبيل غزو العراق للكويت .

● بدأت عملية الغزو قبيل فجر الخميس الحادى عشر من المحرم ١٤١١ هـ الموافق ٢ أغسطس ١٩٩٠ م .

● صرح بذلك مصدر مسئول فى وزارة الدفاع الكويتية وعقب أنه (بدأت القوات العسكرية العراقية اختراق الحدود الشمالية واحتلال عدة مواقع داخل الاراضى الكويتية .

● تحرك الغرب سريعا للمحافظة على مصالحه ، وحصل على عدة قرارات من مجلس الأمن تطوق العراق عسكريا واقتصاديا .

● دعا الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر صحفى عالمى بقصر العروبة حضره رؤساء تحرير الصحف المصرية ومراسلو الصحافة العالمية .

● دعا السيد الرئيس إلى مؤتمر قمة طارىء لملوك ورؤساء الدول العربية لوقف نزيف الدم العربى .

● استجاب للنداء فور إعلانه ملوك ورؤساء سبع عشرة دولة عربية .

● استعدت القاهرة لعقد المؤتمر بقاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر .

● حضر المؤتمر رؤساء وملوك وأمراء :

الأردن ـ الإمارات العربية المتحدة ـ البحرين ـ الجزائر ـ جيبوتى ـ السعودية ـ السودان ـ سوريا ـ الصومال ـ العراق ـ عمان ـ فلسطين ـ قطر ـ الكويت ـ لبنان ـ ليبيا ـ مصر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ اليمن .

● اتخذ المؤتمر قراراً بأغلبية الأصوات بالاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة فيها دفاعا عن اراضيها وسلامتها الإقليمية ضد أى عدوان خارجى ، وكلفت القمة العربية الطارئة الأمين العام للجامعة العربية بمتابعة تنفيذ القرار ورفع تقرير منه لمجلس الجامعة لاتخاذ ما يراه فى هذا الشأن .

● رفضت القرار كل من : العراق ـ فلسطين ـ ليبيا . وتحفظت عليه : الأردن ـ السودان ـ موريتانيا وامتنعت عن التصويت : الجزائر واليمن . وإلى القارىء نص خطاب الرئيس حسنى مبارك فى مؤتمر القمة الطارىء .

نص كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح مؤتمر القمة غير العادى الذى يعقد للنظر فى التطورات الخطيرة التى يشهدها العالم العربى بغرض تطويق الأزمة الحالية التى تهدد امن وسلامة المنطقة ومحاولة إيجاد حل لها يستند إلى الشرعية الدولية وإلى مبادىء وميثاق جامعة الدول العربية .

واستاذنكم فى إلقاء كلمتى فى بداية هذا المؤتمر .

اصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الأقطار العربية الشقيقة .. اسمحوا لى ان ارحب بكم ايها الإخوة فى بلدكم الثانى مصر .. وان اعبر لكم عن خالص الامتنان والتقدير لاستجابتكم الجماعية والتلقائية لدعوتنا لعقد هذا المؤتمر الطارىء بالقاهرة لبحث قضية هامة عاجلة تشغل اذهان شعوبنا فى الوطن العربى على امتداده ، وتسبب كثيراً من القلق لمعظم شعوب العالم التى تتطلع إلى الأمة العربية فى هذه اللحظات الحرجة فى محاولة للتعرف على حقيقة ما يدور على اراضيها . والتساؤل عما ستفعله للخروج من المازق الذى وُضعت فيه بعد الأحداث الأخيرة .

إن خطبا جللا قد وقع على ارضنا فى الأيام الماضية ، وقد حدث على نحو مفاجىء وبصورة لم تشهدها امتنا العربية فى تاريخها القديم والحديث ويخالف توقعات الجماهير العربية فى المشرق والمغرب !! فكان طبيعياً ان تكون له انعكاساته واصداؤه المدوية فى كل بقاع العالم وان تكون له مخاطره الجسيمة بالنسبة لنا جميعاً ، ومن ثم فإن المسئولية تنعقد علينا فردياً وجماعياً للتصدى لهذه المخاطر .

واود ان اقر فى بداية كلمتى ان هذا المؤتمر لم يقصد به ، ولن يكون ساحة لإحراج القطر العراقى الشقيق وتوجيه الاتهامات له بصورة او باخرى او النيل من دوره واعتباره .

فنحن جميعاً نعتز بالعراق وشعبه ونعتز بدوره كرافد من روافد القدرة العربية عبر تاريخ امتنا الطويل .

حريصون على العراق

إننا جميعاً حريصون على العراق بكل ما يمثله : الشعب .. الحضارة .. القدرة .. الدور . وليس منا من يقبل التفريط فى اى عنصر من هذه العناصر الأساسية فى البنيان العربى ،

ويعلم الله ان هذا الحرص على العراق ومنجزاته وسيادته كان هو السبب الذى دفعنا جميعاً إلى التسابق من اجل احتواء الازمة التى ثارت بسبب خلافات بين دولة العراق ودولة الكويت الشقيقتين والتى تحتل فى قلوبنا جميعاً مكانة لا تختلف عن مكانة الآخر .

ولذا فنحن لا ننحاز لطرف على حساب الآخر ؛ لان مفهوم الامة لدينا يستلزم اننا نسلم اولاً وقبل كل شىء بان جميع الاقطار العربية تحتل نفس الموقع فى الإطار العربي العام وانها تشكل حلقات متكافئة فى منظومة الاسرة العربية بصرف النظر عما تملكه من عناصر القوة البشرية او المادية او العسكرية ؛ لان القوة هى قوة طرف العرب جميعاً وليست قوة او آخر او قوة دولة على حساب دولة اخرى .

وبغير هذا لا ينبغى لنا ان نستخدم تعبير الامة العربية .

ايها الإخوة الاعزاء

لسنا بحاجة للخوض فى تفاصيل الاحداث التى وقعت فى الشهر الماضى والأيام التى انقضت من هذا الشهر فتلك وقائع نعرفها جميعاً وندرك ابعادها ونتائجها .

كما اننا نعلم علم اليقين انها اصبحت تستاثر باهتمام العالم : شرقه وغربه وشماله وجنوبه ، وتفتح الباب لمضاعفات خطيرة لن تتوقف عند حدود بلد عربى معين او تفرق بين نظام وآخر بل إنها سوف تجرف الجميع وتعصف بامنهم واستقرارهم فى الحاضر والمستقبل ، وتحول المنجزات التى حققوها إلى هباء تذروه الرياح وتذهب سدى .

الخروج من المأزق

ويكفى فى هذه العجالة ان اشير إلى نقاط معينة اراها ضرورية وحيوية للخروج من هذا المازق .

اولاً : ان الخيار امامنا واضح بين عمل عربى يصون المصالح العليا للامة العربية ، ويحفظ لنا العراق والكويت معاً على اساس المبادىء التى ارتضيناها فيصلاً بين المباح والمحرم ، وبين الحق والباطل ، وإما تدخل خارجى لا قول لنا فيه ولا سيطرة لنا عليه ، ولا يمكن ان يكون المحرك إليه هو الحفاظ على كيان العرب وحقوقهم بل إنه سوف يسترشد بالضرورة باهداف القوى التى تضطلع به وتسانده .

وبعبارة اخرى فليس من البدائل المطروحة او المقبولة ان يبقى الوضع على ما هو عليه ؛ لانه وضع مختل متفجر يتفاقم كل يوم من سىء إلى اسوا ويحمل بين ثناياه مخاطر جمة لنا جميعاً .

ثانياً : ان المظلة العربية للخروج من هذا المازق تمثل الخيار المامون والمضمون الذى التزمنا جميعاً بقبوله يوم وقعنا ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والبديل الذى كرسناه فى العرف العربى والممارسة المتصلة قرابة نصف قرن . وكانت فترة مشحونة مليئة بالمنازعات التى افرزتها عوامل متشابكة منها : انتهاء الحرب العالمية الثانية

وحصول الأقطار العربية على استقلالها والاختلاف فى الرؤية فى كثير من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ثالثاً : إنه إذا كان هدف الوحدة العربية هدفاً عزيزاً غالياً علينا جميعاً فإنه لابد أن نضع له إطاره السليم وآلياته ووسائل تحقيقه بالتدريج الذى يأخذ الأمر الواقع بعين الاعتبار والالتزام بتوفير عنصر التآخى لدى كافة الأطراف .. فلم يعد من الجائز أن تتحقق الوحدة بقوة السلاح ، كما كان يحدث فى الأزمان الغابرة .. كما أنه ليس من الجائز أن تفرض على شعب بعينه لاعتبارات تاريخية أو جغرافية أو اقتصادية معينة أو تحت ضغط أو إكراه .

القوة مبدأ مرفوض

رابعاً : إن مبدأ اللجوء إلى القوة داخل الأسرة العربية هو مبدأ مرفوض بالنظر إلى الخطوة التى يمثلها للنظام العربى كله : فهو ينهى تماماً مفهوم التضامن العربى ، ويضرب فى مقتل فكرة وحدة المصلحة والمصير ، ويدفع العربى مرغماً إلى التفكير فى أخيه العربى على أساس أنه قد يشكل خطراً عليه وعلى أمنه ومصالحه . وتلك هواجس كفيلة بنسف الأساس الذى يقوم عليه كيان الأمة الواحدة . ويتصل بهذا المبدأ قضية أخرى لا تقل عنه أهمية وهى ضرورة الالتزام بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية : لأن هذا التدخل كان من الأساليب التى تلجأ إليها القوى الكبرى عند تعاملها مع الدول الصغرى لتعصف بسيادتها وتهيمن على شئونها .

ولهذا فقد عنى ميثاق الأمم المتحدة الذى وضع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بإبراز أهمية هذا الالتزام .

ويحضرنا فى هذا المقام أن الأخ الرئيس صدام حسين قد عنى عناية خاصة بهدف تحريم استخدام القوة بين الأقطار العربية فنراه يحرص على إصدار إعلان قومى فى الثامن من فبراير عام ١٩٨٠ نص فى مادته الثانية على مايلى بالحرف الواحد :

(تحريم اللجوء إلى القوات المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد أى دولة عربية أخرى وفض أى منازعات يمكن أن تنشأ بين الدول العربية بالوسائل السلمية وفى ظل مبادىء العمل القومى المشترك والمصلحة العربية العليا) .

وقد تكرر هذا الالتزام على لسان الأخ الرئيس فى مناسبات عديدة بصورة تثبت أنه يشكل حجر الزاوية فى فكر القيادة العربية ومنهجها .

خامساً : أن مبدأ الاستيلاء على الأرض بالقوة يشكل تهديداً جسيماً للأمة العربية بالفعل وإضراراً بقضاياها الأساسية وإضعافاً للحجج التى تسوقها فى المحافل الدولية وهى تسعى لحماية حقوقها ومصالحها .. لسنا فى حاجة إلى تحديد هذه الأضرار فهى معروفة لنا جميعاً وبكل تفاصيلها .

سادساً : إن مفهوم الأمن القومى العربى هو موضوع فى غاية الأهمية ؛ لأن الأمن هو أساس الوجود ، وهو الشرط الأساسي الذى لا غنى عنه للبقاء والتطور والتقدم ، والعنصر الذى يجعل الإنسان قادراً على الإنجاز والإبداع .

وقد بذلت محاولات عديدة للتوصل إلى رؤية مشتركة للأمن القومى العربى نتفق عليها ونتبناها ونلتزم بها .

لقد تطرقنا إلى هذا الموضوع فى كثير من مداولاتنا فى مؤتمر قمة الرباط فى العام الماضى ، وفى مؤتمر قمة بغداد الأخير .

ومازال هناك الكثير الذى يمكن إضافته حتى تتبلور تلك الرؤية المتكاملة مستوحاة من المواثيق التى وقعناها ومن إيماننا بالعلاقة المصيرية التى تربطنا ، وتعويضنا للأخطار التى تواجهنا .

وعندما نتوصل إلى صياغة هذا المفهوم الموحد للأمن العربى فإنه يكون طبيعياً عندئذ ان نتفق على اقتسام المسئولية والتبعات كل فى حدود قدرته وطاقته طالما اننا سوف نقتسم المكاسب الناتجة عن إقامة نظام منيع للأمن القومى العربى يحمى مصالحنا ويذود عن ديارنا ومقدساتنا .

أمن الأقطار العربية

سابعاً : اننا يجب ان نولى اهتماماً خاصاً بامن جميع الاقطار العربية فى الخليج وتعزيز شعور ابنائها بالأمان والاستقرار . فمن المقطوع به ان الأحداث الأخيرة قد عصفت بإحساسهم بالأمن والطمانينة وبدلت رؤيتهم للأخطار المحدقة بهم ومصادرها ولطبيعة العلاقات بين الأقطار الخليجية والبلدان المجاورة .

واحب ان يطمئن اشقاؤنا فى كل دول الخليج إلى اننا ملتزمون بالوقوف معهم بحزم وصرامة فى سعيهم المشروع لتعزيز امنهم واستقرارهم والذود عن حقوقهم ومصالحهم ، عسى ان يكونوا على اقتناع تام بان مظلة الحماية العربية هى الاقدر والافضل لنا جميعاً وانه ليس هناك فى الحقيقة والواقع بديل عنها او منافس لها .

ثامناً : إننا لا نستطيع ان نفكر ونتحرك بمعزل عما يدور حولنا فى عالم اليوم او نتحدث بلغة لا تتفق مع مفاهيم العصر الذى يشهد تغييرات جذرية عميقة من ساعة إلى اخرى ؛ لأن الحركة السياسية فى اى من المناطق الإقليمية لا يمكن ان تنفصل عن الحركة العالمية الأشمل .

ولذلك فإن علينا ان نهتدى عند تحديد المباح والمحرم برؤية المجتمع الدولى والقيم التى يرفعها وفى مقدمتها نبذ استخدام القوة ورفض العدوان واحترام حقوق الإنسان والإلزام بالشرعية .

تاسعاً : إن العالم باسره يتجه إلينا باقطاره بين صديق يتمنى ان نتغلب على احزاننا ونقضى على الفتنة قبل ان تستفحل ويستشرى خطرها .. وحاسد يتشفى فى ابناء الأسرة الواحدة الذين انقلبوا على انفسهم وتورطوا فى قتال لا يمكن ان يسفر عن غالب ومغلوب او منتصر ومهزوم .. فكلنا خاسرون فى مصالحنا وامننا وهيبتنا لدى سائر الأمم والشعوب .

الانسحاب العراقي

عاشراً : إن الطريق معبد للتوصل إلى اتفاق حول النقاط الرئيسية التى تؤدى إلى الخروج من هذا المأزق .

فإذا خلصت النوايا وصحت العزائم فإن لدينا من الصيغ مايتيح لنا ان نضع حداً لهذه الأزمة خلال أيام معدودة . ولنا فى القرار الذى اصدره مجلس الجامعة العربية فى الثالث من هذا الشهر بداية نستطيع ان نبنى عليها ونضيف إليها .

المهم فى كل هذا ان يكون واضحاً انه لا حل للأزمة ولا خروج من المأزق إلا بانسحاب القوات العراقية من ارض الكويت وترك شئون الكويت الداخلية لشعبه دون معقب عليها او رقيب .. واحترام الوضع الشرعى للحكومة كما كان قائماً قبل وقوع الغزو العراقى وكما هو معترف به من العالم اجمع .. وإلغاء كافة القرارات والإجراءات التى صدرت على خلاف ذلك .

أيها الإخوة الأعزاء

لقد دقت نواقيس الخطر فى مرحلة من ادق مراحل النضال العربى ... وتعاظمت التهديدات والتحديات التى تواجهنا ونحن نرنو بأبصارنا إلى فجر جديد يسوده السلام والاستقرار والتقدم . هل تعجز امتنا صاحبة التراث الحضارى الهائل والرصيد الروحى الحافل عن استيعاب حقيقة التحديات والتهديدات التى تصادف طريقها .

وهل تنصرف شعوبنا إلى خلافات مصطنعة وعداوات مفتعلة لا جذور لها فى تاريخنا وتراثنا وتبتعد عن الأهداف القومية الكبرى التى ترسخ وجودها وتعمق كيانها وتصون مصالحها .. كلا .. لن يكون هذا .. لن يكون عربى القرن الحادى والعشرين هو العاجز والتائه فى ظلمات الجهل والشلل ، ولن تكون الأمة العربية هى الرجل المريض فى هذا العصر .

ولن تضيع سدى أرواح الشهداء الذين سقطوا فداء أوطانهم وأمتهم فى كل شبر من الأرض العربية الطيبة ولن نضل طريقنا او نخطىء رؤية اهدافنا .

اهدافنا مزيد من القوة .. مزيد من العزة لكل شعب عربى .. وسيلتنا مزيد من التضامن العربى الشامل الذى يظلل جميع افراد الأسرة الكبيرة ايما كانوا وتحت اى ظروف وجدوا .. إيماننا جازم بان كل ما يصيب شعباً عربياً من ضرر هو ضرر علينا جميعاً وبنفس القدر .

مسيرتنا يرعاها الله وتصونها المبادىء وتحفظها القيم الرفيعة من الزلل والخطا . قلوبنا طاهرة مطهرة وسرائرنا نقية تدفعنا إلى توحيد صفوفنا وجمع كلمتنا على طريق الحق والخير فلننمض إلى العمل فى هذه اللحظات العصيبة مزودين بدعاء شعوبنا بأن يلهمنا الله الرؤية ويمنحنا القوة لتحقيق ما يتطلع إليه كل عربى اينما كان موقعه وموطنه . والله يوفقنا ويهدى خطانا ويرعى عملنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدول الإسلامية

التاسع عشر

● فى السابع من المحرم عام ١٤١١ هـ الموافق التاسع والعشرين من يوليو ١٩٩٠ م عقدت لجنة كبار المسئولين عن المؤتمر اجتماعا برياسة السفير عمرو موسى لمناقشة الترتيبات النهائية لعقد المؤتمر مع رؤساء اللجان الأربع للمؤتمر وممثلى الأمانة العامة .

● وفى نفس اليوم أنهت أمانة المؤتمر إعداد مشروع جدول أعمال المؤتمر الذى يعرض على الوزراء فى جلسة عملهم الأولى .

● أدى أعضاء المؤتمر صلاة الجمعة بالأزهر الشريف يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر .

● حضر المؤتمر ممثلو خمس وأربعين دولة .

● انعقد المؤتمر بقاعة المؤتمرات الكبرى بالقاهرة لمدة خمسة أيام من اليوم العاشر إلى الرابع عشر من المحرم ١٤١١ هـ الموافقة لواحد - خمسة من أغسطس ١٩٩٠ م .

● تضمن جدول الأعمال العديد من القضايا السياسية الهامة التى تشغل الوطن الاسلامى .

● درس المؤتمر قضايا فلسطين على اختلافها ، وأكد على أهمية التضامن الإسلامى مع شعوب السهل الأفريقى والأقليات الإسلامية ، ودعم العلاقات بين الدول الإسلامية ، والتركيز على التقارب بينها .

● طرح العديد من المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية وأولى اهتماما بتجميع الرأى العام الإسلامى حول القضايا الإسلامية وحقوق الشعوب .

● اهتم المؤتمر بالدعوة لمقاومة الإرهاب دوليا .

● فوجىء المؤتمر بأحداث (العراق - الكويت) وتناول الأمر بالدراسة ، وأعلن فى قراراته :

إدانة العدوان العراقى على الكويت ، وضرورة انسحاب القوات العراقية فورا ، وإنهاء الآثار المترتبة عليه ، وعودة الشرعية إليه ممثلة فى الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت وأعضاء حكومته .

● نادى المؤتمر بضرورة التسوية لمشكلة جامد وكشمير طبقا لقرارات الأمم المتحدة وطالب ببدء الحوار بين الهند وباكستان للتوصل إلى اتفاقية فى هذا الشأن ، كما أشاد بالنضال البطولى لشعب أفغانستان وطالب باستمرار دعمه فى سعيه لبقاء أفغانستان دولة إسلامية مستقلة .

● أكد الدكتور عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر فى الجلسة الختامية للمؤتمر - الحرص على تعميق التضامن الإسلامى وقال : إن المؤتمر عقد بنجاح بالقاهرة مقر الأزهر الشريف وعاصمة الألف مئذنة ومنارة الإسلام على مر العصور .

● تم افتتاح المؤتمر بكلمة السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فى التاسع من المحرم ١٤١١هـ الموافق الحادى والثلاثين من شهر يوليو ١٩٩٠ م .

وإلى القارىء نص كلمة الافتتاح :

كلمة الرئيس

محمد حسني مبارك

في حفل افتتاح مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم ..
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

الإخوة وزراء خارجية الدول الإسلامية الشقيقة .. السيدات والسادة .. يسعدنى أن أوجه إليكم خالص التهنئة القلبية بانعقاد مؤتمركم هذا فى مدينة الأزهر الشريف درة الثقافة الإسلامية وعاصمة الألف مئذنة والتى يعتز أهلها بالانتماء معكم إلى الأسرة الإسلامية الواحدة وإعلاء قيم الإسلام الرفيعة ومبادئه السامية .. والتزام بروحه الغراء التى تقوم على السماحة والمساواة وترفض التعصب والتفرقة وتعمق مفهوم عالمية الرسالة .. وتؤاخى بين الناس فى كل مكان .

وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن تقديرنا للجهد الكبير الذى بذله سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت أثناء رئاسته للمنظمة وحرصه على تعميق روح الإخوة الإسلامية بين جميع الأقطار الإسلامية الشقيقة ومتابعته لكافة التطورات التى تؤثر على مسيرتنا الواحدة .

نتاج عشرين عاما من عمر المنظمة :

إن مؤتمركم هذا ينعقد بعد انقضاء ٢٠ عاما على قيام منظمة المؤتمر الإسلامى وهى فترة شهد فيها المجتمع الإنسانى تطورات مثيرة وتغيرات جذرية عميقة لابد أن تجذب اهتمامنا فنتعهدها بالدراسة الموضوعية والتحليل العلمى ، وذلك بقصد التعرف بدقة على طبيعتها ومداها واستخلاص آثارها ونتائجها فى الحاضر والمستقبل وزيادة قدرتنا على التأثير فيها وتوجيهها إلى المسار الذى يحمى مصالحنا ويخدم قضايانا .

←

---

* عقد المؤتمر بالقاهرة فى الفترة من ١ إلى ٥ اغسطس ١٩٩٠

واجبنا تجاه المستقبل

إن العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى يتواكب مع العقد الثانى من القرن الهجرى الخامس عشر .. وهو ينبىء بحدوث مزيد من التطورات والتحولات الأساسية الكبرى التى تؤثر على رؤيتنا جميعا للمستقبل .. وعلى تحديدنا للدور الذى نقوم به معا فى سبيل تحقيق أهدافنا المشتركة فى وقت تتعاظم فيه الأخطار والتحديات بقدر ما تتزايد فيه الفرص والإمكانات .

وهذا يدفع الإنسان إلى آفاق غير مسبوقة للطموح والحياة فى نفس اللحظات التى يعانى فيها من الخوف والإحباط والقلق . ولسنا نشك فى أن الأسلوب الذى يحقق مصالحنا فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الإنسانية يقوم على مشاركتنا فرديا وجماعيا فى توجيه هذه التحولات الأساسية فى النظام الدولى فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية .. بحيث نكون فاعلين لا مشاهدين .. قادرين على وضع بصماتنا الواضحة على صورة العالم فى المرحلة القادمة .. ورسم مسار محدد لحركتنا فى مواجهة الأخطار المتزايدة والتحديات المتجددة .

التضامن ليس مجرد شعار نطرحه

إن نظرة فاحصة على الأوضاع القائمة فى العالم الإسلامى مع مقارنتها بما يدور فى المناطق السياسية والحضارية الأخرى تدعونا إلى الانطلاق فى تفكيرنا وحركتنا من حقيقة أساسية لا سبيل إلى التقليل من أهميتها وهى أن التضامن الإسلامى يجب أن يكون حجر الزاوية فى كل عمل نقوم به أو مسئولية نتصدى إليها ، لأن التحديات التى نواجهها أصبحت تتجاوز قدراتنا الفردية مهما تعاظمت وتستعصى على الجهود المتفرقة والمحاولات غير المنسقة وإن تعددت وتضاعفت .. ولم يعد التضامن الإسلامى فى هذا العصر رفاهية نسعى إلى إضافتها لعناصر القوة التى نملكها ونحوزها بل إنه ضرورة لا غنى عنها وحتمية لا مراء فيها .. كما أنه ليس مجرد شعار نطرحه أو لفظ نتغنى به ـ بل إنه مفهوم محدد متكامل ـ يمتد بجذوره إلى مفهوم الأمة الإسلامية الذى أرسى قواعده رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وبالممارسات التى استنها والنهج الذى سار عليه وأسهم علماؤنا ومفكرونا وقادتنا الأقدمون والمعاصرون فى بلورته وتطويره وتحديد ملامحه .. ويكون التضامن داخل أسرتنا الكبيرة على التسليم بوحدة المصلحة والمصير بين كافة الشعوب الإسلامية التى تنتمى جميعا ودون استثناء لدائرة العالم الثالث وهى دائرة تتميز بخصائص معينة فى مقدمتها المرحلة التنموية التى تمر بها الأقطار الداخلة فى مدارها والصعوبة التى تواجهها وهى تسعى لتحقيق كفايتها من الغذاء وتطوير نظم الإنتاج والإدارة فيها .. واستيعاب الأساليب التكنولوجية الحديثة فيها ومواجهة التوقعات المتزايدة للأجيال الجديدة من أبنائها .

وأول ما يفرضه علينا هذا المفهوم للتضامن فيما بيننا هو أن نتوصل إلى تحديد تتوافق عليه آراؤنا للأهداف القومية لشعوب أمتنا فى الحاضر والمستقبل وفى المدى القريب والبعيد على السواء .. وإلى تعريف ترتضيه للأخطار والتحديات التى تصادف فى القرن الهجرى الخامس عشر وهو ما يوصلنا إلى صياغة رؤية مشتركة لغاياتنا وأولوياتنا التى نسعى إلى تحقيقها وتعزيزها بالعمل الجماعى المتجدد .

ويتفرع عن مبدأ التضامن الإسلامى التزام أساسى جوهرى لابد أن نعطيه حقه من الاهتمام ونجسده فى تعاملنا اليومى مع بعضنا البعض ـ وهو الالتزام بتسوية الخلافات التى تنشب بين الدول الأعضاء فى المنظمة بالطرق الودية التى تتفق مع المصالح المشتركة والأهداف الواحدة والالتقاء حول المفهوم الإسلامى الأسمى الذى يجعل المؤمنين إخوة فى السراء والضراء لا يقوم بينهم تناقض حقيقى أو تتسم العلاقة بينهم بالعداء والبغضاء .

افتراءات ظالمة على الإسلام

من هذا المنظور أيها الإخوة والأخوات .. فإننا نؤمن بأن منظمة المؤتمر الإسلامى مؤهلة للقيام بدور أكبر فى تسوية المنازعات التى تنشأ بين الدول الأعضاء بالوسائل السلمية الودية وبعيداً عن أساليب الصراع والعداء التى تتناقض تماما مع مبدأ الانتماء لأسرة واحدة والولاء لتعاليم سماوية وقيم روحية مشتركة .. ولنكرس هذا المؤتمر لتعميق عوامل التفاعل بين شعوبنا وتحقيق التشابك بين مصالحنا جميعا فى شتى المجالات .. فلا يمكن أن يقوم صرح الأسرة على أساس المصالح المتنافرة والأواصر المقطوعة ولا يتصور أن نتخلف عن أمم أخرى سبقتنا فى مضمار مد جسور التكامل بين مصالحها وتحقيق التداخل الخلاق بين نظم الإنتاج والتوزيع فيها وتيسير انتقال الأفراد والسلع فيما بينها .. فقامت الوحدة بين دول سادها العداء والكراهية ومزقتها الحروب المستمرة والصراعات المريرة .. وليكن كل هذا مقترنا بحركة رشيدة لإحياء الثقافة الإسلامية ونحن فى أمس الحاجة إليها فى وقت يشهد هجمات وافتراءات ظالمة على الإسلام من الخارج وتيارات باغية مضللة من الداخل تتفق فى تشويه صورة الإسلام وتفسيره حسب الهوى والغرض بما يتنافى مع جوهره كما نزل على الرسول الأمين ﷺ وكما أراد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون .. دين عقل وعلم ومنطق .. دين تسامح وإخاء وعقيدة عالمية تؤاخى بين الناس جميعا بصرف النظر عن العرق واللون والدين وتساوى بين البشر فى الحقوق والواجبات وتعلى حقوق الإنسان الذى اصطفاه الله خليفة له فى الأرض وفضله على سائر المخلوقات .

الأصالة والمعاصرة

إن هذا البعث الثقافى الذى يشير إليه هو عنصر لازم لتحقيق النهضة فى العالم الإسلامى لأن النهضة لا تتحقق إلا بسلامة المفاهيم الأساسية والتى تسود فى هذا المجتمع الإسلامى أو ذاك وتصفيتها من الشوائب التى علقت بها بسبب الجهالة وعدم القدرة على استيعاب كنوز الفكر الإسلامى الذى ملأ طباق الأرض نورا ورحمة وفتح أفاقا جديدة أمام العقل الإنسانى .. كما أن هذه النهضة لا تكتمل إلا إذا حسم المجتمع هذا الصراع المفتعل بين الأصالة والمعاصرة وبين القديم والحديث باعتبار ان كلا منهما يشكل جزءا لا يتجزأ من حركة التاريخ وهى حركة تسير إلى الأمام على الدوام وتقوم على فتح المجال أمام التجديد والإبداع المستمر وترفض الجمود والانغلاق والشلل .. إن المرحلة التى نمر بها فى هذا العقد الحافل بالأحداث والتطورات والتحديات المتزايدة التى نواجهها تجعل من الواجب علينا أن نجعل حركتنا

كلمة الرئيس

قادرة على أن تفرض نفسها فى قلب الأحداث فلا تعيش على هامش التغيير ولا تتقوقع بمعزل عن التاريخ .. بل تخرج إلى العالم بأقدام ثابتة وعقول واثقة مستعدة لأن تتفاعل مع غيرها بالأخذ والعطاء وأن تقيم علاقاتها مع القوى الدولية الأخرى من منطلق التعاون والمودة ونحن لا ننظر إلى العالم الخارجى باعتباره عالما معاديا ، كما أننا لا نسعى إلى إيجاد التوتر والتناقض فى علاقاتنا بالآخرين ، بل إن سبيلنا هو إقامة العلاقات القائمة على حسن الجوار بالآخرين ، بل إن سبيلنا هو إقامة العلاقات القائمة على حسن الجوار والتعاون مع سائر الأمم والشعوب وإلى القضاء على ما بيننا وبينها من خلافات بالطرق السلمية بعيدا عن منطق الحرب والتهديد .. وعلى هذا الأساس فإننا نعمل بكل ما أوتينا من قوة لتسوية المشاكل والخلافات القائمة مع الدول الأخرى سلميا ولا نضع لهذا شرطا سوى احترام الحقوق والالتزام بالواجبات والاحتكام إلى قواعد العدالة والشرعية لأن التسوية غير العادلة لن يكتب لها البقاء والاستمرار بل سرعان ما تعصف بها الأحداث .

التكامل بين افراد الأسرة الإسلامية

أيها الإخوة إن القضايا الإسلامية هى قضايا عادلة مشروعة ، فنحن لا نعتدى على أحد ولا نطالب بغير ما هو حق ، ونأبى أن نتدخل فى شئون الآخرين ونسعى إلى إقامة السلام وحقن الدماء والقضاء على العنف والتوتر ونقف بحزم وصرامة ضد العنصرية والتفرقة بين البشر ونحن نطبق هذه المبادىء فى كافة القضايا فى مواجهة جميع الأطراف فى مقدمتها القضية الفلسطينية التى كانت أول قضية التزمت بها منظمة المؤتمر الإسلامى فى اليوم الأول لقيامها وكرست جانبا كبيرا من نشاطها لمناصرتها والمطالبة باحترام الحقوق العربية والإسلامية القانونية والتاريخية بمدينة القدس ورفض أى مساس بهويتها وكيانها .. إننا معشر المسلمين دعاة مصالحة وسلام ونحن قوم نرفض العدوان أيا ما كان مصدره ومبرراته ونحترم حق كافة الشعوب فى العيش فى أمن وسلام دون أى جور أو افتئات على حقوق الآخرين لأن حق الشعوب فى الحياة الحرة الآمنة هو حق متكافىء لا فرق فيه بين شعب وآخر ولا أفضلية لفئة من الشعوب دون أخرى .. إذن فطريقنا هو السلام الذى استنه الله أساسا للعلاقات بين الأفراد والجماعات وهو التكافل بين أفراد الأسرة الإسلامية الكبيرة وهى تواجه اختبارا لابد أن تجتازه بما يتفق مع تراثها ورصيدها الروحى والحضارى الهائل ، وبما يمكنها من عبور جسور التنمية فى عالم أصبح التقدم ينطلق فيه بمعدلات رهيبة لم تعرفها البشرية طوال تاريخها الحافل .. حيا الله أمة الإسلام وأعز ديارها وألف بين قلوب المسلمين ووحد صفوفهم وسدد خطاهم فلننطلق نحو آفاق المستقبل متلاحمين متضامنين فى مسيرتنا على طريق السلام والتقدم والرخاء .. وليكن لنا فى كلمات الله عز وجل وسنة رسوله العظة والأسوة الطيبة .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ..

وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مع الإمام الأكبر

نداء من الأزهر الشريف

رأي الأهرام

لقاء الإمام الأكبر بوفد الأساتذة والباحثين الأجانب

الحمل عن طريق صوفة الرجال الدجاجين

نداء من الأزهر الشريف

استمعت الشعوب العربية والإسلامية وقادتها إلى البيان الصريح الذى أعلنه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ظهر الأربعاء (امس) عن الكارثة المحيقة التى تتعرض لها الأمة العربية كافة بسبب تدخل العراق وعدوانه على دولة الكويت ، واحتلال ارضه وانتهاك حرماته .

وإجماع العالم على استنكار هذا العدوان وما اتخذته كافة المنظمات الدولية ـ منظمة المؤتمر الإسلامي ، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ومجلس جامعة الدول العربية ومجلس الأمن .

ولقد حذر السيد الرئيس من استمرار هذا العدوان الذى أحرج الأمة العربية كافة وأظهرها بأنها لا حول لها ولا قوة ولا هيبة ولا قدرة على مواجهة مشاكلها الخاصة .

وابرز ما يجرى على الساحة الدولية من تحركات عسكرية دولية من كافة الدول ذات المصالح الاقتصادية في المنطقة ، وأنه إذا لم يحسم العرب هذه الأزمة فوراً ، تعرضت الأمة العربية لمواجهة عسكرية واقتصادية مؤثرة في حاضرها ومستقبلها .

وإن الأزهر الشريف ليعبر عن أعمق القلق إزاء هذا التوتر الحاد في منطقة الخليج العربى ، وما يمكن أن يجلبه ما أقدم عليه العراق من أخطار عظيمة مؤثرة على الأمة العربية والإسلامية بكافة شعوبها ومواقعها ، ويحذر من الخطر الماثل من إفساح المجال للتدخلات الأجنبية ، وخلق ظروف تؤثر على مصائر شعوبها لأجيال طويلة .

إن الأزهر الشريف ليناشد في الرئيس صدام حسين والقادة في العراق صدق الانتماء إلى الأمة العربية ، والإسلامية وأن يتعاونوا مع الدعوة المخلصة التى وجهها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لانعقاد مؤتمر القمة والاستجابة للوساطة العربية والإسلامية لإنهاء النزاع مع الكويت بالطرق السلمية وإيجاد المناخ المناسب لتحقيق المصالح المشروعة .

إن الأزهر الشريف يذكر الرئيس صدام حسين بما سبق وأعلنه من أن الجيش العراقى مجهز للدفاع عن أي شعب أو أرض عربية تتعرض للعدوان وهذا عهد ووعد ، والمأمول أن تذكروا هذا وتغلقوا أبواب التدخل الخارجي وتثبتوا حرصكم على كرامة الأمة ، وعلى حقوق الأخوة العربية والإسلامية وحقوق الجوار التى تعلو على كل أرض ومال .

إن الله سبحانه أوصانا في كتابه الكريم فقال :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١] .

وقال :

---

(١) سورة الأنعام ١٥٢ .

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ . . ﴾[٢] .

إن الأزهر الشريف لينبه إلى هذه الغيوم التى تتجمع في سماء العرب والتى تنذر بخطر عظيم ، ويأمل أن يتعاون القادة العرب في اجتماع قمتهم المرتقب في القاهرة على البر والتقوى ، وأن يواجهوا الموقف بالشجاعة والنخوة العربية ، وليذكروا أن الله علمنا في قوله تعالى :
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[٣] :

أن نقول الحق ، ونقيمه ، ونذكر في هذا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يارسول الله انصره إذا كان مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره . . » .

القادة العرب أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والملوك والرؤساء والأمراء . .

اجمعوا أمركم واثبتوا في مواجهة المحنة وقوموا إلى واجبكم وجنبوا أرضكم وعرضكم وشعوبكم واقتصادكم الامتهان والضياع الذى تتكاثر سحبه وغيومه القاتمة التى ليس لها من دون الله كاشفة ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لنذكر جميعاً ـ شعوبا وقادة وحكومات ـ أن أى تهاون في إنهاء هذه الأزمة وإحلال السلام بين العرب ، إخلال بالواجب وخيانة للأمانة . .

فاتقوا حساب الله سبحانه فإنه سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، والتاريخ سيسجل لكم أو عليكم مواقفكم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٤] . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

إن الأزهر الشريف ليدعو شعوب الأمة العربية والإسلامية وقادتها أن ينصروا الحق ويدافعوا عنه . .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٦] . .

١٨ من المحرم ١٤١١ هـ
٩ من اغسطس ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

---

(٢) سورة النحل ٩١ ، ٩٢ .
(٣) سورة الأنعام ١٥٢ .
(٤) سورة الأنفال ٢٤ ، ٢٥ .
(٥) سورة الأنفال ٢٧ .
(٦) سورة الحج ٤٠ .

رأى الأهـــرام..

الأزهر الشريف

وإدانة الإسلام للعدوان

يجب ان تلتزم الأمة العربية بكلمة الحق ونصرة المظلوم بينها ويجب أن تقف امام كافة صور العدوان والاعتداء لأنه بغير ذلك تضيع الأمة وتتفرق أشتاتا مبعثرة وتفتح أبوابها على مصاريعها أمام كافة قوى التدخل وتتقوض قواها وتعجز عن حماية مقدساتها وحرماتها وكرامة بنيها وشعوبها .

ويأتى نداء الأزهر الشريف قلعة الإسلام الشامخة على أرض مصر معبرا عن جوهر العقيدة الإسلامية ودعوتها الواضحة الصريحة بعدم الاعتداء والعدوان على أخوة الدم والعقيدة بل حرمته بين المسلمين وهى حرمة تضم الدماء والأموال والأعراض ، وتحتم على المسلمين كافة التصدى للعدوان عليها بدفع المعتدى عن عدوانه واعتدائه ، ليس فقط لأنه ظالم لإخوته ولكن بحكم أنه ظالم لنفسه بالتعدى على حدود الله التى حددتها العقيدة الإسلامية بوضوح وجلاء .

ومن منظور إسلامى صريح حدد بيان الأزهر الشريف مسئولية القادة والحكام والشعوب والمؤكد أن أى تهاون فى إنهاء الأزمة وإحلال السلام بين العرب هو إخلال بالواجب وخيانة للأمانة لأن التهاون يعنى تعريض الأرض والعرض والشعوب والاقتصاد فى العالم العربى للامتهان والضياع وهى حقيقة تكشفها الوقائع والنذر القائمة وغيرها التى لا تخفى على أحد .

وأكد بيان الأزهر مسئولية العالم العربى عن إنهاء الأزمة بالطرق السلمية وخلق المناخ المناسب لتحقيق المصالح المشروعة لكافة الأطراف لأن البدائل بالغة الضرر والمخاطر بما تفتحه من أبواب للتدخل الأجنبى وتأثيراتها السلبية على مصائر الشعوب العربية ومصالحها لأجيال طويلة قادمة فى ظل مناخ المواجهة العسكرية والاقتصادية الذى يخيم على ربوع الوطن العربى بغير استثناء وبدون تفرقة .

وقد أكد البيان على جانب بالغ الأهمية الا وهو ضرورة الاحتكام إلى العقل وتأييد البيان الذى أعلنه الرئيس حسنى مبارك كخطوة نحو الحل لمواجهة الكارثة الماحقة التى تتعرض لها الأمة العربية بسبب تدخل العراق وعدوانه على دولة الكويت واحتلال أرضه وانتهاك حرماته .

وفى ظل الإدانة الشاملة والكاملة للغزو والاعتداء من كافة الأطراف العربية والإسلامية من منطلق الحرص على القوة العربية والإسلامية وفى مقدمتها قوة الكويت والعراق لا يبقى إلا سبيل واحد ووحيد لمواجهة الكارثة يتمثل فى قبول العراق وامتثاله لقواعد الدين وشروطه التى يتفق معها ويعززها كافة المواثيق والقرارات الدولية والعربية لأن البديل الآن يتهدد العراق فى أمنه وسلامته .

لقاء الإمام الأكبر
بوفد
الأساتذة والباحثين الأجانب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر وفداً من الأساتذة والباحثين في شئون الحضارة ـ الإسلامية وعلومها من الجامعات الأوروبية والأمريكية برئاسة البروفسور / بيل روف الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية وبصحبة الدكتور على الدين هلال الأستاذ بجامعة القاهرة وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر يوم السبت ١٤١٠/١١/٢٣ هـ الموافق ١٩٩٠/٦/١٦ م .

وقد بدأ اللقاء بالشكر والترحيب .

واستهل فضيلة الإمام الأكبر قائلاً :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

أرحب بالأستاذ الدكتور على الدين هلال وضيوفه الكرام بالأزهر الشريف .

الدكتور على هلال : هذه المجموعة من الأساتذة والباحثين في شئون الحضارة الإسلامية وعلومها تنقسم إلى قسمين : أساتذة وشباب الباحثين وهم جميعاً متخصصون في كافة المجالات ويدرسون المجتمعات الإسلامية في كل مناحى العالم .

فضيلة شيخ الأزهر : إذا كانت دراسة السادة مرتبطة بالاجتماع وحضارة المسلمين في عصورهم المختلفة فإننى أقترح عليهم أن يكونوا على علم وفكر بأن الحضارة الإسلامية مرت بمراحل متعددة تتابعت بتتابع ثقافة العصر فحين ندرس نشأة الإسلام في مكة سنجد أن المسلمين كانوا قلة في وسط جمهرة كثيرة من غير المسلمين الذين كانت لهم عادات وتقاليد جاء الإسلام مغايراً لها وكانت عناية الإسلام في هذا الوقت هى بث عقيدة التوحيد في نفوس أهل مكة ولم يكن معنيا بتغيير سمة الحياة في ذلك الوقت .

ومن هنا فإن حضارة الإسلام في مكة قبل الهجرة هى حضارة العرب في ذلك الوقت أما بعد الهجرة فقد نشأت الدولة في المدينة وكان على الدولة أن تكون لها حضارة مستقلة مرتكزة على عنصرين أساسيين هما كتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وإذا جاز استعمال لغة معاصرة فإننا نقول إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بيده كافة

←

سلطات الدولة وهو صاحب التشريع والسلطة القضائية والحاكم وهو أيضاً الذى يضع النظم الإدارية للدولة ويبعث الولاة والقضاة خارج المدينة وهو الذى يرعى الأمور الصحية والاجتماعية ويقول في شأن الصحة والمحافظة عليها : « إن الله خلق الداء والدواء فإذا صادف الدواء الداء كان الشفاء بإذن الله » .

وانتهت حياة الرسول بعد أن دخل العرب جميعاً في الإسلام وبعد أن راسل ـ من حوله ـ من الملوك ورؤساء الدول مبلغا برسالته ولم يترك وصية بتعيين خليفته ، ونظام الحكم في الإسلام كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾(1) .
(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)(2) وهاتان هما القاعدتان الأساسيتان للحكم في الإسلام .
والشورى هى الصورة القريبة من الديمقراطية في عصرنا .

وقد اجتمع المسلمون بعد وفاة الرسول في المدينة ـ المهاجرون والأنصار ـ وتشاوروا فيمن يكون خليفة للرسول من بعده وجرى الحوار كل يبدى وجهة نظره شفاهة وعلانية حتى استقر الرأى حين قال عمر بن الخطاب لأبى بكر : « رضيك رسول الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا » .

هذه صورة من صور الاختيار غير صورة أخرى لأبى بكر الذى استشار الناس ولكنه لم يجمعهم في مكان واحد وانتهوا جميعاً إلى أن يكون الخليفة هو عمر بن الخطاب من بعده فأعلن ذلك على الناس في حياته .

أما عمر فقد عين ستة أسماء يكون من بينهم الخليفة وهذا التعيين لهذه الأسماء جاء بعد مشاورة الزعماء والرؤساء في المدينة ثم على هؤلاء الستة أن يختاروا الخليفة من بينهم . وهكذا نرى أنه في خلال نحو عشرين عاماً طبقت الشورى في صور ثلاث لاختيار الخليفة وكلها تدخل تحت عنوان : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ .

وعلينا أن نلاحظ أن العرب في ذلك الوقت كانت أمة أمية فكانت الشورى دائماً بالمواجهة والمشافهة فإذا تطورت الأمور فليس بعيداً على المسلمين أن يختاروا الطريقة المناسبة كالانتخابات والاستفتاءات وغيرها .

وهذا النص (الشورى) يعطينا صلاحية قواعد الإسلام للتطبيق في كل عصر ومكان ، ونجد أن القرآن والسنة وعلومها كانا شاغل المسلمين لفترة ثلاثة قرون ، فالقرآن قد تلقاه الصحابة عن الرسول حفظا في الصدور مع تدوينه ثم جمع في عهد أبى بكر وفي عهد عثمان تم تدوينه في المصحف الذى في أيدينا .

أما السُنة فكانت متفرقة كل يروى ماشاهده أو سمعه من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم نشأ في أواخر القرن الأول الهجرى من تخصصوا في السنة وهم علماؤها وأمضوا نحو قرنين من الزمان يجمعون الأحاديث ويوثقونها ويدونونها حتى وصلت المدونات إلى ستة موثوقة .

---

(1) سورة الشورى ٣٨ .
(2) سورة آل عمران ١٥٩

والإسلام يعنى بتطبيق العلم أيا كان العلم نافعاً للإسلام ويعنى أيضاً بالثقافات الأخرى وتداولها فنحن نرى أنه بعد الهجرة كان للرسول مترجمون يعرفون اللغات المجاورة له .

كما كانت المراسلات ترسل مع من يحسن لغة القوم المرسلة إليهم .

ثم في عصر الدولة العباسية كان الانفتاح الثقافى الأكبر بين المسلمين وبين الفرس والرومان واليونان ثم تفاعلت هذه الثقافات وكان للمسلمين السمة الخاصة في ثقافاتهم فأخذوا من غيرهم مالم يتعارض مع دينهم .

وامتدت الدولة الإسلامية في العصر العباسى إلى أقصى المغرب و الأندلس وعاش العرب في الأندلس فترة أثرت فيها الأندلس فيما حولها من الدول .

كما انتشرت الثقافة الإسلامية في الشرق فكان للمسلمين دولة في الهند والصين وحولهما وفي بلاد البلقان وأوروبا الشرقية كل ذلك كان تفاعلا بين الثقافة الإسلامية وهذه الشعوب .

ولم يحاول المسلمون أن يمحوا ثقافة الآخرين وإنما كان هناك التزاوج بين الثقافات ومراعاة العادات والتقاليد .

وإذا مر بالمسلمين عصور ضعف فهذه سنة الحياة وفي عصرنا الحاضر ذهبت دول وقامت دول بعد ـ الحربين العالميتين .

والصلة بين المسلمين على الأرض لا توجد صلة مثلها بين الدول والحضارات الأخرى ذلك لأن المسلمين جميعاً يرتبطون بمصدرين اساسيين : القرآن والسنة ثم مصادر كالإجماع والقياس وغيرهما وهناك مصادر محددة للتشريع واستنباط أحكام قضائية وشرعية وغيرها .

ومن هنا نشأ فقه إسلامى ثرى بالأحكام والقواعد المنظمة لحياة الإنسان وله أصوله الممتدة من القرآن والسُنة .

ولعلنا نعرف أيضاً أن للمسلمين حضارة معمارية لها شواهدها وقائمة للآن .

ولعل في الإسلام خاصية هى أن العبادة صلة بين الله والإنسان دون واسطة وأن الاحكام التشريعية الخاصة بهذه العبادات جاءت مفصلة لا اجتهاد فيها وهى كما جمعها الرسول في قوله « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »(٣) .

والإسلام عنى بالأخلاق ولذلك نرى القرآن الكريم يحث على الأخلاق الفاضلة ومنها الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والعدل والمساواة والإخاء الإنسانى .

وما نسميه الآن حقوق الإنسان قد سبق بها الإسلام منذ اكثر من أربعة عشر قرنا فالرسول في خطبة الوداع قال : (الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى) .

ولا يفرق الإسلام بين بنى الإنسان بسبب اللون أو الجنس أو الدين،والمعاملة واحدة للجميع ويطلب الوفاء بالوعد والعهد .

ومرونة الأحكام الإسلامية نابعة من عموم نصوصها إذ لم ترد في الجرائم عقوبات محددة إلا في

(٣) رواه البخارى .

الجرائم الكبرى التى تسمى حدوداً ، أما الجرائم الدورية التى تقع فى كل وقت فقد ترك أمر تقديرها للحاكم أو القاضى .

وقد يختلف التصنيف الفنى بين القانون والفقه الإسلامى ، إذ الفقه الإسلامى يصنف الجرائم إلى حدود وتعازير .

ومن خصائص الأحكام التشريعية فى الإسلام أنها تعمل على وقاية المجتمع ولا تنتظر وقوع الجريمة .

فالمبدأ الذى نقول به الآن « الوقاية خير من العلاج » مبدأ إسلامى له أساس فى القرآن والسنة .

واترك لكم الفرصة إذا كانت لديكم أسئلة أو استفسارات ترغبون فى طرحها .

د . ريتشارد مورو استاذ تاريخ بجامعات امريكا :

ما هو تعليق فضيلتكم حول الانتخابات التى جرت مؤخراً فى الجزائر والعملية الانتخابية فى إيران ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

إننى لا أتحدث عن الجزائر أو إيران أو أي مكان محدد ولكنى أتحدث عن الانتخابات عموماً فى عصرنا ومدى صلاحيتها فى النظام الإسلامى .

ولقد حرصت أن أعرض صوراً ثلاثة من اختيار المسلمين للحاكم بعد وفاة الرسول لأبين أن الإسلام وضع قاعدة الشورى وترك طريقة تنفيذها للمجتمع الإسلامى فى كل عصر .

ولقد قلت إن الصورة فى الطرق الثلاث التى عرضتها كانت للحضور من الجمهور يتناقش ويتحاور ثم ينتهى إلى ما تصوره وكان من الممكن أن يكون هناك مرشحون كما هو قائم الآن ، فمثلا عندما انتهى عمر إلى أن هناك ستة مقبولين من الجميع تم اختيار أحدهم هو عثمان عن طريقهم .

أما ما يجرى فى عصرنا فى الجزائر أو إيران أو مصر فإن ذلك يدخل فى خصائص المجتمع فإذا كان جاداً فسيكون نظيفا وإذا لم يكن فوزره على نفسه .

ونحن نضع قوانين تنظم الانتخابات وعلى القائمين على القانون أن يُراعوا العدالة والمساواة فى ذلك فإذا لم يراع القانون الحياد فستكون النتيجة غير حيادية .

د . خالد مسعود ـ باكستانى الجنسية ويعمل فى جامعات أوروبا :

نشكر فضيلة الإمام الأكبر على الإيضاحات الجليلة التى تفضل بها وقد ذكرتم فضيلتكم أن التعزيرات ـ يتولاها القاضى أو الحاكم ، والهيئة التى تقوم بذلك الآن هى "البرلمان"، وأغلب

اعضائه لم يتعلموا الإسلام كما أن "البرلمان" يضم بين أعضائه غير المسلمين فهل من حق البرلمان تولى ذلك ؟

فضيلة الإمام الأكبر

الهيئة التشريعية وإن كانت الدساتير تعطيها سلطة التشريع فالواقع أن الجهات التى تتولى التشريع هى جهات متخصصة ، ثم هناك بعد ذلك موافقة رئيس الدولة ورئيس الدولة في بلاد المسلمين من المسلمين أي أن عمل المجالس التشريعية هو عمل إعدادى وتمهيدى لصدور القرار من رئيس الدولة في شرعية هذا القانون وهو الحكم بين السلطات .

ومن ثم فالقانون صادر من رئيس الدولة وهو المسئول شرعاً عن موافقة هذا القانون للإسلام .

وعمل السلطة التشريعية لا يأخذ الصفة التنفيذية إلا بموافقة رئيس الدولة .

وكل الخطوات المتقدمة على تنفيذ رئيس الدولة هى خطوات عمل بواسطة الخبراء والمتخصصين ولا مانع في الإسلام من الاستعانة بخبير غير مسلم مادامت الضرورة داعية إلى ذلك .

د . ليلى ـ أمريكية الجنسية ومن أصل فلسطينى :

لقد شاهدت التليفزيون المصرى خلال شهر رمضان ورأيت البرامج الدينية كما شاهدت برامج أخرى ومسلسلات ولاحظت أن إقبال الناس على البرامج غير الدينية أكبر .

فما هو رأيكم في هذا الشأن ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لاشك أن البرامج التى تقدم في رمضان هى من باب خلط عمل صالح بعمل غير صالح .

فالأصل أن شهر رمضان له سمة خاصة في العبادة فهو كما قال الله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾(٤) .

ومعنى هذا أن هذا الشهر يجب أن يكون العمل فيه خالصا لما فيه رضاء الله سبحانه وتعالى .

والإسلام لا يرفض الترفيه وإنما الذى يقبله الإسلام من الترفيه هو الترفيه العف الذى يهذب الناس ، ويدعوهم للخير لا إلى الشر ، ويمكن أن تكون هناك مسلسلات هادفة تنمى الخلق في النشء وتعلم الناس حب العمل والفضائل التى تصور الأسرة متماسكة يحترم كل فرد منها الآخر لا تلك التى تعرض نماذج من المجون الخارجة على الإسلام .

وطبيعى إذا عرض هذا وذاك أن يكون الانجذاب إلى تلك الأمور الترفيهية التى تعرض شيئا غير معتاد ، وهذا ما لوحظ على تلك البرامج ، وكما قلت خلطوا عملا صالحا وغير صالح وأدعو الله أن يتوب عليهم .

ثم طرح أحد الأساتذة الأمريكيين سؤالا حول علاقة الأزهر بالمساجد في أمريكا حيث يبلغ عدد

←

(٤) سورة البقرة ١٨٥ .

المساجد هناك أكثر من ٦٠٠ مسجد وأكثر من ٦٠٠ جماعة مسلمة .
فما مدى هذه العلاقة ؟

فضيلة الإمام الأكبر

أولا الأزهر له علماؤه فى كل مكان في أرض العالم به مسلمون .

وللأزهر علماء في أمريكا وكندا واستراليا وأوروبا ، والأزهر يرحب دائما أن يبعث علماءه إلى أى تجمع إسلامى في العالم .

وأنصح المسلمين في كل مكان أن يحافظوا على سمتهم الإسلامية وأن يتعلموا اللغة العربية وأن ينشئوا أولادهم على ذلك بل وأدعوهم أن ينشئوا المدارس الدائمة لربطهم بالمناهج العربية والإسلامية مع البلاد الإسلامية .

وللأزهر علماء في مراكز متعددة فى أمريكا ، والأزهر يحمل عبء تعليم اللغة العربية لكافة بلاد المسلمين في العالم حتى في بعض الجزر النائية والمنقطعة ولا يدخر الأزهر جهداً ووسعاً في التعاون مع التجمعات الإسلامية واقصد بذلك المجموعة من الناس في المكان الواحد .

والأزهر على استعداد أن يجيب على أي سؤال في أمر الدين من اى مكان فى العالم ، وكثيراً ما ترد إلى شيخ الأزهر الأسئلة والاستفتاءات حول أمور الإسلام وإذا كان للأخ أي سؤال أو اقتراح يمكن إرساله وسيصله رد الأزهر .

سؤال من الباحثة **ماريان** ـ فرنسية الجنسية :
ما العلاقة بين العرف والشريعة ؟

فضيلة الإمام الأكبر

العرف معترف به في الشريعة بمعنى أنه يقوم عليه عدد من الأحكام ولكن في نطاق القواعد العامة للشرع ، فمثلا لو أن الناس تعارفوا في بلد إسلامى على التجارة في الخمر وتعارفوا صناعة الخمور وإقامة الخمارات في النوادى وغيرها فهل هذا عرف يقره الإسلام أو يرفضه ؟

إنه عرف يرفضه الإسلام : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٥) .

ولكن لو أن الناس اعتادوا عرفا طيبا لا يخالف نصا في القرآن والسنة : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾(٦) ﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾(٧) ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ .

(٥) سورة المائدة ٩٠ .
(٦) سورة الشعراء ١٨١ .
(٧) سورة الرحمن ٩ .

فهذا المبدأ (مبدأ العدل في الميزان والكيل) هل يوجد فيه تحديد الكيل أو الميزان ؟ .
نحن أخذنا تحديد الكيل والميزان من العرف فلو تعارف الناس ميزانا خاصاً بمقتضى حجر من الأحجار أو كوبا واعتبروه مكيالا عرفا وتعاملوا به بالعدل أقره الإسلام .
ثم طرح أحد الباحثين سؤالا حول المذهب المالكى في موريتانيا .

فضيلة الإمام الأكبر

« كلهم من رسول الله ملتمس » .
وكل مذاهب الفقه مشتقة من الإسلام وتنتمى كلها للقرآن والسنة ولا تختلف إلا في أمور ليس فيها نص قطعى من القرآن والسنة ، والمذهب المالكى هو من مذاهب أهل الحديث المتمسكين بالنصوص .
وقد امتد المذهب المالكى من المدينة إلى المغرب العربى والأندلس وانتشر في أفريقيا بوجه عام .
والمذهب الشافعى ينتشر في مصر وبعض دول أفريقيا ، والحنفى في الهند وباكستان والعراق ، والحنبلى في السعودية ودول الخليج بوجه عام ، وذلك يرجع إلى انتشار تلاميذ كل مذهب في مكان ما . وسنجد الشيعة في إيران يعملون بالمذهب الإمامى .
أما الشيعة الزيدية فتوجد في اليمن .
ثم طرح أحد الباحثين الأمريكيين سؤالا حول وجود جماعة من المسلمين في أمريكا يسمون أنفسهم فريق الإسلام برئاسة لويس فرحان .
فهل للأزهر صلة بهم ؟
فضيلة الإمام الأكبر :
الأزهر ليست له صلة بجماعات سياسية ولكن صلة الأزهر هى ثقافية إرشادية .
أقول: الأزهر لا يقود جماعات سياسية ولا يشارك فيها سواء داخل مصر أو خارجها ، ولكنه يقدم النصح لكافة المسلمين، بل ولغير المسلمين .
ولعل هذه الجماعة تجمعت وتسمت بهذا في بحر من البشر هى قلة بينها ولابد أن تكون قد راعت القوانين الأمريكية في هذا .
سؤال من الباحث **نظيف شعرانى** من أفغانستان حول الصور الثلاث لاختيار الخليفة في بداية الدولة الإسلامية .
وهل استشير غير المسلمين في ذلك الأمر ؟
وهل لرئيس الدولة استشارة غير المسلمين ؟

فضيلة الإمام الأكبر

في ذلك الوقت لم يكن في المدينة المنورة غير مسلمين بل الجزيرة العربية كلها كانت مسلمة .
الأمر الثانى أنه لابد أن نقرب المصطلحات الإسلامية لعصرنا فحين قسم الفقهاء غير المسلمين إلى ذميين وعهديين ، ومحاربين ، فإن الذميين يشاركون الآن في الجيش والشرطة ولهم كافة الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وهؤلاء الذميون لهم حق المشاركة في الانتخابات وما يهم الدولة فيما عدا الأمور الإسلامية البحتة مثل مناقشة تحريم الخمور .

وعند اعتراض غير المسلمين يؤخذ برأى الأغلبية التى هى مسلمة .

ثم عرض أحد الأساتذة الحاضرين موضوع وجود المسلمين كأقلية فحوالى ٣/١ المسلمين في العالم يعيشون كأقلية وهم يخضعون لدول لها قوانينها ولا يتاح لهم المعرفة الصحيحة للدين الإسلامى وتطبيق قواعده .

وهل يؤدى الأزهر واجبه نحو تدخل الحكومة المصرية لدى الحكومات الأخرى من أجل ذلك ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

أعتقد أن هذا قائم فعلا فالحكومة المصرية لا تدخر وسعا في أن يبعث الأزهر علماءه لأية جماعة مسلمة في أي مكان وكثيراً ما تتدخل الحكومة المصرية لدى بعض الدول لإعطاء التأشيرة بسبب منعها عن بعض علماء الأزهر .

ولا شك أن الأزهر وهو على أرض مصر والذى تقوم على رعايته وكفالته هى الحكومة المصرية وتعينه على أغراض خارج مصر وهذا كله أمر تقوم به حكومة مصر بكل جد وجدية ، وهناك بعض الحكومات التى تعترض على دخول علماء الأزهر ، وهذا الأمر نحترمه وإن كنا نعترض عليه لأن هناك مسلمين على أرضها لهم حق على الأزهر ، ولكن هل هذا المنع من التعامل الإنسانى الذى يحافظ على حقوق الإنسان ؟ .. لا أظن ذلك .

ونحن نرى أن الأقلية الإسلامية التى تعيش في الدول الأخرى لها حقوق الإنسان التى ينادى بها ميثاق الأمم المتحدة ، ومن بينها أن تعرف دينها على أيدى علمائها والأمر دائما يحتاج إلى المتابعة : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾(٨) .

وصاحب الحق دائما ينبغى الا يتركه أو يمل من المناداة به والأزهر دائماً يتصل بالجهات التى تمتنع حتى يدخل العلماء إلى المسلمين .

ثم تحدث السيد **بيل روف** رئيس الوفد قائلا :

ارغب باسم جميع الأساتذة أو الباحثين في أن أقدم خالص الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على العرض التمهيدى الذى قدم وعلى الإجابة المستفيضة على الأسئلة والاستفسارات التى عرضت له .

ثم أشار السيد / بيل روف إلى أن الجامعة التى تخرج فيها قد احتفلت بمرور ٢٥٠ عاماً على إنشائها .

وعند ترتيب الحاضرين أخذ الأزهر الشريف مكان الصدارة حيث إنه أقدم الحاضرين جميعاً ، وعبر سيادته عن سعادة الحضور بالوجود في هذا المعهد العريق الذى مر على بنائه أكثر من الف عام ، كما قدم شكره وشكر جميع الحاضرين على حسن الاستقبال

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

والله ولى التوفيق ..

مجدى حسن الأنور المترجم بمكتب شيخ الأزهر

(٨) سورة آل عمران ٢٠٠ .

"الحمل عن طريق صوفة"

فتوى لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد :

سال السيد / م . ك . ابو زيد القاهرة . يقول : زوج اثبتت كل التحاليل الطبية انه عقيم واخفى ذلك عن زوجته وادعى لها بانه سليم وصالح للإنجاب ، ووقعت الزوجة في الحيرة والقلق من تاخر حملها ولاسيما ان تحاليلها المعملية تؤكد انها صالحة للإنجاب من وجهة النظر الطبية وقد دفعها قلقها إلى اللجوء لإحدى الدجالات التى اوهمتها بانها تستطيع ان تحل لها مشكلتها وتعجل بحملها ، وانساقت الزوجة وراء هذه الدجالة المشعوذة ، وبعد فترة من الزمن حدث ان حملت بالفعل وكان هذا الحمل بواسطة صوفة الدجالين المغموسة في منى رجل غريب . واتهم الزوج زوجته بجريمة الزنا بعد ان صارحها بحقيقة عقمه والمطلوب من فضيلتكم ان تفيدونا بالإجابات الشرعية للاسئلة التالية :

اولاً : ما موقف الشرع من الحمل عن طريق صوفة الدجالين المغموسة في منى رجل غريب ، هل يعتبر حملا سفاحا ام لا ؟

ثانياً : هل تعتبر الزوجة في حكم الزانية على الرغم من انها لم تجامع رجلا غريبا ؟ وهل يقام عليها حد الزنا من وجهة النظر الشرعية ؟

ثالثاً : هل يبيح لها الشرع ان تجهض نفسها وتتخلص من هذا الحمل عملا بمبدا الضرورات تبيح المحظورات ؟

رابعاً : إذا اراد الله - سبحانه وتعالى - ان يبقى ويتم هذا الحمل حتى تضع مولودها فلمن ينسب هذا المولود ؟!

← الحمل عن طريق صوفة

الجــواب

لقد نظم الإسلام صلة الرجل بالمرأة واختلاطهما بوجوب أن يكون هذا في ظل عقد زواج صحيح تكريما لنطفة الإنسان التى يتخلق منها الولد : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ . . سورة الإنسان الآية الثانية ـ ولا تتخلق نطفة الرجل إلا إذا وصلت إلى رحم المرأة المستعد لقبولها وهذا الوصول قد يكون عن طريق الاختلاط الجنسى الجسدى بين الزوجين وعندئذ يكون نسب الولد من هذا الاتصال موصولا بأبيه متى كان قد تم في ظل عقد الزواج الصحيح ..

وفي الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الولد للفراش ، وللعاهر الحجر) . رواه الجماعة إلا أبا داود[1] .

وقد يكون الوصول عن طريق إدخال نطفة الزوج في رحم زوجته بغير الاتصال الجسدى وقد ضرب الفقهاء له أمثلة منها :

ـ مافى البحر عن المحيط عن أبى حنيفة ما نصه :

« إذا عالج الرجل جاريته فيما دون الفرج فانزل فأخذت الجارية ماءه في شىء فاستدخلته فرجها في حدثان ذلك (أى لحظة الإنزال) فعلقت الجارية وولدت فالولد ولده والجارية أم ولد له »[2] .

وكما ذكر في شرح المنهاج لابن حجر الشافعى « وإنما تجب العدة في النكاح بعد وطء أو بعد استدخال منيه » أي الزوج « المحترم وقت إنزاله واستدخاله ومن ثم لحق النسب »[3] .

والمقصود بالمحترم الناشىء عن عقد زواج صحيح ..

وما سبق فيه تصريح بأن شغل رحم المرأة بنطفة زوجها قد يحدث بغير الاتصال الجنسى العضوى بينهما وتترتب عليه الآثار الشرعية من عدة ونسب .

ـ وبهذا يتبين أن الصلة العضوية بين الزوجين والاختلاط والتواصل هو الوسيلة الأساسية لإفضاء كل منهما بما استكن في جسده ، وكل ما تحمل به المرأة لابد أن يكون نتيجة الصلة المشروعة بين الزوجين سواء باختلاط أعضاء التناسل كالمعتاد أو بطريق استدخال منى زوجها إلى ذات رحمها فتتخلق النطفة فيه وينشأ الحمل منسوباً إلى أبيه في ظل عقد زواج صحيح .

ـ وإذا أدخلت الزوجة منى رجل آخر غير زوجها إلى رحمها سواء كان الزوج مخصبا أو غير مخصب ، فإن هذا يكون محرما شرعا لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب ، بل ونسب ولد إلى أب لم يتخلق من مائه وهذا الإدخال والتلقيح به إذا حدث الحمل منه يكون فى معنى الزنا والزنا محرم قطعا .

---

(١) نيل الأوطار حـ ٦ ص ٢٧٩ .
(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفى حـ ٤ ص ٢٩٢ باب الاستيلاء ط أولى بالمطبعة العلمية .
(٣) حـ ٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ في كتاب العدة .

ولما كان النسب إنما يثبت شرعا للأب (الزوج) متى ثبتت لقياه بالأم (الزوجة) بالعلاقة الجنسية الفعلية أو باستدخال منيه في محل التناسل منها إثر نزوله مؤكداً منه كان نسب المولود في غير واحدة من هاتين الصورتين غير ثابت شرعا ، وإنما ينسب المولود آنئذ إلى أمه التى ولدته فحسب ، سواء ثبتت الولادة بإقرارها أو قضاء بطرق الإثبات المقررة ومن ثم وعلى ضوء المبادىء المتقدمة يكون جواب الأسئلة المطروحة في هذه الواقعة كمايلى :

أولاً : بخصوص حدوث الحمل نتيجة استدخال الزوجة المسئول عنها صوفة مغموسة بمنى رجل غير زوجها ممكن ومحتمل ويعتبر حملا سفاحا إذا ثبت ذلك .

ثانياً : لا يقام على هذه الزوجة حد الزنا لأن هذا الحد إنما يقام على المباشرة الجنسية الفعلية وثبوت هذا بالإقرار به أربع مرات أو شهادة أربعة شهود بواقعة الزنا الفعلى شهادة شرعية أمام القضاء ..

ثالثاً : الإجهاض قتل للنفس التى حرم الله قتلها ..

وهذا الجنين نفس محترمة له مقومات النفس الإنسانية منذ انعقاد الحمل . ومن ثم يحرم على هذه المرأة أن تجهض نفسها تخلصاً من هذا الحمل ولا ترد قاعدة الضرورات تبيح المحظورات في مثل هذه الحالة .

رابعاً : إذا استكمل الحمل الموصوف في هذه الواقعة أشهره الرحمية ووضعته أمه كان نسبه إلى الزوج ثابتاً بحكم الفراش القائم بين الزوجين .. (الولد للفراش) فإذا أنكر الزوج أنه منه جاحداً ذلك وأقام الدليل الصحيح قضاء على أن الزوجة قد استدخلت منى غيره في صوفة إلى محل التناسل فيها وأنه عقيم غير مخصب إلى حين تاريخ الحمل وطلب الزوج من القضاء نفى النسب قضى له بذلك ، وعندئذ لا ينسب هذا المولود إليه وإنما ينسب إلى أمه التي ولدته باعتبار أن الولادة واقعة مادية فإذا عجز الزوج عن إثبات واقعة الاستدخال هذه ثبت النسب إليه بالقرينة الشرعية (الولد للفراش) وباعتبار أن العقيم قد يزول مرضه ويبرأ من عقمه ويصير صالحا للإنجاب وإثباتُ النسب في هذه الحال أولى من نفيه .

هذا : ويحرم على أية امرأة لاسيما المتزوجة أن تدخل على زوجها حملا ليس منه للحديث الذى رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : حين نزلت آية الملاعنة(٤) :

« أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شيء ولن يدخلها الله في شيء ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة .. وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » . .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

١٥ من المحرم ١٤١١ هـ
٦ من أغسطس ١٩٩٠ م

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٤) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٧٨ .

من معالم حضارة الإسلام

جامعة القرويين في المغرب

للأستاذ الدكتور
أحمد الحفناوى

مكانتها وأثرها :

جامعة القرويين معلم رائع من معالم حضارة الإسلام الزاهرة في المغرب ، بيد انه على الرغم من ان الكثير من نواحى هذه الحضارة قد تناوله الباحثون وبخاصة في المغرب بالدراسة والبحث ، إلا ان هذه الجامعة المجيدة لم تلق من العناية مالقيه غيرها من هذه النواحى .

لقد كانت جامعة القرويين المنار الذى ارتفع في طريق الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجف الزلازل ، وانتشر ضوؤه على عصف الرياح ، وقاد الشعوب الإسلامية في المغرب ـ خاصة ـ وسط ظلمات الخطوب والحروب إلى بر السلامة والأمان ، والكرامة والوحدة ، كانت الحصن الذى اعتصمت بمناعته ثقافة الإسلام من عدوان الشعوبية والبربرية والعامية والفرنسية حين فشت الجهالة و(تفرنس) السلطان وعز الناصر وذل الأهل : في المغرب .

كانت الملاذ للشعب المغربى المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فيأوى منه إلى ملجأ يحميه ..

كانت القاعدة الروحية التى يخشاها المستعمرون فحاولوا ـ سراً وعلناً ـ أن يدمروها ، فلما استيأسوا من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالموها ونافقوها ثم جهدوا أن يستميلوها ليشغلوها .

كانت الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد وخرج القيادات للجهاد ، وقام من نهضة المغرب الحديثة مقام الراس واليد .. يمدها بالروح ويرفدها بالقوة ..

ثارت على البرتغاليين والأسبانيين .. على أن فضلها ، في الحفاظ على ثقافة الإسلام ، يشاركها فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس ، والجوامع أنشأها السلاطين ـ على مر الزمان ـ في « القاهرة » و « دمشق » و « بغداد »

و « النجف » و « قـرطبـة » و « القـيروان » و « الزيتونة » ، لكن معظم هذه المـدارس ـ باستثناء الأزهر الشريف ـ عفا على أكثرها الزمن لم تستطع في حياتها منفردة أو مجتمعة أن تطاول القرويين المجيدة في فضلها على الثقافة الإسلامية في بقائها حية نابضة بالحركة .

الجامعة والاستعمار :

لقد تميزت جامعة القرويين خلال مراحل تطورها بطابع معين ، هو طابع مقاومتها للاستعمار الفرنسى ـ برغم الحدّة والعنف الذى كان يقابل به الاستعمار الفرنسى الثقافة العربية الإسلامية ـ فكان للجامعة محاولاتها المستميتة للحفاظ على ثقافة الإسلام وتاريخه على نحو متكامل موحد لا انفصال فيه .

وإذا كان لى أن اقول إن هذا الجناح الأيسر من الأمة العربية كان موضع اهتمامنا فى المشرق منذ تكشفت أمامنا الحقائق وتلاقت الأفكار مع « المغاربة » المجاهدين الذين كتبوا قصة كفاح مجيدة فإنى أقول ذلك لأن جامعة القرويين ـ التى يرجع إليها الفضل في الحفاظ على عروبة المغرب وإسلام المغاربة ـ كانت موضع تقديرنا وإعجابنا هنا في المشرق العربى .

مـوقعهـا :

إن أول ما يلفت النظر في تاريخ « القرويين » . هو أنها من مدينة « فاس » تلك المدينة التى اشتهرت بعبادها ، وحملة كتاب الله فيها ، وسكانها الأبرار الذين راعوا حدود الله ، وغلبت تلك الصفات الحميدة عليها حتى عرفت بعاصمة الملك والعلم والعرفان التى يقصدها الطلاب في كل زمان وكان لجامعة القرويين أثر واضح وسبب أصيل في هذه المكانة التاريخية العظيمة التى اكتسبتها من بين مدن المغرب حتى أصبحت معرض نتائج القرائح ، وانتهت إليها الرياسة الأدبية والفكرية بأفريقية الشمالية في القرن التاسع والعاشر .

تاريخ المسجد وعمارته :

لم يكن مسجد « القرويين » بالأمس هو مسجد « القرويين » اليوم ، إذ لم يكن يشتمل عند نشأته إلا على أربع (بلاطات) ومحراب وفناء ، وغرست فيه بعض الأشجار ، ولم يكن به حلقات للدرس ، بل كان مجرد مسجد للصلاة ، يؤدى الناس فيه صلاة الجمعة نظراً لضيق المساجد التى يصـلى فيها أهـل « عدوة القيروانيين »وافتقارهم إلى مسجد جامع يلم شعثهم ويجمع شملهم ، وتلقى من فوق منبره الخطبة الرسمية ، وكان علماء « فاس » في ذلك العهد يشددون في منع الناس من القراءة والتدريس في بيوت الله .

لقد كان بناء « فاطمة بنت محمد الفهرى » المكناة « بأم البنين » للقرويين في (غرة رمضان ٢٤٥هـ ـ ٨٥٩ م) ، ويقول المؤرخون : إن السيدة فاطمة مؤسسة القرويين ظلت تصوم منذ الشروع في بنائها تقرباً إلى الله في أن يعينها على نجاح مشروعها العظيم إلى أن تم البناء وانجز تشييد المسجد فبادرت إلى الصلاة فيه شكراً لله على أن وفقها لصرف مالها فيما تعود فائدته على الإسلام والمسلمين ، وإن الله تعالى ليبارك أمثال هذه المشاريع التى تقوم على النية الحسنة فيكتب لها البقاء والازدهار ، ولذلك رأينا الدول التى تعاقبت على المغرب بعد دولة « الأدارسة » تعنى بهذا المسجد عناية فائقة : بإصلاحه والزيادة

فيه ، وإدخال تحسينات على جوهره وشكله وتخليد فنون النقش والزخرفة في جدرانه فجمل واتسع حتى أصبح يحتوى على خمسة عشر باباً وثلاثمائة سارية وعدد من القباب .

يذكر « ابن أبى زرع » : إن الخطبة لم تزل « بجامع الشرفاء الذى بناه إدريس بـ « عدوة ، القرويين »[1] . وبجامع الأشياخ من عدوة الأندلس[2] . طوال أيام الأدارسة فلما اتسعت ، مدينة « فاس » ووفد عليها العرب والبربر من أنحاء « المغرب » و « الأندلس » ضاق كل من الجامعين بالمصلين ، واستلزم الأمر بناء جامعين جديدين وكان في جملة هؤلاء الوافدين « رجل عربى » من « القيروان » اسمه : « محمد بن عبدالله الفهرى » . فمات وترك أموالاً كثيرة ورثتها ابنتاه : « فاطمة » المدعوة بأم البنين و « مريم » وأبدت الابنتان رغبة صادقة في صرف قسم من هذا الإرث الكبير في عمل البر والخير ويبدو أنهما سمعتا بضيق جامعى العدوتين عن استيعاب جمهور المصلين وضرورة إنشاء جامعين جديدين فشرعت فاطمة في بناء جامع « القرويين » في مستهل رمضان ٢٤٥ هـ ، وكان في موضعه حقل يمتلكه رجل من هوارة فاشترته منه فاطمة وتطوعت بالإنفاق على البناء من إرثها ..

وتذكر الرواية : إن جميع مواد البناء للجامع استخرجت من أرض المسجد نفسه[3] وكان هذا الجامع الأول يتألف من قسمين : بيت الصلاة والصحن ، وكان بيت الصلاة يشتمل على أربع بلاطات .. وكان طوله من الشرق إلى الغرب مائة وخمسين شبرا أي ما يعادل ثلاثين مترا .. وجعل محرابه في موضع الثريا الكبرى الموجودة في المسجد في الوقت الحاضر .

التوسعة الأولى :

ظل المسجد على صورته القديمة هذه حتى دالت دولة « الأدارسة » فلما تولى « بنو زناتة » حكم البلاد ، واستقام أمرهم « بالمغرب » ، بنوا الأسوار حول أرباض ، العدوتين وزادوا في جامع القرويين زيادة كبرى ، حدودها ظاهرة حتى اليوم تشمل : بلاطات وصومعة ، وذلك حين كثر الناس « بفاس » ، وقد أقام الأمير « أحمد بن أبى بكر » مئذنة للمسجد فوق منتصف الرواق المطل على الصحن من الجانب الغربى ، ويلاحظ أن هذه المئذنة تشبه إلى حد كبير مآذن « قرطبة » و « أشبيلية » في عصر الأمير « عبدالرحمن الأوسط » ، وإن كانت تغلب عليها البساطة .

التوسعة الثانية :

ازدهرت (فاس) في عصر « المرابطين » وكثر العمران بعدوة « القرويين » حتى ازدحمت المدينة واكتظت بسكانها وضاق « جامع القرويين » بالمصلين حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع والطرق المحيطة بالجامع أيام الجمع ، فاجتمع الفقهاء وخاطبوا قاضى القضاة في هذا الأمر فاستأذن القاضى أمير المسلمين (على بن يوسف) فى إجراء زيادة بالمسجد فأذن له بالشروع فيها في (سنة ٥٢٨ هـ ـ ١١٣٣ م) وتمت في ٥٣٨ هـ[4] .

(١) ، (٢) من أحياء مدينة فاس .

(٣) راجع ابن أبى زرع ، روض القرطاس ص ٢٨ ، الجزنائى : زهرة الآس ص ٣٥ .

(٤) راجع : الحروف المنقوشة بالقرويين فى خدمة الآثار » د . عبد الهادى التازى » المؤتمر الثالث للآثار العربية ـ القاهرة ١٩٦١ ص ٤٤٦ .

وقد تمت هذه الأعمال الإنشائية على أيدى فنانين استقدمهم الأمير من الأندلس(٥) ، وزخارف « جامع القرويين » تجلو لنا عنصراً جديداً ظهر لأول مرة في الزخرفة الإسلامية وهو نظام الزخرفة الثعبانية الشكل عند منابت العقود وهو نظام زخرفى شاع في عصر « الموحدين » بعد ذلك .. وبهذه الزيادة المرابطية اكتملت عمارة المسجد واشتمل على حدوده التى نراها اليوم .

أما المنبر فقد اقيم على أيدي القاضى « أبى محمد عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطى » ولم يتم في حياته فأتمه القاضى « أبو مروان عبدالملك بن بيضاء القيسى » ، وقد صنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وطعم بالعاج وتولى صناعته وتركيبه الشيخ « أبو يحيى العتاد »(٦) .

أما صحن الجامع فقد فرشه الفقيه أبو عبدالله بن داود وصنع بكرات وأشرطة غليظة ركبها في قلاع من شقاق الكتان في سعة الصحن ، فإذا اشتدت حرارة الصيف شدت البكرات فنصبت القلاع وظللت الصحن كله(٧) .

ولما دخل « الموحدون » « فاس » في (١٥ ربيع الآخر ٥٤٠ هـ) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن يأخذ « الموحدون » عليهم هذا الإسراف في النقش والزخرفة والتذهيب ، بالمحراب والقباب ، فأتى (الحمامون) الجامع تلك الليلة فنصبوا على ذلك النقش والتذهيب الذى فوق المحراب وحوله بالكاغيد ، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض فاختفت هذه النقوش وأصبحت بياضا(٨) .

ولكن هذه الكسوة الجصية أزيحت فيما بعد فظهرت النقوش والزخارف بألوانها الزاهية الرائعة .

ولقد اشتمل المسجد القروى على الكثير من المرافق : منها : « الساقية الكبرى والناقوس والخصة (وهى في الاصطلاح المغربى الفسقية) والبيلة ، وهى كلمة من أصل إسبانى وتطلق في « المغرب » على الحوض الذى يمتلىء ماء » .

تاريخ « القرويين » التعليمى ، الدرس ، والمدرس والتلميذ :

منذ النصف الأخير للقرن الثالث الهجرى كانت هناك دراسات غير منظمة في المسجد القروى وفي أوائل القرن الخامس الهجرى أصبحت الصورة تبشر بمستقبل علمى زاهر للقرويين ، وكانت هذه الدراسات تشمل : التفسير والحديث والفقه وأصوله والأدب العربى وفلسفة اللغة وتاريخ الإسلام والمنطق ، ولم يكن للدروس التى تلقى نظام خاص وإنما كان المدرس إذا جلس يبدأ بسرد الدرس ثم يفسره كلمة كلمة ويبين ما أشكل منه ويختلف تعليقه عليه حسب إطلاعه ومقدرته ، وكانت كفاءات العلماء تتبارى في حلقات دروسهم مع مراقبة الضمير والرغبة الصادقة في العلم ، والهيام الجارف باللذة المعنوية ، التى تفوق غيرها من اللذات ، ولم يكن مدرسو القرويين يتقاضون أجوراً محددة على

(٥) راجع الجزنائى . زهرة الآس ص ٥٨

(٦) راجع الحروف المنقوشة بالقرويين . د . التازى ص ٤٤٩ .

(٧) ابن أبى زرع . روض القرطاس ص ٣٥ ، ٣٦ . الجزنائى ص ٥٦ .

(٨) الجزنائى ص ٥٣ .

القيام بمأمورياتهم التى يعتبرونها أمانة أمروا بتبليغها ، وإنما كانت الحكومة تقدم لهم الهدايا من وقت لآخر في مناسبات الأعياد الدينية إلى جانب ما كانوا يتقاضونه من رواتب ضئيلة في بعض العصور .

وكانت وسائل التحصيل هى : الحفظ والدراية والفهم والرحلة ، كما أن الشهادات والألقاب العلمية كانت : الحافظ والفقيه والمحدث « كما كان هناك طلاب من أوروبا يتلقون العلم مع زملائهم من أبناء المغرب الإسلامي »(٩) .

ولم تكن الموارد المالية للقرويين ـ في هذه المرحلة المتقدمة ـ تتعدى أعطيات الخلفاء والأمراء والملوك ، كما أن الطلاب ، كانوا يقيمون فيما يمكن أن يقال : إنه مساكن جامعية ، ولم توجد الوظائف الإدارية في الجامعة إلا بعد أن تقرر صرف مساعدة ، للطلاب من الأوقاف ، وأنشئت روافد للقرويين داخل مدينة « فاس » وبعض المدن المغربية .

عاشت القرويين على هذا المنوال أحقاباً طويلة ، واعتبر علماؤها أهل الحل والعقد ، وظلت مزدهرة بهم في غالب أحوالها مؤدية رسالتها العلمية المقدسة التى أنشئت من أجلها ، ولم يكن لها نظام معين ولا طريقة محددة أو خطة في الدراسة محكمة .. إلى أن طرأ على نظامها التعليمى وموادها الدراسية تطوير وتغيير .

وفي الفترة من (١٢٥٩ م إلى ١٦٦٥ م) بدا واضحاً أن (القرويين) كانت تعطل الدراسة في أيام : « الخميس » و « الجمعة » ، وكذلك « الثلاثاء » على (قول بعض المؤرخين)(١٠) إلى جانب العطلة في المواسم والأعياد الدينية . كما أن إدارة الجامعة كانت موكولة إلى « مفتى فاس » .

وفى الفترة من (١٦٦٥ م إلى ١٩٧٥ م) كان التطوير والازدهار قد بدأ من قبل السلاطين العلويين الذين أبدوا اهتماماً كبيراً « بالجامعة القروية » وحرصوا على دعمها والتمكين لها ، فنجد السلطان « يوسف بن الحسن » ينشىء « المجلس العلمى التحسينى » للقرويين ويجعل الإشراف عليها لـ (وزارة العدلية) .. مما كان له أثر محمود على أدائها لدورها ولا عجب في ذلك « فلقد كان هناك ما يقرب من مائة كرسى للعلوم المختلفة »(١١) .

التنظيم الحديث :

وبمجيء السلطان « محمد الخامس » أصدر المرسوم الملكى في مارس ١٩٣١م ، الذى قضى بتأسيس مجلس أعلى للنظر في تنظيم التعليم وتحسين طرقه بالقرويين . وكانت البداية الفعلية للتطور بالجامعة القروية ، إذ قرر هذا المجلس : إنشاء مجلس تحسينى داخل القرويين يسهر على تنفيذ ما سَنَّهُ أعضاء المجلس الأعلى من قوانين أهمها :

« إن مدة الدراسة في القرويين انحصرت في اثنتى عشرة سنة وأن مراحلها ثلاث : ابتدائي وثانوى وعال ، وفي العالى نوعان : شرعى وأدبى ، ينتهى بشهادة « العالمية » .

وقد توالى على كرسى رئاسة القرويين وإدارتها عدد من الرؤساء مثل السيد « أحمد بن الجيلالى » والشيخ « عبدالله الفضيلى » والأستاذ

(٩) احد عشر قرناً فى القرويين د . عبد الهادى التازى ص ٨

(١٠) المرجع السابق ص ١١

(١١) جامعة القرويين بين الماضى والحاضر . وزارة التعليم الاصلى ، المغرب ص ١٢ .

« محمد الفاسى » والأستاذ « الجواد الصقلى » والسيد « الحسن مزور » .

أما رئاسة المجلس الأعلى فقد كانت للملك ، « محمد الخامس » وكانت الخطوة الإيجابية لتحقيق التطوير عندما عين الأستاذ « محمد الفاسى » وهو من علماء القرويين ومن الذين استكملوا دراستهم في باريس ـ مديراً ، للقرويين ، فقد أدخل العلوم العصرية واللغات الأجنبية في مناهج التعليم بها إلى جانب المواد الدينية .

جهود العلامة الفاسى :

وقد بدأ الأستاذ « محمد الفاسى » مهمته الشاقة في القرويين منذ (١٩٤٢م) وحتى (١٩٥٢م) حيث أبعد عنها من طرف السلطات الفرنسية عدة مرات نظراً لأفكاره الإصلاحية ، ورغم ذلك استطاع أن يرفع مدرسيها إلى ثمانين عالماً بعدما كانوا محصورين في اثنين وثلاثين ونقل رواتبهم ورواتب غيرهم من باقى الموظفين من ميزانية الأوقاف الضئيلة إلى الخزينة العامة ، وسهل للطلبة كثيراً من الأشياء التى كانوا محرومين منها ، وزاد سكناهم ، فارتفع عددهم من نحو أربعمائة إلى ألفين وتخرج في « القرويين » زمن مباشرته لها تسعة وثلاثون ومائة عالم وحول العطلة السنوية من أربعين يوماً إلى ثلاثة أشهر صيفية ، كما هى في جميع مؤسسات التعليم ، واختصر في السنوات الانتقالية التى ليست ذات شهادة على نظام الاختبارات التى تجرى للامتحان نظراً لكثرة الطلبة ، وألغى لفظ « الابتدائى » معوضاً إياه بلفظ : الطور الأول من التعليم القروى ، وأنشأ له معهداً خاصاً بمسمى ، « معهد الرصيف » وأنشأ في القرويين معهداً خاصاً بالفتيات « الحاصلات على الشهادة الابتدائية من المدارس الحرة ، واهتم بصحة التلاميذ فأنشأ لهم « مستشفى » بإزاء ، القرويين ، وأجرى المباراة عدة مرات للمتخرجين من علماء الشباب قصد تقوية عصب النظام القروى بهم ، ووزع المسئوليات على موظفى إدارة الجامعة ، وجعل لحلقات الدروس نظاماً خاصاً يستمر العمل به طيلة سنة دراسية ووضع جداول للامتحانات بما اشتملت عليه ومن لجان المراقبة والتصحيح والشفهى ، ورفع ساعات الدراسة في الطور الأول ، من (١٥) ساعة إلى (٢٠) ساعة وفي الثانوى إلى (١٨) واقتصر في النهائي على عشر ساعات تمهيداً لتحسين أجور المدرسين بالقرويين واعتنى إلى جانب ذلك كله بالبرنامج العلمى الذى يتكون أغلبه من العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية فأضاف إليها دراسة التاريخ بكيفية جديدة والحساب والجغرافيا والتلاوة والتجويد والرسم والشكل .

وظل الأستاذ « الفاسى » يجد في بناء كيان القرويين والنهوض بها إلى المستوى اللائق بمكانتها إلى أن نقلته السلطات الفرنسية منها (سنة ١٩٥٢م) فاضمحلت أو كادت واضرب طلبتها قرابة شهر احتجاجاً على ذلك .

وفي ديسمبر (١٩٥٥) ، أصبحت « جامعة القرويين » تحت إشراف « وزارة التعليم والفنون الجميلة » فواصل الأستاذ « الفاسى » وزير التعليم آنذاك جهوده لدعمها فأنشأ في وزارته « مصلحة التعليم الإسلامى العالى ركز فيها شئون « القرويين » وروافدها وفي سنة ١٩٥٧ م تكونت « اللجنة الملكية للنظر في شئون توحيد البرامج التعليمية » في الأطوار المتقدمة في كافة المؤسسات التعليمية مما أدى إلى إحداث برنامج جديد يدرس فى ، « القرويين » . لكن رابطة علماء المغرب جاهرت بمعارضتها لهذا البرنامج ووقف كافة ، علماء المغرب في طريق تنفيذه حرصا منهم على كيان القرويين وعلى برامج الدراسات الإسلامية والعربية بها .

يتبع

الهجرة الخبيثة:

هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

ما كاد الاتحاد السوفيتى يوافق على هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل حتى بدات جموعهم تتدفق عليها باعداد كبيرة ، فقد نشرت جريدة الأهرام المصرية فى ٢١/٤/١٩٩٠ فى الصفحة الرابعة خبراً لمراسلها فى مونتريال بكندا انه نقلاً عن صحيفة « ذى كنديان جويشن نيوز » الناطقة بلسان الجالية اليهودية فيها ، قد وصل ثمانية آلاف يهودى سوفيتى إلى إسرائيل خلال شهر مارس حتى الثامن من إبريل الماضى .

كما نشرت نفس الجريدة فى ٣٠/٤/١٩٩٠ أن الإحصائيات الإسرائيلية تتوقع أن يبلغ عدد اليهود السوفييت المهاجرين إلى إسرائيل بنهاية عام ١٩٩٠ مائة الف يهودى وأن عددهم سيصل إلى ١,١ مليون مهاجر عام ٢٠٠٠ مما يرفع عدد السكان اليهود فى فلسطين الذى يبلغ حالياً ٣,٩ مليون إلى حوالى ٥ ملايين يهودى ، وفى المقابل يبلغ عدد الفلسطينيين حوالى ٢,٣ مليون نسمة ، وسيرتفع هذا الرقم عام ٢٠٠٠ إلى ٣,٧ مليون نسمة وبالتالى سيكون الكم العربى أقل من عدد اليهود بحوالى ١,٥ مليون بنهاية هذا القرن ، وفى ٤/٥/١٩٩٠ نجد « الأهرام » تقدم لنا أرقاماً جديدة أعلنها واحد من أبرز هؤلاء المهاجرين ، كانت إسرائيل واجهزة الإعلام الغربية قد أقامت الدنيا من اجله حتى سمحت له موسكو بالهجرة إلى إسرائيل عام ١٩٨٦ وهو « أنا تولى شارانسكى » ، إذ قال فى حديث له مع وزير الاستيعاب والهجرة الإسرائيلى نقلته « شاشات » التليفزيون : إن إسرائيل ستستقبل هذا العام ٢٥٠ الف يهودى سوفيتى وفى العام القادم نصف مليون .

كما أعرب عن قلقه من الا تقوى إسرائيل على استيعاب الأعداد الهائلة منهم ، وحذر من كارثة عدم قدرتها على التعامل معهم إذ أن ذلك سوف يزيد من الضغوط الواقعة على الولايات المتحدة كى تفتح الابواب وترفع القيود التى فرضتها مؤخراً أمام هجرتهم إليها .

أما مصدر القلق فراجع إلى تعرض هؤلاء المهاجرين الجدد للعناد الشديد من قبل السلطات الإسرائيلية حيث أبقتهم فى مطار « بن جوريون » لمدة تزيد على ١٢ ساعة قبل أن تسمح لهم بدخول إسرائيل بعدها ينقلون إلى مدن لا تتوافر فيها أماكن إقامة لهم كما أن عليهم الانتظار طويلاً حتى يتم توفير فرص عمل تستوعبهم مما دفعهم إلى الخروج بالمئات فى مظاهرات تحمل لافتات كتب عليها « نريد خبزا ، نريد شققا ، ياوزير الاستيعاب والهجرة عد إلى بيتك » .

وفى محاولة لامتصاص ثورتهم وغضبهم أعلن الوزير أن الحكومة قد وضعت خططا لبناء ٣٠ ألف منزل جديد بدأ العمل فى ٦ آلاف منها إلا أنه لم يجد مفرا من الاعتراف بأن المشكلة ستكون عويصة لمدة أربعة شهور قادمة .

والذى يهمنا فى المقام الأول من الأخبار والإحصائيات والأحاديث الإسرائيلية المعلنة والتى ذكرناها أنها تعطى مؤشرات لما ستكون عليه سياسة إسرائيل فى العشر سنوات الباقية على نهاية هذا القرن والتى يمكن تلخيصها فى أنها سعى دائب لتغيير الطبيعة السكانية للأراضى الفلسطينية المحتلة بما يفرض أمراً واقعا لا يملك المجتمع الدولى إزاءه إلا التسليم به وإضفاء الشرعية عليه على النحو الذى اتبع من قبل ،

وأثناء فترة الانتداب البريطانى لفلسطين يفرض هذا الانتداب الذى عمل على تكثيف الوجود الإسرائيلى فيها ، فضلا عن أن المجتمع الدولى ليس له قيمة إلا لأصحاب النفوذ فيه ، وهؤلاء منحازون علنا لإسرائيل ، ويهددون ـ بين آن وآخر ـ بقطع ميزانية محفل دولى ما إذا قبل إسرائيل عضوا فيه ، كذلك لا ننسى أن الانتداب البريطانى هو الذى انتهى بتقسيم فلسطين وقيام الدولة الصهيونية بقرار مشئوم ، كمرحلة أولى من المخطط الصهيونى لاستيعاب فلسطين مؤيدا بكل قوى الاستعمار ؛ فلولاها ما أمكن لليهود أن يستولوا على شبر واحد من الأرض العربية ، وهذه الهجرات الحالية تستهدف تحقيق المرحلة النهائية للصهيونية بالاستيلاء على أرض فلسطين ، مكررة نفس الأسلوب زيادة عددية أكثر ، وشغل مساحة أكبر ، مما يترتب عليه أن يتحول أصحاب الأرض الفعليون إلى أقلية ليس لها من حقوق لدى الأغلبية إلا نوع من الإدارة الذاتية لشئونهم الداخلية ، ومن دلائل هذا الاتجاه .

ضمهم للقدس العربية واعتبارها عاصمة لدولتهم .

ورفض التحاور مع الفلسطينيين .

وعدم الاعتراف بحقهم فى تقرير مصيرهم وإقامة دولة لهم .

وجلب المهاجرين من كل بلد .

وتوسيع المستوطنات القائمة ، وإقامة مستوطنات جديدة بقطاعى غزة والضفة الغربية المحتلين .

وإذا كانت الإحصائيات قد أعطت لنا مؤشرات للمخطط الصهيونى فى العشر سنوات القادمة فإن حديث « شارانسكى » يفيد اعترافا ضمنيا بالدور المشبوه للولايات المتحدة فى هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل عندما أغلقت أبوابها فى وجوههم وفرضت القيود عليهم على خلاف المعتاد منها مع أمثالهم الذين يشكلون فيها أكبر جالية يهودية فى العالم ، ولم يكن ذلك

الهجرة الخبيثة

الموقف الغريب منها إلا لكى تحول اتجاههم إلى إسرائيل .

غير أنه إذا أردنا الحقيقة وجدنا الدور الأمريكى لتيسير تحقيق أهداف الدولة الصهيونية سابقا مرحلة هذه الهجرة فقد كان أحد أسبابها المباشرة أن امريكا جعلت السماح بها شرطا أساسيا قبل الدخول مع الاتحاد السوفيتي فى أى محادثات تتعلق بنزع السلاح أو إنهاء (الصراع الأيديولوجى) بينهما،متسترة بأنها من « حقوق الإنسان » وهو مبدأ لا تحيد عنه أمريكا ولاتتهاون فيه عند إنشاء علاقة لها بغيرها من الدول .

ونقول (متسترة) لأن امريكا لا تزال تقيم علاقاتها مع إسرائيل برغم انتهاكها لحقوق الإنسان العربى فى فلسطين ؛ بل وتمنع توقيع أى عقوبة عليها من المجتمع الدولى بسبب هذه الانتهاكات مستخدمة حق الاعتراض « الفيتو » اكثر من ذلك انها لا تمارس أي ضغط عليها يصدها عن غيها .

وإذا ما انتقلنا إلى الاتحاد السوفيتي الذى خرجت منه الهجرة ، فليس لنا أن نلتمس له شيئاً من العذر بسبب ما تعرض له من ضغوط إسرائيلية وغربية على نحو ما اتبع فى شأن « شارانسكي » عام ١٩٨٦ فإن كان ذلك لا ينفى عنه مسئولية المشاركة فيها بشكل ما لأنه يملك من الأسباب هذه المرة ما يكفي لإيقافها وذلك بحكم تاريخه المثبت فهو يعلم قبل غيره أن اليهود الروس ليسوا ممن لحقهم شتات بنى إسرائيل القديم والمعروف ، والأرض التى يقيمون عليها هي أرض آبائهم وأجدادهم الفعلية ، والهجرة منها ـ ولو إلى إسرائيل ـ هي الشتات الحقيقي بالنسبة إليهم . فهم من حيث الجنس غير ساميين أو عبرانيين بحال من الأحوال لانتمائهم إلى الجنس القوقازي الذى تنحدر أصوله من جبال الأورال ومن ناحية السلالة ينتمون إلى قبيلة تركية كانت تعرف باسم « الخزر » استطاعت فى القرن السابع الميلادي أن تقيم مملكة لها فى المنطقة الواقعة مابين بحر قزوين والبحر الأسود وكانت عاصمتها « إتِل » ـ عند مصب نهر الفولجا ـ مركزا تجارياً كبيراً يبيعون فيه أولادهم لذوى اليسر أما ديانتهم فتنحصر فى عبادة عضو الذكورة « فالوس » رمز إله الخصب عندهم ـ والعياذ بالله .

وعلى أيدي الذين كانوا يفدون إليها من قبل الدولتين : العباسية والبيزنطية ، أعتنق كثير من الخزر الإسلام والمسيحية فخشى أحد ملوكهم واسمه « بولان » أن يضيع ملكه بسبب هذا الوضع فاعتنق الديانة اليهودية باعتبارها ديناً سماوياً من جهة ويبقى فى ذات الوقت متميزاً عن دولة العباسيين والبيزنطيين من جهة أخرى وكان ذلك فى أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن على اكثر تقدير .

ثم خلفه ملك آخر اتخذ لنفسه اسماً عبرانياً هو « عبوديا » كان أول من تسمى به ، ويبدو انه كان يستهدف التهديد الشامل للدولة فأصدر قراراً بألا يتولى من بعده ملك الخزر إلا من يعتنق اليهودية وكان ذلك سبباً فى اعتناق كل أفراد الأسرة الحاكمة لها ثم تبعهم أفراد البلاط ومعظم الشعب فيما بعد ، وحدث أن ظهرت فى « كييف » المدينة الخزرية قبيلة « الرس » التى اعتنقت المسيحية وفرضت سيطرتها على المدينة بالكامل وتحالفت مع بيزنطة لانتزاع « ملك الخزر » إلا

أن الغزو التتري لم يمكنها من ذلك فخضع كلاهما لسيطرته زمناً إلى أن تمكن أمير موسكو من التغلب على التتار وانتزاع « القرم » آخر معاقل « الخزر » واقام دولة روسيا الكبرى ونصب نفسه قيصراً عليها واعتبرها وريثة بيزنطة التى سقطت فى أيدي العباسيين وغاصت مملكة « خزريا » فى بطون التاريخ بعد أن دامت قرنين من الزمان وبظهور القوميات فى القرن التاسع عشر اتجه القياصرة إلى (ترويس)[1] الأجناس غير الروسية بالقوة عن طريق إجبارها على اعتناق الديانة المسيحية وتعلم اللغة الروسية والالتزام بالعادات وبالزي الروسيين وقد أصابت تلك السياسة الخزر اليهود والتتر المسلمين على السواء وحدثت بسببها اضطهادات ومذابح كثيرة أدت إلى ظهور الحركة الصهيونية متمثلة في جمعيات « أحباء صهيون » التى أخذت فى الانتشار بين اليهود الروس وكان من نتيجتها تشجيع الهجرة من الاتحاد السوفيتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الشرقية حيث تركزت فيهما الغالبية العظمى من يهود الخزر وكونوا فيهما جاليات صارت تشكل مايقرب من ٩٠٪ من يهود العالم وتسمى كتبهم هذه الهجرة « بالخروج » على غرار خروج بنى إسرائيل من مصر ثم قامت الثورة البلشفية « ١٩١٧ » التى قضت على حكم القياصرة النصارى ، فتغيرت النظرة إلى اليهود الروس إذ اعتبرهم قادتها جزءا من الشعب غير منفصل عنه وعملوا على إدماجهم فيه ، وبناء على ذلك رفض « لينين » طلب جماعة الاشتراكيين اليهود الاحتفاظ بمنظمة مستقلة داخل الحزب الشيوعى كما امتنع لنفس السبب عن إعطاء الخزر اليهود جمهورية مستقلة مثل غيرهم من القوميات غير أن هذا الوضع لم يستمر طويلا فبعد عشر سنوات من قيام الثورة وقبل إنشاء دولة إسرائيل بعشرين عاما صدر مرسوم عن مجلس الرئاسة فى ١٩٢٨/٣/٢٨ بإعطاء اليهود كل أراضى منطقة « بيروبدجان » بهدف تحويلها إلى جمهورية يهودية سوفيتية إذا ما استمرت عملية تعمير المنطقة وتوافر العدد الكافى من السكان بها إلا أنه على الرغم من الأفق الواسع من التطور الزراعى والصناعى الذى كان ينتظر المنطقة لصلاحيتها للزراعة وتوافر المياه فيها بالإضافة إلى وجود المناجم الغنية بالفحم والمنجنيز والجرانيت بها إلى جانب أن مساحتها تزيد قليلا على نصف مساحة انجلترا مما يسمح بالاستيطان الواسع فيها أعرض اليهود عنها وطالبوا بأن تكون جمهوريتهم فى « أوكرانيا » أو إحدى جمهوريات آسيا الوسطى ، ولما كان من المستحيل بطبيعة الحال أن تفرغ السلطات السوفيتية « أوكرانيا » من سكانها النصارى أو « القرم » أو « أذربيجان » من السكان المسلمين من أجل الجمهورية اليهودية تغاضت بدورها عن المشروع .

ومن هذا العرض الموجز لتاريخ اليهود الروس يتبين أن الاتحاد السوفيتى كان يكفيه أن يعلن تاريخه ويشهره على الملأ فتخرس أبواق الدعاية الصهيونية ويتوارى خجلا كل من يساندها .

ولذلك كنا ننتظر منه أن يقول لهم ماقاله الكاتب اليهودى الخزرى والمجرى الأصل البريطانى الجنسية « أرثر كوستيلر » صاحب كتاب « امبراطورية الخزر أو القبيلة الثالثة عشرة » .

(١) يقصد جعلها روسية .

الهجرة الخبيثة

قد تكونوا بالفعل أمة واحدة ولكنكم لستم من بنى إسرائيل ولا أرض إسرائيل أرضكم ، إنما انتم أمة أخرى نسبكم غير ما تنتسبون إليه وارضكم غير أرضها .. انتم أمة الخزر التى غبرت فى التاريخ وها هو تاريخها مبسوط امامكم(٢) .

كنا نتوقع منه أن يقول لهم : إن الحق الطبيعى لكم بحكم تهودكم [لايهوديتكم] لايتجاوز ولا ينبغى له أن يتجاوز « الحج » إلى المزارات الدينية فى الأرض المقدسة ـ فلسطين ـ أسوة بأبناء عمومتكم « الآريين » الذين اعتنقوا النصرانية وابناء عمومتكم « الترك » الذين اعتنقوا الإسلام باعتباركم ـ وفقا لسلسلة نسبكم فى العهد القديم « أبناء اشكناز بن جوهر بن يافث بن نوح » الوارد ذكره فى أول الإصحاح العاشر من سفر التكوين ـ وعليه ؛ فإن أى خروج على هذا الحق أو تجاوز له سيلحق الضرر بعرب فلسطين .

وإدراك هذه الحقيقة لم يكن غائباً عن بعض هؤلاء اليهود الاشكناز إذ تجد جماعة منهم تعدادها حوالى أربعين الف يهودى تعيش فى القدس العتيقة من قديم ، وتطلق على نفسها اسم « نيو تورى كارتا » لاتزال حتى الآن ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل ، بل ترى فى الصورة التى قامت بها وبالأساليب التى تتبعها أنها كفر وإساءة فى حق الرب(٣) .

لكل ذلك كنا نتوقع ولتلك الأسباب يوقف الاتحاد السوفيتى استمرار هذه الهجرة التى يعلم أنها عداء سافر لعرب فلسطين فهل يستجيب ؟!

وإذا كان لنا أن نضيف شيئاً فهو تحذير العرب المسلمين من خطر استيطان خزرى يستهدف إعادة تمثيل دور أسلافهم من المماليك فى السيطرة على المنطقة من خلال دولة يهودية يكونون هم الجنس الغالب عليها ويمسكون بمقاليد الحكم والإدارة والتجارة والجيش فيها باعتبارهم الصفوة أو الشعب المختار ـ ويساندهم أقرباؤهم من الخزر الأمريكيين والأوروبيين ماديا وسياسيا وعسكريا ونظريا وأيدلوجيا لتحقيق هذا الهدف ولم تكن أرض الميعاد التى تجمع اليهود من شتاتهم ومحاولة إحياء ملك إسرائيل إلا خدعة وستارا لإخفاء هذا الغرض بدليل رفضهم إحياء مملكتهم فى روسيا التى دامت مدة أطول من تلك التى أقيمت فى فلسطين وكانت الأرض التى منحوها أكبر وأقدر على استيعابهم وباعتبار روسيا الموطن الحقيقى لهم كذلك رفضهم هجرة اليهود الزنوج الأمريكيين إلى إسرائيل وإعادتهم إلى حيث أتوا من المطار مما يفضح عنصريتهم ويكشف عن استعلائهم ويضاف إلى ما سبق وجود أكثريتهم خارج إسرائيل منذ قيام الدولة حتى الآن .

---

(٢) المماليك الصهاينة ص ٧٥ ـ عبد الرحمن شاكر .
(٣) المماليك الصهاينة (بتصرف) عبد الرحمن شاكر .

المستشرقون والموضوعية

٣

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الحميد غراب

كان لابد ان تمر عدة عقود من الزمن بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنجد علماء المسلمين يعبرون عن العناصر الجوهرية في الإسلام ، ويوضحون العقيدة الإسلامية ، ويصوغون كلمة الشهادة ، ويعددون الأركان الخمسة للإسلام ، ويضعون ذلك كله في احاديث ينسبونها [كذباً] إلى الرسول[١٧] ـ صلى الله عليه وسلم .

ويصرح المستشرق بهدفه الحقيقى من « دراسة » الحديث فيقول :

« إن كتب الحديث ـ وهى مصدرنا الرئيسى (لجمع) المعلومات عن التطور المبكر لعلم العقيدة الإسلامية ـ قد حفظت (لنا) سلسلة من أقوال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى يجب ان تُعْتَبَر حصيلة لجهد (علمى) في العقيدة قام به جيل الصحابة »[١٨] .

اى أنَّ هذه « الأقوال » (الأحاديث النبوية) ليست من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل من وضع الصحابة ، وهذه الأحاديث الموضوعة هى التى وضحت العقيدة الإسلامية ، ومهدت لصياغة كلمة الشهادة ، وتحديد اركان الإسلام !

وإذن فلاجل ان نفهم « التطور » الذى حدث في العقيدة الإسلامية ينبغى أن نركز على « دراسة » الحديث النبوى !

ولتسهيل هذه « الدراسة » كان لابد من وضع المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى للوصول بسهولة إلى هذه الأحاديث ، واستخدامها في هدم الإسلام من قواعده !

وهكذا يتضح لنا « منهج » المستشرق : إنه الطعن في العقيدة عن طريق الحديث . والنتيجة الحتمية هى الطعن في كليهما !

ولبيان هذا « المنهج » ـ بصورة أدق ـ نورد الأمثلة التالية :

←

(١٧) السابق ص ١٩ .
(١٨) السابق ص ١٩ .

حديث الإسلام والإيمان والإحسان :

وهو الحديث الذى رواه مسلم عن عمر - رضى الله عنه - وفيه يسأل جبريل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام والإيمان والإحسان ؛ فيجيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنَّ : الإسلام هو : « أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

والإيمان هو : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

والإحسان هو : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

للمستشرق على هذا الحديث عدة « ملاحظات » أهمها(١٩) :

١ - أن التفرقة بين الإسلام والإيمان تذكر في الحديث لأول مرة في تاريخ العقيدة الإسلامية ؛ لأن القرآن - في زعمه - لا يفرق بين الإسلام والإيمان ، ومن ثم فالحديث لابد أن يكون موضوعاً لتكملة هذا النقص المزعوم في القرآن !

هل يصدر هذا الكلام من رجل يدعى البحث عن الحقيقة ؟

فالحقيقة هى أن في سورة الحجرات (وهى مدنية) آيات تدل دلالة واضحة على أن هناك فرقا بين الإسلام والإيمان ؛ وذلك في قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات ٤٩ : ١٤ - ١٥) .

يقول ابن كثير : « وقد استفيد (من الآيات) أن الإيمان أخص من الإسلام ، ويدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ؛ فترقى من الأعم إلى الأخص »(١١٩) .

فالإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة ، والإيمان تصديق القلب بالله ورسوله بلا شك ولا ارتياب ، وهو التصديق الذى تنبثق منه الأعمال الصالحة كالإنفاق والجهاد في سبيل الله ، وقد ورد وصف المؤمنين في القرآن بصفات كثيرة هى في الحقيقة خصائص الإيمان .

٢ - أما الإحسان فيزعم المستشرق أنه عنصر جديد تماماً على الإسلام ! وأن مفهوم الإحسان مأخوذ من مصدر مسيحى ؛ لأنه يذكره بنص في العهد الجديد يصف موسى عليه السلام بأنه « بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك ؛ لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى » (رسالة إلى العبرانيين ١١ : ٢٧) .

(١٩) السابق ص ٢٣ - ٢٥ .
(١١٩) ابن كثير : مختصر
تحقيق محمد على الصابونى ، دار القرآن ط ثامنة - بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ ٣/ ٣٦٨ .

ومن الواضح أن المشابهة بين النصين بعيدة ومفتعلة .

وليس صحيحاً أن الإحسان مفهوم جديد على الإسلام ؛ فقد ورد (مع مشتقاته) في آيات عديدة في القرآن الكريم ، ومنها على سبيل المثال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل ١٦ : ٩٠) .

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٢ : ١١٢) .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (النساء ٤ : ١٢٥) .

هذا إلى وصف المحسنين في القرآن بصفات كثيرة تدل على أن الإحسان في الإسلام ذو مدلول واسع ، يشمل كل عمل طيب على درجة عالية من الكمال خالص لوجه الله .

حديث الأعرابى :

يذكر المستشرق حديث الأعرابى الذى قال للرسول صلى الله عليه وسلم : « دلنى على عمل يدخلنى الجنة ويبعدنى من النار » فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة وتصل الرحم » (رواه مسلم في باب الإيمان) .

ثم يذكر المستشرق قصة في العهد الجديد ورد فيها أن حارس السجن سأل القديس بولس وصاحبه سيلا قائلاً : « يا سيدى ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ » فقالا : « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » (أعمال الرسل ١٦ : ٣٠ ـ ٣٢) .

ويزعم المستشرق أن بين الحديث الشريف وهذه القصة تشابها واضحاً[٢٠] .

واضحاً لمن ؟ .

للمستشرق طبعاً ؛ لأنه يريد ـ بأى ثمن ـ أن يرد حديثا نبوياً في العقيدة الإسلامية إلى أصول نصرانية .

وإلا فأين التشابه بين من يقول إن النجاة هى فى الإيمان ببشر يدعونه ربا وهو المسيح عيسى بن مريم البرىء من ذلك ؛ أى أن النجاة تكون في الشرك بالله تعالى ، وبين من يقول إن النجاة تتحقق بالإيمان بالله وحده ، وعبادته وحده ، وألا يشرك الإنسان بالله شيئا ؟!

وكيف يعقل أن مؤمنا موحداً يمكن أن يفكر في أن يضع حديثاً في التوحيد يستمده من نص يدعو إلى الشرك ؟!

حديث بنى الإسلام على خمس :

« شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » (متفق عليه) .

يلاحظ المستشرق على الحديث عدة ملاحظات تدور كلها حول محاولة تبرير زعمه بأن الحديث موضوع في فترة متأخرة بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومن هذه الملاحظات[٢١] :

←

(٢٠) السابق ص ٢٠ .
(٢١) السابق ص ٢٦ ـ ٣٠ .

← المستشرقون والموضوعية

١ - أن الحديث يذكر أركان الإسلام بصورة رائعة (أى دقيقة ومركزة وواضحة) .

وهل هذا غريب على من أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم ؟!!

٢ - أن الحديث يجمع بين الإيمان والعمل .

وهل هذا غريب على الإسلام ؟ أو على القرآن والسنة ؟

٣ - أن الحديث لا يذكر الجهاد . ويستنتج المستشرق من ذلك أن الحديث وضع بعد مرحلة الفتوحات الإسلامية ؛ حين فقد الجهاد أهميته !!

هل معنى هذا أن الحديث وضع بعد فترة طويلة من فتح القسطنطينية (أي بعد القرن التاسع الهجرى مثلا ؟!) الا يعلم المستشرق أن الجهاد قد ذكر في عشرات الآيات والأحاديث ، وأنه فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة ؟

إنكار الحقائق الواضحة :

لهذا المستشرق ولغيره من المستشرقين - بعد أن يدرسوا الإسلام - أن يؤمنوا او يكفروا به وقد قال الله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٥٦) . وقد اختاروا - بعد العلم - الكفر على الإيمان ، واستحبوا العمى على الهدى :

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل ٢٧ : ١٤) .

ولكن ليس لهذا المستشرق ولا لغيره أن ينكروا حقائق واضحة كالشمس لا ينكرها إلا مكابر .

ومن هذه الحقائق :

ان العقيدة الإسلامية بكل جوانبها واركانها وادلتها قد تكرر ذكرها في القرآن الكريم بصورة لا مثيل لها في الوضوح والبيان .

وقد تكرر بوجه خاص ذكر التوحيد ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما يترتب على هذا الإيمان من سلوك واعمال صالحة واخلاق وعبادات في آيات لا تكاد تحصى ، ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم : في السور المكية والمدنية على السواء .

ويكفى أن نشير إلى بعض آيات من السور المدنية ؛ لأن الفترة المدنية - كما سبق - هى التى حظيت بأكبر نصيب من هجوم المستشرق (الذكى) ! . يقول الله تعالى :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ٢ : ١٦٣) .

﴿ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾ (البقرة ٢٥٥ وآل عمران ٣ : ٢) .

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ (النساء ٤ : ١٧١) .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (الحشر ٥٩ - ٢٢) .

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

وقد اشتملت الآية الأخيرة على كل أركان العقيدة الإسلامية .

وقد تكرر ذكر هذه الأركان بكل وضوح في قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ ﴿ النساء : ١٣٦) .

وعرضت العقيدة الإسلامية بكل أركانها وما يترتب عليها من أعمال وعبادات وأخلاق ؛ في أروع وأنبل صورة من البيان المعجز في قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

تلك هي العقيدة الإسلامية وأركانها وآثارها في آية واحدة من آيات عديدة .

وتلك هي العقيدة الإسلامية التي يزعم المستشرق أن القرآن قد خلا من ذكرها بوضوح !

أما كلمتا الشهادة أفلا يعلم المستشرق :

أنهما تذكران في التشهد في كل صلاة ؟ وأن المسلمين كانوا يصلون قبل الهجرة وبعدها ؟

وأنهما تذكران في الأذان الذي شرع منذ السنة الأولى للهجرة ؟

وأنهما ينطق بهما كل من دخل في دين الله منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنوياً

١ - جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) أربعة جنيهات وثمانون قرشاً .

٢ - اتحاد البريد العربي الأفريقي [بالبريد الجوي] (٣٥) خمسة وثلاثون دولار أو ما يعادلها .

٣ - باقي دول العالم (٧٠) سبعون دولاراً وما يعادلها .

وتطلب رأساً من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر .

ليبريا والإسلام

٢

للأستاذ / محمد المتناوى

الثروة الزراعية :

وهب الله هذه البلاد ، أرضا زراعية خصبة قوية ؛ كما انعم عليها بمياه غزيرة . ففيها الأنهار ، والبحيرات العذبة وموسم الأمطار فيها طويل شديد يبدأ من شهر يونية ثم يصل إلى أوج أشده حتى نهاية سبتمبر .

ثم يقل تدريجيا . فجميع شهور السنة لا تحرم من الأمطار فى أيام غير تلك التى تنالها فى الموسم المطير .

وأما المياه الجوفية فهى قريبة جداً من سطح الأرض ، ومما يؤسف له ـ عن أسى صادق ـ أن هذه النعمة الثرة غير مستغلة ، فكمية الزراعة تكاد لا تذكر ، سوى بعض شىء منها تملك أرضه اليد الأجنبية .

ومحصولات البلاد الهامة هى :

المطاط :

وهو من المحاصيل الهامة فى البلاد ، حيث تجود زراعته فيها .

وتكثر زراعة المطاط ، فى طول البلاد وعرضها ، وينتج منه كميات كبيرة ، ومزارعه كغيرها مملوكة لأيد أجنبية . وأهل البلاد أجراء لديهم ، وطبيعى ان تملك هذه الأيدى المصانع التى تعد الخام وتجعله جاهزاً للتصدير خامة جاهزة للتشكيل فى مصانع الغرب .

وقد سنحت لى الظروف لزيارة إحدى هذه المزارع وتسمى (كولوبا) وإليك وصفا موجزاً لهذه المزرعة وما يجرى فيها :

اقيمت هذه المزرعة على مساحة شاسعة من الأرض ، ولكى تتصور كبر هذه المساحة ، يجب أن تعرف أن هذه المزرعة ، مقام فيها ، أربع مستعمرات (قرى) وكل قرية فيها ، مدرسة ومستشفى ، وسكان القرى الأربع هم عمال المزرعة ، العاملون فيها ، يقومون بتنظيف وقطع الحشائش النابتة بين الأشجار وقطع الأشجار النابتة من تساقط بذور أشجار المطاط ، حيث إن الأشجار المنتجة اقتصاديا لها (شتلات) خاصة كما أن الشجرة الواحدة مكونة من شتلتين ، يؤخذ من احداها الساق ومن الثانية الجذر ، ثم

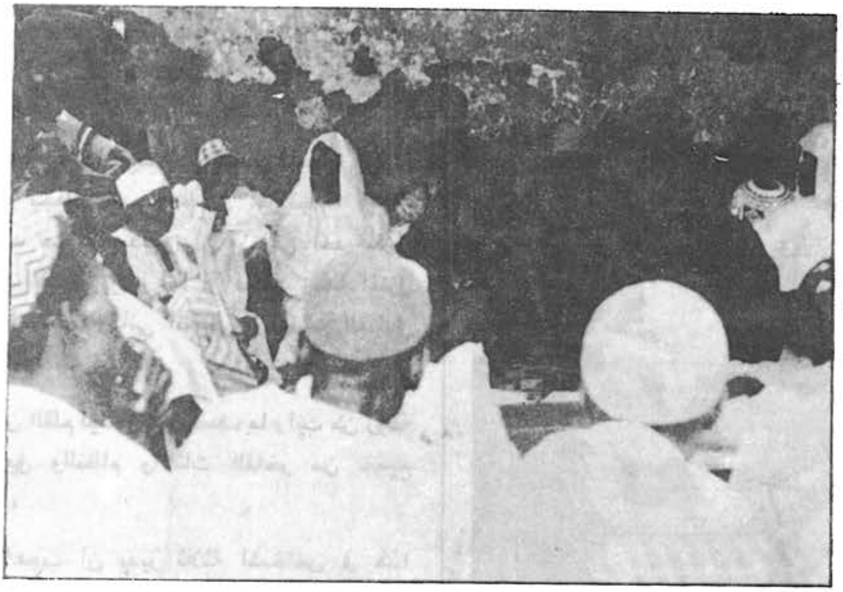

تؤبر الأولى بالثانية وتغرس ، وذلك كله بطريقة علمية مدروسة محسوبة .

وتبدأ الشجرة فى الإنتاج بعد خمس سنوات من غرسها تقريباً وتستمر فى الإنتاج لمدة تصل إلى ثلاث وعشرين سنة فى الغالب ثم تقطع وتستعمل أخشابا .

وكيفية الإنتاج تكون :

بجرح الشجرة جرحا حلزونيا من أعلى إلى أسفل بسكين خاص فيكون هذا الجرح مجرى لما تفرزه الشجرة من مادة لزجة بيضاء ، مثل اللبن ، فتسير فى هذا الجرح لتصب فى إناء صغير مثبت أسفل الجرح من الشجرة ، ثم يقوم العمال بجمع هذا المستحلب من الآنية فى (دلاء) ثم يصبونها فى خزانات ضخمة موزعة فى جميع أنحاء المزرعة . ثم يحمل هذا السائل على عربات نقل ضُخمة إلى المصنع المقام بوسط المزرعة، بين الأربع قرى .

وهناك يقوم المصنع بمعالجة هذا السائل بغسله بالماء ثم بالمواد الحمضية ، ليتماسك ويعد على شكل مستطيلات كبيرة ثم يعبأ على شكل مربعات ضخمة جاهزة للتشكيل والاستعمالات الأخرى .

ملاحظـــة :

هذه المزرعة ـ التى قدمت وصفها ـ بحجمها الضخم يديرها ثلاثة فقط (انجليزيان وهندى مسلم ، وهو الذى كنت فى ضيافته أثناء الزيارة) .

أما ملكية هذه المزرعة فهى تخص رجلاً واحداً يهوديا أمريكيا كما علمت من أخى الصديق الهندى .

ومنزل هذا الصديق ـ حفظه الله تعالى عليه ـ ذو نظام بديع ، وتجهيزات حضارية ممتازة

←

ليبريا والاسلام

كهربائية وغيرها اقيمت على أحدث تصميم فى هذا العصر يجعلك تنسى أنك فى أفريقيا .

ولقد صمم صديقى أن يزيرنى أحد منزلى زميليه الانجليزيين ، فما أن دخلت ردهة المنزل حتى وجدتنى وكأنى انتقلت إلى أفخم الفنادق العالمية الممتازة .

وإن القلم ليعجز عن وصف ما رأيت من روعة التنسيق والنظام والأثاث الفاخر من جميع الوجوه .

فلاعجب أن يدير ثلاثة أشخاص فى هذا المستوى الفريد للظروف المعيشية .

كذلك يوجد نادٍ رياضى بالمزرعة ، ملعب تنس ، وحمام سباحة لأعضاء تلك الأسر الثلاث .

البـــن

مناخ البلاد وتربة أرضها ، يصلحان لإنتاج أحسن أنواع البن وهذا المحصول يجمع بكميات صغيرة لعدم الاهتمام بزراعته ويصب هذا المحصول فى العاصمة حيث تجار الجملة فيصدر إلى البرازيل وغيرها من دول العالم المتحضر ، 'يعود إلى سكان البلاد فى صور علب (نسكافيه) للاستعمال ، وناهيك بالفرق بين السعرين .

الكاكـاو :

الكاكاو مما تجود زراعته أيضاً فى هذه البلاد ، لكن غالبية أشجاره تنبت طبيعية ربانية فيجمع الكاكاو ويصدر ثم يعود مرة ثانية معلبا للاستعمال بأثمان لا تتناسب مع الثمن الذى صدرت به .

الكــولا :

الكولا نبات مر المذاق فى حجم حبة المشمش دون القشرة الخارجية وإذا عرض للهواء مدة من الزمن يجف ويصير صلبا ، ويستعمله الأهالى كنوع من (المكيفات) .

وللكولا عند المواطنين منـزلة خـاصة ، والمسلمون يتخذونها رمزاً من رموز مراسم الزواج . حيث يقدم العريس لوالد العروس كمية من الكولا ، أمام الناس ، فإذا قبلها كان هذا دليلاً على قبول طلبه ، بعكس ما إذا رفضها فلا تتم مراسم الزواج .

أما الهدف الاقتصادى لهذا النبات ، فيأتى فى التصدير ، حيث يصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ليستخرج منها مادة صبغة الكولا ، المستعملة فى المياه الغازية ، مثل (الكوكاكولا) والبيبسى كولا وغيرها .

أسرة يهودية - واحدة - بالولايات المتحدة الأمريكية تحتفظ لنفسها بسر استخراج هذه المادة وهى المصدرة لها فى العالم .

الأخشـــاب :

تمتلىء ليبيريا بالغابات ، بل يمكن القول بأنها غابة كبيرة متشابكة ، فهى ممتلئة بجميع أنواع الأشجار الخشبية الضخمة الممتازة .

وتقوم شركات أجنبية إيطالية وغيرها بالإضافة إلى بعض أعضاء الجاليات الأجنبية ، بقطع هذه الأشجار ، وتجهيزها للصناعات الخشبية المتعددة ، بعد معالجتها بالمواد الكيماوية ، عن طريق التبخير ، لحفظها من أمراض الأخشاب ويحتفظ بجزء يسير من هذه الأخشاب للحاجة .

المــــزارع :

يوجد على الطريق الرئيسى الذى يشق البلاد من العاصمة إلى الحدود الغينية ماراً بمحافظة (نمبا) وبالتحديد بين العاصمة ومدينة (ككتا) مزرعتان إحداهما صينية ، والأخرى فلبينية .

وتنتج هاتان المزرعتان ، الدجاج الأبيض ، والبيض وبعض الخضروات ، ويباع هذا الإنتاج فى الغالب إلى الجاليات الأجنبية .

أما الأهالى فيزرعون بعض المناطق الصغيرة على مياه الأمطار مثل الأرز و(الكسافا) وغيرهما ، ولعدم العناية ولعدم الخبرة فالإنتاج لا يساوى مجهود الحصاد .

والأهالى يعتمدون على الأرز المستورد فى الغذاء ، ويقومون بزراعة نبات الكولا . ومعظم الأشجار تنبت ربانيا دون سابق غرس من الأهالى ، وكذلك أشجار البن والموز والبرتقال والمانجو والبوبو - وهو نبات محبوب لديهم ثمرته أشبه بحبة الكمثرى لكنها ضخمة عنها ، وشجره مرتفع نسبيا ، وأوراقه مثل أوراق الخروع .

أما الخضروات التى يعدونها طبخا فهى أوراق (البطاطا) التى تنبت ربانيا مع مياه المطر ، وورق شجر (الكسافا) ، وهى أشجار عشبية طويلة نسبيا لها جذور درنية طويلة ، وإلى جانب طبخها ، يعدونها كنوع من الدقيق .

وقد أمكن - كتجربة شخصية لمصرى - أن أقوم بزراعة معظم نبات البقول مثل الفاصوليا ، واللوبيا ، والفول ، وقد أتت بمحصول وفير فى وقت وجيز . كما زرعت من الخضروات ، الخيار ، والقثاء والجرجير والفجل ، والكسبرة ، والنعناع ، والبقدونس ، واليقطين والحلبة .

وقد أتت بمحصولها على الوجه الأكمل وكانت التجربة هذه فى المساحة الموجودة حول المنزل الذى أقطنه .

الزيـــوت :

يعتمد الأهالى - فى الغالب - على زيت النخيل الأحمر ، وهذا النخيل يشبه نخيل الزينة الموجود بالحدائق العامة فى مصر ، وله ثمرة جافة تشبه نبات (جوز الهند) لكن فى حجم حبة الزيتون تقريباً .

ويكفيك دليلاً على قوة الخصوبة فى هذه الأرض مع عدم احتياجها للماء أن الحكومة تلزم المواطنين بقطع الحشائش التى تنبت بوفرة وقوة

فى الطرقات أمام منازلهم ، وإلا سدت الطرق وغطت المنازل .

الثروة الحيوانية : الماشية :

مع وجود هذه المراعى الطبيعية الشاسعة ، والتى لا تكلف مالا ولا جهدا لا نجد تخطيطا يعنى بتربية المواشى ، أو اهتماما مناسبا بها ، اللهم إلا ما نجده من بعض الماعز تراها هنا وهناك ، والأكثرية الساحقة من أهل البلاد ولا أقول جميعهم احتياطا لكلمة العلم - لا تعرف اللبن الطبيعى ، وعلى مدى سنوات أربع - عشتها بهذه البلاد - لم أحظ بكوب لبن واحد .

وكنا نعتمد - فى وجبة اللحوم - على البقر العجوز المجلوب من (مالى) فنادراً ما يذبح الأهالى الماعز .

ويأكل غير المسلمين - من أهل البلاد - بالإضافة إلى ما سبق - كل حيوانات الغابة بلا استثناء .

الدواجـــن :

بالإضافة إلى المزرعتين سالفتى الذكر ، تقوم بعض النسوة بتربية شىء من الدجاج والبط ، ولما كانت الدواجن - فى هذه البلاد - تبيض ، وترقد - تلقائيا - على بيضها ، خلا السوق إلا من بيض المزرعتين : الصينية والفلبينية .

التجـــارة :

تتركز التجارة الهامة - بالبلاد - بأيدى الجاليات الأجنبية داخل الدولة وخارجها فالتصدير ، والاستيراد ، والمحال التجارية المنتشرة بها .. كل ذلك بأيدى هذه الجاليات ، وأهمها : الجالية الصينية ، والهندية ، والفلبينية وتعتبر الجالية اللبنانية فى مقدمة الجاليات التى تزاول التجارة بشتى شرايين هذه البلاد .

ولهذه الجالية نشاط فعال فى الصناعات المحلية كالصابون والمشروبات الغازية وغيرها ، والإسفنج الصناعى ..

يتبع

سيد سليمان الندوى

من أعلام الفكر الإسلامى في شبه القارة

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت عبد الجليل

العلامة المرحوم سيد سليمان الندوى الذى نتحدث عنه اليوم ونؤرخ لحياته أمام القارىء المسلم هو علم من أعلام الفكر الإسلامى الحديث فى شبه القارة الهندية الباكستانية ، الذين حاولوا إبراز مفاخر الإسلام ومآثره ، وذادوا عن حياضه وسط خضم من التيارات الفكرية المتلاحقة فى عصره ، والتى كانت تستهدف النيل من الإسلام كدين سماوى ، ختمت به الأديان ، وشريعة إلهية صالحة لكل زمان ومكان ، متممة لجميع ما سبقها من شرائع ، فلقد أدرك العلامة الندوى أن السهام المسمومة المصوبة إلى العرب ، ليس المقصود بها غير طعن الإسلام عن طريق آخر ، فقام يرد على الحاقدين مزاعمهم ، ويوضح بالحجة والبرهان فضل العرب على التمدن الإنسانى وعلى الحضارة البشرية .

● نشأ العلامة الندوى فى أسرة عريقة مشهورة من أسر السادات ، فيتصل نسبه من جهة أبيه إلى « الإمام موسى الرضا » ، ومن جهة أمه إلى « الإمام زيد » وفى كتاب - تذكرة سليمان - باللغة الأردية لمؤلفه غلام محمد أنه سمع من العلامة الندوى نفسه ، أن أجداده كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية قبل مائتى عام من ولادته حتى وصلوا إلى سواحل السند ، وأخيرا استقر بهم المقام فى ولاية بيهار ، وتذكر بعض الكتب روايات أخرى لا نرى داعيا لذكرها .

● وقد ولد المرحوم سيد سليمان الندوى فى قرية تدعى - دسنة - من أعمال محافظة - بتنة - التى اشتهرت بإنجاب كثير من العلماء والأطباء والمفكرين وكانت ولادته يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٠٢ هـ الموافق

←

● الكاتب عضو الشئون الفنية بمكتب الإمام الأكبر .

سيد سليمان الندوى

الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٨٨٤ م فسماه جده - أنيس الحسن - وكانت الكنية شائعة بين افراد أسرته ، فأخوه « ابو حبيب » وأحد أعمامه - « ابو تراب وآخر « ابو يوسف » فكنى هو - « أبو نجيب » - فمن أين جاءت التسمية بسليمان حتى غلبت ، واشتهرت ، وطغت على الاسم الحقيقى والكنية ؟

هناك رأيان حول ذلك :

احدهما أن عمه أبا تراب كان قد سافر إلى دلهى وتأثر بحركة السيد أحمد خان ، فأطلق على ابن أخيه اسم سليمان لكى يدعوه الناس بعد عودته من أوروبا إذا شاء الله له أن يسافر إليها أيام الاحتلال الانجليزى للهند كعادة ابنائها فى تلك الفترة بمستر سلومن .

أما الرأى الآخر فإن هذه التسمية اطلقت عليه تيمنا باسم الملاح العربى الشهير سليمان التاجر ، الذى كان قد وصل إلى البنغال ، وانتشر اسمه على كل لسان ولاشك أن هذا الرأى هو أولى بالقبول ، لأن أسرة العلامة الندوى كانت معروفة بالتقوى ، مشهورة بالعلم والحكمة ، فوالده من كبار الأطباء الحاذقين وجده « مولوى محمد بشير » من الصوفيين وله مؤلف فى الطريقة السهروردية ومثل هذه الأسر لا يمكن أن تفكر فى إطلاق اسم « مستر سلومن » على أحد ابنائها .

● وكان قد ولد خمسة من الأعلام فى الفترة من سنة ١٨٥٧ إلى ١٨٨٩ يحملون اسم سليمان ، بعضهم لمع نجمه صغيرا ، وبعضهم اشتهر كبيرا ، وكان أكبرهم سنا العالم الواعظ الصوفى - « شاه سليمان بهلوا وردى » - وأصغرهم سنا « سيد سليمان الندوى » وبين هذا وذاك القاضى « سليمان منصور بورى » مصنف كتاب « رحمة للعالمين » الذى يقع فى ثلاثة مجلدات كبيرة ، وهو أحد الكتب البارزة فى اللغة الأردية التى خدمت السيرة النبوية الشريفة بين مسلمى شبه القارة وخارجها ، والرابع « مولوى سليمان أشرف بيهارى » الذى شغل منصب رئيس قسم المعارف الإسلامية بجامعة عليكرة الإسلامية والخامس هو « سرشاه سليمان » الذى صار مديرا لهذه الجامعة .

● وكان إذا ذكر اسم سليمان ربما تطرق إلى ذهن السامع أى واحد من هؤلاء ولذلك أضاف إلى اسمه عند التوقيع على مقالاته التى كانت تنشرها مجلة معارف الديسنوى - نسبة إلى قريته ، وشاء الله الا يكتب لذلك الذيوع والانتشار ومن ثم بدأ يوقع سليمان الندوى انتسابا إلى مدرسة ندوة العلماء فى « لكناو » اسم المعهد الذى تخرج فيه ، وشاءت إرادة الحكيم العلم ، أن يتلقى الناس ذلك بالقبول ، فشاع ، وذاع ، وملأ الأسماع والبقاع ، وصار اسم سيد سليمان الندوى ، إذا ذكر ، أو قيل ، العلامة الندوى ، أو مولانا الندوى انصرف الذهن حالا إليه على نحو « الغزالى » ، و« مولانا روم » . إذ يتجه النظر فى الأول إلى « الإمام أبى حامد الغزالى » وفى الثانى إلى « جلال الدين الرومى » .

● وقد تلقى العلامة الندوى تعليمه الابتدائى بقريته ، وبعد أن قرأ كتب المرحلة الابتدائية فى اللغتين : الأردية والفارسية ، كعادة أهل الهند فى ذلك الوقت ، انضم إلى حلقة أخيه أبى حبيب ، فتعلم على يديه اللغة العربية وبعد ذلك انتقل إلى مقر والده فى بلدة « إسلام بور » والتحق بزاوية مجيبى ، ومكث بها عاما ، يدرس اللغة العربية ، وبعض مبادىء علم المنطق ، وفى عام ١٩٠١

التحق بمدرسة « دار العلوم ندوة العلماء فى لكناو » وهى إحدى أشهر المدارس العربية الإسلامية فى شبه القارة ، وظل بها سبع سنوات أكمل فيها تعليمه ، حتى حصل على شهادة التفرغ .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا ، أن ندوة العلماء تأسست سنة ١٨٩٣ م وأقيم بناء دار العلوم التابعة لها بعد ذلك بخمس سنوات ، وكانت فكرة إنشائها قد برزت بناء على ما وصل إليه الأمر بين « جامعة عليكرة » و« مدرسة ديوبند » من اختلافات فى المنهج والتفكير أثرت فى حياة المسلمين واتجاهاتهم .

● ولما أتم العلامة الندوى دراسته فى الندوة سنة ١٩٠٧ م أراد والده أن يتوجه لدراسة الطب العربى مهنة أسرته المتوارثة ولكنه لم يرق له ذلك ، وكان أستاذه العلامة المرحوم « شبلى النعمانى » يرى ضرورة توجيهه إلى التحقيقات العلمية لما لمسه فيه من استعدادات علمية واسعة فكتب إلى والده لكى يتركه إلى ما يريد واستجاب والده لرغبة أستاذه .

● وقد امتازت الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩٢٩ بكثير من ألوان نشاط العلامة الندوى العلمى والأدبى والسياسى وتقلد عدة مناصب ، وفى عام ١٩١٠ ، انضم إلى شعبة تدوين وترتيب ، سيرة النبى ﷺ ـ التى قد أنشأها أستاذه « شبلى النعمانى » رحمه الله وفى عام ١٩١٣ أشار عليه أستاذه بقبول العمل فى كلية « بونا » الملحقة بجامعة « بومباى » ومنذ ذلك التاريخ بدأت الأوساط العلمية والمحافل الدينية تطلبه للاشتراك فيها واشتهر بين صفوف العلماء البارزين .

● وللعلامة الندوى مؤلفات كثيرة أذكر منها أهمها .

١ ـ خطبات ميدراس ـ وهى مجموعة المحاضرات الثمانى التى ألقاها فى « مدينة ميدراس » بجنوب الهند وهى مطبوعة فى كتاب بهذا الاسم وتعتبر ذات قيمة علمية كبيرة .

٢ ـ سيرة عائشة ـ وتناول فى هذا الكتاب حياة السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ بالتفصيل وتحدث عن دورها العلمى والدينى والاجتماعى والسياسى وناقش فيه ادعاءات بعض الفرق بالنسبة لواقعتى الجمل وصفين .

٣ ـ أرض القرآن ـ وهو كتاب فى جزءين تناول فى الجزء الأول تاريخ العرب وجغرافيتهم قديما وحالتهم . وفى الجزء الثانى كتب عن أقوام العرب وقبائلهم وحقق تلك الأحوال جميعها على ضوء القرآن الكريم وتاريخ العرب القديم ويعتبر هذا الكتاب من أجود المؤلفات العلمية وهناك مشروع لترجمته إلى اللغة العربية .

٤ ـ علاقات العرب بالهند .

٥ ـ الملاحة العربية والاكتشافات البحرية .

٦ ـ سيرة النبى ﷺ وهذا الكتاب يقع فى ستة أجزاء مطبوعة وقد بدأ كتابته أستاذه شبلى وأتم فيه الجزء الأول والثانى وتوفى وكان قد أوصى تلميذه الوفى العلامة سيد سليمان الندوى بإكمال كتاب سيرة النبى ﷺ فكتب منه خمسة أجزاء طبع منها أربعة وبقى جزء لم يطبع إلى الآن ، ويعتبر هذا الكتاب من أشهر الكتب فى عالم السيرة فى شبه القارة .

وخير ما أختتم به هذا الموضوع ماكتبه المرحوم مسعود الندوى فى شأنه إذ يقول : « والفضل فى سبيل نشر معارف السنة النبوية ، والدفاع عن حظيرة الدين الحق ، يرجع إلى عالم

سيد سليمان الندوى

الهند وعالمها الأكبر الأستاذ المحقق السيد سليمان الندوى صاحب مجلة معارف - الشهيرة بالهند ورئيس جمعية دار المصنفين والمشرف على دار العلوم التابعة لندوة العلماء فى لكناو - فمما لا يختلف فيه اثنان أن السيد سليمان الندوى إمام الدفاع الإسلامى وبطله المغوار بلا مراء ، فإن لمؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة تأثير بالغ فى تكوين عقائد المسلمين وتقويم أفكارهم .....

كان رحمه الله الركن الذى يأوى إليه العلماء إذا استعصى عليهم أمر ، ويستندون إليه فى حل مشكلاتهم ، وفك معضلاتهم ، وهو الذى جاهد فى سبيل العودة إلى حظيرة الإسلام النقى الخالى من الزيف ، ومما شابه من أفكار خاطئة ولحقه من أوهام أهل الشرك والوثنية .

لقد كتب للمسلمين فى شبه القارة يعرفهم بدينهم من خلال الكلمة الأردية .

ولقد ترجمت مؤلفاته إلى لغات عدة وخاصة كتابه سيرة النبى ﷺ الذى ترجم إلى الفارسية والتركية والانجليزية والبنغالية وهناك مشروع فى إحدى الدول العربية لترجمة السيرة إلى اللغة العربية ، وكان لكاتب هذه السطور شرف ترجمة الجزء الخامس منه إلى اللغة العربية وهو يتناول العبادات فى الإسلام .

وقد زار العلامة الندوى مصر وقابل بعض علماء الأزهر آنذاك فى بورسعيد وكانت وفاته فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ م بعد أن كان قد هاجر إلى باكستان بعد تقسيم الهند ودفن بمدينة كراتشى وقبره بجوار مبنى الجامعة الإسلامية بها

رحم الله العلامة سيد سليمان الندوى وجزاه خير الجزاء على ماقام به من خدمة للثقافة الإسلامية .

فتح جزيرة قبرص

أول عملية إبرار بحرى في تاريخ المسلمين (٢)

(عام ٢٨ - ٣٣ هـ)

لواء . أ . ح محمد جمال الدين محفوظ

« كان الأسطول البيزنطى مصدر تهديد مباشر للفتح الإسلامى للشام ومصر فوجد المسلمون ان من الضرورات الاستراتيجية الحيوية إنشاء اسطول إسلامى والسيطرة على الجزر ذات الموقع الحاكم فى البحر الابيض المتوسط وخاصة الجانب الشرقى منه ، وقد افتتح الأسطول الإسلامى الناشىء نشاطه البحرى بغزو جزيرة قبرص عام ٢٨ هـ » .

■ **الحملة الثانية على قبرص :**

● اضطلع الأسطول بعد إغارته الأولى بمراقبة جزيرة قبرص ، ليتأكد من صدق أهلها فى الوفاء بالتزاماتهم ، وليحول دون الروم وبين اتخاذها قاعدة لهم ، لكنه فى سنة ٣٢ هـ « ٦٥٣ م » أخل أهل قبرص فعلاً بشروط الصلح ، وامدوا الروم بسفن ساعدتهم على مهاجمة الشواطىء الإسلامية بالشام ، فصمم معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - على استخدام أسطوله مرة أخرى ليحرم الروم نهائياً من استغلال الجزيرة وأهلها .

● ففى عام ٣٣ هـ « ٦٥٤ م » خرج الأسطول الإسلامى لإعادة فتح قبرص ، وكان يتألف من خمسمائة سفينة وعدد كبير من الجند ، واستطاع الأسطول الاستيلاء على الجزيرة عنوة برغم المقاومة التى لاقاها ، ولقن أعداء المسلمين أول درس قاس جزاء إخلالهم بالشروط والمعاهدات .

● وصارت قبرص منذ ذلك الوقت قاعدة دائمة للأسطول الإسلامى فى البحر الأبيض المتوسط ، إذ حرص معاوية على وضع حامية من القوات النظامية قوامها اثنا عشر ألف رجل للدفاع عن الجزيرة وحماية ظهر الأسطول الإسلامى بها ثم اتبع معاوية هذه الخطوة بنقل جماعة من أهل بعلبك إلى قبرص ، وأغراهم على البقاء بها بمنحهم الرواتب حتى يقلل من أخطار الروم فى مهاجمة الأسطول الإسلامى فيها ، كما أقام فى

←

فتح جزيرة قبرص

الجزيرة مسجداً ليقيم فيه المسلمون شعائرهم .

● ويعزى تشدد معاوية فى معاملة أهالى قبرص بعد هذه الحملة الثانية إلى رغبته فى وضع حد نهائى لتقلب أهوائهم ، ومنع تكرار مساعداتهم لأسطول الروم ، وكان موقف أهل قبرص من نشاط المسلمين البحرى مثار جدل وتشعب فى الآراء بين قادة المسلمين ولاسيما نقضهم لشروط الصلح ، فقال أحدهم فى مناقشاته : « ما وفى لنا أهل قبرص قط » وأشار آخر بانزال أشد العقوبات بهم مستشهداً ببعض السوابق على عهد الرسول ﷺ قائلاً : « إنه من نقض عهداً فلا ذمة له » .

فوجد معاوية فى احتلال قبرص سبيلاً لتدعيم الأسطول الإسلامى ، وتجنيب أهل قبرص الضغط الشديد الذى تعرضوا له من قبل الروم ، وساعد معاوية على تنفيذ تلك السياسة الرحيمة ، ماقاله نفر آخر من رجالات المسلمين إن « أهل قبرص أذلاء مقهورون ، يغلبهم الروم على انفسهم ونسائهم ، فقد يحق علينا أن نمنعهم ونحميهم »[1] .

الدروس المستفادة

ولابد أن نستخلص من هذه الحقائق التاريخية الدروس التى ينبغى أن يتدبرها المسلمون ويسترشدوا بها فى سعيهم نحو النهضة الحضارية المنشودة ، فالله تعالى يقول : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَاأُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴾ الحشر -٢-

أولاً : التطور وبناء القوة الذاتية :

● لقد أدرك المسلمون بعد عصر النبوة أن افتقارهم إلى القوة البحرية يضعف سلطانهم على السواحل الإسلامية أمام قوة بيزنطة البحرية ، ويعيق حركتهم لنشر الدعوة ، وكانت تواجههم فى سبيل تصحيح هذا الوضع تحديات جسام :

١ - فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر ، فضلاً عن القتال فيه .

٢ - وعدوهم الرئيسى « قوة عالمية عظمى » لديها قوة بحرية مهيبة منحتها السيادة فى البحر الأبيض المتوسط حتى أصبح يسمى « بالبحيرة الرومانية » أو « البحر الرومى » كما يقول ابن خلدون[2] .

٣ - وعنصر الزمن « ليس فى صالحهم » ، فهم « فى حالة حرب » مع هذا العدو ، يفتحون من الأراضى التى تحت يده أغلاها وأغناها ، فهو لابد أن يسعى بكل ما أوتى من قوة نحو استرداد تلك الأراضى من ناحية ، ومنعهم من بناء قوتهم البحرية من ناحية أخرى ..

● أمام هذه التحديات الجسام لم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى . بل « اقتحموا » مجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل ، مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية :

١ - فقد رأوا - دون انتظار لنص موجه - أن كتابهم لا يعلو فى عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج .

---

(١) ابراهيم احمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامى حـ ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٩ .

القواعد البحرية ودور الصناعة الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن الأول الهجرى

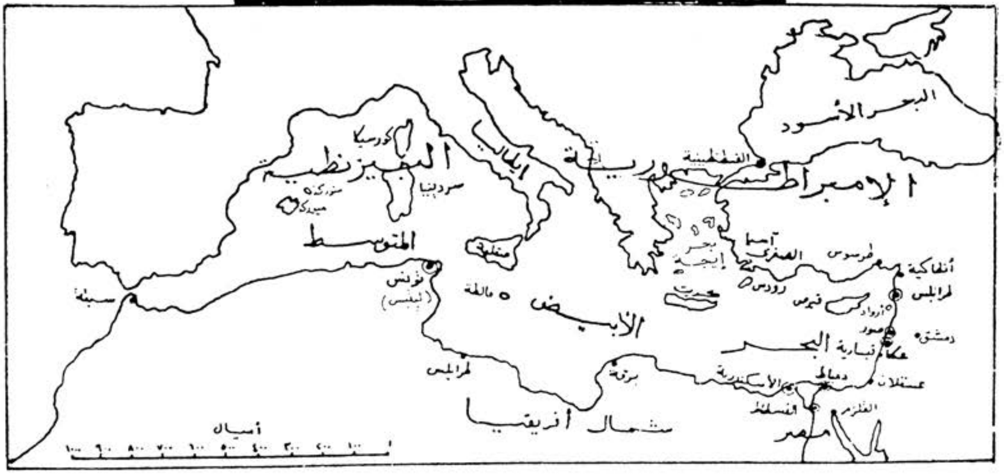

٢ ـ وعملوا بأمر ربهم ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ « الأنفال ٦٠ » ، وفهموا مغزى هذا الأمر وعملوا بمقتضاه وهو ألا يدع المسلمون الفرصة لعدوهم لكى يتفوق عليهم فى القوة ، وإلا أصبحت قوتهم « مفرغة » من قوة الردع التى توقع الرهبة فى قلوب أعدائهم ، فيتعرضون للهلاك .

٣ ـ وأدركوا أيضاً أن مقتضى هذا الأمر أن يتطوروا فى بناء قوتهم وفى تركيبها وتسليحها وأساليب استخدامها لكى تناسب روح العصر الذى تعيش فيه الظروف والأحوال الاستراتيجية التى تحيط بها .

■ **ثانياً : أهمية ترك حامية إسلامية فى الجزيرة بعد فتحها :**

● لقد كان على المسلمين أن يتركوا حامية فى الجزيرة بعد فتحها فى الحملة الأولى عام ٢٨ هـ لتأمينها والسيطرة على حركات أهلها لضمان استمرارهم فى الالتزام بشروط الصلح ، وكان على المسلمين أيضاً أن يستفيدوا من دروس فتوح الشام وكيف أن موانى الساحل كانت تستعصى على الفتح أو تتحمل الحصار الطويل بسبب اتصالها البحرى مع البيزنطيين والذى مكن مدنا كثيرة من أن تنشق بعد فتحها بمعونة الأسطول البيزنطى مثل صيدا وجبيل وعرقة .

● وقد رأينا كيف أدى ترك الجزيرة بلا حامية إلى إخلال أهلها بشروط الصلح الأمر الذى اضطر المسلمون معه إلى إعادة فتحها مع ترك حامية ـ تلك المرة ـ فيها مما أدى إلى تثبيت أقدامهم وتدعيم الفتح .

■ **ثالثاً : تحييد قبرص وتأمين السواحل الإسلامية ضد تهديد الأسطول البيزنطى :**

● وذلك نتيجة لالتزام أهالى قبرص بالوقوف على الحياد التام فى النزاع بين المسلمين والروم على

←

فتح جزيرة قبرص

سيادة البحر المتوسط ، ذلك أن المسلمين لم يلزموهم بتقديم أية مساعدة للأسطول الإسلامى عند إغارته على أرض الروم « فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ، ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينتصروا عليهم »[3] .

● كما أنه بعد إعادة فتحها وتثبيت أقدام المسلمين فيها يكون قد تحقق الهدف الذى كان وراء قرار فتح قبرص أصلاً وهو تأمين السواحل الإسلامية فى الشام ومصر ضد تهديد الأسطول البيزنطى .

■ **رابعاً : أول قاعدة دائمة للأسطول الإسلامى فى البحر الأبيض :**

● وبفتح قبرص صارت هذه الجزيرة أول قاعدة دائمة للأسطول الإسلامى فى البحر الأبيض المتوسط ، وصارت تلك القاعدة تنطلق منها السفن الإسلامية لصد سفن الروم قبل أن تغير على شواطىء الشام ومصر ، وتجنب الحاميات المقيمة على تلك الشواطىء أخطار الهجمات المفاجئة .

● وقد أكسبت حملة قبرص المسلمين تجارب بحرية واسعة وجعلتهم يتطلعون إلى سائر الجزر الأخرى القريبة من شواطئهم ، فقد عرج الأسطول الإسلامى الذى أعاد فتح قبرص « عام ٣٣ هـ » عند عودته بقيادة « أبى الأعور » و« جنادة ابن أبى أمية » أواخر عام ٣٤ هـ وأوائل ٣٥ هـ « ٦٥٤ م » على جزر « خيوس » و« كريت » أو « اقريطش أو كريد » التى أراد معاوية بن أبى سفيان بغزوها اغلاق بحر إيجه تماماً فى وجه الروم ليمنعهم بذلك من الوصول لبلاد المسلمين ، كما هاجموا صقلية ورودس Rhoodes التى كان الاستيلاء عليها لو تم يمثل صدمة عنيفة للروم .[4]

■ **خامساً : استثمار الفوز بازدياد النشاط البحرى الإسلامى :**

● وهكذا كان التوفيق الذى لازم الحملتين الإسلاميتين على قبرص عام ٢٨ هـ (٦٤٨ ـ ٦٤٩ م) وعام ٣٣ هـ (٦٥٣ ـ ٦٥٤ م) بداية لمرحلة هامة من النشاط البحرى الإسلامى .

١ ـ ففى السنوات السبع التالية (٢٨ ـ ٣٥ هـ /٦٤٨ ـ ٦٥٦ م) قام المسلمون بسلسلة من الغارات البحرية من قواعدهم فى مصر وسورية .

٢ ـ وفى عام ٣٣ هـ ـ ٣٤ هـ قامت حملة سورية مؤلفة من ٢٠٠ سفينة بقيادة « معاوية بن حديج » فأغارت على « صقلية » وعادت بغنائم عظيمة وأثبت المسلمون فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم البحرى تفهمهم الجيد لطبيعة الجزر البيزنطية الواقعة فى البحر المتوسط الشرقى التى يمكنهم منها ـ لو استولوا عليها ـ شل تحركات الروم ، ولذلك سارت الإغارات الإسلامية على هذه الجزر وفق خطة مرسومة ومنظمة تهدف إلى تأمين البلاد الإسلامية من الجزر المجاورة

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ .

(٤) ابراهيم احمد العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ٩٨ و١٠١ ـ ١٠٢ .

والمباشرة لأراضيهم أولاً ، ثم الاستيلاء على غيرها من الجزر المسيطرة في المضايق البحرية لسد الطريق أمام أسطول الروم ثانياً .

● وقد أظهر المسلمون في تنفيذ هذا المخطط - سواء معاوية أو من جاء بعده - جلدا وحنكة فائقين ، بدليل أن معاوية بدأ يعد لمهاجمة صقلية التى غدت قاعدة بحرية بيزنطية تستعمل في الهجوم على مصر لشل التعاون البحرى المصرى الشامى .

● وكانت صقلية بحكم موقعها تتحكم في مداخل البحر المتوسط الرئيسية وتشرف على صلة شرقه بغربه بواسطة مضيق مسينا Messina ومضيق صقلية - بين طرفيها الجنوبي وشمال افريقيا - مما جعلها تحصل إلى إمدادات الولايات البيزنطية البعيدة عن المسلمين آنذاك ، لكن مصر احست بالخطر فاتحدت مع الشام وهاجموا صقلية سنة ٣٢ - ٣٣ هـ (٦٥٢ م) وانتصروا على الروم ، وعاد المسلمون للشام بعد أن برهنوا للروم أن ذراع البحرية الإسلامية قادرة على أن تبطش بهم في أي مكان وهى لهم بالمرصاد ، وتروى المراجع العربية أن معاوية بن حديج الكندى كان قائد هذه الغارة الأولى على صقلية ، ثم تتالت عليها الغارات بعد ذلك من الشام ومصر أيضا ، وممن أغار عليها « عبد الله بن قيس الدرقي » الذى أخذ أصنام الجزيرة الذهبية والفضية(٥) .

٣ - وقد انتهز معاوية بن أبي سفيان فرصة انشغال الروم بانشقاق وتمرد « أرمينيا » على الامبراطورية البيزنطية ، فأعد تجهيزات بحرية وبرية لغزو القسطنطينية من البر والبحر ، فقاد معاوية بنفسه الحملة من « ملطية Melitene » وأخذ « Ancyre » ثم زحف على دوريليوم « Dorylaeum » ، سنة ٣٣ هـ (٦٥٣ م) مخربا في طريقه كل التحصينات التى التقى بها ، هذا بينما كانت عمليات إعداد وبناء سفن الأسطول تجرى على قدم وساق في الاسكندرية بمصر ، وطرابلس الشام وأماكن أخرى(٦) .

٤ - ومن أبرز العمليات البحرية للأسطول الإسلامى في البحر الأبيض معركة ذات الصوارى البحرية عام ٣٤ هـ (٦٥٤ م) التى وقعت بين الأسطول الإسلامى بقيادة « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » والأسطول البيزنطى بقيادة الامبراطور قسطنطين الثانى حفيد هرقل ، وكتب الله النصر للأسطول الإسلامى الذى لم يمض على إنشائه غير سنوات قليلة على الأسطول البيزنطى بكل ما وراءه من تاريخ حربى طويل .

● بذلك الجهد الذى قام به معاوية ، وقواده البحريون ، لفتوا انظار المسلمين تجاه البحر المتوسط ، وأوقفوهم على أهمية جزره ، فاستولت حملاته على ما أمكنها الاستيلاء عليه منها ، ثم طرقت غيرها لتمهد الطريق لمن بعدها من بنى أمية وغيرهم من المسلمين لإكمال المهمة .

● وبذلك كفل معاوية للمسلمين قوة بحرية نافست بيزنطة سيادتها على البحر المتوسط ، ثم بدأ يعدها لضرب عاصمة الروم نفسها فيما بعد ، وهى التى رأى المسلمون أنه لا قرار لهم ولا لدولتهم إلا بفتحها والاستيلاء عليها .

←

(٥) صابر محمد دياب : دراسات في التاريخ الإسلامى ص ٢٥ .

(٦) نفسه : ص ٢٦ .

← . فتح جزيرة قبرص

■ سادساً : اهمية العمل المشترك :

● كان معاوية فى منتهى الحكمة حين حرص على الربط بحرياً بين الشام ومصر فى البحر الأبيض المتوسط ، فقد كانتا من أهم ولايات الدولة البيزنطية فى النشاط البحرى سلماً وحرباً ، وكان التنظيم الإدارى البيزنطى يجمع بينهما فى عمليات بحرية واحدة لإخضاع المتمردين على السلطة البيزنطية أينما كانوا فى بلدان البحر المتوسط .. أضف إلى ذلك أثر العامل الجغرافى الذى ربط بين البلدين بحرياً وبريا ، ثم إن مصر كانت تحتاج لخشب السفن وهو بالشام ، وفى مصر دور صناعة السفن العريقة وهو ما تحتاجه الشام لعدم كفاية دور صناعتها كماً وكيفاً .

● ولقد وضع « عبد الله بن سعد بن أبى سرح » كل موارد مصر البحرية ورجالها فى خدمة معاوية من أجل بناء أسطول إسلامى فى البحر المتوسط ، كما ساهم مع معاوية فى حملاته البحرية ضد الروم ، فخرج بنفسه فى تفان نادر ـ إلا عند أصحاب العقائد ـ لخدمة ونصرة البحرية الإسلامية ، وكانت السفن الأولى لنواة البحرية الإسلامية من بناء دور صناعة مصر أيام ولاية « ابن أبى سرح » الذى أرسلها وقادها بنفسه لمساعدة معاوية على فتح قبرص كما قدمنا .

■ سابعاً : الآثار المعنوية لفتح قبرص :

وأخيراً لا يفوتنا أن ننوه إلى الآثار المعنوية لفتح قبرص باعتبارها أول عملية إبرار بحرى للأسطول الإسلامى وأهم هذه الآثار مايلى :

١ ـ زوال الهيبة من البحر وركوب البحر من قلوب المسلمين .

٢ ـ رفع الروح المعنوية للمسلمين ، وخاصة بعد أن اكتسبوا قدراً من الخبرة القتالية فى العمليات البحرية مما دعم فيها الثقة فى النفس .

٣ ـ القضاء على المخاوف التى ساورت المسلمين عن قوة بيزنطة البحرية .

[تم البحث]

الفكر الغربى وخطره على العقيدة الإسلامية

للدكتور يوسف عبد الغنى على

لقد درس مفكرو الغرب تاريخ الأمة الإسلامية ، ووجدوا أن منابع القوة عند المسلمين تتمثل فى العقيدة الإسلامية المستقرة فى القلوب ، ووجدوا أن آباءهم الصليبيين هزموا قديما بسبب تمسك المسلمين بهذا الدين ، فوجهوا همهم لزعزعة هذه العقيدة وذلك بأساليب عدة ، منها إثارة الشبهات حولها ، وإحاطته بالوان من مخترعات العصر ومغرياته ، وفرض أسلوب تربوى يصرفه عن دينه .

ومن الوسائل التى خطط لها الغرب لغزو عقول المسلمين «الاستشراق» وهو حركة فكرية ليست وليدة العصر الحديث ، وإنما هى قديمة عرفتها الحياة الثقافية منذ عهد بعيد (فقد تركت الحروب الصليبية فى نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار عميقة .. ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، وقد أدت بهم إلى الدراسات العربية الإسلامية لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوى ، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام .

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامى . وهناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة ، فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهى محاولة إضعاف الإسلام ، والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الإسلام الأول ، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا(١) .

ومن ثمة جند الغرب طائفة من المفكرين أطلق عليهم لفظ (المستشرقين) تخصصوا فى الدراسات الشرقية من علوم وآداب وعقائد تتصل ببلاد الشرق كالعالم العربى وغيره وذلك لكى يتثقفوا فى الدراسات الإسلامية ، حتى يتسنى لهم تحقيق الأهداف التالية :

←

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (د . محمد البهى) ص ٤٣ .

الفكر الغربى

أولا : محاولة تنصير المسلمين ، وذلك بنشر النصرانية بين المسلمين فى البلدان الفقيرة وتشجيعهم على اعتناق النصرانية .

ثانيا : حماية النصارى من خطر الإسلام وذلك بحجب حقائقه عنهم وتحذيرهم من الاستسلام لهذا الدين .

ثالثا : تشكيك المسلمين فى أمور دينهم ، وزعزعة عقيدتهم ، عن طريق إثارة الشبهات واختلاق الأكاذيب حولها .

ولنذكر هنا - بعض الشبهات التى أثاروها حول العقيدة الإسلامية ثم نتبع ذلك بالرد عليها ودحضها .

أولا : شبهاتهم حول القرآن الكريم :

يدعى المستشرقون أن القرآن ليس من عند الله ، وإنما هو من صنع بشر ، ثم إنهم تارة يقولون من صنع محمد، وأخرى يقولون إنه من صنع بحيرى الراهب أو سبيعة النصرانى، أو جبر أو بلعام[٢] .. إلخ . والحقيقة التى يشهد لها كل ذى عقل سليم ، ونظر سديد أن القرآن من عند الله فليس من صنع محمد ولا غيره من البشر يدل على ذلك أنه :

(١) ورد فى القرآن الكريم أكثر من آية تشير إلى أن هذا القرآن من عند الله قطعا وليس من عند غيره ومن هذه الآيات ما يلى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[٤] .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[٥] .

فالهاء فى (أنزلناه) الأولى والثانية والثالثة ضمير يشير إلى القرآن وهى واضحة الدلالة فى المدعى .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[٦] .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٧] وفى ذلك كله ما يوضح أن القرآن من عند الله وليس من عند أحد غيره تعالى .

(ب) قصة خويلة بنت مالك بن ثعلبة :

وخويلة كانت زوجة لأوس بن الصامت ، وقد غضب عليها يوما فقال لها (أنت على كظهر أمى) وقد كانت هذه العبارة قبل الإسلام تعد طلاقا ، فحسبت خويلة نفسها طالقة من زوجها ، فأخذت أولادها الأربعة وذهبت إلى أبيها ، وبقيت عنده أربعة شهور ، وكان فقير الحال فلقيت خويلة وأولادها خلال هذه المدة حرمانا وضيقا فى المعيشة ، فذهبت إلى رسول الله ﷺ تشكو أمرها ، وقالت له : إن زوجى ظاهر منى فأجابها الرسول - ﷺ - قائلاً : (حرمت عليه) إذ لم يكن

---

(٢) انظر تفسير الآية ١٠٣ من سورة النحل

(٣) يوسف / ٢ .

(٤) الرعد / ٣٧ .

(٥) القدر الآيات ١ - ٤ .

(٦) النساء ٨٢ .

(٧) جامع تفسير ابن كثير فى الآية ٨٨ .

قد نزل فى الظهار شىء بعد فتكررت شكواها وتكرر قوله عليه الصلاة والسلام - فنزلت آيات الظهار أول المجادلة وفيها حكم الظهار ، وفى ذلك الدليل القاطع على أن القرآن وحيه تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾(٨) .

ومن ادعاءاتهم الباطلة - أيضاً - والتى قصدوا بها تشكيك المسلمين فى قرآنهم : أنهم ادعوا أن فى القرآن تباينا واختلافا وهذا الزعم يدحض بذكر الواقعة التالية : تتلخص هذه الواقعة فيما حدث من الشاعر لبيد بن ربيعة الشهير ببلاغته وفصاحة لسانه ورصانة أسلوبه ، هذا الشاعر عندما سمع أن محمدا - ﷺ - يتحدى الناس بكلامه قال بعض الأبيات ردا على ما سمع ، وعلقها على باب الكعبة ، وحين رأى أحد المسلمين هذا أخذته العزة فكتب بعض آيات القرآن الكريم وعلقها بجوار أبيات لبيد . ومر لبيد بباب الكعبة فى اليوم التالى ولم يكن قد أسلم بعد، فأذهلته الآيات القرآنية حتى أنه صرخ من فوره قائلاً : والله ما هذا قول بشر وأنا من المسلمين .

فهذا الشاعر الخبير بأساليب اللغة ، العالم بكل صغيرة وكبيرة فيها ، وجد فى أساليب القرآن وفى نسقه معجزة لا يستطيع أن يقوم بها بشر فأعلن إسلامه ..

أعجز لبيد الذى نشأ بين أحضان اللغة العربية عن معرفة تباين واختلاف أساليب القرآن حتى يجىء هؤلاء الجهال الذين لا يفقهون شيئاً ويقولون إن فى القرآن تباينا واختلافا ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(٩) .

ثانيا : شبهاتهم حول بعثة النبى ﷺ :

وقد أثار المستشرقون شبهة حول بعثة النبى - ﷺ - قالوا فيها إن الله - تعالى - أرسل رسله منذرين إلى الأمم السالفة فهو قد أرسل محمدا ليبلغ رسالة الله إلى الأمة العربية ويبين لهم طريق النجاة . ويمكننا أن نرد على هذه الفرية بالنقاط التالية :

أولا : ما ورد فى القرآن الكريم :

(أ) ورد فى القرآن الكريم ما يدل على عموم رسالته - ﷺ - وأنه أرسل للناس أجمعين يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١٠) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١١) .

(ب) كذلك ورد فى القرآن الكريم ما يدل على بطلان كل دين ما عدا دين الإسلام فقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١٢) .

(جـ) هناك آيات كثيرة فى مخاطبة أهل الكتاب بالخصوص لترك المجادلة ، واتباع الحق والايمان بالرسول منها : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

←

(٨) النجم ٤ ، ٥ .
(٩) الكهف / ٥ .
(١٠) الأعراف / ١٥٨ .
(١١) سبأ / ٢٨ .
(١٢) آل عمران / ٨٥ .

تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ . يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(١٤) .

ثانيا : ما جاء فى الكتب السابقة :

فقد جاء فى الكتب السابقة ما يدل على أن رسالته - ﷺ - عامة للناس .

- فقد جاء فى سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر : (نبيا اقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك ، وجعلت خطابى بفيه ، فيخاطبهم بكل ما أوحيه)(١٥) .

المراد بإخوتهم : بنو إسماعيل .

- وجاء فى إنجيل يوحنا : (لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن انطلق ، لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى)(١٦) وجاء - أيضاً - : (وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية)(١٧) .

ثالثا : ما ورد عن الرسول - ﷺ - :

فقد ورد عن النبى - ﷺ - أنه قال بعموم رسالته ، وهو نبى ، والنبى لا يكذب ، فيلزم من هذا بطلان دعواهم فقد روى البخارى - رحمه الله - عن جابر بن عبد الله - أنه - ﷺ - قال : (وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة)(١٨) .

وروى مسلم - رحمه الله - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ، ولم يؤمن بالذى أرسلت إلا كان من أصحاب النار)(١٩) .

رابعا : أن النبى - ﷺ - دعا أهل الكتاب جميعا وغيرهم إلى دين الله عز وجل ، فقد أرسل كتبه إلى خارج الجزيرة العربية يدعوهم إلى الإسلام فقد أرسل - ﷺ - كتابه إلى النجاشى فقال فيه (بسم الله من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة . سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته القاها إلى مريم البتول الطاهرة المحصنة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخته ، كما خلق آدم بيده ونفخته ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمى جعفر ومعه نفر من

(١٣) ال عمران / ٧٠ - ٧٣ .
(١٤) المائدة / ٦٥ .
(١٥) التوراة السامرية (سفر التثنية) الاصحاح ١٨ .
(١٦) يوحنا ١٦ : ٧ .
(١٧) يوحنا ١٦ : ١٣ .
(١٨) البخارى ١ / ٩٢ .
(١٩) مسلم ١/١٣٤ .

المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم ، ودع التجبر ، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل .. وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى .. وقد جاء الرد على النجاشى بالإيمان به - ﷺ -[٢٠] وكذلك أرسل النبى ﷺ - إلى هرقل وقيصر ، وكسرى ، والمقوقس وغيرهم .

خامسا : دعوته - ﷺ - لسائر الأجناس للدخول فى دين الله . فقد دعا بلالا وهو حبشى ودعا صهيبا وهو رومى ، ودعا سليمان وهو فارسى ودعا يهود المدينة ودخل منهم فى الإسلام عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - وغير هؤلاء كثير . وكذلك نصارى نجران الذين قدم منهم عشرون رجلاً للنبى - ﷺ - وهو بمكة ، وأسلموا .

روى ابن كثير (فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله - ﷺ - دعاهم رسول الله - ﷺ - إلى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به ، وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره[٢١] .

سادسا : محاربته - ﷺ - لمن لم يؤمن برسالته من اليهود وغيرهم . فقد حارب يهود المدينة ، وحارب يهود خيبر وأرسل جيوشه لمحاربة من كفر من أهل اليمن ، فقد روى ابن عباس - رضى الله عنهما « إن رسول الله - ﷺ - لما بعث معاذ إلى اليمن قال له : إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وفى رواية أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله - تعالى - افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[٢٢] .

ومن الشبهات التى أثارها المستشرقون - علاوة على فريتهم حول بعثة النبى - ﷺ - إنكارهم المعجزات الحسية وعللوا ذلك بأنه مادام القرآن الكريم آية دالة على صدق النبى ﷺ - فنحن فى غنية عن غيره من الآيات[٢٣] .

وسرت هذه الفرية إلى الكتاب المعاصرين كالدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه حياة محمد ، والمستشرق الفرنسى الذى أسلم « دينيه » وزميله السيد سليمان إبراهيم الجزائرى ، وقلما نجد أحدا من المؤلفين المتأخرين كتب السيرة يذكر شيئا من المعجزات الحسية[٢٤] .

وقد ترتب على إنكار المعجزات الحسية للنبى - ﷺ - أن تجرأ بعض المبشرين والمستشرقين إلى الطعن فى النبى - ﷺ - وتفضيل غيره من الأنبياء عليه بحجة أن النبى - ﷺ - ليس له من المعجزات الحسية مالموسى وعيسى عليهما السلام .

ولا ريب أن هذه الشبهة لا سند لها من الصحة فقد تواتر من طريق المعنى أنه جرت على يد الرسول - ﷺ - الخوارق الحسية . وبما أن هذه الخوارق قد تواترت فى نفسها فقد ثبت بمجموعها أن النبى - ﷺ - كان يجرى عليه فى معرض الدعوة من خوارق العادة ما يعجز عنه غيره والمعانى الكلية تثبت بالوقائع التى تنقل أفرادها أحادا وذلك كشجاعة على بن أبى طالب

←

---

(٢٠) سيرة (ابن كثير) ٢/٤٢ - ٤٣ .
(٢١) السيرة (ابن كثير) ٢/٤٠ .
(٢٢) اخرجه مسلم .
(٢٣) السيرة (دكتور محمد ابو شهبة) ص ١٨ .
(٢٤) نفس المصدر ص ١٧ .

رضى الله عنه (وهذا مستفيض مُتَلَقًّى من أقاصيص نقلت من آحاد وكذلك الطريق فى العلم) كسخاء حاتم الطائى وغيره من المعانى الكلية، ثم السر فى إثبات هذه المعجزات أنه قد تحقق بالتواتر وباستفاضة تعلقه - ﷺ - بأجناس مختلفة من البدائع، ولو عارض شخص فى واحد منها لوهت دعواه، وانطلقت الألسن فيه، وتحزب أصحابه إلى مرتاب فيه وإلى مدافع عنه تقليداً، ولا تثر نظام الأمر، فإذا لم يتعرض أحد لمعارضته فى شىء مما جاء به كان ذلك أصدق آية على تمييزه على جميع الخلائق بالنبوة[٢٥]

يقول الفخر الرازى (والحق أن الأمارات الظنية إذا تواترت أدت إلى حكم العقل جزماً بما توافقت عليه فى اثباته وذلك كالتجريبات المعدودة فى الضروريات فإيراد هذه الدلائل التى ذكرناها بمثابة التجارب المؤدية إلى حكم جزم يقينى فهى وإن كانت آحادها غير معتمد عليها لكنها بالجملة تؤدى إلى حكم يقينى وذلك الحكم اليقينى هو صدق نبوة رسولنا محمد ﷺ)[٢٦] ولا يرتاب أحد فى أن معجزة القرآن الكريم هى معجزة الرسول الكبري، والمعجزات الحسية الأخرى مؤيدة له .... ومن البديهات أن المعجزات الحسية من الأمور الممكنة، وقد وقعت قبل ذلك للرسول عليه السلام، ومادامت ممكنة فما الداعى إلى إنكارها ولو أن المنكرين لها أمعنوا النظر فى كتب الحديث والسير، وتذوقوا ما فيها لعرفوا أن إنكار المعجزات الحسية بعيد عن جادة الصواب[٢٧] هذه إلمامة يسيرة عما يشنه الغرب من افتراءات حول عقيدة الإسلام، الأمر الذى يتطلب منا التصدى لها، وتحصين شبابنا بفقه الإسلام، وتعاليمه وتوجيهه توجيها سليما حتى لا ينخدع وراء هذه التيارات المغرضة.

والله المستعان. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٢٥) راجع العقيدة النظامية ص ٧٥.
(٢٦) بتصرف (محصل افكار المتقدمين والمتأخرين) الفخر الرازى ص ٢٠٩.
(٢٧) البيهقى (دلائل النبوة) ص ٢٢٤.

الدين روح الحياة

ونورها هاديها ومرشدها

للدكتور: زكى مشعل

سبحانك اللهم ربنا ، اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير .

إنه من الثابت لدينا يقينا أن الإسلام حين جاء بما جاء ليختتم جميع الرسالات السماوية ليطوى جميع الكتب ليضمها كتاب واحد ، فبقى ما جاء به من عقائد وعبادات وتشريعات ما بقى الزمن ، وانطلاقا من هذا المفهوم كان العمل بشريعة الله واجبا مفروضاً قد حمله في الماضى امناء بررة اقاموا احكام الشريعة في أنفسهم وعرضوها مبسطة سمحة على البشرية فامن بها من آمن واعرض عنها من غلبت عليه شقوته .

واستمر الإسلام بقوته وعقيدته ينير للبشرية طريق الأولى والآخرة ، ليحقق لها عزتها وكرامتها . وصدق ربنا تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة ٣ ، ومن ثم فعلينا جميعاً أن ندرك أن لكل عقيدة قوة تدفع عنها وأن لكل قوة عقيدة إيمانية صادقة تحميها وإننا نتساءل : هل ثمة صلة بين العقيدة والأخلاق ؟

وإذا كانت هناك صلة فما هى ؟ وكيف يكون تحقيقها ؟

إن الأخلاق ترتبط بالعقيدة ارتباطا وثيق الصلة . فليست الأخلاق إلا الترجمة العملية للعقيدة المستكنة في باطن النفس الإنسانية وفي القلوب والعقول التى قد أشربت الإيمان الصادق القائم على الحق ، قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ الأنبياء ١٨ .

إن الأخلاق ملكة نفسية تكون في غاية التمكن من النفس الطيبة العامرة بنور ربها ، ومن المؤكد أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون عقيدة لأن التدين أمر فطرى ومقوم من مقومات الإنسان الذاتية ، يقول سبحانه :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم ٣٠ .

الدين روح الحياة

وعلى هذا يتضح مدى الترابط الوثيق بين العوامل النفسية العميقة وخاصة الفطرية منها والأخلاق والعقيدة ، فالأخلاق ثمرة العقيدة وقد صدق رسول الحق عليه ازكى صلاة وتسليم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1] .

كما قال : « الدين حسن الخلق »[2] وقال تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾

نماذج عقائدية وأخلاقية : لما كانت العقيدة هى الأصل في الإنسان ، وكانت الأخلاق هى الثمرة الصادقة للعقيدة من أجل ذلك فإننا نتعرف على عقيدة الإنسان من أخلاقه وسلوكه ، وصدق قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك ١٤) وقد علمنا فيما علمنا أن القرآن الحكيم قد ذكر نماذج مختلفة وأصنافاً متباينة في تصرفاتها وسلوكياتها النابعة من أخلاقها ، وتبين من هذا قوة عقيدتها أو ضعفها فقد ذكر سبحانه جل شأنه امثلة في سورة البقرة للمؤمنين الخلص ، والكافرين والمنافقين ، فإذا المؤمنون هم أصحاب العقيدة السليمة مبدأ وشعارا ، فأما المبدأ فهو الإسلام وأما الشعار فهو « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وهذه العقيدة تجعل الإنسان يراقب الله سبحانه في كل شيء ومن ثم فإن أموره وأحواله ومعايشه تصبح عبادة من أرقى العبادات حيث اتسمت بمراقبة السميع البصير على أساس من صدق العهد مع الله عز وجل والإخلاص فيه .

وعلى هذا تتسم أخلاقه الإنسانية النقية ، ويكون سلوكه مصداق عقيدته : طهارة وصفاء ، صدقا وإخلاصا ، وقد قال الله تعالى مبينا هذا الطراز العالى من المؤمنين ﴿ الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقد جاء في سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ وفى القرآن العظيم سورة تحمل اسمهم ، تلك هى (المؤمنون) مفتتحة بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وذكر سبحانه فيها شيئاً من صفاتهم وأحوالهم وسلوكهم ، وختم ذلك بجزائهم فقال : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

وتلك صورة الكافرين وهى على طرف نقيض من أصحاب العقيدة السليمة لذا ضلوا الطريق ، وتمردوا على الله الذى خلقهم وبيده ناصيتهم .

وإذا كان هناك إنسان قد بلغ به العقوق والتمرد والافتراء إلى الحد الذى يتنكر به لخالقه فيعرض عنه ويتعدى حدوده ويظن انه في غنى عنه . وليس في حاجة إليه .

إنسان كذا ما ينتظر منه في معاملته لأخيه الإنسان ؟

(١) مسند احمد

(٢) صحيح مسلم

ما من شك في أن الإنسان الذي يفقد العقيدة الدينية السليمة مهما يكن جاهه أو منصبه فإنه يفقد الخلق السليم بفقدها، ويصير إنسانا نفعيا، همه حاجته، ولا نفع فيه لبنى جنسه، وهذا جزاؤه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

هؤلاء هم الكافرون عقيدة وأخلاقاً، وإليك المنافقين إنهم أعظم خطراً وأكثر فساداً وإلحاداً يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم وقد ذكرهم القرآن الحكيم في آياته كثيراً حتى أن المولى عز وجل - أنزل فيهم سورة كاملة هى المنافقون فضح فيها أعمالهم وكشف باطلهم وما درجوا عليه من الخداع والعيش في ظلمات الضمير، ومعلوم أن أخص خصائصهم أنهم مذبذبون لا تلمس لديهم عقيدة، وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ (النساء ١٤٣).

فاما أخلاقهم، فيقول المولى - عز وجل - عنها: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٧، ٦٨).

وبعـــد:

فهذه نماذج ثلاثة تبين مدى ارتباط العقيدة بالأخلاق، وهل بعد بيان الله - تعالى - بيان.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور

أبو زيد شلبي

للأستاذ
أبو المعاطي محمد أبو رحاب

معالم حياته : ولد في بلدة المطمر محافظة اسيوط في ٢٣/٨/١٨٩٩م وحفظ القرآن الكريم في بلده ثم أرسل إلى معهد اسيوط (فؤاد الأول) حيث نال الشهادة الأولية ثم الثانوية ، ثم العالمية ١٩٢٥م ثم تخصص في التاريخ والأخلاق .

واظهر جدارة ممتازة وارتشف رحيق العلم من شفاه علماء الأزهر المشهود لهم بالنبوغ والتقدم .

تولى التدريس في معهد أسيوط وكان لعلمه الغزير وفهمه الناضج وأسلوبه البليغ أثر عظيم في علو شأنه ورفع ذكره مما جعله ينتقل إلى كلية أصول الدين ليدرس التاريخ الإسلامي والأخلاق ، ثم رقى إلى أستاذ مساعد ثم إلى أستاذ للتاريخ ولما صدر قانون تطوير الأزهر ١٩٦١ م نقل أستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية واستمر يدرس هذه المادة حتى أحيل إلى المعاش في ٢٣/٨/١٩٦٤م .

وفي نفس السنة تعاقد مع الجامعة الإسلامية بليبيا استاذا للتاريخ والحضارة الإسلامية ، وظل يقوم بعمله ويؤدى واجبه في همة ونشاط إلى أن وافته منيته يوم الخميس ٣٠/٧/١٩٦٩م .

وقد شارك رحمه الله في جماعة الأزهر للنشر والتأليف وعمل بها اميناً عاماً سنة ١٩٤٤ م ، وكان الساعد الأيمن لكل من العالمين الجليلين المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، والمرحوم الشيخ طه محمد الساكت من علماء الأزهر ومع أنه تخصص في التاريخ الإسلامي والأخلاق إلا أنه قام بتدريس مادتى التفسير والحديث في كلية أصول الدين ، والف في

هاتين المادتين أكثر من كتاب كان يدرس في الكلية كما كان يلقى أحاديث التفسير في الإذاعة المصرية ١٩٥٢ ضمن علماء التفسير في الكلية .

شيوخه : تتلمذ على كثير من العلماء الأجلاء في عصره وفي مقدمتهم أخواله فضيلة الشيخ محمد فرغلى من علماء الأزهر في معهد أسيوط ، والشيخ سيد فرغلى المفتش العام بوزارة التربية والتعليم ومن علماء دار العلوم ، وفضيلة الشيخ جمال الدين القاضى من علماء الأزهر في معهد أسيوط وهؤلاء جميعاً من بلدته ومن مسقط رأسه ، كما تتلمذ على فضيلة الشيخ محمد حميده عضو هيئة جماعة كبار العلماء وشيخ معهد أسيوط الأسبق والشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق والشيخ أمين الخولى وقد درس له في القسم العالى .

معارفه وزملاؤه : كانت تربط المرحوم بعلماء عصره صداقات كثيرة خصوصاً مع الشيخ محمد الأودن ، والإمام الشيخ عبدالحليم محمود ، والإمام محمد عبدالرحمن بيصار وكانا زميلين له في كلية أصول الدين والدكتور بدوى عبداللطيف رئيس الجامعة الأسبق وكانا يشتركان معا في تدريس التاريخ الإسلامي والشيخ صالح شرف عضو جماعة كبار العلماء (وسكرتير عام الأزهر) .

تلامذته : تتلمذ على يديه كثير من العلماء الذين تولوا دفة الأمور فيما بعد منهم على سبيل المثال الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، والدكتور موسى لاشين عميد كلية أصول الدين ، والشيخ محمد الغزالى ، والدكتور يوسف القرضاوى وغيرهم كثير .

أثاره العلمية :

وهذه أسماء الكتب التى ألفها والتى وصلت

فضيلة الدكتور ابو زيد شلبى

إلينا .

١ - خالد بن الوليد .
٢ - الخلفاء الراشدون .
٣ - تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي .
٤ - رجال الحديث .
٥ - الاصباح شرح نور الإيضاح في المذهب الحنفى وقد ترجم إلى اللغة التركية ودرس بها .
٦ - مذكرات في الميراث .
٧ - الندم والتوبة .
٨ - العدالة الاجتماعية .
٩ - حكم تلحين القرآن .
١٠ - في ذكرى الهجرة .
١١ - محاضرات في السيرة النبوية - لم تطبع .
١٢ - نشأة الأزهر - لم يطبع .
١٣ - فضل ليلة القدر - لم يطبع .
١٤ - مذكرات في التفسير - لم تطبع .

من أعلام الأزهر

« وفـاتــــه »

وبعد حياة حافلة بجليل الأعمال ونشر الثقافة والعلم في كل من جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بليبيا وافته منيته يوم الخميس الساعة الثانية والنصف ظهراً في ١٩٦٩/١٠/٣٠ بعد أن أدى دروسه في كلية أصول الدين والتقى بطلابه وزملائه من غير سابق مرض أو شكوى من ألم،ورجعت روحه إلى ربها راضية مرضية في يوم مبارك ودفن في ليبيا بجوار الصحابى الجليل رويفع الانصارى،وودع من الجامعة الإسلامية وداعاً حارا يليق بمكانته وتقبلت فيه الجامعة العزاء .

« كلمة وفاء »

عرفت الفقيد عن قرب فكنت تلميذه في كلية أصول الدين من ١٩٥٢ م إلى ١٩٥٦ م ثم تلميذا له في كلية اللغة العربية في الدراسات الإسلامية شعبة التاريخ الإسلامي ١٩٦٢ م ١٩٦٣ م

فكان رضى النفس متواضع الجانب جميل الخلق متهلل الوجه لين العريكة باسم الثغر متسامحا كريما وفيا لزملائه ومحبيه يؤدى واجبه في كل الظروف والأحوال

ـ فجزاه الله عن أعماله خيرا وحشره في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

كلمة قارىء

سنن ابن ماجه

للسيد ابو محمد نصر الدين

كتب السيد / أبو محمد نصر الدين ـ أبو دشيشه ـ بلقاس ـ دقهلية يلفت النظر إلى وجوب تصحيح خطأ وقع بهدية مجلة الأزهر « الإمام ابن ماجه ـ صاحب السنن » وبمراجعة ما كتب السيد المذكور تبين انه يجب :

(أ) تصحيح ما وقع من خطأ بفهارس الجزء الثانى بسنن ابن ماجه الذى وضعه الأستاذ : محمد فؤاد عبدالباقى بنهاية السنن ص ١٥٤٨ إذ جاء بهذه الصفحة « ٢٩ ـ كتاب العقيقة »

وصحته : ٢٩ ـ كتاب الأطعمة .

(ب) وبالتالى تبين أن ما كتبه الأستاذ الدكتور عبدالعزيز عزت عبدالجليل ص ٦٠ من هدية الأزهر صحيح ، وذلك حيث كتب « باب الوضوء عند الطعام » والبأب هذا موجود بكتاب الأطعمة من السنن ١٠٨٥/٢ ط عيسى البابى الحلبى .

والمجلة تشكر للسيد المذكور تنبيهه الذى أتاح التصحيحين ونود أن يقوم القارىء بتصحيح نسخته من الهدية ، ونسخته من السنن إن كانت بحوزته .

الشعر والشعراء

إعداد
محمد رشاد يوسف

رثاء الأندلس

جزاك الله مغفرة

أيها الشيطان

رثاء الأندلس

للشاعر
أبي البقاء الرندى

لكل شيء ، إذا ما تمَّ ، نُقصانُ ... فَلَا يُغرَّ بطيب العَيْشِ إنسانُ
هى الامورُ كما شاهدتُها دولٌ ... مَنْ سرَّهُ زَمَنٌ ساءته ازمانُ
وهذه الدارُ لاتُبقى على احدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لَهَا شانُ
اين الملوكُ ذَوُو التيجانِ مِنْ يَمنٍ ... واين منهمْ اكاليلٌ وتيجانُ ؟
واين ما حَازَهُ قارونُ من ذَهبٍ ... واين عادٌ وشَدَّادٌ وقحطَانُ ؟
دَارَ الزمانُ عَلَى « دَارَا » وقَاتِلِه ... وامَّ « كسرى » فَمَا آوَاهُ إيوانُ
اتَى عَلَى الكل امرٌ لا مردَّ لَهُ ... حتى قضوا فكأنَّ القومَ ما كانوا
فجائعُ الدَهْرِ انْوَاعٌ مُنَوعَةٌ ... وللزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ واحزانُ
دَهَى الجزِيرَةَ امْرٌ لاعَزَاء لَهُ ... هَوَى له "أُحُدٌ" وانهدَّ ثَهْلَانُ(١)
اصابها العين في الإسلام فارتزات ... حتى خلت منه اقطار وبلدان
فاسألْ بِلَنْسيةً ما شانُ مُرْسِيَةٍ ... وايْنَ شَاطبةٌ ام اينَ جَيَّانُ ؟

الشاعر : هو أبو البقاء الرندى عاش ما بين « ٦٠١ ـ ٦٨٤ هـ » وهو شاعر أندلسى ينسب إلى مدينة رندة الأندلسية التى ولد وعاش بها وقد عاصر أحداثا جساما من الاضطراب والفتنة تمزقت فيها الأندلس دويلات متناحرة ووثب على كل منها الطامعون والمغامرون تطلعا إلى السلطة وتهالكا على الحكم ويسمون في التاريخ « ملوك الطوائف » وكان بعضهم يقاتل أخاه لينتزع منه الملك ويسلك في سبيل ذلك شتى الوسائل حتى ولو حالف ملوك القوط المسيحيين ضد أخيه العربى المسلم ، مما أدى إلى سقوط الأندلس كلها في يد الأعداء بعد أن نعمت بحكم المسلمين أكثر من ثمانية قرون ، وكان آخرها ضياعا وسقوطا، مملكة غرناطة ، في الجنوب التي تقع بها مدينة « رندة » التى ينسب إليها شاعرنا « أبو البقاء الرندى » .

وأيـنَ قـرطبـةُ دارُ الـعلـوم ، فكـمْ من عَـالِمٍ قَـدْ سَمَا فيـهـا ، لـهُ شـانُ
وأيـنَ حمصُ وَمَـا تحـويـه مِـنْ نُـزَهٍ ونـهـرُهـا الـعـذبُ فيَّاضٌ ومَـلآنُ
قـواعـدٌ كـنَّ أركـانَ الـبـلاد ، فَمَـا عسـى البقـاء إذا لـم تَبْـقَ أركـانُ
تبكـي الحَنِيفيـةُ البَيْضـاء مـن أسفٍ كمـا بكـى لفـراق الإلْـفِ هَيْمَـانُ
عَلَـى ديَـارٍ مـن الإسْلاَم خـاليـةٍ قـد أقفـرتْ ، ولـهـا بـالكُفْرِ عُمْـرانُ
حيـثُ المسـاجدُ قـدْ صـارتْ كنـائسَ مـا فيـهِـنَّ إلا نَـوَاقِيـسٌ وصُلْبَـانُ
حتـى المحـاريـبُ تبكـى وهـى جَـامِـدَةٌ حتـى المنـابـرُ تَـرْثِـى وهـى عِيـدَانُ
يَـا غَـافـلاً ولـهُ فـي الـدَّهْـرِ مَـوْعِظَـةٌ إنْ كُنـتَ فـي سِنَـةٍ فـالـدهـرُ يَقْظَـانُ
تلـك المصيبـةُ أنْسـتْ مـا تقـدمـهـا ومـالـهـا مَـع طـولِ الـدهـرِ نِسْيَـانُ
يـاراتـعـيـن وراء الـبـحـر فـي رعـةٍ لـهـم بـأوطـانـهـم عـزٌّ وسلطـانُ
أعنـدكـمُ نبـأٌ مـن أهـل أنـدلـس ؟ فقـد سـرى بـحـديـث الـقـوم ركبـانُ
كَـمْ يَسْتَـغيـثُ صَنَـاديـدُ الـرجـالِ وهُـمْ قَتْلَـى وأسْـرَى ، فمـا يـهـتـزُّ إنسـانُ
مـاذا الـتقـاطـعُ فـي الإسـلام بينكـمُ وأنـتـم ـ يـاعبـادَ الـلـه ـ إخْـوَانُ
ألاَ نفـوسٌ أبيَّـاتٌ لَـهَـا هِمَـمٌ أمَـا عَلَـى الخَـيْرِ أنْصَـارٌ وأعـوانُ
يَـا مَـنْ لِـذلَّـةِ قَـوْمٍ بـعـد عِـزِّهِـمُ أحَـالَ حَـالَـهُـمُ جَـوْرٌ وطـغيـانُ
بـالأمـس كـانـوا مُلُـوكـاً فـي مَنَـازلِـهِمْ والـيـوم هُـمْ فـي بـلادِ الكُفْـرِ عُبْـدانُ
فَلَـوْ تَـرَاهُـمْ حَيَـارَى لاَ دَلِيـلَ لَـهـم عليـهـمُ مـن ثِيـابِ الـذُّلِ ألـوانُ
ولَـوْ رأيـتَ بكـاهُـمْ عِنْـدَ بَيْـعِـهِـمُ لَـهَـالَـكَ الأمْـرُ ، واسْتَـهْـوتْـكَ أحْـزَانُ
يـارُبَّ أمٍّ وطِفْـلٍ حِيـلَ بَيْنَـهـمَـا كمـا تَفَـرَّقُ أرْوَاحٌ وأبـدانُ
لمثـلِ هـذا يـذوبُ القلـبُ مـن كَمـدٍ إنْ كَـانَ فـي القَلْـبِ إسْـلاَمٌ وإيمـانُ

القصيدة : من أشهر القصائد العربية في رثاء المدن والدول والتحسر على المجد الضائع وفيها يتناول الشاعر حال الأندلس بعد أن تقطعت أوصالها وتمزق كيانها إلى دويلات متناحرة متنازعة متصارعة يستعين بعضها على البعض الآخر بمن حولهم من الأعداء ـ حتى قضى الفرنجة على دولة الأندلس في غفلة من أبنائها .

والقصيدة في « نفح الطيب » وهى تصوير مؤلم لحال المسلمين وذلة الولاة والملوك بعد عز ، وحيرة الأبناء والنساء والأطفال وهم أسرى في يد أعدائهم يتخطفهم الموت والأسر، وفي القصيدة استثارة لهمة الراتعين وراء البحر ، همة الأمة الإسلامية وملوكها ذوى العز والسلطان لإنقاذ إخوانهم في الأندلس .

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه الأمس باليوم وما أصدق شاعرنا أبى البقاء الرندى وهو يقول :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان فى القلب إسلام وإيمان

جزاك الله مغفرة

للشاعر: جرير بن عطية التميمي

يـا أمَّ عمـرو جـزاك اللـهُ مـغفـرةً ... رُدِّي عَلـيَّ فُـؤَادي كـالـذي كـانـا
الستِ املـحَ مَـنْ يَمْشـي عَلـى قَـدَمٍ ... يـا امْلـحَ النـاسِ كـلَّ النَّـاسِ إنْسَـانـا
يَلْقَـى غَـريمُكـمُ مـن غـيرِ عُسْـرَتِكـمْ ، ... بـالبَـذْلِ بُخْـلاً وبـالإحْسَـانِ حِـرْمَـانَـا
قـد خُنْـتِ مَـنْ لَـمْ يَكـنْ يخشـى خِيَـانَتَكـمْ ... مـا كنـت اوَّلَ مَـوْثُـوقٍ بـه خَـانَـا
لقـد كتمـتُ الـهَـوَى حتَّـى تَـهَيَّمَنِـي ... لا استطيـعُ لِـهـذَا الحُـبِ كِتْمَـانَـا
كَـادَ الـهـوَى "يَـوم سَلْمَـانَـيْنِ" يَقْتلنِـي ... وكـاد يقتلنـى يـومـا ببَيْـدَانَـا
لَا بَـارَكَ اللّـهُ فـي مَـنْ كَـانَ يَحْسَبُكـمْ ... إلَّا عَلَـى الـعَـهْـدِ حَتَّـى كَـانَ مَـا كَـانَـا
لَا بَـارَكَ اللّـهُ فـي الـدنيَـا إذَا انْقَطَـعَـتْ ... اسْبَـابُ دُنْيَـاكِ عـن اسْبَـابِ دُنْيَـانَـا
مَـا احْـدَثَ الـدَّهْـرُ ممـا تَـعْلَمِـين لكُـمْ ... للحَبْـلِ صرْمـاً ولا للـعـهـد نسْيَـانَـا
إنَّ الـعُيُـونَ التـى فـي طَـرْفِـهَـا حَـوَرٌ ... قَتَلْنَنَـا ثُـمَّ لَـمْ يُحيِـينَ قَتْلَانـا
يَصْـرَعْـنَ ذَا اللُّـبِّ حَتَّـى لَا حـرَاكَ بِـهِ ... وهُـنَّ اضْـعَـفُ خَلْـقِ اللّـه ارْكَـانَـا
يـا حَبَّـذَا جَبـلُ الـرَّيَـانِ مِـنْ جَبَـلٍ ... وحبَّـذَا سَـاكـنُ الـرَّيـانِ مَـنْ كَـانَـا
وحَبَّـذَا نَفَحَـاتٌ مـن يَمَـانِيـةٍ ... تَـاتَيـك مِـنْ قِبَـل الـرَّيـانِ احْيَـانَـا

الشاعر : هو جرير بن عطية التميمى شاعر وجدانى مطبوع يجمع بين فصاحة الألفاظ ووضوح المعانى ومتانة التركيب وعذوبة التعبير ـ امتاز بالوجدانيات من نسيب وغزل ورثاء وهجاء وقد برع في هجاء الفرزدق ويصفون هجاءه بأنه حلو ومر ، حلو بما ألبسه من حسن اللفظ وقدم بين يديه من الغزل ليشد أسماع السامع ، وهو هجاء مر لما يحويه مما يتألم منه المهجو وقد أجمع النقاد على أن هذا الشاعر الذى ولد فى اليمامة ٦٥٠ م وقال الشعر يافعا مدح معاوية ثم ابنه يزيد وانضم إلى جانب المناصرين لعبدالله بن الزبير ثم تقرب إلى الوليد بن عبدالملك ثم ابتعد عن دار الخلافة حين تولاها عمر بن عبدالعزيز الذى لم يكن يقرب الشعراء ويجيزهم .

تهاجيا هو والفرزدق وتركا تراثا من الهجاء المقذع ويجمع النقاد على أن جريرا قد تفوق على أقرانه في الغزل والرثاء والهجاء بل إنه تغلب على جميع من هجوه ماعدا الفرزدق والأخطل لأنهما اجتمعا عليه معا ..

وهو الشاعر الذى يقول عنه النقاد إنه كان يغرف من بحر .

القصيدة : الأبيات التي بين أيدينا كانت مقدمة لإحدى نقائضه في هجاء الأخطل وفيها من العذوبة والرقة والوضوح ما يؤكد منزلة هذا الشاعر العربى الأصيل .

أيها الشيطان

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

سبيلك براق الزخارف يخلب ... وواديك سوق بالبهارج يصخب
وليلك صبح ، في النواظر باسم ... ومرجك قحل ، بالغواية مخصب
وظلك رفاف ، وانسك غامر ... وقولك جذاب ، وصوتك يطرب
تغوص باعماق النفوس موسوسا ... فتلفت ساجيها إليك وتجذب
لكل عَصِيٍّ في جرابك حيلة !! ... ومن كل ثلم لا يرى تتسرب
وكل عسير في يديك ميسر ... وكل بعيد عن جنابك يقرب
وعينك يقظى ليس يغمض جفنها ... تنم عن الحقد الدفين وتعرب
تغير على الإنسان في غفلاته ... فتلهو به عبر الحياة وتلعب
فبالمراة الحسناء تفتن عابداً ... وبالمال تغتال العقول وتسلب
وتمشى بسربال التقى متستراً ... وتدعو إلى صدق الحديث وتكذب
كذا ارقم الصحراء املد ناعم ... وفي نابه حتف الفرائس يرقب
فإنك ياابن النار ابشع محنة ... بها نبتلى انى نجىء ونذهب
وإنك بهتان البغاة وزورهم ... وسيف لفرسان الضلال مذرب
فذاك الذى الزمت نفسك فعله ... فكنت على الإنسان حربا تلهب
ومن اعجب الأشياء .. زيفك رائج ... اثير لدى جل النفوس محبب !

* *

رويدك ياشؤم الحياة وبؤسها ... بك النفس من نُبل الشمائل تُجدِب
لئن كنت من نار خلقت ومارج ... فإنك مقرور ، ونورك غيهب
فنارك يامغرور يبطل فعلها ... بماء من النفس التقية يسكب
الم يكفل الرحمن حفظ عباده ... بحصن ، ودرع من سهامك تحجب ؟
فكيدك مبتور ، ومكرك محبط ... وجيشك مدحور ، وبرقك خلب
وهل يمتطى إبليس عبدا محصنا ... يبيت على مهد التقى يتقلب ؟
إذا ما صفا قلب ابن أدم ، وارتقى ... اقام على نبع الهداية يشرب

* *

الا ايها الإنسان انت محاصر ... وما لك من دون المهيمن مهرب
ولو ان سلطان الورى ونضاره ... بكفيك لم يمنعك ما يُتَجَنَّبُ
فبادر إلى حصن القدير ، ولذ به ... ففيه امان في الحياة ومذهب

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حسن التفرس

قال أبو السعيد الخراز : رأيت فى الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا مايستر عورته ، فأنفت نفسى ، فتفرّس فىّ وقال :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ فندمت على ذلك ، واستغفرت فى نفسى ، فقال :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ .

●●●

فاصنع ما أحب الله

تغيظ عبد الملك بن مروان من « رجاء بن حيوة » قال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن كذا وكذا ، فلما صار بين يديه ، قال له رجاء : ياأمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله .

فعفا عنه وأمر له بصلة .

كيف يكون التواضع ؟

قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل سبقتنى إلى الإيمان والعمل الصالح .

وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته إلى الذنوب فهو خير منى .

وإذا رأيت إخوانك يعظمونك ويصفونك فقل : هذا فضل أحدثوه .

وإذا رأيت منهم تقصيرا فقل : هذا ذنب أحدثته .

من بعض العلماء

خوفوا المؤمنين بالله .

والمنافقين بالسلطان .

والمرائين بالناس .

قالوا ..

● ماندمت على شىء ندمى على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلى ، ولم يزدد فيه عملى .

« عبد الله بن مسعود »

● والله لو علمت أن شرب الماء يثلم مروءتى ماشربته طول حياتى .

« الإمام الشافعى »

● الشبع من الحلال أصل كل شر ، فكيف إذا كان من الحرام ؟!.

« أبو حامد الغزالى »

● إذا لم تقدر على قيام الليل ، ولا صيام النهار ، فاعلم أنك محروم قد كبلتك الخطايا والآثام .

« الحسن البصرى »

● اصحب ذوى الفضل وأهل الدين ، فالمرء منسوب إلى القرين .

«أبو العتاهية »

● المـال يـذهب حلـه وحـرامـه
يـومـا ويبقى فى غـد آثـامـه

«يحيى بن معين »

● حقيرة جدا الدجاجة التى تأكل طعام النملة ... ما أكثر الدجاج من هذا اللون !!!

الجَدُّ .. والجِدُّ

الجد ـ بفتح الجيم ـ وتشديد الدال المهملة ، من معانيه : الحظ ، والغنى ، والعظمة ، ومن هذا الأخير قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أى عظمته .

ويطلق على القطع ، والحظـوة ، ووجه الأرض ، والجديد ، وعلى الرجل العظيم الحظ ، وعلى الرزق ، وعلى شاطىء النهر ، وعلى أبى الأب والأم .

وأما الجد ـ بكسر الجيم ـ فهو الاجتهاد .

الخوف من عقاب الغيبة

مَرَّ داود الطائى يوما بموضع ، فوقع مغشيا عليه ، فحمل إلى منزله ، فلما أفاق سئل عن ذلك .

فقال : ذكرت أنى اغتبت رجلا فى هذا الموضع ، فذكرت مطالبته لى بين يدى الله ـ تعالى ـ .

منازل اليد

أعلى الأيدى : المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ، ثم الآخذة بغير سؤال .

وأسفل الأيدى : السائلة والمانعة .

دعـــاء

اللهم إنى أبرأ إليك من حولى وقوتى ، وألجأ إلى حولك وقوتك ، وأحمدك إذ أوجدتنا من العدم ، وفضلتنا على كثير من الأمم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

دين الله الإسلام

منبع الشرائع

للأستاذ: نظام الدين عبد الحميد

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

جاء الإسلام لتنظيم حياة الفرد والجماعة ، فاسس منهاجا واضحا للعقيدة لالبس فيه ولاغموض ، ووضع الضوابط للعبادات والمعاملات والعلاقات الداخلية والدولية فهو لذلك دين ودولة جاءت شريعته السمحة بمبادىء عامة وسعت مصالح الناس على اختلاف ميولهم فعاشت فى ظل عدالتها امم كثيرة وفى ذلك مايدفعنا إلى احترام انفسنا أولا ثم إلى المطالبة بهذا الاحترام من الاخرين كثمرة للتطبيق الصحيح لمبادىء ديننا الحنيف واحترام الإنسانية المثالية فى اشخاصنا .

لقد جاءت الحنيفية السمحة بماشرع للافراد والجماعات والأمم كيف تكون مسئولية كل منها إزاء نفسها وإزاء الاخرين كى يسير العالم قدما نحو حياة صحيحة .

قال الأستاذ :

اقتضت إرادة الخالق - جل وعلا - إيجاد الوجود ، وشاءت مشيئة خلق النوع البشرى مزودا بأنواع من الملكات والغرائز والهدايات والقوى ، يستعين بها على سلوك مسلك الحياة واجتياز عقبتها على صورته اللازمة ، وكانت أعظم هداية زود بها وأكثرها ضرورة له هى هداية الدين . وكانت حكمته السامية قاضية بأن يصطفى من بنى آدم انفسهم أناسا غلبت قوتهم الروحية على ماديتهم غلبا يمكنهم من أن يكونوا وسطاء عن طريق الوحى بينه - سبحانه وتعالى - وبين بنى البشر لإبلاغهم أوامره ، ورسلا إلى أقوامهم ومللهم ينهجون لهم مايوافق مصلحتهم ، ويشرعون ماتقتضيه ظروفهم ، على ضوء دين الله الأوحد الموحى إليهم جميعا ،

والمفطورة عليه نفوسهم ونفوس البشر جميعا ، حيث إن البارىء تعالى قد فطر النفوس على الدين الفطرى ، ويسر لها اكتناه حقيقته ، لو رفعت عن بصيرتها ستار العماية ، وازالت عنها حجاب الضلالة .

وإننا لو دققنا أطوار حياة الملحد المنكرالذى لايرى لغير المادة سلطانا ، ولا لغير المحسوسات وجودا ، ولا لغير الصدف عللا واسبابا ، وفتشنا عن خبايا نفسه فى شتى الظروف والمناسبات ، للمسنا عنده مايؤيد هذا القول ، ولعثرنا عنده على جذور لهذا الدين توجهه للقيام ببعض أعمال البر والخير ، وهى السبب المباشر لكل مايأتيه من عمل إنسانى . وإنى التمس مصداق بعض قولى هذا فى هذه الآية الكريمة الآتية التماسا قويا : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .

وإننا نرى الملحد المنكر يعزو سبب مايقوم به من معروف إلى دافع الوجدان او الضمير او الإنصاف أو الرحمة ؛ ولكننا لو فاجأنا هذا النوع من الإنسان المخدج ، وطلبنا منه أن يفسر لنا مدلول هذه الأسماء تفسيرا ماديا يرفع عنه النقاب ، ويبين المصدر المنبعث منه هذا الذى يسميه تارة وجدانا وتارة ضميرا ، ومرة إنصافا واخرى رحمة ، لبهت من حراجة المأزق ، ولشده شاخصا إليك لايحير جوابا .

والشىء الذى يكاد يزاحم البديهة عندى ؛ هو أن مدلولات هذه الأسماء هى بعض مدلول كلمة الدين الحقيقى الفطرى ، أو هى فروع متفرعة من دوحة هذا الدين القويم ، أصلها شىء واحد ، وغذاؤها من نبع واحد .

فهذا الدين الفطرى بالرغم من أنه متأصل فى النفوس ، وبالرغم من أن النفوس قد جبلت عليه ، نرى بعض العميان الذين طغت ماديتهم على روحيتهم طغيانا طمس عندهم معالم الاهتداء إلى نور اليقين ، وأخفى عنهم سرج الوصول إلى الحق المبين ، يحاولون عبثا التحرر من سلطانه ، ويبغون ظلما الانسلال من دائرته . لذلك كان من آثار عنايته ، تعالى ، أن يرسل إلى مختلف الأمم فى مختلف الظروف رسلا موحيا إليهم دينه الأوحد ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ يجدد بهم مع بنى البشر عهد الفطرة ، ويجلو بهم صدأ الأوهام والخرافات عن جوهر الدين فى القلوب ، ويجرد بهم أذهانهم مما تعلق بها من الترهات وأسباب النقص والفساد ، ويطهر بهم نفوسهم مما طرأ عليها من أدران الزيغ والضلال ، ويدعو بهم إلى دينه الأقوم : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ [الحق الخالى مما ابتدعته الأهواء ، وأوجدته الاغراض ، من الشوائب التى لاتمت بصلة إلى الدين] حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ - [وحده] - وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴾ . فهذه الآية الكريمة دليل واضح على أن الدين فطرة ، وأن البارىء ، تعالى ، قد فطر الناس على هذه الفطرة ؛ وهذه الفطرة عبارة عن الدين القيم الذي لايعتريه التغيير والتبديل . وهذا الدين هو دين الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، أى دين اســـلام الوجه له سبحانه وتعالى ، والانقياد والخضوع له وحده ، والاستعانة به ، وطلب جميع المآرب منه وحده : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وحـدك فقط دون أحـد سـواك ، لكمـال الوهيتك ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وحدك فقط ايضا دون أحد من الكهنة والرؤساء وشيوخ الطرق والأولياء ، ودون شىء من المقابر والأشجار والأحجار ، لكمال ربوبيتك .

هذا وإن الإنسان المتجرد عما ورث من العقائد والآراء ، الخالى الذهن عن كل مايحيط بعائلته ومجتمعه وبيئته من الشعائر والطقوس

من روائع الماضى

والأوهام ، لو فكر ساعة بذهن ثاقب فى ساعة من ساعات التجلى ، وفى وقت من أوقات يقظة الضمير ، وفى فترة من فترات صفاء الفكر والقلب ، عن السر المحيط بهذا الكون ، وعن الواهب للموجودات الوجود والحركة والنظام ، وعن العلة الأصلية المحركة لدقائق الأمور وجلائلها ، لانجلى أمامه كل غموض ، ولانكشف لديه الحق الواضح الأبلج ، ولاهتدى بعقله وأدرك بأن هذا الارتباط الكلى بين أجزاء الكون الواسع العجيب لايمكن أن يعزى إلى مجرد الصدفة وبأن الكون بمجموعه يهيمن عليه صاحب قوة مدبرة جبارة لانهائية ، أوجد الوجود من العدم ، متصف بصفات الكمال ، منزه عن صفات النقص ؛ تقصر عن درك ذاته الكريمة الأفهام ، وتضل عن اكتناه ماهيته العقول ، وهب الخلق وأوجد مابه يكون كمال الوجود ؛ ولاهتدى بتفكيره إلى أن هذا الواهب للوجود النظام المتقن لايعقل أن يترك البشر وشأنهم دون أن يرسل إليهم رسله مع ماتستوجبه عدالته ، وماتستلزمه حكمته ، وما تقتضيه ظروف البشر أنفسهم من الأوامر والنواهى والإرشادات لينتظم سير الحياة ؛ ولاهتدى أيضا إلى أنه لايمكن للعدالة الإلهية أن تترك المحسن دون ثواب ، وأن تترك المسىء دون عقاب ؛ ولألهم بأن ثواب الصالحين المحسنين الممتثلين أوامر هذا الخالق ، والمتجنبين نواهيه ، وعقاب الطالحين المسيئين المخالفين أوامره والمقدمين على نواهيه ، يتحقق فى يوم لاريب فيه ، يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه ، وذلك هو يوم القيامة ، يوم الحساب والعدالة ، يوم الفزع الأكبر . أليس من واجبه إذن أن يتوجه بقلبه إلى هذا الخالق عابدا ، ويسلم وجهه لهذا البارىء طائعا ، ويستمد ويطلب العون والتوفيق من هذا الرب وحده ، ويمتثل أوامره ويتجنب نواهيه ؟ بلى وربى ! .

فكل هذا الذى يتجلى لثاقب الذهن المفكر ساعة إشراق النفس ويقظة القلب وصفاء الروح ، المتجرد عن كل مايعكر صفو الفطرة ، هو الدين الحقيقى القيم ، دين الفطرة الذى فطر عليه النفوس جميعا ، دين اســلام الوجه له سبحانه وتعالى اســلاما يثبت له ، تعالى كمال الألوهية والربوبية .

نعم : الإسلام دين الفطرة ، هو دين جميع الأنبياء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . فهذه الآية الكريمة نص صريح على أن الدين الحقيقى المقبول عند الله هو الإسلام ، وأن أهل الكتاب ماحادوا عن الحقيقة وما اختلفوا فى الدين إلا من بعد أن أفهموا بالحقيقة ، وأعلموا ماهية الدين ،بغيا بينهم . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا [فى دين الله يعادى بعضهم بعضا ، ضالين عن المحجة البيضاء] لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ وقال تعالى :﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ [وهو بيان حقيقة دين الله وروحه الذى لايقبل التغيير والتبديل والتعدد] وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ [الدين المعروف الموحى إليكم جميعا] وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [مللا ونحلا يخاصم بعضكم بعضا ، وتفتحوا للتفرق والإحن والبغضاء والعداوات أبوابا] كَبُرَ عَلَى

ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

فهذه الآيات الكريمات ، والحكم العاليات ، براهين واضحة وحجج ساطعة على أن دين الله واحد لايقبل التغيير والتبديل والاختلاف ؛ فهو يقرر شيئا واحدا على لسان كافة الأنبياء والمرسلين ، ويرمى إلى غاية واحدة ، ويستهدف هدفا واحدا عند جميعهم .

أما الذى قبل التغيير والتبديل ، وتغير وتبدل ، فهو الشرائع فقط ؛ إذ كان لكل رسول وكل إليه أمر تجديد هذا الدين ، بين فترات وأخرى ، شريعة خاصة متميزة عن باقى الشرائع تحمل صبغة تتواءم والعصر الذى أتت فيه ، وطبيعة الملة التى جاءت إليها ، والعقلية والظروف والأحوال السائدة آنذاك ، حتى تواجه المشاكل بالحلول المعقولة ، وتتكفل قضاء مصالح الناس المتشابكة بالطرق المقبولة . وكان العمل بمقتضى تعاليم شريعة من الشرائع مقصورا فى حدود مدة معينة من الزمان ، تنسخ أحكامها أحكام شريعة لاحقة ، حالة فى محلها من حيث وجوب العمل بمقتضاها .

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والرسل من شاء أن يرسل ، وبدل من الشرائع وغير ماشاء أن يبدل ويغير ، إلى أن أرسل خاتم المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة وأكمل سلام ، ليدعو إلى دين الله القويم ، فدعا إلى فطرة الإسلام ، ودعا إلى الأصول الجوهرية المنزلة على الأنبياء والمرسلين جميعهم بأمره تعالى القائل له : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ والقائل له : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

نعم أتى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، داعيا إلى فطرة الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، بدليل ما استشهدت به من الآيات ، وبدليل ما سأستشهد به من الآيات ، وبدليل ما تركت الاستشهاد به من الآيات ؛ ومعه الشريعة المرنة الخالدة التى تسمى هى أيضا بشريعة الإسلام ، الشريعة التى لم تختص بزمان دون زمان شأن ما سبقها من الشرائع ، ولم تتعين فى قوم دون قوم ، أو ملة دون أخرى ، أو جنس دون جنس شأن ماسبقها من الشرائع ؛ لأنها فى كليتها كالدين لايعتريها النسخ والزوال ، فهى باقية بقاء الأرض والسموات ؛ لما فيها من الأصول العامة مايحقق لها الحياة الأكمل فى كل زمان ومكان . فجزئيات مسائلها وأحكامها فى تطور مستمر حسبما تتطلبه الأحوال وتقتضيه الظروف والمقتضيات ، وممعنة فى السير نحو التجديد سيرا لاينالها الخور والكلال ؛ ولأنها شريعة غذاؤها من فطرة الإسلام ، واستمدادها هدى الله ؛ ولأنها الجامعة لروح جميع الشرائع ، والمحيطة بأطراف جميع الشرائع ، والمجمع الذى تلتقى عنده كافة الشرائع .

فهذه الشريعة تلزم معتنقيها الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وبكتبهم ، وبما أتوا به من الشرائع ؛ وتحتم عليهم إجلال هؤلاء الرسل والأنبياء واحترامهم ، إجلالا واحتراما يضاهيان مايحملون فى قلوبهم من الإجلال والاحترام لرسولهم محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ؛ وتقرر بعدم وجود فرق بين هؤلاء الهداة الذين قادوا البشرية كل فى وقته وزمانه نحو الكمال والسعادة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا . أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

من روائع الماضى

حَقًّا . وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وإن تعدد الشرائع يقتضى لها ـ للشرائع ـ تعدد الأسماء ، ويقبل الاختلاف فى التسمية ، فتسمى هذه مثلا بالشريعة النصرانية ، وتلك بالشريعة اليهودية ، وهذه بالشريعة الاسلامية .. الخ .

أما وحدة الدين فلا تقبل التعدد فى التسمية ، فهى تلزم وحدة الاسم ، لذا يلزم أن نسمى الدين باسمه المسمى به فى اصطلاح الوحى الموافق لفطرة الفطرة . اما إذا قلنا الأديان السماوية ، أو قلنا الدين المسيحى أو الدين اليهودى ، فالتسمية فى هذه الحالة لاتكون على حقيقتها ، وإنما تكون على سبيل الاستعارة ، أو تكون من قبيل إطلاق الخاص على العام . وإنى اجيز لنفسى أن التمس هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا . قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ولا ارى لدى مانعا من أن التمسه ايضا من قوله عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة ، إنما ابواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه » . الفطرة هى الدين ، والدين هو الدين الحقيقى ، دين الله الإسلام .

فكل مولود يولد خالى الذهن والفكر عن كل ماابتدع من العقائد ، وما التصق بالدين من الآراء ... فهو بما ركز فيه من القوى والغرائز ، وبما زود به من الهدايات ، مهتد بهداية الدين الفطرى ، ومطبوع عليها ، ولكن البيئة والعائلة ، وفيها الأبوان ، هى التى تطفىء سراج هداية هذا الدين الفطرى فى نفسه ، وتعكر نبع الإسلام فى قلبه ؛ فتبعده عن الحقيقة أيما إبعاد ، فتنصره موحية إليه أن الدين المقبول هو الدين النصرانى ، وكل ما تقرره النصرانية يقبل من دون مناقشة؛ أو تهوده موحية إليه أن الدين هو الدين اليهودى ، وكل ماتقرره اليهودية وما يأتى به الكهان من الشعائر والطقوس هو من صلب هذا الدين : أو تمجسه ، تنجسه ، موحية إليه أن المجوسية هى الدين الحق الكامل وأن معتنقيها هم المهتدون الفائزون وغيرهم ضالون خاسرون . فينشأ المولود ، ماقتا كل نحلة غير نحلته ، وكل فرقة لاتنتمى إلى جماعته ، وكل عقيدة تخالف عقيدته ، فيحارب الدين باسم الدين ، ويأتى باسم الدين من المنكرات ماأتى الدين لمحاربتها واجتثاث جذورها فى المجتمع ، ويزيد ويعقد المشاكل والعقبات الحائلة دون السير الإنسانى نحو الهناء والكمال ، ويرتكب من الأعمال المستهجنة ماتستوجب تأصل أسباب العداوة والبغضاء والشقاق والتفرقة بين بنى البشر قرونا وقرونا .

ولو أن رجال الدين فى كل فرقة ونحلة أرادوا وأحبوا أن تدرك الإنسانية المثل الأعلى فى معيشتها ، وتجردوا عن أهوائهم الشخصية ، وعقلوا ماهية الدين وكنهه ؛ لنبذوا كل سبب من أسباب التنكر والعداوة والتفرق ، ولتآلفت نفوسهم وتوحدت قلوبهم : ولتصافوا وتصافحوا واجتمعوا فى مائدة واحدة يلتمسون على ضوء دين الله الأوحد ما يتكفل هناء العيش البشرى وسعادته وأخوته على بساط الرحمة والصداقة والكمال .

العلوم الكونية

الأجيال الجديدة من التقنيات

المخدرات والمسكرات

الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة

(٢)

ا.د. أحمد فؤاد باشا

(ب) اجيال المجاهر (الميكروسكوبات) :

المجهر (الميكروسكوب) هو جهاز لتكبير الدقائق الصغيرة ، وابسط انواعه عبارة عن عدسة زجاجية لامّة توضع امام العين فتزيد من قدرتها على رؤية التفاصيل الدقيقة للأشياء بصورة افضل .

ففى عام ١٦٧٤ اكتشف العالم الهولندى « فان ليفينهوك » ، تحت عدسته المكبِّرة عالما جديداً في قطرة ماء .

ومنذ ذلك الحين قطعت التقنية شوطا بعيدا في تطوير العدسات والمجاهر وفنون فحص المكوِّنات الدقيقة للمادة .

واسفرت جهود العلماء والتقنيين المتواصلة عن ظهور اجيال متعاقبة من المجاهر المتنوعة في تصميماتها ومجالات استخدامها ، نذكر منها :

١ ـ المجهر المركب Compound microscope ، ويتكون من مجموعة من العدسات الشيئية (أى التى تواجه الشىء المراد تكبيره) والعينية (أى التى ينظر المشاهد خلالها بعينيه ليرى الشىء مكبرا) ، وهو ما نراه عادة في معامل البحوث العلمية والتحاليل الطبية والطبيعية . وقد أمكن تطوير هذا المجهر وزيادة قدرته على التكبير إلى أكثر من ألف مرة .

وأفاد ذلك علماء البيولوجيا ومهندسى التعدين وعلماء الأراضى والمياه الجوفية والأحياء المائية والمشتغلين بالبحث العلمى في تكبير الميكروبات وفحص تفاصيل المقاطع والعينات الدقيقة .

٢ ـ المجهر الإلكترونى Electron microscope ، وهو ثمرة تطبيق العلوم الحديثة لخصائص الإلكترونات[١] في الأجهزة البصرية ،

---

(١) من اهم هذه الخصائص ان شعاع الإلكترونات العادى يكون مصحوباً بموجات تقع في مدى موجات الأشعة السينية القصيرة جداً ذات الطول الموجى القريب من وحدة الانجستروم (نظرية دى برولى) .

حيث يتم فيه تكثيف شعاع من الإلكترونات بواسطة عدسات مغناطيسية أو كهروستاتيكية وتظهر الصور المكبَّرة واضحة على شاشة عرض كمثل التى تستخدم في أجهزة التليفزيون ، وقد تمكن الباحثون بواسطة المجهر الإلكترونى من اكتشاف أضأل « الفيروسات » وفحص تفاصيل أدقّ في الخلايا والجراثيم ودراسة العوامل الوراثية .

ومن المعروف أن رؤية الأجسام تتم إذا كانت أبعادها وأحجامها تقع في حدود الطول الموجى للأشعة المستخدمة في رؤيتها .

لهذا كانت المجاهر الضوئية المركبة محدودة القدرة على التكبير عن المجاهر الإلكترونية ، لأن الأخيرة تعتمد على الإلكترونات التى يمكن التحكم في قصر طولها الموجى بزيادة سرعاتها . ومن ثم ، فإن مبدأ الاستعاضة عن الضوء بالالكترونات في المجهر الإلكترونى من شأنه أن يساعد على تحقيق زيادة تكبير ووضوح التفاصيل الدقيقة التى تبلغ من الصغر ما قيمته عدة نانومترات[٢] .

وقد بذل العلماء حديثا جهوداً مضنية لتطوير المجهر الإلكترونى ، وتمكنت بعض الدول الكبرى من زيادة قدرته على التكبير إلى مليون مرة بعد أن غذّته بجهود كهربية فائقة الارتفاع تبلغ ما يقرب من المليون ڤولت ، فانفتح بذلك مجال أكبر لرؤية دقائق الكون المتناهية في الصغر .

٣ ـ مجاهر السَّبْر المسحى Scanning probe microscopes ، التى تعتمد على الحاسبات الإلكترونية في تظهير الصور ومعالجتها ، وقد ساعدت أنواع هذا الجيل الجديد من المجاهر على جعل العلماء يتمكنون من « رؤية » وتصوير جزيئات المادة وذراتها ، كما أنها قد زودتهم بطرق متقدمة لوصف « تضاريس » الخلية في أبعاد ثلاثة . ويكفى أن نذكر من بين أحدث هذه الأنواع ـ على سبيل المثال ـ مجهر المسح النفقى Scanning tunneling microscope (STM) الذى ينتمى لمجموعة الأجهزة غير المدمِّرة لعينات البحث (مقارنة بما يحدث عند استخدام المجاهر الإلكترونية ومجاهر الأشعة السينية)[٣] .

ويعتمد عمل هذا المجهر على حركة إبرة دقيقة جداً من « التنجستون » ، يتم التحكم في موقعها بدقة متناهية على بُعد ثابت ، يقدر ببضعة انجسترومات[٤] ، من السطح المراد فحصه ، ثم يولَّد فرق صغير في الجهد الكهربى يعمل على أن تشق الإلكترونات « أنفاقا » عبر الفجوة بين الإبرة والسطح بمعدل يتناسب بدقة مع المسافة ، وذلك طبقا لظاهرة معروفة في ميكانيكا الكم Quantum mechanics باسم « تأثير النفق » Tunnel effect ، وبينما تمسح الإبرة سطح العينة اقترابا أو ابتعاداً للمحافظة على المسافة الصحيحة المحددة لاستمرار عملية شق النفق ، فإن أجهزة بالغة الحساسية تقوم بترجمة تيار الإلكترونات التى تشق النفق إلى صورة ثلاثية الأبعاد (أي مُجسَّمة) لكل « طوبوغرافية » (تضاريس) السطح ، حيث تظهر الذرات المستقلة على شكل نتوءات واضحة على السطح .

ولما كان استخدام المجهر النفقى مقصوراً على المواد الموصلة كهربيا ، فإن جهود الباحثين قد توجت باستحداث جهاز جديد أكثر فعالية لتصوير الجزيئات المعقدة ، حيث تمكن علماء جامعة ستانفورد في عام ١٩٨٦ من صنع « مجهر

---

(٢) النانومتر يساوى : واحداً على الف مليون من المتر ، أو 10^{-9} متراً .

(٣) من المعروف أن الإشعاعات المختلفة تؤثر على خواص المادة بدرجات متفاوتة ، خاصة إذا ما تعرضت لها لفترات طويلة ، وهو ما يطلق عليه اسم « الإتلاف الإشعاعى » Radiation damage .

(٤) الأنجستروم يساوى : واحداً على عشرة آلاف مليون من المتر ، أو 10^{-10} متراً .

الأجيال الجديدة

القوة الذرية » Atomic Force microscope (AFM) الذى استمدت فكرته من « مجهر المسح النفقى » ، على أن يتم نقل حركة إبرته الماسية إلى نابض موصول بمجسّ ، وكأنه أشبه ما يكون بجهاز الحاكى (الجرامافون) المصغَّر : وقد حقق العلماء بهذا المجهر نجاحاً مبدئيا يتمثل في تصوير الجزيئات المفردة للأحماض الأمينية والبروتونات .

ويسعى أهل الاختصاص الآن إلى تطوير هذه التقنية للاستفادة منها قريبا في مراقبة ومتابعة التفاعلات البيوكيميائية أثناء حدوثها ، وفي رؤية البنيات الداخلية للخلايا .

(حـ) أجيال المقاريب (التلسكوبات) :

المقراب (التلسكوب) هو جهاز النظر إلى الأجسام البعيدة وتكبيرها ، ويتكون في أبسط صوره من عدسة شيئية كبيرة تجمع أكبر قدر ممكن من الضوء الصادر عن الجسم المراد رصده ، وعدسة عينية للنظر من خلالها إلى الصورة المكبرة للجسم .

وعندما واجه الباحثون صعوبات بالغة في عمل عدسات كبيرة كاملة وخالية من العيوب ، لجأوا إلى استحداث مقاريب انعكاس فلكية تستخدم مرآة مقعرة مكان العدسة الشيئية ، وتقاس قدرة مقاريب الانكسار أو الانعكاس الفلكية بأقطار عدساتها أو مراياها .

ويمكن تصوُّر مدى التقدم الهائل الذى طرأ على أجهزة البصريات الفلكية من خلال تتبعنا لتاريخ أجيال المقاريب التى نذكر من أهم أنواعها :

١ ـ **المقاريب الضوئية الأرضية** ، وكان العالم الإيطالى « جاليليو جاليلى » هو أول من استخدم أبسط أنواعها المعروف باسمه في عام ١٩٠٦ م ، وبالرغم من ضآلة درجة تكبير مقراب جاليليو التى كانت تزيد على مقدرة تمييز العين البشرية عشرين ضعفا فقط ، إلا أنه مكّنها حينذاك من رؤية أوجه كوكب الزهرة ، والأطواق المحيطة بكوكب زحل ، والأقمار المنيرة حول كوكب المشترى ، وجبال قمر الأرض ووهاده ، والنجوم الكثيرة في درب التبانة .

وقد تلا ذلك تطور تدريجى في كفاءة المقاريب ، وكثر استخدامها في المراصد المنتشرة في مختلف البلدان ، فكان مقراب مرصد « هيل » Hale في قبة « آرت ديكو » Art Deco ، على سبيل المثال ، يعتمد على حاسبات ميكانيكية ، ويحتوى على ٣٦ آلية للروافع ، يتألف كل منها من عدة مئات من الأجزاء المتحركة تعمل كدعامات للمرآة ، أما اليوم ، فيعتبر المرصد المقام على جبل القوقاز بالاتحاد السوفيتي بالقرب من البحر الأسود من أقوى المراصد ، حيث يبلغ قطر مرآته ٦٠٠ سم . ويناظره في أمريكا ذلك المقراب العملاق القابع فوق جبل « بالومار » منذ عام ١٩٤٨ ، حيث يبلغ قطر مرآته ٥٠٠ سم ، وأمكن بواسطته الكشف عن أجسام يقل ضياؤها مليون مرة عن تلك التى أمكن لجاليليو أن يراها .

ويغلب أن تقام المقاريب الضوئية الكبيرة في أماكن مرتفعة ، أو على قمم الجبال للتقليل من تأثير الغلاف الجوى الذى يمتص جزءاً كبيراً من موجات الضوء ويحول دون تمييز الأجسام البعيدة أو الصغيرة بوضوح .

٢ ـ **المقاريب الضوئية الفضائية** التى بدأ استخدامها بنجاح بعد تقدم أبحاث الفضاء خلال العقدين الأخيرين لتعمل فوق متن المعامل الفضائية ، فقد حمل معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » أول مقراب فلكى معلق في الفضاء لالتقاط صور الشمس والنجوم والمذنبات من مدار عال على ارتفاع ٤٣٥ كيلومترا ، دون أي تعويق من الغلاف الجوى للأرض أو من السحب

المحيطة بها ، وسوف يشهد هذا العقد الأخير من القرن العشرين إطلاق « تلسكوب هابل الفضائي »[٥] Hubble space telescope من فوق متن المكوك الأمريكي ، لكى يسبح لسنوات طويلة في مدار ثابت حول الأرض ، وعلى ارتفاع يزيد على ٦٠٠ كيلو متر حتى يتجنب كل الآثار السيئة لجو الأرض ، ويتحرر من كل العوائق التى تعوق عمل المقاريب الأرضية .

وسوف يعمل « مقراب هابل » بواسطة أشعة الضوء المرئي ، كما سيعمل بالأشعة فوق البنفسجية ودون الحمراء ، ومن المتوقع أن يصل مجال رؤيته إلى نحو ١٤ ألف مليون سنة ضوئية ، وهذا يعنى إمكانية رؤية بعض الأجرام السماوية بحالتها التى كانت عليها منذ مدة تبلغ أكثر من ثلثى العمر المقدر للكون على وجه التقريب ، ويأمل العلماء من خلال تدفق سيل المعلومات الجديدة عبر هذا المقراب أن يعرفوا المزيد عن مستقبل الكون وماضيه في الزمن البعيد ، كأن يستدلوا على الطريقة التى نشأ بها الكون ، أو يتمكنوا من دراسة المناطق التى تشغلها بقايا النجوم المنفجرة المعروفة باسم « السوبر نوفا » . وربما يساعد كل ذلك على اكتشاف وجود كواكب سيارة حول بعض النجوم ، وقد تكون هذه خطوة أولى في مجال الإجابة عن سؤال :

هل نحن وحدنا في هذا الكون ؟![٦] .

٣ - المقاريب الإشعاعية (الراديوية) **Radio telescopes** التى تعمل في مدى أمواج الطيف الكهرومغناطيسى غير المنظورة[٧] . وقد لجأ إليها العلماء بعدما تبيَّن لهم أن ما يرونه بواسطة المقاريب الضوئية لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من مادة هذا الكون التى تكون محماة لدرجة الابيضاض حتى تظهر مضيئة ويصدر عنها ضوء قوى ، كما هى الحال بالنسبة للشموس والأجرام المتوهجة والأقمار المنيرة الساطعة .

أما أغلب مادة الكون فهى تسبح في الفضاء على هيئة مادة معتمة لا ينبعث منها أي ضوء ، أو على هيئة أجرام باردة أو نجوم أقل توهجا ، لا يمكن استقبال اشعاعاتها بالعين المجردة أو بالمقاريب الضوئية المعتادة .

لهذا استخدمت الاشعاعات غير المرئية ، مثل الأشعة السينية والأشعة تحت الحمراء وأشعة جاما وموجات الراديو ، في رصد الأجرام السماوية ، واقيمت لها أنواع خاصة من المراصد الفضائية التى ساعدت على جمع قدر كبير من المعلومات الهامة عن الانفجارات النووية والسحب الكونية التى تقع بين النجوم .

وبالنسبة لموجات « الراديو » التى تستطيع أن تخترق جو الأرض دون تغير يذكر فقد تزايد استخدامها في المقاريب الراديوية لرصد أعماق الفضاء ، وساعد هذا النوع من المراصد الراديوية على تقدم علم الفلك الإشعاعى واكتشاف عالم جديد في أغوار الكون لم يكن معروفا للإنسان حتى عهد قريب ، قوامه نبضات

←

---

(٥) اطلقت هذه التسمية تكريما لعالم الفلك الأمريكي الشهير « إدوين هابل » Edwin Hubble وقد تأجل إطلاق هذا المقراب لعدة سنوات بسبب حادثة انفجار مكوك الفضاء الأمريكي « تشالنجر » عام ١٩٨٦ .

(٦) انظر : د . أحمد مدحت إسلام ، « هل نحن وحدنا في هذا الكون » ؟ مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٠ .

(٧) نعلم أن الطيف الكهرو مغناطيسى Electromagnetic Spectrum يتكون من إشعاعات أخرى يستقبلها سطح الأرض خلاف أشعة الضوء المرئي ، مثل موجات الراديو والأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية والأشعة السينية وأشعة جاما ، ويقع الاختلاف بين كل هذه الأنواع من الإشعاعات في طول موجاتها ، وتعتبر موجات الراديو من اطولها .

راديوية شمسية أو كوكبية ، ونجوم نابضة Pulsars كان العلم قد تنبأ بها نظريا في أول الأمر ، وأشباه نجوم Quasars ومجرات وغيوم عملاقة من الجزيئات .

كذلك تم اكتشاف مجموعة من النجوم الثنائية التى يبدو أحدها كثقب أو فجوة سوداء لأن كثافته تكون عالية جداً لدرجة أن جاذبيته تعمل على إعادة الضوء الصادر منه إليه ولا تسمح لأشعته الضوئية بالهروب منه على الإطلاق .

ولا تقتصر أهمية الموجات الراديوية Radio waves على أنها تكشف عن عالم جديد من الظواهر الفلكية فحسب ، بل إنها تتميز بمقاومتها لأى تشوّه ينتج عن اضطرابات الغلاف الجوى أو العيوب الصغيرة في المقراب لكونها أطول بكثير من الموجات الضوئية .

وقد لجأ العلماء حديثا إلى استخدام وسائل مبتكرة لتطوير هذا الجيل الجديد من المقاريب ، وذلك عن طريق زيادة مدى التقاط موجات الراديو بمساعدة مجموعة من الهوائيات التى تشبه الصحون ، يبعد كل منها عن الآخر عدّة كيلومترات ، وتستخدم معا في تجميع موجات الراديو القادمة من الفضاء مهما كانت ضآلتها . ويستعان بحاسبات الكترونية متقدمة لتنسيق العمل بين كل هذه الهوائيات واستقبال المعلومات الواردة منها في محطة مركزية .

ويجرى حاليا في أمريكا تصميم مقراب راديوى على شكل شبكة تتكون من عشرات الهوائيات ، وتتوزع على مساحة هائلة يبلغ قطرها نحو ثمانية آلاف كيلومتر ، أى ما يزيد على نصف قطر الكرة الأرضية ، وستبلغ قدرة تمييز هذا المقراب قدراً أفضل ألف مرة من قدرة تمييز أضخم المقاريب الضوئية الأرضية التقليدية .

وينتظر لهذا المرصد الفلكى ، الذى أوشك بناؤه الآن على الانتهاء مع أوائل العقد الأخير من القرن الحالى ، أن يمكن العلماء من الحصول على صور واضحة لقلوب الكوازارات ونوى المجرات ، وأن يبين تفاصيل العمليات الدافعة لها والتى يعتقد بأنها تستمد طاقتها من الثقوب السوداء .

من ناحية أخرى ، يخطط الآن علماء الفلك في الاتحاد السوفيتى لإطلاق عدد من المقاريب العملاقة إلى الفضاء عن طريق استخدام صواريخ « إنيرجيا » القوية جداً ، وسوف تكون هذه المقاريب ضوئية وراديوية بأحجام أضخم بكثير من كل ما عرف منها على سطح الأرض حتى اليوم ، ويتوقع أن يحدث اتصال بين هذه المقاريب لتشكل مركز مراقبة هائلا على بعد هائل من الأرض .

٤ ـ مراصد الموجات الجاذبية : وهى أحدث أنواع المراصد التى تم بالفعل بناء واختبار نماذج أولية لها تعتمد على مقاييس تداخل ضوئى ليزرية لكشف نوع جديد من الموجات يطلق عليه اسم الموجات الجاذبية(٨) Gravitational waves ، ومن المتوقع لمراصد هذا الجيل المزمع إنشاء بعض أنواعها قبل حلول القرن الحادى والعشرين أن تعطينا معلومات جديدة عن مصادر هذه الموجات في مختلف أرجاء الكون .

وأن تتيح لنا ولأول مرة رؤية واضحة للعمليات التى لا نراها اليوم باستخدام الموجات الكهرومغناطيسية إلا لماما .

---

(٨) هذا النوع من الموجات تنبأت به نظرية النسبية العامة لأينشتين ، حيث تعتبر الكرة الأرضية ـ طبقا لهذه النظرية ـ مغمورة على الدوام بالطاقة القادمة إليها من التفاعلات الجاذبية المتبادلة بين النجوم الثنائية ، وتنتشر الطاقة المتحررة نتيجة الاضطرابات الكونية ، كانفجار أحد النجوم ، بموجب هذه النظرية نحو الخارج بسرعة الضوء على شكل موجات جاذبية . وتسبب حركة هذه الموجات تشوّها في شكل مناطق الفضاء الذى تخترقه ، ويمكن من حيث المبدأ الكشف عن هذه الموجات إذا ما أتت من أجرام سماوية نائية ذات كتل أضخم من الشمس وكانت تتحرك بسرعات تقارب سرعة الضوء .

المخدرات والمسكرات

وأضرارها على المجتمعات

كيميائى
منير عبد الفتاح عبد الحميد

الحمد لله الذى أحل لنا الطيبات لما فيها من المنافع والمصالح وحرم علينا الخبائث لما اشتملت عليه من المضار والمفاسد فقال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف آية (١٥٧) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر قال العلماء : المفتر ما يورث الفتور وتخدير الأطراف ، وذلك التخدير والنهى إنما هو لحرص الإسلام على عدم الإضرار بالنفس أو بالغير أو بالمجتمع فهل تسبب المخدرات وتوابعها أو المسكرات وأنواعها هذه الأنواع الثلاثة من الأضرار ؟ سنحاول بعون الله تعالى أن نجيب عن ذلك فى هذا المقال .

المخدرات النباتية :

١ - الأفيون والخشخاش :

يستخرج الأفيون من نبات الخشخاش المعروف فى بلاد فارس ومصر وآسيا الوسطى .

وكان الكيميائيون وعلى رأسهم «سيجان» المرافق لجيش نابليون أول من اكتشف المورفين فى الأفيون . ثم استعمل بعد ذلك حقنا تحت الجلد فى أواسط القرن التاسع عشر كمسكن ثم تحول من مسكن إلى مادة تؤدى إلى النشوة ثم الإدمان .

ويستخرج من الأفيون الخام ما لا يقل عن ٢٥ مركبا من القلويدات (alcaloids) منها المورفين والكودايين والناركوتين وجميعها مخدرة .

٢ - القنب الهندى والحشيش :

نبات نشأ فى آسيا الوسطى ثم انتشر بعد ذلك فى البلاد الأخرى وصدر من الهند إلى الشرق

الأوسط (إيران - تركيا - مصر .. الخ) وتمت الدراسات الأولية على هذا النبات أثناء حملة نابليون على مصر من قبل علماء أمثال سيلفستر د . ساسى وروبيه بينما كان ينقل إلى البعض لتحليله ويعرف الآن أكثر من (٣٥٠) اسما مختلفا فى العالم والمركب الفعال فى كل هذه الأشكال هو رابع هيدروكانا بينول (T.H.C) وإذا ما استخرج صافيا من النبات ، فإنه يتمتع بخاصية شبيهة بخواص الـ (L.S.D) الموجود فى (المهلوسات)(١) .

٣ - المهلوسات :

تنبت فى أمريكا الوسطى والجنوبية وهذه النباتات لها خواص مهلوسة ومن أشهرها الميسكالين وهو مستخلص من نبات ينمو فى المكسيك يدعى البيوتل (Peyotl) وكذلك البسيلوسيبين Psilocybine المستخرج من بعض الفطريات المكسيكية مثل فطر البسيلوسيب المكسيكى ومنها أيضاً الـ (L.S.D. 25) المستخرج من عدد من الفطريات النباتية كمهماز الشيلم (الجوادر) .

وقد عرفت المهلوسات فى أحد مؤتمرات الطب النفسى بأنها : مركبات تؤدى إلى اضطراب النشاط العقلى ، وإلى الاسترخاء العام ، وإلى تشوش فى الحكم على الأشياء ، وهى مولدة للأوهام وانفصام الشخصية والقلق الشديد .

المخدرات الصناعية :

تم بعد ذلك معرفة التركيب الكيميائى لهذه الأصناف المختلفة من المخدرات النباتية وأمكن تحضيرها معمليا (صناعيا) وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية بالتحديد قامت الصناعة الدوائية بتحضير مركبات صناعية للتخدير ، وهى تحضر من مخلفات القطران الفحمى ومن مشتقات البترول .

أول ما حُضِّرَ فى هذا المضمار ، مركبات لها تأثير مشابه للأفيونيات الطبيعية وهذه المركبات مثل البتيدين (Pethidine) الذى يباع بأسماء تجارية مختلفة كالدولوزال أو الدولانتين أو الديميرول ويستعمل أساسا كمضاد للتشنج ، ومسكن للآلام ومشابه لفعل المورفين ومثل الميتادون (Methadone) والأوكسى كودون Oxy codone .

بقى المورفين إلى فترة طويلة المركب الأساسى المستعمل للمداواة ، ثم حل محله مع الزمن أحد مشتقاته الصناعية الهامة وهو الهيروين (Heroine) الذى يسمى علميا ثانى استيل مورفين (Diacetyl morphine) ويدخل هذا المركب إلى البدن بكل الطرق الدوائية المعتادة : كالأنف والفم ومخاطية الجلد ، كما يمتاز بسهولة الاستعمال والقدرة الهائلة على السيطرة على المريض ، وهو أكبر فعالية من المورفين بخمس مرات .

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من الأدوية المنتشرة فى أسواق المداواة العالمية والتى طرحت للمعالجة على أنها سليمة تماما ولا تسبب الإدمان - تبين من خلال التجارب العلمية والإحصائية فى أقطار مختلفة أنها مركبات تقود إلى الإدمان والسيطرة على المريض .

وقد درس ديروبر (Derober) الإدمان على مركبات البيتيدين ، ولوحظ أنه مشابه تماما

(١) من معانى الفعل هلس - بابه ضرب ؛ قال الجوهرى : رجل مهلوس العقل أى مسلوبه ورجل مهتلس العقل : ذاهبه . ا هـ لسان وليس فى المادة الفصيحة : هَلْوَسَ ، ويطلقها العامة ويريدون بها المعنى الفصيح .

للإدمان على الأفيونيات : كالنحول الذى يمكن أن يستمر حتى جفاف الجلد . وكذلك فإن الحقن ينجم عنها ليس فقط حالة من النشوة ، بل يترافق ذلك بحالة هيجان عرضى يتجدد بتكرار الحقن . لذلك وضعت القوانين والضوابط التى تحكم صرف هذه الأدوية للعلاج فى أضيق الحدود ، ومع ذلك فهى لا تزال تحمل تأثيرها الضار والفتاك على المريض ، وأقل ما يقال فى شأنها أنها تؤدى إلى الإدمان ، ونتمنى أن يأتى اليوم الذى يجتهد فيه العلماء المسلمون (فى الصيدلة والكيمياء) لإيجاد أدوية لا تحتوى على أى مادة مخدرة ، فإن الله تعالى لم يجعل فيما حرم علينا دواء(٢) .

كيف يبدأ الشخص استعمال الحشيش أو المخدر :

كثير من الأشخاص يستعملون المخدر نتيجة لغوايات قرناء السوء فبداية تعاطيه تكون غالباً تحت وطأة الضغط الذى يزاوله الرفقاء لكى يصبحوا (أعضاء جماعة واحدة) ولكن لابد أن يعلم الشباب وغيرهم أن مغبة هذا الأمر خطيرة فى الدنيا والآخرة وعندما يدخن الشخص الحشيش أو المخدر فإن المادة الفعالة فيه تمتصها معظم أنسجة الجسم وأعضاؤه .

وتوجد فى الأنسجة المختزنة ، ذلك لأن الجسم فى محاولته للتخلص من هذه المادة الكيميائية (الفعالة) يحولها إلى مواد دهنية أو مواد مختزنة . وقد أظهرت نتائج (تحليل البول) وجود هذه المواد فيه وذلك لفترة استمرت حوالى سبعة أيام بعد تدخين الحشيش كذلك أظهرت (الاختبارات الإشعاعية) وجود هذه المواد فى بول حيوانات التجارب لمدة تصل إلى شهر وهذا يعنى أن الجسم لا يتخلص منه بسهولة لأنه يتحول إلى دهنيات .

الأعراض والأطوار المختلفة التى يمر بها المدمن

المراحل	الأعراض		
	الأفيونيات	الحشيش	المهلوسات
المرحلة الأولى :	١ ـ التثاؤب . ٢ ـ التعرق . ٣ ـ سيلان الدمع . ٤ ـ السيلان الأنفى .	١ ـ طور النشوة المنبه : بعد ساعة أو ساعتين من تناول العقار يبدأ المرء بالإحساس بارتقاء نفسى وجسمى وسرور داخلى وفرح ذاتى لا يمكن تحديده .	تبدأ الأعراض بالشعور بالسعادة والفرح والضحك بدون سبب واضح . وازدياد فى النشاط العقلى .
المرحلة الثانية :	تفاقم الأعراض السابقة بالإضافة إلى : ١ ـ توسع حدقة العين .	٢ ـ مرحلة الهيجان العاطفية وفقدان الاتزان . يصبح المرء مرهف الإحساس والشعور وأقل	تسبب المهلوسات بعد ذلك أعراضا تنقل الشخص إلى طور تتخرب فيه الإدراكات وتضطرب فيه القدرات

(٢) عن أم سلمة عن النبى ﷺ قال : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » أخرجه البيهقى وصححه ابن حبان ، وأخرجه أحمد وذكره البخارى تعليقا على ابن مسعود .

المراحل	الأعراض		
	الأفيونات	الحشيش	المهلوسات
	٢ ـ قشعريرة فى الجلد . ٣ ـ نفضات عضلية . ٤ ـ آلام عظمية . ٥ ـ فقدان الشهية .	حركة بجانبه يقابلها طنين هائل ويتطور الأمر فيشعر المتعاطى أنه يعيش فى عالم واسع من الخيال والأحلام وتختلف المقاييس لديه فلا يعرف الأطوال والأبعاد والعرض .	العاطفية والعقلية والسلوكية .
المرحلة الثالثة :	إضافة إلى الأعراض السابقة : ١ ـ الأرق . ٢ ـ التوتر الشريانى وزيادة ضربات القلب . ٣ ـ تأخر وانهيار فى الصحة العامة . ٤ ـ غثيان .	٣ ـ مرحلة النشوة العظمى (مرحلة الكيف) : تستمر معه الخيالات والأوهام ثم يشعر المرء بالعجز العميق بحيث لا يقوى أن يبرى قلما أو يتناول كوبا من الماء وغالبا ما يصاب فى هذه المرحلة بانفصام فى الشخصية .	الشعور بأن أعضاءه مفككة الأوصال وينعدم الانفعال ويصاب باللامبالاة ويترافق معها غثيان ـ تجشؤ ـ شحوب الوجه ـ تعرق ـ توسع حدقة العين ثم الاختلال العقلى فالانحطاط فالانتحار أو انفصام الشخصية .
المرحلة الرابعة :	تفاقم الأعراض السابقة بالإضافة إلى : ١ ـ تلون رصاصى . ٢ ـ جلسة الكلب المتوفز (الاقعاء) . ٣ ـ اقياءات متكررة . ٤ ـ فقدان الوزن ٢ كجم/اليوم . ٥ ـ قصور كلوى وظيفى . ٦ ـ قذف منوى أنى أو عِنَّة . ٧ ـ ابيضاض الدم (زيادة كرات الدم البيضاء) . ٨ ـ زيادة سكر الدم .	٤ ـ مرحلة الانحطاط والنوم واليقظة . تنزل على المدمن سكينة من النوم ولا يستيقظ إلا فى اليوم التالى مصابا بالدهشة قليلاً . ـ القهر والإذعان وانحطاط الفرد فى المجتمع . ـ غالبا ما تؤدى إلى إدمان الهيروين .	

ويمكن إضافة مرحلة أخيرة لجميع أنواع المخدرات وهى (مرحلة الاستعباد) وهى التى يستغرق فيها المصاب ، ويذعن إلى سلطة العقار كليا من الناحية البدنية والنفسية والعصبية ، بحيث يصبح بالنسبة إليه حاجة مستمرة قد يؤدى فقدانها إلى نتائج وخيمة : كالاسترخاء البدنى التام والميوعة الخلقية والنفسية والجرائم التى يلجأ إليها المدمن (أو المستعبد) لجلب المال حتى وإن أدى الأمر إلى قتل النفس .

آفات المخدرات :

يشترك جميع المدمنين تقريباً فى الأضرار البدنية التى تلحق بهم ويمكن أن نلخص معظمها فى الآتى :

١ ـ العينان :

ارتعاش واهتزاز (يظهر بوضوح فى حالة الهيروين) ـ اصفرار الملتحمة ناجم عن التهاب الكبد ـ انقباض الحدقة (يظهر بوضوح فى الأفيونيات) ، أو اتساع الحدقة (ينجم عن وجود L.S.D أو الحشيش أو الأتروبين وغيرها) .

٢ ـ الأذنان :

طنين يتفاوت فى شدته تبعا لنوع المخدر .

٣ ـ الأنف :

انثقاب الحجاب الأنفى (يظهر بوضوح فى حالة تعاطى الكوكايين) .

٤ ـ الفم :

الأسنان بحالة سيئة أو مفقودة مع صعوبة فى المضغ أحياناً .

٥ ـ العنق :

إصابة الوريد الوداجى بندبات اصطباغية ـ اضطراب الغدة الدرقية فى وظائفها .

٦ ـ القلب :

التهاب شغاف القلب (غالبا) ـ إصابة صمامات القلب (نصف الحالات تقريباً) ـ قصور الشريان الأبهر ـ ارتفاع الضغط الرئوى ـ قصور القلب الأيمن والأيسر ـ اضطراب النظم القلبى .

٧ ـ الرئتان :

ارتفاع الضغط الرئوى ـ الالتهاب الرئوى ـ الربو .

٨ ـ الجهاز البولى التناسلى :

قصور كلوى ـ التهاب الكبد الكلوية المزمن ـ آلام فى الحالبين مشابهة للنوبات الحصوية ـ عجز جنسى ، عقم ، قذف مبكر (للرجل) ـ نقص الشهوة (للمرأة) ـ انتشار البغاء والزنى ـ بواسير ـ اللواط .

٩ ـ الكبد والطحال والبنكرياس :

التهاب الكبد الوبائى ـ اضطراب وظائف الكبد ـ آفات الكبد (الموت فى أقل من ٣ سنوات) ـ تضخم الكبد (١٥ سم) ـ تضخم الطحال ـ التهاب البنكرياس المزمن .

١٠ ـ الاضطرابات العصبية :

الالتهاب السحائى ـ التهاب الدماغ ـ نوبات صرعية ـ نوبات صرعية لدى أطفال الأمهات المدمنات .

١١ ـ النقص المكتسب فى مناعة الجسم :

وهو ما يعرف (بالإيدز) وفى طليعة المصابين بهذا الداء الشواذ جنسيا (وغالبا ما يكونون مدمنين) يليهم المدمنون .

المشروبات الكحولية :

تشتمل المشروبات الكحولية جميعها على مركب كيميائى هو الايثانول أو الكحول الايثيلى ورمزه الكيميائى هو (ك٢ يده ١ يد C_2H_5OH) وإذا كان نقيا فهو سائل عديم اللون ، طيار وذو رائحة خفيفة ، طعمه حارق وشديد ، يهيأ عادة من تخمير وتقطير العصارات السكرية الطبيعية كالثمار والحبوب والخضار والنباتات السكرية أو النشوية .ويدخل الكحول فى تركيب ثلاث مجموعات متميزة من المشروبات وهى :

١ ـ البيرة (تحتوى على ٦٪ كحول .

٢ ـ الخمور (١٢٪ ـ ٢١٪ كحول) .

٣ ـ المشروبات الروحية (٤٠٪ كحول) .

المخدرات والمسكرات

ولا تحتوى هذه المشروبات على أى أثر من الفيتامينات أو المعادن أو البروتينات . بل تعتبر مركبات سامة ، وتستحق المشروبات الكحولية بلا منازع أن تتصدر قائمة العقاقير المخدرة الخطيرة فهى مواد معروفة منذ القدم ومنتشرة فى أرجاء الأرض وأنواعها لا حصر لها ، وحوالى ٨٠٪ من أفراد الشعوب الغربية تأتلف حياتها اليومية على هذه المشروبات . وتستحق الصدارة أيضاً لما تسببه من أضرار اجتماعية فهى مسئولة عن أعداد هائلة من حالات الوفيات ، كما ينسب إليها ما يزيد على نصف وفيات حوادث الطرق فى العالم ، وما يزيد على نصف الحوادث الإجرامية المضبوطة من قبل السلطات وترتبط بها غالبية حوادث الاعتداء والاغتصاب .

وتسبب المشروبات الكحولية وادمانها تموت فى الخلايا الدماغية والعصبية وإصابة الغدد الدماغية وأمراض القلب وأمـراض المعدة كالقرحة ، وتعطل المشروبات الكحولية الوظائف الكبدية وتمنع تخزين السكريات والفيتامينات الضرورية للبدن .

وتصيب الجهاز التناسلى بالعجز ، وتصيب الأطراف بالارتعاش ، وتصيب الأوعية الدموية والمفاصل والأعصاب وفى النهاية يؤدى الإدمان إلى داء يسمى (داء العَلَـة) أو الكحول (Alcoolisme) وهو داء مزمن يفقد فيه المريض السيطرة على استهلاك هذا المشروب .

أعراض هذا الداء هى ضعف الذاكرة ، والإفراط والانهماك فى السكر ، والإحساس بالذنب وتَشَمُّع الكبد والاختلالات السلوكية : كالاضطرابات العائلية ، والصعوبات المالية ، وفقدان العمل أو الوظيفة والانحراف وحوادث الطرق .

مما سبق تتضح بجلاء خطورة المخدرات والكحوليات على البدن وعلى المجتمع وبين الأفراد بعضهم بعضا . وفى إحدى الندوات التى تعقد فى مصر عن مشكلة المخدرات أوضح الدكتور حمدى السيد أنه «حتى عام ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ كانت مشكلة تهريب المخدرات مشكلة اقتصادية بالدرجة الأولى فى مصر إذ تهرب أموالنا للخارج لجلب المخدرات .. وأضاف أن عدد المدمنين من الشباب يتزايد وقد بلغ عشرين ألف شاب (على أقل تقدير) وهم فى حالة استعداد دائم للإجرام وأصبح لدينا الآن أصناف من الجريمة جديدة تماما على هذا المجتمع ، منها : الاغتصاب ، وخلفية هذه الجرائم ترجع إلى المخدرات » .

ونود فى هذه المقالة أن نلفت النظر إلى أن الانجليز قد تمكنوا من السيطرة الكاملة على الصين أيام الاحتلال ـ برغم ضخامة الصين حجما وبشرا ـ وذلك لأنها زرعت الأفيون وأدمنه الصينيون ووصل الأمر إلى أن الأب كان يبيع بناته ليشترى بالثمن جرعات أفيون .

وأحدث ذلك انهياراً سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ولم ينج الصين من هذه الكارثة إلا بعد أن شنت الحرب على المدمنين والجالبين عام ١٩٤٩ وطبقت عليهم أحكام الإعدام .

وهاهو الاتحاد السوفيتى يكتشف أن الخمور ضارة تماما مثل المخدرات وتعزى إليها الكثير من الحوادث والجرائم ، وتؤثر على عجلة الإنتاج بطريقة ملحوظة وأن الشعب كله أصبح من السكارى فصدر قرار رئيس الحزب ميخائيل جورباتشوف فى عام ٨٤/٨٥ بحظر بيع الخمور أو فتح المحال فى النهار ، وتم رفع ثمنها إلى أضعاف مضاعفة ،

البقية ص ٢٢٩

من قضايا الاختزال

فى كلام العرب

(٥)

للأستاذ : عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

حذف المفعول به عند البلاغيين :

اهتم « عبدالقاهر الجرجانى » بحذف «المفعول به» ، وقد بين فى مقدمة حديثه عن ذلك(٢٤) أصلا مهما ـ فيما يبدو لى ـ وهو : أن حاجة الفعل إلى المفعول به الذى يتعدى إليه كحاجته إلى الفاعل ، فإذا قلت : ضرب زيد ، فأسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له ، لا أن تفيد وجود الضرب فى نفسه على الإطلاق ، كذلك إذا عديت الفعل إلى المفعول فقلت : ضرب زيد عمرا ، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثانى ووقوعه عليه ، فقد اجتمع «الفاعل» و «المفعول به» فى أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم المعنى الذى اشتق منه بهما ، فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب فى المفعول به ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب فى نفسه ، بل إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده فى الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول .. فالعبارة فيه أن يقال : كان ضرب ، أو وقع أو وجد ضرب ، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد فى الشىء ومن خلال ما سبق يتضح ما يلى :

١ ـ عمل الرفع فى الفاعل للإشعار بأن الحدث كان منه ، وعمل الفعل النصب فى المفعول به لإفادة وقوع الحدث عليه .

٢ ـ تعلق الفعل المتعدى بالمفعول به كتعلقه بالفاعل من حيث احتياجه إلى كل منهما .

٣ ـ إذا أريد إثبات لشىء دون تعرض للفاعل أو المفعول يُصَاغُ التركيب صياغَةً تختلف عن صياغته التى تُفيد تعلق الفعل بالفاعل أو المفعول به .

وبعد هذا التمهيد للموضوع ينتقل الجرجانى للأفعال المتعدية التى حذف مفعولها مبينا أسرار ذلك فيقول : « اعلم أن أغراض الناس تختلف فى ذكر الأفعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين ، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى فى أنك لا ترى له مفعولا لَافَظاً ولا تَقْدِيرا »(٢٥) .

←

(٢٤) انظر دلائل الإعجاز ص ١١٨ دار الفكر ١٩٧٨ .

(٢٥) المرجع السابق ص ١١٨ ، ١١٩ .

من قضايا الاختزال

ثم قدم «الجرجانى» الأمثلة على ذلك قائلا : ومثال ذلك قول الناس : فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ، ويضر وينفع ، وكقولهم : هو يعطى ويجزل ، ويقرى ويضيف ، المعنى فى جميع ذلك على إثبات المعنى فى نفسه للشىء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت : صار إليه الحل والعقد والأمر والنهى ، والضر والنفع ، ومن ذلك فى أسلوب القرآن قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ٩) فالمعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم ٤٣ ، ٤٤) ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾ (النجم ٤٨) .

ثم يوازن «الجرجانى» بين نمطين تعبيريين ، الأول : هو يعطى ، والثانى : هو يعطى الدنانير .

فدلالة الأول : إثبات الإعطاء للفاعل فقط ، دون تعرض للمفعول به ، ودلالة الثانى : القصد إلى إعلام السامع أن الدنانير داخلة فى عطائه أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها أى أن الهدف بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء فى نفسه ، ولم يكن كلامك مع من نفى أن يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه ، بل مع من أثبت له إعطاء إلا أنه لم يثبت إعطاء الدنانير ونلحظ فى عمل «الجرجانى» ـ هنا ـ ما يلى :

١ ـ الموازنة بين دلالة الفعل حين يعدى إلى المفعول به ، وحين يُعْدل عن تعديته .

٢ ـ إظهار المقام الذى يقال فيه كل من الصياغتين (هو يعطى ، هو يعطى الدنانير) ويبين «الجرجانى»[٢٦] أن هناك أفعالاً متعدية مفعولها معلوم مقصود إلا أنه يحذف من اللفظ لدلالة الحال عليه ، ومن أمثلة ذلك قولهم : اصغيت إليه وهم يريدون «أذنى» ، وأغضيت عليه والمعنى : جفنى ، فالمفعول معلوم ، لكنه حذف اعتمادا على دلالة الحال والمقام عليه .

وقد يكون المفعول معلوما من سياق الحال أو المقام إلا أن صائغ العبارة ينسيه نفسه ، ويتعمد اخفاءه هادفا إلى معنى يقصد إليه ، ومن أمثلة ذلك قول البحترى :

شجو حساده وغيظ عداه
أن يرى مبصر ويسمع واع

يقول «الجرجانى» فى دلالة الاعجاز[٢٧] : « المعنى لا محالة : أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره وأوصافه » ، فالمفعول معلوم ، ولكن الشاعر سرق علم ذلك من نفسه ودفع صورته عن وهمه قاصدا إلى معنى وغرض خاص وهو : أن ما يشجى الحساد ويغيظ الأعداء أن يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها ، وأذن كى يعى معها حتى أنهم يتمنون الا يكون هناك من له عين أو أذن ، وبذلك تختفى محاسنه التى ترشحه للإمامة والزعامة ، فيجد هؤلاء الحساد سبيلاً إلى منازعته إياها[٢٨] .

ويكشف «عبد القاهر الجرجانى» عن أن التركيب يختزل فيه المفعول به المعلوم لأن ذكره والتصريح به قد يوهم غير المراد ، ومن أمثلة ذلك قول «عمرو بن معدى كرب» :

فلو أن قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

فالفعل « أجرت» متعد ، ومعلوم أنه لو عداه

---

(٢٦) دلائل الإعجاز ص ١٢٠ .
(٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،) انظر دلائل الإعجاز ص ١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ بتصرف يسير .

لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم فيقول : ولكن الرماح أجرتنى ، لأنه لا يتصور أن يكون ههنا شىء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول : فلو أن قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت غيرى ، ولكن المعنى - فى نظر الجرجانى - يلزمك الا تنطق بهذا المفعول ، ولا تخرجه إلى لفظك ، والسبب فى ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض ، وذلك أن الغرض هو : أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق ، ولو قال أجرتنى جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح إجرارا ، بل الذى عناه : أن يثبت أنها أجرته ، فلما كان فى تعديته ما يوهم ذلك ، وقف فلم يعد البتة ، ولم ينطق بالمفعول لتخلص العناية لإثبات الإجرار للرماح ، وتصحيح أنه كان منها ، وتسلم بكليتها لذلك[٢٩] .

وهكذا يقرر «عبدالقاهر» أن حذف المفعول به قد يكون الهدف منه هو : إثبات الفعل للفاعل فقط ، وقد يضم إلى ذلك الهدف شىء آخر ، ثم يعود إلى إظهار ذلك الأمر قائلاً : وإن أردت أن تزداد تبيينا لهذا الأصل ، أعنى وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب ، فانظر إلى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ . . . ﴾ (القصص ٢٣ ، ٢٤) .

ففيها حذف مفعول به فى أربعة مواضع إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم ومواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما ، وقالتا لا نسقى غنمنا فسقى لهما غنمهما ، ثم إنه لا يخفى على ذى بصر أنه ليس فى ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقا ، وما ذاك إلا أن الغرض فى أن يعلم أنه كان من الناس فى تلك الحال سقى ومن المرأتين ذود ، وأنهما قالتا لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء ، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقى ، فأما ما كان المسقى أغناما أم إبلاً فخارج عن الغرض وموهم خلافه ، وذاك أنه لو قيل : وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما ، جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود ... »[٣٠] .

وعند عبد القاهر الجرجانى يختزل المفعول به قصداً إلى «البيان بعد الإبهام» ليكون أوقع فى النفس ، ويتحقق ذلك فى حذف «مفعول فعل المشيئة» ، مثل قول الشاعر :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم
كرما ولم تهدم مآثر خالد

يقول « عبد القاهر » بعد هذا البيت[٣١] : الأصل لا محالة : لو شئت الا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته فى الثانى عليه ، ثم هو - الحذف - على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة ، وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب فى حكم البلاغة الا ينطق بالمحذوف ، ولا يظهر إلى اللفظ ، فليس يخفى عليك أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت : لو شئت الا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت إلى كلام غث ، وإلى شىء يمجه

←

(٣٠) انظر دلائل الإعجاز ص ١٢٤ بتصرف يسير .

(٣١) المرجع السابق ص ١٢٦ .

من قضايا الاختزال

السمع وتعافه النفس ، وذلك أن فى «البيان بعد الإبهام» وبعد التحريك ، التحريك له أبداً لطفا ونبلاً لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ، ومجىء المشيئة بعد «لو» ، وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة إلى شىء كثير شائع كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ (الأنعام ٣٥) ، ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام ١٤٩) والتقدير فى ذلك كله : ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم ، ولو شاء أن يهديكم أجمعين لهداكم إلا أن البلاغة أن يجاء به كذلك محذوفا[٣٢] .

وقد يتفق فى بعضه ـ فعل المشيئة ـ أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن وذلك إذا كان المفعول شيئاً غريبا مثل قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وسبب حسن ذكر المفعول هنا : أنه من الغريب العجيب أن يشاء الإنسان أن يبكى دما ، فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره فى نفس السامع ويؤنسه به[٣٣] .

ويقول «ابن الأثير»[٣٤] : ولقد تكاثر هذا الحذف فى «شاء» و« أراد » حتى أنهم لا يكادون يبرزون المفعول إلا فى الشىء المستغرب كقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الزمر ٤) .

ومن حذف المفعول المعلوم قول الشاعر «البحترى» :

إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت
فهجرانها يبلى ولقيانها يشفى

يقول الجرجانى عقب ذلك البيت : قد علم أن المعنى : إذا بعدت عنى أبلتنى وإن قربت منى شفتنى ، إلا أنك تجد الشعر يأبى ذلك ويوجب إطراحه ، وذلك لأنه أراد أن يجعل «البلى» كأنه واجب فى بعادها أن يوجبه ويجلبه ، وكأنه كالطبيعة فيه ، وكذلك حال الشفاء مع القرب حتى كأنه قال : أتدرى ما بعادها ؟ هو الداء المضنى .

وماقربها ؟ هو الشفاء والبرء من كل داء ولا سبيل إلى هذه اللطيفة إلا بحذف المفعول البتة فاعرفه[٣٥] .

ومن دواعى اختزال المفعول بـه لدى البلاغيين[٣٦] :

□ استهجان ذكره ، كقول عائشة ـ رضى الله عنها : « ما رايت منه ولا راى منى » تعنى : العورة .

□ رعاية الفواصل كقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ اى وما قلاك اى ابغضك .

□ العلم به كقوله تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ (الكهف ٢) .

---

(٣٢) دلائل الإعجاز ص ١٢٦ .
(٣٣) دلائل الإعجاز ص ١٢٦ .
(٣٤) المثل السائر ٢/٢٠٧ .
(٣٥) دلائل الإعجاز ص ١٢٥ .
(٣٦) انظر علوم البلاغة ٨٩ .

أى لينذر العباد ، أو لينذركم ، أو لينذر الذين كفروا(٣٧) .

ومن خلال هذا العرض لدراسة ظاهرة «حذف المفعول به» عند النحاة والبلاغيين يبدو لى ما يلى :

□ أثار النحاة بعض ما قاله البلاغيون .

□ يختلف تناول البلاغيين لحذف المفعول به عن تناول النحويين ، وذلك واضح جلى من كلام عبد القاهر الجرجانى السابق .

□ يدرس الجرجانى هذه الظاهرة دراسة ذوقية جمالية وذلك عن طريق إظهار المعنى مع الحذف ، وإبراز فساد ذلك المعنى عند ذكر المفعول به .

□ يقرر الجرجانى أن «حذف المفعول» ليس لنتائجه نهاية ، حيث إنه طريق إلى ضروب من الصنعة ، وإلى لطائف لاتحصى(٣٨) .

والذى يدرس هذه الظاهرة ـ حذف المفعول به ـ محتاج إلى ما قاله النحاة والبلاغيون معا ليقف على الأسرار التى تكمن وراء ذلك الحذف ، ونحن فى حاجة إلى الدمج بين النحو والبلاغة عند البحث عن أسرار هذه الظاهرة فى العربية .

وبالله التوفيق .

(٣٧) انظر التبيان فى اعراب القرآن ٨٣٧/٢ وعلم وعلوم البلاغة ٨٩ .

(٣٨) دلائل الإعجاز ص ١٢٥ .

المخدرات والمسكرات ـ بقية ـ

ومعاقبة سائقى السيارات المخمورين بسحب رخصهم نهائيا ، واصبح مالوفا هناك ان تجد ضابط المرور يوقف السائق الذى يشتبه فيه ويجرى عليه اختبارات ليتاكد من انه لم يحتس اى جرعة من الخمر مهما قلَّت .

والولايات المتحدة الأمريكية ايضاً قد اعلنت الحرب الضروس على تجار المخدرات ورصدت لذلك الأموال الطائلة ؛ بل جندت قوات خاصة من الجيش وذلك لخطورة الموقف والاضرار البالغة التى تحدثها هذه السموم وتجارتها . ولابد إذن من شن الحرب على تجارة المخدرات والمسكرات فى بلدنا المسلم وقد اجاز بعض علمائنا تطبيق عقوبة الإعدام على جالبى المخدرات كذلك ندعو إلى إلغاء بيع وتداول الخمور (وتجريمها) تماما مثل المخدرات .

روى الإمام احمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وأكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها »(٣) والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

(٣) الحديث رواه الإمام احمد بسند صحيح ورواه ايضاً ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح .. أ هـ .

التليفزيون

بين الترفيه والإثارة

للأستاذ: عاطف شحاته زهران

الترفيه مادة لا تستغنى عنها أية وسيلة إعلامية، وهى إحدى وظائف الإعلام الهامة، لاسيما فى عصر ازدادت فيه الصراعات لأسباب كثيرة، فالإنسان الغارق لأذنيه بين مطالب الأسرة ومطالب الحياة الملحة ومشاكل العمل والمواصلات والأسعار قد يستسلم فى آخر يومه «للتليفزيون» باحثا عما يسليه وينتشله من واقعه. وقد استثمرت كل وسائل الإعلام هذه الحاجة وتنافست على جذب «المتلقين» إليها لتقول من خلال الترفيه ما تشاء من آراء وأفكار، وتصب كل ذلك فى قالب جذاب وخادع قد لا يفطن إليه الكثير، وقد يدركه ـ أو شيئاً منه ـ القليلون إلا أنهم يشتركون جميعاً فى استيعاب المادة بما فيها لضحكة عابرة، أو عقدة مفتعلة، أو تسلسل أحداث مع مشاهد وإضاءة ومؤثرات أو مثيرات أخرى تستلب عقل المتلقى مع سمعه وبصره، وتجعله يعيش المشكلة المعروضة أمامه وينغمس فيها إلى حد كبير يقول «أريك بارنو» مؤرخ التليفزيون الأمريكى:

إن مفهوم الترفيه فى تصورى هو مفهوم شديد الخطورة. إذ تتمثل الفكرة الأساسية للترفيه فى أنه لا يتصل من بعيد أو من قريب بالقضايا الجادة للعالم. وإنما هو مجرد شغل ساعة من الفراغ والحقيقة أن هناك «أيديولوجية» مضمرة بالفعل فى كل أنواع القصص الخيالية فعنصر الخيال يفوق فى الأهمية العنصر الواقعى فى تشكيل آراء الناس»[1]!

ولعل الخطورة تزداد حين توجه الرسالة لمجتمعات تزيد الأمية فيها على ثلاثة أرباعها فأولئك الأميون حينئذ أكثر استعداداً لتقبل هذه الأفكار التى تأتيهم عبر ساعات طويلة يقضونها أمام التليفزيون بين أفلامه ومسرحياته ومسلسلاته وإعلاناته وهم بذلك يوفرون مناخاً جيداً لانتشار الأفكار التى تحتويها المادة الترفيهية وتركز عليها بطرق خفية أو ظاهرة.

فعلى سبيل المثال: ساعدت أجهزة الإعلام عندنا وعلى رأسها التليفزيون فى نشر قيم سلبية استورد معظمها من مجتمعات أجنبية كالعنف

---

(١) انظر كتاب «المتلاعبون بالعقول» هربرت شيللر ـ ترجمة عبد السلام هارون ـ عالم المعرفة ـ الكويت ص ١٠٤.

وحرية[٢] الفتاة المطلقة ، وخلوة الرجل بالمرأة والمعنى الحسى للحب .. إلى غير ذلك . وحسبك أن تناقش جماعة حول الحشمة فى لباس المرأة الشرقية ، أو التزام الفتاة بأخلاق الأسرة والدين الحنيف .. فتستمع جواباً مكرراً : إننا فى عصر الحرية وقد يصفون الحشمة بالرجعية ، والتمسك بأخلاق الدين وتقلص معنى المدنية والحضارة فى اللباس القصير والشعر المكشوف ومسايرة أحدث خطوط « المودة » فى فرنسا ولندن وهى بلا شك تكشف ما أمر الله بستره صيانة للمرأة وكرامتها وحفظاً لعفتها وطهارتها ، وشغلت الأمهات بذلك عن تربية أبنائهن وحقوق أزواجهن فأضعن ما أمر الله بحفظه .

غزا التليفزيون بيوتنا فعرض على نسائنا وبناتنا صور المرأة الكاسية العارية . فألف النسوة عندنا ذلك حتى القرى التى ظلت متمسكة بأخلاقها إلى زمن قريب - بدأت تتغير وتفكر بعقل « البطلة » فى « الفيلم » أو « المسرحية » .

ولن يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنى وغيرك يهدم !

وعلى نفس الطريقة تغيرت العلاقة بين الشباب والفتيات لما رأوا الشاشة الصغيرة تعرض عليهم صوراً للعلاقة بين الطرفين .. كخروج الفتاة للنزهة مع صديقها وممارسة الحب والخلوة واللمس والعناق والتقبيل .. فإذا حاولنا افهامهم أن ما يعرض مخالف لواقعنا قوبل الرفض منا بالسخرية والاستهزاء .

إن الإسلام لم يحرم الترفيه الهادف والموجه الذى يقدم فلسفة مرسومة لصلاح المجتمع والحفاظ على أخلاقه ودفعه إلى العمل والرقى . والمفروض أن تحرص المادة الترفيهية على تقديم مبادىء أو اتجاهات مرغوبة من خلال هذا الوقت الذى يقضيه الناس فى متابعتها فى إطار ديننا وقوميتنا .

فى إحدى المسرحيات رأى المشاهدون بطلتى المسرحية تسعيان لزواج البطل بإحداهما ، وهو معهما فى بيت واحد ، فتقول لأختها : « اغريه يابت » وتأمرها بكشف ساقها لهذا الشاب الغريب لإغرائه حتى يعجل بالزواج منها . وحين يصب ذلك فى قالب ساخر يضحك منه المشاهدون . فهى فى الواقع تغرى آلاف المشاهدين من الشباب . فهل نسمى ذلك ترفيها !؟

ولا مراء فى أن العاملين على التليفزيون يدركون الفرق بين الترفيه والإثارة .. الترفيه البرىء الذى يعين المشاهد على مواصلة مسيرته فى الحياة على مابها من مكدرات ، ويجدد نشاطه

---

(٢) آن الأوان للحديث عن هذه الحرية .. إنها هنا مجاز محض ، وليست هى الحرية المعروفة لغوياً ومعنوياً ، ذلك أن الحقيقة تبين أن الفتاة ، ومثلها الفتى إذا ماتم من عمره ستة عشر عاماً لم يعد لوالديه أدنى حق لهما قبل الفتى والفتاة مطلقاً ، وكثير من أهل الغرب يتخلصون من أولادهم عند بلوغهم هذه السن ، وبعضهم يستخدم - لذلك - طرد الفتى والفتاة ، وما من شك أن الفتاة فى هذه السن التى لا تحكمها قيادة حكيمة ، ولا توجهها إرادة رحيمة تكون فريسة لأول غاصب فى هذه السن البريئة ، وحسبك ما يتركه هذا الغصب فى نفس الفتاة من مشاعر أليمة وعقد كريهة فى مستقبل عمر الزهور ، فأى قيمة تأخذ من نفسها موضعا كريما ، أو نظرة سليمة ، أو عناية بتنمية لفضيلة فى مجتمع الذئاب هذا .

إن « رد الفعل » حينئذ معروف وهو الاستهتار التام بكل القيم ، وهو الذى نطلق عليه الحرية

والحرية منه براء .. (الخطيب) .

التليفزيون بين الترفيه والاثارة

وحبه لعمله ووطنه ، ويدفعه لزيادة الإنتاج بعيداً عن الإسفاف الخلقى والإثارة ودغدغة الغرائز .

إنك تتساءل فى دهشة ـ لو أن الأمر فى إطار ديننا الحنيف : أى فائدة « لبحيرة البجع » فى حياتنا ، وما القيم السامية التى يمكن أن تغرسها فى نشئنا وهل هى ترفيه ، أم « أكل عيش » على حساب كل قيمنا ؟!

ثم إن « هناك » فيلما يدور حول الخيانة الزوجية ويحرض عليها كدواء للمشكلات الزوجية حسب قول بطل الفيلم الذى يتخذه شعاراً :

« كيف تخون زوجتك وتسعدها » !؟ ويعلم أصحابه أصول الفن ، ويدخلون جميعاً فى علاقات محرمة مع نسوة أجنبيات للتغلب على المشكلات التى تواجههم بتحريض من كبيرهم ، لأنه صاحب تجارب ومغامرات كثيرة ومثيرة فى هذا الميدان ، ونصائحه تضمن لهم سعادة زوجية لمدة خمسة وعشرين عاماً ..

تساءل ما شئت : لمن هذا الفيلم ؟ وما المطلوب من أهدافه ؟إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

لقد سئم الناس فى الغرب مشاهد العرى فى التليفزيون وغيره من وسائل الإعلام .

أثبتت إحصائية أمريكية نشرت مؤخراً أن ٥٤٪ من الأمريكيين يعتقدون أن مشاهدة العرى فى وسائل الإعلام تقود إلى جريمة الاغتصاب ، وأن ٨٩٪ من النسوة يعتقدن أنه يجب أن يكون هناك تضييق أكبر من المطبوعات التى تروج للعرى .

لقد لمسوا سوء مصيرهم من جراء تلك الاباحية والإثارة مما أدى إلى انتشار أمراض خطيرة لم تكن فاشية فيمن قبلهم ، وتفكك أسرى وكثرة الأبناء غير الشرعيين ، وإقبال على المخدرات بكل صنوفها فلا عجب أن يعلنوا رفضهم للعرى .. قد نتوقع أن يتهمهم أتباعهم الشرقيون بالرجعية أو الردة .. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

وبعد :

فما أكثر ما سمعنا قول الله سبحانه يتردد بيننا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة/٢ . والأمر موجه لكل المسلمين على مختلف طاقاتهم ومنازلهم ، و« البر » معنى جامع لكل خير وصلاح ، و« الإثم » معنى شامل لكل فساد وافساد .

نسأل الله أن نكون من أهل البر ..

والله من وراء القصد .

النظرية السياسية الإسلامية

فى حقوق الإنسان الشرعية

دراسة مقارنة

تأليف : د. محمد أحمد المفتى د. سامى صالح الوكيل

عرض وتحليل

لواء أ.ح. فوزى محمد طايل

لقد صارت عبارة « حقوق الإنسان » من اكثر العبارات تداولا واستخداما فى الربع الأخير من القرن العشرين الميلادى ، وهى عبارة حديثة المنشا نسبيا ، مرنة مطاطة ، يفتن بها العامة من الناس ، وهى خلاصة القيم الغربية النصرانية ، وإن احتوت على مبادىء عامة لايقرها شرع سماوى .

وقد تحولت عبارة « حقوق الإنسان » من مجرد قيمة عليا من قيم النظم الديمقراطية الغربية ، وإفراز من إفرازات حضارة الغرب المفرطة فى المادية ، للحد من غلواء هذه المادية ، ولتسكين مشاعر العامة كى لا تثور على الممارسات غير العادلة للرأسمالية فى مجتمعات الغرب .

اقول : تحولت عبارة « حقوق الإنسان » إلى وسيلة ضغط ، بل قهر فى مجال العلاقات الدولية ، ووسيلة لتسلط الولايات المتحدة الأمريكية ، نيابة عن الدول الغربية ، على شعوب « العالم الثالث » ، التى يشكل المسلمون جزءا كبيرا منها .

ولاغرو ، فالمتتبع للتقرير الذى تقدم به إرنست ليفيفر Ernest W.Lefver مساعد الرئيس « رونالد ريجان » لحقوق الإنسان ، إلى الكونجرس الأمريكى فأقر ماجاء به ، ونشرته مجلة «Policy Review» فى عددها الصادر فى شتاء ١٩٧٨ م ، ليجد أن التقرير يدعو إلى وجوب القيام بالضغط المادى والمعنوى على الدول الأخرى من أجل تغيير مؤسساتها الداخلية ، وممارساتها السياسية الداخلية بما يجعلها تلتزم بما جاء فى مبادىء حقوق الإنسان ... ثم يضيف « ليفيفر » أن هذا لن يكون إلا إذا نصبت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها قاضيا على المجتمعات الأخرى التى لا تشاركهم نفس القيم ، بل ومنفذ يحدث اضطرابا فى السياسات الداخلية والخارجية لتلكم المجتمعات ، وإليكم

←

النظرية السياسية الاسلامية

نص ما تضمنه التقرير :

«To do so is to set our selves up as the judge of other societies which may not share the same values as we do, and to confuse domestic and foreign policy».

ولعل ما نشهده فى عالم اليوم منذ نهاية الثمانينيات من ضغوط معنوية ومادية(باستخدام القروض والمعونات الاقتصادية والمعونات المسماة « بالإنسانية ») لحمل دول العالم الثالث على تبنى « الديمقراطية » ، ومراعاة « حقوق الإنسان » ليقف خير شاهد على ماندعيه ... وعلى سبيل المثال : فقد قطعت الولايات المتحدة الأمريكية معوناتها الاقتصادية عن كل من السودان والصومال للسبب المذكور ... وهددت دولا أخرى بنفس المصير ، كالعراق مثلا .

يأتى مانقوله هذا فى إطار الهجمة الصليبية الشرسة التى ينتظر أن تبلغ مداها خلال سنوات قليلة جدا مركزة على تدمير أو محو قيم الإسلام وإحلال غيرها بدلا منها .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الكهف الآية (٢٠) :
﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْيُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ ويقول : عز وجل ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً[١] وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾التوبة الآية ١٠ .

مما سبق تتضح لنا أهمية الكتاب الذى نعرض له ، إذ يتناول بالنقد والتحليل أحد الأبواب التى يوشك أعداء الإسلام أن يلجوا منها لتدمير القيم الإسلامية من خلال إحداث خلط للمفاهيم وإخال ماليس من الإسلام فيه .

والكتاب الذى نحن بصدده هو الإصدار الخامس والعشرون من إصدارات كتاب الأمة فى شوال ١٤١٠ هـ . ويقع متن البحث فى نحو تسعين صفحة من القطع الصغير مقسما إلى (مقدمة) و (أربعة أبواب) و (خلاصة) ، وهو بهذا يقدم للقارىء المسلم المتخصص وغير المتخصص مادة علمية ميسرة توضح موقف الاسلام من فكرة « حقوق الإنسان » ... وهذا ما نجح الباحثان فيه إلى حد كبير مستخدمين فى ذلك أسلوب الدراسة المقارنة .

●●●

هذا وقد تصدر الكتاب تقديم مناسب بقلم الأستاذ عمر عبيد حسنة ، أكد فيه أن منهاج الإسلام يقوم على أساس أن المسلم مكلف بواجبات مستشعر للمسئولية لامطالب بحقوق .. وذلك لاختلاف طبيعة نشأة وتطور المجتمع الإسلامى عن المجتمعات فى أوروبا ، إذ عاشت هذه الأخيرة قرونا فى ظل تسلط البشر بعضهم على بعض ، فاتخذ ذلكم التسلط صورا وأشكالا أهدرت فيها كرامة الإنسان ، فى حين كان موقف الإسلام منذ البداية هو تكريم الإنسان وتسخير الكون له ، بل وتفضيله على كثير من خلق الله . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾ (الإسراء الآية ٧٠) .

فكرامة الإنسان فى الإسلام دين من الدين ،

(١) اى لا يحترمون عهدا ولاحلفا للمسلمين .

لايجوز المساس بها ، أو حتى التنازل عنها . وحماية الإنسان فى دينه ، ونفسه ، وعقله ، وعرضه ، وماله مقصد الشريعة وغايتها ، وماشرع الله تبارك وتعالى الحدود إلا لحمايتها ، فحماية كرامة المسلم حق وواجب فى آن واحد ، وهى تكليف للفرد من حيث كونه فردا ، وللمجتمع كله فى آن واحد .

هذا ، وقد أشار التقديم بوضوح إلى مخططات الغرب لإسقاط الإسلام من نفوس ابنائه من خلال لجان حقوق الإنسان ، ومنظمات العفو الدولية وما إليها . ويضيف قائلا :

إذا كان العقد الأخير من القرن العشرين يسمى « عقد حقوق الإنسان » فأين موقع الخطاب الإسلامى ؟

ولماذا لانستغل التسهيلات الإعلامية الخاصة بالبث المباشر للإذاعة المرئية (التلفاز) للوصول بالخطاب الإسلامى إلى العالم ، فنعيد الإسلام إلى مرحلة الشهود الحضارى .

●●●

فإذا ما انتقلنا إلى متن البحث نجد ان الباحثين يؤكدان على حقيقة : ان المفاهيم الغربية عن « حقوق الإنسان » قد وجدت طريقها إلى العقل المسلم ، بل وترسخت لدى الكثيرين ، بسبب غياب المفاهيم الإسلامية ؛ لذا فقد جعل الباحثان هدفهما من البحث كشف الأصول والقواعد الفكرية التى بنيت عليها فكرة « حقوق الإنسان » حسب الصياغة والمفهوم الغربيين ، ثم تبيان تناقض ذلك والتصور الإسلامى لما سماه الباحثان « الحقوق الشرعية للإنسان » .

●●●

وقد جاء الباب الأول تحت عنوان « حقوق الإنسان فى الفكر السياسى الغربى وفى الشرع الإسلامى (التنظير والممارسات) » ، فعرض للأصول الفكرية الغربية القائمة على فكرة (الحقوق الطبيعية المتساوية لكل البشر) ، والتى كان الأفراد يتمتعون قبل قيام الدولة ، فإذا ما انتقلوا للعيش فى جماعة كان لزاما أن تحترم حقوقهم وحرياتهم الطبيعية ، بل وإن تعلو هذه الحقوق والحريات على سلطان الدولة التى تقيد لصالحها ، ومن خلال هذا المفهوم يتم حل التناقض بين السلطة والحرية وبتطور الممارسات فى أعقاب الثورتين الأمريكية والفرنسية ، ثم ممارسات الحربين العالميتين : الأولى والثانية ، اكتسبت فكرة « حقوق الانسان » بعدا دوليا ، فأصدرت الأمم المتحدة فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ م (الإعلان العالمى لحقوق الإنسان) باعتباره اتفاقية مفتوحة يلتزم بها كل من وقع عليها . وتلا ذلك صدور « العهد الدولى بشأن الحقوق المدنية والسياسية » عن منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٦٦ .

وقد أثبت البحث تهافت هذا المفهوم «تنظيرا وواقعا » إذ بنى على محض افتراض وخيال بعيدين عن الحقيقة والواقع .

وفضلا عن تناقض الفكرة مع نفسها فإن الدساتير والمواثيق الوضعية لم تحدد الحقوق بشكل قانوني واضح ، وإنما قررت الحرية والمساواة باسلوب عاطفى ادبى . وهذا مايجعل حقوق الإنسان خاضعة لاعتبارات ذاتية ترتبط بمصلحة الدولة ، وهذا ما اعترف به المفكرون الغربيون ، إذ يقول ديفيد مكليلان David s. Mclellan أستاذ العلوم السياسية بجامعة ميامى ، فى نفس

المعنى ، ومصداقا لما قرره البحث الذى نعرض له «One would have to recognize that: no single comprehensive measure or standard of human rights is possible» .

وفى إطار تحليل البحث لفكرة « حقوق الإنسان » يقرر - بحق - أنه طالما أن الفكرة فى ذاتها تحكمية فإنها بطبيعتها تؤدى إلى انتهاك كرامة الأفراد ، ويتقلص عدد المنتفعين عمليا مما تحتويه من ألفاظ رنانة فخمة .

هذا ، وقد خصص الباحثان فصلاً من هذا الباب لتبيان أن المقابل الإسلامى لفكرة « حقوق الإنسان » قد قررها الشرع الإسلامى فى « تكريم الإنسان » ، وشتان بين النظرية الغربية ، وبين ما جاء به شرع الله ؛ فغاية شرع الله تحقيق عبودية الخلق لله عز وجل وحده وحفظ مقاصد الشريعة ، لذا فقد أخطأ من انساق من مفكرينا المعجبين بالفكر الغربى وراء محاولات إيجاد تشابه بين فكرة « حقوق الإنسان » الغربية ، وما سماه المؤلفان « حقوق الإنسان الشرعية » ، وذلك للاختلاف التام بين الأمرين من حيث المصدر ، والمضمون ، والنتائج .

وقد وضع الباحثان أيديهما على فرق هام بين « الحقوق » بمفهومها الغربى وبين ماسمياه « الحقوق الشرعية » ، إذا أن للأولى مفهوما سلبيا ، بينما للثانية مفهوم إيجابى ، فهناك تلازم بين الواجب والحق فى الفكر الإسلامى .

ذلك ، وقد جاء الباب الثانى بعنوان « الحقوق الشخصية والاجتماعية للأفراد فى الشريعة » ، ليقرر حقيقة أن الدولة فى الإسلام ضرورة ، وأن السلطة فى الدولة الإسلامية لابد أن تكون قوية ، فهى ليست « شرا لابد منه » ، قامت فقط لحماية حقوق الأفراد ، كما هو شأنها فى نظم الديمقراطيات الغربية ، ولا هى كيان مؤقت قامت لتحقيق « دكتاتورية طبقة » وصولا إلى الحالة التى يتم الاستغناء فيها عن سلطة الدولة تماما كما هو شأن الانظمة القائمة على الفكرة الماركسية .

فالسلطة فى الإسلام إنما يناط بها تطبيق شرع الله ورعاية شئون العباد سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين . وأحكام شريعة الله إنما تخاطب الكافة حكاما ومحكومين ... فلا تناقض إذاً بين السلطة والحقوق والحريات .

وقد جاء البحث باجتهاد طيب ومحـاولة لاستخراج الحكم الشرعى فيما يختص بمدى حرمة المسكن عندما يتعارض وضرورة البحث عن المشتبه فيهم فى جريمة من الجرائم ، فجعل حرمة المسكن مقدمة على غير ذلك من المصالح ، فلا يجوز دخول البيوت لغير إذن أهلها مطلقا ، وإنما يجوز إخراج أهل المنكر منها دون دخول البيت عنوة أوبغير إذن أهله .

وفى إطار قيام البحث باجتهاد آخر فيما يختص بعدم جواز التجسس ، لم يجز الباحثان قيام الدولة بالتجسس على الأفراد فى المرحلة السابقة على ظهور المنكر استنادا إلى حرمة التجسس مطلقا بين المسلمين .

كما أوضح البحث فى نفس هذا الباب حرمة التعذيب أو إيذاء المسلمين أو ترويعهم وإخافتهم استنادا إلى النصوص القرآنية والسنية ، واستنادا إلى الأصل العام فى تكريم الإنسان ، فلا يكون المساس بالإنسان جائزا إلا تطبيقا لحد

أو لعقوبة قضائية مما هى دون الحدود .

●●●

أما الباب الثالث فقد خصصه الباحثان « للحقوق السياسية » فركزا على حرية إبداء الرأى فى النظم الديمقراطية الغربية ، فعرفاها ثم أوضحا الانفصال الكامل بين الفكرة النظرية وبين التطبيق العملى بسبب الاحتكارات الرأسمالية وسيطرتها على وسائل النشر والإعلام ، بل وعلى الأصوات الانتخابية ، كما أوضحا أن اعتبارات الأمن الداخلى وحماية النظام الاجتماعى تشكل هى الأخرى قيدا يحيل حرية الرأى فى الغرب إلى فكرة نظرية .

ومن خلال عرض البحث لمصدر الحقوق السياسية فى الغرب يخرج بنتيجة مؤداها أن من الخطأ جعل الحرية السياسية قاعدة يبنى عليها السلوك السياسى فى الدولة الإسلامية ، ويدلل على استنتاجه هذا بمسلك الخلفاء الراشدين ... فإبداء الرأى فى الإسلام « مقيد بالأطر الشرعية التى وضعها الإسلام ، والتى لايجوز لمسلم تجاوزها » ... ومن هذا المنطلق أيضا لايجيز الإسلام تكوين الجماعات ، والأحزاب السياسية(٢) التى تبنى على مفاهيم عقائدية مخالفة للشرع ... كما أن قول البعض بأن الأمة ـ فى الإسلام ـ هى مصدر السلطات ، أو أن الشعب هو صاحب الكلمة العليا فى شئون الحكم . كلها أقوال تضاهى الفكر الغربى ، فهى رد ، وغير صحيحة .

إن إبداء الرأى فى الإسلام واجب شرعى ، « فالدين النصيحة » ، ولا يجوز السكوت عن الحق إذا ظهر ، و « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » قيمة عليا فى الإسلام ، لعن أقوام قبلنا تركوا العمل بهما .

ولئن كان الإسلام قد أجاز المعارضة من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن المعارضة المنظمة والدائمة لسلطة الدولة غير جائزة فى نظر الباحثين . فالاصل فى الإسلام طاعة ولى الأمر فيما أحب الإنسان وماكره مالم يأمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ... وهذا ما تدل عليه نصوص السنة التى ساق منها الباحثان قدرا مناسبا .

هذا ، ولم تكتف الشريعة الإسلامية بفرض « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وتقرير واجب محاسبة الحكام إذا ماتنكبوا الطريق السوى ، بل قررت ضمانات عملية لكفالة ماسماه الباحثان بالحقوق السياسية فى الشريعة » .

وأخيرا نصل إلى الباب الرابع وهو بعنوان « حقوق الإنسان التعبدية والاعتقادية » وهو باب يبحث فيما جاءت به المادة الثامنة عشرة من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، والتى تقرر للشخص « ... حرية تغيير ديانته أو عقيدته ، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرا أم مع الجماعة » .

إن هذا النص يحتوى على قدر كبير من النفاق ، وهو بعيد كل البعد عن التطبيق العملى فى بلاد الغرب ، وفى البلدان التى لما يزالون

←

(٢) فى كلمة للإمام الأكبر نشرت بعدد المحرم ١٤١١ هـ تبين أن المسلمين جميعا حزب واحد ، وأن الإسلام لايقر قيام حزب يخص جماعة على ماهو الشكل الحديث .

يسيطرون عليها ويتحكمون فى اقواتها . فأعمال التنصير التى تتم من خلال الضغط المادى والمعنوى فى افريقيا وآسيا ، بل وفى بعض البلدان ذات الأغلبية الإسلامية الكبيرة ، ووضع القيود على الأقليات الإسلامية فى بلدان الغرب ، وعدم حماية الدين الإسلامى فيها بنفس قدر الحماية التى تنالها النصرانية واليهودية فى بلادهم ، بل والسماح بالنيل من الإسلام فى هذه البلدان .. كل هذا يجعل المادة الثامنة عشرة المذكورة محض زيف وخداع .(٣) .

وعلى الجانب الآخر نجد الإسلام وقد عالج هذه المشكلة بكل الوضوح ، يجبر غير المسلم على الدخول فى الإسلام لقول الله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة/ ٢٥٦) ... ويضيف الباحث أن الفقهاء يكادون يجمعون على عدم جواز حمل الدولة الرعية بالوسائل القهرية على فهم واحد للدين فى الأمور الاجتهادية ، ولايجوز بالتالى فرض الرأى المذهبى فى المسائل التى يتنازع عليها اهل المذاهب .

ومع ذلك فلايجيز الإسلام الردة لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى : (من بدل دينه فاقتلوه) . ومن الردة اعتناق دين سماوى غير الإسلام كالنصرانية أو اليهودية ، أو عقيدة غير سماوية كالبوذية أو القاديانية أو البهائية أو ما إليها .... ومنها ايضا اعتناق العقائد الداعية إلى المادية وترك الدين أو فصله عن الحياة كالماركسية والعلمانية .

هذا وتعاقب الردة بالقتل ، لأن التساهل فى هذه الجريمة يؤدى إلى زعزعة النظام الاجتماعى .يقول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة / ٢١٧) .

وبعد فالكتاب قد اشتمل على مادة علمية تسد ثغرة ثقافية فى المكتبة الإسلامية ، وإلا ملأتها الثقافة الغربية ، وقد قام الباحثان بمجهود يستحقان عليه الثناء .

بيد أن الأمانة العلمية تقتضى منا إبداء بعض الملاحظات الهامة التى لا تنتقص من قدر المجهود العلمى المشكور والمأجور إن شاء الله :

لقد انزل الله تبارك وتعالى على عبده محمد ﷺ القرآن فيه آيات محكمات تحتوى على أحكام عملية ، وكذلك جاءت السنة النبوية ، بل إن فقهاء الإسلام لم يهتموا فى أى عصر من الاعصار بالفروض والنظريات التى يلزم عرضها على التطبيق لتثبت صحتها ، لذا فمن الاجدر بنا التخلص من لفظ « النظرية » عند عرض حكم الإسلام فى مسألة من المسائل ولو كان ذلك من خلال دراسة مقارنة .

إن من كمال البحث فى موضوعنا هذا تناول « خطبة حجة الوداع » بالبحث والدرس ، فقد تناولت الكثير من الأمور التى توضح بجلاء تفوق شرع الله ، وتهافت مادونه .

وأخيرا فإن دراسة مقارنة لمثل هذا الموضوع

---

(٣) عندما أعلن . «كلاى» إسلامه اجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى لينظر فى مدى خطورة إسلام .. « محمد على كلاى » على الولايات المتحدة وفقد مستر « روبرت كراين » .

كانت جديرة بالاعتماد على عدد مناسب من المراجع باللغات الأجنبية لتنقل لنا بدقة وجهة النظر المقابلة ليكون القارىء أكثر اقتناعا واطمئنانا ، كما أن دراسة « لحقوق الإنسان » ماكان لها أن تتجنب النصوص الأصلية التالية فتعرض لها وتحللها وتنتقدها :

١ - الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ م الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة .

٢ - العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية الصادر عن نفس الجهة فى الأول من ديسمبر ١٩٦٦ م والذى بدأ نفاذه فى ٢٣ مارس ١٩٧٦ م .

٣ - العهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر عن نفس الجهة فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ م ، والذى بدأ نفاذه فى ٣ يناير ١٩٧٦ م .

٤ - الميثاق الأفريقى لحقوق الإنسان والشعوب والصادر عن منظمة الوحدة الأفريقية فى ٣٠ يوليو ١٩٧٩ م ، والذى أجازه رؤساء الدول الأفريقية ، (ومنها ٢٢ دولة إسلامية) ، فى شهر يونيو ١٩٨١ م .

٥ - مشروع الميثاق العربى لحقوق الإنسان ، والذى لم تتم الموافقة عليه لمخالفة بعض نصوصه للشريعة الإسلامية ، وقد قامت الجامعة العربية بإعداده .

٦ - البيان العالمى عن حقوق الإنسان فى الإسلام ، الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامى فى ٢١ من ذى القعدة ١٤٠١ هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٨١ .

٧ - نموذج الدستور الإسلامى ، الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامى فى السادس من ربيع الأول ١٤٠٤ هـ الموافق العاشر من ديسمبر ١٩٨٣ م .

هذا وبالله التوفيق .

﴿ رَبَّنَا لَاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران / ٨) .

أنباء وآراء

إعداد: صفوت عبد الجواد

● افتتح الرئيس محمد حسنى مبارك بكلمة كلا من مؤتمرى : القمة العربية الطارئة للملوك والرؤساء والأمراء العرب، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية .

انعقد كلا المؤتمرين بقاعة المؤتمرات الدولية بالقاهرة - مدينة نصر .

● حضر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق جلسة افتتاح مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بصحبة فضيلة الشيخ محمد بدر الدين حسام الدين وكيل الأزهر وكبار الشخصيات الإسلامية .

أدى المؤتمرون صلاة الجمعة بالجامع الأزهر وحضر الصلاة فضيلة الإمام الأكبر ، والدكتور عصمت عبدالمجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

● اعتمد المجلس الأعلى للأزهر برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - فى اجتماعه الأخير - قواعد وشروط القبول للطلاب المصريين والوافدين لكليات جامعة الأزهر للعام الدراسى ٩٠/١٩٩١ .

● وقرر المجلس أيضاً إنشاء كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمدينة قنا ، تتبع جامعة الأزهر .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد زكريا كانداو الحاكم الإقليمى لمناطق الحكم الذاتى بجنوب الفلبين ، بحث فضيلته مع الحاكم وضع المسلمين فى جنوب الفلبين ، والمساعدة الثقافية لهم ، وزيادة المنح الدراسية الأزهرية ، لطلبة الفلبين المسلمين ، ووضع أولوية لمبعوثى الأزهر فى العمل بين أبناء الأقاليم الإسلامية الأربعة لهذه البلاد .

حضر اللقاء حكام الأقاليم الأربعة ، وسفير الفلبين بالقاهرة السيد/ حسن مرهوم .

● التقى فضيلة الإمام بوفد إيران الذى شارك فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية . يرأس الوفد حجة الإسلام محمد على تسخيرى - بحث فضيلة الإمام مع رئيس الوفد التقارب بين المذاهب الفقهية ، وإمكانية التعاون فى مجالى التعليم والدعوة .

« الشئون الفنية لمكتب الإمام الأكبر »

● ● ●

● عقد بجامعة الأزهر مؤتمر نوادى هيئات التدريس ، وأوصى بإنشاء مركز إسلامى دولى للقدس بجامعة الأزهر ، كما اهتم اهتماما خاصا بكافة القضايا المتعلقة بفلسطين ، وحذر - إلى جانب تحذيره من خطورة الهجرة اليهودية - من قيام إسرائيل بسرقة المياه الجوفية فى سيناء

لاسيما وقد اصيبت بعجز مائى يمثل ٥٠٪ من احتياجاتها .

● عقد بالقاهرة مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية فى ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة - بفندق سفير بالدقى - تحت رعاية السيد وزير التربية والتعليم الدكتور أحمد فتحى سرور (٧ المحرم - إلى ٩ المحرم ١٤١١ هـ) .

أشادت بدور الأزهر الشريف فى هذا المؤتمر الأستاذ الدكتورة فوقية حسين الأستاذ المتفرغة للدراسات العليا بعين شمس .

ضباط يهود

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن الحركة القاديانية قد شكلت فرقا عسكرية من مختلف الأعمار يتولى تدريبهم ضباط من اليهود يعملون لتنفيذ مخططهم الرامى إلى إنشاء دولة قاديانية لهم فى كشمير ويشنون هجماتهم على المسلمين بكشمير .

نشاط الفاتيكان

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية فى خبر لها عن حركة التنصير التى يقودها (يوحنا بولس الثانى) فى العالم الثالث مفادها أن الفاتيكان قد يئس من إمكانية نشر النصرانية فى المجتمعات الأوروبية بعد تفشى الفساد والعلمانية فيها . وقد دفعه ذلك مع رجال الكنائس إلى التوجه بنشاطه نحو دول العالم الثالث وقد قدمت الكنيسة الكثير من التنازلات للمحافظة على بقائها الشكلى فى هذا العالم ، ومن هذه التنازلات : السكوت عن حق الطلاق المحظور عند الكاثوليك ، وقبول مبدأ إجهاض النساء وغير ذلك من الأمور الأخرى التى غضت الكنيسة النظر عنها .

هذا وقد أعلن يوحنا بولس أنه سيقوم قريباً بجولتين تنصيريتين فى بعض الدول الأفريقية .

المسلمون فى الصين الوطنية

صدرت إحصائية مؤخراً عن الإسلام فى الصين الوطنية نقلتها وكالة الأنباء الإسلامية الدولية مفادها :

أن عدد المسلمين فى الصين الوطنية يصل إلى أكثر من (١٢٠ ألف مسلم) يقيم فى (تايبيه) العاصمة حوالى ٣٥ ألف مسلم .

أكبر المساجد المسجد الجامع وسط (تايبيه) العاصمة وهو مشيد على الطراز الإسلامى ومقام على مساحة كبيرة .

فى المسجد قاعة خاصة بالمؤتمرات والندوات والاحتفالات بالمناسبات الإسلامية .

وملحق بالمسجد مكتبة إسلامية كبيرة تحوى كتبا مترجمة إلى العربية وكتباً مترجمة إلى الصينية

استمرار المذبحة الكبرى التى يرتكبها متمردو التاميل فى سيرلانكا ضد المسلمين

قامت مجموعة من التاميل باقتحام مركز للبوليس فى شرق سيرلانكا وقتلوا ٣٨ جنديا مسلما من قوة الاحتياطى، وكذلك اقتحمت مجموعة أخرى أحد المساجد وقت صلاة العشاء وأمطرت المصلين بوابل من الرصاص وقد استشهد حوالى ٢٠٠ (مائتين من المسلمين) .

وفى خبر من وكالة أنباء الشرق الأوسط يوم الأحد ١٢ أغسطس أن متمردى التاميل هاجموا ثلاث قرى مسلمة فقتلوا مائة مسلم آخرين .

لوائح تحدد علاقة أسبانيا بالاسلام

نتيجة لاعتراف الحكومة الأسبانية بالدين

←

أنباء وآراء

الإسلامى فى ١٤ يوليو عام ١٩٨٩ م كأحد الأديان الأساسية فى أسبانيا التى يوجد بها أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم .

تم الاتفاق على وضع اللوائح الخاصة المرتبطة بعلاقة أسبانيا بالدين الإسلامى . شمل الاتفاق تدريس اللغة العربية وتمويل المشروعات الإسلامية ومنح أراض لإقامة المساجد والمراكز الإسلامية عليها .

إيطاليا تقرر عقوبة السجن لمن يسب الإسلام

تقدمت المحكمة الدستورية الإيطالية بمشروع قانون إلى البرلمان الإيطالى ينص على عقوبة السجن لمن يسب الدين الإسلامى والنبى محمد (ﷺ) .

الجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى إيطاليا يبلغ أكثر من عشرة آلاف مسلم من أصل إيطالى بالإضافة إلى ما يربو على ٣٠٠ ألف مهاجر مسلم يقيمون فى إيطاليا .

ويتركز المسلمون فى إيطاليا فى مدينة ميلانو وبها مركز إسلامى ومسجد كبير .

مجلة الأزهر :

نلاحظ أن هذا العمل تقدمت به المحكمة الدستورية وليس كنيسة الفاتيكان .

إنشاء مسجد كبير فى غينيا بيساو

شهدت العاصمة (بيساو) حفلاً إسلامياً هذا الشهر بمناسبة وضع حجر الأساس للمسجد الجامع الكبير الذى يمول من منظمة المؤتمر الإسلامى وتبلغ تكاليف هذا المسجد مليونين و ٤٠٠ ألف دولار أمريكى وقد خصصت له مساحة (١٨٠٠) متر مربع .

فرنسا تدعم الصليبية

تعكف دار الإفتاء التشادية على إعداد خطة لمواجهة الأنشطة الكنسية فى "تشاد" التى تشرف عليها وتتبناها المؤسسات الكنسية الفرنسية حيث عمد مجمع الكنائس التشادى إلى عقد دورات تدريبية لربات البيوت المسلمات فضلاً عن إرسال مدرسات إلى بيوتهن لتعليمهن مبادىء النصرانية .

جدير بالذكر أن تشاد جمهورية إسلامية .

شعبة جديدة بالأزهر لتعليم الأساس والطفولة

تقرر افتتاح شعبة للدراسات التربوية بكلية الدراسات الإنسانية للبنات بجامعة الأزهر وتضم قسمين للتعليم الأساسى وتربية الطفولة .

من المقرر أن تستوعب هذه الشعبة الجديدة نحو (مائتى) طالبة هذا العام ٩٠/١٩٩١ من الحاصلات على الثانوية الأزهرية شعبة أدبى ، تمهيدا لتحويل الشعبة إلى كلية تربية للبنات .

شهادة أمريكية

اتهمت منظمة أمريكية لحقوق الإنسان الجيش الإسرائيلى باستخدام أساليب ومعدات تصلح للحروب فى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية .

وأكدت المنظمة الأمريكية أن السلطات الإسرائيلية تسمح للجنود بإطلاق النار على الفلسطينيين دون خوف من العقاب ، وخاصة أن جيش الاحتلال لا يبالى بشهادة الشهود الفلسطينيين وأن كثيراً من الفلسطينيين قتلوا لمجرد محاولتهم الهرب من الاعتقال .

الفهـــرس

● نوادر الأخـــلاق
للدكتور علي أحمد الخطيب ١٢٩

مع الرئيس محمد حسني مبارك

● مؤتمر القمة العربي الطارىء ١٣٢
● نص كلمة السيد الرئيس ١٣٣
● مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ١٣٨
● نص كلمة السيد الرئيس ١٣٩

مع الإمام الأكبر

● نداء من الأزهر الشريف ١٤٤
● رأى الأهرام ١٤٦
● لقاء الإمام الأكبر بوفد
الأساتذة والباحثين الأجانب ١٤٧
● الحمل عن طريق صوفة ١٥٥
● من معالم حضارة الإسلام
للدكتور أحمد الحفناوى ١٥٨
● الهجرة الخبيثة
للأستاذ محمد عبد العزيز ١٦٤
● المستشرقون والموضوعية
للأستاذ الدكتور / أحمد عبد الحميد غراب ١٦٩
● ليبريا والإسلام
للأستاذ / محمد المتناوى ١٧٤
● من أعلام الفكر الإسلامي
للدكتور عبد العزيز عزت عبد الجليل ١٧٩
● فتح جزيرة قبرص
لواء . أ . ح / محمد جمال الدين محفوظ ١٨٣
● الفكر الغربي
للدكتور يوسف عبد الغنى على ١٨٩
● الدين روح الحياة
للدكتور زكى مشعل ١٩٥
● من أعلام الأزهر
للأستاذ أبو المعاطى محمد أبو رحاب ١٩٨

الشعر والشعراء
إعداد محمد رشاد يوسف

● رثاء الأندلس
للشاعر / أبي البقاء الرندى ٢٠٢
● جزاك الله مغفرة
للشاعر / جرير بن عطية التميمي ٢٠٤
● أيها الشيطان
للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين ٢٠٥
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢٠٦
● من روائع الماضى
إعداد / عبد الفتاح حسين الزيات ٢٠٨

العلـوم الكونيـة

● الأجيال الجديدة
أ . د . أحمد فؤاد باشا ٢١٤
● المخدرات والمسكرات
كيميائى منير عبد الفتاح عبد الحميد ٢١٩
● من قضايا الاختزال
للأستاذ / عبد الستار عبد اللطيف ٢٢٥
● التليفزيون بين الترفيه والإثارة
للأستاذ / عاطف شحاته زهران ٢٣٠
● عرض كتاب
لواء . أ . ح /فوزى محمد طايل ٢٣٣
● أنباء وآراء
إعداد / صفوت عبد الجواد ٢٤٠

القسم الانجليزى
إشراف د . أنس مصطفى النجار

● المقالة الثانية
الأستاذ / لطفى على سلطان ٢٤٨
● المقالة الأولى
د . أنس مصطفى النجار ٢٥٤

Islam has a claim upon the attention of every thinker and reformer, not only because it is the most civilizing and the greatest spiritual force of the world, but also because its offers a solution to the most baffling problems that confront mankind to day. Materialism, which has become humanity's ideal in modern times, can never bring about peace, mutual trust and cooperation among the nations of the world. Christianity has already failed to do away with race and colour prejudices. Islam is the faith, which has succeeded in blotting out those distinctions, and it is only through Islam that the great problems of the modern world can be solved. Islam has proved its universality as an international religion, it is only before the universal ideal of Islam, the ideal of equality of all races and the unity and brotherhood of the human race, that the curse of nationalism - which has been and is responsible for the troubles of the ancient and the modern worlds - can be swept away.

Islam achieves and maintains social justice and human rights of the highest order without contradicting the spiritual mainsprings of human life. Islamic culture does not impose its own creed on mankind by force of coercion "There is no compulsion in religion: Truth stands out clear from Error .... " (Surat al-Baqarah, II : 256, in part). The world of to-day with its major problems and odious forms of social prejudices, and with the shadows of war always hanging over it, cannot but turn towards the magnanimity of Islamic doctrines, the only future hope, and the only way to establish and maintain peace and stability on this planet.

tolerance, leniency, magnanimity, ecumenism, love, concord, sympathy, co-operation and kindness, have been the message of every religion. These root values are inborn in mankind, and they are further developed by spiritual aptitudes.

The doctrines of Islamic teachings are no doubt, the greatest unifying force in human history. The unification is the true basis of human civilization. Fourteen hundred years ago, the Divine Message of Islam was revealed to redeem the collapsing human civilization of Christianity to a new civilization whose integrated totality encompasses all needs of human life by new edifice of culture and ethics, a pattern of unity of the human race as a whole was introduced into the world; an idea so mighty that it welded together nations in one cohesive belief. A man arose, who, by his personality and by honest claim to direct Divine guidance, actually brought about the impossible. That miracle not only commented together the warring tribes of one country but it also established the concept of brotherhood among all nations of the world; even joining together those who had nothing in common except their humanity. It obliterated differences of race, colour, language, geographical boundaries and even differences of culture. It united man with man as such, and the hearts of humanity began to beat in harmony and unison of Faith. Islam has the unification of many races throughout the world, and several fraction within the other races. This unification precipitates the essential elements of human attachment and fidelity, and provides the ground for human security and peace. Spiritual emotions developed by common beliefs and faith have proved to be the strongest force binding the various fractions of global human societies. Based on such human unity and fidelity in faith, the milieu of peace will supervene.

The paradigm of social stability in Islamic thought is the unification of humanity through common belief. This basic fundamental premise obliterates all human differences of race, language, rank, colour, sex, and optimizes the doctrine that all humanity are equal in their interface and direct relationship with Allah - The Creator. Such structural buildup of humanity and its intimate direct relationship with the Divine Transcendent, compels and mandates the existence of social justice and human rights. There is nothing more demanding and essential for peace in the life of humanity, than social justice and human rights. The exact understanding and dimensions of these two terms, only originates from true spiritual emotions. The doctrinal teachings of Islam provide a wholesome comprehensive integrated system of principles and safeguards to implement and ensure social justice and human rights.

With the coming of Islam, religious conceptualization received new dimensions of significance. Firstly, it is to be understood not as a dogma, but as a science based on the universal experience of humanity. The Divine revelation is recognized as a necessary factor in the evolution of man; hence while in its crudest form, it is partly the universal experience of humanity, in its highest form, it is a prophetical revelation, a Divine gift bestowed upon all the elements of Mankind. The idea of the scientific understanding of religion was further strengthened by presenting its doctrines as principles of actions. Every single doctrine of religion formulates the basis of action for the development of man to higher and higher stages of freedom, justice and ecumenic understanding of life.

Secondly, the sphere of religious understanding is not confined to the Hereafter, its primary concern is rather with this life, and that man, through a righteous life, and that man, through a righteous life here on earth, may attain the levels of higher existence in the Hereafter. The Glorious Qur'an deals with the great variety of subjects which affect man's life. It deals with the ways of devotion, with the forms of worship, with the means which make man attain communion with Allah; and also in richer detail, with problems of the world, questions of relations between man and man, his social and political life, institutions of marriage, divorce and inheritance, the division of wealth and the relations of labour and capital, the administration of justice, social organization, matters and problems of peace and war, national finances, debts and contracts, rules for the service of humanity, laws for the help of the poor, the orphan and the widow, and hundred of other matters pertaining to human life on earth.

It lays down rules not only for individual progress, but also for the advancement of society as a whole, of the nation and of humanity. It deals with problems of the relations between individuals, between social fractions, and between nations. All the various codes, rules and laws are made effective by faith in Allah.

The doctrinal teachings of Islam are the basis of a lasting civilization. As a matter of fact, the root values of human civilization as it stands to day are based on religions concepts. Religion has made possible continue to save humanity from total collapse and disruption. In spite of the current shift of human societies to secular, materialistic, and mundane patterns of life, the root values of credence remain inherently instinctive in the mental attitude and psychosynthesis of mankind. The essentials of unified cohesion of human elements, the proliferation of liberalism, the promotion of

→

revolutionized the world changed human thought and understanding, and determined destinies of nations. Islam is not only the last religion, it is an all-inclusive religion which contains within itself and religions that went before it. Islam is all the Divine Messages in one, and one of its most striking characteristics is that it requires from its followers to believe in all Divine Messages and Prophets that have preceded Islam and the Prophet Muhammad. This understanding is well documented in the Holy Qur'an "The Apostle believes in that which has been revealed to him from his Lord, and so do the believers; each one (of them) believes in Allah and His angels and His books and His apostles; "we make no distinction (they say) between one another of His apostles" .... " (Surat al-Baqarah, II, 285, in part).

A Muslim, therefore, is one who believes in the Prophets and divine scriptures. Islam is, therefore, an all-comprehensive religion within which are included the essentials of all religious; and similarly, its sacred Book, the Glorious Qur'an, is spoken of as a combination of all the divine sacred scriptures of the world. "Pure pages wherein are all the right scriptures". "Surat al-Bayyinah, XCVIII, 2 and 3). The totality of Islamic culture optimizes the understanding of peace among the various elements of the Human race. The genesis of this peace is the love of Allah, and the love of fellow human beings. The proliferation of love in human societies develops by establishing a common system of greeting. In Islam, the basic module of greeting is "Assalamu 'alaykum' - peace be upon you - a promise, an engagement and an invitation to make peace, respect and honour.

The doctrinal teachings of Islamic Theism are the perfect expression of the Divine will. The Glorious Qur'an states: "This day have I perfected for you your religion and completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion...." (Surat Al-Ma'idah, V: 4, in part).

The paradigm of human spiritual consciousness has developed slowly and gradually through the ages, and the revelation of the ultimate truth was finally brought to perfection in Islam. It is to this Ultimate Truth that the words of Jesus Christ - peace be upon him - allude : "I have yet many things to say unto you, but ye cannot bear them now. How be it when he, the spirit of truth, is come, he will guide you into all truth" (Jn. 16 : 21 and 13). Therefore, it is the great mission and message of Islam to bring about peace in the world by establishing brotherhood of all mankind, through the love of the Transcendent Creator - Allah.

ISLAM AND WORLD PEACE

By Lotfi Ali Sultan B.A. (Hons.), M.Ed. M.A.

Islam is the religion of peace. The doctrines, morals, ethics, legislations, institutions, teachings and values that are preached to be adopted by the human race at all levels of the individual family, community, nation and humanity are structured to achieve peace, and prosperity for all mankind.

Among the great religious of the world, Islam enjoys the distinction of bearing a very significant name, a name that points to its very nature and essence. The root-meaning of the word Islam is to enter into 'salm', 'slim' and 'salam' signify peace. All these words are used in the Glorious Qur'an itself in the sense of peace. Therefore, Islam means entering into peace; and a Muslim is one who initially makes peace with his Creator - Allah, and consequently with mankind. Peace with Allah implies complete submission to His will; and peace with man is to refrain from evil or injury to others, and to do good. Both these ideas find expression in the Holy Qur'an as the true essence of the religion of Islam: "Nay, whoever, submits his whole self to Allah, and he is the doer of good to others, he will get his reward from his Lord, and on such shall be no fear, nor shall they grieve. "Surat al-Baqarah, II: 112).

Islam is therefore, from its very inception, the religion of peace and its two basic doctrines, the unity of Allah and the unity of brotherhood of mankind. This wider significance is also retained in the strictly legal usage of the word, for, in law, Islam has a two fold significance. A simple profession of faith - a declaration that there is nothing worshipped but Allah, and that Muhammad is the messenger of Allah; and a complete submission to the Divine will which is only attainable through spiritual perfection. In other words, Islam in law is of two kinds; one is a simple confession with the tongue, the other is belief in the heart and a fulfillment in practice and resignation to Allah in whatever He brings to pass or decrees.

The Prophet of Islam is the seal of the prophets, and Islam is the last of the Divine religions - those religious movements which have

→

Hadith give precise dictates to practice justice at all levels of individual and social interactions. These facts were very vivid in the mind of Omar ibn Al-Khattab; his personality intensified and distinctly optimized the paradigm of justice and human rights to be the brilliant radiance in the regime of Omar ibn Al-Khattab. Indeed, the root of sovereignty is justice.

city in the reign of Abu Bakre, and remained as such during the reign of Omar ibn Al-Khattab and later till the start of Umayyad dynasty.

Two aspects of cardinal significance remain to be mentioned which distinguish the regime of Omar ibn Al-Khattab as the most outstanding governmental regime in the history of all nations. All chroniclers agree without difference or dispute that the regime of Omar ibn Al-Khattab was an optimized regime of the highest order of distinction. The two aspects of paramount importance which classify that regime as one of supreme dominant dignified reputation; are the practice of consultation, and the implementation of the most explicit form of justice. The practice of consultation is mandatory in the Holy Quran; and in Islamic teachings, justice is the root of sovereignty.

The practice of consultation is confering with other men of talent to reach an expert opinion. This practice is a mandate in the Holy Quran, was strictly adopted by the Prophet, and was strictly practiced by Abu Bakre Al-Siddiq during his period of office as Khalifah of Rassul-Allah. This practice of consultation became well established as a salient feature in the regime of Omar ibn Al-Khattab. The growth of duties and responsibilities upon the regime of administration, and the demand for decision making, justified the need for confering opinion with others in matters of cardinal importance. Omar ibn Al-Khattab practiced consultation in all matters of state that had no analogues in the Holy Quran or the Honourable Hadith, in order to draw upon them in comparative analysis. He also consulted men of knowledge in matters dealing with the implementation of Islamic doctrines of jurisdiction, and jurisprudence. Several intimate companions to the Prophet acted as consultants and advisors to Omar ibn Al-Khattab. Among there were Al-Abbas ibn Abd-Al-Mutaleb, Abd-Allah ibn Abbas, Aly ibn Abi Taleb, Osman ibn Affan, Abd-Al-Rahman ibn Aof, and others. On several occasions, Omar ibn Al-Khattab resorted to public opinion by consulting people themselves. The regime also dictated that Omar's deputies in the various territories, and also army commanders should according to the teachings of Islam, consult those of skill, wisdom, knowledge and experience in order to reach the aphorism of opinion. Consultation was fundamental standing practice in the regime of Omar ibn Al-Khattab.

The implementation of justice at all levels was another characteristic feature in the regime of Omar ibn Al-Khattab. Injustice is absolutely banned rejected and refuted under any circumstance by Islamic doctrines. One of the Attributes of Allah is "The Just", the Quranic Text, and the Honourable

social lattice of the Muslim nation. The resultant social respect and integrity advanced the various sectors of the Muslims to a closer well organized cohesive theo-political unity. This unity gave support to the regime and at the same time had the dignity and freedom to control its actions.

This theo-political unity and the governmental regime had a unity of purpose, a unity of thought, and a unity of common interest. This regime was authorized in the person of Omar ibn Al-Khattab as Ameer Al-Momineen. The most basic achievement in support of this unity was the establishment of the Hijrah calender which was chronologized by Omar ibn Al-Khattab to start its dating from the day of Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from Maccah to Al-Madinah. The most crucial outstanding significant turning point in early Islamic history.

The regime of Omar ibn Al-Khattab demanded continual intimate supervision over the Muslim warriors crusading in Iraq and Syria. Omar was always very close to the events, drawing plans and strategies, writing to army commanders, receiving from them, indulging with foresight sagacity an perceptive clairvoyance in matters of the stability of new territories gained under the banner of Islam. The regime of Omar ibn Al-Khattab was perpetually developing to accommodate the changes incident upon the Muslim nation. This development was continually maturing itself within the essential framework of Islamic doctrines.

Omar ibn Al-Khattab commissioned deputies to the various tribes. These deputies instituted the teachings of Islam, educated the people and collected the revenues of the Zakah. The internal affairs of each tribe was left to the managed by tribal chiefs, with absolute independence from the authority at Al-Madinah. The linked to Al-Madinah was a confederate link of interest regarding the general policy of the whole nation, its theo-political unity, its socioeconomic standing, its territorial expansion and the proliferation of Islamic culture.

The capital of this tribal confederacy was Al-Madinah without challenge or competition. Al-Madinah was the destination of the Prophet's Hijrah, the second home of the Holy Revelation. It was the place where the Prophet lived and was buried after his death. The great Masjid "mosque" was at Al-Madinah. It was the home of the Muhagereen and Ansars. It was the core of Islamic culture, and the institution where the crucible in which the pioneer Muslim Community crystalized to face the consortium masses of pagan Quraysh at the battle of Badre and defeat them. It was the capital

During the reign of Abu Bakre Al-Siddiq, the theistic unity of the clans rejected the authority at Al-Madinah invested in Abu Bakre. Several other exogenous and endogenous factors interfered to culminate into tribal apostasy defecting from the authority at Al-Madinah. After one year, the wars of the Apostates had ended by unchallenged triumph of Abu Bakre who engineered the strategy of Muslim armies throughout the whole Arab Peninsula. This Muslim victory brought about the crystallization of a coherent theo-political unity, with the authoritative administration at Al-Madinah. The complete patterns of this administration were based on Islamic doctrines of jurisprudence and jurisdiction. The events that followed during the short reign of Abu Bakre brought about the Muslim crusades in both Iraq and Syria. These crusades certainly strengthened the theo-political unity of the Arab tribes, confirmed and established the administrative authority at Al-Madinah, and proved the unchallenged success of its regime.

The reign of Omar ibn Al-Khattab was essentially a continuation of what Abu Bakre had achieved and established. However, the vast territorial expansions that took place, the increasing affluence of Muslim communities, the influx of non-arab racial elements into Islam, the near and distant future of the rapidly growing Muslim nation with its expanding geographical distribution; all these matters added to the responsibilities of the regime of Omar ibn Al-Khattab, and the administrative authority invested in him as the head of state. The personality of Omar ibn Al-Khattab coupled and augmented by the Islamic principles of government to which Omar fully adhered, resulted in a regime of government whose supreme success was analyzed as unparalleled in the history of mankind, excepting Prophetic times through the ages.

The theo-political unity of the tribes of the Arab Peninsula was completed during the early reign of Omar ibn Al-Khattab by the evacuation of the Christians from Negran to Iraq, and the Jews from Khaybar to Syria; with recompenses of land ownership and money, and guarantees of good social relationships. The second accomplishment to ensure and solidify the theo-political unity was the dissolution of social differences and discriminations, the establishment of individual dignity and freedom within the overall framework of Islamic principles and culture. All Muslims were equal in social rights and individual dignity like the teeth of a comb, what distinguishes one Muslim from another is piety; that was the ordinance of Islamic teachings. Omar ibn Al-Khattab optimized that principle and coined it at the very bottom of the extensively heterogenous

imposed upon the head of state an alertness of foresight, perceptive mental capacity, and a comprehensive brilliance of intellect. The profound divine elements of Islamic system of government were the concrete corner stones and dimensions by which all matters of state and government were evolved and organized.

The heads of state that came to authority after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were very intimate companions of the Prophet, and who during his lifetime functioned as ministers and counselors to the Prophet. They were fully instructed in Islamic doctrinal teachings, gaining the optimal knowledge of Islamic cultural wisdom pertaining to the dynamics and psychological socio-kinetics of various human elements. The attributes of such qualities, and the inherent constitutional characteristics of the personalities of Abu Bakre Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab, enriched their patterns of government, and introduced novel models of administration that were most appropriate and suitable for the rapidly expanding growing Muslim nation at the time.

These patterns of government were not borrowed from Persian nor Byzantine cultures prevalent of the time. They originated from Islamic thought, and developed to conform with the requirements of a progressively growing expanding nation; and to accommodate the theistic, social, economic and aspirational demands and necessities of that nation.

During the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the compelling dominant challenge was the proliferation of Islam in the Arab Peninsula, and the ultimate theistic unity of the Arab tribes and clans resident on the Peninsula. This was achieved, and the Prophet sent his companions to the various clans to educate people the teachings of the Faith. The command of these clans was reserved for the chieftains of the tribes to administer their affairs according to traditional customs, preserving the teachings of Islam in all its dimensions. In the late years of his life, the Prophet drew the attention to the prominent importance of security and safeguards. The Prophet justified his foresight, and personally took action to that purpose by commanding a very strenuous arduous expedition to Tabouk at the northern borders of the Peninsula. The aim of the expedition was to proclaim Muslim presence north of the Peninsula neighbouring the Byzantine Roman Empire in Syria. Therefore, the regime at Al-Madinah at the time of the Prophet was centered around the education and proliferation of Islamic doctrinal teachings among the Arab tribes, with the aim of theistic unity; and security and safeguards of this unity of the juvenile Muslim nation.

OMAR IBN AL KHATTAB

"THE REGIME"

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, Ph.D.

The Muslim territorial expansion outside the boundaries of the Arab Peninsula was beyond all expectations. The reign of Abu Bakre Al-Siddiq and the early years of the administration of Omar ibn Al-Khattab, brought about regional growths and socioeconomic changes that necessitated corresponding evolution in the systems and patterns of government. The ultimate Muslim domination over Iraq and Syria, and the total expulsion of Persian and Roman presence from these territories, was subject to rigorous analysis by historians and chroniclers. It became evident that the supreme success of Muslim crusades in Iraq against the Persians, and in Syria against the Romans was essentially the outcome of three major justifications. The first, and by far the most prestigious, was the spiritual superiority of the Muslim warriors, crusading into new lands to proliferate the teachings of the divine message of Islam; that Message that absorbed their minds, hearts, and their whole life. The second was the psychological vacant emptiness of both Persians and Romans of any rational ideology to defend. The third and the most significant paramount for the continuous triumphant expansion was the optimized regime and superiorly competent administration of the authority at Al-Madinah.

Through the years that followed the Hijrah of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the Muslim system of administration passed through several phases of sequential developments. These were based essentially on the doctrinal teachings of Islamic constitutional jurisdiction, and the traditions of the Prophet, the system of regime evolved through progressive changes of maturity and growth. The genesis of the administrative patterns originating from the essential teachings of Islam, provided strength, confidence, respect, and a deep rooted belief that the regime carried on its shoulders the Message for human civilization and ecumenical enlightenment. The rapid growth of the Muslim nation, demanded an equally rapid development in the patterns of regime in order to adjust to the new expansions of administrative responsibilities. This

→

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART II

SAFFAR, 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab
The Regime.
By: Anas Moustafa El Naggar

2. Islam and World Peace
By: Loutfi Ali Soultan.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

م ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الله

ربَّنا ، لاإله إلا انت ، الحى القيوم ، وسعت كل شىء رحمة وعلما ، خالق كل شىء ورب كل شىء ، بيدك الخير ، وانت على كل شىء قدير .

الغنى ذو الرحمة ، خير الرازقين ، ذو القوة المتين ، لك الخلق والأمر والحجة البالغة ، والنعمة السابغة : سبحانك .

اين من حفظك فلم تحفظه ، ومن شكرك فلم تشكره ، ومن اطاعك فلم تنصره ؟!

عطاؤك لنا موفور ، وحَمْدُنَا إياك مشتور ، وانت ـ على ذلك ـ جواد كريم ، ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وانت القاهر فوقهم .

لا إله إلا انت .

ليت بعض الناس وقَّروا اسمك الجليل ، وعظموا « الله » حق التعظيم وصانوا اسمك الاعظم « الله » « قولا » و« فعلا » .

وهذا قليل مما (فعلوه) باسمك العظيم :

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث
السنة الثالثة والستون
ربيع الأول ١٤١١ هـ
اكتوبر ١٩٩٠ م

تسابقوا ـ إزاء الموت ـ لأمور ـ يعلمها الله ـ فكتبوا عقب « البقاء لله » فى الصحف ما اختاروه من آيات كتابك العزيز ، وتوالت تحتها أسماؤهم ، ثم أَلْقَوْا بها فى الطريق ، بل جعلوها لفائف حاجياتهم .. أستغفرك ربى وأتوب إليك وأنت العليم الخبير ، إن منهم من جعلها ممسحة لما هو طاهر ، ولغيره ، ثم انتهت إلى أقدام الناس .

ولقد سَبَقَ صحفيون يخشون ربهم ويُجِلُّونَه فكتبوا فى مكان بارز بالصفحات التى فيها آياتُ رَبِّنا وأسماؤه تنبيها بلفت نظر القراء إلى حفظ هذه الصفحات أو التصرف فيها تصرفا مقبولا شَرْعًا احتراما لاسم المولى وآياته .

وذلك أضعف الإيمان فإذا كنا نحذر « المدخنين » بكلمة على كل علبة « لفائف » خوفا على صحتهم ، أفلا نحذرهم حَيْطَةً لدينهم ؟!

وترك البعض أطفالهم فى نهاية كل عام دراسى يتخلصون من كتبهم ودفاترهم/وفيها مافيها من قرآنك الكريم واسمك العظيم فألقوا بها إلى الشوارع على ما فيها من ماء .. « معروف » فكيف غاب عن الآباء وربات البيوت واجبهم لحفظ آيات الله ، وما فى هذه الكتب من نافع مفيد .

ونشط بعضهم ـ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ فطبعوا لشهر رمضان « إمساكيات » زينوا أطرافها بأجمل آياتك .. آية الكرسى « اللَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ » ثم انتهت إلى ذات المصير .

وإن أحدهم لا يرضى لنفسه أن يمزق خير صُوَرِه ويجعلها تحت قدميه ولا يرضى ذلك لأحب الناس إليه . فكيف غفل عن اسمك الجليل .

ورضى البعض أن يزين مكتبه بآياتك البينات ، ثم وضع فوقها أكواب « الشاى » والقهوة .. وطُبِعَتْ « يَس » .. و« الواقعة » وغيرهما من كتابك العزيز وسارع بها « الشحاذون » إلى وسائل المواصلات يلقون بها فى حجور الناس رجالا ونساء ، من آمن منهم بها ومن لم يؤمن وعلى من كانت على حال يسمح لها بمس المصحف ، ومن لم تكن .. وكم فى ذلك من خطر رهيب !!

عفوا يارب وصفحا . اللهم اهدنا لنصون اسمك الجليل .

وَاَسْتَمِعْ عجبا :

قائل يقول : أَمْرٌ عَمَّت به البلوى !!

وأعجب منه من يقول :

لا تحزن ؛ إنه ما أن يُلْقَى الاسم العظيم حتى يُنْزَعَ عنه سِرُّه .

ما هذا الهراء ؟! من أين هذا العلم ؟!

أحين تقع عيناى على اسم الله ـ وهو ملقى ـ هل أقرأ أو أفهم غير معناه ؟!

فَلِمَ هذا الضرب من الإيعاز للنفس بأن لاشىء عليها إزاء هذا الإهمال الخطير .

إنه سواء كان المسلم مع هَوَى « عموم البلاء » أو أهل « السر المنزوع » أو من أصحاب أى رأى كان ، واقتنع به ؛ فكم أخشى أن يكون شريكا فى الإهمال والرضى بهذه الفعال .

وما من شك أن لنا مَرَافِقَ مختلفة ، عليها مسئولون لا نشك فى دينهم ولا فى الحرص على مرضاة ربهم ، فأضرع إلى الله أن يتقرب إليه كل مسئول أعطاه قِطَاعُهُ الحَقَّ فى منع هذا البلاء أن يسارع فى حسم هذا الإهمال حسبة لله .. ربنا ونعم الوكيل .

د. على أحمد الخطيب

بيـــان
من الأزهـــر الشـــريف
حول أحداث الكويت وماتبعها

لقد وجه الأزهر الشريف نداء إلى شعوب الأمة العربية والإسلامية وقادتها أذيع ونشر يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم ١٤١١ هـ العاشر من أغسطس ١٩٩٠ م مواكبا لانعقاد القمة العربية بالقاهرة فى ذات اليوم بدعوة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، لتدارك الآثار الوخيمة التى تلحق بالأمة العربية والإسلامية بسبب تدخل قادة العراق وعدوانهم على دولة الكويت واجتياحها عسكريا ، واحتلال أرضها ، وانتهاك حرمات أهلها ، وما أذيع عن انتهاب الأموال وتحطيم الممتلكات ، وإجماع العالم على استنكار هذا الحدث الخطير ، وما اتخذته كافة المنظمات الدولية من إجراءات : منظمة المؤتمر الإسلامى ـ ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ومجلس جامعة الدول العربية ، ومجلس الأمن .

كل ذلك يوم وقوع الكارثة فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ .

هذا .. وقد مضى وقت على هذا الحدث الذى فزع له العالم وتواكبت إلى موقعه فى ساحتنا العربية أساطيل الدول وجيوشها بمختلف أسلحة الدمار والتخريب .. ولا يزال قادة العراق معرضين عن الاستجابة للنصح ، والنزول عند حكم الله الصريح فى كتابه .. فقد دعا القرآن إلى نصرة المظلوم ووقف الظلم حتى درجة القتال .

لذا .. فإن الأزهر الشريف ليعبر اليوم عن قلقه الشديد على مستقبل الأمة العربية والإسلامية إزاء الإصرار على هذا العدوان الأثيم والتمادى فيه .

ولقد ناشد الأزهر ويناشد الرئيس صدام حسين وحكومته صدق الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية والعدول عن هذا المخطط الذى أجهض صلاحيات الأمة العربية للتقدم والنمو ، وأوقعها فى مجال التهلكة التى تأتى على الأخضر واليابس ، والذى نزل بقدرها بين الأمم ، وأفقدها وسائل التعاون والتراحم والمودة فيما بينها . بيدها لا بيد الآخرين .. بأن شذ نفر من قادتها عن الطريق القويم المستقيم فاجتاحوا بلداً وشعباً آمنا مطمئنا ، يؤدى واجبه نحو أمته فى كافة المجالات ، وروعوا النساء والأطفال والشيوخ فى مهاجعهم فى غسق الليل ، وما كان هذا صنيع المسلمين !!

والرسول ـ ﷺ ـ يحذر من ترويع المسلم . فقال فيما رواه أبو داود : « لايحل لمسلم أن يروع مسلما » .

←

وفى حديث آخر رواه البزار وغيره : « لا تروعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم » .

وفى حديث أبى هريرة الذى رواه الطبرانى :

« من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة » .

كما نهى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يروع المسلم بالإشارة إليه بالسلاح .. فقال فيما رواه الشيخان : « لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان يترع فى يده فيقع فى حفرة من النار » .

فى رواية لمسلم عن أبى هريرة : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

وفى حديث ابن مسعود فيما رواه البخارى :

« سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » ..

فأين هذا مما أحدثه جيش العراق بالكويت من تدمير وتخريب وقتل وترويع وتشريد وانتهاب للثروات وانتهاك للحرمات ؟

وأين هذا من نهى الإسلام عن ترويع غير المحاربين وقتلهم وتعذيبهم ؟

إلا أن ما حدث وتناقلته الأنباء من أعمال غير إنسانية اقترفها جيش العراق بالكويت وأهله أمر مفزع محزن يرفضه الإسلام ، ويأباه خلق المسلمين .

إن هذا الذى أوقعت فيه العراق هذه الأمة من موقف لا تحسد عليه إعداداً واستعداداً لمواجهة الكارثة التى توشك أن تقضى عليها لو استمر قادة العراق فى المضى إلى آخر الشوط المخرب ، يقتضى أن تتجاوب الأمة العربية والإسلامية ، وتتنادى إلى التناصر ضد هذا البغى .

إن مقتضى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن تسارع جيوشها إلى الإحاطة بالباغى حتى لا يمتد بغيه وأن تحاصره كما يحاصر الحريق .

إن الله سبحانه قد أذن بقتال الباغى .. ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾(1) . ومع هذا فإن القوات العربية والإسلامية التى تنادت إلى مؤازرة باقى الدول التى تتعرض لشرر هذه الكارثة ، قد تعاونت على حصر الكارثة فى محاولة لإيقافها حتى يعقل القائمون بها مدى العائد والفاقد من هذه الفعلة النكراء من احتلال لشعب عربى مسلم له حرمة الجوار بقوة عسكرية تفوق عدته وعدده والتنكيل به .. ولينظر هؤلاء الذين يحاولون تفجير المنطقة وتدميرها بعد أن انتهكوا حرمة بلد وشعب .. ماذا عاد عليهم من خير بما فعلوا من منكر ؟

وماذا فقدت الأمة ؟ وهل يستويان ، اللهم لا ..

إن الضرر كبير بما لحق الأمة فى كرامتها ومقدراتها ، وإذا كان جيش العراق وقادته قد انتهبوا مالا ، أو اقترفوا آثاما فإن ذلك ليس كسبا ، وإنما هو من باب البغى الذى حرمه الله ، وحذر من عواقبه ، وأمر بالتصدى له .

إن القوة التى اجتاحت الكويت قد أعدت نفسها واستعدت ، وبيتت بليل دون سابقة إنذار ، بل وفى ظل عهود ووعود قطعها قادة العراق على أنفسهم ألا يقدموا على ما فعلوا ، وأن يجلسوا مع جارهم للحوار والعتاب فيما اختلفوا عليه .

وكانت المفاجأة الفاجعة أن تكتسح الكويت وشعبه الآليات الحربية الثقيلة والمدافع والصواريخ وكل

آلات الحرب المعاصرة !! وماكان هذا من شجاعة العرب والمسلمين بل ما كان من طبيعة العربى أن يرفع سيفه إلا على من كان بيده السيف ، ولم يكن يباغت آمنا ولا يهاجم خصما أعزل من السلاح .

أين هذا مما حدث ؟! هل انخلع هذا الجيش المهاجم من خلق العرب وطبائعهم ، التى كانت تجرى فى نطاق أحكام الإسلام الذى يمنع المباغتة أو الهجوم المفاجىء لقتل العزل من السلاح ؟!

وإذا كانت الشعوب العربية من حول الكويت قد فجعت وفوجئت بما فعله جيش العراق واستنجدت بجيوش الدول العربية والإسلامية وبغيرها من الدول التى تملك الأسلحة المتكافئة مع ما اعتدى به جيش العراق على الكويت فإنه لا ضير فى ذلك ، لأن استنجادها بتلك القوات على اختلاف جنسياتها إنما هو قائم على مبدأ الاتفاقات والتعاهد الدولى .. ومن حقها أن تدافع عن نفسها وأن تحمى أرضها وحرماتها من هذا الشقيق الغادر الذى لم يرع عهدا ولا وعداً ولا ذمة ..

وإدعاء العراق أنه بفعله هذا يكون مجاهدا غير صحيح ، لأن الجهاد لا يكون بغيا ولا عدوانا على الجار المسلم الشقيق . كما أن الادعاء بأن القوات الوافدة قد دنست الأرض والحرمات ليس صحيحا لأنها وافدة بإذن أصحاب هذه البلاد ، ولرد العدوان عنها .. وهى قوات مسلمة أو معاهدة ، والاستعانة بمثل هذه القوات أمر مشروع فى الإسلام ، بل إن من أسس الإسلام ؛ ومن حقوق المسلم على المسلم أن ينصره ويرد الظلم عنه ، وكذلك الشأن فى المعَاهَد أيضا ..

والقول بانتهاك الأرض المقدسة بدخول القوات غير المسلمة أرض المملكة السعودية غير صحيح ، لأن هذه القوات إما مسلمة أو معَاهَدة وقد جاءت لرد العدوان ولدفع الظلم .

وأن الأزهر الشريف بالرغم من هذا الواقع المؤلم ، ورغبة فى تجاوزه ، بل وكشف الضر الذى حل بالأمة ، ليدعو قادة العراق إلى العدول عما أقدموا عليه ، وسحب جيوشهم داخل بلادهم ، وعودة حكومة الكويت الشرعية إلى بلدها وأهلها ، وهذا من باب الرجوع إلى الحق ، والعدول عن الخطأ والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، وخير الخطائين التوابون .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢] .

---

(١) سورة الحجرات ٩ .

(٢) سورة الأنفال ٢٤ ـ ٢٥ .

حوادث العراق والكويت

تحقيق صحفى لصحيفة الاتحاد الظبيانية

أجراه مع فضيلة الإمام الأكبر ـ الشيخ جاد الحق على جاد الحق عبد الحميد

● ما رؤيتكم للأحداث المتلاحقة التى تشهدها منطقة الخليج بين قطرين إسلاميين ؟

ـ إن ما حدث من اجتياح العراق أرض دولة الكويت بصورة مفاجئة ، ولكنها فيما يبدو مبيتة ومدبرة بليل .. هذا الذى حدث أمر مؤسف ومحزن لكل عربى ومسلم .. بل لكل إنسان .. ويزيد الأمر أسفا وحزنا أن العدوان من جانب رئيس دولة مسلمة على دولة مسلمة أخرى.. بينهما حقوق الأخوة الإسلامية وحقوق الجوار .. تلك الحقوق التى أكد عليها الإسلام ونماها ووثقها فى كتاب الله ، وسنة رسول الله ـ ﷺ ـ فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وبهذا جعل الإسلام تلك الأخوة هى الرباط القوى ، والحبل المتين الذى يصل المسلمين ، ويحدد الحقوق والواجبات .. ثم هذا رسول الله ـ ﷺ ـ يقول فى حديثه الشريف الذى رواه مسلم فى صحيحه :

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا (ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم .. كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .

وما حدث قد تجاوز كل هذه النصوص ، وما قررته من حقوق وواجبات .. وما كان ينبغى أو يتوقع أن يحدث هذا من السيد رئيس دولة العراق .. بالرغم من كل المساعى الحميدة التى سبقت هذا الحدث من بعض الزعماء لاسيما السيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى ظل يوما كاملا متنقلا بين بغداد والكويت وَجُدَّة حتى اطمأن إلى استقرار السلم واستمراره من جانب العراق .. وكانت المفاجأة .. بل كانت الكارثة التى هزت كيان العرب كأمة .. والتى جعلت بلادهم عرضة للدمار ، ومطمعا للآخرين .. بل وموضع تنافس بين أصحاب المصالح فى تلك المنطقة .

وإنه لمن العبث بمقدرات هذه الأمة أن يستمر هذا الوضع ، وأن يستمر حكام العراق مصرين على استمرار هذا الخطأ الجسيم الذى أذل أمتهم بين الأمم ، ونكس رايتها ، وجعلها نهبا ومطمعا للطامعين .. ونحن أمة تستظل بالإسلام الذى أعلى شأن الأخوة .. حتى شبه المسلمين جميعا بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

فما بالنا بمن يقطع أوصال هذا الجسد .. هل حفظ للأخوة حقوقها ؟ وهل احتفظ للجوار بواجباته ؟؟

● هل تعتقد فضيلتكم أن لدولة إسلامية الحق فى فرض الوحدة على دولة أخرى مجاورة لها ؟ وما رؤيتكم لما يقول العراق : إن العمل الذى أقدم عليه تجاه الكويت يمثل مصلحة للشعوب والأمة العربية ؟

- إن الأخوة الإسلامية فرضها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها عنوانا للعلاقة الإنسانية الإسلامية ، وإذا كان الواقع الإسلامى فى هذا العصر : أن المسلمين قد اختصت كل جماعة منهم بأرض وحدود ، واتخذت سمة الدولة المعاصرة وصفتها ، وصار ذلك أمرا مستقرا ، ومحترما فى العلاقات الدولية ومعترفا به من المنظمات الدولية .. سواء تلك المنظمات الإقليمية كمنظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية ، أو المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة وفروعها وغيرها من المؤسسات ذات الصبغة الدولية .

وإذا كانت الكويت دولة مستقلة ذات كيان سياسى ودستورى وحدود مرسومة فإن العدوان عليها أمر مؤثم فى الدين والدنيا .. أما الدين ، فاحترام الملكية والخصوصيات مما قرره الإسلام فلا عدوان على الملكية الخاصة لجماعة من المسلمين .. وهذه الدولة قد توافق بناؤها على إقامة كيانهم واستقرت أوضاعهم دولة بمنطق هذا العصر .. فالعدوان عليها عدوان على ملكية خاصة لجماعة من المسلمين وفى هذا خروج على حدود الله فى احترام الملكية .

وأما فى الدنيا .. فإن النظم التى ارتضاها المجتمع الإنسانى فى هذا العصر قد اعترفت بكيان هذه الدولة « دولة الكويت » فالعدوان على هذا الكيان باحتلاله عسكريا .. ثم بإعلان ضمه إلى العراق عدوان أثيم فى نطاق القوانين الدولية التى يلتزم بها المجتمع الإنسانى .

وفرض الوحدة بين دولتين من إحداهما على الأخرى لا يكون إلا بالرضا التام ، والمشورة بين الشعبين وقادتهما بمنطق الإسلام ..

هذا والأمة الإسلامية واحدة وإن تكونت من دول ودويلات فى هذا العصر .. لكنها جميعا تتعامل بأحكام الأخوة والجوار فى الإسلام ، وتترابط بهذا المعيار والآداب التى تغيا الإسلام أن تسرى بين الشعوب الإسلامية حتى ترتفع من بينها العصبيات العرقية والإقليمية .. فلا انتساب للجميع إلا إلى الإسلام وإن اختلفت أوطانهم شأن الاختلاف فى الدور ، واختصاص كل أسرة بدارها .

ولا مصلحة للشعوب العربية فيما حدث من هذه الهجمة العراقية الشرسة على الجار العربى المسلم الوادع .. بل هى فيما يبدو المطامع الذاتية لحكام العراق فيما تحوزه دولة الكويت الوادعة من ثروات .. إذ أية مصلحة فى هذا العبث والإفساد الذى وقع على الممتلكات والحرمات .. والانتهاب بل ربما السرقات بالإكراه ؟ وأى مصلحة للأمة والشعوب العربية فى هذا العار الذى لحقها بين أمم العالم .. حيث كان هذا الحادث الذى يدخل فى نطاق السطو المسلح الذى تقوم به العصابات ، وليس من شأن الدول ذات الكيان السياسي والدستورى أن تقدم عليه .

أى مصلحة للشعوب والأمة العربية فى هذا الإفساد والهدم الذى حل بأرض الكويت وشعبها ؟ وأى مصلحة للأمة والشعوب العربية وقد توارت خلف هذا الحدث كل قضايا الأمة الإسلامية التى كانت

منظورة على الساحة الدولية تهتم بها كل المؤسسات ، وتتواكب لاقتراح الحلول لها ؟ إنها انتكاسة خطيرة ، ومأساة توقفت بسببها خطوات هامة فى حياة الأمة العربية .. بل والإسلامية فأية مصلحة فيما حدث ؟ ولمن هذه المصلحة ؟ إنها مأساة بشعة ، يتحمل وزرها من أقدموا عليها ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ . .

● هل تعتقد فضيلتكم ان دعوة العراق لشعوب الأمة العربية والإسلامية ، وحثها على الجهاد ضد القوات الأجنبية المتواجدة بالمنطقة تقف على أرض سليمة أو صحيحة من الواقع ؟ وهل ترون توافق تلك النداءات والدعوات مع ما نص عليه الإسلام حيال فريضة الجهاد ؟

- إن هذه الدعوة إلى الجهاد من حكام العراق فى الحالة القائمة مما يدخل تحت باب : تلبيس إبليس فأى جهاد هذا الذى يدعون إليه ؟! ومن الذى ألجأ جيران العراق إلى الاستعانة بجيوش أخرى عربية وغير عربية ؟! وضد من تدافع ؟ وممن تخوفت ؟!

فهل لهؤلاء الذين افترسوا الكويت بعد ما بذلوا من عهد ووعد بانتهاج السلام فى حل المشكلة .. هل لهؤلاء من حق فى النطق بكلمة « الجهاد » ؟!

وهل من أحد من الشعوب العربية والإسلامية يصدقهم أو يصادقهم على مفهوم الجهاد الذى يدعون إليه ؟!

إنه العدوان الأثيم الذى يريد أن يخلى الطريق أمامه ، لينال مآربه من المسالمين الآمنين والذين هم فى واقع الأمر فى موقع وموقف الجهاد والدفاع عن النفس وبهذا .. فإن تلك الدعوة إلى الجهاد ممن اغتصبوا وافترسوا أرض الكويت وأهله كلمة حق يراد بها باطل ، وليست من الإسلام فى شىء .. وعلى الشعوب العربية والإسلامية أن تفرق بين كلمة الحق ، وكلمة يراد بها باطل .. فتنتصر الحق وتناصره ، وتمنع الظالم والباغى من استمرار بغيه وعدوانه .. كما أوصى رسول الله - ﷺ - .

● هل يرى فضيلة الإمام الأكبر إمكانية قيامه بدور الوسيط لإقناع العراق لاحتواء تلك النزاعات والحيلولة دون وقوع كارثة اخرى على الأمة الإسلامية ؟

- إن الأزهر الشريف لا يتوانى عن الدعوة إلى السلم والسلام بين الناس جميعا لاسيما بين المسلمين .. ذلك لأن الإسلام باسمه وسمته ورسمه ومصادره .. هو السلام .. السلام مع الله .. والسلام مع النفس .. والسلام مع الناس .. ولا يتخلى الأزهر عن الدعوة إلى كل ذلك .. وقد جرت الوساطات لحل هذا النزاع على مستوى الزعماء المسلمين العرب،بل وعلى مستوى قمتهم فى الاجتماع الأخير .. وكان الرفض واستمراره بل والتهديد من جانب مسئول كبير من حكام العراق لوزير خارجية دولة خليجية مجاورة للعراق تهديدا علنيا .. سمعته وأنا فى شرفة قاعة مجلس القمة وسمعه كل الحاضرين فى القاعة الأمر الذى يجعل التفكير فى التدخل من جانب الأزهر بعيد القبول من الطرف الآخر .. إذ قد احتدم فى أنفس حكام العراق أمر الاستمرار فيما وقعوا فيه من كارثة لا يقتصر أثرها عليهم ولا على الكويت التى افترسوها . وإنما تمتد وتمتد وتصل آثارها إلى سائر شعوب المنطقة ، وربنا سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه الكريم : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ الأنفال ٢٥ .

ومع هذا .. وفى هذه المناسبة فإنى أناشد السيد الرئيس صدام حسين رئيس العراق الاستجابة إلى دعوة السلم والجلاء عن أرض الكويت ، وسحب القوات العراقية المهددة لحدود الدول الخليجية المجاورة الأخوة الأشقاء الذين ينتسبون جميعا إلى الأمة العربية والإسلامية ، وفى هذه الاستجابة وقف لامتداد الآثار المدمرة المرتقبة إذا وقعت الواقعة ، واشتعلت نيران الحرب التى يتوقع الا تبقى ولاتذر وهو المسئول الأول عن إشعال هذه الفتنة واشتعال هذه النيران على أرض العرب والمسلمين وفيما بينهم .

والأزهر الشريف ينأى بالعراق الشقيق وأهله أن يكتب التاريخ عنهم أنهم أوقعوا شعوبهم فى انتكاسة قاتلة ومأساة دامية .. ليس العرب فحسب وإنما كل الشعوب الإسلامية .. والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .. وخير الخطائين التوابون ، ومصلحة الأمة فى رفع هذه الغمة ، وليس فى إشاعة الضباب والغيوم فى سمائها حتى لا ترى ما تحت قدميها .

● بماذا يفسر فضيلة الإمام الأكبر نشوب الخلافات وسرعة تفاقمها بين الدول العربية والإسلامية ؟

وما رؤية فضيلتكم لكيفية تحقيق الوحدة والتنسيق بين الاقطار الإسلامية ؟

وهل تنصحون بقصر حل المشكلات التى تنشا بين الاقطار الإسلامية او العربية على وساطة الأشقاء فى جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى ؟ وَألَاَ يتنافى تدخل اطراف اخرى - خاصة إذا ما اتهموا بانهم اعداء او صليبيون - بين المسلمين لمعالجة قضاياهم .. الا يتنافى ذلك مع ما قرره الإسلام ؟

- إن وحدة الأمة الإسلامية مستمدة من أصول الإسلام :. من كتاب الله .. القرآن الكريم ، ومن سنة رسول الله .. محمد - ﷺ - وهى غاية وصل إليها الأوائل من المسلمين .. وكانت الأمة الإسلامية دولة ذات سياسة وسيادة .. امتدت رقعتها إلى أقصى الشرق وإلى أقصى الغرب والشمال والجنوب فى فترة وجيزة فى عمر الأمم ونشوئها ، وقدرة الدولة على تثبيت أركانها .

وإذا كانت الأمة الإسلامية فى هذا العصر قد تحولت إلى دول بالمنطق السائد ، وكان للاستعمار أثر ظاهر فيما حدث ، وغرس أسباب الشقاق والفرقة والانعزال وإثارة العنصرية والعرقية والإقليمية خشية أن تعود للأمة الإسلامية وحدتها .. فإن ذلك لا يحول دون وحدة العمل ، ووحدة الرأى والفكر بين الشعوب الإسلامية على اختلاف مواقعها بغض النظر عن الحدود السياسية لكل قطر أو جماعة أو شعب ، لأن كل أولئك هم الأمة الإسلامية التى يجب أن تسعى إلى تحقيق هدفها الذى قامت عليه العبادات المفروضة ، والمعاملات المشروعة .. وبالجملة ، الذى قام عليه الإسلام عقيدة وشريعة : فالقبلة فى الصلاة واحدة ، والصوم فى شهر واحد ، والزكاة مفروضة على الأغنياء جميعا ، والحج إلى بيت الله الحرام والمناسك من حوله . فأى دعائم للوحدة أقوى وأنقى من هذه ؟

وعلى هذا .. فإن وحدة المسلمين كأمة - مرة أخرى بغض النظر عن الحدود السياسية والجغرافية لكل قطر - تستند إلى الوحى الإلهى الآمر فى كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ .

فهل نبتغى دعائم أخرى للوحدة ؟

وإذا كنا نتساءل عن طرق تنفيذ أو تحقيق هذه الوحدة ، فإن لنا أن نأخذ أقصر الطرق وأقربها من عصرنا وما يجرى فيه .. فنحن نرى مجموعات من الدول ذات الحدود الجغرافية والسياسية المنفصلة

←

ولا تصل فيما بينها أية روابط أخرى كالتى تربط الأمة الإسلامية .. نجد هذه الدول قد بدأت خط الوحدة من الصفر .. أى دون مقومات إلا المصالح المشتركة التى رأت فيها القوام لها والحماية والقوة .. فبدأت بالتنسيق الاقتصادى والتجارى .. ثم بتشكيل المجالس واللجان الفنية التى تتدارس مشاكلها الآنية والمستقبلة ، لترسم كيف تواجه هذه المشكلات بالتنسيق فيما بينها ، وبوحدة الرأى ، وبإتْباع القول العمل .. ونشأت فى هذا الطريق فى عالمنا مجموعات من الدول تتسابق نحو التنسيق فيما بينها .. وصولا إلى الوحدة الكاملة مع احتفاظ كل دولة بحدودها ونظمها الداخلية ، وكل ما يتعلق بمقوماتها .. ولكنها كوحدة قد توحدت فى سياستها الخارجية ، والاقتصادية والتجارية بل والصناعية بحيث تتكامل فى كل ذلك ولا تتناقض أو تدافع .

وعلى الأمة الإسلامية شعوبا وحكومات أن تأخذ هذا الطريق فتبدأ فى التنسيق فيما بينها تنسيقا يؤدى إلى تكاملها فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والسياسية والصناعية ، ولتعالج المشكلات التى تطرأ بالمبدأ الإسلامى الذى أقره الله فى كتابه حين قال سبحانه : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى ٣٨ .

ولعل التحكيم عند ظهور المشكلات الحادة هو مبدأ إسلامى أو قانون إسلامى وجه الله إليه فى كتابه ، والعدل فى الحكم من أسس الإسلام .. ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء ٥٨ ـ بل إن الله سبحانه أمر بالعدل حتى مع المخالفين .. فقال : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة ٨ ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ . . . ﴾ البقرة ٢٣٧ .

والتحكيم الذى أمر به الإسلام بدأ بنظام الأسرة ، فهذا قول الله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء ٣٥ .

وفى شأن جماعة المسلمين قال الله : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات ٩ ـ ١٠ .

وبهذا كان التحكيم عند طروء المشكلات بين المسلمين مأمورا به فى القرآن الكريم ، وكان واجب الامتثال من المسلمين أفرادا وَأُسَرًا وأمة .. فإذا أغضينا عن هذا الأمر الإلهى وقعت الواقعة ، وكان ما نواجهه الآن من هذه النار التى توشك أن تكون ضراما لا تبقى ولا تذر .. مع أن الإسلام يأمرنا بهذه الآيات أن نأخذ على يد الظالم المعتدى ، وأن نمنعه من الظلم .. كما جاء فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ

والتحكيم الشرعى هو وسيلة حل المشكلات ، وقد أهملناه مع أن فى شعوبنا الحكماء العدول ، وإذا كانت المنظمات الدولية فى عصرنا قد صارت حقيقة واقعة ـ وإن لم تكن لها الهيبة المقنعة ـ فإن لدينا فى أمتنا المؤسسات المعترف بها من شعوبنا ودولنا .. فأين هى ؟

هل غيبت أو تغيبت ؟ فلم تقل كلمتها ، ولم تنفذ مواثيقها ، وإنما اكتفت بأن تجتمع وتنفض ثم يجرى التراشق بألسنة حداد وبتناقل الشائعات والدعايات المضللة دون أن يكون لها صوت حتى بإحقاق الحق

وإنكار الباطل والزور .. ولا مراء فى أن هذه الحال هى من سقوط هيبة هذه المنظمات لدى الحكومات ، وكان علينا لو انتصفنا من انفسنا أن نقيم لهذه المؤسسات هيبتها ووزنها ، وننمى قوتها حتى تأخذ دورها الملزم فى التحكيم والحكم فيما يقع من مشكلات فى عالمنا العربى والإسلامى ، وأن نضع ثقتنا فيها ، ونوسد أمور الخلاف إليها .. بمعنى أن نتحاكم عندها لا أن نمتشق الحسام ، ونتدافع بأسلحة الدمار المخربة والمهلكة .. بل ونعتدى على الأموال والحرمات .

وللمعتدى عليه حق الدفاع عن نفسه بنفسه بل هو واجب ، وله أن ينتصر بغيره من إخوته المسلمين أو بمن بينه وبينهم عهود ومواثيق .. أو بلغتنا المعاصرة : معاهدات وأحلاف ، والإسلام يقر المواثيق التى لا تتنافى مع أصوله وأحكامه ، والقرآن الكريم صريح فى ذلك،ومن هنا فإن وجود معاهدات أو اتفاقات دفاعية بين دولة مسلمة وأخرى غير مسلمة لا حرج فيه ، ولا يتنافى مع أحكام الإسلام التى أجازت عقد المعاهدات مع غير المسلمين واحترامها .

أما نشوب الخلافات بين المسلمين وسرعة تفاقمها فإن ذلك راجع إلى انفلات هؤلاء الذين يثيرون المشكلات من الإسلام وأحكامه ، وذلك هو ما عبر عنه القرآن الكريم فى قول الله : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا . . ﴾ الآية ٩ الحجرات .. حيث دعا القرآن إلى التدخل بالصلح بين المتقاتلين .. ثم أمر بمقاتلة الباغى .. أى الذى لم يرضخ للتحكيم والحكم فى النزاع فلو أن قادة هذه الأمة التزموا بأحكام الإسلام ، ونزلوا عند قضائه بعرض الخصومة على حكام من المسلمين ومن منظماتهم الدولية ـ منظمة المؤتمر الإسلامى ـ جامعة الدول العربية ـ لوجدوا حلول المشكلات بالعدل والقسطاس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة ٥٠) .

من سيرة المصطفى

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ/ عبد المنعم محمد عمر

لقد كانت هجرة رسول الله ﷺ إلى « المدينة المنورة » بداية لعهد جديد في تاريخ البشرية ، فقد كانت فاتحة لجهاد طويل في نشر الإسلام وتعاليمه .

والإسلام يرتفع بالإنسان فوق مستوى عبادة الأصنام والشرك بالله إلى عبادة إله واحد لاشريك له والإيمان برسوله وما انزل عليه وكان لابد للنجاح في الوصول إلى هذا الغرض السامى من بناء امة جديدة تؤمن بالله ورسوله وبالمنهج الإسلامى الذى يامر بالعمل على نشر القيم الكريمة التى يدعو إليها هذا الدين في آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ١٠٤ .

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يكون بناء هذه الأمة على ما أراد الله ـ تعالى ـ قائما على أساس الإيمان بالله ورسوله وعلى تقوى الله ، تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحديد ٢٨ ، وأن يكون الناس هذا هذا المجتمع الجديد أحرارا ، وان يتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى حتى يعيشوا في سلام واخوة إسلامية متساوين في جميع الحقوق والواجبات ، ويكون أرفعهم عند الله منزلة في الدنيا والآخرة اتقاهم ، عملا بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات ١٣ ..

وكان رسول الله ﷺ يبذل اقصى ما يستطيع لبناء الأمة الإسلامية في « المدينة المنورة » ، ويعمل على إنشاء الدولة الإسلامية التى تحمى هذه الأمة من العدوان الخارجى ، وتسهر على نشر وصيانة السلام داخل « المدينة المنورة » وعلى تنفيذ المنهج الإسلامى بين أفراد المجتمع الجديد الذى أنشأه الرسول الكريم ، كما تعمل على نشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، ثم على نشره في أرجاء العالم ، حتى يصبح العالم كله أمة واحدة يعمها الأخوة والسلام .

(*) الكاتب المدير العام لدار الكتب والوثائق القومية ، ووكيل وزارة الثقافة الأسبق ، ورئيس احياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ماقبل الوحدة الإسلامية[1] :

كان رسول الله ﷺ يبذل كل هذه الجهود فى بيئة أمية لم تعرف من قبل ماهى الأمة الواحدة المتعاونة ، ولم تألف أن تعيش خاضعة لحكومة مركزية تقيمها دولة ، ولم تذق قبائلها قبل ذلك طعما للسلام والمحبة والأخوة ، ولكنهم عاشوا قرونا يدينون بالولاء للقبيلة وما تشتمل عليه من البطون والعشائر ، وكانت هذه البطون والعشائر لاتسمح لواحدة منها أن تعلو أو أن تستأثر بالتفوق والنفوذ على مثيلاتها فى القبيلة ، ولذلك كان ولاء الأفراد للبطون والعشائر يطغى أحيانا على الولاء للقبيلة نفسها . وكانت كل قبيلة تعيش مستقلة عن القبائل العربية الأخرى إلا إذا كان بينها وبين بعض القبائل الأخرى حلف يساعد على أن تعين كل منها الأخرى عند الشدائد ، وخاصة عند حدوث أى عدوان على طرف من أطراف هذا الحلف الذى تنتمى إليه ، وذلك فى بيئة كثيرا ماكان يحدث بين قبائلها خلاف وتنازع وحروب تجعل أفراد القبيلة دائما غير مطمئنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ومن هنا يستطيع المؤرخ أن يدرك لماذا تغير الوضع بعد أن ملأ الإيمان قلوبهم فى « المدينة المنورة » فأصبح ولاؤهم لله الواحد الأحد ، ثم لرسوله ﷺ وللشريعة الإسلامية السمحة .

فالعقيدة الإسلامية هى التى وحدت بين المسلمين فى المدينة المنورة ويسرت للنبى الكريم تكوين الأمة والبدء فى إنشاء الدولة .

وفى ظل الجهود التى كان يبذلها رسول الله ﷺ لبناء الأمة الإسلامية الناشئة وتكوين الدولة التى تسهر على حمايتها ، عاش الرعيل الأول من المسلمين فى المدينة المنورة يغمرهم السلام وتربط بينهم روابط الأخوة الإسلامية ، آمنين على أنفسهم وأعراضهم ، وعلى حرياتهم وجميع حقوقهم التى ضمنتها لهم الشريعة الإسلامية ، فازدهر المجتمع الإسلامى برغم قلة الموارد الاقتصادية فى بداية نشأة هذا المجتمع حتى أغناهم الله من فضله ، وسنحاول أن نذكر ـ مع ما نستطيع من الإيجاز ـ أهم الجهود التى بذلها فى هذا السبيل خاتم الأنبياء والمرسلين .

المؤاخاة :

لما تمت بيعة الأنصار الثانية لرسول الله ـ ﷺ ـ أمر النبى الكريم ـ ﷺ ـ المسلمين الموجودين فى مكة بالهجرة إلى يثرب ، وقال لهم : « إن الله ـ عز وجل ـ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها »[2]

وقد أراد الله ـ سبحانه ـ لرسوله ﷺ بعد وصوله إلى يثرب ـ أن يرى ضرورة الإسراع فى إدخال إصلاح جذرى فى تكوين المجتمع الإسلامى ، الذى بدأ ينمو ويتكون فى المدينة المنورة ، إصلاحا يؤدى إلى تربية الفرد المسلم تربية إسلامية صحيحة تؤدى إلى زيادة الترابط والتآلف بين المهاجرين والأنصار ، وتوثق عرى التعاون والمحبة بينهم ، بحيث تسمو هذه العلاقة فلا تكون قائمة على مالقيه المهاجرون من الإكرام فى الضيافة ، كما تسمو على الانتماء إلى القبيلة أو العشيرة ، وتكون أوثق من الارتباط الوجدانى بالأسرة وصلة الرحم والعصبية أو الجنسية ، ولذلك فقد خطط لبناء العلاقة بين المهاجرين والأنصار منذ بداية استقراره فى « المدينة المنورة »[3] على أن يكون أساس الارتباط بينهما هو الإيمان بالله ورسوله والولاء للإسلام ، وقد

(1) بعض العناوين الفرعية من إعداد التحرير .

(2) انظر : السيرة تنقيح ابن هشام ص ٤٦٨ ـ ٤٧٩ ، وسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٣/٣١٣ ـ ٣٢٤ .

(3) السيرة لابن هشام ، جـ ١ ـ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٧ ، وكذلك « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » للصالحى جـ ٣ ص ٥٢٧ ـ ٥٣٦ والدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص ٩٦ ـ ١٠٠ ، وجوامع السير لابن حزم ص ٧٣ ـ ٧٤ ، ونهاية الأرب جـ ١٦ . ص ٣٤٧ .

بارك الله ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ .

وكانت الخطوة الأولى لبناء صرح المجتمع الإسلامى الجديد فى « المدينة المنورة » على أسس سليمة هى « المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار » .

لقد آخى رسول الله ﷺ فى هذا الإصلاح بين العربى وغير العربى ، وبين الحر والعبد ، وبين الزعيم فى القبيلة وأحد الموالى ، وبين الغنى والفقير فآخى على سبيل المثال بين « بلال بن رباح الحبشى » مولى أبى بكر الصديق وبين « أبى رويحة عبد الله الخثعمى » أحد زعماء الأنصار وأولى الرأى فيهم(٤) كما حالف بين « عمار بن ياسر » حليف بنى مخزوم القرشية وبين « ثابت ابن قيس » أحد رجالات الخزرج وخطيب الأنصار وخطيب رسول الله ﷺ ، وكذلك آخر بين « ابن مسعود » خادم رسول الله ﷺ وبين « سهل بن حنيف » أحد زعماء الأوس ومن شجعانهم ، وهو أحد الذين ثبتوا يوم أحد ، وكان يرمى بالنبل عن رسول الله ﷺ .

وبهذا التآخى كون رسول الله ﷺ أسرا إسلامية جديدة تآلفت قلوبها وتعاقدت على أن تسير فى حياتها وفق المنهج الإسلامى الذى يرتقى بالسلوك البشرى إلى درجة لم تصل إليها الإنسانية من قبل . وأصبح التكافل الاجتماعى بين أفراد الأسرة الإسلامية التى أنشأها رسول الله ﷺ أهم دعامة تقوم عليها سعادتها ، ويقوى به كيانها .

وارتقى الرسول الكريم بهذا التآلف والتآخى والتحالف وأعلاه .

المعايشة السلمية فى المدينة المنورة :

ولما أكرم الله ـ سبحانه ـ المسلمين فى المدينة المنورة ، فألف بين قلوب الإخوة المتحابين فى الله من المهاجرين والأنصار ، وانتشر السلام بين أفراد الأسر التى يتكون منها المجتمع الإسلامى فى مدينة رسول الله ﷺ وفق الله ـ سبحانه ـ رسوله ـ ﷺ ـ فرأى بسامى حكمته وثاقب فكره أن يعمل لتصبح المدينة المنورة يسودها السلام ، وتنتشر بين جميع أهلها المحبة والتعاون ، بحيث يعيشون فى أمن وأمان ، ويكون جميع سكانها ـ من المسلمين ويهود ومن العرب غير المسلمين الذين كانوا مايزالون على عبادة الأصنام ـ يكونون جميعا مجتمعا متعاونا ، يحسن كل فرد فيه جوار الآخرين ، وأن يشتركوا جميعا فى الدفاع عن قريتهم ، ولذلك كتب رسول الله ﷺ بينهم جميعا صحيفة تعاهدوا فيها على أن تسود المعايشة السلمية والتعاون فى أنحاء قريتهم بما يضمن لسكانها حياة آمنة مطمئنة تكون سببًا فى سعادة المجتمع المدنى ، وفى الازدهار الاقتصادى لجميع أفراده .

كان إبرام هذه « الصحيفة » التى يطلق عليها فى زماننا هذا لفظ « المعاهدة » هو الوثيقة التى أعلنت قيام « الأمة الإسلامية » وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ صراحة فى مقدمتها ، وقد جاء تكوين هذه الأمة تنفيذا لما أمر الله به سبحانه فى كثير من آيات الكتاب الحكيم مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٩٢ .

البقية ص ٣٠٢

(٤) اعتمدنا فى اختيار هذه الأمثلة على « أسد الغابة لابن الأثير » .

ماينبغي أن تعرفه عن نسب

خير من جاء الوجود

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي على القرني

انوار صاحبت مولده :

لم يحظ بشر بما حظى به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شرف النسب ، وطهارة المولد ، وكرم المحتد ، وكثرة الإرهاصات ، وصدق البشارات ، وحسن الاستقبال يوم مولده الكريم ، فقد احتفلت الدنيا باسرها به ، وازدانت الطبيعة بمقدمه ، وتجمل الكون كله بمطلعه ، وقد بشر الأنبياء جميعا برسالته وبعثته ، حتى لقد اخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك حين قال : « انا دعوة إبراهيم ، وبشر بى عيسى بن مريم ، ورات امى حين وضعتنى خرج منها نور اضاء له قصور الشام » .

مجمع الزوائد جـ ٨ صـ ٢٢١ عن ابى امامة وابى بن كعب ، وفى جمع الجوامع برقم ١٤٩٩/٤٠١١ ـ

وفى رواية اخرى : « انا دعوة ابى إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ، ولما ولدت خرج من امى نور اضاء ما بين المشرق والمغرب » ـ جمع الجوامع برقم ١٥٠٠/٤٠١٢ .

اسماء طيبة فى استقباله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..

وقد تضافرت الأسماء الجميلة على استقباله ساعة مولده ، فقال بعض الرواة : إن الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف حضرت ولادته ، كما حضرتها فاطمة بنت عبدالله وهى أم عثمان بن ابى العاص الثقفى ، وروى عنها قولها : « شهدت ولادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وضعته أمه آمنة ، وكان ذلك ليلاً ، قالت : فما من شىء انظر إليه من البيت إلا نوّر ، وإنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى اقول : « يَقَعْن على » ـ الإصابة فى تمييز الصحابة ٨/٦٧ .

وحضنته أم أيمن واسمها بركة ، وقد شهرت بكنيتها وهى أم أسامة بن زيد وأرضعته حليمة السعدية .

فهذه أسماء كلها تشير إلى الشفاء واليمن والبركة والحلم والسعد ، بالإضافة إلى الأمن الذى يحمله اسم أمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وهذه التوافقات الإعلامية العجيبة لا تكون إلا من قبيل الإعجاز الذى أكرم الله به سيد البشر ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

النبى ﷺ يفتخر بنسبه :

ولقد تحدث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن شرف نسبه فقال : « أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر[1] بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وماافترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما ، فأخرجت من بين أبوى ، فلم يصبنى شىء من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى ، فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا » .

الجامع الصغير برقم ٢٦٨٢ ـ

وذكر المناوى مناسبته فقال :

بلغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رجالاً من كندة يزعمون أنه منهم ، فقال : « إنما يقول ذلك العباس وأبو سفيان إذا قدما إليكم ليأمنا بذلك ، وإنا لا ننتفى من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة » ، ثم خطب الناس فقال : « أنا محمد .. » الحديث السابق ..

جمع الجوامع برقم ٣٩٧١ / ٨٤٥٩ .

ويحق للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتحدث عن شرف نسبه فى بيئة تعتز بشرف النسب وطهارة المولد وكرم المحتد .

وحين استعطفت قتيلة بنت الحارث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن قتل أخاها النضر ؛ لأنه كان يؤذى المسلمين بشعره قالت :

أمحمد أو لست ضنء نجيبة
من قومها والفحل فحل معرق ؟
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

فدمعت عينا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لأبى بكر : « لو كنت سمعت شعرها ما قتلته » .

أسد الغابة ٧/٢٤٢ ـ فقد مدحته بشرف المولد والأصل والنسب .

العرب يعيرون بهجانة النسب :

ولما أراد حسان أن يهجو قريشاً لأنهم آذوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشعرهم هجاهم بأحسابهم . وكان أشد شعر على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شعر أبى سفيان بن الحارث ، وهو ابن عمه ، فدعا عبدالله بن رواحة واستنشده فأنشده ، فقال له : أنت شاعر كريم .

ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده ، فأنشده ، فقال له : أنت تحسن صفة الحرب .

ثم دعا بحسان بن ثابت فقال له : أجب عنى ، فأخرج لسانه فضرب به أرنبته [2] ، ثم قال :

---

(١) وفهر ـ هو قريش عند المحققين .

(٢) طرف أنفه .

والذى بعثك بالحق ما احب ان لى به مقولا فى معد ..

ثم سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يمس من أبى سفيان .

فقال : كيف وبينى وبينه الرحم التى علمت ؟

قال : أسلك منه كما تسل الشعرة من العجين .

فقال له : اذهب إلى أبى بكر ـ وكان أعلم الناس بأنساب قريش وسائر العرب ـ فمضى حسان إليه ، فذكر له معايبه .

فقال حسان :

وإن سنام المجد من آل هاشم
بنو بيت مخزوم ووالدك العبد
فقد ولدت أبناء زهرة منهم
كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه
ولكن لئيم لا يقوم له زند
وإن امرءا كانت سمية أمه
وسمراء مغمور إذا بلغ الجهد
وأنت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبى قحافة .

وقد فسر الحصرى صاحب زهر الآداب هذا الشعر فقال :

يعنى ببنى بيت مخزوم عبدالله وأباطالب والزبير أبناء عبدالمطلب بن هاشم ، فإن أمهم هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء وهى أم حكيم ، والبيضاء جدة عثمان بن عفان ، أم أمه .

وقوله : وقد ولدت أبناء زهرة كرام . يعنى أميمة ، وصفية أم الزبير بن العوام ، أمهما هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة .

وقوله : ولست كعباس ولا كابن أمه ، يعنى أن العباس أمه نتيلة امرأة ابن جعفر بن واسط وأخوه لأمه ضرار بن عبدالمطلب .

وقوله : وإن امرءا كانت سمية أمه وسمراء يعنى سمية أم أبى سفيان بن الحارث وسمراء أم أبيه ..

زهر الآداب جـ ١ صـ ٦٢ .

فهذا الهجاء كان من أشد الهجاء على أبى سفيان .. فهو وإن لم يعيره بفحش إلا أنه أشار إلى أن من ذكر من نسبه دون نسب غيره وشرفه .

نفى شبهة :

ولا بأس من الإشارة هنا إلى شبهة أثارتها بعض الأقلام وبددها الثقات من المحققين الأعلام ، ذلك أن بعض المفسرين أشار عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ « النساء ٢٢ » إلى أن هذا الاستثناء ورد لئلا ليعاب نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليعلم أنه لم يكن فى أجداده نكاح سفاح ، ذلك أن خزيمة بن مدركة حين مات خلفه ابنه كنانة على زوجته برة بنت اد بن طابخة ، فولدت له النضر بن كنانة .

ولكن الجاحظ فى كتابه ـ الأصنام ـ بدد هذه الشبهة فقال : حقاً لقد خلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته وهى برة بنت أد بن طابخة ، ولكنها لم تلد له ذكراً ولا أنثى ، ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت مر بن أد بن طابخة تحته وهى التى ولدت له النضر بن كنانة ، وجاءت الشبهة من تشابه اسم المراتين . ثم قال : معاذ الله أن يكون أصاب نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نكاح مقت ، وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مازلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام

حتى خرجت بين أبى وأمى ، والحمد لله الذى نزهه عن كل وصم وطهره تطهيراً » .

النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مرآة أصحابه صـ ٢٠ ، وحياة الحيوان للدميرى ٢/ ٤٣٤ ط التحرير .

انا ابن العواتك

وإذا كان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد افتخر بآبائه ، فقد افتخر كذلك بأمهاته . فقد ذكر الرواة أنه قال فى غزوة حنين « أنا ابن العواتك من سُلَيْم » .

الجامع الصغير برقم ٢١٨٠ ، وذكره الطبرانى ورمز له بالصحة وفى جمع الجوامع برقم ٨٥٨٥/٤٠٩٧ عن سيابه بن عاصم السلمى .

وقبل أن نذكر أسماء هؤلاء العواتك نشير إلى ماذكره ابن منظور حول مفهوم هذا الاسم . قال :

عَتَك يَعْتِك عتكاً إذا كر . قال الشاعر :

تتبعهم خيـلا لنـا عـواتكـا

فى الحرب حُرْدًا تركب المهالكا

وحردا أى مغتاظة عليهم .

وعتك فى الأرض يعتك عتوكاً إذا ذهب وحده - وهذا يعنى الانفراد -

والعاتك الراجع من حال إلى حال .

وعتكت القوس احمرت من القدم وطول العهد .

وامرأة عاتكة محمرة من الطيب ، ويقال : لون عاتك أى خالص ، أى لون كان ، وكل كريم عاتك .

وسميت المرأة عاتكة لصفائها وحمرتها . أما ابن سعد فى طبقاته فقال : تسمى عاتكة لطهارتها .

ولا مانع من نقل العلم من هذه المعانى المختلفة .

ونعود إلى الحديث الوارد « أنا ابن العواتك من سليم » وقد علق عليه ابن منظور تعليقاً طريفاً لا بأس من الإشارة إليه . قال :

والعواتك جمع عاتكة وهى المتضخمخة بالطيب .

والعواتك من سليم ثلاث - يعنى جداته - صلى الله عليه وسلم - وهن :

عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أم عبد مناف بن قصى جد هاشم .

وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أم هاشم بن عبد مناف .

وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان أم وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أمه آمنة بنت وهب .

فالأولى من العواتك عمة الوسطى ، والوسطى عمة الأخرى .

ويستطرد ابن منظور قائلاً : وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

ولبنى سليم مفاخر منها انها (ألَّفت) معه يوم فتح مكة . يعنى أنه شهدها منهم مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ألف رجل ، وأن النبى - صلى الله عليه وسلم - قدم يومئذ لواءهم على الألوية ، وكان لونه أحمر .

ومنها أن عمر - رضى الله عنه - كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام أن ابعثوا إلى من كل بلد افضله رجلاً .

فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمى .

وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى .

وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمى .

وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمى ...

فتوافق الأفاضل جميعاً فى سُليم .

وهناك عواتك أُخَر فى أمهات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير بنى سليم .

قال ابن برى ـ فيما يحكيه ابن منظور ـ أيضاً ـ : والعواتك اللائى ولدنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اثنتا عشرة ، اثنتان من قريش ، وثلاث من سليم ، واثنتان من عَدْوان ، وواحدة كنانية ، وواحدة أسدية ، وواحدة هُذلية ، وواحدة قضاعية ، وأخرى أزدية .

وإن كان ابن سعد فى طبقاته عدهن ثلاث عشرة عاتكة .

الفواطم من امهاته :

وإذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد افتخر بأنه ابن عواتك سُلَيْم ، فقد اعتنى الرواة بإحصاء الفواطم من أمهاته .

ومعنى الفاطم مأخوذ من الفطم وهو فصل الولد عن الرضاع .

وتسمى المرأة فاطمة وفطام وفطيمة وفاطم أيضاً .

والفواطم اللاتى ولدن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : واحدة قرشية ، واثنتان من قيس ، واثنتان من اليمن ، وواحدة أزدية ، وأخرى قراعية .

قال ابن منظور : وقيل للحسن والحسين ـ رضى الله عنهما : ابنا الفواطم .

ذلك أن أمهما فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفاطمة بنت أسد جدتهما لأبيهما على بن أبى طالب ، وفاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم جدة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبيه ..

وقد استقرأ ابن سعد فى طبقاته أسماء هؤلاء الأمهات من الفواطم والعواتك فى حديث شهى يذكر بعناية الرواة بنسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الزكى ، ويشير إلى ما شرفه به ربه من عظيم العناية وكريم الرعاية .. حتى اجتمعت فيه كل مقومات الكمال ، وتوافقت فى عنصره الشريف كل ميزات الجلال والجمال .

لقد وهبه الله إلى جانب ما وهبه من شرف النسب وطهارة الأصل ، وطيب العنصر ، وجمال المظهر وحسن المخبر ـ كمال الخلق وعظيم السجايا ونبل الصفات حتى اجتمع فيه الكمال من أقطاره ..

ولقد زكاه ربه بأعظم تزكية حيث قال فى حقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « القلم ٤ » .

ودعا إلى الناس به فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ « الأحزاب ٢١ » .

وليس غريباً بعد ذلك أن يتفنن الواصفون فى وصفه والمادحون فى مدحه ، مع شعورهم جميعاً بالتقصير فى حقه . وقد أحسن البوصيرى ـ رحمه الله ـ صنعا حيث قال فى بردته :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
وأحكم بما شئت قولاً فيه واحتكم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم ..

لقد كان مولد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطلع خير على الإنسانية جمعاء ، أطلق لسان أمير الشعراء أحمد شوقى بقوله الذى نقوله معه :

يا خير من جاء الوجود تحية
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بك بشر الله السماء فزينت
وتضوعت عطراً بك الغبراء..

ـ صلى الله عليه وسلم ـ

القربان

لفضيلة الشيخ
محمد على الطعمى

دخل عبد المطلب داره محزون النفس عابس الوجه مزموم الشفتين ، يقلب كفيه فى صمت رهيب وسكون غامض ، وراح يجمجم تارة ويئن اخرى ، وفى كلتا الحالتين ترتفع الجمجمة ويزداد الانين ولا يجد عنهما مخرجاً ، وجلس عبد المطلب ـ شيخ قريش ـ على حصيرته التى اعتاد الجلوس عليها ، تظلله افكار سود عاتية ، فاخذ يفتح عينيه ويغمضهما ، ثم اتكا على وسادة من ليف وقال يحدث نفسه :

إن قريشا لازالت تلاحقنى بالأسى وتتابعنى بالأذى حتى حرمتنى من هجعة الليل ولذة اليقظة ، وجعلتنى أضيق ذرعا بالإقامة فى مكة الطيبة وحرمها الآمن ، وجعلتنى أيضاً أتأفف من سمر السمار وحديث الركبان وأخبار العرب الغابرين والحاضرين .

ثم قال : ياعجبا من قومى الذين شغلهم جمع المال عن كل شىء ، وسيطرت عليهم رحلة الشتاء والصيف ، فأصبحوا لا يكلون من سفر ، ولا يخنعون لإقامة ، ولا يحبون أن يستريحوا من تعب ، حتى اكتظت بيوتهم بالذهب والتحف والرياش ، ومع ذلك لم يقنعوا ، فسولت لهم انفسهم أن يستحوذوا على الكنز الذى وجدته أثناء حفر زمزم ، ولولا اننى خوفتهم من غضب الآلهة وسخط رب البيت لاقتسموه فيما بينهم ، ولولا أننى قلت لهم هذا مال الله ويجب أن يوضع فى خزانة الكعبة سدا لحاجتها لامتدت إليه أيديهم واضافوه إلى أموالهم ، وهاهم اليوم يريدون

● الكاتب : مفتش الوعظ ورئيس المكتب الفنى سابقاً .

أن يزاحموا الحجيج على الماء ـ ماء زمزم ـ ويشربوه شربا وينزحوه نزحا فى جرأة ونهم لا يليقان .

وخرج الرجل من بيته مغاضباً فى طريقه إلى الكعبة ، فألفى قومه جلوسا يتداولون فى شأن بئر زمزم ، وكيف أنه ـ عبد المطلب ـ يطمع أن يسقى الحجيج قبل أن يسقيهم ، ويروى بالماء الوافدين من مشارق الأرض ومغاربها قبل أن يرويهم ، علما أنهم قائمون على خدمة البيت كما هو قائم وحراس عليه كما هو حارس ، ويقدمون للضيوف الخراف والثريد والحلواء كما يقدم ، فلماذا يفضل البعداء على القرباء ، والحال أننا أبناء عمومته نرث فى مجد مكة وشرف الحرم التليد ؟ ومن قال إن هذا الماء وقف على ناس دون ناس ؟ ولو أنصف عبد المطلب لتركه مباحاً لنا ولغيرنا وللطير والحيوان على حد سواء ، وقال القرشيون ، ونحن بدورنا لانسكت على هذه المعرة التى لحقتنا ، ولسوف نقف فى وجه هذا الشيخ معاندين بأولادنا الكثر وسلاحنا البتار .

وقال عبد المطلب يخاطبه أهل من قريش .. لقد تكلمتم وسمعت كلامكم ، واعلموا أننى ما حفرت بئر زمزم عن أمرى ، وإن هاتفاً أتانى ودعانى إلى حفرها وعرفنى مكأنها ، وكانت اندثرت وذهبت معالمها ، فنفذت الأمر راضياً وأعاننى على ذلك ابنى الحارث ، وكنا نحن نشق الأرض شقا ونخلع الحجارة ونرفع الرمال ، وكنتم أنتم تسخرون منا وتضحكون علينا ، فلما ظهر الذهب فى جوف البئر جادلتمونى فى أخذه ، ولولا التحكيم للآلهة لاغتصبتموه لأنفسكم ، وبعد الذهب نبع الماء ، فجئتم ثانيا تتزاحمون عليه وتجعلونه لكم أولاً وللحجيج ثانياً ، بينما الحجيج ضيوف الله ثم ضيوفكم ، فمن الواجب أن نكرم وفادتهم ونيسر لهم ما تعسر من الأمور ، فإن لم تفعلوا أخشى أن تصيبكم الآلهة بقارعة قاسية وتصب عليكم البلاء صبا ، وقال عبد المطلب ياقومى .. أراكم أسرفتم فى الجدل وتحاملتم علىَّ حتى نفد صبرى ووهن عظمى ، وإنى أكره الضغوط والجدل والإسراف فى الكلام ، ثم ماذا ؟ ثم إنكم تفاخروننى بكثرة أولادكم ووفرة عددكم مستغلين ذلك فى تنفيذ مصالحكم .. أقول لكم .. لله على نذر إن رزقنى الله بعشرة أولاد لأذبحن منهم ولدا ..

وسمع بنو عبد مناف نبأ النذر وضراعة الشيخ فعضوا على النواجذ من الغيظ ، وتعصبوا لابن عمهم عبد المطلب ، وكادت قريش يضرب بعضها رقاب بعض وتدخل الأرض الحرام حرب مسعورة ، لولا أن عبد المطلب أخذهم باللين ودعاهم إلى التروية وحذرهم عاقبة الشرور .

ومضى الزمن يجرى غير وان ولا بطىء ، وتكامل لعبد المطلب عشرة أولاد كلهم ذكور تنشرح لهم الصدور وتفرح بهم القلوب ، ورأى عبد المطلب فى أولاده قوة ومنعه وجاها ، ورآهم ملء العين والسمع والفؤاد ، ورآهم يغدون فى دروب مكة ويروحون كأنهم جند مرصوص ، فحمد الله وأثنى عليه وتذكر نذره المحتوم .

وقال عبد المطلب لبنيه : يابنى إنكم لتعلمون ما أصابنى من ضر عند حفر زمزم ، وكيف أن أهلى من قريش أرادوا أن يغلبونى على أمرى فنذرت لله أن أذبح ولدا ، إن رزقنى

الله عشرة أولاد يمنعون عنى هنات قريش وغمزات الغمازين ، وها أنتم تكاملتم عشرة فماذا تقولون ؟

قال بنوه .. سمعنا وأطعنا ، وما كنا لنعصى لك أمراً أو نغمطك حقاً ، وإن شريعة قريش توصى الأبناء باحترام الآباء ، وتؤكد عدم الاعتراض عليهم فيما يأمرون .

وكتب كل واحد من هؤلاء الأبناء اسمه على قدح ، وذهب بها عبد المطلب عند صاحب القداح فى جوف الكعبة ، لكى يضربها عند « هبل » كبير ... الأصنام ، ولما ضربت القداح ، خرج القدح على عبد الله ، أنضر أخوته وجها ، وأحلاهم طلعة ، وأصغرهم سنا ، وأعزهم على أبيه من سائر البنين .

وقاد شيخ قريش ابنه إلى المذبح عند زمزم لينحره بين إساف ونائلة ، ورأت قريش كيف انقاد عبد الله لأبيه ؟ فتأكد لها أن عبد المطلب جاد فيما يقول ، وأنه غير هازل فى تنفيذ وعده ، فسارعت لتصده عن جريرته صدا ، وتحول بينه وبين ما يريد .

وقام فتية من شباب قريش بثورة عارمة ، وقالوا .. إن الناس اعتادوا أن يتقربوا إلى الآلهة بما يشاءون وكما يشاءون من الأنعام ، ولكن عبد المطلب خالف تلك التقاليد ، وجنح إلى الهوى واتسم بالجفوة وسوء التقدير .. وإنا لمانعوه من هذا الخطل منعا ، خشية أن يحدث سنة سيئة فى قريش ، يذهب ضحيتها الشباب من أمثالنا الأبرياء .

وأنذر بنو مخزوم .. عبد المطلب وحذروه عاقبة أمره إن هو قدم ابن أختهم قربانا ، وتوعدوه بحرب مسعورة تأكل الأخضر واليابس وتفنى الكبير والصغير ، وقالوا له : من المحال أن يكون عبد الله ضحية ونذراً وأخواله بنو مخزوم أقوى العرب شكيمة وأصبرهم بأسا وأعزهم نفـرا .. ولكن عبد المطلب لم يحفل بهذا كله ، وسار فى طريقه إلى المذبح ، وهنا هب إخوة عبد الله وأخواته يستصرخون قريشاً ، فوقف بنو مخزوم على أهبة الاستعداد للقتال ، ومن ورائهم قريش عن بكرة أبيها متأهبة للخصومة والنزاع .

وقال عبد الله المخزومى : لقد تجاوزت المدى ياعبد المطلب وبلغت أمراً إدّاً ، ومع ذلك فإنا على استعداد لكى نتعاون معك ، ونفتدى ابنك بما يشاء « هبل » من مال ، فاقبل التحكيم وتضرع لرب البيت الذى وسعت رحمته السموات والأرض ، وإن لم تفعل انفصمت وحدة قريش ودخلتها الحرب وظللها دخان مبين .

وبعد أخذ ورد ومباراة فى الجدل ومشادة فى الكلام رضى عبد المطلب بالتحكيم ، وقدم الإبل كما قالت الكاهنة عشرا عشرا ، والقداح تخرج على عبد الله ، حتى إذا بلغت الإبل مائة خرجت القداح عليها ، ولم تصب ذلك الابن الطيع الصبور ، فهتفت قريش بالتهليل وقالوا لعبد المطلب : لقد رضى عنك ربك ورضيت عنك قريش فاهنأ ياشيخ العرب بمرضاة الآلهة .

وأمر عبد المطلب أن تذبح الإبل كل الإبل ، وتطرح فى العراء ليأخذ منها من يشاء كما يشاء ، من إنسان ووحش وطير ما عدا بنى هاشم ، فإنهم يأكلون من غيرها ، ويطعمون من لحم غير لحمها .

وهدأت مكة وسكن القرشيون ، وقضوا يوما من أسعد أيامهم ، أكلوا فيه وطربوا ، وتمتعوا بأطايب الحياة ونعيمها الذى هبط عليهم ، وكانت ألسنتهم لا تفتأ تذكر عبد المطلب ونذره وفداءه وترى فى شأنه حديثاً عجباً مليئاً بالتسلية والشجون .

وفكر عبد المطلب أن يفرح بولده عبد الله ، وأن يدخل عليه الفرح ، فأزمع على زواجه فذهب إلى ديار بنى زهرة وخطب له آمنة بنت وهب سيد قومه ، وفى اليوم الثانى دخل بها عبد الله ، فرأى فيها زوجة مثالية تتمتع بالحياء والحنان وصفاء القلب ونقاء السريرة فبادلها حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص حتى حسدت نساء قريش آمنة على ما أفاء الله عليها من زوج صالح هو زين الشباب ورائدهم المعدود ، ولم لا،وقد اختارته الآلهة من بين الفتيان ليكون ذبيحا ومن المقربين .

وتأهبت قريش لرحلة الصيف وأمر عبد المطلب ابنه عبد الله أن يتجهز للسفر ليرعى تجارته ويعرضها فى الشام ، فذهب إلى آمنة فودعها وودعته ، ووعدها أن يحضر لها ما تحب وفوق ما تحب من هدايا الشام .

وخرجت القافلة من بطن مكة تحفها عيون المودعين وتلاحظها عناية السماء ، فوصلت أرض « غزة » سالمة ، وفيها باع عبد الله ما معه واشترى ما أراد ، وفى رجعته منها عرج على أخواله بيثرب ، ليستريح من لوعة السفر ووعثاء الطريق ومرض خفيف بدت عليه عوارضه .. ودخلت عير قريش مكة راجعة من الشام ، تحمل مالذ من الطعام وما خف من الثياب وما غلا من العطور ، فاستقبلها المكيون بالطبول والرقص والغناء ، وكان عبد المطلب فى معية المستقبلين ، فلم ير لعبد الله ظلا ، فأخذته خطفة وتغشاه رعب ودب فى قلبه شك من الغائب المجهول ، وبالسؤال عن ابنه نبىء أنه أصيب بالداء وأنه تخلف فى يثرب ليتمرض عند أخواله .. وأرسل عبد المطلب ابنه الحارث أكبر أولاده ، ليكشف الحقيقة ويعلم ما سار إليه أمر عبد الله ، وفى المدينة علم الحارث أن أخاه قضى نحبه ودفن فى مقابر أخواله بنى النجار ، فرجع إلى مكة يتململ من هول المصيبة ويغلى دمه من كثرة الأحزان .

وعلم عبد المطلب بموت ابنه عبد الله ، فاهتز وجدانه وبكاه من عينه وقلبه ، ودهمته نكسة عارمة ، ترنحت لها شيخوخته .

ومضى الزمن أيضاً يروى من أنباء الذاهبين للاحقين ، وإذا بآمنة بنت وهب حامل ، وإذا بها لا تحس فى هذا الحمل نصبا ولا وصبا ولا بما يلقاه النساء الحوامل من امتعاصه ووحم ، وإذا بها ترى فى نومها ويقظتها خوارق تشبه المعجزات ، كأن السماء اصطفتها على نساء العالمين .

وفى ١٢ من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٠ أغسطس سنة ٥٧٠ وضعت آمنة بنت وهب أكرم نبى وأعظم رسول ، فتفجر النور شرقاً وغرباً ، ومادت العروش وتحطم إيوان كسرى .

وقال الناس للناس .. إن هذا لشىء عجاب .

وبعد :

فسلام على صاحب الذكرى فى موعد الذكرى ، سلام على محمد الذى بعث للأبيض والأسود ، فحرر الإنسان المستعبد وأنار الطريق للمدلجين ، وحطم « هبل » وما حوله من الأصنام ، وجعل العبادة خالصة لله .

من فقه الكتاب والسنة

٣

تفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة

تحية المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب

١ - أخرج مسلم فى صحيحه بسنده إلى جابر بن عبدالله قال : « جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب فجلس ، فقال له ياسليك : قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما ، ثم قال : « إذا جاء احدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » .

٢ - أخرج أصحاب الكتب الستة بأسانيدهم إلى أبى هريرة قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت » .

قوله - صلى الله عليه وسلم - : فليتجوز فيهما : معناه وليخفف صلاته فلا يطيل فى القراءة والركوع والسجود .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - فقد لغوت : أى أتيت بما لا يفيد .

قال العلماء : معناه بطل أجر جمعتك ، وليس المعنى بطلت صلاتك للإجماع على سقوط الفرض عنه . قد استنبط العلماء من قوله - صلى الله عليه وسلم - فليركع ركعتين أى من دخل والإمام يخطب الجمعة فليصل ركعتين خفيفتين وهما سنة ، وقال بهذا الشافعى وأحمد واسحاق والحسن وابن عيينة .

واستنبط العلماء من قوله - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث الثانى (فقد لغوت) أن من دخل يوم الجمعة والإمام يخطب فعليه الجلوس وتكره له تحية المسجد .

وقال بهذا أبوحنيفة [٢] ومالك [١] والليث وشريح وابن سرين والنخعى والثورى . والواضح مما تقدم أن كلا من الحديثين صحيح وأن بين الحديثين تعارضا لأن الأول يفيد سنية الصلاة والثانى يفيد كراهتها .

ومن هنا اختلف العلماء فالقائلون بالسنية من أهل الترجيح يرجحون الحديث الأول لأن دلالته على السنية بطريق الدلالة : مفهوم الموافقة ؛ لأن النهى عن المنكر إذا أنهى عنه فى الحديث الثانى فقد نهى عن الصلاة بالطريق الأولى فالترجيح هنا بقوة الدلالة والقائلون بتقديم الجمع على الترجيح قالوا إن الحديث الأول مخصص للثانى

---

(١) « الشرح الصغير » مع حاشيته جـ ١ صـ ١٦٨ .

(٢) « فتح القدير » تحية المسجد جـ ١ صـ ٤٢١ .

لأن محل الحكم باللغو إذا لم يدخل المسجد فى أثناء الخطبة ، وفى العمل بالحديث الأول الجمع بين الصلاة واستماع الخطبة لأن المصلى إذا أداهما خفيفتين لا يمنع ذلك من الاستماع والانتفاع بنصائح الخطيب .

والقائلون بالكراهة رجحوا الحديث الثانى لأنه مانع للصلاة والأول مبيح لها والمانع مقدم على المبيح ، والقائلون بالجمع منهم ، أجابوا بأن الحديث الأول كان فى واقعة معينة لا عموم لها .

ورجحوا رأيهم من حيث المعنى بأن الجلوس عند الدخول وترك الصلاة يساعد على الانتفاع بنصائح الخطيب ..

ويجاب عن هذا بأن الترجيح الأول أقوى لأنه ترجيح بقوة الدلالة وهو مقدم على الترجيح بالحكم ، وبأن قولهم أن أمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ للداخل بالصلاة كان واقعة معينة ممنوع بل هو حكم عام بدليل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث : (إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما) .. وعمومه من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى مناقشة .

وبهذا يتبين أن الرأى القائل بسنية تحية المسجد لمن دخل حال الخطبة هو الراجح .

هذا استنباط الفقهاء وبحثهم فى الأدلة فلنسمع لما قاله مؤلف كتاب « السنة النبوية » فى صـ ٢٦ : « لقد فكرت فى السبب الذى جعل الأحناف والمالكية يكرهون تحية المسجد والإمام يخطب مع ورود حديث بطلب هذه التحية وبعد تأمل يسير رأيت أن خطبة الجمعة شرعت بعد الهجرة ؛ ثم قال : إن السكوت والاستماع طلب لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخطب الناس بالقرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، قال وحديث سليك كان واقعة خاصة والسنة العملية تمنع الصلاة فى أثناء الخطبة . انتهى فقد ترك التفكير فيما ألف الكتاب من أجله فلن يبين درجة الحديثين وفكر فى بيان الحكم على خلاف قواعد الأصول وما كنا نحب له أن يجهد نفسه فى هذا المجال .

٢ ـ صلاة النساء فى المساجد

١ ـ أخرج البخارى بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » (٣) .

٢ ـ وأخرج أبو داود بسنده إلى حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن » وصححه ابن خزيمة .

٣ ـ وأخرج مسلم بسنده إلى أم عطية قالت : « أمرنا ـ يعنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نخرج فى العيدين العواتق وذوات الخدور وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين » .

٤ ـ أخرج أحمد والطبرانى بسندهما إلى أم حميد الساعدية « أنها جاءت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : « يارسول الله إنى أحب الصلاة معك فقال : قد علمت وصلاتك فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجد الجماعة) ، قال ابن حجر والحديث من إخراج أحمد حسن .

والحكمة من أن صلاة المرأة فى بيتها أفضل هو التأكد من البعد عن الفتنة ، ويؤكد ذلك حديث عائشة الآتى ..

٥ ـ وأخرج البخارى بسنده إلى عبدالله بن

(٣) « كتاب الجمعة » باب ١٣ .

عمر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إذا استأذنكم نساؤكم إلى المسجد فأذنوا لهن » (٤) .

٦ ـ وأخرج مسلم بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ كان يحدث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » (٥) .

٧ ـ أخرج البخارى بسنده إلى يحيى بن سعيد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت (لوأدرك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماأحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بنى إسرائيل) .

قلت : أو منعن ؟ قالت : « نعم » (٦) .

المراد بإماء الله النساء البالغات ، والخطاب فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا استأذنكم نساؤكم . للأزواج والأولياء ، العواتق : الفتيات إذا بلغن وسمين عواتق لإعفائهن من بعض الخدمة فى البيت ، والخدور : البيوت .

قوله : « أصابت بخوراً » بفتح الباء ؛ ويلحق بالبخور كل مايستميل الرجال كالزينة والثياب اللافتة ، ووسوسة الأساور ، ورنين الخلاخيل ..

وحديث عائشة يدل على كراهة خروج الشابات إلى المساجد لأن الغالب من حالهن فى العصور المتأخرة الإفراط فى الزينة والتبرج وافتتان الرجال بهن ، وبهذا قال أبوحنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد .

ومذهب أحمد كما قال ابن قدامة فى « المغنى » (٧) جواز الصلاة فى المسجد مع الجماعة بشرط عدم الزينة بأنواعها وبشرط أمن الفتنة بهن وصلاتهن فى بيوتهن خير لهن لحديث أبى داود السابق (لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن) ، ولحديث أحمد السابق (صلاة المرأة فى بيتها افضل من صلاتها فى حجرتها) (٨) ، واتفقوا على جواز خروج العجائز إلى المسجد .

وقال ابن حزم يندب للمرأة الخروج إلى المسجد إذا لم يكن بها مانع من الصلاة ولا ما يدعو إلى الافتتان بها كالزينة والطيب ولا يحل لزوجها ولا لوليها منعها إذا استأذنت واستدل بحديث « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » .

وفى رواية : « وليخرجن تفلات أى غير متطيبات » . وبما أخرج مسلم وغيره بسنده إلى عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « أن كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس » .. أى الظلمة .

وبما أخرج مسلم عن أم عطية من أمره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإخراج العواتق وذوات الخدور يوم العيد ليشهدن الخير مع المسلمين .

ووجه الدلالة على رأيه أن الأمر فى الحديث الأول « وليخرجن تفلات » أقل حالاته أن يكون للندب ، ووجه الدلالة من حديث عائشة أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعاهن إلى الصلاة معه فى المسجد ، ولو كانت الصلاة فى البيت أفضل كما يقول أحمد أو كانت مكروهة ، كما يقول باقى الأئمة لما أقرهن على الصلاة معه أمداً طويلاً .

والجواب أن الأمر فى الحديث الأول إنما هو بعدم التطيب لا بالخروج إلى المسجد إذ القاعدة

(٤) « كتاب الأذان » باب ١٦ .
(٥) « كتاب الصلاة » باب خروج النساء إلى المساجد .
(٦) « مسلم » « كتاب الصلاة » باب خروج النساء إلى المساجد .
(٧) جـ ٢ ص ٨١ .
(٨) وهو مذهب الشافعى كما يفهم من « مغنى المحتاج » جـ ١ صـ ٢٣٠ .

أن الأمر بالمقيد يكون منصباً على القيد لا على المقيد .

والجواب عن الحديث الثانى والثالث أن الخروج كان مباحاً فى العصور الأولى حيث لم توجد فى الزمان الأول المفاسد التى بيننا ، أما وقد وجدت فيتغير الحكم بتغير الحال .

قال الشيخ الغزالى فى كتاب « السنة » إذا قامت المرأة بما عليها فى البيت فلا يجوز لرجلها أن يمنعها من الذهاب إلى « المسجد » .

والواقع أن للزوج أن يمنعها لحق من حقوق الزوجية ثم قال : بيد أن الازدهار الذى أحدثه الإسلام فى عالم المرأة أخذ يتعرض للذبول والتلاشى . ص ٦٢ .

وذكر الحديث الذى سبق إخراجه من مسند احمد وحكم عليه بالوضع متبعاً لابن حزم ، وقدمنا عن ابن حجر انه حديث حسن ، وهذا الحديث لا يمنع من الصلاة فى المسجد لكن يبين أن الصلاة فى البيت افضل منها فى المسجد ، فلا يتنافى مع صلاة النساء مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مسجده بل هو من باب (أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة) .

وقدمنا أن الدليل على ما قاله أكثر العلماء من كراهة خروج الشابات إلى المساجد هو حديث عائشة : (لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماأحدث النساء لمنعهن المساجد) فإن خلاصته أن مفاسد حدثت بين النساء فى العصور المتأخرة لم تكن موجودة فى عصر النبى - صلى الله عليه وسلم - تؤدى للافتتان بهن فهو من باب تغير الحكم بتغير علته كالنهى عن المنكر إذا ترتب عليه مفسدة أشد من مفسدة المنكر ، وكالمنع من قضاء القاضى بعلمه بعد أن كان جائزاً أو من القضاء بالشهود من غير تزكية اعتماداً على ظاهر العدالة كل هذا من المفاسد الطارئة لتغير أحوال الناس .

وقد أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بإخراج ذوات الخدور يوم العيد ليستمعن النصائح ويشهدن الخير مع المسلمين ومع هذا أفتى الفقهاء بكراهة الخروج للمفاسد التى حدثت .

قال النووى : وأجابوا عن إخراج ذوات الحذور والمخبأة بأن المفسدة فى ذلك الزمن كانت مأمونة بخلاف اليوم ، ولهذا صح عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - « لو رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماأحدث النساء لمنعهن المساجد » . انتهى فالازدهار الذى حدث فى أول الإسلام لم يتعرض للذبول ، كما قال المؤلف بل للزيادة لأن الحفاظ على المرأة وعلى الآداب العامة يجب على الفقهاء وأولى الأمر مراعاته والعمل على تحقيقه .

وقد حكم المؤلف على الأحاديث الدالة على افضلية صلاة المرأة فى بيتها بالشذوذ والرد :

والشذوذ فرع التعارض ، ولا تعارض بين صلاة النساء فى المسجد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والأحاديث الدالة على أن صلاتها فى بيتها أفضل لأن الكلام فى فاضل ومفضول ، لا فى حرام وحلال ، ولا يدل شىء من الأحاديث على أن صلاة المرأة فى المسجد حرام إلا عند وجود الموانع التى ذكرناها .

ثم نسأل المؤلف من من الفقهاء اصدر حكماً عاماً بتحريم خروج جميع النساء إلى المساجد صـ ٦٤ هذا تجن على الفقهاء ..

٣ - « حكم شهادة المرأة فى الحدود والقصاص »

اتفق الأئمة الأربعة على أنه لا تجوز شهادة النساء فى الحدود والقصاص لما أخرج ابن أبى شيبة عن الزهرى قال : « مضت السنّة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخليفتين من بعده الا تجوز شهادة النساء فى الحدود

والدماء » . وهذا حديث مشهور لتلقى الأمة له بالقبول وقد عمل به جمهور العلماء .

ولأن شهادة النساء فى قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ (٩) فيها مانعان من الشهادة على الحدود والقصاص .

الأول : قلة الضبط كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ فإن الضلال هو النسيان وهو أمارة قصور العقل فى جنسهن فلا ينافى أن منهن من هى أذكر من بعض الرجال .

الثانى : شبهة البدلية : فإن قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ الآية : ظاهرة أن شهادة الرجل والمرأتين إنما تكون عند عدم الرجلين : كما فى قوله تعالى فى كفارة اليمين : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ .

وفى التيمم : ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ . ولكن جرى العمل من لدن الصحابة – رضى الله عنهم – على قبول شهادة الرجل والمرأتين وإن وجد رجلان يشهدان ، والحدود والقصاص تُدرؤ بالشبهات لأنها أحكام مغلظة متعلقة بالدماء والأعراض ما بين قتل وقطع وجلد بخلاف الأحكام المتعلقة بالأموال .

قال الشيخ الغزالى صفحة « ٦٧ » : بعد أن اعترف بأن المرأة أقل ضبطاً من الرجل : – يعترض على جمهور الفقهاء ويسخر منهم .. « لكن تياراً ينشأ فى الفكر الدينى يستبعد شهادتهن استبعاداً تاماً فى أهم ميادين التقاضى وهى الحدود والقصاص ، والقتلة يرتكبون الجرائم ليلاً ونهاراً ، ثم يقول : وإذا كان المسلمون الآن أكثر من مليار نفس فما معنى التطويح بكرامة خمسمائة مليون امرأة لقول أحد من الناس : « المأساة أننا نحن المسلمين مولعون بضم تقاليدنا وآرائنا إلى عقائد الإسلام وشرائعه لتكون ديناً مع الدين . وهدياً من لدن رب العالمين وبذلك نصد عن سبيل الله .

واذكر هنا قصة الناقة التى عرضها صاحبها بعشرة دراهم واشترط أن تباع قلادتها معها بألف درهم . فكان الناس يقولون : ماأرخص الناقة لولا هذه القلادة الملعونة ؟ وأقول كذلك ما أيسر الإسلام وأيسر أركانه وما أصدق عقائده وشرائعه . لولا ما أضافه أتباعه من عند أنفسهم واشترطوا على الناس أن يأخذوا به ويدخلوا فيه » انتهى .

فيا فقهاء الشريعة وياأصحاب العقول بعد أن سمعا أدلة الفقهاء هل المسألة هى الاحتياط فى أحكام الله المتعلقة بالعقوبات أو هى مراعاة عدد النساء فى العالم ؟

وهل قصر الشهادة فى الحدود والقصاص على الرجال قول أحد من الناس أو هو قول جمهور الفقهاء ؟

هل جمهور الفقهاء عندما أخذوا أخذوا بهذا الرأى كان عملاً بالتقاليد أو كان استدلالاً بما روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته ؟

الحق أن هذا إسراف تورع عنه أعداء الإسلام ومنتقدوه أمثال « جولد زيهر » و« شخت » ، وهل يليق أن يبلغ بنا التندر والإسفاف إلى حد أن يمثل اجتهاد المجتهدين وفقه الفقهاء الذين فسروا أدلة الشريعة واستنبطوا أحكامها وكانوا ورثة النبى – صلى الله عليه وسلم – على مر العصور : فى بيان أحكام

(٩) سورة البقرة آية « ٢٨٢ » .

الله : بالقلادة الملعونة التى حالت بين المشترى وبين الناقة ؟

ومعنى هذا أن فقه الفقهاء هو الذى حال بين الناس وبين تمسكهم بالشريعة .

الحق أن المؤلف قد نال مما عرفه الناس به وهو الدعوة إلى الإسلام لأن كلماته هذه تنفر من علماء الإسلام ، وهل اختلاف الفقهاء فى فهم أدلة الشرع لاختلاف أصولهم أو ملكاتهم أو حكمهم على الحديث : والخلاف طبيعة فى بنى الإنسان : يجعل الفقه من الدين كالقلادة الملعونة من الناقة .

الحق أنك أخطأت الحكم وأخطأت الأسلوب فاستعرت الأسلوب الروائى فى تجريح العلماء .

أما ما جاء فى ابن حزم فى المحلى جـ ٣ صـ ١٢٩ : من الاعتراض على خبر الزهرى الذى استدل به الفقهاء على أن شهادة المرأة لا تقبل فى الحدود والقصاص واستدلاله هو بأقضية مروية عن شريح والشعبى وإياس :

فالفقهاء يردون عليه بأن خبر الزهرى مشهور لتلقى العلماء له بالقبول والطعن فيه بالإرسال والضعف مردود فضلاً عن أن المرسل حجة عند جمهور الفقهاء وما روى عن هؤلاء التابعين على فرض صحته لا حجة فيه إذ لا حجة فى آراء التابعين ولهذا لم يلتفت الفقهاء إليه .

ومادعاه ابن حزم من جواز شهادة النساء فى الزنى يرده نص القرآن قبل أن يرده خبر الزهرى فإن قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ﴾ (١٠) .

وقوله فى سورة النور : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ (١١) : نص فى أن عدد الشهود فى الزنا أربعة ولو قبلت فيه شهادة النساء بأن يوضع مكان الرجل امرأتان لكان العدد أكثر من أربعة وهو مخالف لما فى كتاب الله والمناقشة موجهة إلى ابن حزم .

أما المؤلف صفحة « ٦٩ » ، فنحن نناقشه فى أنه قال : « إنى أعتصم بكتاب الله والمشتهر من السنة » ، وقد أعلمناه أن كتاب الله نص فى الزنى على أربعة وقبول النساء فيه مغير للنص ونناقشه ، بأن السنّة مبينة للكتاب وقوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ يبين المراد منه حديث الزهرى السابق المشهور .

وبعد فقد قال الشيخ الغزالى فى كتاب « السنة » فى مطلع كلامه عن قضايا المرأة صفحة « ٤٣ » إنه يريد للصحوة الإسلامية إعطاء صورة عملية للإسلام تعجب الرائين وتمحو الشبهات القديمة وتنصف الوحى الإلهى ، وقد وضح أن الرائين ليس المراد بهم أهل الفقه والاجتهاد بل المراد بهم بعض أهل العصر الذين يدعون التسوية فى الحقوق بين المرأة والرجل فى الأمور الاجتماعية ، كرياسة الأمة والقضاء والشهادة فهو من أجل ذلك : كتب كتابه ليتجرأ على الفقهاء ويقتحم عليهم علمهم واجتهادهم .

لكنه والأسف يملأ القلب كان ، كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح ، وليته ظل فى المجال الذى ابتدأ حياته فيه حتى نبغ وهو مجال الدعوة فإنى أشهد : أنه داعية قل نظيره !!

(١٠) سورة النساء آية « ١٥ » .

(١١) سورة النور آية « ٤ » .

الإسلام يترفع بالمسلم عن ذل السؤال

لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه السائل إلى العمل :

جاء فى سنن أبى داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رجلا من الأنصار اتى النبى ﷺ يسأله فقال : « اما فى بيتك شىء ؟ » قال : بلى حِلْسٌ(1) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقَعْبٌ نشرب فيه الماء ، فقال : « ائتنى بهما » فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : « من يشترى هذين ؟ » قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : « من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا » ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصارى ، وقال :

« اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ، ثم قال له : « اذهب فاحتطبْ وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما » .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله ﷺ :

« هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع »

ها نحن نرى أن الرسول ﷺ كره لهذا الأنصارى ـ على الرغم من حاجته الظاهرة ـ أن يسأل ويطلب الصدقات مادام هناك سبيل للحصول على ما يسد الحاجة بعرق الجبين والسعى ، لأن ذلك أكرم للإنسان .

إن الحبيب المصطفى ﷺ أقام مزاداً لهذا الأثاث المتواضع حتى حصل للرجل على درهمين ، ثم وجهه إلى إنفاق درهم منها لسد

(١) الحلس ، بكسر الحاء : كل ماولى ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج ومايبسط فى البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع وجمعه احلاس وحلوس .

الحاجة العاجلة لنفسه وأهله ، أما الدرهم الباقى فاشترى به قدوما بتوجيه من الرسول الكريم - ﷺ - ثم ذهب واشتغل ، واستعان بقدومه فى قطع الحطب وغصون الشجر ، وباع وكسب ، ومع الاستمرار والصبر يبارك الله وتنمو الثروة ، ولهذا بين له الحبيب المصطفى ﷺ :

هذا الجهد الذى بذلته فى جمع الحطب ، والعرق الذى تساقط فى سبيل لقمة العيش أفضل لك من ذل السؤال فى الدنيا ، ومن أن تجىء المسألة علامة مميزة فى وجهك يوم لقاء ربك ، ثم بين الرسول ﷺ فى هذا الحديث وفى أحاديث كثيرة الحالات التى تلجىء المسلم للسؤال ، وتضطره إليه :

إن المسألة لا تصلح إلا لفقير يعجز عن الحصول على مايسد حاجته الضرورية ، وليس لديه مايقيمه لفقره المدقع أى فقره الشديد المذل ، أو لإنسان عليه دين وحل أجل الوفاء به ولا يملك من المال ما يمكنه من تأدية ما فى ذمته ، وكذلك الرجل يتحمل الديات لمروءته ونبله لكى يحقن الدماء ، ويصلح بين المتخاصمين ، أو الشخص الذى يطالَب بالدية لجناية وليس معه مايفى بما طُلب منه .

وهذا ما جاء فى الحديث الشريف : « إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع » فالفقر المدقع : هو الفقر الشديد الذى لايحتمل كأنه ألصق صاحبه بالدقعاء وهى التراب لشدته .

والغرم المفظع : هو أداء مايتكلف به الشخص ويشتد عليه ويؤذيه .

والدم الموجع : أن يتحمل إنسان دية فيسعى فيها يؤديها إلى أولياء المقتول وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه وهو صديقه أو نسيبه فيوجعه قتله .

وحذر الرسول ﷺ من سؤال الناس أموالهم من غير اضطرار شديد وبين أن هذا السؤال من أقبح الأعمال التى لا تليق بالمسلم .

أخرج الترمذى عن حبشى بن جنادة السلولى - رضى الله عنه - قال : « أتى أعرابى رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة فأخذ بطرف ردائه وسأله إياه ، فأعطاه إياه ، فذهب به معه ، فعند ذلك حرمت المسألة ، فقال ﷺ : « إن الصدقة لا تحل لِغَنِىّ ولا لذى مِرَّةٍ سوىٍّ ، ولا تحل إلا لذى فقر مدقع ، أو غرم مفظع ، أو دم موجع ، ومن سأل الناس ليثرى به ماله كان خُموشا فى وجهه يوم القيامة ، ورضفا يأكله من جهنم ، فمن شاء فَلْيُقْلِلْ ، ومن شاء فَلْيُكْثِرْ » .

وزاد رزين - رحمه الله : « وإنى لأعطى الرجل العطية فينطلق بها تحت إبطه أو جاعلها فى بطنه وماهى إلا نار ، فقال له عمر رضى الله عنه : فَلِمَ تعطى يارسول الله ماهو نار ؟ فقال : أبى الله لى البخل ، وأبوا إلا مسألتى .

قالوا : وما الغنى الذى لاينبغى معه المسألة ؟ قال : قدر ما يغديه أو يعشيه .

وذو المرة السوىُ : هو الشديد القوى التام الخَلْق السليم من الآفات . والرضف . جمع رضفه ، وهى الحجارة المحماة .

وما كان بالجهدُ أولى :

ومع إباحة التعرض للسؤال عند الضرورة الملحة ، فإن الإسلام حبب إلى المؤمن أن يبذل من سعيه ومن عرق جبينه للحصول على الكسب الشريف ولا يعرض نفسه لسؤال الناس أعطوه أو منعوه .

الاسلام يترفع بالمسلم

أخرج البخارى عن الزبير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لأن ياخذ احدكم أَحْبُلَهُ ثم ياتى الجبل فياتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسال الناس أَعْطَوْهُ او منعوه » .

واخرج النسائى عن عائذ بن عمرو قال : « سال رجل رسول الله ﷺ فاعطاه ، فلما وضع رجله على أَسْكُفَّةِ الباب ، قال ﷺ : « لو تعلمون ما فى المسالة ما مشى احد إلى احد يساله شيئاً » .

وياويل من يسأل الناس من أموالهم ولديه ما يغنيه عنهم خصوصا إذا كان سليم الجسم ، وسبل العمل ميسرة له ، أو عنده ما يكفيه ويستر بدنه ، وله دار تؤويه ومن يعولهم .

اخرج مسلم عن ابى هريرة – رضى الله عنه – قال ، قال رسول الله ﷺ : « من سال الناس تَكَثُّرًا ، فإنما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر » .

والمسكين المستحق هو الذى حدد ملامحه الحديث الشريف الذى أخرجه الستة إلا الترمذى **عن ابى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يُفطن به فيُتصدَّق عليه ، ولا يقوم فيسال الناس » .**

ويوجه الرسول ﷺ المسلمين إلى الاستعانة بالله عز وجل عند الشدة وحسن التوكل عليه مع الأخذ بالأسباب بدلا من الركون إلى الناس واستجدائهم **فيقول ﷺ فى الحديث الذى رواه ابن مسعود – رضى الله عنه – : « من نزلت به فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقة فانزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل او آجل »**

وسمع على – رضى الله عنه – رجلا يسأل الناس يوم عرفة فقال-منكرا عليه : أفى هذا اليوم ، وفى هذا المكان تسأل من غير الله ، وخفقه بالدرة .

وفى تقبيح السؤال ، والتنفير من ذله يروى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحديث الذى أخرجه الشيخان والنسائى **ان رسول الله ﷺ قال : « لا تزال المسالة باحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مُزْعَة لحم » .**

والمزعة : القطعة من اللحم صغيرة كالنتفة من الشىء .

وأخرج أصحاب السنن عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته فى وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ، قيل : وما يغنيه ؟ قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب » .

وفى التحريض على التعفف والحفاظ على ماء الوجه **قال ابو سعيد الخدرى فى الحديث الذى رواه الستة : « سال ناس من الأنصار رسول الله ﷺ فاعطاهم ما سالوا ، ثم سالوه فاعطاهم ماسالوه ، ثم سالوه فاعطاهم ما سالوه ، حتى إذا نفد ما عنده قال : مايكون عندى من خير فلن ادخره عنكم ، ومن يستعفف يُعِفَّهُ الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى**

أحد عطاء هو خير له وأوسع من الصبر »
وزاد رزين رحمه الله :

« وقد أفلح من اسلم ورزق كفافا ، وقنَّعه الله بما آتاه »
والكفاف : هو الذى لايفضل عن الحاجة ولا ينقص .

وفى الحث على الصدقة وعلى العفاف يقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى أخرجه مسلم والترمذى :

« ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف وابدا بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

قبول العطاء :

وإتماما للبحث نشير إلى توجيهات نبوية كريمة نلفت المسلم إليها فهو ﷺ هادينا ومعلمنا ومرشدنا فى طريق الخير والبر والهدى .

أخرج الشيخان والنسائى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ يعطينى العطاء ، فاقول : اعطه من هو افقر إليه منى ، فيقول : خُذْهُ ، وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل فخذه ، فتموَّله ، فإن شئت فكله ، وإن شئت فتصدق به ، وما لا فلا تتبعه نفسك » قال سالم : « فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسال احداً شيئاً ولايرد شيئاً أعطيه » .

والمراد بقوله : (وأنت غير مشرف) أى غير طامع فيه ولا طالب له .

وقوله : (وما لا فلا تتبعه نفسك) : أى ومالا يكون على هذه الصفة بل آثرته نفسك ومالت إليه فاتركه .

واخرج الشيخان والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس »
والعرض : هو ما يتموله الإنسان ويقتنيه من المال وغيره .
وعن ابن الفراسى كما فى سنن ابى داود أن الفراسى قال لرسول الله ﷺ : اسأل يارسول الله ؟ فقال النبى ﷺ : « لا وإن كنت سائلاً لابد ، فاسأل الصالحين » .

وفى سننه ايضا أن عمر - رضى الله عنه - قال : قال لى رسول الله ﷺ : « إذا أُعطيت شيئا من غير أن تسأله فكل وتصدق » .
وفى سنن أبى داود عن أحمد بن حنبل حديث رواه مالك بن نضلة قال : قال رسول الله ﷺ « الايدى ثلاثة : فيد الله العليا ، ويد المعطى التى تليها ، ويد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك » .

إن الإسلام يرفع من قدر الإنسان ، ويكرمه ويضعه فى مكانه اللائق به ، فطوبى لمن انتفع بتوجيهات الإسلام وفضائله ومبادئه .

سعد بن أبى وقاص

فارس الحرب والسلام

أ . د . عبد العزيز غنيم

فى الجاهلية ..

لا يعرف التاريخ عن سعد فى الجاهلية غير النزر اليسير ، والسر فى هذا هو أنه اعتنق الإسلام وهو غلام لم يبلغ السابعة عشرة من عمره[1] فلم تتضح سمات شخصيته ولا ظهرت مخايل ذكائه وفطنته ، ومن القليل الذى وعته عنه ذاكرة التاريخ هو أنه قد ولد فى مكة ، وأن مولده قد كان فى السنة السابعة عشرة قبل البعثة وانه قد كان محبباً إلى أمه عطوفا عليها لا يعصى لها أمراً ولا يخالف لها رايا .

ولا خلاف بين الناسبين[2] فى أن سعد بن أبى وقاص قد كان قرشيا . وكان من بنى زهرة أحد بطون قريش العشرة .. ولأن آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ قد كانت من هذا البطن ؛ فإن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يقول عن سعد : إنه خالى وكان يزهو به بين الناس ، وروى ابن سعد وغيره من أصحاب المغازى والسير أن سعداً اسأل رسول الله ﷺ عن اسمه[3] . فقال : «أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة من قال غير ذلك فعليه اللعنة» .

ويظهر من هذا الحديث أن بعض شانئى سعد قد كان يشكك فى نسبه فقطع النبى عليه الصلاة والسلام ـ فى هذه القضية وقال فيها قوله الفصل .

تزوج سعد كثيراً[4] وأنجب كثيراً فكان له من الذكور ثمانية عشر ، وكان له مثلهم من الإناث ، أما أزواجه فقد كن إحدى عشرة امرأة عدا ما كان فى ملك يمينه من الجوارى والإماء .

---

(١) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٣٩ ط دار بيروت للطباعة والنشر .
البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ ٨ ص ٧٢ ط ـ مكتبة المعارف ـ بيروت .

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ـ لابن حجر جـ ٢ ص ٣٣ ط دار الفكر بيروت .

(٣) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٣٧ .

(٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ مرجع سبق ذكره جـ ٣ ص ١٣٧ ، ص ١٣٨ .

والتاريخ لم يحدثنا عن مهنة سعد لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام ويظهر أنه كان كغيره من شباب قريش يحترف التجارة ، ويخرج عن مكة من أجلها فى رحلتى الشتاء والصيف ، والدليل على هذا أنه قد كان من الثراة وأصحاب المال ، فقد روى : أنه كان يلبس الخز ويتختم بالذهب(٥) وذلك لا يكون إلا فى الجاهلية ؛ لأن النبى ﷺ قد أمسك الحرير والذهب وقال : هذان حرام على ذكور أمتى حل لنسائها . ويظهر أن سعد قد تربى فى الجاهلية تربية عسكرية والدليل على هذا ما اشتهر به من الرمى بالسهام والضرب بالسيوف والطعن بالرماح وسنعود إلى ذلك مرة ثانية ونحن نتحدث عن جهاده فى ميادين الحرب فى حياة النبى ﷺ وفى حياة الشيخين : أبى بكر وعمر .

وجملة القول أن سعد بن أبى وقاص قد كان من ثراة قريش وحلمائها ، وأنه قد أوتى من سداد الرأى ورجاحة العقل والقدرة الفائقة على التمييز بين الطيب والخبيث ما مهد الطريق أمامه ليكون له فى الإسلام دور أى دور ومقام أى مقام .

فى الإسلام ..

وجاء الإسلام فكان سعد أحد النفر الذين دعاهم إليه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فلم يشاور فيه ولم يتردد فى اعتناقه وإنما مضى من فوره إلى النبى ﷺ فسمع منه ونطق بالشهادتين بين يديه . ويتحدث سعد عن نفسه فيذكر أنه قد جاء عليه وقت وهو يعد نفسه ثلث(٦) الإسلام وأنه ما سبقه إليه أحد إلا أن يكون قد أسلم فى اليوم الذى أسلم هو فيه ، وجاء فى ابن سعد وغيره أن أم سعد بن أبى وقاص قد انكرت عليه دخوله فى الإسلام وأقسمت الا تذوق الطعام والشراب حتى يعود إلى دين آبائه وأجداده أو تموت هى من الجوع وأن سعداً لما يئس من إثناء إرادتها عما اعتزمته قال لها غاضباً : والله لو كانت لك ألف نفس ثم خرجت منك نفساً نفساً ما تركت(٧) الدين الذى دخلت فيه وقد نزل القرآن الكريم يسجل هذا الحدث ويعاتب سعداً على سلوكه نحو أمه ويعلمه الطريقة التى يجب أن يلتزمها نحوها .

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٨) .

وما أشك فى أن سعداً - رضى الله عنه - قد كان يلازم النبى - ﷺ - وهو فى مكة ، وكان يصلى خلفه فى شعابها ، وما أشك كذلك فى أنه قد كان يأتيه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ويطيل الجلوس معه ، ويصغى إلى دروسه التى كان يلقيها فى هذه الدار على أصحابه فتصقل عقله ، وتجلى ذهنه ، وتعمق الإيمان فى حبات قلبه ونياط فؤاده ولا جدال فى أن سعداً قد كان يُؤْذَى فى مكة كما كان يُؤْذَى اقرانه ، وكان يُضَيَّقُ عليه فيها كما كان يُضَيَّقُ عليهم ولكنه لم يكن من المستضعفين لأن عشيرته قد كانت إحدى العشائر القوية فى قريش وكانت تشد أزره ،

(٥) الطبقات الكبرى - ابن سعد - جـ ٣ ص ١٤٣ .

(٦) الإصابة فى تمييز الصحابة - ابن حجر جـ ٢ ص ٣٣ ، البداية والنهاية - لابن كثير جـ ٨ ص ٧٢ .

(٧) أسد الغابة - لابن الأثير - جـ ٢ ص ٣٦٨ ط - دار الشعب .

(٨) سورة لقمان ١٤ ، ١٥ .

سعد بن أبى وقاص

وتقف إلى جانبه ، شأنه فى هذا شأن غيره من ذوى الوجاهة والعصبية ولما أذن النبى ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة هاجر سعد وهاجر معه أخوه عمير ونزلا فى دار أخيهما عتبة(9) بن أبى وقاص وكان هذا الأخير قد أصاب دماً فنزل فى بنى عمرو بن عوف بعد هربه من مكة وظل فى هذا الحى حتى هاجر إليه أخواه ويقول الرواة: إن فرار عتبة قد كان قبل بعاث .

بعد الهجرة :

وزاد نشاط سعد ـ رضى الله عنه ـ بعد الهجرة إلى المدينة واتضحت دلائل نبوغه وعبقريته . فقد آخى(10) النبى بينه وبين مصعب بن عمير وهو أحد أبطال المهاجرين وآخى بينه وبين سعد بن معاذ وهو أحد سادات الأنصار ، وأنابه النبى ﷺ عنه فى قيادة الكثير من السرايا ثقة فيه واطمئنانا إلى شجاعته وحسن قيادته ، وكان سعد أحد الرماة المشهورين من أصحابه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان أول(11) من رمى بسهم فى الإسلام . وقد كان شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يضرب ببطولته وصدق بلائه فيها الأمثال ، وإن ينس التاريخ فلن ينسى موقفه يوم أحد ، عندما فر الناس وأصعدوا فى الجبل واستولى عليهم الدهش فلم يعودوا يميزون بين من هو منهم ومن هو من عدوهم فقد ثبت سعد إلى جانب النبى ﷺ وراح يرمى الأعداء بين يديه والنبى يقول معجبا به ومطريا له : ارم سعد فداك أبى وأمى(12) ولم يجمع ـ صلوات الله عليه ـ بين أبيه وأمه لأحد قط سوى هذا البطل المغوار ولقد طلب سعد من النبى ﷺ أن يدعو الله يجيب(13) دعاءه فدعا له فما كان يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه .

ولقد كان أصحاب النبى ـ رضى الله عنهم ـ يخشون أن يغضبوه حتى لا يدعو عليهم فيستجيب الله له فيهم ، وكم من ليلة أحس النبى ﷺ بالخوف من عدوه وتوقع أن يهاجموه وليس يحرسه أحد وإذا هو يسمع قعقعة سلاح سعد ووقع خطواته : فيقول له : ما الذى أتى بك فى هذا الوقت والليل ساج والناس نيام فيقول : بأبى انت وأمى يارسول الله لقد خشيت الغدر من عدوك فجئت أحرسك وأبيت على بابك . ولقد كان النبى ﷺ يبادله وداً بود وحباً بحب .

مرض سعد ذات يوم فجاءه النبى ﷺ يعوده فوجده قلقا فسأله : ما يقلقه فأخبره أنه يخشى أن يموت فى مكة فيدفن فيها(14) وهو لا يريد أن يدفن فى بلد هاجر منها إلى غيرها ، فرق له النبى وقال لرجل كان يمرضه : إذا مات سعد فواريه التراب فى طريق المدينة .

واسمع هذا الحوار الذى دار بينه وبين النبى فى شأن وصيته بعد موته .

« قال سعد : جاءنى النبى ﷺ يعودنى وأنا بمكة ، وهو يكره أن أموت بالأرض التى هاجرت منها فقال : يرحم الله ابن عفراء .

فقلت : يارسول الله أوصى بمالى كله .

---

(9) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد جـ ٣ ص ١٣٩ .
(10) الطبقات الكبرى ـ بن سعد ـ جـ ٣ ص ١٤٠ .
(11) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ـ لابن عبد البر ـ جـ ٢ ص ٢١ ، دار الفكر بيروت .
(12) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ جـ ٨ ص ٧٣ الروض الأنف ـ السهيلى جـ ٣ ص ٢٩ ط دار النصر للطباعة .
(13) الإصابة ـ لابن حجر ـ جـ ٢ ص ٣٣ .
(14) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ جـ ٣ ص ١٤٥ .

قال : لا .

قلت : فالشطر .

قال : لا .

قلت : الثلث(١٥) .

قال : الثلث والثلث كثير ! إنك إن تدع ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم وأنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فم امرأتك ، وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك قوم وينصر بك آخرون » .

وواضح من هذا الحوار أن النبى ﷺ قد كان يشارك سعداً فى أن من هاجر من بلد لا ينبغى له أن يجعله مثواه إذا هو صعد إلى الرفيق الأعلى وواضح منه كذلك أن الإنسان لا يجوز له أن يتصدق بما يزيد على ثلث ماله ، لأن تركه أولاده اغنياء أحب إلى الله تعالى من أن يتركهم عالة يتكففون الناس ولكى لا يُيْئِسَ النبى ﷺ سعداً من الأجر الذى أعده الله تعالى للمتصدقين فإنه قد أفهمه أنه ما من نفقة ينفقها على أهله أو ولده أبو بكر حتى اللقمة التى يرفعها إلى فم زوجته فإن الله سبحانه يعتبرها له صدقة .

واخيراً هذا الدعاء الذى ختم النبى ﷺ به هذه المحاورة وهو سؤاله ربه أن يبقيه حتى ينتفع به قوم ويُنصر به آخرون .

وصفوة القول أن سعداً رضى الله عنه قد كان من السابقين الأولين(١٦) وكان من المؤمنين المجاهدين ـ شهد المشاهد وقاد السرايا ووقف إلى جانب النبى ﷺ يحميه بسيفه ويفديه بنفسه ويحرص على الموت دونه وقد بشره(١٧) صلوات الله وسلامه عليه بالجنة ولقى الله وهو عنه راض ٍ وبه قرير عين .

فى خلافة الشيخين :

وكما كان سعد شديد الإخلاص للنبى ﷺ فقد كان شديد الإخلاص لخليفتيه أبى بكر وعمر كذلك ، شأنه فى هذا شأن غيره من المهاجرين والأنصار الذين كرسوا جهودهم لحماية الإسلام والعمل الجد فى إعلاء راتبه واتساع نفوذه . وإذا كان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ لم يشركه فى قيادة الجيوش التى حشدها لإطفاء لهيب الردة ، ولا فى تلك التى أعدها لقتال الفرس والروم فإنه قد استبقاه إلى جانبه ليشير عليه فى كل ما كان يعرض له من أمر . أو يواجهه من خطر ، فإن الخليفة ـ رضى الله عنه ـ قد كان يأنس إلى سعد وأمثاله ، وكان يفضل بقاءهم إلى جانبه يشدون ازره ويقوون ساعده ، وقد يكون هذا هو السر الذى من أجله لم يقلد علياً ولا عثمان ولا سعداً ولا طلحة منصباً سياسياً أو وظيفة قيادية .

صحيح أنه قد كان ينيط بهم بعض المهمات التى لا تستغرق غير اليسير من الزمن حتى لا يبتعدوا عنه ، ولا يطول غيابهم عن حضور مجلسه ، وقد مات أبو بكر وهو فى واحدة من هذه المهام فقد أرسله ـ رضى الله عنه ـ إلى هوازن(١٨) من نجد لجمع صدقاتها واسْتُخْلِفَ عمر ـ رضى الله عنه ـ وهو فى هذه المهمة وجاءت الأنباء من قبل المثنى ابن حارثة تقول : إن الفرس قد اجتمعوا تحت راية رجل من أبناء كسرى اسمه

---

(١٥) البداية والنهاية ـ ابن كثير جـ ٨ ص ٧٥ ، الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(١٦) الروض الأنف ـ السهيلى ـ جـ ٣ ص ٢٩ .
(١٧) الإصابة ـ لابن حجر ـ جـ ٣ ص ٣٣ ، الاستيعاب ـ لابن عبد البر ـ جـ ٣ ص ١٩ .
(١٨) تاريخ الأمم والملوك ـ للطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٤ ـ ط ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان .

(يزدجرد) وأنهم بايعوه على الإخلاص له والقتال تحت لوائه حتى يعيدوا للامبراطورية الفارسية هيباتها ويعطوا العرب الذين اجترءوا عليهم واقتطعوا جزءاً من بلادهم درساً لا ينسوه .

وأزعجت عمر هذه الأخبار وراح يدعو كل من له رأى أو سلاح ، وفكر طويلاً فى قيادة الجيش الذى سوف يخرج لقتال الفرس وأفهم الناس أن دولة الإسلام يجب ألا تقهر ، وأنهم إن غلبوا المسلمين فسوف لا تقوم لهم قائمة ولا ترتفع لهم راية ، ونَبَّه ذوو الرأى والحجى الفاروق إلى ما فى قيادته للجيش من الخطورة على الإسلام ودولته ، وأن الرأى السليم أن يبقى هو وينيب عنه من يشاء من كبار أصحاب النبى ﷺ فإن انتصر فذلك ما يريد ، وإن كانت الهزيمة بعث آخر بدلاً منه وهكذا حتى يبلغ المسلمون الغاية ، ويدركوا الهدف وعرف سعد ما يدعو إليه عمر من دعوة كل ذى رأى أو سلاح فانتخب له من نجد ألف فارس وكتب إليه يقول :[19]

إنى قد انتخبت لك ألف فارس مؤد كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع زمارهم ، إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم ، وصادف وصول هذا الكتاب إلى عمر سؤاله للناس عمن يصلح من أصحاب رسول الله لإلقاء هذه المهمة على عاتقه . فقال الكل : قد عرفته ياأمير المؤمنين : قال ومن هو ؟ قالوا : الأسد عادياً سعد بن مالك بن وهب خال رسول الله ﷺ . فوافق عمر على هذا الاختيار وأقره ، وأرسل إليه فقدم عليه . فَأَمَّرَهُ على حرب العراق وأوصاه فقال : ياسعد سعد بنى وهيب[20] : لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ﷺ ، وصاحب رسول الله ، فإن الله لا يمحو السيئة بالسيىء . ولكنه يمحو السيىء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر ، هذه عظتى : إياك إياك أن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ولما أراد أن يسرِّحَهُ دعاه فقال :[21] إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم أن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر . فالصبر . الصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة . وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية فأما العلانية . فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس فلا تزهد فى التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم وأن الله إذا أحب عبدا حببه ، وإذا أبغض عبدا بغضه فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك[22] .

وواضح من هذه الوصية الجامعة أن عمر قد بين لسعد ما يفعله نحو نفسه ونحو جنده

(١٩) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٤ .
(٢٠) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٤ .
(٢١) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٥ .
(٢٢) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٥ .

وما ينبغى أن يتركه بالنسبة لهما وعظم له المهمة التى وضعت على عاتقه ، وأنه لا سبيل إلى اضطلاعه بها إلا بطاعة الله والصبر على لقاء العدو حتى يخور عزمه وتهن قوته ومضى ـ رضى الله عنه ـ فى أربعة آلاف وراحت الجنود تنضم إليه حتى بلغ جيشه اثنين وثلاثين ألفا وقبل أن تدور بين الفريقين (معركة القادسية) كتب إليه أمير المؤمنين عمر يقول : بعد كلام طويل :

وإذا انتهيت[٢٣] إلى القادسية باب فارس فى الجاهلية وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجراع بينهما : ثم الزم مكانك فلا تبرحه .

ومضى ـ رضى الله عنه ـ يقول : فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابدا إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من ارضكم ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة .

وعلى الرغم من كثرة عدد الجيش الفارسى وكثرة عُدَدِهِ وإصرار قادته على الموت أو النصر ، وعلى الرغم من أن سعداً قد أضناه المرض وبرحت به العلة فى معركة القادسية هذه فإنه قد أدارها إدارة الحكيم الملهم حتى انقادت له ومالت كفة القتال فيها لصالحه وسطر التاريخ له ـ رضى الله عنه ـ من قصص البطولة والشجاعة ما تجرى به الركبان وما يحكيه الزمان للزمان .

ولم تكن معركة القادسية هذه وحدها هى كل ما سجله التاريخ لسعد بن أبى وقاص فى خلافة عمر من الأمجاد الحربية فقد فتح (المدائن)[٢٤] ودخل قصر كسرى ورفع عليه وعلى المدينة رايات الإسلام عالية خفاقة وأدار معركة (جلولاء)[٢٥] بعد أن كتب إلى أمير المؤمنين عمر يبين له أن الفرس بعد أن هربوا من المدائن قد تجمعوا لقتال المسلمين وعزموا على غسل العار الذى لطخ راياتهم فى كل من القادسية والمدائن ، وكما كتب الله النصر لسعد فى المعركتين السابقتين فقد كتب له النصر فى معركة جلولاء كذلك ، وهكذا صار ابن أبى وقاص قائداً لا يُشق له غبار ولا يُجرى معه فى مضمار .

وبعد سنتين وشهرين من وضع سعد يديه على المدائن بنى مدينة الكوفة[٢٦] والسبب فى بنائها هو ما لاحظه أمير المؤمنين عمر على وجوه الوافدين إليه من المدائن وأجسامهم من الوهن والضعف وتبين له أن وخامة الأجواء التى يعيشون فيها هى السبب فى هذا التغير وأن العرب لا يصلحهم إلا ما يصلح إبلهم وشاءهم ، وقد بنيت هذه المدينة أول ما بنيت بالقصب فلما احترقت استشار سعد عمر فى بنائها باللبن فأذن له وكان سعد كثير الكتابة إلى الخليفة فى المدينة ، ويظهر أن شدته فى الحق وصرامته فى أداء الواجب قد كهربت الجو بينه وبين رعيته فكانوا يتلمسون له الأخطاء ويفتاتون عليه الهفوات ويرفعون عقائرهم بالشكوى[٢٧] إلى أمير المؤمنين عمر حتى استطاعوا أن يعزلوه ويحل غيره محله والدليل على أن سعداً قد كان نقى الثوب طاهر

(٢٣) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ٨٩ .
(٢٤) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ١٧٠ ـ ١٧٤
(٢٥) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ـ جـ ٤ ص ١٧٩ .
(٢٦) تاريخ الأمم والملوك ـ الطبرى ص ١٨٩ وما بعدها ، الإصابة ـ لابن حجر جـ ٢ ص ٣٣ .
(٢٧) الاستيعاب ـ لابن عبد البر جـ ٢ ص ٢٢ .

سعد بن أبى وقاص

المظهر والمخبر ما أعلنه الفاروق - رضى الله عنه - من أنه لم يعزله عن ضعف ولا عن خيانة وليس هذا وحسب ولكنه أوصى[٢٨] من يتولى أمور المسلمين من بعد أن يوليه ويعتمد على كفاءته وكفايته ولما طعن أمير المؤمنين عمر جعل سعداً ضمن الستة المرشحين للخلافة وذكر أن السبب فى اختياره لهم وترشيحه إياهم أن النبى ﷺ قد مات وهو عنهم راض .

فى خلافة عثمان وعلى :

وقد بايع سعد عثمان - رضى الله عنه - فيمن بايعه من المهاجرين والأنصار وكان إلى جانبه يرشده ويسدده ويعينه على أداء الأمانة التى وضعتها الأمة على عاتقه ، وقد عرفت فيما مضى أن عمر قد أوصى من يجيء بعده أن يستعمل سعداً لأن عزله إياه لم يكن عن سوء ولا عن وهن وقد أسرع عثمان إلى تنفيذ هذه الوصية فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وأحل محله[٢٩] سعد بن أبى وقاص ، وكان ذلك فى العام الثانى لاستخلافه والسبب فى أن عثمان لم يستعمل سعداً منذ جلس على أريكة الخلافة هو أن عمر - رضى الله عنه - قد أوصى الخليفة من بعده أن يبقى على عماله عاما كاملا ثم يتصرف فى عزلهم أو الإبقاء عليهم كما يشاء ، ونحن نعرف أن سعداً كان هو أول من تأمّر على الكوفة فى عهد الفاروق لأنه هو الذى بنى هذه المدينة بعد انتصاره المؤزر على الجيوش الفارسية فى القادسية والمدائن وقد بقى سعد فى عمله هذا الجديد عاماً وبعض عام ثم عزله أمير المؤمنين عثمان وولى الوليد بن عقبة بدلاً منه .

لم يؤثر العزل فى نفس سعد ولم يوغر صدره على عثمان فقد ظل إلى جواره فى المدينة يزوره ويشهد مجالسه ، ويدفع شائعات السوء التى أثارها خصومه حوله وقتل عثمان - رضى الله عنه - فحزن سعد على قتله كما حزن غيره من أصحاب النبى ﷺ ودخل فى بيعة علىّ كما دخل من سواه من المهاجرين والأنصار غير أنه اعتزل الحروب التى اشتعلت نارها بين علىّ - رضى الله عنه - وبين خصومه وكان إذا طولب بالانحياز نحو أحد الفريقين والقتال تحت ألويته قال : والله لا أقاتل حتى تؤتونى[٣٠] بسيف له عينان ولسان وشفتان يقول هذا مؤمن وهذا كافر ، وجاء فى أُسْدُ الغابة أن عمر[٣١] بن سعد وابن عمه هاشم بن عتبة طلبا منه أن يدعو إلى نفسه ، فأبى . وليس معنى هذا أنه قد كان يرى أن غيره أحق منه بهذا المنصب . فقد كان يقول : ما أزعم أنى بقميصى[٣٢] هذا أحق منى بالخلافة . قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد ولا أبخع نفسى إن كان رجل خيراً منى .

كان - رضى الله عنه - مطمئنا إلى أن الصواب فى اعتزال الفتنة ، واجتناب الحرب ، وقد عاش سعد حتى الخامسة والخمسين ، ولقى ربه فى العقيق[٣٣] ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن فى البقيع بعد أن صلى عليه مروان ومن حضر من أصحاب رسول الله - ﷺ - ممن بقى منهم على قيد الحياة .

فرحم الله سعداً وأجزل له الأجر والمثوبة فقد كان آخر المهاجرين وآخر العشرة المبشرين ، تلبية لنداء ربه وصعوداً إلى ما أعده سبحانه للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

(٢٨) الإصابة - لابن حجر - جـ ٢ ص ٣٤ .
(٢٩) الإصابة - لابن حجر - جـ ٢ ص ٣٣ .
(٣٠) طبقات ابن سعد ١٤٣/٣ .
(٣١) أسد الغابة لابن الأثير ٣٦٨/٢ .
(٣٢) طبقات ابن سعد ١٤٣/٣ .
(٣٣) الاستيعاب - لابن عبد البر - جـ ٢ ص ٢٥ ، الطبقات الكبرى - لابن سعد - جـ ٣ ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

ليبريا والإسلام

٣

للأستاذ / محمد المتناوى

الوضع العام للشعب

ماسبق يوضح الوضع العام للشعب ، ومنه يمكن ان تلم بطوائف الشعب الليبيرى الثلاث :

الأولى :

الطائفة العاملة فى الماس ، ومن لهم وظيفة ذات نفوذ ، أو لها حق الرقابة على التجارة والصناعة وما شابه ذلك .

الثانية :

الطبقة المتوسطة . وتعمل فى انواع التجارة البسيطة . او الزراعة بالطريقة البدائية .

الثالثة :

الطبقة الدنيا .

ومن عجب أن تتراوح بينهم وجبات الطعام فهى ثلاث لأعلاها ، واحدة لأدناها، ثنتان فقط للوسطى .. وعلى هذا يمضى يوم هؤلاء جميعا .

الوجبة الرئيسية لهذه الطوائف

هى غالبا ما تكون من الأرز ، مع بعض الأدم ، من ورق الكافا أو ورق البطاطا ، المطبوخ ، أو (السلمون) المستورد . أو السمك المستورد الذى يباع بالواحدة وليس بالوزن .

وقد أدى إلى هذه الحالة الاقتصادية التى تشق على العامة من الليبيريين أسباب :

١ ـ بطء الحياة لما يضرب فى أطنابها من خمول وجنوح إلى الراحة فصارت تسير سير السحلفاة ولقد تجد من المناظر المألوفة أن تجلس امرأة إلى أخرى ساعات عديدة لتمشيط شعرها ، الذى تجعله أكثر من ثلاثين ضفيرة متواصلة .

٢ ـ نوع العملة المستعملة ، وإن كانت العملة المعترف بها هى الدولار الأمريكى إلا أنه قد ظهرت عملة معدنية محلية ثقيلة الوزن فئة خمسة دولارات ، وأجزاؤها . وهى السائدة والمستعملة ، واختفى الدولار الورقى الأمريكى ، وضورب به سراً حتى غطت قيمته ٢,٣٥ فى المائة

الاسلام وليبريا

من العملة المحلية فصار كل مائة دولار أمريكى بنحو (٢٣٥) دولارا محليا .. والارتفاع فى قيمة الدولار الأمريكى مفتوح على عكس قيمة الدولار الوطنى ، فالأول قابل للزيادة باطراد . لذلك زادت الأسعار زيادة رهيبة .

٣ ـ يتقاضى موظفو الدولة مرتباتهم على شكل (شيكات) . ويحتاج الموظف إلى السفر الشاق الذى يكبده مصروفات هو فى حاجة إليها ليصرف (الشيك) فأصبح من المتبع ، أن يبيع الموظف (الشيك) إلى تاجر متنازلاً عن (١٥٪) من قيمته . مع ضآلة المرتب .

٤ ـ تأخر صرف المرتبات ، وقد وصل أحيانا إلى خمسة شهور ، وكل ذلك يضاعف عوامل الإحباط كما يقضى على الحماس للعمل .

وأدى إلى ترسيخ نظام [L.B.A] الذى يقضى بتنازل الموظف عن استلام راتبه لأحد التجار ، نظير أن يمده بما يحتاج إليه من سلع يبيعه إياها بأضعاف ثمنها فى سوق الشراء ، ويزداد الأمر سوءا إذا احتاج الموظف إلى نقود سائلة حيث يبيعه نفس التاجر كمية من السلع بهذا السعر المبالغ فيه . ثم يشتريها التاجر نفسه منه بثمن يصل أحيانا إلى نصف الثمن الذى اشتراها به الموظف ... فى عملية ربوية رهيبة تقضى على الموظف بدين أبدى لايجد منه مكاكا .

والأمر كذلك إذا استدانها سائلة إذ يبلغ الربا فيها ٧٠٪ .

الناحية الدينية

ليبريا دولة نصرانية تحكمها حكومة صليبية ، ومع ذلك توجد مادة من مواد دستورها تنص على حرية الأديان ، فكل مواطن حر فى اعتناق مايشاء من دين لذلك تجد فيها أديانا متعددة وعقائد كثيرة متباينة ؛ ففيها الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية ، والوجودية ، وعباد الشيطان (الدباليين) ومنهم من لايعرف له عقيدة ولادين .

الإسلام أول دين سماوى فى ليبريا :

كان للإسلام دعاة منذ كان فى الجزيرة العربية ثم انتشرت أشعته إلى خارجها ، وكان لهؤلاء الدعاة أسلوب أكسبهم كرامة وعزة ، فقد اعتمدوا ـ ثقة فى الله ـ على علم دقيق ، وفهم غزير لهذا الدين ، وحين سلكوا بطريق الدعوة النزوح من شمال أفريقيا إلى جنوبها شيئا فشيئا كانوا يتاجرون فى بعض السلع ليجدوا القوت الكريم الذى يغنيهم عن أيدى الناس وهم يدعونهم إلى الوحدانية ، وعلى هذا المبدأ نزحت بعض القبائل الموريتانية ودخلت ليبريا فى القرن الحادى عشر ، وبخاصة في أوائل نصفه الأخير ، وعلى التحديد عام (١٠٦٢) م .

كان يحكم البلاد فى ذلك الوقت (الملك بارى) الذى احترم نشاط أولئك الدعاة الكرام ، ولم يقف حجر عثرة أمامهم .

كان الدعاة يؤدون الإسلام سلوكا وخلقا : أمانة فى المعاملة ، صدقا فى القول . سماحة فى العشرة ، إخلاصاً فى التطبيق ، إرشاداً إلى الحق ، إهداراً للسحر والخرافات ، فبطل السحر والسحرة أمامهم ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

أول القبائل إسلاما

تعتبر أول القبائل إسلاما قبيلة (غولا) فقبيلة (الفاو) التى عرفت منذ القرن الخامس عشر الميلادى ويطلق عليها قبيلة (واى) أيضا . وقد نشأت هذه القبيلة على طابع إسلامى ومعظم أبنائها مسلمون ومن هذه القبيلة أسرة كبيرة تسمى بأسرة الشريف كل أفرادها مسلمون ،

وترجع هذه الأسرة إلى رجل عربى أبيض قدم من شمال أفريقيا وتزوج بإحدى نساء القبيلة .

قبيلة المادنجو

إحدى أكبر القبائل بغرب أفريقيا ، ولها بطون كثيرة فى أماكن شتى من أفريقيا ، وليس بين أفرادها من يدين بغير الإسلام ، ولتمسكها بإسلامها واتساع انتشارها بين سكان الغرب عُرف الإسلام بها ، فغير المسلمين يطلقون على الإسلام « دين المادنجو » كما يسمون القرآن الكريم (انجيل المادنجو) ، وكان لهذه القبيلة مملكة - يوماما - بالقرب من حدود غينيا وليبريا .

وقد تعاونت القبيلتان (المادنجو) و(الفاو) على نشر الإسلام بغرب أفريقيا ، وسهل لها تلك المهمة تلك الصداقة التى كانت تجمع بين زعيم (المادنجو) فى ذلك الحين : (أحمد كونى) وملك هذه المنطقة المسمى (زالوما) .

ديانات طارئة :

بينما كان الإسلام ينتشر فى المنطقة ويأخذ وضعه الأمثل ، كانت تجارة الرقيق تحتضر ، وتلفظ أنفاسها الأخيرة فى أمريكا والغرب كله .

بدأت تلك التجارة تقريبا منذ سنة ١٥١٠ م - ١٧٨٧ م حيث كان النخاسون (القراصنة البرتغال) يخطفون الأفارقة من الساحل الغربى لأفريقيا لبيعهم رقيقا ، للعمل فى مزارع الدول الغربية ، حتى كانت الأعوام ١٧٨٧ م - ١٨١٠ م وحرر الرقيق ، ووصل كثير من المحررين إلى موانى أفريقيا الغربية عائدين بديانات أسيادهم التى أجبروا على اعتناقها ، وورثها الأبناء عن الآباء .

وقد كتب أحد الأدباء الأمريكان من (الزنوج) وهو من سلالة هؤلاء المحررين من ارق قصة (الجذور) وهى عن إحدى هذه الأسر : التى بيع مؤسسها (كونت كونتى) بأمريكا ، وأجبر على اعتناق المسيحية . وعرض الكاتب فى أحداث قصته نحواً من عشرة أجيال ، وهى قصة حقيقية تحكى تاريخ أسرة هذا الكاتب الموجود على قيد الحياة وأعلن عن أنه سيعود إلى الإسلام : دين آبائه الأولين .

وبوصول هؤلاء المحررين معتنقى النصرانية إلى أفريقيا تسللت النصرانية إلى غرب أفريقيا .

إعلان جمهورية ليبريا (١٨٤٧) م

فى عام ١٨٤٧ م حصلت ليبريا على استقلالها ، وأعلنت جمهورية ليبريا ، واعترف بها عالميا ، وخصوصاً من الولايات المتحدة الأمريكية ، وجعلت العملة المتداولة رسميا هى الدولار الأمريكى .

وعُين رئيسا للجمهورية أحد هؤلاء المحررين العائدين من أمريكا . وهو (ج . ج . روبررت) . [G.G.R] ، وقد نصب له تمثال كبير على ربوة عالية ، أمام فندق الديكور ، بالعاصمة ، [منروفيا] . وكان مسيحيا .

وفى نفس السنة وضع دستوراً للبلاد خططت له البعثات التبشيرية . فنص على أن دين الدولة الرسمى هو المسيحية مع منح أصحاب الأديان الأخرى حق البقاء على عقائدهم .

البعثات التبشيرية الصليبية والكنائس :

بعد ولادة هذا الدستور وجد الغرب له عضدا يحميه ، فبادرت أمريكا وغيرها من دولة ، بإرسال البعثات التبشيرية لهذه المنطقة ، مزودة بكل الوسائل ، والإمكانات المادية ، والبشرية ، والعلمية والإعلامية المعينة لهدفها ، وأول من قام بالتنصير لأفراد القبائل . المبشر (لوت كارى) ،

ونشطت هذه البعثات فى العمل لإنشاء كنائس بالبلاد .

كان لأمريكا يد السبق فى هذا المضمار، فأقامت فى ليبريا [١٨٢٢ م] أول كنيسة [بابتست] ، ثم تبعتها الكنائس العالمية فأنشئت كنيسة (بروتستانتية) [١٨٣٠ م] كذلك كنيسة [ميتود ست] [١٨٣٣ م] ثم كنيسة [لوترن] ١٨٦٥ م .

مهمة هذه البعثات

كانت المهمة الأساسية من إرسال هذه البعثات ، هى نشر العقيدة والفكر الصليبى فى المنطقة وتنصير أهلها ، فاستعانت لنجاح مهمتها بالوسائل الآتية :

١ ـ فتح المدارس التى تخدم هدفها فى جميع أنحاء البلاد .

٢ ـ إنشاء المستشفيات لتزيد قربا من المواطنين ؛ إذ أقرب إنسان لقلب المريض طبيبه .

٣ ـ فتح النوادى العامة لأبناء الشعب الليبيرى ، وتسهيل وتيسير الانتماء إليها .

٤ ـ إقامة إذاعات تبشيرية عدة تذيع بمختلف لغات القبائل .

٥ ـ تقديم الهدايا من أدوات منزلية وكهربائية وغيرها من كتب تبشيرية بلغات البلاد من مختلف هذه المراكز .

وعن طريق المدارس والكنائس والمستشفيات والنوادى والهدايا وغيرها تقوم هذه المؤسسات بمهمتها .

شىء من اسباب نجاح هذه البعثات ؛

١ ـ فى بادىء الأمر كان المواطنون لايأمنون هذه البعثات من ناحية ، وتشتد كراهيتهم لها من ناحية أخرى ، لاعتقادهم ، أن هؤلاء البيض ، هم الذين خطفوا إخوانهم وباعوهم عبيداً أرقاء ، ومن ثم كانت تقوم بينهم معارك دامية ، لكن هذه البعثات وحدت جهودها ، متضامنة مع الجهات الرسمية ، فى ذلك الحين تحت ظل الدستور ، المشار إليه سابقا فبذلوا مافى استطاعتهم فى محاولة لكسب ثقة المسلمين ، ثم كان منهم :

٢ ـ الاختلاط بالقبائل ومعايشتهم ، وتقديم الهدايا المغرية لهم ، ولزعمائهم .

٣ ـ تقديم مالذ وطاب ، من أطعمة ، لمن يحضر كنائسهم ومستشفياتهم يوم الأحد .

الثمار الشهية لهذه البعثات

لم تفلح المحاولات التبشيرية السالفة وأمثالها من مخاطبة (الفكر) فى نزع الإسلام من النفوذ فلجأت البعثات ـ فى ذلك الحين ـ بالتخطيط مع الحكومة ، وتمخض ذلك عن :

أ ـ وجوب تبديل الأسماء الإسلامية بأسماء صليبية ، واعتبار ذلك شرطا أساسيا للقبول بالمدارس .

ب ـ تبع ذلك دس الشبه ـ ضد الإسلام ـ معتقدا وشريعة داخل هذه المدارس فضلا عن محاضرات المستشفيات أيام الآحاد وغيرها .

جـ ـ ساعدت الضحالة الثقافية الموجودة بنفوس المسلمين فى البلاد ، وهى ثقافة محدودة جداً تكاد تقتصر على أداء الشعائر ، دون معرفة عميقة بالدين تساعد على رد هذه الشبهات .

د ـ فرض الحضور إلى الكنيسة على الطلبة المسلمين إجباريـا ، حتى ليعاقب المتخلف بالضرب ، مع أن الضرب وسيلة غير حضارية فى التعليم ، لكن هذا الأمر لايزال ينفذ .

وليس من شك فى أن مخطط الكنيسة الغربية الذى أوقع المسلمين جميعا فى معاناة اتخذت أشكالا : اقتصادية ، وضآلة انتمائية ، وانصرافا

يكاد يكون تاما عن معاضدة بعضهم لبعض، وقصورهم فى معالجة ممارسة الإسلام عمليا فى ديارهم، بل، ومجاوزتهم ذلك إلى الحد من تقاليده ... كل ذلك وغيره يكون السبب الرئيسى لنجاح هذه البعثات فتلك الغفلة أقصت المسئولين المسلمين ـ فى العالم أجمع، إلا من عصم الله ـ عن مد أيديهم إلى هذه المنطقة لتخفيف ويلاتها.

ولم يبق فى الميدان يطرق هذه البلاد إلا بعثات الأزهر الشريف أعانها الله ـ عز وجل ـ ويسر لها من العالم الإسلامى من يتنبه لواجبه حيال مسلمى ليبريا(١)

موقف المسلمين أمام هذه التيارات

أمام هذه الظروف، وهذه التيارات الجارفة، والمسلحة بقوة المال والحكم، والدستور، وأمام الظروف الاقتصادية لشعب هذه البلاد المحاصر من جميع الجهات، المحروم من ثروات بلاده تحول الكثير إلى الديانة المسيحية، أما قبيلة المادنجو والغولا (بالغين)، ومعظم قبيلة (الفاو)، وبعض القبائل الأخرى مثل الفولا (بالفاء) والسومو، وغيرهم ممن تمسكوا بالإسلام وعضوا على عقيدتهم بالنواجز فهم فى حيرة وكمد وإحباط بسبب أبنائهم، فهم إن ارسلوا إلى المدارس ضاعت عقيدتهم، وإن لم يرسلوا ضاعوا فى غمار الأمية.

وقد آثر أكثرهم إهمال أمر التعليم إبقاء على دين أبنائهم.

ولهذه الخطوة أيضا نتيجة مقصودة الهدف لدى الكنيسة فى تخطيطها، فهذه الحال تعنى ـ مباشرة ـ إقصاء هؤلاء الأبناء عن مزاولة أعمال الدولة كموظفين فى مختلف مرافقها، ويعنى ذلك استسلام البلاد المسلمة أصلا إلى سياسة الكنيسة العالمية، ودوران البلاد فى فلك الغرب، وقطع أوصاله تماما عن المسلمين.

تباشير نهضة إسلامية

سئم المسلمون هذه الحياة فهم فى عزلة عن العلم والعلماء ليس لهم جمعية تجمعهم، ولاقائد عام يرشدهم، أو داعية إسلامى يعلمهم، وتحيط بهم من جميع الجهات مؤسسات التبشير بإمكاناتها الهائلة، من مدارس، وكنائس، ومبشرين، مزودين بالعلوم، والمكتبات والمعدات والأموال.

لذلك رأى الجميع أن يحركوا ساكنا، فاجتمع رؤساء القبائل، والعشائر وأصحاب الرأى فيهم، ثم بعد مناقشة وجدال اجتمع الرأى على بناء المسجد الجامع الأول فى العاصمة، وقد ساهم الجميع فى البناء والتكاليف، حتى ارتفع البناء، وارتفع فيه الأذان، وأصبح يقام فيه صلاة، الجمعة، والجماعة، وكان هذا سنة ١٩٥٥ م

فجمع الشمل ووحد الصف، وأثمرت الحكمة من تشريع (صلاة الجماعة) التى جمعت المسلمين فى مكان واحد، وتبادلوا الرأى والمشورة فيما بينهم. وكان مولد الجمعيات الإسلاميــة.

يتبــــع

---

(١) لقد يعلم ـ القارىء ـ شيئا مُقارَنتُه تفتت الكبد: هذا «سومرست موم» الروائى الانجليزى الذى كتب رواية «الأمطار» فكشف فيها عن نفوذ (المُبَشِّر) فى المنطقة التى يزاول فيها نشاطه، وقد أجرى الله ـ سبحانه ـ الحق على لسانه، لأمر قدره وهو ـ سبحانه ـ بَالِغُ أمره. كتب «سومرست موم» فى هذه الرواية أن نفوذ المبشر فى منطقته أعلى من نفوذ سفير بلاده بها إلى الدرجة التى قد يرتعد منها هذا الأخير إذا خالف المبشر، ولم ييسر له سبل أهدافه.

ويالها من شهادة شاهد من أهلها ... (الخطيب) ...

وقد أوضح النبى الكريم فى هذه الصحيفة المنهج[٥] الإسلامى الذى ينظم حياة هذه الأمة فى جميع نواحيها ، وهو يقوم على التقوى والإيمان بالله ورسوله ، والعمل الصالح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن الحكم بين الناس مرده إلى الله وإلى رسوله الذى كان يسهر على وحدة هذه الأمة .

وقد نتج عن إبرام هذه الصحيفة (أو المعاهدة) أن أصبحت « المدينة المنورة » قاعدة الإسلام حيث يعيش المجتمع الإسلامى الجديد المكون من « المهاجرين والأنصار ومن تبعهم فلحق بهم ، وحل محلهم وجاهد معهم » وبهذا فتح المجال لأن تصبح « المدينة المنورة » ملجأ يهرع إليه المسلمون الموجودون خارجها إذا ساعدهم الله وهداهم إلى مخرج يتيح لهم الهجرة ، كما أتاح الفرصة لإسلام عرب « المدينة المنورة » الذين كانوا مايزالون على وثنيتهم عند توقيع هذه الصحيفة ، أضف إلى ذلك أن هذه المعاهدة قد أكملت التوحيد بين الأوس والخزرج ، وجعلته أكثر صلابة وتوثيقا ، لأنها محت آثار ما كان بينهما قبل الإسلام من عداوة وصراع وحروب .

من المهم أن نلاحظ أن موادعة النبى ﷺ ليهود يثرب فى هذه الصحيفة (التى نسميها الآن معاهدة) ، وكذلك موادعته لمن لم يكن قد آمن بعد من عرب يثرب - هذه الموادعة لم يكن الغرض منها فقط إصلاح المجتمع ، ولا ضمان المعايشة السلمية بين سكان « المدينة المنورة » فقط ، ولكنها كانت ترمى فوق ذلك إلى بيان سماحة الدين الإسلامى التى وردت فى قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف ٢٩ .

فقد أوضحت هذه الصحيفة تعاليم الإسلام السامية التى تدعو إلى السلام والمحبة والتعايش السلمى ، مما يضمن للناس حرياتهم وأمنهم على أن يكونوا فى قريتهم جيرانا متعاونين ، وأن يدافعوا معا عن هذا البلد الذى يعيشون فوق أرضه ، وأن يلتزموا بالوفاء بما أبرموا من عهود ومواثيق .

لقد عاملهم رسول الله ﷺ فى هذه الصحيفة معاملة المواطنين الذين يملكون كافة الحقوق المشروعة لكل مواطن ، وعلى كل منهم جميع الواجبات المفروضة على كل مواطن ، فقد عاهدهم واشترط عليهم كما شرط لهم ، وقد كان ذلك فى زمن لم تكن الحضارة الإنسانية قد عرفت فيه بعد حقوقا للمواطن إذا اختلف فى دينه مع دين الحاكم ، وخير شاهد على ذلك ما لاقاه أقباط مصر ، رغم أنهم كانوا مسيحيين من الاضطهاد والتعذيب على يد الكنيسة البيزنطية ، لأنهم تمسكوا بالمذهب المسيحى الذى كانوا يؤمنون به ، ورفضوا أن يؤمنوا وأن يتبعوا مذهب الكنيسة البيزنطية الذى كان يؤمن به امبراطور الدولة الرومانية الشرقية .

وكان إقرار اليهود وعرب « المدينة المنورة » الذين كانوا لايزالون على عبادة الأصنام ولم يؤمنوا حتى كتابة هذه الصحيفة ، - كان إقرارهم أنه إذا حدث فى « المدينة المنورة » شجار أو اختلاف يخشى منه ، فإن الحكم فيه يكون لله ورسوله ، وكان هذا الإقرار اعترافا منهم بأن « محمداً ﷺ » هو حاكم « المدينة المنورة » وإليه يرجع الفصل فى كل خلاف ينشأ بين المتعاقدين ، وأنهم ينزلون على حكمه .

(٥) يطلق على هذا المنهج الآن لفظ (الدستور) .

تقرير عن مشروع

إلغاء القسم العالى

من معهدى اسكندرية وطنطا

بقلم فضيلة الشيخ
محمد الأحمدى
شيخ الجامع الأحمدى بطنطا
رحمه الله

هذا التقرير من الوثائق الهامة التى تنشر هنا لأول مرة ، وننفرد بنشره على صفحات مجلة الأزهر الغراء ، فهى الوحيدة التى تضطلع بنشر تراث الأزهر ، جعلها الله حارسا ومدافعا عن تراث الإسلام .

د . مجاهد توفيق الجندى

(بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتى

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

أشار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المدير العام فى تقريره الذى رفعه إلى مجلس الأزهر الأعلى إلى أنه قد يكون من المفيد أن تكون الأقسام العالية بالمعاهد بدائرة واحدة هى دائرة الأزهر .

وقد أجل المجلس هذا الموضوع للمناقشة ، ولا خفاء فى أنه موضوع هام قد يفهم أن معناه غلق مدرستين عاليتين من مجموع المدارس العليا الثلاثة التى تخرج العلماء وذلك بإلغاء القسم العالى من معهدى اسكندرية وطنطا وجعلهما مدرستين ثانويتين فقط .

ولا شك فى أن الدافع لعرضه الآن إنما هو مجرد حب الخير للمعاهد ، وتعرف المصلحة فإذا تبينت فى غير هذا المشروع كان عارضوه من أول المعرضين عنه كما أنها متى تبينت فيه وجب تشجيعه .

←

ولقد أدانى بحثى إلى عدم صلاحيته للأسباب الآتية ، إلا أن ذلك لا يمنعنى من الرجوع إلى الحق متى تبين أنه فى غير ماوصلت إليه .

ولا شيء أضر بالمصالح من التعصب للرأى الأول ، أو متابعة الهوى والميل الشخصى ، أو إصدار الحكم النهائى فى المسائل قبل توفيتها حقها من الأخذ والرد .

وهأنا عارض نتيجة بحثى فيما يلى مقسماً ذلك إلى قسمين :

القسم الأول فى الوجوه التى تقتضى عدم الإلغاء .

والقسم الثانى فى مناقشة ما عساه يكون سببا يبرر الإلغا .

القسم الأول
فى بيان الوجوه التى تقتضى عدم الإلغاء وهى ١٤[1] وجها

الوجه الأول .

وهو أجدر ما ينبغى أن ينظر إليه فى معاهد الدين - أن الإلغاء لا يتلاءم مع المبادىء الإسلامية المقررة القاضية بتسهيل سبيل العلم للمتعلمين وتقريبه من ناحية ، والإكثار من دُوره ومعاهده ، وذلك هو ما دعا الملوك والأمراء فى التاريخ القديم والحديث إلى أن ينشئوا دور العلم بجوار دور العلم فى البلد الواحد فضلاً عن البلاد المتعددة ، وذلك هو ما دعا من قبل إلى وجود الجامع الأحمدى ومعهد اسكندرية فهل جد الآن ما يقتضى العدول عنه (لا فى تجديد ما لم يكن بل فى إلغاء ما هو موجود) مع أنه لا يعدل عنه إلا لمفسدة .

هل هناك مفسدة فى بقاء معهدى اسكندرية وطنطا عاليين يخرجان العلماء كما وجدا من قبل ؟

الوجه الثانى :

إن الإلغاء ينافى مصلحة التعليم نفسه وارتقاءه ، فإن تعدد المعاهد المتناظرة فى شيء واحد أدعى إلى التنافس والتبارى فى ميدان السبق والتنافس وهو الأساس فى كل نوع من انواع التقدم الأدبى والمادى ، فلولا تعدد المصانع وتنافسها ما ترقت الصناعة ، ولولا تعدد الشركات ما تحققت رغبة الجمهور ، ولولا تعدد معاهد العلم وتنافس رجاله ما ارتقى نظام التعليم .

ومن أقرب ما يدل على ذلك فى موضوعنا أمران :

الأول : ذلك التنافس الواقع الآن بين المعاهد فى الشهادات المشتركة وهى الشهادة الأولية والشهادة الثانوية .

والثانى : ذلك التنافس الظاهر والخفى بين المعاهد الثلاثة الكبيرة فى شهادة العالمية النظامية وغير النظامية .

الوجه الثالث :

أن ذلك ينافى مصلحة الطلبة ؛ فإن معظمهم من الطبقات الفقيرة وكثير منهم لا يمكنه الابتعاد بالكلية عن بلده فهو لذلك يؤم المعاهد القريبة ليمكنه موالاة أهله ومراعاة معاشه من آن إلى آخر ، وذلك سرّ تعدد المعاهد ؛ فنحن بإلغاء هذا القسم سنعرضهم إلى أحد أمرين :

إما إلى ترجيح جانب المعاش والانقطاع عن العلم وفى ذلك ما يشبه الصدّ عن سبيله ولا يقول

(١) تركنا كتابة الرقم بالحروف محافظة على مادة الوثيقة كما رفعت إلينا ..

رئيس التحرير

به أحد .

وإما أن بجشمهم من المشاق ما لايقدرون عليه . والواجب أن نكون ميسرين ، وأن نزيل العقبات من سبيل طلاب العلم والدين .

الوجه الرابع :

أن ذلك سيؤدى إلى ضعف معهدى طنطا والاسكندرية فى الأقسام الأولية منها التى ستبقى فيها ، وإلى انفضاض الطلاب تدريجيا عنهما فقد دلت التجربة على أن معظم الطلبة إنما يقصدون من أول الأمر المعهد الذي يمكن أن يتموا فيه دراستهم وذلك هو سرّ عدم الإقبال على المعاهد الصغرى حتى ممن يجاورونها كدسوق ودمياط ؛ ولأن آباء الطلبة المبتدئين إنما يرسلونهم حيث يكون طلبة القرية الكبار ليكونوا تحت إشرافهم .

الوجه الخامس :

إنه إذا قورنت نتائج الشهادات التى كان يشترك الأزهر ومعهدا الاسكندرية وطنطا فى التقديم إليها لم يوجد ما يبرر هذا الإلغاء ومن الجدول الآتى تتبين الحقيقة .

الشهادة الاولية	نسبة الناجحين فى الأزهر	نسبة الناجحين فى اسكندرية	نسبة الناجحين فى طنطا
سنة ١٣٣٤ ـ ٣٥	٪٥٦,٩٠	٪٧٣,١٣	٪٧٧,٩٤
سنة ١٣٣٥ ـ ٣٦	٪٦١,٣٤	٪٧٠,٢٤	٪٨٣,٠٨
سنة ١٣٣٦ ـ ٣٧	٪٧٧,٦	٪٣٣,٣	٪٨٤,٧

الوجه السادس :

أن المعروف عن عهد حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان أنه عهد تجديد ونشر للعلم لا عهد إلغاء وتقليل للمعاهد الكبيرة ! كيف وهو صاحب الأيادى البيضاء على رجال العلم والدين ، ومؤسس الجامعة المصرية ، ومنشىء القسم الثانوى بمعهد أسيوط ؛ فإذا كان فى بعض المعاهد نقص أفنعجز عن خدمة رغباته الشريفة وسد نقصها بغير الإلغاء ؟ اللهم إنا لا نرضى إلا أن يكون عهده عهد إصلاح وزيادة عما فعل الأولون .

لقد وكل ـ حفظه الله ـ إلى مجلس الأزهر الأعلى أمر المعاهد فجدير به أن يسعى فى تحصيل كل وسائل العلاج دون الالتجاء إلى إجراء عمليات البتر ، وذلك ما توجبه علينا خدمة الدين وخدمة ذاته الشريفة ومقاصده العالية .

إذا كانت إدارة هذين المعهدين ناقصة فلنكملها وإذا كان المشرفون عليهما غير قائمين بواجبهم فلنغيرهم ،وإذا كانت طرائق التعليم معتلة فلنصححها ، وإن كان زمن الدراسة قصيراً فلنعطه من العلوم مقداره أو لنمده ، لنفعل هذا وأكثر منه دون أن نلتجىء إلى عملية الإلغاء التى هى أعظم تسجيل للفشل والعجز عن تحقيق الرغبات السلطانية وعن المحافظة على ماوجد من قبل من معاهد التعليم وحق الاستمرار فى مركز الرقى ونشر العلم الإسلامى التى وجدت من عهد غير قريب .

الوجه السابع :

أن ذلك ينافى التقاليد التاريخية للمعاهد التى يراد إلغاء الأقسام العالية منها ، وهى اسكندرية وطنطا : فمدينة الاسكندرية لم تزل منذ العصور

←

الأولى مشرق شمس المعارف وواسطة الاتصال العلمي بين الشرق والغرب ولما فتحها المسلمون كانت محط رحال كبار علماء الإسلام من المحدثين والأصوليين كابن الحاجب وابن هرمز ومن فى طبقتهما ، ولا تزال قبورهم بها مشهورة ، ولما ضرب الزمان ضرباته انحط فيها كغيرها أمر العلم الإسلامى ، حتى أراد الله أن ترجع إليها سيرتها الأولى وانشىء بها ذلك المعهد الإسلامى العالى الجليل فى عهد العائلة العلوية المباركة ، ومازال متعهداً من قبلها حتى نما واثمر . أفبعد هذا يجوز أن ننقصه ؟ وأن نحرم هذه المدينة من التعليم الدينى العالى ؟ أفى مثل هذا الوقت الذى لا تكاد تحصر فيه معاهد التعليم والكليات الأوروبية فى الاسكندرية نريد أن نختزل المعهد الإسلامى ؟! أليس من سبيل إلى المحافظة عليه وفعل ما يضمن بقاءه زاهياً زاهراً تاماً ؟.

●●●

اما الجامع الأحمدى :

فهو ثانى معهد أنشىء للتعليم وتخريج العلماء فى هذا القطر ومازال منذ أسس يعلم فيه التعليم العالى ، ويتخرج فيه العلماء كما يتخرجون فى الأزهر ، وشبهه بالأزهر شهد به المؤرخون .

قال المرحوم على مبارك باشا فى خططه ما نصه : (وبه نحو الستين عموداً من الرخام الأبيض وله فى تدريس العلوم به شبه بالجامع الأزهر وفيه نحو ألفى طالب غير المدرسين ولهم شيخ كشيخ الأزهر) .

الوجه الثامن :

أن ذلك ينافى التقاليد التاريخية المعروفة فى الممالك الإسلامية ففى كل أدوار التاريخ الإسلامى كان الملوك يبنون دور العلم زائدة عما بناه من قبلهم وكان تخريج العلماء غير مقصور على بلد دون بلد ولم نسمع فى أى عصر أن عُمِدَ إلى معاهد زاهية زاهرة بالعلم يقصدها آلاف الطلبة من كل جانب ، ثم اجتثت من رءوسها وفوجىء أهلها وهم عاكفون على بذل المجهود فى العلم بمثل هذه الحركة الشديدة المزعجة القاضية بإلغاء أعظم قسم من المعهد .

الوجه التاسع :

أن حركة المعارف الأهلية فى البلاد حركة تبسط ومد وتوسيع ، فلقد أكثرت الحكومة من المدارس الابتدائية ، وأوجدت فى عواصم الأقاليم مدارس ثانوية بعد أن لم تكن ، **ويوشك جريا على ناموس البلاد الراقية أن يوجد فى بعض تلك العواصم التعليم العالى متى سنحت الفرصة** فكيف مع هذا نجرى نحن فى التعاليم الإسلامية على طريقة التضييق والجذر والطى وإلغاء ثلثى الأقسام العالية فى المعاهد وكيف يكون ذلك فى القطر المصرى مهد العلوم الإسلامية .

الوجه العاشر :

أن الإلغاء ينافى المبادىء الاجتماعية العامة فقد أجمع العالم المتمدين على أن انتشار ربوع العلم ومعاهده من أهم ما يجب أن تعنى به الحكومات والأمم وأكثروا من الكليات والجامعات التى تعلم التعليم العالى فى المدن الكبرى ولم يقصروها على عاصمة المملكة فقط ، ففى فرنسا وفى انجلترا وفى غيرهما توجد بعاصمة كل إقليم مدرسة جامعة فيها التعليم العالى بسائر أقسامه ، ولو أنه قيل هناك : أنه يراد إلغاء بعض الجامعات أو الاكتفاء بجامعة لندن أو باريس

لكان هناك إجماع على معارضة المشروع ؛ فإذا كنا لا نريد أن نتبع ذلك السنن المعروف ونزيد عدد اقسام التعليم العالى فى نحو معهد أسيوط عند تمام التعليم الثانوى فيه فلا أقل من ألا نهدم ما وجد منذ التاريخ القديم كمعهدى الاسكندرية وطنطا .

الوجه الحادى عشر :

أن ذلك ينافى رغبات الجمهور وطبيعة الإقبال على الجامع الأحمدى فمازال مقصوداً من الغربية والمنوفية والبحيرة والشرقية والدقهلية ، ولقد تقدم إلى الانتساب إليه فى هذا العام عدد ٧٠١ وتقدم إليه بعد فوات الميعاد متطوعون عدد ١٢٧ ، ولا أدرى : أينقص عدد من ينتسب إلى الأزهر عن ذلك أو يزيد ، وهؤلاء إنما اقبلوا بمحض اختيارهم يقصدون تتميم دراستهم بهذا المعهد مع علمهم بتفتح أبواب الأزهر لكل طالب ، وأنه لا يصد عنه صاد افيصح مع هذا أن نضيق دائرة هذا المعهد لقاصديه ، ونصادر الناس فى رغباتهم .

الوجه الثانى عشر :

أن القسم العالى النظامى لم يوجد بعد فى الأزهر ، أو ليس الأجدر (ألا نهدم هنا إلا بعد أن نتم البناء هناك) ووقتئذ فقط يصح أن ننظر هل يصح الإلغاء أم لا ؟! ولو أن هناك ضرورة أو مفسدة يجب دفعها فوراً لصح ذلك بدون مبالاة ؛ ولكن هذا ما نتساءل عنه .

إن المسألة إبقاء ماهو موجود لا إيجاد ما هو مفقود ، أفلا يحسن التأنى والتروى فى الظروف الحاضرة ، وهل هذا هو وقت ذاك ؟ وهل هذا من المسائل المستعجلة ؟

إننى أعتقد أنه ما أضر بالأنظمة والتعاليم بالمعاهد إلا كثرة توارد خواطر الإصلاح ، والسرعة فى تنفيذها بحسن نية ، وإذا كان هناك ما نشكو منه الآن فإن سببه ذاك .

الوجه الثالث عشر :

أن فى إلغاء القسم العالى بالجامع الأحمدى تعطيلاً لشروط الواقفين الذين فرضوا فى وقفياتهم على العلماء والطلبة الدراسة العالية بالجامع المذكور طبقاً للمعروف فى تاريخه من الزمن القديم .

الوجه الرابع عشر :

أن مثل هذا العمل خصوصاً فى مثل هذا الوقت قد يكون له من الأثر فى نفوس الناس وإيجاد فرصة للمؤولين الذين يحاولون تشويه الحقائق ما نحن فى غنى عنه الآن .

القسم الثانى

فى الوجوه التى عساها تقتضى الإلغاء ومناقشتها

مايمكن أن يقال فى هذا الباب لا يكاد يعدو واحدا من أربعة :

الأول : **العمل على رفعة شان الأزهر بإلغاء ما عداه من الأقسام العالية .**

الثانى : **ترقية المستوى العلمى فى المتخرجين .**

الثالث : **سوء النتيجة فى هذا العام فى المعاهد الثلاثة .**

الرابع : **فكرة التوحيد .**

وسأذكرها بهذا الترتيب مبينا وجه خطئها :

البقية ص ٣٢٣

الفدائية والتهلكة

للدكتور
محمد رجب البيومى

يسوء الذين فى قلوبهم مرضٌ ، ان يجدوا روح التضحية تسرى فى نفوس الشبيبة المسلمة ، فيقدمون على النضال مستبسلين ، وتعجزهم الحيلة فى ان يصدوا الأبطال عن جهادهم المرموق ، فيستعينون تارة بما لا يصح من مسائل علم النفس التى لم تتاكد بعد ، كما يستعينون تارة بتاويل الصريح من كتاب الله تاويلاً يخرج به من الحقيقة إلى الضلال ، ولهم وراء ذلك ابواق عالية الرنين تردد ما يقولون ، وكانه حق لا مريه فيه ، ولكن الذين يقفون على اللباب الخالص من مقررات الإسلام ، يعرفون الصدق من الكذب ، ويميزون الطيب من الخبيث فيتصدون للباطل باسلحة لا تفل من البرهان الصريح ، ومن عجائب القدر أن تكون البداية الواضحة محل بحث يتسع للاخذ والرد ، وكانها غوامض مستعصية من دقيق الأحكام ، من عجائب القدر ان يدعو القرآن فى مواضع كثيرة إلى الجهاد فى سبيل الله ، ويعدُ المجاهد بإحدى الحسنيين ، ثم يجىء من يحاول أن يجعل من قشور علم النفس ضبابا يكسف نور الحقائق ! وعلم النفس سلاح ذو حدين ، فهو يهدى إلى الحسنى متى استقامت قضاياه على صراط الحياد الملتزم ، ويضل السبيل حين يصبح متنفسا للأحقاد المكظومة ، تلوى به الألسنة المغرضة فى تشدق واستعلاء .

زيف صريح

فهل صحيح أن الفدائية الباسلة انانية مريضة ، لأن المستشهد فى سبيل المبدأ الصريح لا يقصد نصرة المبدأ ولكن أعماقه الدفينة تمتلىء بحب الاشتهار الكاذب ، حين يندفع إلى القتال ، فيحسب فى سجل الشهداء ، ويتلو الناس حديث بطولته بعد رحيله ، فيكسب فخراً يتردد على الألسنة ، ويعود على أسرته بالزهو والخيلاء !

هذا ما يقوله الذين يبغّضون الناس فى الفدائية الباسلة ، إذ عجزوا عن أن يصدوهم عن ميادين الكرامة ، فحاولوا أن يصموهم بالأنانية وحب الذات ! ونحن نتساءل :

أيشعر الميت بعد رحيله بالفخر والمباهاة فى الحياة الدنيا حتى يقدم على الاستشهاد ليتردد

اسمه بين الناس ؟

أيكون الثاوى فى ضريحه ذا سمع راصدٍ لما يقوله الأحياء فينتشى بعبير الزهو والخيلاء ! أيعقل أن يحدث ذلك ، ويقول به أناس يدعون البراعة فى كشف السرائر ، وتحليل النوازع المختفية بين اللحم والدم فى أطباق الصدور !! لو كان هؤلاء صادقين فى نظرتهم اللئيمة ، لانتقلوا بالأمر إلى مكانه الصحيح ، فنصوا فى صراحة على أن المؤمن المستشهد يثق بوعد الله إذ ﴿ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾(١) وهنا يقدم المستشهد على ربه ، وقد زهاه فى الفخر لا بما سيقال عنه فى الحياة من ثناءٍ ، ولا بما سينتهى إلى أسرته من فخر موقوت ، ولكن بما أعد الله له فى فردوسه من نعيم ! لو كان هؤلاء المحللون صادقين لقالوا ذلك مستندين إلى ما يعلمون من واقع الشهداء قبل أن يندفعوا إلى الميدان ، ولكنهم ماديون لا يؤمنون بالبعث ، ولا يحاولون أن يوحوا للناس أن هناك إلهاً يجازى على الخير والشر ، وإذن فكل حديث عن ثواب المستشهد فى جنة الله مرفوض مرفوض ، وعليهم أن يصموا آذانهم عنه فى مجال التحليل ، فلم يبق إذن غير التلفيق المموه للأباطيل ، والاحتيال الخادع للمبررات ! بل لم يبق إلا الطعن فى المستشهد ، ومحاولة تشويهه بالفرض الكاذب لتنمحى البطولة من النفوس وليفرح هؤلاء بجبن المدافعين وخور المنهزمين !

صخرة صلبة

والذين يحاولون استهجان البسالة الفدائية ينطحون برءوسهم صخرة صلبة تفتت تلافيف أدمغتهم فلا يستطيعون البقاء ، لأن آيات الاستشهاد ، وأحاديث التضحية ومواقف السلف الصالح من الإقدام المستهين بالأرواح مما لا يكاد يقف عند حصر ، وطلاب المدارس يعرفون من تاريخ الفدائيين فى الإسلام ما يجعل التطبيق العملى للوحى القولى حقا لاشك فيه ، ولا أخال أحداً من المسلمين يجهل موقف علىٍّ بن أبى طالب ليلة الهجرة ، إذ نام على فراش ابن عمه ـ ﷺ ـ وهو يتأكد الموت الخاطف طعنا بالرماح ، وضربا بالسيف ، وهو فرد أمام جموع وقد مكث الليل الأطول ينتظر الموت ما بين لحظة ولحظة ، ولم تكن هذه التضحية فريدة فى بابها ، فمواقفه فى الغزوات المتتابعة تسجل تغلغل هذه الفدائية فى نفسه وفى يوم الخندق تقدم وهو شاب فتى لينازل فارس العرب أجمعين : عمرو بن ود ، حين صاح البطل المتكبر : هل من مبارز ؟ وتقاعس المسلمون عن مواجهته مشفقين ونهض علىٌّ ، فهم الرسول بإمهاله كى يتبين حقيقة ما سيقدم عليه ، ولكن الأمر كان كما وصفه الشاعر حين قال :

إذا مــا هــم اقعــده أخــوه
وزاد إلــى اللقــاء هــوى فقامــا

وتمكنت الفدائية من نفس علىٍّ ، فتقدم ، وأذن الله باندحار غريمه على يديه فى غير انتظار ، ولو كان الإمام ـ كرم الله وجهه ـ يحفل بالعاقبة لتأنى بعض الشىء ولكنه باع لله نفسه ، فكتب له النجاة .

ولن تنحصر الفدائية فى عمل تقف عنده ، بل إن ضروبها تختلف باختلاف ما يراه الفدائى حاسماً فى أمره ، فقد تكون التضحية فى بث الألغام الناسفة لقوة العدو ، أو سلب الذخيرة الفاتكة دون مبالاة بانفجار أو قذف صاعق ،

(١) سورة التوبة (١١١) .

الفدائية والتهلكة

وصاحبها لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، فإن كتبت له النجاة فهى خارقة نادرة ، وإن كانت الأخرى فتلك أعز ما يشتهى ويأمل .

ولن نذكر علياً وحده ، بل نقرنه بالمثنى بن حارثة الشيبانى إذ كان العربى الأول الذى تحدى جيوش فارس ، قبل أن تتقدم إليها كتائب الإسلام ، حتى تساءل عنه أبو بكر الصديق فى دهشة ، ثم تسلم قيادة المسلمين فى معركة « البويب » فهجم الفرس بمئات الفيلة ، وأدهشوا المسلمين الذين لم يروا فيلا من قبل ، وظنوه سلاحا وحشيا لا يقهر فتحاجزوا دهشين ، وهنا تقدم المثنى البطل هاجماً بسيفه على الفيل ومن ورائه أخواه المعنى ومسعود ، ونظر المسلمون فإذا خيول الأبطال الثلاثة تقتحم الفيلة ، فأخذتهم الحماسة واندفعوا وراءهم دون تهيب ، وغنموا النصر بفدائية المثنى وأخويه ، ومازال حديث الفيل مفخرة بنى شيبان لعشرات من السنين حتى قال قائلهم فى العصر الأموى :

ومنا المثنى قاتل الفيل وحده
ببابل إذ فى فارس حكم بابل

هذا فى فارس ، أما فى مصر فقد وقف المسلمون عاجزين أمام الأسوار الناهضة من حصن بابليون ، وطال الانتظار دون جدوى ، فرأى الزبير بن العوام أن يصعد إلى أعلى السور ، ويقذف بنفسه إلى داخل الحصن مكبرا ، فيردد المسلمون التكبير من الخارج ، وكانت مخاطرة رهيبة إذ ما كاد البطل يهتف بالتكبير حتى ظن المحاصرون أن باب الحصن قد فتح ، وأن المسلمين قد هجموا ، فترك الحراس الباب مذعورين ، وعمد الزبير إليه ففتحه ، ليتقدم الجيش المستبسل وتم النصر بفدائية نادرة ، ولو يكن للزبير بن العوام غير هذا الموقف لكفاه .

ويطول بنا القول لو بحثنا عن أمثال هذه الروائع فى التاريخ الإسلامى على مدى خمسة عشر قرنا ، ولكننا نقدم الشاهد فحسب .

الإلقاء فى التهلكة

أما تفسير آيات الكتاب على غير وجهها الصحيح عند هؤلاء ، فما أكثر ما تورطوا فى الفهم البعيد احتيالا على مايريدون وتلفيقا يروجون ، وقد تأتى رواية ضعيفة تشير إلى غير الظاهر من المراد ، فيطيرون بها كل مطار ، ويرجحونها على الروايات الجيدة ذات الإسناد الصحيح ! ونذكر بهذا الصدد قول الله عز وجل ﴿ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢) فإن معنى التهلكة عدم الإنفاق على شئون الحرب والإهمال فى إعداد الذخيرة الحربية ، لذلك صُدرت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وختمت بقوله عز وجل : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

يقول أبو أيوب الأنصارى ـ من رواية للترمذى نقلها القرطبى فى تفسيره ـ إنكم تتأولون الآية الكريمة هذا التأويل ـ وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سرا دون أن يعلم رسول الله : إنما أموالنا قد ضاعت وأن الله عز وجل قد أعز الإسلام ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا فى أموالنا ، فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ﴿ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فكانت التهلكة فى إقامتنا على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ،

---

(٢) البقرة : ١٩٥ .

يقول القرطبى ، ومازال أبو أيوب شاخصاً فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[٣] وإنما قال أبو أيوب ذلك حين كان المسلمون يجاهدون الروم ، فخرج الأعداء إليهم فى صف عظيم ، وخرج من المسلمين من يعادلونهم وأكثر ، فحمل رجل « من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا : ياسبحان الله يلقى بيده إلى التهلكة ، فنهض أبو أيوب ليوضح معنى الآيات وأسباب النزول بما لم يدع شكا لمستريب ، وهناك روايات أخرى تفترق فى التفصيلات وتنتهى إلى النتيجة الحاسمة التى توضح معنى التهلكة بما أوضحه أبو أيوب ، ومكانها كتب التفسير فلا نطيل .

إذا علم هذا المعنى ، فمن الغريب أن يجهله بعض من يستشهدون بالآية فى غير موضوعها الصريح ، لأن واجب المستشهد أن يعرف أقوال المفسرين وما رووا من أسباب النزول لا أن يكتفى باللفظ المباشر دون أدنى مراعاة للسياق الكريم .

من يقتحم المهالك وحده

فى كتب التشريع والتفسير أحكام واضحة لمن يقتحمون المهالك من المجاهدين وهم يتأكدون النهاية السريعة ونحن نلخص المهم منها عن تفسير القرطبى رحمه الله . كيلا نبقى أقل بادرة ظن لدى من يقفون عند المعنى الحرفى بعيداً عن المراد من النص الشريف .

لقد اختلف الفقهاء فى اقتحام الرجل ساحة الحرب ، وحمله على العدد الكثير وحده ، فقال قوم لا بأس إذا كان لديه قوة ، وعنده النية الخالصة ، وذلك بين من قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٤] .

٢ ـ وقال آخرون : إذا حمل الرجل على جماعة كثار من اللصوص أو المحاربين ، فإن علم أنه سيقتل من حمل عليه وينجو ، فحسن ، ولو غلب على ظنه أنه سيقتل ولكنه سيبلى بلاءً حسنا فى الأعداء فجائز أيضا ، ومن هذا ما روى أن رجلا أتى النبى ـ ﷺ ـ « فقال : أرأيت إن جاهدت بنفسى ومالى فقتلت صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، أدخل الجنة ؟ قال : نعم » . مسند أحمد ٣٢٥/٣ الميمنية .

وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد ، فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : من يردهم عنا وله الجنة ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة .

٣ ـ قال محمد بن الحسن : لو حمل رجلٌ واحد على ألف رجل من المشركين ، وهو وحده ، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع فى نجاة ، أو نكاية فى العدو ، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه للتلف فى غير منفعة للمسلمين ، فإن كان قصده تجرئة للمسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه ، لأن فيه منفعة للمسلمين على بعض الوجوه ، وإذا كان قصده إرهاب العدو ، ليعلم صلابة المسلمين فى الدين فلا يبعد جوازه ، وإذا كان فيه نفع للمسلمين فأتلف نفسه إعزازاً لدين الله ، وتوهينا للكفر فهو المقام الشريف الذى مدح الله به المؤمنين فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾[٥] وكلام الإمام ابن الحسن ذو دقة ، واحتراز يظهران فى مثل قوله : فلا يبعد جوازه ، وهكذا شأن الأصلاء من أعلام التشريع .

وبعد ، أفترانا أوضحنا المراد من معنى التهلكة ، كما جندنا الاستشهاد الفدائى بما نملك من الدليل ؟ أظن المسألتين من الوضوح بحيث لا تحتملان النقاش الجديد .

---

(٣) تفسير القرطبى ص ٧٣٦ ط دار الشعب .
(٤) البقرة : ٢٠٧ .
(٥) سورة التوبة : ١١١

فضيلة الرضا

للأستاذ
السيد عبد الفتاح خضير

الإنسان دائماً فى صراع بين متطلبات أمور دينه ورغبات هواه ، ولن يكون مؤمنا حتى يكون هواه تبعا لدينه ، وهذا ما حكم به المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، والإنسان فى امتحان مستمر بين الرضا والجزع والخير كل الخير فى الرضا بالقضاء والقدر ، فإنه لا يسعد القلوب ببرد الرضا مثل صبر الجوارح على مواقع القضاء وما أجمل قول بعض العلماء :

أما فى رسول الله يوسف أسوة
لمن كان محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر فى الحبس برهة
فآل به الصبر الجميل إلى الملك

وصدق الله العظيم إذ يقول .

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر ـ ١٠ ـ

ومرضاة الله كامنة فى قلب كل مؤمن وإيمانه بالقضاء والقدر ورضاه بخيره وشره وتسخير جوارحه فيما خلقت له ومن أجله وتطويعها لذلك ، بالنظر إلى من هو فوقها فى الدين فتحاكيه أو تزيد وبالنظر إلى من هو دونها فى الدنيا فتحمد الله وتشكر فيكون لها المزيد ..

وهذا هو الإيمان فى واقعه ، والعقيدة فى تطبيقها بأن يكون الرضا عن سرور بما قسم الله والامتثال لما أمر ولذا لما سمعت « العابدة » رجلاً يقول : اللهم ارض عنى . ياأخى ارض عن الله يرض عنك » وهى تعنى أن من يطلب الرضا من ربه فعليه أن يرضى هو عن ربه بأن يحب قضاء الله كله فيمتثل أمره عن رضا ويكره ما حرم عن إيمان وأن يجعل الرضا ركنا شديداً يأوى إليه ، فينطلق شاكرا لله على النعمة ويتسلح صابرا عند النقمة مستلهما هدى نبى الهدى ـ صلى الله عليه وسلم ..

● « عجباً لأمر المؤمن : إن أمره كله خير إن أصابته نعماء شكر ، فكان ذلك خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان ذلك خيراً له .

ويكون رضاه عملاً لا قولاً ، وتكون التقوى ساحته ، تلك التقوى التى يفسرها الإمام على ـ كرم الله وجهه ورضى عنه وعن كل الصحابة

أجمعين ـ بقوله : التقوى : أن تؤمن بالتنزيل وترضى بالقليل ، وتعمل لما بعد الرحيل » .

وإذا كان الرضا جزءا من التقوى وهى من أعلام الشريعة الإسلامية فإنه يتجاوز ذلك إلى التعامل بين الناس والتنازل عن هفواتهم وغفران زلاتهم ، والتسامح لهم بدل التصيد لأخطائهم وعد مساوئهم ورصد عين السخط لهم .. والخوف من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور ـ ١٩ ـ

ولله در القائل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
وعــين السخط تبـدى المســاويـا

ونظراً لفضيلة الرضا نجد الإسلام يجعل لها موقفا مشرفا عند الزواج فلا اعتداد للعقد إلا برضا الانثى .

وبالرضا تهون جميع الصعاب وتزلل كل العقبات بين الناس فيرضون عن بعضهم ويرضى عنهم ربهم ، فرضا المؤمن بما قضى الله رضا من الله عليه ، فإنه إذا أحب الله عبدا نادى ملائكته أن الله يحب فلانا فأحبوه وقد حكم الله سبحانه فى علاه برضاه عن خيار عباده من البشرية فهم ﴿خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البينة ٧ ، ٨ .

ورضا الله عنهم أنعم مما أوتوه من النعيم المقيم .

والرضا مطلوب أمام مخبوء الغيب وما يعترى الإنسان فى حياته من نزلات وأزمات ونكبات ووصب ونصب وملمات مادامت النتائج مختبئة عنا فربما يأتينا ما نتطلع إليه من وراء ما نتخوف منه ..

رب أمر تتقيه … جر أمرا ترتضيه
خفى المحبوب منه … وبدا المكروه فيه

وصدق الله العظيم : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ البقرة ـ ٢١٦ وخوفا من الطرد من ساحة الرضوان والرضا يجب الرضا بالقضاء والقدر .. ويقول تعالى فى الحديث القدسى : « **انا الله لا إله إلا انا من لم يرض بقضائى ويشكر على نعمائى ويصبر على بلوائى فليطلب ربا سوائى وليخرج من تحت سمائى** » .

والإيمان الكامل كامن فى مواقع الرضا بما قسم الله ..

دخل النبى ﷺ على الانصار وفيهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وعن كل الصحابة اجمعين فقال : امؤمنون انتم ؟ أمؤمنون انتم ؟ أمؤمنون انتم ؟ قالها ثلاثا وهم سكوت ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : نعم مؤمنون والحمد لله يارسول الله . فقال ﷺ : وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر فى النعماء ونرضى بالقضاء ..

فقال ﷺ : « مؤمنون ورب الكعبة » .[1]

ينبغى ان يكون هذا منا منهاجا لسلوكنا نحن المسلمين ، وان نعلّم ذلك لأبنائنا منذ نعومة اظفارهم : حتى يشبوا على ذلك .

وينشأ ناشىء الفتيان مـا

على ماكان عوده أبوه

لك الحمد ياربنا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت وصلاة وسلاما على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) رواه الطبراني فى الأوسط

كشمير المسلمة

للأستاذ
أحمد تقى الدين

ما يقرأ قارىء عن كشمير ومأساتها إلا وترتبط فى ذهنه فلسطين واحداثها ، فكلا البلدين متعاصران فى الحوادث ، متشابهان فيما حيك لهما من مؤامرات ، فكل من أهل كشمير واهل فلسطين إبان فترة حكم الاستعمار الانجليزى منعوا من التزود - حتى فى بيوتهم - من سكين المطبخ ، بينما سمح للعنصر المقابل بما اشتهى من سلاح حتى إذا انتهى الاستعمار عن شبه القارة الهندية ، والانتداب الإنجليزي على فلسطين ظهرت كشمير تحت وطأة الاستعمار الهندى ، وفلسطين تحت وطأة الاستعمار الصهيونى .

وأسرعت إسرائيل إلى الهند ترتبط معها باكثر من معاهدة ، وبخاصة بعد أن تزودت الهند بمفاعل ذرى ، حتى أصبحت المعلومات الناتجة عن هذه المفاعلات فى منطقة الشرقين : الأدنى والأوسط تتبادل - كانها ضرورة - الأضلاع لمثلث مضطرب .

وعلى المستوى العنيف من الكراهية الأشد مقتا فى نفوس اليهود للعرب ، يجد مسلمو كشمير نفس الروح لدى البراهمة الهنود الذين يعتبرون مجرد الحديث إلى مسلم أو لمسه يوجب الغسل للتطهير ..

ونجح الاستعمار الدولى الدارس للثقافات فى الشرق أن يستغل هذه المشاعر ليجعل من كشمير وفلسطين .. كل فى مكانها بؤرة من الجحيم المستعر الذى يترك المنطقة قلقة لا تستقر على وحدة ، أو تلتفت إلى تنمية فضلاً عن النهوض بشعب أو مسايرة حضارة .

كلا البلدين : فلسطين وكشمير ، بلد مسلم ، وكلاهما اعتدى عليه شعب غريب ، وكلاهما يدافع ويناضل ليدفع شر هذا العدو الشرس ثم إن مأساة كشمير هى مأساة إسلامية تهدد أكثر من ثلاثة ملايين نسمة من المسلمين يعيشون فى الهند ويتعرضون للأذى والإهانة .

وفيما خطه كتابا : (حرب أم سلام) لـ « چون فوستردلاس » و(مأساة كشمير المسلمة) للدكتور « إحسان حقى » نستطيع أن نلم بالواقع المرير لكشمير ، فالأول يوضح - فى جلاء : كيف اتخذت قضية استقلال باكستان تكأة لتقسيم فلسطين ... هكذا بلا مواربة لتنمو بعدها قضية كشمير على أشد ما تكون مأساة بشرية فى عصرنا الحديث .

وبالرغم من أن كشمير ـ كما يراها د . حقى ـ تقع فى الشمال الشرقى من باكستان كمكان طفلة بين ذراعى أمها ؛ فإن عنت الهند أمام حقوق كشمير الطبيعية يقف حائلاً أمام مطالب كشمير العادلة ، وما من شك فى دقة تشبيه د . حقى ، فإن باكستان تحيط بكشمير من جزء من شمالها الغربى ، ومن غربها ، ومن جزء من جنوبها الغربى ، وتحدها الصين من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقى وتحدها الهند من جزء من جنوبها .

وتبلغ مساحتها نحو (٨٤٤٧١ ميلا مربعا) ويبلغ عدد سكانها نحو أربعة ملايين نسمة منهم نحو ٨٠٪ مسلمون ، والباقى من الهنادكة والسيخ والبوذيين وغيرهم .

وهى بلاد جبلية فيها واديان هما : (وادى جمو) و(وادى كشمير) ، وهى طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات ، وأنهارها الكبيرة ثلاثة : السند وجليم وجناب وهى الأنهار التى تنساب إلى باكستان وترويها .

وتتساءل عن المبادىء البراقة ... حتى تقرير المصير : أين هو لشعب كشمير ؟ .. والإجابة تحمل نفس المرارة لحق تقرير المصير لعرب فلسطين ...

إنه مبدأ بلا قرار لم يحظ الشعبان منه بشىء ، ولا يزال مواطنو كشمير المسلمون يطالبون بهذا الحق ، وتعضده باكستان ، وراح ضحية الاستمساك به قرابة ربع سكان كشمير قتلا وتشريداً وجوعاً وحرقاً ويتحدث عنه د . حقى ، فيما يبسط من الحق .. ولقد رأينا ورأى العالم حوادث مقاومة أطفال الحجارة فى فلسطين وكيف تعرضوا لفقء العيون وصلم الآذان ، وظهر جندى إسرائيلى على الشاشة الصغيرة يكسر ذراع طفل عربى .

وكشمير اليوم قسمان : كشمير الحرة التى أعلنت استقلالها .

وكشمير التى استولت عليها الهند .

ولم يكن هذا التقسيم إبان الاحتلال الانجليزي فقد تألفت إمارة كشمير وقتها من ثلاث مناطق إدارية : جمو ، كشمير ، منطقة الحدود .

وترتبط كشمير بباكستان بأكثر من رباط طبيعى فضلاً عن الصلات الجغرافية والدينية فليس لكشمير من طريق يصلها بالعالم الخارجى إلا باكستان ، كما أن أنهار باكستان الثلاثة : السند وجليم وجناب تنبع من كشمير ، وليس لكشمير ميناء بحرى غير كراتشى .. إلى هذا الحد وصل الترابط الطبيعى بين كشمير وباكستان .

إن وحدة البلدين جلية فى أكثر من رباط وسبب ، ومن قبل ذلك وبعده ما بين البلدين من وحدة فى الدين ، وصلات القربى فى العائلات التى جعلت من الكشميريين والباكستانيين ذوى قومية واحدة .

●●●

وكما يتحدث « دالاس » فى غير مبالاة بالعرب ، يبين د . حقى عدم مبالاة الهنود بمسلمى كشمير ، ويذكر شيئاً عن معاناتهم مع الهنود .

فالهندوكى يحتقر المسلم ، ويعتبره نجسا : جسده ، وثيابه ، وأوانيه فهو أقل قيمة من بقرة أو قرد ، واحتقاره لأهل الأديان الأخرى ـ عَدَا دينه ـ أقل وطأة من احتقاره للمسلم .

ينظر الهنادكة إلى المسلم تلك النظرة ، وهم الذين يكفرون عن ذنوبهم ، حسب معتقدهم : بأقبح طريقة حيث ينبغى على الهندوكى أن يمزج بول البقرة بخثيها (روث) ولبنها وزبدتها ويشرب هذا المزيج ليطهر من ذنبه ، كما يستخدم خثيها ـ فى الغسل ـ بدلاً من الصابون والهندوكى حين يغتسل تكفيراً عن ذنبه فى

كشمير المسلمة

مخاطبة مسلم يستخدم هذا الخشى ليطهر ... والعياذ بالله .

ويذكر (ول ديورانت) فى (قصة الحضارة) فى حديثه عن الهند أن تحريم اللحم لم يكن أساسا بتلك العقيدة الهندوكية إنما طرأ عليها حين تغلبت (البوذية) على (الهندوكية) فوجد رجال الدين أنه لا فارق بينهم وبين البوذية إلا فى تحريم اللحم فحرموه وليس يعنى ذلك أنهم لم يمارسوا أكل اللحم سراً ، فالردة الدينية التى حدثت لدى كبار قساوسة البوذية لم يكن مستحيلاً حدوثها لدى البراهمة .

ورأى مسلمو الهند أن من المستحيل أن يجمعهم والهند وفاق وطنى واحد،فكان التقسيم الذى تم عام ١٩٤٧ ، قبل إعلان (إسرائيل) بعام واحد .

ويذكر د . حقى أنه بعد التقسيم بقيت خمس وستون وخمسمائة إمارة تحت سلطة أمراء منهم هنادكة ومنهم مسلمون ، وكانوا مستقلين داخل حدود إماراتهم ولهم محاكمهم وشرطتهم وماليتهم الخاصة ، ولكنهم كانوا مرتبطين عسكرياً وسياسياً بحكومة المستعمر ، وكان أهل الهند يطلقون على هذه الإمارات اسم (دياست) وكانت هذه الإمارات تسيطر على ما يقرب من ٥٠٪ من مساحة شبه الجزيرة الهندية وكان من حق هذه الإمارات أن تبقى مستقلة عن الهند وباكستان .

ويمضى د . حقى فيقول :

« وقد انضمت هذه الإمارات إلى الهند وإلى باكستان حيث تم الاندماج فى كيان الدولة التى تقع الإمارة فى نطاقها ، وهكذا طويت صفحات هذه الإمارات ما عدا أربعا منها كان لها وضع خاص وهى : (كبور تهله) (جونـاكده) (حيدرآباد) (كشمير) .

وقد كانت كشمير زمن الاستعمار البريطانى إمارة من إمارات الهند وكانت على كثرة خيراتها فى أسوأ حال ، وعلى الرغم من أن المسلمين فيها كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة إذ لم تكن لهم حقوق مصانة ، وكان جيش الإمارة يتكون من ثلاثة عشر فوجاً كل جنودها من غير المسلمين إلا فوجاً واحداً فقط ولم يكن يسمح للمسلمين بحمل السلاح ، وكان ذبح البقر ممنوعاً فى الإمارة ، ولم يكن يسمح للهندوكى باعتناق الإسلام إلا إذا أعلن تنازله عن كل ما يملك ، وقد فرضت الحكومة الضرائب حتى على نوافذ المسلمين باعتبارها نوعاً من الترف .

وقد أدى ذلك إلى إعلان الثورة الإسلامية بقيادة الشيخ (محمد عبد الله) الذى عرف باسم (أسد كشمير) .

ثم كانت المؤامرة التى تمت لضم كشمير إلى الهند بالرغم من تقسيم الهند إلى دولتين على أساس دينى كان يعطى كشمير الحق فى الانضمام إلى الباكستان .

ولما كان من المقرر أن تعلن جميع الإمارات رأيها بالانضمام إلى إحدى الدولتين الهند أو باكستان قبل ١٥ أغسطس ١٩٤٧ فقد أبلغ زعماء كشمير رئيس الوزراء فى ذلك الوقت (بندت كاك) رغبة الشعب فى الانضمام إلى باكستان إلا أن الأمير(١) كان يعمل لضم الولاية إلى الهند وقد زار غاندى ولاية كشمير وتعرف على رغبة أمير كشمير (هرى سنج) وأرسل غاندى رسالة إلى نهرو يقول فيها : (لقد قابلت الأمير والأميرة وهما على رغبة فى الانضمام إلى الهند) .

وهكذا شارك غاندى نفسه فى المأساة .

(١) أمير كشمير وهو هندوكى اسمه هرى سنج .

عقد أمير كشمير اتفاقية مع باكستان تقضى بإبقاء وضع الولاية على حاله كما كان زمن الاستعمار الإنجليزى وأصبحت باكستان بمقتضى هذه الاتفاقية تمثل كشمير دبلوماسياً وتدافع عنها عسكرياً .

ويوضح د . حقى قمة المؤامرة فى قوله : وقد أرسل أمير كشمير رسالة إلى حاكم الهند فى ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧ يعلمه برغبته فى ضم كشمير إلى الهند ، وفى ٢٦ أكتوبر أرسلت الهند مندوبها يحمل وثيقة طلب الانضمام إلى هذا الأمير لتوقيعها فوقع على الرغم من أنه كان قد فر من كشمير ولم يعد حاكما لها . وقد أقرت الهند هذا الإنضمام فى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٧ ، وقامت بنقل قواتها المسلحة بالطائرات إلى كشمير لتبدأ حملة واسعة للقضاء على المسلمين وإجهاض ثورتهم .

وراح ضحية ذلك سبعة وثلاثون ومائتا ألف قتيل من مسلمى كشمير إلى جانب نصف مليون مسلم لجأوا إلى باكستان .

ولم تعد الجهود الدولية تأتى بطائل فى النزاع بين الهند وباكستان بشأن كشمير على الرغم من أن ثمة اتفاقيات توصلت إليها هيئة الأمم المتحدة فى هذا الشأن لا تزال تراوغ فى أمرها وترفض إجراء استفتاء لتقرير المصير ، وتتمسك بطلب الأمير هرى سنج وهو باطل ، إذ لم يكن أميراً حينها للبلاد ، ولم تكن إرادة الشعب مصونة فيه .

على أن مسلمى كشمير لم يفقدوا الأمل فهم يعملون من خلال : (جمعية أهل الحديث) على وضع بذور الإصلاح ليتمكن المسلمون من ممارسة تقاليدهم الإسلامية الصحيحة وليتخلصوا مما ابتلوا به من غريب العادات ، وإن كان الطريق شاقاً لقلة الدعاة وضعف الوسائل المادية .

ويذكر لنا د . حقى إلى جانب ذلك كيف تمكن المسلمون بكشمير من إنشاء الكلية السلفية عام ١٣٩٧هـ وسط العاصمة (سرينجار) لتكون نواة لجامعة إسلامية عربية ، والأمل كبير فى أن يذكر المسلمون فى كل مكان إخوانهم بكشمير وبمناطق أخرى فى حاجة إلى العون والوحدة حتى ينطلق للإسلام والمسلمين فجر جديد .

من العناصر الهامة في العمائر الدينية الإسلامية

المحاريب

بقلم
أحمد رجب محمد على

مفهومها القديم والحديث - اهميتها - أنواعها - زخارفها

مقدمة :

تعد المحاريب من العناصر المعمارية الهامة في العمارة الإسلامية والمحراب هو ذلك الجزء المجوف غالبا ويتوسط جدار القبلة - غالبا - في العمائر الإسلامية من مساجد ومدارس واضرحة و (خانقاوات) ... إلخ .

وفي بحثي هذا احاول ان اتتبع نشاة هذا العنصر ومدلولات كلمة محراب في محاولة للرجوع به إلى جذوره الأولى من قبل الإسلام ، لنعرف : من اين جاءت هذه التسمية . وذلك من خلال ما ورد في القرآن الكريم من ذكر للمحاريب مع تحليل مدلولات هذه الكلمة في كل آية وردت فيها . وكذلك ما أورده علماء اللغة في معاجمهم من مدلولات لكلمة محراب ثم ما ورد في الروايات التاريخية عنها ، ثم مناقشة اهمية هذا العنصر ودوره في العمارة الإسلامية من خلال العمائر الدينية القائمة في مدينة القاهرة .

مدلولات كلمة محراب في القرآن الكريم والمعاجم اللغوية :

تعددت مدلولات كلمة محراب في القرآن الكريم والمعاجم اللغوية ، ولقد ورد لفظ (محراب) في القرآن الكريم في عدة مواضع هي قوله تعالى :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ آل عمران - ٣٧ .

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ آل عمران ٣٩ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم ١١ .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ص ٢١ .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ سبأ ١٣ .

لو تأملنا الآيات الكريمة السابقة نجد أنه في

الآية الأولى والتى يتحدث فيها الله سبحانه وتعالى عن السيدة مريم تعبر كلمة محراب عن (مقر عبادة السيدة مريم) ـ وقد ذهب المفسرون إلى القول بأن زكريا عليه السلام قد اتخذ لها مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواها فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سذانة البيت إذا جاءت نوبتها وتلازم العبادة ليلها ونهارها[1] ، فكلمة محراب فى هذه الآية تعبر عن غرفة السيدة مريم عليها السلام .

أما الآيتان الثانية والثالثة فكلمة (محراب) فيها تعنى المسجد حيث ذكر الجوهرى فى معجمه (الصحاح) فى تفسير مدلول كلمة محراب فى قوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ قال من المسجد[2] . بينما ورد فى المعجم الوسيط أن كلمة محراب فى هذه الآية تعنى الغرفة[3] .

أما الآية الرابعة وهى من حديث الحق سبحانه وتعالى عن سيدنا داود والخصمين اللذين تسورا محرابه فكلمة محراب فيها تعنى مكان عبادته ، ويبدو أنه كان حوله فناء مكشوف مسور حيث إن الخصمين تسورا السور أولا ، ثم دخلوا على سيدنا داود ثانيا ، وسيدنا داود عليه السلام لم يفزع عندما تسور الخصمان المحراب وإنما فزع عندما دخلوا عليه .

ـ أما الآية الخامسة وهى حديث الحق سبحانه وتعالى عما سخره لسيدنا سليمان فيذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية أن كلمة محاريب هنا تعنى الأماكن الحسنة وصدور المجالس ويفسر اقتران كلمة (محاريب) بكلمة (تماثيل) بأن المقصود بالتماثيل هنا (الصور) فى الجدران وكان هذا سائغا فى شريعتهم وملتهم[4] .

على أننى أرى أن كلمة محاريب هنا تعبر عن القصور وذلك لعدة اعتبارات :

١ ـ الآية تتحدث عن مفردات المدن ولم يرد فيها ذكر القصور أو المنازل وهى من أهم مفردات المدن .

٢ ـ اقتران كلمة محاريب بكلمة تماثيل مما يعزز الاعتقاد بأنها قصور وليست مساجد ؛ لأن القصور يستحب فيها التصوير أكثر من المساجد .

٣ ـ ورود روايات عديدة تؤكد أن الجن بنوا لسليمان عليه السلام عدداً كبيراً من القصور منها ما ذكره ياقوت الحموى فى معجمه أن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء وهما « غمدان ـ وسلحين ـ وبنيون » وأن هذه القصور كان بها تماثيل[5] .

٤ ـ يذكر ابن منظور أن العرب تسمى القصور محاريب حيث قال « كانت العرب تسمى القصر محرابا لشرفه »[6] . ولما كان القرآن قد نزل بلسان عربى مبين فربما كانت كلمة (محاريب) هنا تعبر عن القصور التى بناها الجن لسيدنا سليمان عليه السلام إشارة إلى شرفها وحسن صنعها .

كذلك قال : ابن منظور عن الاحمص عن أبى عمرو بن العلاء قال : « دخلت محرابا من

---

(١) ابن كثير ـ قصص الأنبياء ـ الطبعة الأولى ـ الأسكندرية ١٩٨١ ـ ص ٥٦١ .

(٢) الجوهرى (الصحاح) الجزء الأول ـ ص ٤٢ .

(٣) عبدالسلام هارون ـ المعجم الوسيط ـ الجزء الأول ص ١٦٤ .

(٤) ابن كثير ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٢ .

(٥) ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ المجلد الرابع ـ طبعة بيروت ١٩٨٤ ص ٢١٠ .

(٦) ابن منظور ـ معجم لسان العرب ـ الجزء الأول ـ طبعة بولاق ـ ص ٢٩٦ ـ مادة حَرَبَ .

المحاريب

محاريب (حِمْير) فنفخ فى وجهى ريح المسك » ويعلق ابن منظور على هذه الرواية قائلا : « أراد قصرا أو ما يشبهه[٧] . كذلك يذكر لنا ابن منظور[٨] مثلا آخر لإطلاق كلمة محراب على القصور أو حدودها ومقاصيرها وهى محاريب غمدان باليمن[٩] .

ومن مدلولات كلمة محراب أيضاً (الغرفة) التى يرتقى إليها وهو ما نفهمه من الرواية التى أوردها لنا ابن منظور : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث عروة بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم أذن للصلاة قال وهذا يدل على انه غرفة يرتقى إليها[١٠] .

ومن مدلولات كلمة محراب ايضا صدور المجالس وهو ما ذكره الجوهرى[١١] فى صحاحه وابن الأثير الذى أورد لنا رواية فحواها ان أنس ـ رضى الله عنه ـ كان يكره الجلوس فى المحاريب .. أى أنه لم يكن يحب أن يجلس فى صدور المجالس ويترفع على الناس[١٢] .

ويذكر ابن منظور نقلا عن الأزهرى أن المحراب سمى محرابا لانفراد الإمام فيه وبعده عن الناس قال : ومنه يقال : فلان حرب لفلان إذا كان بينهما تباعد ويذكر أيضا من (معانى) كلمة محراب انه يطلق على (بيت الأسد) ، وأن المحراب سمى محرابا لأن الإمام إذا قام فيه لم يأمن أن يلحن أو يخطىء فهو خائف كأنه فى مأوى الأسد .

ويذكر كذلك نقلا عن ابن الأعرابى أن المحراب مجلس الناس ومجتمعهم كما يذكر أن محاريب بنى إسرائيل هى مساجدهم[١٣] .

وأخيرا فمن العرض السابق لمدلولات كلمة محراب فى القرآن الكريم والمعاجم اللغوية نخرج بالنتائج الآتية :

١ ـ إن كلمة محراب كلمة قديمة سابقة على الإسلام أطلقها العرب على قصورهم ، وأطلقها بنو إسرائيل على أماكن عبادتهم .

٢ ـ إن كلمة محراب قد استخدمت فى أغلب الأحيان للدلالة على أماكن العبادة سواء كانت أماكن عبادة فردية (غرف) أو أماكن عبادة جماعية « مساجد » .

٣ ـ أن كلمة محراب قد استخدمت للدلالة على صدور المجالس وأشرف مواضعها ومن هنا أطلقت على الجزء المجوف الذى يتوسط جداراً فى المساجد في العصر الإسلامى نظراً لكونه يتصدر المساجد من ناحية ، وأكثر أماكن المسجد شرفا وقدسية من ناحية أخرى .

٤ ـ كان لكلمة محراب مدلولات أخرى بعيدة عن العمائر مثل إطلاق كلمة محراب على الرجل الشجاع ـ على وزن مفعال أى كثير الحرب .

المحراب فى المسجد (اهميته) :

يعد المحراب من العناصر الهامة فى المسجد وكما سبق القول فلقد أطلقت كلمة محراب على

---

(٧) ابن منظور ـ المعجم السابق ـ نفس الجزء ص ٢٩٧ .
(٨) ابن منظور ـ المعجم نفسه ص ٢٩٧ .
(٩) غمدان موقع بين صنعاء وطيوه بنى فيه قصر كبير يحتوى على عدد كبير من المقاصير والأبنية والتماثيل وقيل إن سليمان بن داود هو الذى بنى هذا القصر وقد هدم قصر غمدان فى أيام عثمان بن عفان ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ المجلد الرابع طبعة بيروت ـ ١٩٨٤ ص ٢١١ .
(١٠) ابن منظور ـ المعجم السابق ص ٢٩٧ .
(١١) الجوهرى ـ المعجم السابق ـ الجزء الاول ص ٤٢ .
(١٢) نهاية ابن الاثير ـ الجزء الاول ص ٢١٢ .
(١٣) ابن منظور ـ المعجم السابق ص ٢٩٦ .

الجزء المجوف الذى يتوسط جدار القبلة ، نظراً لكونه يقع فى مقدمة المسجد فضلا عن أنه أشرف مكان فيه ، ثم إن أهم وظيفة للمحراب فى المسجد هى تحديد اتجاه القبلة ، ومن الجدير بالذكر أن المعمارى المسلم عند تصميمه لإحدى المنشآت الدينية يجعل أحد أضلاعها تجاه الكعبة المشرفة فالضلع كله يعد قبلة للمنشأة ، وكان المعمارى يصيب أحياناً ويخطىء أحياناً فى تحديد الاتجاه ولذا نجد بعض المنشآت الدينية تحتوى على محاريب صحح بها اتجاه القبلة ، وفى هذه الحالة تلغى وظيفة المحاريب القديمة ويقتصر دورها على كونها حنايا تدعم الجدران إذا كانت مجوفة .

ومن أمثلة المحاريب التى صحح بها اتجاه القبلة محراب (قايتباى) بضريح (الإمام الشافعى) . والذى يتجه ناحية الزاوية الجنوبية الشرقية من الضريح وهو اتجاه الكعبة المشرفة فى حين أن المحاريب التى تعود إلى عهد الملك الكامل منشىء الضريح ٦٠٨ هـ تتجه ناحية الجنوب .

والجدير بالذكر أن هناك نوعين من المحاريب فى المساجد :

١ ـ المحاريب المسطحة وقد وصلتنا منها أعداد قليلة .

٢ ـ المحاريب المجوفة وهى أغلب المحاريب ، هذا إضافة إلى المحاريب الخشبية المتنقلة التى كانت تخص بعض المساجد .

المحراب المجوف ضرورة معمارية :

وفى الواقع أن وجود المحراب المجوف فى جدار القبلة لا يقتصر دوره على تحديد اتجاه القبلة فحسب لكنه يقوم أيضاً بدور معمارى كبير إذ أن المحراب المجوف عادة ما يكون فى وسط جدار القبلة فيقوم بتدعيمه ويقسم امتداده إلى قسمين متساويين ؛ لأنه كلما طال امتداد الجدار كلما ضعفت مقاومته وقلت متانته . ولذا فهذا التجويف يقطع الامتداد وبالإضافة إلى ذلك فإنه يقابله فى أغلب الأحيان بروز من الخارج يكون بمثابة الكتف الساند لهذا الجدار ضد ضغط العقود التى عادة ما تكون متعامدة على جدار المحراب فى بلاطة المحراب .

ويذكر بعض العلماء أن وجود المحراب فى وسط جدار القبلة على محور الباب يعتبر عنصراً مستمداً من المعابد المصرية القديمة حيث يوجد قدس الأقداس على محور الباب ، ومن الكنائس حيث توجد الحنية على محور الباب ، ولكن الحقيقة أن هذا العنصر لم يستمد من المعابد المصرية القديمة ولا من الكنائس فوجوده على هذا النحو ناتج عن ظواهر معمارية بحتة ؛ فالباب يتوسط الجدار المقابل لجدار المحراب ، ولا يوجد فى أحد أطرافه حتى يكون هناك توازن فى المساحة على جانبى الباب وحتى يقطع امتداد هذا الجدار فلا يكون ما على يمينه ممتدا على حساب ما على يساره أو العكس . وكذلك المحراب فى جدار القبلة حيث يقسم هذا الجدار إلى قسمين متساويين ، ولما كان جدار المحراب غالبا بنفس طول الجدار المقابل ولما كان موازيا له غالباً ـ أيضاً ـ فلقد جاء المحراب على محور الباب .. ويذكر العلماء من فوائد المحراب المجوف أنه يعمل على تجميع الصوت وإعادة إرساله قويا حتى يتمكن من سماعه كل المصلين .

تعدد المحاريب :

من الملاحظ أن بعض المساجد تشتمل على عدد كبير من المحاريب قد يصل إلى خمسة أو ستة محاريب . ويعلل المؤرخون والعلماء هذه الظاهرة بعدة تعليلات ، ويذكرون من أسباب تعدد المحاريب .

المحاريب

١ ـ تصحيح اتجاه القبلة بمعنى إقامة محراب جديد إذا ثبت خطأ المحراب القديم فى الاتجاه .

٢ ـ تعدد المذاهب وهو ما ذكره الدكتور حسن عبدالوهاب اعتماداً على ما أثبته ابن كثير من أن الصاحب تقى الدين بن مراحل ناظر الجامع الأموى عمل فيه محرابين للحنفية والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ(١٤) .

٣ ـ إثبات الإصلاحات ـ وهو ما ذكرته الدكتورة سعاد ماهر حيث ذكرت أن المحاريب التى تضاف إلى المساجد بعد عمليات الترميم والتجديد إنما تقوم مقام اللوحة التذكارية التى يكتب عليها تلك العمليات فى عصرنا الحاضر(١٥)

وفى اعتقادى أننا يمكننا أن نضيف إلى الأسباب السابقة سببا آخر هو السبب المعمارى وخير مثال على هذا هو مشهد السيدة رقية (٥٢٧ هـ) الذى يشمل خمسة محاريب لا تنطبق عليها الأسباب الثلاثة السابقة الذكر فكلها من إنشاء أرملة الخليفة الآمر ، وفى اعتقادى أن السبب فى تعدد المحاريب فى هذا المشهد هو تخطيط البناء ، فالمشهد كما يبدو من تخطيطه شكل (١) يتكون من قسمين : القسم الأول عبارة عن فناء مكشوف ، والقسم الثانى عبارة عن بيت للصلاة مكون من ثلاثة مربعات يتقدمه رواق من الجهة الشمالية الغربية ، وفى القسم الثانى توجد المحاريب الخمسة منها ثلاثة فى بيت الصلاة واثنان فى الرواق الذى يتقدمه من الناحية الشمالية الغربية .

لو بدأنا بالثلاثة الخاصة ببيت الصلاة نجد

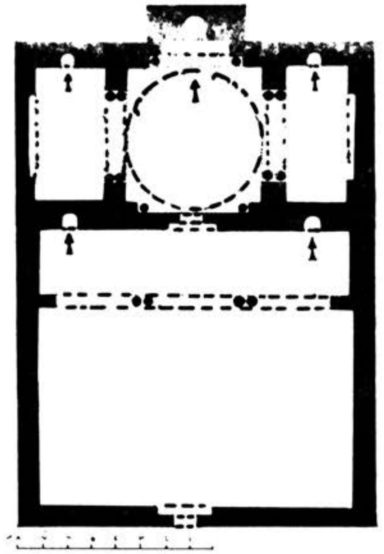

شكل (١)

أن التخطيط تحكم فى وجود المحاريب الثلاثة فى بيت الصلاة هذا والذى لا تتجاوز مساحته الثمانين مترا (مربعاً) . فلقد أراد المعمارى أن يشيد قبة أمام المحراب الرئيسى ومن ثم فقد أقام جدرانا أربعة حتى تحمل هذه القبة مما ترتب عليه أن أصبح بيت الصلاة مكونا من ثلاثة مربعات تتصل ببعضها من خلال فتحات تشبه فتحات الأبواب فأصبحت أشبه بثلاث حجرات مستقلة فأصبحت كل (مربعة) فى حاجة إلى محراب خاص بها ، أما الرواق الذى يتقدم بيت الصلاة فهو منفصل ووسيلة الاتصال بينه وبين بيت الصلاة فتحة باب ضيقة ومن ثم كان هذا الرواق فى حاجة إلى محراب ولما كانت فتحة الباب هذه تتوسط جدار القبلة فى هذا الرواق ولما كان مكان المحراب الطبيعى هو وسط جدار القبلة فقد قام المعمارى بعمل محرابين أحدهما على يمين فتحة الباب والآخر على يسارها حفاظا على سمة التماثل التى تميزت بها العمارة الإسلامية .

---

(١٤) د . حسن عبدالوهاب ـ تاريخ المساجد الأثرية ص ٣٩ .

(١٥) د . سعاد ماهر ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ـ الجزء الأول ١٩٧١ ص ١٤٩ .

السبب الأول :

أن يقال إن الغرض المحافظة على سمعة الأزهر ورفعة شأنه وهو المعروف فى سائر الأقطار ، وقد كان يمكن أن يقال هذا لو توقفت رفعة شأنه على نقص غيره أو كان معهدا اسكندرية وطنطا منفصلين عنه تمام الانفصال أما والحقيقة انهما خاضعان لرياسته ولمجلسه الأعلى ؛ فإن نموهما بجانبه مما يزيد فى رفعة شأنه ، وماهما بالنسبة له إلا ملحقات وروافد .

وبعد : أفهل تتوقف رفعة شأن الأزهر على نقص العالى من الغير ؟! أيقتل الأبناء لتضم أملاكهم إلى الوالد ليقال إنه واسع الثروة ؟! ألا من سبيل إلى تنمية ثروة الوالد بلا إعدام أبنائه ؟! ألا يمكن أن يرفع من شأن الأزهر بدون إنقاص غيره ؟!

إنى اقدم إلى ذلك مشروعا آخر يجمع بين رفعة شأن الأزهر وعدم هدم المعاهد الأخرى ، ألا وهو تنفيذ ما اشار إليه القانون بإيجاد هيئة كبار العلماء ، وهو إحياء سنة التخصص فى العلوم كما كان عليه السلف ، وكما هو موجود الآن فى البلاد الراقية ، وذلك إنما يكون : إذا أعطيت دراسة هيئة كبار العلماء حظها من العناية ، ووجدت شهادة امتياز عقب الانتهاء منها تحمل حائزى شهادة العالمية على التلقى عن كبار الشيوخ والتخصص فى العلوم الدينية والعربية ، وتكون نسبة تلك الشهادة إلى العالمية كنسبة (الدكتوراه) إلى (الليسانس) فذلك من خير ما يفيد فى رفع المستوى العلمى ، وفى رفع شأن الأزهر ، وخير ما يذكر على ممر السنين والأحقاب بمزيد الفخر وعظيم الإعجاب لعهد مولانا السلطان فؤاد حفظه الله .

وشتان بين أن يقال : رفعوا من شأن الأزهر بإلغاء الأقسام العالية من المعاهد الأخرى ، وبين أن يقال : رفعوا من شأن الأزهر بإيجاد دراسة ممتازة فيه تخرج فحول الاختصاصيين أمثال : سيبويه والزجاج وشيخ الإسلام والغزالى .

السبب الثانى :

أن يقال : إن الغرض من إلغاء تلك الاقسام العمل على رفع المستوى العلمى بحشد الأكفاء من العلماء فى الأزهر ، وإناطة التعليم العالى بهم ليزول ذلك الضعف فى المتخرجين الذى يحس به الآن .

وهذا السبب يناقش من وجهين :

الأول : انه إذا كان عندنا أكفاء منتشرون فى المعاهد بمقدار ما يلزم لطلبة الأقسام العالية فليعهد إليهم أمر التدريس فى المعاهد الثلاثة ، ولا حاجة إلى توحيد المكان ، ولا فائدة منه ؛ بل هو ضار ؛ لأنه يفقد ميزة التنافس .

وإن لم يكن هناك أكفاء يَفُونَ بكل مايلزم لكل الطلبة فأى فائدة فى توحيد المكان اللهم إلّا ألّا يقبل فى القسم العالى إلا عدد محدود وذلك ما ينافى المبدأ الإسلامى العام وهو عدم الحجر فى التعليم الديني .

الوجه الثانى : وهو الأهم أن انحطاط المستوى العلمى لا يرجع إلى قلة الأكفاء ، فهم على ما أعتقد كثير يَفُونَ بالحاجة ؛ بل يرجع إلى علل أخرى هى أم الداء ، ومالم تعالج لا يرتفع المستوى ولو حصر القسم العالى فى فصل واحد فى دائرة واحدة وتعدد المعاهد العالية بما فيه من المنافسة يعتبر نوعا ما علاجاً ملطفا لتلك الأدواء لا مضاعفا لها ، واريد أن أبسط الكلام فيها وأوجه إليها النظر بنوع خاص ، فإنه مادام هناك التفات لترقية التعليم فالواجب بادىء ذى بَدْءٍ إحكام تشخيص الداء ، وقد أشرنا إليها فى تقاريرنا السنوية) .

يتبع

مع الشعر والشعراء

أحذر قبل فوات الأوان

شعر: رشاد محمد يوسف

ابالله يا ايها الغافلون ؟ ابالحق والذكر تستهزئون ؟
أَبِاللهِ وهو العزيز القدير تبيتون فى غيكم تسخرون ؟
باسمائه جل سبحانه بكل مجال لكم تعبثون
وبالانبياء الكرام الهداة تزيدون فى اللغو بل تسرفون
كفرتم بكل معانى الجمال وكل الجلال الا تتقون ؟
وبالضاد والأحرف الطيبات على مسرح اللهو تستنكرون
وبالزى زى الدعاة الكرام سخرتم به وبمن يلبسون
اقمتم على الإثم صرح الفنون الا تسامون الا تطهرون ؟
اليس لكم غير هذا السبيل على درب أشواكه تخطرون ؟
اغابت عن الحق افهامكم الا تفهمون ... الا تدركون ؟
هل الفن هتك التراث الجليل وتشويه ما عندكم من فنون ؟
هل الفن هذا الهراء السخيف له تضحكون وتسترجعون ؟
هل الفن غيبوبة الغافلين وانتم على إثرهم غافلون ؟
هل الفن جنس رخيص الثمار وانتم لأثماره تقطفون ؟
أُحَذِّرُ قبل فوات الآوان وقبل الرحيل وقبل المنون
احذر كل دعاة الفساد ومن خلفهم كل من يفسدون
احذر للشَر من يرسمون وانذر من للخنا يكتبون
ومن يعبثون بفكر العباد ومن بعقول الورى يتجرون
ومن يغرسون بذور الضلال ومن بجلال الهدى يلمزون
سيسدل خلف الحياة الستار فلا تدركون ولا تبصرون
ويأتى الحصاد فما تملكون واى ثمار لكم تحصدون ؟
وَكُلٌّ له دوره فى الحياة وعن كل دور غَدًا تسالون
وليس يصح خلاف الصحيح وليس سوى الحق لو تعلمون
وللحرف طهر وللحرف نور وللحرف صدق متى تصدقون ؟

تحية شعرية لمصر الحبيبة

للشاعر محمد ضياء الدين الصابوني (*)

حيّ « الكنانة » ، حيّ القادة النجبا ... وحيّ كلَّ أبيٍّ طاول الشهبا
وحيّ كلَّ أديب عالمٍ أربٍ ... قد نال مرتبةً بل شرّف الرتبا
و « مكة الخير » تهديكم تحيتها ... تبثكم شوقها ، والودُّ ما كذبا
قد حملتني أشواقاً معطرةً ... كأنها نسماتٌ من جنان « قُبا »
وقد أتيتك والأشواق عاصفة ... وهذه « مصر » ناجت فرحةً « حلبا »
ركنان للضاد ،والأيام شاهدة ... ودولة المجد مدّتْ بيننا سببا
و « أحمد[1] » فيهما غنّى روائعه ... وشعره ملأ الآفاق والكتبا
« أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي » ... قد قالها من فؤاد ينفث اللهبا
غنّى فغنت له الدنيا مرددة : ... عرائس الشعر تيهي وارقصي طربا
حيتك « مكةُ » ، وادي النيل في جذل ... لازلت يامصر أماً للعلا وأبا
قلب العروبة ، حصن المجد ، قلعته ... ملاذ كل ضعيف للهوان أبى
فأنت سيدة البلدان بهجتها ... والنيل يمنحها من مائه الذهبا
أم الحضارة ، مهد العلم ، قبلته ... تعلمين الدنى الأخلاق والأدبا
يادرّةً في جبين الدهر ساطعةً ... وكعبة العلم والآداب لا عجبا
ماكان أهنانا والشمل مجتمع ... ماكان أسعدنا والعيش قد عذبا
« يامصر » مانبغت نفس ولا برزت ... إلّا وكنت لها الأزهار والقشبا
تالله ما ارتفعت للعلم منزلة ... إلّا و « أزهرُها » قد مدها سببا
وكل فضل إذا مارمت تنسبه ... تلقاه « للأزهر » المحبوب قد نُسبا
ولا سما الشرق إلا في حضارتها ... وقد بعثت لنا الأمجاد والحقبا
إني أحبك من قلبي وعاطفتي ... حباً تغلغل في الأعماق ملتهبا
« أميرك[2] » الفذ تشجينا روائعه ... وكم حفظنا له الأشعار والنخبا
ربّ القوافي ، وكم غناك ملحمة ... « أعادتِ الرَّاحة الكبرى لمن تعبا »
هانحن في « مصر » في أمنٍ وفي دعة ... نجر فيها ذيول الغبطة القشبا
إذا سرى النيل ناجي شاكياً « بردى » ... أو هبّ وهنا نسيم شمتُ نفح صبا
حيّاكم الله ، حيّا طيب عنصركم ... غمرتمونا بعطف حقق الأربا
شعرت أني في أهلي وفي وطني ... وَلَمْ أكن في رحاب النيل مغترباً
لا كنت « حسان » ، إن قصرت نحوكم ... والله يجزيكم عنا وقد وجبا
وصلِّ يارب يامولاي ياسندي ... على « الحبيب » الذي قد شرّف العربا

● شاعر طيبة : محمد ضياء الدين الصابوني عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، المدرس بالمعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة .

(١) المتنبي : مالي الدنيا وشاغل الناس

(٢) أمير الشعراء أحمد شوقي

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

لامية العجم "للطغرائى"

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى اخيرا ومجدى اولاً شرع   والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى   بها ولا ناقتى فيها ولا جملى
طال اغترابى حتى حن راحلتى   ورحلها وقرى العسالة الذبل
اريد بسطة كف استعين بها   على قضاء حقوق للعلا قبلى
والدهر يعكس آمالى ويقنعنى   من الغنيمة بعد الكد بالقفل
حب السلامة يثنى هم صاحبه   عن المعالى ويغرى المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا   فى الارض او سلما فى الجو واعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على   ركوبها واقتنع منهن بالبلل
إن العلا حدثتنى وهى صادقة   فيما تحدث ان العز فى النقل
لو ان فى شرف المأوى بلوغ منى   لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أعلل النفس بالآمال ارقبها   ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل
لم ارض بالعيش والأيام مقبلة   فكيف ارضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها   فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل ان يزهى بجوهره   وليس يعمل إلا فى يدى بطل
تقدمتنى اناس كان شوطهم   وراء خطوى إذ امشى على مهل
وإن علانى من دونى فلا عجب   لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
اعدى عدوك ادنى من وثقت به   فحاذر الناس واصحبهم على دخل

وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شرا وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل
ياواردًا سؤر عيش كله كدر ... انفقت صفوك في أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل
ترجو البقاء بدار لاثبات لها ... فهل سمعت بظل غير منتقل
وياخبيرا على الأسرار مطلعا ... اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

الشاعر: الطغرائي هو ابو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد وله عدة القاب عرف بها منها « العميد ، والمنشىء ، والأستاذ ، والأصبهاني » نسبة إلى اصبهان المدينة الفارسية التي ولد بها عام ٤٥٣ هـ لأسرة يرجع تاريخها ونسبها إلى ابي الأسود الدؤلي ـ كما ورد في مختصر وفيات الأعيان للبارزي وكما ورد لدى ابي الفداء وابن الوردي ، فهو بذلك اصبهاني المولد والنشاة،عربي الأصل والنسب مثل صاحب الأغاني : ابو الفرج الأصبهاني .. الذي يتصل نسبه بالبيت الأموي .

كان الطغرائي شاعراً طموحاً إلى المعالي والمناصب العالية ، تقرب إلى السلاطين السلاجقة فخدم السلطان ملك شاه ثم ولده محمد ـ وازدادت صلته بمعين الدولة مما ارضى ما بنفسه من آمال كبار حتى إذا عزل معين الدولة واودع السجن ، ظهر وفاء الطغرائي له ووقوفه إلى جانبه ، ومدحه بالعديد من قصائده .

عاصر الطغرائي فترة الصراع على السلطة بين اولاد ملك شاه وفي عام ٥٠٤ هـ حظي بمنصب نائب في ديوان الطغراء ثم اصبح الصدر الأعظم في هذا الديوان ، ولما عزل من منصبه ثقلت عليه الإقامة ببغداد ، ونظم القصائد التي تصور محنته ، منها هذه القصيدة اللامية التي نقتطف منها الأبيات المنشورة .

القصيدة : شريحة نفسية صادقة لمشاعر الطغرائي واحاسيسه من طموح واعتداد بالنفس واعتزاز بها وانفة من الصَّغَار ثم إشادة بعلو همته ورفعة شانه في الأدب والعلم والبلاغة والفصاحة وسداد الراي والحكمة ، مما يرشحه لكل رفعة وسؤدد ، فإذا خيبت الأيام ظنه ولم يحالفه ماكان يرجو من طموح يفزع إلى الشعر يودعه سره ويبثه آلامه وشكواه ـ فهو يستهل القصيدة بالفخر والاعتداد ، وبحديث العلا تخاطبه بحكمة بالغة مضمونها ان العز قرين الارتحال ، ويرى ان الحظ يمتنع عنه ويعطي الجهلة والخاملين،وهو يهتدي إلى حكمة الصبر فالأيام دول ولابد من تبدل الأحوال ، وفسحة الأمل تزيد من التمسك بالحياة ، وتحمل اوضارها ولكن الذي لا يمكن احتماله او الصبر عليه هو غدر الناس،ولؤم الطباع وعدم الوفاء .

فالقصيدة في مضمونها شحنة من القلق المبدع والمشاعر الإنسانية لشاعر عايش التجربة بكل عواطفه واحاسيسه وثورته الجامحة وهدوئه العاقل وحزنه الوقور وحكمته العميقة البالغة .

شعراء في محراب النبوة

كعب بن مالك الأنصاري

للأستاذ
أيمن محمد ميدان

سنوات قليلة العدد ، مكتظة بالعذاب والآلام عاشها نبى الرحمة المهداة ورفاقه بين قفار مكة وسهولها ، مامن يوم يتوارى إلا وعذاب صناديد مكة وكفارها يزداد حدة وضراوة ، ومحاصرتهم تزداد إحكاما ، وصرامة .. ويبدو افق الدعوة الإسلامية مظلما لا ياتلق فى جنباته نجم يبث بصيصا من ضوء يوشى بانبثاق فجر، او ينبىء ببزوغ شمس .

ووسط هذا المناخ المفعم برائحة القهر تصبح الهجرة إلى المدينة مطلبا ملحا ومنحنى خطيرا وهاما على درب الدعوة الإسلامية ، وفى المدينة يجد النبى ﷺ المناخ مهيئا لاحتضان دعوته ، فيتخذ منها مقرا له ، ونقطة انطلاق .. وفى المدينة تنقشع السحب المغلفة لنجم الدعوة الإسلامية ويتبدد ، ويزداد ـ بالتفاف المهاجرين والأنصار حول الرسول ـ ائتلافا ، فيذيع خبر محمد ﷺ وتنتشر مبادىء دعوته السمحة ، فتتوافد على المدينة وفود متلاحقة مسلمة ومبايعة . وما من يوم ينقشع ظلامه الجاثم على صدر الأرض إلا وتثبت للإسلام قدم جديدة ، ويغطى سناه منطقة أخرى ، وينطوى تحت لوائه أنصار جدد .

وهنا تثب قريش لتدافع عن سلطانها بين القبائل ، والتى ظلت ردحا طويلا من الزمان تتضور أن محاولة الاقتراب منه ـ ولا أقول زعزعته والإتيان عليه ـ ضرب من ضروب المستحيل .. وها هى ترى بنيانه يتداعى أمام اعينها .. من أجل هذا لم تدخر قريش أى نمط من أنماط المجابهة ، لايحكمها فى حربها الشعواء تلك سوى غاية واحدة فقط تتبلور فى القضاء على محمد ﷺ والإتيان على دعوته .

ووسط مناخ كهذا يأتلق الشعر كسلاح ماض ، له دور هام ، وأثر بالغ الخطورة على أناس كان الشعر صناعتهم الأولى وبضاعتهم الرائجة ، وبيئة تقدر للكلمة الشاعرة حق قدرها ، فقديما قال امرؤ القيس :

وجُرْحُ اللِّسَانِ كجُرُحِ اليَدِ(١) .

فانبرى شعراء قريش يعلنونها حربا شعواء لاهوادة فيها أو تراخ ، لم يتركوا وترا من أوتار قيثارتهم الشعرية إلا عزفوا عليه ، أو معنى

(١) ديوان امرىء القيس ١٨٥ .

فاحشاً إلا دَبَّجُوا به صدور أشعارهم ، وجاء فى مقدمتهم عبدالله بن الزِّبَعْرَى وضرار بن الخطاب الفهرى والحارث بن هشام وهبيرة المخزومى .... وأمية بن أبى الصلت وشعراء اليهود وفى مقدمتهم كعب بن الأشرف وسماك اليهودى ... إلخ .

وأمام هذه الهجمة الشرسة التى شنها القرشيون متخذين من أسنة الحراب .. وقوافى الشعراء أداة للفتك بالمسلمين والنيل من أعراضهم لم يجد النبى ﷺ بدًّا من منازلتهم فى ميدانهم الذى ارتضوه مسرحا للقاء ، وبالأداة التى قبلوها لغة للحوار .

فهب شعراء الدعوة الإسلامية - وبتشجيع من النبى ﷺ يسنون حراب قوافيهم ، ويشحذون سهام ألفاظهم ، ويشذبون أوزان أشعارهم مسددين إياها صوب صدور صناديد قريش ، فكانت شديدة الأثر على نفوسهم ، عنيفة الوقع على آذانهم ، وجاءت كلمات رسول الله محمد ﷺ لكعب بن مالك مُجَسِّدَةَ هذا الأثر وذاك الوقع ، فقال : « لهذا أشدّ عليهم من وقع النبل » (٢) .

ومن بين شعراء الدعوة الإسلامية فى طورها الأول سوف نتناول بالعرض والتوضيح نتاج عدد منهم ، وهم : كعب بن مالك الأنصارى وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير والنابغة الجعدى ... مسلطين الضوء على الموضوعات التى ارتضوها محاور يتحركون عليها فى أداء رسالتهم متتبعين آثار المبادىء الإسلامية السمحة ، ومدى انعكاسها على مراياهم الشعرية .

كعب بن مالك الأنصارى

شاعرنا اليوم يدعى كعب بن مالك بن أبى كعب الخزرجى الأنصارى ، ويكنى : أبا عبدالرحمن وأبا عبد الله ، ويعد واحدا من ألمع شعراء الدعوة الإسلامية فى طورها الأول ، فقد كانت أول صلته بالنبى ﷺ يوم العقبة الثانية ، التقى وسبعون من أهل المدينة بالنبى ﷺ فآمنوا به وبرسالته ، وبايعوه على أن يمنعوه مايمنعون منه نساءهم وأبناءهم (٣) .

اخلاقه :

كان كعب بن مالك مؤمنا قوى الإيمان ، تقيا شديد التقى ، وفارسا لايشق له غبار ، مقداما لا يعرف الخوف طريقا إلى قلبه ، يقول القول مقرونا بالفعل ، شارك فى كثير من الحروب الإسلامية (٤) ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، حتى أنه جرح يوم «أحد » أحد عشر جرحا ، وكان إكرام الرسول بأن لبس لأمَةَ كعب ، وطرح لأمته الشريفة على كعب .. تتويجا لمجهود مُضْنٍ بذله ، وبلاء شديد خاضه وتحمل مشاقه .

على أن لكل جواد كبوة ، فقد تخلف كعب بن مالك عن الانضواء تحت لواء المجاهدين فى غزوة «تبوك » وكان لهذا الحدث أثر فادح وعميق على نفسه ، يقول ابن هشام فى سيرته (٥) : « ... وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين على غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : لاتكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة » . ومكث كعب لايكلمه

(٢) الأغانى (ط ساس) ١٥/ ٢٩ .
(٣) السيرة ١/ ٤٤١ - ٤٤٣ .
(٤) الاستيعاب ١/ ٢٢٣ .
(٥) السيرة ٢/ ٥٣١ .

كعب بن مالك الأنصارى

أحد خمسين يوما ، عانى خلالها كثيرا من الآلام . ويضيف ابن المعتز فى طبقات الشعراء [٦] أن قومه دفعوه إلى الاعتذار للنبى ﷺ ، وقالوا : « لو اعتذرت إلى رسول الله ﷺ ببعض مايعتذر به الناس عذرك !! فقال : إنى لأصنعهم لسانا وأقدرهم على ذلك ، ولكن والله لا أعتذر إليه بكذب ، وإن عذرى فيطلعه الله عليه » . وظل كعب قابعا فى بيته ، منعزلا عن الناس حتى نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٧] .

مكانته لدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان كعب بن مالك أثيرا لدى النبى ﷺ يحبه ، ويقربه من مجالسه فسمع منه الحديث ، وحفظه ورواه ، فهو لذلك معدود من رواة الحديث[٨] . وكان يشجعه على قول الشعر وتقويمه وتجويده ، يروى : أن كعب سأل النبى يوما فقال : يارسول الله : ماذا ترى فى الشعر ؟ فقال رسول الله : « المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه »[٩] .

ويروى : أن كعب بن مالك نهض إلى رسول الرحمة المهداة يستأذنه فى هجاء أبى سفيان ردا على هجائه الحاد للنبى ، فقال : ايذن لى . فقال : أنت الذى تقول : « هَمَّت » . قال : نعم يارسول الله أنا الذى أقول :

هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تُغالِبَ رَبَّها
وليغلبن مُغَالِبُ الْغَلَّابِ

فقال رسول الله ﷺ : « أما أن الله لم ينس ذلك لك »[١٠] وكثر ما كان النبى يثنى على شعر كعب ، فيقول : «إنك لحسن الشعر »[١١] .

وقد عاش كعب زمنا أدرك فيه الفتنة التى أطاحت بخليفة المسلمين عثمان بن عفان ، فهب يزجر الأنصار ويقرعهم لتقاعسهم عن نصرة عثمان ، فقال [١٢] .

من مبلغ الأنصار عنى آية
رسلا تقص عليهم التبيانا
أن قد فعلتم فعلة مذكورة
كست الفضوح وأبدت الشنآنا
بقعودكم فى داركم وأميركم
تحشى ضواحى داره النيرانا
بينا يرجى دفعكم عن داره
ملئت حريقا كابيا ودخانا

وعاصر أيضا الخلاف الذى دب بين كل من على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ وتوفى سنة خمسين ـ وقيل سنة ثلاث وخمسين ـ عن عمر يناهز سبعا وسبعين عاما ، وقد ذهب بصره[١٣] .

شعره :

دار شعر كعب بن مالك ـ الذى أفرزته قريحته الشعرية بعد انضوائه تحت لواء الإسلام وانخراط مبادئه السمحة فى أعماق ذاته ـ حول محاور متعددة تتمثل فى : «مدح الرسول والإشادة بدعوته ، وتمجيد أصحابه ، وهجاء أعداء الإسلام والرد عليهم وردعهم ، ورثاء الشهداء والترحم عليهم ، والتنويه

(٦) طبقات الشعراء ١٨٥ .
(٧) التوبة آية ١١٨ .
(٨) الأغانى ٢٨/١٥ .
(٩) المصدر السابق ٢٨/١٥ .
(١٠) المصدر السابق ٢٨/١٥ .
(١١) الاستيعاب ٢٢٥/١ .
(١٢) الأغانى ٢٧/١٥ .
(١٣) معجم الشعراء ٢٢٩ ، وخزانة الأدب ٢٠/١ .

بمنزلتهم عند الله ...إلى غير ذلك مما اقتضته ظروف الصراع العنيف بين المعسكرين الدينيين فى مكة والمدينة.. »(١٤) .

ولكعب مدائح كثيرة اتخذت من شخص النبى ﷺ محورا ، ونقطة انطلاق جاءت موشحة بوشاح القرآن الكريم ، تعمرها روح إسلامية ، تناولت مكانته وفضله وأخلاقه . فيقول(١٥) :

فإن يك موسى كلم الله جهرة
على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلم الله النبى محمدا
على الموضع الأعلى الرفيع المسوم
فهذا نبى الله أحمد سبحت
صغار الحصى فى كفه بالترنم

ولم يقف كعب بن مالك عند محور مدح النبى ﷺ على كثرة ماانشد فيه - بل تعداه إلى منازلة شعراء قريش ومن آزرهم من شعراء الطائف واليهود ، محاولا النيل منهم ، فهجاهم هجاء لاذعا ، كان له كبير الأثر على نفوسهم ، وحدة الوقع على آذانهم ، فدار هجاؤه حول الضعة والخبث وفساد الخلق والسفاهة واللؤم ... وما إلى ذلك من معان ذائعة الصيت لديهم ، منتشرة - وبكثرة - فى أشعار الجاهلية ، من ذلك قصيدته التى هجا فيها عبد الله بن الزبعرى ردا على شعر له ، هجابة الرسول ﷺ فقال(١٦)

سألت بك ابن الزبعرى فلم
أُنَبَّأْك فى القوم إلا هجينا
خبيثا تطيف بك المنديات
مقيما على اللؤم حينا فحينا
تبجست تهجو رسول المليـ
(م) ـك قاتلك الله جلفا لعينا
تقول الخنا ثم ترمى به
نقى الثياب تقيا أمينا

وتناول أيضا مواطن الفخار لدى كل مسلم ، فافتخر بشجاعتهم وانتصارهم المروع فى بدر فلننظر إلى هذه الأبيات التى يتحدث فيها عن انتصار « بدر ، وقد جاءت ألفاظه قوية تستمد قوتها من انتمائها إلى المعجم القرآنى ، والمعانى الإسلامية ، فهو يفتخر برسول الله ، ومناصرة ملائكة الله له ، فيقول :(١٧) .

لعمر أبيكم يابنى لؤى
على زهو لديكم وانتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر
ولا صبروا به عند اللقاء
وردناه بنور الله يجلو
دجى الظلماء عنا والغطاء
رسول الله يقدمنا بأمر
وأمر الله أحكم بالقضاء
فما ظفرت فوارسكم ببدر
ومارجعوا إليكم بالسواء
فلا تعجل أبا سفيان وارقب
جياد الخيل تطلع من كداء

(١٤) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ٢٤٧ .
(١٥)ديوانه ٢٧٠ .
(١٦) ديوانه ٢٢٧ ، المنديات : المحزنات . والجلف : الجافى السيء الخلق .
(١٧) السيرة ٢٦٨/٢ . الانتخاء : الكبر والخيلاء . وكداء : موضع بمكة ، ورد ذكره فى قصيدة لحسان بن ثابت يقول فيها :
عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات
على اكتافها الأسل الظماء
والملاء : الأشراف من الناس .

كعب بن مالك الأنصارى

بنصر الله روح القدس فيه
وميكال فيا طيب الملاء

وإذا كان كعب بن مالك قد مجد نصر المسلمين فى غزوة « بدر » ، فإنه أيضا تناول غزوة «أحد » تناولا يستثير الإعجاب فى نفوسنا ، ويدفعنا إلى ضمه إلى قائمة شعراء «المنصفات » فى شعرنا العربى .. فقد صور هول المعركة ، وما أصاب المسلمين من أذى حل بهم ، وهزيمة فادحة لحقتهم .. على أنه يسارع فيدفع شكا ربما يتبادر إلى الذهن محتواه أن هزيمة المسلمين كانت محصلة تخاذل اتسم به فريق محمد ﷺ أو تقاعس أو ضعف اعتقاد ... فيقرر أن الهزيمة كانت نتيجة قلة فى عدد المسلمين ووفرة غامرة لدى المشركين ، فيقول :[١٨] .

فجئنا إلى موج من البحر وسطه
أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصيّة
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع
نغاورهم تجرى المنية بيننا
نشارعهم حوض المنايا ونشرع

ويبقى لوتر الرثاء لدى كعب بن مالك تفرد يميزه عما عداه من أوتار ، فقد جاء رثاؤه كثيرا ، يفيض بالحزن والأسى ، رثاء حزين متفجع احتوته المأساة ، وحاصره الإحساس الشديد بالفقد ، فهاهو ذا يرثى نبى الرحمة المهداةﷺ عندما لقى ربه بقصيدة شجية ، صادقة تفيض أسى ، يقول فيها[١٩] :

ياعين فابكى بدمع ذرى
لخير البرية والمصطفى
على خير من حملت ناقة
وأتقى البرية عند التقى
نخص بما كان من فضله
وكان سراجا لنا فى الدجى
وكان بشيرا لنا منذرا
ونورا لنا ضوؤه قد أضا
فأنقذنا الله فى نوره
ونجى برحمته من لظى

وله فى رثاء حمزة مرات كثيرة ، ننتقى من إحداها هذه الأبيات التى يرثى بها حمزة ويرد على هند بنت عتبة شماتتها ، فيقول[٢٠] :

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا
أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلون به جميعا
هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت
وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان
مخالطها نعيم لايزول

....

الا ياهند لاتبدى شماتا
بحمزة إن عزكم ذليل

وفى غزوة مؤته يسقط زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة وجعفر بن أبى طالب شهداء فينتفض كعب راثيا إياهم ، رثاء مفجوع يلعق الصبر ، فقال [٢١] :

(١٨) السيرة ٢/١٣٣ ـ ١٣٥ .
(١٩) الطبقات الكبرى ٢/٩٢ ـ ٩٣ .
(٢٠) ديوانه ٢٥٢ .
(٢١) ديوانه ٢٦٠ .

نام العيون ودمع عينك يهمل
سحا كما وكف الطباب المخضل

فى ليلة وردت علىّ همومها
طورا أحن وتارة أتململ

واعتادنى حزن فبت كأننى
ببنات نعش والسِّماك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشى
مما تأوبنى شهاب مدخل

وجدا على النفر الذين تتابعوا
يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

صلى الإله عليهم من فتية
وسقى عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
حذر الردى ومخافة أن ينكلوا

اثر الإسلام فى شعره :

إن نظرة ثاقبة لديوان كعب بن مالك الأنصارى لتؤكد على أن ثمة أثرا واضحا وانعكاسا دقيقا لمبادىء الدين الإسلامى السمحة على مرآته الشعرية تمثل فى اللفظة المفردة والتركيب والمعانى ، وبدا واضحا أن القرآن الكريم أخذ طريقه صوب إبداعات شعراء الدعوة الإسلامية فى طورها الأول والمبكر ، وترك بصمات واضحة ومميزة ، من ذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ قول كعب :[٢٢]

فإن يك موسى كلم الله جهرة
على جبل الطور المنيف المعظم

فنلاحظ أنه مستمد من قول المولى عز وجل فى سورة القصص[٢٣] ﴿ وَمَاكُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ .

وقوله [٢٤]

وكان رسول الله قد قال : اقبلوا
فولوا وقالوا : إنما انت ساحر

مستمد من قوله تعالى فى سورة ص[٢٥] : ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ .
الا لعنة الله على الكافرين.

تلك رحلة قصيرة فى أعماق كعب بن مالك .. الإنسان .. والفارس ... والشاعر . رحم الله كعب بن مالك ورضى عنه ، فقد كان تقيا شديد التقى ، وفارسا لايشق له غبار وشاعرا لايبارى .

---

(٢٢) ديوانه ٢٧٠ .
(٢٣) الآية ٤٦ ، وانظر اوائل طه ، والنمل ، وآية النساء ١٦٤ .
(٢٤) السيرة ٢/ ١١٤ .
(٢٥) الآية ٤ .

ثورة الموصلات الفائقة عالية الحرارة

أ.د. أحمد فؤاد باشا

عندما تجتاح العالم كله انباء اكتشاف علمى او اختراع تقنى ، تتناقله الأوساط العلمية والثقافية فى كل مكان ، وتُتابع الصحف العالمية احدث تطوراته بصورة دائمة فى عناوين بارزة على صدر صفحاتها الأولى ، ويصل الاهتمام به استراتيجيا إلى مستوى الرؤساء والحكومات فى الدول المتقدمة ، فإننا نكون حينئذ امام ثورة علمية او تقنيّة خطيرة ذات اثر مباشر على حياة الإنسان ومستقبله . ويزخر تاريخ العلوم وتقنياتها بالكثير من الكشوف والمخترعات التى اعتبرها المؤرخون ثورات علمية كبرى .

والموصّلات الفائقة عالية الحرارة ثورة تقنية جديدة تتردد اخبارها الآن على كل لسان .

فما قصتها منذ انطلقت شرارتها وتتابعت اجيالها ؟

وما اهم تطبيقاتها التى تَعِدُ بها ؟

وماذا عن احتمالات نجاحها فى تحقيق ما تبشّر به من إنجازات ؟

هذا ما سنعرض لشرحه وتفصيله بإذن الله تعالى .

ظاهرة التوصيل الفائق .. ماذا تعنى ؟

تعود بداية القصة إلى عام ١٩١١م ، عندما كان عالم الفيزياء الهولندى « هيك كمرلنج أونز » Heike Kamerlingh-Onnes يدرس الخواص الكهربائية للزئبق أثناء تبريده ، واكتشف أن المقاومة الكهربية قد انخفضت فجأة إلى الصفر عند درجة الحرارة ٤,٢ كلفن (أى ــ ٢٦٩°م) ، فأدرك أن الزئبق تحول إلى حالة كهربائية جديدة اطلق عليها اسم حالة « التوصيل الفائق » Superconductivity . كما اطلق اسم « الموصلات الفائقة » Superconductors على تلك المواد التى تتمتع بهذه الخاصية ، أى التى توصل التيار الكهربى بدون مقاومة عند تبريدها إلى ما دون درجة حرارة معينة تميز كل مادة وتسمى « درجة حرارة الانتقال » Transition

temperature . وهذا يعنى أن تياراً كهربياً فـائقاً Supercurrent يمكنـه أن ينساب باستمرار فى حلقة معدنية من مادة فائقة التوصيل طالما أنها موجودة تحت درجة حرارة الانتقال[1] . فكما أن ارتفاع درجة حرارة الماء فوق درجة حرارة معينة (الصفر المئوى مثلا) يجعله سائلاً وانخفاضها عن تلك الدرجة يجعله جليداً جامداً ، كذلك هناك نقطة انتقال أو تحوّل معينة تكون المادة عادية عند درجات الحرارة الأعلى منها وتصبح فائقة التوصيل عند درجات الحرارة التى تقل عنها . ويؤثر الضغط على نقطة التحوّل هذه ، تماماً كما يرفع الضغط العالى نقطة تجمد الماء . وفى الموصلات الفائقة تتأثر نقطة التحول أيضاً بالتيارات الكهربية والمجالات المغناطيسية ، وهى تأثيرات هامة بالنسبة لجدوى التطبيقات .

وظل العلماء على مدى عقدين من الزمان يعتقدون بأن الموصلات الفائقة لها نفس خواص المواد العادية فيما عدا أنها توصل الكهربية عند درجات الحرارة المنخفضة بدون أن تولد حرارة أو تفقد قدرة . لكن الفيزيائى الألمانى « والتر مايسنر » Welther Meissner استطاع فى عام ١٩٣٣م أن يثبت خطأ هذا الاعتقاد عندما وجد أن الموصل الفائق الموجود فى مجال مغناطيسى معتدل يطرده فجأة إذا ما تم تبريده إلى مادون نقطة التحول ، وهو ما يعرف « بتأثير مايسنر » Meissner effect المشهور الذى يجعل قطعة من الموصل الفائق تحلقّ فوق مغناطيس .

ويمكن تفسير الكثير من سلوك الموصلات الفائقة استناداً إلى نظرية ـ بى سى إس أو B C S Heory ، التى سُمِّيت بأسماء واضعيها « ج . باردين » J. Bardeen و« ل . ن . كوبر » L.N. Cooper و« ج . ر . شريفر » J.R. Schrieffer فى عام ١٩٥٧[2] . وتفترض هذه النظرية وجود تجاذب إجمالى بين أزواج الكترونات التوصيل يربط بينها بطريقة لا تستطيع معها التشتت ، وذلك بسبب القوة التى تنشأ من وحدات اهتزاز الذرات التى تسمى « فونونات » Phonons الموجودة فى الشبيكة البللورية Crystal lattice للموصل الفائق ، وهى نفس الاهتزازات التى تشتت الكترونات التوصيل فى حالتها العادية .

وفى عام ١٩٦٢ تنبأ الفيزيائى الإنجليزى « بريان د . جوزيفسون » B.D. Josephson من جامعة كمبردج بأن أزواج الالكترونات Electron pairs يمكنها ، فيما أسماه « بوصلة النفق » Tunnel junction ، أن تجتاز الحاجز بين موصِّلَيْن فائقى التوصيل تفصلهما طبقة اكسيد رقيقة عازلة . وبناء على ذلك ، فإن وجود « وصلة نفقية » فى حلقة من مادة فائقة التوصيل يمكن أن يطيل بقاء تيارات فائقة ضعيفة تسمي « تيارات جوزيفسون » ، كما أن الظاهرة نفسها ←

(١) تمكن « كمرلنج ـ أونز » فى عام ١٩٠٧ من خفض درجة الحرارة لحدوث ظاهرة التوصيل الفائق وذلك عندما نجح فى إسالة غاز الهيليوم عند درجة ٤,٢ كلفن فى ظروف الضغط الجوى ، وفى عام ١٩١٣ م منح جائزة نوبل فى الفيزياء تقديراً لأبحاثه المتميزة فى درجات الحرارة المنخفضة .

(٢) مُنح العلماء الثلاثة جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٧٢ على هذه النظرية .

ثورة الموصّلات الفائقة

تعرف باسم « تأثير جوزيفسون »[٣] . وهى الآن أساس مجموعة من الأجهزة الالكترونية فائقة التوصيل .

أجيال الموصّلات الفائقة :

لقد أدركت المزايا التقنية المحتمل تحقيقها من استخدام ظاهرة التوصيل الفائق حال استكشافها . فعندما تمت مراقبة سلوك الرصاص والقصدير عند أربع درجات كلفن ، بعد مرور عامين على ملاحظة الظاهرة لأول مرة فى الزئبق المبرّدبالهليوم السائل ، كتب كمرلنج ـ أونز : « يمكننا الآن إنجاز أنواع التجارب الكهربائية بأجهزة دون مقاومة ..

إن الصفة غير العادية لحالة « التوصيل الفائق » هذه يمكن إيضاحها جيداً من خلال صلتها بمشكلة إنتاج مجالات مغناطيسية شديدة باستخدام ملفات بدون قلوب حديدية » . لكن الأمل خاب فى الحصول على مغناطيس فائق التوصيل من القصدير أو الرصاص لعدم قدرتهما على نقل تيارات كهربية كبيرة كافية . كما أنّ تكاليف استخدام الهليوم الغالى الثمن لأغراض التبريد قد حدّت كثيراً من تطبيقات الظاهرة والإفادة الكاملة منها . وأدى ذلك إلى البحث عن مواد لها نقطة تحوّل فى مدى درجات الحرارة الذى يمكن بلوغه بسهولة ، فانقضى وقت طويل قبل أن ينجح الباحثون فى تطوير موصلات فائقة جديدة لها نقطة تحوّل عالية الحرارة . ويمكن تصنيف أجيال الموصلات الفائقة التى تم اكتشافها حتى الآن على النحو التالى :

١ ـ **الجيل الأول** : ويشمل مئات المواد التى توالى اكتشاف خاصية التوصيل الفائق فيها عند درجات الحرارة المنخفضة ، بعد اكتشافها فى الزئبق . وقد تضمنت هذه المواد معظم العناصر الفلزية ، كالألمونيوم والقصدير والرصاص ، بالإضافة إلى العديد من المركبات والسبائك المعدنية . وكانت درجة حرارة الانتقال لمعظم هذه المواد أقل من عشر درجات كلفن ، اللهم إلا بعض السبائك والمواد التى أظهرت خاصية التوصيل الفائق عند درجات حرارة أعلى قليلاً ، بلغت أقصاها عند ٢٣,٥ كلفن لسبيكة من عنصرى النيوبيوم والجرمانيوم . لكن تبريد هذه المواد كان يتطلب غمسها إما فى الهليوم السائل (نقطة غليانه ٤,٢ كلفن) ، وهو غالى الثمن ويصعب حفظه من التبخر ، وإما فى الهيدروچين السائل (نقطة غليانه ٢٠,٣ كلفن) وهو قابل للاحتراق .

٢ ـ **الجيل الثانى** : ويمكن التأريخ لبدايته

(٣) نظراً لأن الالكترونات تخضع لقوانين ميكانيكا الكم Quantum mechanics ، فإن لها خواصا لا يمكن وصفها بقوانين الميكانيكا الكلاسيكية . ذلك أن الالكترونات فى ميكانيكا الكم تعامل على انها موجات ، وتمثّل بدوال موجية Wave functions مرتبطة بقيمة احتمال وجود الكترون فى مكان بعينه . وبينما تبقى سعة هذه الموجات محددة قرب سطح الفلز ، فإنها تقلّ سريعا خارجه . كذلك لا يمكن للالكترون ان يمرّ بين فلزين غير متصلين إلا إذا كانت المسافة بينهما صغيرة جدا ، فى حدود عدة أضعاف المسافة الفاصلة بين الذرات . وتعرف هذه الظاهرة فى ميكانيكا الكم باسم « الظاهرة النفقية » . وقد فاز « جوزيفسون » بنصيب من جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٧٣ على عمله فى هذه الظاهرة ، ويزيد من روعة هذا الإنجاز أن التنبؤات النظرية تمت وهو مازال طالبا بالدراسات العليا وعمره ٢٢ عاما . (راجع مجلة العلم والمجتمع ، العدد ٧١ (١٩٨٨) إصدار اليونسكو .

بعام ١٩٨٦ عندما تمكن العالمان كارل مولر K.A. Müller وجوهانز بدنورز J.G. Bednorz من اكتشاف مادة خزفية (سيراميكية) مكونة من أكاسيد اللانثنوم والباريوم والنحاس (La - Ba - Cu - O) وتتمتع بالقدرة على توصيل تيارات كهربية بدون مقاومة عند ٣٥ كلفن . وكانت هذه المادة هى الأولى فى مجموعة جديدة من الموصلات الفائقة تعرف باسم « الموصلات الفائقة عالية الحرارة » .

ومما يثير الدهشة أن هذا الإنجاز قد تحقق بإجراء تجارب على مواد عازلة فى حالتها العادية[٤] . ومنذ ذلك الحين ، شرعت مجموعات أخرى من العلماء فى تكثيف البحث المتواصل من أجل اكتشاف أكاسيد خزفية فائقة التوصيل عند درجات حرارة أعلى من حاجز النتروچين السائل الذى يغلى عند ٧٧ كلفن ، وعندئذ يتحقق إنتاج الموصلات الفائقة بتكلفة أقل نسبياً وجاءت بشائر الثورة الجديدة على أيدى الباحثين بقيادة « باول تشو » P.C.Chu بجامعة « هيوستن » Houston فى أواخر شهر فبراير من عام ١٩٨٧ عندما أعلن عن درجة حرارة انتقال ٩٤ كلفن لأكسيد خزفى يحتوى على الايتريوم والباريوم والنحاس (Y - Ba - Cu) . وفى نفس الوقت تقريباً ، سجل العلماء الصينيون واليابانيون درجات حرارة مماثلة لمواد ذات نسب أولية مختلفة من تلك العناصر ، فوضعوا بذلك حداً لنهاية جيل من الموصلات الفائقة تخطى حاجز النتروچين السائل ، وبداية جيل جديد تُدفع فيه درجة حرارة الانتقال إلى قيم أعلى .

٣ ـ **الجيل الثالث** : وهو الجيل الحالى من الموصلات الفائقة التى تجددت ثورتها مع بداية عام ١٩٨٨ باكتشاف موصلات « الثاليوم » الفائقة عند درجات حرارة انتقال بلغت ١٢٥ كلفن . ويتنبأ بعض العلماء الآن بأن إجراء المزيد من التجارب على هذه المواد من شأنه أن يدفع درجة حرارة الانتقال إلى ١٨٠ كلفن أو أعلى .. وقد زاد هذا من أمل الباحثين فى الكشف عن مادة فائقة التوصيل عند درجة حرارة الغرفة ، أو على الأقل عند درجة أعلى من نقطة التجمد للماء (الصفر المئوى) . كما وصل الاهتمام بهذه التقنية « استراتيجيا » إلى أعلى المستويات فى الدول المتقدمة[٥] .

آفاق استخدام الموصّلات الفائقة :

تشمل التطبيقات الممكنة والمحتملة للموصلات الفائقة جميع مجالات الكهربية والمغناطيسية ، سواء عن طريق توليد القوى الكهربائية وتوزيعها وتخزينها ، أو فى ميادين النقل والاتصالات

(٤) حصل بدنورز ومولر على جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٨٧م لأنهما استطاعا أن يحققا وثبة ثورية فى تقدم العلم والتقنية بالتخلّ عن المواد التقليدية المستخدمة فى دراسة الموصلات الفائقة والتركيز ، بدلاً منها ، على استخدام الاكاسيد المعدنية الخزفية . وذاعت أنباء الكشف العظيم فى جميع انحاء العالم .

(٥) فى فبراير ١٩٨٧ اقترح الرئيس الأمريكى رونالد ريجان مرسوما للمنافسة فى مجال الموصلات الفائقة ، وطالب باستثناء المعلومات التى تنتجها معامل الأبحاث الحكومية ، ويتوقع ان تضر بالمركز التنافسى الاقتصادى والأمن القومى للولايات المتحدة الأمريكية ، من « قانون حرية المعلومات » Freedom of Information Act (FOIA) . لكن حشداً من الشهود الأكاديميين والصناعيين كان قد مثل بعد ذلك بشهر واحد أمام إحدى اللجان الفرعية فى مجلس الشيوخ للاعتراض على هذا الإجراء (راجع ماجاء تحت عنوان « العلم السرّى » Secret Science فى مجلة العلوم ص ٣٤ ، مجلد ٦ ، ع ٢ ، الكويت ١٩٨٩ .

والبحوث العلمية ومعالجة المعلومات وتقنية الحاسبات والأجهزة الألكترونية وغيرها .

وأحد التطبيقات الهامة التى يدور النقاش بشأنها حاليا هو مشروع تطوير « قطار ماجليف » Maglev أو Magneti cally levi- tated vehicle ويعنى « المركبة السابحة فى الهواء مغناطيسيا » . وتتولى الشركة اليابانية للخطوط الحديدية رعاية هذا المشروع الطموح ، فتعمل مغناطيسات فائقة التوصيل على تسيير القطار بالتفاعل مع المجال المغناطيسى الناتج من التيارات الكهربية المارة فى ملفات موضوعة فى مسار توجيه اختبارى يبلغ طوله سبعة كيلو مترات . إن السرعة العالية لمثل هذا النوع العجيب من القطارات الحوّامة قد تجعله فى المستقبل منافساً قوياً للرحلات الجوية بين المطارات الداخلية .

من ناحية أخرى ، ظهرت تطبيقات متنوعة « لتأثير جوزيفسون » ، وخاصة فيما يسمى بأجهزة التداخل الكمى فائقة التوصيل (سكويد)(٦) . التى تستخدم للكشف عن التغيرات الطفيفة فى المجالات المغناطيسية والتيارات الكهربية بحساسية بالغة . وقد شقت هذه الأجهزة طريقها لتستخدم فى أغراض التشخيص الطبى وبحوث الطاقات العالية ، كما يستخدمها الجيولوجيون فى استكشاف النفط والمياه والترسبات المعدنية التى تحدث تغيرات فى مجال الأرض المغناطيسى . ويمكن لوصلات « جوزيفسون » أن تمدنا بكاشف جديد للإشعاعات الكهرومغناطيسية تبلغ كفاءته حدود الكمّات دون الذرية ، فيكشف كل الكترون امتص « فوتونا » . ومن المحتمل أن تكون التطبيقات الأولى لهذا الكاشف الجديد فى المجالات العسكرية كالرادارات وأجهزة الاستشعار والاتصالات الفضائية .

وتشير الدراسات المستقبلية المتفائلة إلى أن إنتاج الموصلات الفائقة عالية الحرارة على نطاق واسع يمكن أن يتحقق فى غضون عقد أو عقدين على أكثر تقدير . وقد بنيت هذه التقديرات على أساس ما تم من تطور وتطبيقات تجارية بالنسبة لتقنيات أخرى مثل أشباه الموصلات والحاسبات الالكترونية والتقنية الحيوية . لكن التحديات التى تواجه تقنية الموصلات الفائقة لا تقتصر على دفع درجة حرارة الانتقال إلى قيم أعلى ، بل تمتد لتشمل توفير مجموعة كبيرة من الخصائص الفيزيائية للمواد طبقا للتطبيقات المطلوبة ، كأن تكون هذه المواد مستقرة كيميائيا ، وأن تكون قابلة للسحب والتشكيل بسهولة ، وقادرة على حمل تيارات كهربية عالية الكثافة . فهل سينجح العلماء والباحثون فى المستقبل القريب فى التغلب على هذه التحديات لتحقيق جيل جديد من الموصلات الفائقة ، أعلى حرارة وأكثر قوة وأسهل تشكيلاً ؟!

هذا هو السؤال المطروح الآن أمام قادة الأبحاث فى الاختصاصات المختلفة .

د . احمد فؤاد باشا

---

(٦) اسم الجهاز باللغة الانجليزية Superconducting Quantum Interface Device «SQUID» .

الأشعة الكونية

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

يتعرض الإنسان منذ نشاته إلى جرعات إشعاعية معينة صادرة من البيئة التى يعيش فيها ، ومن الغذاء الذى يتناوله ، والهواء الذى يتنفسه ، وتعرف هذه الجرعات بالجرعات الإشعاعية الطبيعية الناتجة عن البيئة ، ولا تشكل هذه الجرعات الطبيعية خطورة حيث إن كمياتها غالبا ماتكون اقل مما قد يحدث ضررا صحيا .

تعتبر الأشعة الكونية من أهم مصادر الجرعات الإشعاعية الطبيعية التى يتعرض لها الإنسان .

تاتى الأشعة الكونية من الفضاء الخارجى ومن الشمس وتحتوى هذه الأشعة على انواع مختلفة من الإشعاعات المُؤَيِّنَة[1] ، ومن نويات ذرات ذات اعداد كتلية مختلفة وذات طاقات عالية تقع فى المدى[2] من مليون الكترون فولت إلى ١٠-١٠ مليون الكترون فولت ولذلك يعتقد انها تعجل فى المعجل الكونى[3] .

وتنقسم الأشعة الكونية إلى :

١ - الأشعة الكونية الابتدائية (على ارتفاع ٢٥,٣ كم من سطح البحر) .

تعتبر هذه نوعا من الإشعاعات التى تدخل فضاء الأرض من الفضاء الخارجى ، ويرجع أصل الأشعة الكونية الأولية أساسا إلى أن الجسيمات المشحونة فى هذه الأشعة تحصل على طاقتها نتيجة التعجيل الناتج من المجالات الكهرومغناطيسية للنجوم والشمس وهذا النوع من التعجيل يجب أن يأخذ دورة تدريجية تشابه تعجيل الجسيمات فى معجل الكترونى . إضافة إلى ذلك فإن جزءا من هذه الأشعة الكونية الأولية ينتج من الجسيمات الأولية المنطلقة من

(١) مؤين : الجزىء الكيميائى من ذرتين أو أكثر وعند امتصاص الأشعة المؤينة فى روابط هذه الجزيء تنفك مكوناته من الذرات نتيجة امتصاص الطاقة الإشعاعية فى هذه الروابط ، وتسمى هذه الظاهرة بالتأين ، والأشعة التى يحدث منها هذا تسمى أشعة مؤينة مثل الأشعة السينية وأشعة (جاما) وجميع الجسيمات الموجودة فى نواة الذرة .

(٢) المدى : مساحة محددة من الطاقة .

(٣) المعجل الكونى : عبارة عن عملية تعجيل أو سريان بسرعة أكثر للجسيمات الموجودة .

← الأشعة الكونية

الشمس . تزيد كثافة هذه الجسيمات أثناء الانفجارات الشمسية .

تتكون هذه الأشعة من البروتونات (٩١,٥٪) وجسيمات الفا (٧,٨٪) ونسبة قليلة من جسيمات ذات طاقات أعلى ، والكترونات وفوتونات ونيوترونات .

الأشعة الكونية الثانوية (على ارتفاعات منخفضة) اقل من ٢٠ كم :

تتكون الأشعة الكونية الثانوية نتيجة للتصادم غير المرن بين الجسيمات الأولية المكونة للأشعة الكونية الابتدائية (عن طاقات أكبر من ٥×١٠^٩ الكترون فولت) وذرات الأوكسجين والنتروجين الموجودة فى الطبقات العليا من الغلاف الجوى . وهذه التصادمات تعجل انشطار أحد الجسمين المتصادمين أو الجسمين معا إلى عدد من القطع النووية الأصغر منها ، تحمل كل قطعة منها بعض الطاقة الابتدائية ، وتصطدم هذه الجسيمات السريعة بدورها بنوى أخرى ، وتسمى هذه الجبسيمات جميعا : بالأشعة الكونية الثانوية ، ويوضح شكل (رقم ١) رسما تخطيطيا لتوضيح الأشعة الكونية الثانوية الناتجة من الأشعة الابتدائية التى تدخل الغلاف الجوى وتحتوى بعض الجسيمات على جسيمات غير ثابتة تعرف باسم (الميزونات) وهى عبارة عن : جسيمات مشحونة ، كتلة كل منها تعادل مئات المرات كتلة الالكترون ، ولكنها أخف من (البروتون) ، وهى إما أن تكون ميزونات (باى) سالبة أو موجبة الشحنة كما ينتج (ميزونات) متعادلة ، والبروتونات والنيوترونات . بالإضافة إلى ذلك فقد

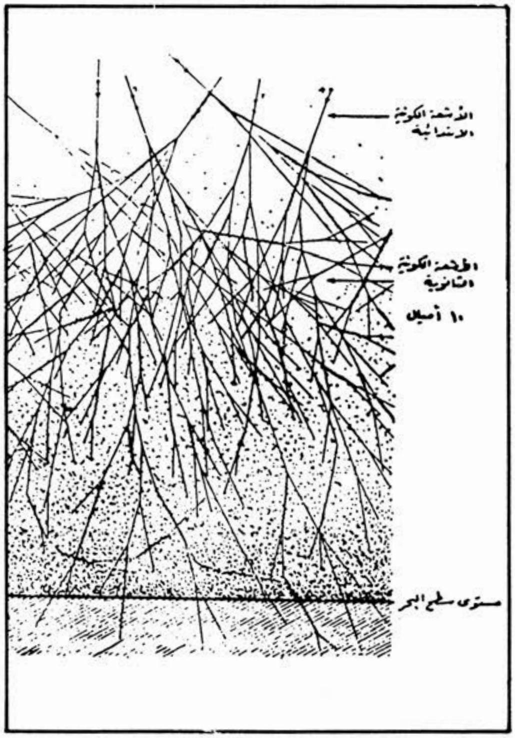

شكل (١)

وجد أنه نتيجة اقتراب بعض (الفوتونات) عالية الطاقة (أشعة جاما) المتكونة بفعل الأشعة الكونية من نواة أحد الذرات ؛ فإن المجال الكهربى للنواة يكون شديدا بدرجة كافية لإفناء هذا (الفوتون) وخلق زوج من الجسيمات الكترون و(بوزيترون) (الالكترون الموجب + e) منه ، وكتلتا هذين الجسمين متساويتان ، كما أن شحناتهما متساويتان ومتضادتان .

ومن الملاحظ أن الأشعة الكونية الثانوية تتكون بدورها من قسمين :

الجزء الأول ذو طاقة منخفضة يُمتَصُّ بسهولة ، ويمكن إيقافه بطبقة من الرصاص ذات سمك من (١٠ إلى ١٥ سم) .

أما الجزء الآخر فهو ذو طاقة عالية ويحتاج لسمك أكبر من الرصاص لامتصاصه .

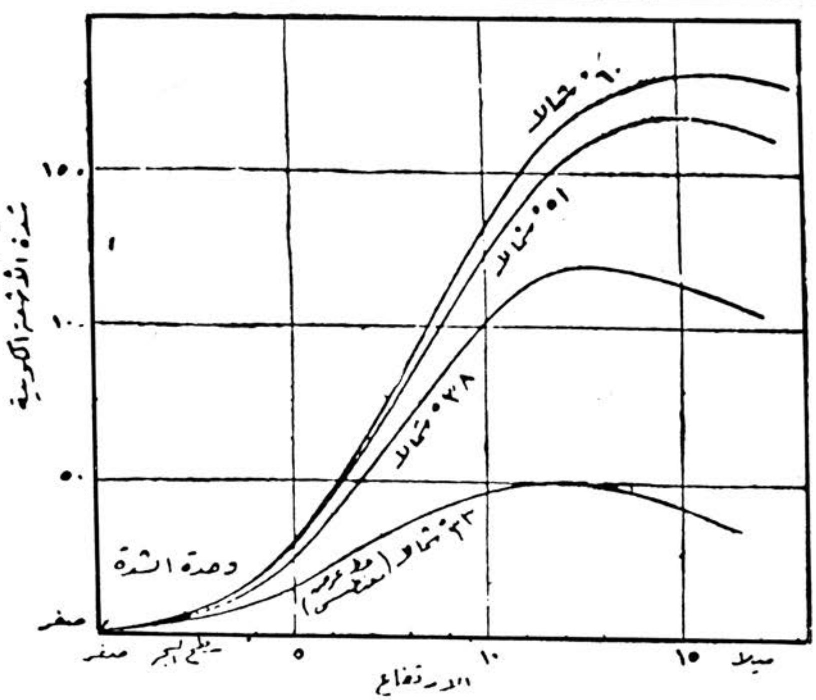

شكل (٢)

يتكون الجزء الأول بصورة أساسية من الالكترونات والبوزيترونات والفوتونات ، والجزء الثانى من باى ميزونات والبايونات .

تشكل النوى الذرية لباقى العناصر حوالى ١٪ ويبلغ معدل طاقة دقائق الأشعة الكونية الأولية حوالى عشرة الكترون فولت .

تعتمد الجرعة الإشعاعية التى يتعرض لها الإنسان من الأشعة الكونية على المكان والضغط والارتفاع عن سطح البحر كذلك على النشاط الشمسى .

وتتكون الأشعة الكونية المشحونة عند مستوى سطح البحر من ميزونات بنسبة ٧٠٪ تقريبا ، ولذلك باى ميزونات بنسبة ٢٩٪ تقريبا وجسيمات أثقل مثل البروتونات والديوترونات وجسيمات ألفا بنسبة ١٪ تقريبا ، ويبين جدول رقم (١) الجرعات الناتجة من الأشعة الكونية فى بعض الاماكن وعلى ارتفاعات مختلفة من سطح البحر .

ويتضح من الجدول أن الجرعة الناتجة من الأشعة الكونية تعتمد اعتمادا كبيرا على الارتفاع عن سطح البحر ، حيث إنه عند الارتفاع عن سطح البحر بمقدار ٣ كم تتضاعف الجرعة السنوية الناتجة من الأشعة الكونية ، وكلما زاد الارتفاع زادت هذه الجرعة حيث تصبح شدة الأشعة الكونية عند قمة الغلاف الجوى أكبر بحوالى خمسين ألف مرة من شدته عند سطح البحر .

ومن ذلك يتضح دور الغلاف الجوى من الأشعة الكونية ، فإنه يمكن اعتباره مكافئا لحاجز مائى سمكه ١٠,٣ متر ويمثل شكل (٢)

الأشعة الكونية

رسما توضيحيا للعلاقة بين شدة الأشعة الكونية والارتفاع عن سطح البحر .

بالإضافة إلى ذلك فقد أثبتت الدراسات أن الأشعة الكونية تتغير مع خطوط العرض ، فهى أقل بمقدار ١٥٪ عند خط الاستواء مما هى عليه عند القطبين ويفسر الانخفاض فى شدة الأشعة الكونية عند خط الاستواء المغناطيسى على أنه راجع للمجال المغناطيسى الأرضى فتنحنى جميع المسارات المشحونة التى تعبر المجال المغناطيسى الأرضى بتأثير قوة عمودية على اتجاه المجال وتكون النتيجة أن ينحرف بعض الأشعة الداخلة فى مجال الأرض ثانية إلى الفضاء الخارجى دون الوصول إلى سطح الأرض ولقد وجد أن الجسيمات الموجبة فى الأشعة الكونية تحيد بتأثير المجال المغناطيسى الأرضى فى اتجاه الشرق بينما تحيد الجسيمات السالبة فى اتجاه الغرب .

ويوضح شكل (رقم ٣) تأثير المجال المغناطيسى الأرضى فى الأشعة الكونية الابتدائية .

لقد اثبتت الدراسات وجود حزامين مشعين تعرفان ضمن مجموعة (فان ألن) نسبة إلى مكتشفها حول كوكبنا وقطبيه المغناطيسيين وهذه الأحزمة تختلف بالطول والسمك والمسافة عن سطح الأرض فهما يتسعان عن شمال وجنوب خط الاستواء المغناطيسى للأرض ، بينما يتقلصان فى المناطق القطبية بحيث تنعدم اهميتهما ، وهذه الأحزمة تحتوى على نسبة كبيرة من الأشعة الكونية (بالمقارنة بتلك الموجودة عند ارتفاعات منخفضة) .

إن تكون هذه الأحزمة يكون دائما مرتبطا بتجميع الجسيمات المشحونة بمساعدة المجال المغناطيسى للأرض . وقد وجد أن الحزم الإشعاعى الداخلى يمتد من (٦٠٠ إلى ٦٠٠٠ كم) من سطح البحر ، ولكن عند مناطق محدودة فانه ينخفض إلى ارتفاعات تبلغ ٣٠٠ كم ، ويتكون هذا الحزام أساسا من بروتونات عالية الطاقة تصل إلى (١٠٠ مليون الكترون ڤولت) بينما عند الحزام الخارجى من (٢٠ إلى ٦ × ١٠ كم)(١١٤) من سطح البحر ويتكون هذا الحزام أساسا من الالكترونات الناتجة من الشمس والتى تبلغ طاقتها أقل من ١٠٠ كيلو الكترون ڤولت .

بالإضافة إلى التأثير المباشر للأشعة الكونية على الكائنات الحية فإنها قد تؤدى إلى إنتاج بعض (النويدات) المشعة فى الغلاف الجوى نتيجة تفاعلها مع مكونات هذا الغلاف حيث تتفاعل النيوترونات الكونية مع النتروجين ـ ١٤ (أحد نظائرالنتروجين) مكونة كربون ـ ١٤ المشع (أحد نظائر الكربون) طبقا للتفاعل التالى (نيتروجين ـ ١٤ + نيوترون ——— كربون ـ١٤+ بروتون) .

وينتشر الكربون ـ١٤المشع فى الغلاف الجوى حتى يصل إلى سطح الأرض ، فيدخل فى تركيب جميع الكائنات الحية الموجودة على الأرض بنسبة ثابتة كذلك تتكون بعض النظائر مثل (الكالسيوم ـ٤١ والبوتاسيوم ـ ٤٠ والكلور ـ ٣٦ بالإضافة إلى التريتيوم ـ٣ والبريليوم ـ٧ .

(٤) الفوتون : هو الطاقة الإشعاعية الموجودة على الحزمة الكهرومغناطيسية .

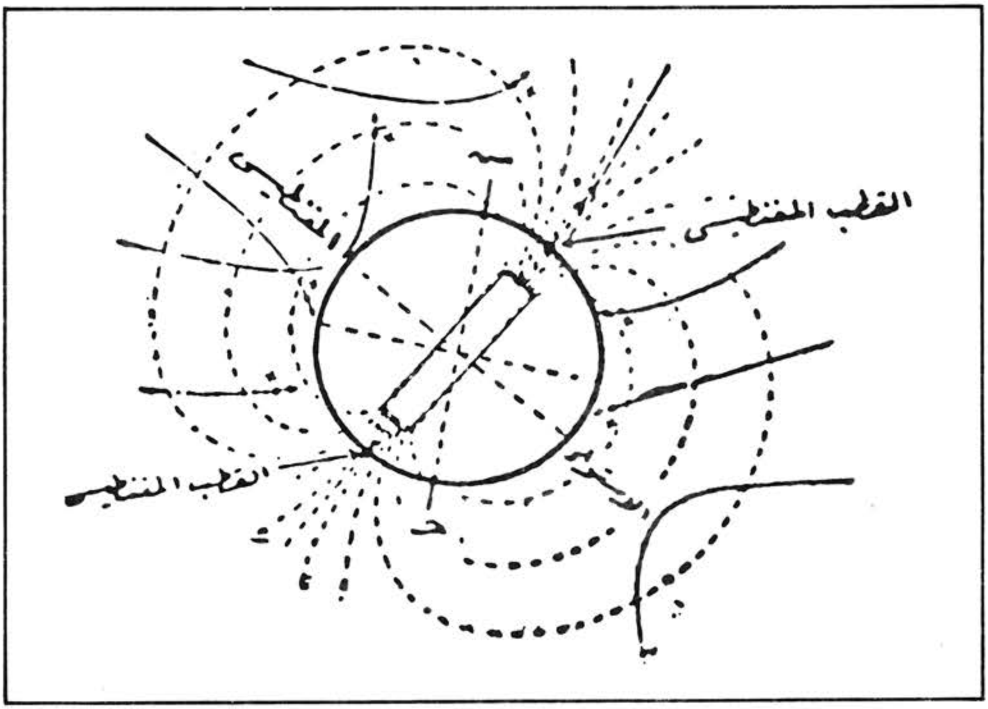

شكل (٣)

جـــــدول

الجرعات السنوية الناتجة عن الأشعة الكونية فى بعض الاماكن

وعلى ارتفاعات مختلفة من سطح الأرض

المكـــــان	الجرعة السنوية (ميللى ريم)
سطح البحر عند خط الاستواء	٢٣
الجزر البريطانية	٥٠
على ارتفاع ٣ كم من سطح البحر	٥٦
على ارتفاع ٢٠كم من سطح البحر	حتى ٥٦٠٠

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

رغم أنف المكابرين والملحدين

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .

معجزة

قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

الملل

كان عمرو بن العاص يركب بغلة قد شمط وجهها هرما ، فقيل له : أتركب هذه وأنت على أكرم مكانة بمصر ؟

فقال : لاملل عندى لدابتى ما حملتنى ، ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ، ولا لصديق ماحفظ سرى .

إن الملل من كواذب الأخلاق .

المأمون والخادم

نادى المأمون بالخادم ، فلم يجبه ، ثم نادى ثانيا وصاح : أيا غلام .

فدخل غلام تركى يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ أكلما خرجنا من عندك صحت ياغلام ، ياغلام !!

فنكس المأمون رأسه ؛ فما شك أحد أنه سيأمر بضرب عنق الغلام ، ولكنه قال : إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ؛ ساءت أخلاق خدمه وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه . ولا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا .

سيجعل الله بعد عسر يسرا

حدث محمد بن يزيد ، قال : كان ثابت قطنة قد ولى عملا من أعمال خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام فتعذر عليه وحصر .

فقال : سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عى بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوَّال .

وإلا أكن فيكم خطيبا فإننى
بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صفوان . [ويقال : الأحنف بين قيس]

فقال : والله ماعلا ذلك المنبر أخطب منه .

هذا صوت رحمته

كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الله أيام خلافته فسمع صوت رعد ، ففزع سليمان ووضع صدره على مقدم رحله

فقال له عمر : هذا صوت رحمته فكيف صوت عذابه ؟

أقبح الأعمال

- أقبح عمل الظالمين : الانتقام .
- وأقبح عمل الواعدين : البخل .
- وأقبح عمل القادرين : الظلم .
- وأقبح عمل الأشراف : الكبر .
- وأقبح عمل السلطان : الجور .

فصاحة امرأة

جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له : مشت جرذان بيتى على العفاء .

فقال : سأدعهم يثبون وثوب الأسود ، ثم أرسل لها ما ملأ البيت ؛ من سائر الحبوب والأطعمة .

والعفاء : التراب

ومرادها : أنه لم يبق فى بيتها شىء يأكله الفأر .

لا تطيلوا الجلوس

دخل قوم على مريض فأطالوا ، ثم قالوا عند انصرافهم : أوصنا شيئاً .

فقال : أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا أعدتموه .

كريم النفس

قال حاتم الطائى :

شربنا بكأس الفقر يوما وبالغنى
وما منهما إلا سقانا به الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

السوء والفحشاء

الفرق بين السوء والفحشاء : أن السوء مقدمات الزنا ، والفحشاء نفس الفعل.

وقيل السوء : الفعل بجهالة فى الصغر والفحشاء : الفعل بجهالة فى الكبر .

دعاء

اللهم اغفر لى كل ذنب أذنبته ، وكل خطيئة أخطأتها .

اللهم إنى أتقرب إليك بذكرك ، وأستشفع بك إلى نفسك ، وأسألك بجودك أن تدنينى من قربك ، وأن توزعنى شكرك ، وأن تلهمنى ذكرك .

عبدة الأهواء

لفضيلة الأستاذ الشيخ
محمد محمد المدنى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

من سمات الشرائع السماوية محاربة الهوى . لأنه اوسع الأبواب إلى الشرك بالألوهية .
والله الذى خلق النفوس ابتلاها بالهوى حتى يتبين المفسد من المصلح .
والنفس البشرية نزاعة دائماً إلى الهوى . تهفو إليه وتصبو إلى داعيه ، وهنا يظهر الوازع الدينى الذى يصد الهوى ولكنه يتفاوت قوة وضعفا فإذا كانت الأنانية متسلطة والفردية مُؤْثَرَةً ، ضعف الوازع واصبح الإنسان اسير هواه .
اما إذا كان الوازع الدينى هو المهيمن والمسيطر . توارى الهوى خجلا وانزوى فلا تكاد تسمع له ركزا .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

يقول أهل العلم : إن من المقاصد التى جاءت لها الشرائع ، إشعار الناس بأنهم عبيد لله اختياراً ، كما أنهم عبيد له اضطرارا .

ومعنى هذا : أن الناس جميعاً مخلوقون لله عز وجل ، وأنهم معتمدون فى بقائهم مدة ما يعيشون على فضل الله ورحمته وإمداده ، فإذا انقطع عنهم هذا الفضل وذلك الإمداد طرفة عين هلكوا ، وأصبح علمهم وتجاربهم وما لهم من حيل أو عمل باطلا لايغنى عنهم فتيلا ، ولا ينفعهم نقيراً ؛ وهم لذلك عبيد لله فى الواقع ، لايرجع الأمر فى ذلك إلى اختيار منهم ، فهم مربوطون بهذا الكون لا ينفكون عنه ، مأخوذون بسنته رضوا أم أبوا .

ومن جهة أخرى هم خاضعون لإرادة الله فى وجودهم وهيئاتهم ، ودرجات عقولهم وحظوظهم ؛ فإن أحدا لم يوجد فى هذه الحياة باختيار منه ، ولم يختر الهيئة التى صور عليها من طول أو قصر ، أو جمال أو دمامة ، أو قوة أو ضعف ؛ وإن أحداً لم يختر لنفسه أن يكون على درجة كذا من العقل ، أو أن يكون ذا قسط معين من حظوظ الحياة ، فالحياة تجرى على ما أراده الله لها ، والناس يجرون كما خلقهم الله ، والكل خاضعون خضوعا فعليا اضطراريا لما هم عليه ، أو لما هم فيه ، لا يحاولون ولا يستطيعون منه فكاكا .

هذا الخضوع الواقعى الاضطرارى هو عبودية الناس ، بل عبودية كل شىء لله سبحانه خلقاً وتكويناً : أما العبودية التى قصدت الشرائع

أن يشعر بها الناس : فهى عبودية الطوع والاختيار ، وذلك إنما يكون بالنزول على حكم الله ، مع الثقة بأنه الخير والحق والرشاد .

* * *

إن النفوس البشرية نزاعة دائما إلى اتباع الهوى ، فقد فطرت على ماتسميه « بالأنانية » فكل امرىء يريد أن يكون هو الفائز بأكبر قسط من متاع الدنيا ، وكل امرىء يريد أن يكون هو الناجى من جميع آلامها وصعابها ، وهو لهذا ينظر إلى الأشياء بعين نفسه ، ويزن الضار والنافع بمقدار مايعود عليه هو من النفع والضرر ، وقلما يخرج الإنسان على هذه الطبيعة ، وإن تحمل وتجمل وتهذب ولبس ثوب الإيثار ، فإنه سيظل فى أسر هذه الطبيعة ولو بعقله الباطن ، وتصرفاته « اللاشعورية » ؛ ولهذا لم يكن بد من أن يحال بين هذه الطبيعة السارية فى جنس الإنسان ، وإفساد هذا الكون ؛ ولهذا كانت الشرائع ، وكان أهم شىء فيها هو محاربة « الهوى » لأن الإنسان إذا تحرر من هواه ، فقد تحرر من أخطر أنواع الشرك بالألوهية ، وألقى بنفسه بين أحضان الإيمان الصحيح ، والتوحيد الخالص ، وكان عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطراراً .

وإننا لنجد فى القرآن الكريم بيانا واضحا لهذا المعنى : فالله سبحانه وتعالى يصف « الهوى » بأنه إله إذ يقول : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ ؛ وذلك تصوير بليغ لانسياق الإنسان واندفاعه وراء ميوله ورغباته ؛ كما يندفع العابد فى تحقيق أمر معبوده ، طلبا لرضاه ، وتقربا إليه .

وقد يتصل بهذا أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ فإن هذه الآية إذا نُظر فيها مع قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ تبين انها تشير إلى خطر الأهواء وشدة إفسادها للسموات والأرض إذا حكمت ، فإن الله لم يذكر فساد السموات والأرض على هذا النحو إلا حين تحدث عن التعدد فى الألوهية ، واتباع الحق أهواء المبطلين .

وقد حذر الله من هذا الفساد نبيا ملكا من انبيائه الكرام ، هو داود - عليه السلام - إذ يقول : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . وإذا كان ملك الله - جل جلاله - وهو السموات والأرض ومن فيهن ومالا يعلم إلا الله ، معرضا لأشد الفساد إذا اتبع الحق أهواء المبطلين ؛ فأولى بذلك ملك الناس ولو كانوا ملوكا أنبياء .

وقد صرنا إلى زمان اتبعت فيه الأهواء ، وسيطرت على الدول والأمم فيه النزعات والمذاهب البشرية ، فمن نازية إلى فاشية إلى ماركسية إلى ديمقراطية تتلون بلون الانجليز تارة ، وبلون الفرنسيس تارة ، وبلون الأمريكان أحيانا ، بل يكون لها معنى فى الغرب ، ومعنى فى الشرق ، ويعرفها المستعمِرون على وجه ، والمستعمَرون على وجه آخر ، أو على وجوه أخر ، وهكذا ظلمات من الأهواء بعضها فوق بعض ، والشعوب تتلظى بنيران المتخاصمين عليها ، والمتعصبين لها ، فلا تفيق من حرب إلا إلى حرب ، ولا تعالج مشكلة إلا لتقع فى مشكلات ، وكلما امتد الزمان بهذه الأهواء المتضاربة ، والنحل المتغالبة ، افتن أصحابها فى ابتكار وسائل الهلاك والدمار ، والحرب الغازية تتلوها « القنبلة الذرية » ثم حروب الأمراض والأوباء تبث فى الناس فتعمى بها الأبصار ، وتشوى بها الجلود والأبشار ،

من روائع الماضى

وينتقل بها سكان الأكواخ والقصور ، إلى الأرماس والقبور . ذلك وما يعانيه الناس من الفاقة والضيق ، والخوف والعوز ، أشد عليهم وأنكى من هذا الموت المرتقب ؛ فإنه ما من شعب الآن إلا وقد ضوت منه الجسوم ، وخوت البطون ، وشحبت الوجوه ، واضطربت الأعصاب ، وغامت العيون وكأنما هى سنو يوسف غير أنها ليست سبعا ، وقد مضى منها حتى اليوم عشر ، ولا يدرى أحد إلا الله إلام تمتد ، وهل تخف حدتها أو تشتد .

لعمرى ما نكبت البشرية بذلك إلا من اتباع الأهواء ، وازورار الناس عن أن يكونوا عبيداً لله اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً .

إن أمر الناس والأديان اليوم دائر بين أمة خلعت رداءها ، ونبذت أحكامها وتكاليفها ، وتحللت منها علانية فى غير خفاء ولا تورع ، وأمة تمسكت بها رسماً لاحقيقة ، واحتفظت بها كتقليد ورثته فأبقت على صورته ؛ ولاتكاد تجد أمة تتمسك بدينها ، وتبنى جميع أمورها عليه ، وتدير شئونها حسب رسومه ، ومن عجب أنهم يعتبرون ذلك رقياً فى الحياة ، وتخلصاً من آثار القرون الأولى ، وانفلاتا من قيود الرجعية ؛ وإذا رأوا داعياً إلى الدين ، ومنذراً ينذرهم لعلهم يرجعون ، سخروا منه ، ورموا بأباطيلهم فى وجهه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾

لقد قلت ومازلت أقول : « إن العالم لفى حاجة إلى دعوة صادقة مخلصة ترسم له سبل الحياة السعيدة ، وتصنع له أسس الاستقرار والسكينة ، وتجمع فى تعاليمها بين المادية والروحية ؛ فلا تسمح لإحداهما بأن تطغى على الأخرى ، ويشعر فى ظلالها كل فرد بأنه لبنة فى بناء المجتمع ، وتأخذ الفطرة الصافية فيها حظها الطبيعى فى كل ناحية من نواحى الحياة ، فلا أثرة ولا استئثار ، ولامعاندة لما طبع الله عليه العالم من التفاوت فى المال ، والمواهب والاختصاص ، ولا تحكم ولاتمرد ، ولاعصبية لجنس على جنس ، ولا امتياز للون على لون ، ولاغمط لحق ، ولا انتصار لباطل ، ولاترويج لرذيلة ، ولاتنكر لفضيلة . ولن يجد العالم هذه الدعوة الصادقة المنقذة إلا فى « الإسلام » ولو ظل قرونا من الدهر ينظر إلى « الكتلتين » ، ويرجع البصر كرتين . فليت شعرى إلام يقبع المسلمون فى ديارهم وأوطانهم منكمشين يطرقها عليهم الطارقون ، فإما فتحوها لهم كارهين ، وإما ظلوا من ورائها خائفين يترقبون !

ألا إنهم لأرباب دعوة ، وأصحاب فكرة ، ودعوتهم هى النور المبين الذى به تمحى ظلمات الجهل والشرك والهوى والفساد ، والعلاج الحاسم لأدواء هذا العالم التى حار فيها المتطببون ؛ فليخوضوا بدعوتهم كل مخاض ، وليعرضوها على العقول بيضاء نقية ؛ كما جاء بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليلقوا بها فى وجوه أهل الباطل وما اصطنعوا من دعوات الهوى والضلال ، فإن الحق سيزهق الباطل ، وإن عصا موسى ستلقف ما يأفكون .

(المجلد الحادى والعشرون)

اللغة والأدب والنقد

ذلك المجمع المفتوح في لغتنا الخالدة

مناقشة فكر المستغرقين
في الأدب السواحيلي

محمد إقبال داود من حياته

ذلك الجمع المفتوح في لغتنا الخالدة

بقلم
د. عبد الرءوف محمد عثمان

● الا وإنما نقصد بالجمع المفتوح ما اعتاد المعربون أن يطلقوا عليه جمع المؤنث السالم وهى تسمية فيها شىء من التسامح ، ورحم الله ابن هشام إذ يقول[1] « .. ولذلك عدلت عن قولهم جمع المؤنث السالم إلى أن قلت الجمع بالألف والتاء لأعم جمع المؤنث وجمع المذكر وما سلم فيه المفرد وما تغير ، وهو فى ذلك تابع لإمام المتاخرين ابن مالك حيث يقول فى خلاصته « الالفية » .

وما بتا وألف قد جمعا
يكسر فى الجر وفى النصب معا

ومع أن هذا الجمع مفتوح ليدخل فيه ما شاء الله أن يدخل من شتى المفردات مذكرها ومؤنثها سالمها من التغيير فى المفرد كضخْمة وضخْمات وغير سالمها كسجْدة وسجَدات وحبْلى وحبْليات وصحراء وصحراوات ، فإن الأول محرك الوسط فى الجمع والثانى قلبت ألفه ياء والثالث قلبت همزته واوا - فقد اشترطوا فى الألف والتاء أن تكونا مزيدتين معا ، فلو كانت التاء أصلية كما فى بيت وأبيات وميت وأموات فإن الجمع ينصب بالفتحة على الأصل قال تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾[2] وإن كانت الألف أصلية كما فى قضاة وغزاة فإن أصل قضاة قُضَية وأصل غزاة غُزَوة لأنهما من قضيت وغزوت فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين فلذلك ينصبان بالفتحة على الأصل تقول رأيت قضاةً وغزاةً .

ويقتضينا المقام هنا أن ندلل على ما لهذا الجمع من مزية انفتاح دون ماسواه من الجموع ، فنسوق ما يطرد فيه هذا الجمع أولاً ، ثم نسوق ما يغزوه من مفردات قد تكون أحياناً بمنأى عنه .

أولا ما يطرد فيه هذا الجمع وهو نوعان : النوع الأول ما يطرد فيه من جنسه « التانيث » ، وذلك فيمايلى :

---

(١) انظر قطر الندى وبل الصدى ص ٥١ بتحقيق العلامة محمد محيى الدين عبد الحميد تغمده الله برحمته .
(٢) من الآية ٢٨ من سورة البقرة .

١ - أعلام الإناث مختومة بالتاء كفاطمة وعائشة أو مجردة منها كزينب ومريم .

٢ - ما ختم بالتاء مطلقاً سواء أكان أسما كشجرة وزهرة ونملة أو وصفا لأنثى كعاقلة ومنصورة ونبيهة ، أو علما لمذكر كحمزة ومعاوية وطلحة ومن هذا قول الشاعر :

رحم الله أعظماً دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات[٣]

ويستثنى مما ختم بالتاء مايلى :

(أ) امرأة فإنها تجمع على نساء أو نسوان بكسر النون فيهما ، ونسوة بكسر النون وضمها .

(ب) أمَة وهى المملوكة وجمعها إماء وزان كتاب ، أو إموان وزان إخوان ، أو آمٍ وزان قاضٍ .

(جـ) أمَّة بضم الهمزة وتشديد الميم وهى الطريقة والدين كقوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[٤]اى كنتم خير أهل دين ، والأمة أيضاً الحين وفى التنزيل : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[٥] وفيه ايضاً : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾[٦] ، وجمع أمة أمم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٧] وقوله ايضاً : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾[٨] وقوله اخيراً : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٩] .

(د) شفة أصلها شفهة وتصغر على شفيهة وينسب إليها فيقال شفهى وتجمع شفة على شفاة .

(هـ) شاة وتجمع على شياه بأنهاء لأى عدد من ثلاث إلى العشر فإذا جاوزت العشر فالجمع : شاء بالهمزة تقول هذه شاء كثيرة وجمع الشاء شَوِىّ وزان غنىّ.

(و) ويستثنى كذلك نحو لؤلؤة وجوهرة فإن جمعها لآلىء وجواهر .

٣ - ماختم بألف التأنيث المقصورة ؛علما كسلوى ونجوى تقول فيهما سلويات ونجويات،أو وصفا ككبرى وفضلى فإنك تقول فيهما كبريات وفضليات ، ويستثنى من ذلك فعلى مؤنث فعلان كغضبى وعطشى وريَّا وظمأى فإنها تجمع جمع تكسير على فِعال (بكسر الفاء) فتقول فيها غِضاب وعِطاش ورِواء وظِماء ، ولا يجوز أن تجمع بالألف والتاء ، كما لايجوز أن يجمع مذكرها غضبان وعطشان وريَّان وظمآن بالواو والنون وإنما تجمع جمع تكسير كما فى قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

٤ - ماختم بألف التأنيث الممدودة اسما كصحراء وحرباء ، ووصفا كهطلاء تقول جبت الصحراوات وعجبت من تلون الحرباوات وتقول ديمة هطلاء وديم هطلاوات ويستثنى من ذلك فَعْلاء مؤنث افعل مثل صماء مؤنث أصم وبكماء مؤنث ابكم وعمياء مؤنث أعمى وزرقاء مؤنث أزرق وخضراء مؤنث أخضر فإنها تجمع مؤنثة

←

---

(٣) سجستان اسم بلد وهو معرب سكستان وطلحة الطلحات هو طلحة بن عبيدالله بن خلف وسمى بذلك لأن أمه صفية بنت الحارث بن طلحة رضى الله عنه .

(٤) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٥) من الآية ٤٥ من سورة يوسف .

(٦) من الآية ٨ من سورة هود .

(٧) من الآية ٤٢ من سورة الانعام .

(٨) من الآية ٣٠ من سورة الرعد .

(٩) من الآية ٦٣ من سورة النحل .

← ذلك الجمع المفتوح

ومذكرة على فُعْل « بضم فسكون » وإلى ذلك يشير ابن مالك .

فُعْل لنحو احمر وحمرا[10]

قال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[11] وقال : ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[12] وقال ايضاً : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾[13] .

لكن إذا غلب جانب الاسمية على الوصفية جاء الجمع بالألف والتاء كما فى « ليس فى الخضروات صدقة » وهى البقول .

النوع الثانى مايطرد فيه من غير جنسه « التانيث » وذلك فيمايلى :

١ ـ مصغر ما لا يعقل كنهير وجبيل تقول فاضت النهيرات وتسلقت الجبيلات .

٢ ـ صفة ما لا يعقل مثل شاهق وشامخ وهما صفتان للمرتفع من الأبنية وغيرها تقول هذه قصور شاهقات ، وتلك جبال شامخات .

٣ ـ كل خماسى لم يسمع له جمع تكسير مثل سرادق وهو مايمد فوق سطح البيت ، وحمام واصطبل « موقف الدواب » وعنوان ، تقول فى جمعها على التوالى سرادقات وحمامات واصطبلات وعنوانات لا عناوين .

٤ ـ ماصدر بابن أو ذى من أسماء ما لايعقل كابن آوى وذى الحجة تقول فيهما اختبأت بنات آوى ، ومرة ذوات الحجة .

٥ ـ كل مصدر جاوز فعلة ثلاثة أحرف: فمن مصدر الرباعى تنبيه وتنبيهات وتنظيم وتنظيمات ، ومن مصدر الخماسى انتصار وانتصارات واحتمال واحتمالات ،ومن مصدر السداسى استفسار واستفسارات واستنتاج واستنتاجات[15] .

ثانياً : مايغزوه هذا الجمع من مفردات وهى نوعان :

النوع الأول مايغزوه من جنسه « التانيث » وذلك فيمايلى :

١ ـ حَصَان : بفتح الحاء تقول هذه امرأة حصان إذا كانت عفيفة أو متزوجة جمعها حصانات .

٢ ـ خَوْد : بفتح فسكون وهى الفتاة الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة جمعها خودات « بسكون الواو » وهذا هو الأصل ، ولها جمع آخر غير قياسى هو خود « بضم أوله » على وزن فُعْل .

٣ ـ أرض : وهى اسم جنس مؤنثة ، وكان حق الواحدة فيها أن يقال لها أرْضه بسكون الراء ، ولكنهم لم يقولوا ذلك ، جمعها أرَضات بفتح الراء ، وتجمع قياساً على أُروض بالضم ، وآراض بالمد وسماعاً على أراض .

٤ ـ الكأس : الإناء يشرب فيه مؤنثة مهموزة ، جمعها كاسات وتجمع قياساً على اكؤس وكئوس بالضم وكئاس بالكسر وأكواس لكن هذا الجمع

---

(١٠) والمشطور الآخر .... وفِعْلة جمعا بنقل يدرى .
(١١) من الآية ١٨ من سورة البقرة .
(١٢) من الآية ١٠٢ من سورة طه .
(١٣) من الآية ٣١ من سورة الكهف .
(١٤) الفيصل فى ألوان الجموع للأستاذ عباس ابو السعود ط /دار المعارف .
(١٥) المرجع السابق .

الأخير لم يرد فى المعاجم ولكنه ورد فى الشعر قال العرجى :

فبت أسقى بأكواس أعل بها
من بارد طاب منها الطعم والنسم

٥ ـ الشناط : بكسر الشين هى المرأة الحسنة اللحم واللون ، جمعها شناطات وتجمع قياساً على شنائط لأن المفرد رباعى مؤنث كشمال وشمائل .

٦ ـ السراويل : ثوب معروف مؤنثة وقد تذكر جمعها سراويلات ، وقيل إنها جمع سروال أو سروالة بكسرها .

٧ ـ السلاح : مايقاتل به فى الحرب ويدافع جمعه سلاحات على أنه مؤنث .

النوع الثانى مايغزوه من غير جنسه « التانيث » وذلك فيما يلى :

١ ـ جوز : بفتح فسكون وهو وسط الشىء ومعظمه ، وهو أيضاً ثمر معروف معرب « كوز » جمعه جوزات .

٢ ـ أهل : أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه ، جمعه أهلات بسكون الهاء وفتحها ويجمع أيضاً على آهال قياساً وسماعاً على أهال ويجمع أيضاً على أهلين فيلحق بجمع المذكر السالم فهو إذاً مشترك بين الجمعين قال تعالى : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[١٦] وقال الشاعر :

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولابد يوما أن ترد الودائع

٣ ـ الحديد : معدن معروف وسمى بهذا الاسم لأنه منيع جمعه حديدات ويجمع أيضاً على حدائد جمعا غير قياسى .

٤ ـ الطاق : ماعقد من الأبنية جمعه طاقات ، ويجمع قياساً على طيقان بالكسر كتاج وتيجان ونار ونيران .

٥ ـ رمضان : وهو شهر الصوم المعروف جمعه رمضانات على لفظه وله جموع أخرى غير قياسية : هى ارمضة وارمض ويشترك مع جمع المذكر السالم فيقال فيه رمضانون .

٦ ـ الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق ، جمعه ساباطات على لفظه ويجمع أيضاً على سوابيط وزان فواعيل .

٧ ـ الهواع : بضم الهاء وزان غراب اسم ذى القعدة جمعه هواعات ويجمع أيضاً جمعاً قياسياً على أهوعة .

٨ ـ الصعيد : بلاد بأعلى مصر ويطلق على التراب وعلى وجه الأرض جمعه صعدات ومنه « إياكم والقعود بالصعدات » .

اثر الانفتاح فى هذا الجمع :

أولاً : قلة الملحق بهذا الجمع بالقياس إلى أخيه جمع المذكر السالم،فلم يلحق به إلا لفظة واحدة وهى أولات اسم جمع بمعنى ذوات لاواحد له من لفظه مفرده فى المعنى ذات بمعنى صاحبة قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ ﴾[١٧] وقال ايضاً : ﴿ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[١٨] .

وقد الحقوا بهذا الجمع ماسمى به من جمع المؤنث السالم ، ونتيجة لانفتاح هذا الجمع ابقوا إعرابه على ما كان عليه قبل التسمية ، ولا يحذف تنوينه لأنه تنوين المقابلة .

قال الأخفش : إنما نون لأن التاء فيه صارت بمنزلة الياء والواو فى مسلمين ومسلمون وصار

(١٦) من الآية ٦ من سورة التحريم .
(١٧) من الآية ٦ من سورة الطلاق .
(١٨) من الآية ٤ من سورة الطلاق .

ذلك الجمع المفتوح

التنوين بمنزلة النون فيهما ، ولهم فيه إعرابان آخران :

أولهما : حذف تنوينه مراعاة للعلمية والتأنيث ، ولكن يعربه على ماكان عليه قبل التسمية ، فيجره وينصبه بالكسرة ومن هؤلاء سيبويه[١٩] .

وبعضهم يعربه إعراب ما لا ينصرف فيحذف تنوينه ، ويجره وينصبه بالفتحة وروى بالأوجه الثلاثة السابقة قول امرىء القيس فى محبوبته :

تنورتها من **أذرعات** وأهلها
بيثرب أو فى دارها نظر عالى[٢٠]

روى بالجر بالكسرة مع التنوين مراعاة لحال الجمع وبالجر بالفتحة مراعاة للعلمية والتأنيث وبالجر بالكسرة بدون تنوين مراعاة للحالين ، وهذه الأوجه الثلاثة اثر من آثار الانفتاح فى هذا الجمع ، ولذلك فإننا لا نجد هذه الميزة فيما سمى به من أعلام الأناسىّ التى أصلها جمع مذكر سالم ، فإنها تعرب على الأرجح بالحركات على النون رفعاً ونصبا وجرا تقول: فاز زيدون وأكرمت زيدوناً وشكرت لزيدونٍ .

ثانياً : وجوب فتح عين هذا الجمع إذا توافرت فيه هذه الشروط :

١ ـ أن يكون اسما لا صفة:فخرج نحو ضخمة .

٢ ـ أن يكون ثلاثيا: لا نحو زينب .

٣ ـ أن يكون ساكن العين سالمها فخرج بذلك شجرة ، وجور[٢١] وجنة مثلثة الجيم .

٤ ـ أن يكون مفتوح الفاء:لا نحو دمية ، وذروة .

فما استكمل هذه الشروط مختوماً بالتاء حملة وسجدة وظبية ومجرداً منها دعد وشمس تقول فى جمعها حملات وسجدات وظبَيات ودعدات وشمسات بفتح العين فى جمعها جميعها ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾[٢٢] بفتح السين وقول عبد الله بن عمر العرجى فى محبوبته ليلى :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا
ليلاى منكن أم ليلى من البشر[٢٣] .

بفتح الباء فى ظبيات وأما قول بعض العذريين « هو عروة بن حزام فى محبوبته عفراء » .

وحُمِّلتُ زفَرات الضحى فأطعتها
ومالى بزفْرات العشىّ يدان[٢٤]

بتسكين فاء زفرات فضرورة « الزفرات جمع زفرة وهى خروج النفس مع انين لكثرة الأحزان » أما إذا انتفى الشرط الأخير بأن كان المفرد مضموم الفاء أو مكسورها فإنه يجوز فى عين الجمع ثلاثة أوجه : الفتح والإسكان ، واتباع العين للفاء فى الضم والكسر .

فمن مضموم الفاء مختوماً بالتاء : غرفة

(١٩) الكتاب لسيبويه .

(٢٠) أذْرِعات بكسر الراء وقد تفتح بلدة بالشام ينسب إليها الخمر .

(٢١) جور : اسم بلد بفارس بناها بهرام من ملوك الفرس ، وتنسب إليه فيقال : بهرام جور ، وينسب إليها الورد الأحمر الجورى . انظر هامش شذا العرف تحقيق الأستاذ مصطفى السقا باب كيفية جمع الاسم جمع مؤنث سالما .

(٢٢) من الآية ١٦٧ من سورة البقرة .

(٢٣) القاع ارض سهلة مطمئنة وغالبا مايكون مليئا بالظباء .

(٢٤) شذا العرف فى فن الصرف ص ١٠٥ ط / مصطفى البابى الحلبى وأولاده .

وفرصة وقدرة ومجردا منها نحو : جُمْل بضم فسكون علما لأنثى تقول فى جمع الاسم الأول غُرَفات بفتح الراء وغُرْفات بسكونها وغُرُفات بضم الراء اتباعاً لضمة العين وكذا بقية الأمثلة ، ومن مكسور الفاء مختوماً بالتاء رحلة وقربة ونعمة ومجرداً منها : هند . تقول فى جمع الاسم الأول منها رحَلات بفتح الحاء ورحْلات بسكونها ورحلات بكسرها اتباعاً لحركة الراء وكذا بقية أخواتها .

وإذا كانت لام مضموم الفاء ياء كدمية للصورة المنقشة وزُبية لحفرة الأسد أو لام مكسورها واوا كذروة لأعلى الشىء ، وحذوة للعطية امتنع الاتباع لثقل الضمة قبل الياء فى جمع المثالين الأولين ، ولثقل الكسرة قبل الواو فى المثالين الأخيرين ، ويبقى فى جمع كل منها الفتح والتسكين(٢٥) .

تقول فيها دمَيات بفتح الميم ودمْيات بسكونها ، وكذا زبيات بفتح الباء وزبيات بسكونها ، وذروات بفتح الراء وذروات بسكونها ، وحذوات بفتح الذال وحذوات بسكونها وشذ من مكسور الفاء قولهم جروات بكسر الراء اتباعاً لكسرة الجيم جمع جِروة وهى الأنثى من ولد الكلب والسبع .

وإلى كل ذلك يشير ابن مالك فى خلاصته بقوله :

والسالم العين الثلاثى اسما أنل
اتباع عين فاءه بما شُكِل
إن ساكن العين مؤنثا بدا
مختتما بالتاء أو مجرداً
وسكن الثانى غير الفتح أو
خففه بالفتح فكلًا قد رووا
ومنعوا اتباع نحو ذروة
وزُبية وشذّ كسر جِروة

ثالثاً : ينصب هذا الجمع بالكسرة نيابة عن الفتحة فى نظير أن تنوب الفتحة عن الكسرة فى الممنوع من الصرف ، ونتيجة لهذا الانفتاح لم يلتزموا النصب بالكسرة فى محذوف اللام الذى لم ترد إليه فى الجمع كما فى لغات(٢٦) وبنات وثبات ، فقد أجاز بعض النحاة(٢٧) نصب مثل هذه الجموع بالفتحة لا الكسرة كما هو معهود فى نصب جمع المؤنث السالم .

فإن ردت اللام فى الجمع نصب بالكسرة كما فى سنوات وأخوات وهنوات .

صلة الجمع المفتوح بغيره من الجموع :

يشارك جمع المؤنث السالم جمع التكسير(٢٨) فى أوزانه الدالة على القلة وهى افعِلة ، افعُل ، فِعْلَة افعال إلا إذا اقترن جمع المؤنث بأل الدالة على الاستغراق كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾(٢٩) فإنه حينئذ يدل على الكثرة كما

(٢٥) الفيصل فى الوان الجموع .

(٢٦) اللغة اصلها لُغَو او لُغَى على وزن فُعَل فى كل منهما تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ثم حذفت وعوض منها التاء .

(٢٧) فقد حكى احمد بن يحيى ثعلب ان من العرب من ينصبه بالفتحة الظاهرة نحو سمعت لغاتهم ورأيت بناتك ووافقه على ذلك الكسائى وابن سيده ورووا على هذه اللغة قول أبى ذؤيب الهذلى :

فلما جلاها بالأيام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها

(٢٨) انظر هامش أوضح المسالك تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ص ٦٩ وكذلك يشارك جمع المذكر السالم جمع التكسير فيما شارك فيه جمع المؤنث السالم .

(٢٩) من الآية ٣٥ من سورة الأحزاب .

ذلك الجمع المفتوح

فى الآية السابقة التى جمعت بين جمعى التصحيح .

وكذلك إذا وصف جمع المؤنث السالم فإنه حينئذ يدل على الكثرة وقد اجتمع الأمران « اقتران أل مع الوصف » فى قول حسان بن ثابت - رضى الله عنه .

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما(٣٠)

والفخر بالكرم يقتضى وفرة الجفنات .

٢ - ونجد اسم الجنس الجمعى الذى يمتاز واحده بالتاء كشجرة مفرد شجر وزهرة مفرد زهر ، نجد مفرد هذا الجمع يجمع جمع مؤنث سالم فتقول فيه شجرات وزهرات ، وحتى اسم الجنس الجمعى الذى يمتاز واحده بالياء كما فى العرب الذى يقال فى مفرده عربى ، فقد قالوا إنما سموا عربا لأن البلاد التى سكنوها تسمى العربات .

٣ - ونجد هذا الجمع المفتوح يشارك جمع المذكر السالم فى أن كليهما يدل على القلة لا الكثرة كما أسلفنا ، كما تشترك بعض المفردات بين الجمعين كما فى أهل فإنها تجمع على أهلات وعلى أهلين ، وكما فى رمضان فقد قالوا فى جمعه رمضانات ورمضانون .

بين الجمع المفتوح والجمع المحكم :

يجرنا الحديث عن الجمع المفتوح إلى جمع آخر هو جمع المذكر السالم وهو ما نعنيه بالجمع المحكم وإنما كانت المقارنة بينهما لوصف كل منهما بالسلامة . هذا الجمع المحكم له شروط قاسية لا نجدها فى أخيه ذلك الجمع الذى معنا فلا يجمع جمع مذكر سالما إلا أعلام الذكور وأوصافهم ثم اشترطوا فى العلم(٣١) شروطا هى : أن يكون علما لمذكر عاقل خالياً من تاء التأنيث ومن التركيب . فإن لم يكن علما لم يجمع بالواو والنون فلا يقال فى رجل رجلون نعم إذا صغر جاز لأن التصغير وصف فى المعنى فتقول فى رجيل رجيلون ، وإن كان علما لغير مذكر لم يجمع بهما فلا يقال فى سعاد سعادون ، وكذا إن كان علما لمذكر غير عاقل فلا يقال فى لاحق « اسم فرس » لاحقون ، وإن كان فيه تاء التأنيث لم يجمع هذا الجمع ، فلا يقال فى طلحة طلحون ، وكذا إذا كان مركبا فلا يقال فى سيبويه سيبويهون(٣٢)كما اشترطوا فى الوصف أن يكون صفة لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث ليست من باب أفعل فعلاء ولا من باب فعلان فعلى ولا ممايستوى فيه المذكر والمؤنث :

فلا يجمع هذا الجمع ما كان صفة لمؤنث فلا يقال فى حائض حائضون ، وكذلك ماكان صفة لمذكر غير عاقل مثل سابق (صفة لفرس) فلا يقال سابقون ، ولا مافيه تاء التأنيث مثل علّامة فلا يقال فيه علامون ولايقال فى أحمر ومؤنثه حمراء أحمرون وكذلك نحو سكران ومؤنثه سكرى سكرانون ، وكذلك نحو صبور وجريح ممايستوى فيه المذكر والمؤنث لايقال فيهما صبورون وجريحون .

إذاً فجمع المذكر السالم لابد فيه من هذه الشروط ، وليس هذا فقط بل لابد أن يسلم فيه

---

(٣٠) الجفنات = القصاع ، الغر والبيضاء والملالئة النجدة = الشجاعة والقوة .

(٣١) يعبر أحيانا عن العلم بالاسم الجامد ليقابل الصفة الآتى ذكرها .

(٣٢) قطرات من علمى النحو والصرف لصاحب هذا البحث .

بناء الواحد زيادة فى الإحكام ، فما لا واحد له من لفظه أو له واحد غير مستكمل لهذه الشروط فليس بجمع مذكر سالم بل هو ملحق به (٣٣) وهذا الملحق إما ألفاظ بعينها وإما أبواب تحتها ألفاظ .

أولا الألفاظ الملحقة :

فقد ألحقوا بهذا الجمع فى إعرابه بالواو والنون رفعا وبالياء والنون نصبا وجرا ألفاظا كثيرة منها :

١ـ **أولو** : بمعنى أصحاب قال تعالى :﴿ وَمَايَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُو ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣٤)وقوله أيضا : ﴿ فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(٣٥) .

٢ ـ **ذوو** : جمع ذو بمعنى صاحب قال تعالى : ﴿ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾(٣٦) .

٣ ـ **أهلون** : جمع أهل ومنه قوله تعالى : ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (٣٧)وقوله : ﴿ قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (٣٨) .

٤ ـ **عالمون** : جمع عالَم بفتح اللام وهو الخلق قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣٩) .

٥ ـ **ياسمون** : جمع ياسم بفتح السين وكسرها وهو زهر أبيض وأصفر .

٦ ـ **بنون** : جمع ابن قال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٤٠) وقوله أيضا : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾(٤١) .

٧ ـ **قفون** : جمع قفا ، وتقول قفوت فلانا قَفْوا وقُفُوا إذا ضربت قفاه وقذفته بالفجور صريحا .

٨ ـ **مرعون** : فى جمع مرء بفتح فسكون .

٩ ـ **الأقورين** : وفى الصحاح عن الكسائى : « لقيت منه الأقورين » وهى الدواهى العظام ، قال الكميت :

ومن يطع النساء يلاق منها
إذا أغمزن فيه الأقورينا

١٠ ـ **الآبدين** : وفى الجمهرة قالوا : لا أفعله أبد الآبدين .

١١ ـ **أسودين وأحمرين** : جمع أسود وأحمر ومنه قول حكيم بن الأعور بن عباس الكلبى :

فما وجدت بنات بنى نزار
حلائل أسودين وأحمرينا

١٢ ـ **أرضون** : جمع أرض ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : من اغتصب قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة(٤٢) .

(٣٣) المرجع السابق .
(٣٤) من الآية ٢٦٩ من سورة البقرة .
(٣٥) من الآية الثانية من سورة الحشر .
(٣٦) من الآية ١٧٧ من سورة البقرة .
(٣٧) من الآية ١١ من سورة الفتح .
(٣٨) من الآية ٦ من سورة التحريم .
(٣٩) من الآية ١٩٢ من سورة الشعراء .
(٤٠) من الآية ٤٦ من سورة الكهف .
(٤١) من الآية ٧٢ من سورة النحل .
(٤٢) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق/٢ ،ومسلم فى المساقاه ١٣٧ ـ ١٤٢ .

ثانيا الأبواب الملحقة :

١ ـ **سنون وبابه** : من كل اسم ثلاثى حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر فإن كسر كشفه وشفاه لم يستعمل هذا الاستعمال وبالتالى لايعرب إعراب جمع المذكر السالم . قال تعالى : ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾[٤٣] وعزون جمع عزة وهى الفرقة من الناس قال تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[٤٤] . وثبون جمع ثبة بضم ففتح وهى الجماعة والعصبة من الفرسان ، ومئون جمع مائة وفئون جمع فئة ، ومن ذلك عضون جمع عضة بكسر ففتح وهى الكذب والبهتان وفى التنزيل ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[٤٥] ، وظبون جمع ظبة وهى حد السيف أو السنان ولدون جمع لدة بكسر اللام فيهما وهى الترب .

٢ ـ **عشرون وبابه** : وهى ألفاظ العقود من عشرين إلى تسعين فهى تشبه جمع المذكر فى الصورة مع أنها لاوحدان لها قال تعالى : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾[٤٦] .

٣ ـ **بعض ألفاظ الأسماء الستة** :فقد قالوا أبون فى جمع الأب قال شاعرهم :

بكين وفديننا بالأبينا

وقالوا أخون فى جمع الأخ قال شاعرهم :

وكنت لهم كشر بنى الأخينا

وقالوا حمون فى جمع الحم وهو كل ماكان من قبل الزوج كأبيه وأخيه وفى جمع الهن هنون والهن كناية عما يستقبح ذكره ومنه الحديث : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولاتكنوا »[٤٧] .

٤ ـ كل اسم يشبه لفظه جمع المذكر السالم سواء أكان نكرة كياسمين أوعلما لموضع كصفين وقنسرين وفلسطين ونصيبين ويبرين وأندرين وعليين . تقول فى حالة الرفع نضج الياسمون قال الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمـ ـون والمسمعات بقصابها[٤٨] .

وصفون موضع على الفرات كانت به الوقعة العظيمة بين على ومعاوية ، وقنسرون كورة بالشام ، وعليون اسم لديوان الملائكة ترفع إليه أعمال الأبرار الصالحين [٤٩] قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾[٥٠] .

وتقول فى حالة النصب شممت الياسمين وزرنا صفين وقنسرين وفلسطين ونصيبين ويبرين وأندرين ، ووددت أن أرى عليين ومثل ذلك يقال

(٤٣) من الآية ١٢ من سورة الإسراء وكذا من الآية ٥ من سورة يونس .
(٤٤) من الآية ٣٧ من سورة المعارج .
(٤٥) من الآية ٩١ من سورة الحجر .
(٤٦) من الآية ٦٥ من سورة الأنفال .
(٤٧) مسند الإمام أحمد ح ١٣٦/٥ .
(٤٨) الجل = الورد ، المسمعات = المغنيات واحدتهن مسمعة ، القصاب = جمع قاصب وهو الزامر .
(٤٩) وقيل اسم لأعلى الجنة انظر القطرات .
(٥٠) الآيتان ١٨ ، ١٩ من سورة المطففين .

فى حالة الجر قال عمرو بن كلثوم :

الاهبى بصحنك فاصبحينا
ولاتبقى خمور الأندرينا

هذا هو الكثير الشائع وبعضهم يلزمها كلها الياء فى كل حال [٥١] .

وهذه هى الملحقات بجمع المذكر السالم ، ماأكثرها ! فأين ما ألحق إذاً بالذى جمع بالألف والتاء ؟ لا تعجب إنها لفظة (أولات) ولفظة واحدة ليست بشىء إذا قيست بالكثرة الكاثرة مما الحق بجمع المذكر السالم ، أليس هذا دليلا وأى دليل على رحابة وسعة صدر جمع المؤنث السالم ، هذا الذى فتح ذراعيه مرحبا بكثير من الألفاظ إلا لفظة (أولات) [٥٢]وكان بوسع النحويين أن يدخلوها فى هذا الجمع المتسامح ، ولهم فى هذا مخرج ومخرج لولا خوفهم من غضب جمع المذكر السالم ، فرأوا أن يلحقوا شيئا ولو يسيرا بجمع المؤنث حتى يشمل الالحاق كلا الجمعين السالمين .

وبعد : فهذا الجمع العظيم فى لغة العرب لغة القرآن الخالد إلى يوم الدين ، وحسبك برهانا على عظمته أنه جمع المؤنث السالم وهو الجمع بالألف والتاء المزيدتين وهو الجمع الكريم وأخيرا هو الجمع المفتوح ، وتعدد الأسماء دليل على عظمة المسمى ، فسلام عليك من لغة الضاد أيها الجمع ، والسلام هو مسك الختام .

د . عبد الرءوف محمد عثمان

ثبت بأهم المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الكتاب لسيبويه .
٣ ـ أوضح المسالك تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٤ ـ أوضح المسالك تحقيق محمد عبد العزيز النجار .
٥ ـ شذور الذهب تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٦ ـ شذور الذهب تحقيق عبد الغنى الدقر .
٧ ـ قطر الندى وبل الصدى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
٨ ـ شذا العرف فى فن الصرف للأستاذ الشيخ احمد الحملاوى .
٩ ـ الفيصل فى الوان الجموع للأستاذ عباس أبو السعود ط/ دار المعارف .
١٠ ـ قطرات فى علمى النحو والصرف لصاحب هذا البحث .

(٥١) الفيصل فى الوان الجموع .
(٥٢) لايُعترض علينا بما سُمِّىَ به من جمع المؤنث السالم كأذرعات لان فيه ثلاثة إعرابات احدها إعراب جمع المؤنث السالم .

مناقشة فكر المستفرقين

فى الأدب السواحيلى

تأليف الدكتور
محمد إبراهيم محمد أبو عجل
عرض وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

لقد تعرضت منطقة شرق افريقيا لعدة هجرات إسلامية من اهمها تلك الهجرة التى اشار بها الرسول الكريم .. ﷺ .. على اصحابه ان يفروا بدينهم إلى الحبشة ؛ ذلك لأن فيها ملك لا يظلم عنده احد .

وطاب للمسلمين المقام عند ملك الحبشة ، وأكرمت وفادتهم ، ومنعوا حين أرسلت قريش فى طلبهم ، وأعطت تلك الهجرة للمسلمين الفرصة لعرض الإسلام وشرح مبادئه السمحة لأهل الحبشة فأسلم منهم من شاء الله له أن يسلم ، ولم تقتصر هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا على تلك الهجرة ، بل يذكر لنا التاريخ العديد من الهجرات الإسلامية التى كان لها أثر كبير فى نشر الإسلام فى شرق أفريقيا .

وقد أدى انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا بطبيعة الحال إلى اصطباغ الأدب السواحيلى بصبغة إسلامية .

وقد تعرض هذا الأدب لاعتداءات عنيفة للنيل منه - بخاصة وقد صار أدبا إسلاميا - ولعل اختيارنا لكتاب «مناقشة فكر المستفرقين فى الأدب السواحيلى» للدكتور محمد إبراهيم أبو عجل يستمد أهميته من كون الكتاب محاولة أولى للرد على افتراءات الحاقدين والدفاع عن هذا الأدب وما حواه من أفكار هى فى جملتها أفكار إسلامية صادرة عن أناس مسلمين فهموا الإسلام واستوعبوه بقدر ما فهم واستوعب الكثير من المسلمين فى العالم الإسلامى .

وينقسم الكتاب إلى قسمين ، القسم الأول منه مكتوب باللغة العربية ويقع فى ست وثمانين

صفحة من القطع المتوسط .. أما القسم الثانى فمكتوب باللغة السواحيلية ويقع فى ست وتسعين صفحة «صادر عن قسم اللغات الأفريقية بكلية اللغات والترجمة / جامعة الأزهر / فى طبعته الأولى عام ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م » .. وقد مهد المؤلف لكتابه بأنه وهو يتجول بين أشعار السواحيلية وأدبها استوقفته ظاهرة غريبة من نوعها تمثل بونا شاسعا بين ما فى هذا الأدب من أفكار وبين تحليل وتعليق بعض المستفرقين الأوروبيين لها .

والكاتب يقرر أن ما فى الأدب السواحيلى من أفكار إنما هى فى مجملها أفكار إسلامية وفكر مستقيم يعكس فى مجملـه عشق الشعب السواحيلى فى شرق القارة الأفريقية للإسلام وتعاليمه وفلسفته .

ويوضح الكاتب أيضاً أنه وجد أن بعض هؤلاء المستفرقين يحاولون «مغرضين» النيل - سوءاً وافتراءً - من ذلك الفكر المستقيم لا لشىء إلا لمجرد أنه إسلامى .

وهم يحاولون طمسه وتشويهه وتقديمه فى صورة فكر متخلف عاجز عن اللحاق بالعصر .. ثم يختتم المؤلف تمهيده بإظهار أن الهدف من ذلك الكتاب هو مساعدة القارىء فى أن يكون هو الحكم على ما إذا كان فكر الأدب السواحيلى الإسلامى - كما يقول بعض المستفرقين .. يستهدف العزلة والرهبانية والتواكل والتأخر واستعباد المرأة .. أم أن العكس تماما هو الحق والصواب .. وأن ما يدعيه هؤلاء إنما هو مردود عليهم وإليهم ؟

وقد ذكر المؤلف عددا من هؤلاء الذين تطاولوا على الإسلام وعلى هذا الأدب السواحيلى الإسلامى منهم : الأسقف ادوارد ستير ، والمبشر وليام تيلور ، والراهبة اليس فاريناز، والقس الألمانى البروفيسور كارل ماينهوف ، والقس الألمانى البروفيسور ايرنست دامن .

هؤلاء القسس المستفرقون تمكنوا من جمع الكثير من الأشعار السواحيلية وقاموا بترجمة معظم ما جمعوه إلى الانجليزية والألمانية .. مع بعض التعليقات التى تخدم مناهجهم واتجاهاتهم مهما كان ذلك مجافيا للمنطق وللحقيقة .. ثم يناقش المؤلف أحد هؤلاء المستفرقين وزعيمهم ، رجل اللاهوت ، الهولندى الأصل ، الدكتور جان كنابرت صاحب كتاب :

«الشعر السواحيلى التقليدى : تحقيق فى مفاهيم إسلام شرق أفريقيا فى ضوء أدب قصائد التنزى» .

فيوضح أن صاحب الكتاب بدأ كتابته معتقدا[1] أن هناك أكثر من إسلام واحد وأن الإسلام يتعدد بتعدد بيئاته ومواقعه الجغرافية .

ولكن المؤلف يرى فى موضوعية تامة وحيدة مطلقة أن يقتصر فى مناقشة صاحب الكتاب على ما ألصقه بالإسلام والمسلمين مدعيا استنباطه من النص الشعرى السواحيلى .. ويسوق المؤلف عدة أبيات توضح افتراءات صاحب الكتاب

(١) للأسف الشديد ليس ذلك عن عقيدة ، إنما هو تصميم المستشرقين على تصوير الإسلام بهذه الصورة نجد ذلك فى لندن كما نجده فى هولندا ، حين يبدأ أحدهم محاضرته عن الإسلام بقوله : أحدثكم عن إسلام فلان أو إسلام فلان .. الخ ليلقى فى قلوب السامعين أن الإسلام مختلف فى عقيدته .

مناقشة فكر المستفرقين

نقتصر فى هذا العرض على تقديم بعض منها :

١ ـ حرية العقيدة :

يقول المؤلف : جاء فى صفحة ٢٨ البيت التالى :

خـــالــق السمــوات
والمـــوت والحيـــاة
والأرض والمـــاء
وســـــاكنيها

ساق المؤلف «جان كنابرت» هذا البيت بعدما قدم له بالتقديم التالى : « بالرغم من أن الإنسان نظرياً له إرادته الحرة فى تبنى ما يعتقد انه الأفضل إلا أن الشريعة لا توصى بأى تعويل على الذات فى أمور العقيدة .. فيجب على الإنسلن ألا يحاول أن يكون حر نفسه .. وفى الواقع فإنه ليس لنا من اختيار سوى أن نطيع ونتبع الشريعة كما أملاها الله » .

فالمتيقن لهذا التقديم يجده يشير إلى قضيتين : الأولى : تصوير المسلم وكأنه مكره على دينه والثانية جعل المسلم مسيرا لا مخيرا فى كل ما يأتى به من أمور الإسلام .

فهل فى البيت الشعرى ما يشير إلى مثل هذا من قريب أو بعيد ؟

فمن أين إذن أتى المؤلف بهذا الاستنتاج ؟
أتى به من عند نفسه إذ أن البيت لا يقول ذلك كما أن مصدرى الإسلام «القرآن والسنة» لا يخبران به .

فالقرآن يقول : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ﴾ البقرة ٢٥٦ ، والرسول ـ ﷺ ـ يقول إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . رواه ابن ماجه والبيهقى وهو الحديث ٣٩ فى الأربعين النووية .

من هنا يبيت واضحا أن ما ادعاه المؤلف «جان كنابرت» لا يمثل ما جاء فى البيت صراحة أو كناية وإنما كان من خيال اعتقاداته التى يبرأ منها الإسلام .

٢ ـ القضاء والقدر :

وعن القضاء والقدر يقول : واتصالا بالقضاء والقـدر والجبـر والاختيـار ذكـر المؤلف «ص٨٣ ـ ٩١» تحت عنوان «ابليس» ثمانية واربعين بيتا جميعها تتفق والفكر الإسلامى وتتلخص أفكارها فى مطابقتها لما جاء فى سورة الحجر «الآيات ٢٦ ـ ٤٢» .. ولكن المؤلف راح يستنبط من هذه الأبيات ما ليس فيها فيقول : «إن رجال الدين الإسلامى وخاصة الكتاب السواحيليين دائما ما يؤكدون بقوة على أنه لا مفر من سلطان إرادة الله وأنه على ذلك فلا وقوع لشىء بدون أمره ، ومن هنا فلا يتصور بهذا المفهوم أن يأتى إبليس بإغوائه الباطن بدون رضا الله ـ أجل حقا ـ بدون أوامر الله .

فواضح أن المؤلف «جان كنابرت» يخلط فيما بين إرادة الله وبين أمره ورضاه .. فالله يريد الإيمان للمؤمن والكفر للكافر إذ لا يمكن أن يقع فى ملك الله ما لم يُرِدْه .. ولكن بالنسبة للأمر فالله يأمر البشر بأن يؤمنوا ولا يأمرهم بغير ذلك إذ انه ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ﴾ «سورة النحل الآية ٩٠» .. كما أن الله يرضى لعباده

الإيمان ولا يرضى لهم الكفر ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ . . . ﴾ الآية ٧ سورة الزمر .. ولذلك لو أراد المؤلف «جان كنابرت» أن نعيد له صياغة مقولته السابقة طبقا للعقيدة الإسلامية الواردة فى الشعر السواحيلى لقلنا :

إن رجال الدين الإسلامى وخاصة الكتاب السواحيليين دائما ما يؤكدون بقوة على أنه لا مفر من قضاء الله وأنه لا وقوع لشىء بدون إرادته وأن الله لا يأمر إلا بالعدل والإحسان .

ومن هنا فإبليس عندما يأتى بإغوائه للبشر يأتيهم بعلم الله وليس بأوامر الله ، فالله قال لإبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ .

والبيت الشعرى يقول :

والـذى لا يطيعك يـاإبليس
عســير عليـك اتيـانــه
فــهــو المخلص المهـتـدى
وفى الجنــة اروح عنــه

وهكذا يقرر البيت صراحة أن إبليس يوسوس للجميع باختياره ويستطيع إغواء غير المخلص .. ثم يصل المؤلف «جان كنابرت» إلى قمة اجترائه على الله وعلى الإسلام وأهله فى مقولته ص ٩١ : «إبليس ما هو إلا خادم يعامل بأقصى درجات القسوة على خدماته ، إذ ليس بمقدوره فعل شىء سوى اقتراح وتزيين الفعل ، وعلى الله المصادقة والأمر له بتنفيذ الإغواء ونشر الشر ، ويأتى الشعراء بعد كل هذا ويركزون فى جميع تعبيراتهم على الكراهية والاستياء من إبليس ـ الخادم ـ لأن الله لا يمكن أن يلام أو أن يحاكم بل يُتقى فقط . هكذا نجد المؤلف « جان كنابرت » فى مقولته هذه يدعو بطريق مباشر أو غير مباشر إلى محاكمة الله والعياذ بالله ـ ومؤاخذته بدلاً من مؤاخذة إبليس .. فإبليس عنده هو الخادم المطيع الذى لا يفعل سوى ما يطلبه الله منه ونسى المؤلف « جان كنابرت » أن ما سماه الخادم المطيع هو الذى عصى الله ولم يطعه ، وذلك عندما رفض أمر الله بالسجود لآدم وقال « جان كنابرت » : إن إغواء إبليس لبنى البشر إنما يتم بناء على أوامر الله(٢) .. وهذا القول يتنافى كلية مع ما جاء فى القرآن الكريم ومع ما جاء به الشعر السواحيلى كما رأينا آنفاً .

والغريب أن المؤلف اعتمد فى استنتاج قوله هذا على البيت القائل :

إذا هــديــت إنســانـــا

←

(٢) هذا على أن الدراسة العميقة لهذا الدين القويم تقرر : «أن الله يحفظ عباده حفظا تاما من إبليس وجنوده حتى إذا عصى العبد ربه قطع عن نفسه ستار حفظ الله له ، فتركه سبحانه لنفسه فسهل إغواؤه» .

وحتى يتبين للقارىء كيد «جان كنابرت» للإسلام وفساد قوله : «إن اغواء إبليس لبنى البشر إنما يتم بناء على أوامر الله» نقول ـ بعد بياننا لقاعدة حفظ الله لعباده ـ أن الله سبحانه يقول مخاطبا إبليس ـ بشأن الصالحين من عباده : «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» وصريح الآية يقرر تعهد الله ـ جل جلاله ـ بحفظ هؤلاء المخلصين . وهذا ما يعلمه إبليس إذ يقول : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الحجر الآيات (٤٢) ـ (٣٩ ـ ٤٠) ، فتابع إبليس تبعه برضاه ، وأنى لـ «جان كنابرت» هذا أن يرقى لهذه المعارف أو يعلم الفرق بين الإرادة والأمر والرضا .

مناقشة فكر المستفرقين

فليس لك إليه من طريق
حيث يصعب عليك الاقتراب منه
والدخول إليه

فأين ما يدل فى البيت على أن الله هو الآمر لإبليس بالإغواء ؟ إن ما فى البيت هو عكس ذلك تماما حيث إن الله يؤكد لإبليس أنه لن يستطيع الاقتراب من عباده الصالحين المخلصين .

٣ - الإسلام والمرأة :

وعن الإسلام والمرأة يقول فى كتابه من ص ٥٤ حتى ص ٥٩ تحت عنوان «النظرة لوضع المرأة» :

يبدو أن قولك «احترم أخاك» يقصد به الرجل فقط وأن المرأة عادة ما يكون احترامها أقل - هذا إذا ما كانت أصلا لا تحتقر - وذلك لأن شعراء عديدين خصصوا لها أبياتا فى قصائدهم يؤكدون فيها على احترام المرأة وحبها وملاطفتها كما فى هذه الأبيات :

لا ترتكب عملا
تكرهه أمك
وتذكر تربيتها لك
فهى قد ربتك مرتين
مرة وأنت جنين
وحتى جاء وقت ولادتك
فبكل ما لديها من قوة
أوضحت لك الطريق
للخروج والوضع كرها
وقاست فى ذلك منك

وحين وضعتك تنهدت
تنهيدة الكرب والخوف

وفى نفس القصيدة الوعظية هناك أبيات طويلة عن كيفية معاملة الإنسان لزوجته :

أيتها الزوجة : أطيعى زوجك
ويا أيها الزوج أطع زوجتك
ولا تسمحا لقلبيكما بالانكسار
فيمسكما الضر

ثم يقول :

وعليك تحقيق احتياجاتها
من ملبس ومأكل
وعدم إشغال بالها
ومعاشرتها بشرع الله
يجب عليك أن تفهم
أن المرأة طفل
فلا تحملها كل ما هو ثقيل
لا يتحمله إلا الرجل
ربيا بعضكما البعض
وكأنكما أم وطفل
فلا تدخليه
فيما لا يحبه

فالمؤلف «جان كنابرت» قال آنفا : «إن عبارة «احترم أخاك» لا يقصد بها سوى الرجل وأن الانطباع العام الذى يحصله الإنسان هو أن المرأة فى أحسن الأحوال تعامل معاملة الصداقة التى فيها تنازل .

هذا ليس موجودا لا فى الأبيات ولا فى القرآن ولا فى السنة المطهرة فالأبيات مذكورة أمامنا يقرأها القارىء ويشاهدها ليحكم عليها أما القرآن الكريم فيقول : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ

فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ النساء الآية ١٩ . والأفضلية فى الإسلام ليست جنسية أو عرقية ولكن الأفضلية فى الإسلام بالتقوى جاء ذلك صريحا فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات الآية ١٣ .

فنظرة الإسلام للرجل والمرأة لا ترتكز إلا على صلاح وتقوى كل منهما فيقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ النساء الآية ١٢٤.. والرسول ﷺ يقول «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذى.. رياض الصالحين ص ٩٤ وهذا يشرح سر اهتمام الشعراء السواحيليين بالمرأة ودعوتهم الدائمة لاحترامها وحبها وملاطفتها إذ أن القرآن والسنة يأمران بذلك وليس مثلما ادعاه المؤلف «جان كنابرت» - زورا - من أن اهتمام الشعراء بالمرأة راجع لاحتقار المسلمين لها .

وبعد ، فهذا قليل من كثير تعج به صفحات ذلك الكتاب القيم «مناقشة فكر المستفرقين فى الأدب السواحيلى» لمؤلفه الدكتور/ محمد إبراهيم أبو عجل .. والذى يعد - بحق - إضافة طيبة للمكتبة العربية التى ظلت لفترة طويلة فى حاجة إلى مثل هذه المناقشات الموضوعية لما كتب عن الإسلام بلغات أخرى وخاصة باللغة السواحيلية فضلاً عن إنمائه لروابط الروح والأخوة بين المسلمين ومسلمى أفريقيا وزيادة فى التعريف بهم وبمشاكلهم وما يتعرضون له من غزو فكرى وعقائدى فاسد ، وإنه لتبصرة هادفة لكل ذى مسئولية تمد يد العون لهؤلاء الإخوة المسلمين الأبرار .

والكتاب يعد دعوة جادة لكل المشتغلين فى هذا المجال لبذل الجهد فى سبيل إظهار الحق وإماطة تلك المفتريات التى يضعها المستفرقون والمستشرقون وكل من يتربصون بالإسلام .

وإن كان صدور الكتاب بلغتين هما العربية والسواحيلية لا يغنى عن صدوره باللغة الانجليزية ، ذلك أن الكتاب فى نظرى يستحق القراءة ليس من القارىء المسلم أو العربى فحسب بل يستحق أن يقرأه هؤلاء الذين قرأوا كتاب جان كنابرت - بالانجليزية - وصدقوا ما فيه من أباطيل .

وجزى الله رجال الأزهر خيرا لقاء ما يقدمون من عطاء فياض مستمر لخدمة دين الله ، ومنهم مؤلف «مناقشة فكر المستفرقين فى الأدب السواحيلى» .

محمد إقبال

ويوم من حياته

للأستاذ
محمد شلبي

من فضل هذا الدين على هذه اللغة أن افرد لها ميداناً خصه بشعراء إسلاميين ، فإذا ذكرنا عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكرنا عبدالله بن رواحة ، وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك - رضى الله عنهم - وغيرهم ، وما نمر بعصر من عصور الإسلام إلا وجدنا لهذا الميدان فرسانه حتى إذا القى بنا التسيار إلى العصر الحديث وجدنا فرساناً غمر الإسلام افئدتهم ، فإذا هم هوى الإسلام والإسلام هواهم ، وما نشك أن من امرائهم محمد إقبال - رحمهم الله -

لقى إقبال الرفيق الأعلى عام ١٩٣٨ ، يقول صاحب الرسالة عن طبيعته : « نفخ فيها الإسلام من روحه فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة » ..

هو شاعر فيه إخلاص الحق وسطوع الهدى وصفاء الفطرة - لذا كان من خير الشعراء فى عصرنا الذين أشادوا بالإسلام « يفسر القرآن بالحكمة ، ويصور الإيمان بالشعر » ، كما قال عنه صاحب الرسالة أيضاً :

« دعا إلى استقلال الذات فى الفرد عن طريق الإيمان والعبادة فى ديوانه « أسرار خودى » .

وإلى يقظة الوعى الإسلامى فى المجتمع عن طريق الثورة والجهاد فى كتابه (باك درا) أو صلصلة الناقوس .

وإلى توثيق الأخوة الإسلامية .. عن طريق التوحيد والتعاون فى ديوانه (بيام مشرق) أو رسالة الشرق .

تذوق العرب شيئاً من شعر إقبال بقلم صديقه عبدالوهاب عزام - رحمه الله - وكم أهدى عزام لجيله ومن بعده من أيد حسان بالاشتراك مع إقبال - رحمهما الله - فى ديوانى رسالة الشرق ، وضرب الكليم .

ولقد استطاع الكاتب الباكستانى ممتاز إحسان أن يلقى ضوءاً على يوم فى حياة إقبال بمقابلة شخصية مع خادمه (على بخش) الذى لازم الشاعر طوال حياته ، وتمت المقابلة مساء الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٥٧ م فى (لاهور) ، بمنزل (جاويد محمد إقبال) نجل الشاعر الذى حضر المقابلة كما حضرها من

الأصدقاء : فيروز الدين مدير مصنع لسك النقود فى (لاهور) ، وكان الحوار التالى باللغة البنجابية ، وهى اللغة الأم للخادم :

● متى كان يستيقظ العلامة « إقبال » عادة كل صباح ؟

ـــ مبكراً جداً ، وفى الحق كان ينام لماماً ، كما كان حريصاً على أداء فريضة « الفجر » ، وعقب الصلاة يقرأ القرآن الكريم ، وقد تعود أن يرتله ترتيلاً بصوت واضح ومنغم ، وذلك قبل إصابته بمرض فى حنجرته ، وبعد ما أصيبت حنجرته تعود أن يقرأ القرآن بصوت منخفض .

● ماذا كان يعمل إقبال بعد أن ينتهى من صلاته وقراءته للقرآن ؟

ـــ لقد اعتاد أن يجلس مسترخياً ، ثم يبدأ فى قراءة ملخصات القضايا التى سوف تنظر فى المحكمة ، ومن حين لآخر بينما هو مازال ينظر فى أوراقه كان يعطى نفسه دقائق للتأمل والراحة .

● وكيف تعرف أنه فى حالة تأمل ؟

ـــ كان ينادى علىّ قائلاً : احضر لى (نوتة) المذكرات وقلمى الرصاص ، وحينما أحضرهما فإنه يبدأ فى كتابة شعره بالقلم الرصاص ، ومن حين لآخر ، حينما كان يشعر بأنه غير راض عن شعره يبدو قلقاً جداً ، وحينما ينظم شعره فإنه دائماً يطلب منى أن أحضر المصحف ، وكان يطلبه عدة مرات فى اليوم ..

● فى أى وقت كان يذهب إلى المحكمة حينما كان محامياً ؟

ـــ كان دائماً يخرج قبل موعد بدء العمل بخمس عشرة ، أو عشرين دقيقة ، وذلك حين كان يقطن شارع « أناركلى » فى وسط لاهور ، وكان قد تعود أن يذهب فى عربته ذات الحصان ، ثم بعد ذلك اشترى سيارة ..

● كم سنة ظل نشيطاً فى عمله القضائى ؟

ـــ ظل نشيطاً فى عمله القضائى إلى أن أصيب بمرض فى حنجرته وكان ذلك فى سنة ١٩٣٢ ، أو سنة ١٩٣٣ م .

● ما سبب إصابته ؟

ـــ كان الوقت شتاء ، وفى الصباح ذهب ليصلى « صلاة العيد » ثم عاد إلى منزله ليلاً ، وتناول (مكرونة وزبادى) وهو الطبق المفضل لديه ، وتأثرت حنجرته ، وظل طوال الليل يسعل حتى الساعة الثانية أو الثانية والنصف ، وفى الصباح .. فقد قوة صوته ! وظل هذا المرض ملازماً له إلى أن لقى ربه ..

● وإذا عدنا إلى حياته اليومية ، ماذا كان يعمل حينما يعود من عمله القضائى ؟

ـــ كان يتخلص من الملابس الرسمية ، بمجرد أن يعود إلى منزله ، ثم ينظم الشعر حينما كان يشعر أنه فى حاجة إلى أن ينظم ، ولكى يتم له ذلك ، كان ـ كما سبق أن عرفت ـ يطلب منى (نوتة) المذكرات والقلم الرصاص والمصحف ، وكان ينام بعد الغذاء من وقت لآخر ، فلم يكن إقبال نوّاماً ، فقد كانت توقظه أقل حركة .

● هل كان يتحمل آلام المرض ؟

ـــ لا ، لم يكن قادراً على أن يتحمل الآلام ، ولم يكن قادراً على أن يرى إنساناً يتألم ، ذات مرة حينما كان ابنه « جاويد » طفلاً صغيراً أصيب

←

بجرح فى حاجبه ، ونزف بعض الدم وحينما شاهد إقبال هذا المنظر اغمى عليه .

● متى كان إقبال يتناول طعامه ؟

ـــ ما بين الساعة الثانية عشرة والواحدة ظهراً ، وكان يتناول وجبة واحدة فقط ، وعادة لم يكن يتناول طعام العشاء .

● ماذا كانت هواياته ؟

ـــ فى أوائل أيامه كان مغرماً بتربية العصافير .

● هل كان من عادات إقبال الخروج ليلاً ؟

ـــ قليلاً ما كان يخرج ليلاً .

● متى كان ينام ليلاً ؟

ـــ كان بعض أصدقائه يزورونه ليلاً ، وبعد ذلك كان يجلس هو وصديقه « شودرى محمد حسين » وكان آخر من يتركه ، كان يجلس معه ابتداء من التاسعة أو العاشرة مساء ، فإذا انصرف جلس بمفرده .

● كم ساعة كان يجلس معه صديقه « شودرى » ؟

ـــ أحياناً من منتصف الليل إلى الواحدة صباحاً ، وبعد ذلك يذهب الدكتور إقبال إلى فراشه ، ولكنه كان يقوم ليتهجد بعد أن يكون قد نام مدة ساعتين أو ثلاثا .

● هل حدث ذات مرة أن فقد أعصابه ؟

ـــ كان دائماً طيب القلب بطبيعته ، ولم يغضب إلا نادراً :

أذكر ذات مرة أن قبضنا على لص فى منزل إقبال وضربناه ، فما كان من إقبال إلا أن طلب منا الا نضربه ، ثم أعطاه طعاماً وأطلق سراحه !

● هل كان إقبال يتهجد بانتظام ؟

ـــ نعم : دائما وأبدا ..

● وبعد التهجد ، ماذا كان يعمل ؟

ـــ كان قد تعود أن ينام قليلاً إلى أن يحين وقت « صلاة الفجر » فيستيقظ ثانية .

● هل كان ينظم شعره ليلاً ؟

ـــ نعم .. حينما كان يُلهم ، وغالباً ما يكون ذلك فى الساعة الثانية أو الثانية والنصف صباحاً ، وعندئذ يطلب نوتة المذكرات ، وقلمه الرصاص ليسجل ما تجود به قريحته ، من شعر خالد » أ هـ

كان الدين نبراسه وقائده الذى أنار لروحه فأشرقت بروائع الجمال . قال :

وإذا الإيمــان ضــاع فــلا أمــان
ولا دنيــا لمــن لــم يُحـى دينـاً

أنباء وآراء

كتبت الشئون الفنية لمكتب الإمام الاكبر

● اكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الدفاع عن المملكة العربية السعودية بدعوة منها يعد واجبا لحماية دولة شقيقة وشعب مسلم من عدوان كالذى حدث للكويت .

وقال فضيلته :

إن الذى دفع السعودية إلى الاستعانة بالغير إنما هو هذا الغزو وما صحبه من تهديدات تجعل للسعودية الحق فى الدفاع عن أرضها وشعبها .

● صرح فضيلة الإمام الأكبر بأن مشاركة القوات المصرية المسلحة فى حماية الأراضى المقدسة واحد من واجبات مصر تنفيذا لقرار مؤتمر القمة العربى الطارىء الذى دعا إليه ـ تحاشيا للأزمة ـ السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

● افتتح الإمام الأكبر الدورة الإعلامية الأولى للمعلمين والوعاظ الأزهريين المبتعثين للخارج .

عقدت الدورة بمركز البحوث والدراسات الإعلامية بالهيئة العامة للاستعلامات .

يشارك فى القاء المحاضرات صفوة من كبار العلماء ورجال السياسة والاقتصاد والإعلام .

هدف الدورة تزويد المبتعثين بالمعلومات وبالخبرات التى تيسر لهم فرص النجاح فى أداء رسالتهم .

● غادر القاهرة إلى تاشقند ـ بالاتحاد السوفيتى ـ فضيلة وكيل الأزهر الأستاذ محمد بدر الدين حسام لحضور المؤتمر الإسلامى الذى يعقد بـ « تاشقند » بجمهورية أوزبكستان فى الفترة ٢٤ ـ ٢٦ من صفر ١٤١١ هـ / ١٤ ـ ١٦ من سبتمبر ١٩٩٠ م ـ بمناسبة مرور مائتين وألف عام على ميلاد الإمام أبى عيسى الترمذى صاحب الجامع الصحيح ـ أحد المسانيد الستة الصحاح .

ـ وكتب محرر الأنباء بالمجلة :

ـ مع المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة :

● سافر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى السعودية للمشاركة فى أعمال مؤتمر علماء المسلمين الذى عقد بالمملكة فى الفترة « ٢٠ ـ ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ ، ١٠ ـ ١٣ من سبتمبر ١٩٩٠ م » لمناقشة أوضاع الخليج الراهنة عقب الاعتداء العراقى على الكويت .

● قال الإمام ـ فى كلمته ـ لأعضاء المؤتمر :

إن كلمة علماء المسلمين ـ فى تلك القضية الخطيرة يجب أن تكون حكما يلتزم به كافة

المسلمين حكاماً ومحكومين إجراء لحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله ﷺ .

● أدان المؤتمر هذا العدوان ، وطالب الرئيس صدام حسين بالانسحاب الفورى عن الكويت لتعود الشرعية إليه .

كذلك أبدى المؤتمر ارتياحه لدعوة قوات من دول إسلامية وغيرها للدفاع عن دول المنطقة فى حال العدوان عليها .

ودعا الشعوب الإسلامية إلى العمل من أجل التنمية بدلاً من تبديد طاقاتها فى الحروب والخلافات ، وأن تساعد الدول الغنية شقيقاتها لتنفيذ مشروعات التنمية التى تحتاج إليها .

وقد أصدر المؤتمر فى ختام أعماله وثيقة دعا فيها إلى بناء القوة العسكرية الإسلامية بسرعة لأن بناءها هو الضمان الحقيقى والدائم بعد توفيق الله لعزة الإسلام والمسلمين واستقلالهم .

● ودعت الوثيقة كذلك إلى ضرورة التزام الدول العربية والإسلامية بالعهود والمواثيق والأعراف الدولية التى تمنع الاعتداء والتدخل فى الشئون الداخلية للدول وتعمل على إفشاء السلام فى المنطقة وفى العالم كما دعت الوثيقة الدول الإسلامية إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفقاً للشريعة الإسلامية وتبعاً لمنهج الأمة فى احترام الحقوق وتحريم الاعتداء والاستيلاء عليها بالقوة .

● وأكدت الوثيقة أن شريعة الإسلام تتسع لمثل هذا الإجراء وتستوعب هذه الضرورة وأن هناك تلازماً بين احتلال الكويت والتهديد العراقى للسعودية ودول الخليج ووجود القوات الأجنبية فإذا زالت هذه الأسباب انتفت الضرورة لوجود هذه القوات كما أكد المسئولون السعوديون .

● وطالبت الوثيقة العالم العربى والإسلامى بالتخلى عن العلمانية وتطبيق الشريعة الإسلامية فى صميم المجتمع والدولة ، لأنه لا يمكن موضوعيا وعلميا أن يُطَبّقَ الإسلام أو يصدق فى الأخذ به نظام علمانى اتخذ العلمانية منهجا فى الحياة .

● وأضاف المؤتمر فى الوثيقة التى أصدرها أنه لا يرى مبررا لإقتحام الحرمين الشريفين فى هذا الخصام السياسى والإعلامى فليس فى الأراضى المقدسة وجود أجنبى .

وأوضحت الوثيقة أن أزمة الخليج الراهنة حلقة من المخططات التى يبرها الأعداء لإيقاد الفتن والحروب فى العالم الإسلامى ، وأن غزو العراق للكويت مع منافاته للإسلام قد أتاح الفرصة لأعداء الإسلام لتشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام الرأى العام العالمى .

● ودعت الوثيقة علماء المسلمين إلى القيام بواجب البيان لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ تجاه أبناء الأمة الإسلامية ودعوتهم إلى جمع كلمتهم والتشاور فيما بينهم ليصدروا عن موقف واحد فتتحد الأمة من ورائهم .

● دعت الوثيقة كذلك حكام المسلمين إلى تحكيم شرع الله فيما بينهم وإلزام أجهزة الإعلام والتعليم بحمل رسالة الإسلام وتطبيق مبدأ الشورى الذى يغنى الأمة عن التطلع إلى مفاهيم الديمقراطية والذى يعصم الأمة من الاستبداد الذى يجعل مصائر الأمة ضحية للأهواء الفردية .

إمام الانصار بالسودان .

يشيد بدور مبارك فى احتواء أزمة الخليج .

وفى السودان أشاد أحمد عبد الرحمن المهدى إمام الأنصار بالسودان بالدور المصرى وبالتحرك القيادى البناء الذى بادر به الرئيس حسنى مبارك منذ تفجرت أزمة الخليج .

وأكد المهدى أن مبادرات الرئيس مبارك المتكررة كان لها الأثر الحاسم فى تلافى الأحداث

لما لا تحمد عقباه ، وإنقاذا لما يمكن إنقاذه من الحطام الذى خلفته التصرفات المخزية التى لا تليق بالأمة العربية وحضارتها وأخلاقها .

وقال فى رسالة بعث بها للرئيس أن الأحداث الأخيرة تؤكد أن القيادة المصرية تقع على عاتقها مسئولية عظمى تجاه العالم العربى والإسلامى .

وأعرب فى رسالته عن ارتياحه لمساعى مصر والرئيس مبارك المتواصلة لإيقاف الحرب فى جنوب السودان ووصف الحرب بأنها مخربة وتشكل خطراً كبيراً على الأمة العربية .. مؤكداً على ضرورة تأمين ظهر الأمة العربية خاصة فى الظروف الراهنة .. وأعرب عن ثقته فى أن الرئيس مبارك بحكمته وبصيرته ومن خلال موقعه القيادى المرموق سوف يصل إلى الغايات المنشودة .

الغزو العراقى للكويت يعد ضربا للصحوة الإسلامية .

وفى القاهرة أكد الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية على أن الغزو العراقى للكويت يعد ضرباً للصحوة الإسلامية فى مقتل ، وتشويها للصورة العامة للمسلمين أمام العالم ، ووصفا النتائج المترتبة على هذا الغزو بأنها باطلة لمخالفته لكافة الشرائع السماوية والقوانين والأعراف الدولية .

جاء ذلك فى اللقاء المفتوح مع شباب الجامعات المصرية بمعسكر أبى بكر الصديق بالاسكندرية .

وطالب الدكتور محجوب الرئيس العراقى بضرورة العودة إلى الصف وتجنيب الأمة الإسلامية ويلات حرب مدمرة خاسرة ، وأكد حرص مصر الدائم على التمسك بالقيم والمبادىء .

عودة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى القاهرة

قرر مجلس جامعة الدول العربية فى ختام دورته الطارئة التى اختتمت يوم الاثنين ١٠ سبتمبر ١٩٩٠ م الموافق ٢٠ صفر ١٤١١ هـ بالقاهرة الإعلان عن عودة الجامعة العربية إلى مقرها الدائم بالقاهرة ، والتنسيق مع دولة المقر الدائم « مصر » وتونس لتنفيذ القرار وانتقال الأمانة العامة بكافة إداراتها وأجهزتها المختلفة إلى القاهرة على أن يتم ذلك فى موعد أقصاه ٣١ اكتوبر القادم .

استمرار حملات الإبادة للمسلمين فى سيريلانكا على أيدى التاميل

فى خبر لوكالة الأنباء اللندنية ذكرت الوكالة أن المتزمتين التاميل قاموا بشنق « ثمانية عشر » مسلماً واختطفوا « اثنين وعشرين » مسلماً أخرين فى أكبر حادث مأسوى يقع للمسلمين هذا الأسبوع .

وذكرت الوكالة نقلاً عن السيد « وفا فارون » أحد كبار زعماء المسلمين فى سيريلانكا قوله : إن متمردى التاميل قد وضعوا منشورا بالقرب من الجثث يهددون فيه المسلمين فى المنطقة بأنهم سيواجهون المصير نفسه إذا لم يتركوا المنطقة خلال أيام .

المسلمون فى التسعينيات ومابعدها

بهذا العنوان عقد الاتحاد الإسلامى بأمريكا الشمالية مؤتمره بمدينة دنتون بولاية أوهايو الأمريكية فى الفترة (١٠ ـ ١٣ من صفر ١٤١١ هـ) .

بحث المؤتمر شئون المسلمين فى أمريكا الشمالية وسبل إنجاح الدعوة الإسلامية وذلك للتغلب على ما يعوق نشر الإسلام فى الولايات الشمالية . كذلك اهتم المؤتمر بتزويد مكتبات المراكز الإسلامية بأمهات الكتب حتى يسهل على حديثى العهد بالإسلام فهم تعاليمه .

الفهـــرس

● الافتتاحية « الله »
د . على أحمد الخطيب ٢٥٧

● بيان من الأزهر الشريف ٢٥٩

● حوادث العراق والكويت
تحقيق صحفى مع الإمام الاكبر
اجراه مهدى عبد الحميد ٢٦٢

● من سيرة المصطفى
للأستاذ عبد المنعم محمد عمر ٢٦٨

● نسب خير من جاء الوجود ﷺ
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٢٧١

● القربان
للأستاذ محمد على الطعمى ٢٧٦

● من فقه الكتاب والسنة
د . أحمد فهمى أبو سنة ٢٨٠

● الإسلام يترفع بالمسلم عن ذل السؤال
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ٢٨٦

● سعد بن ابى وقاص « فارس الحرب والسلام »
أ . د . عبد العزيز غنيم ٢٩٠

● الإسلام وليبريا
للأستاذ/ محمد المتناوى ٢٩٧

● من تاريخ الأزهر « تقرير عن مشروع إلغاء القسم العالى من معهدى اسكندرية وطنطا »
بقلم فضيلة الشيخ محمد الأحمدى
تقديم د . مجاهد توفيق الجندى ٣٠٣

● الفدائية والتهلكة
د . محمد رجب البيومى ٣٠٨

● فضيلة الرضا
للأستاذ السيد عبد الفتاح خضير ٣١٢

● كشمير المسلمة
للأستاذ أحمد تقى الدين ٣١٤

● من العناصر الهامة فى العمائر الدينية الإسلامية « المحاريب »
بقلم أحمد رجب محمد على ٣١٨

باب الشعر والشعراء

● احذر قبل فوات الأوان
رشاد محمد يوسف ٣٢٤

● تحية شعرية لمصر الحبيبة
للشاعر محمد ضياء الدين الصابونى ٣٢٥

● ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل
للطغرائى ٣٢٦

● شعراء فى محراب النبوة « كعب بن مالك الانصارى »
للأستاذ أيمن محمد ميدان ٣٢٨

● العلوم الكونية
« ثورة الموصلات الفائقة عالية الحرارة »
أ . د . أحمد فؤاد باشا ٣٣٤

● الأشعة الكونية
للدكتور محمد عبد الرحمن سلامة ٣٣٩

● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٤٤

● من روائع الماضى لمجلة الأزهر « عبدة الأهواء »
اعداد عبد الفتاح حسين الزيات ٣٤٦

● ذلك الجمع المفتوح فى لغتنا الخالدة
د . عبد الرءوف محمد عثمان ٣٥٠

● مناقشة فكر المستغرقين فى الأدب السواحيلى
عرض عادل رفاعى خفاجة ٣٦٠

● محمد إقبال ويوم من حياته
للأستاذ محمد شلبى ٣٦٦

● انباء واراء
عبد المنعم حافظ فودة ٣٦٩

● القسم الانجليزى
د . أنس مصطفى النجار

● المقالة الثانية
للأستاذ عبد الحكيم احمد طه ٣٧٦

● المقالة الاولى
د . انس مصطفى النجار ٣٨٢

understanding that everything of value and consequence, everything of meaning and measure, everything of respect and preciousness, everything of goodness and quality, everything of virtue and grace; should in their totality be considered as elements that require observant care and suitable management manipulation. Everything beneficial in the life of mankind is delicately sensitive and falls within the broad meaning of the Hadith. Family relations between wife, husband and childen, require liniency, strength in knowledge and tender care. The various practices of educational cultural institutions are superior functions in human life that require superior systems of operation. Social culture and adminstration are matters that demand constant attentive supervision. National and International practices and relations, progress, economy, human health and all matters relevant to the life of mankind should be considered aspects that require alertness, efficiency, strength of knowledge, and meticulous managerial capabilities.

The composite meaning of the Hadith portrays that all matters related to the functional activity of human life, should be guided and manipulated with utmost care. The advice given by the Prophet actually pertains and implies all elements of existance. It involves the most fundamental roots of human value systems. Careful nuturing of these roots results in progressive prosperity of man's communal life. That was the generality of purpose of this Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

---

* This article was translated from the Arabic original by : Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

The traditions of the Prophet originating from Quranic precepts, certainly brought about radical metamorphosis in the conceptual cultural understanding of the proper functional capacity and potency of the female component of the human society. This ecumenic social transformation was part of a generalized cultivation of the mind, refinement of understanding which were introduced by the Divine doctrines of Islam, to induce a developmental refinement of mankind, to enlighten the human mind from ignorance to kowledge.

The present Hadith, also posseses a generality of purpose, and therefore becomes presumptive and implicative to all aspects of life. Scholars agree that the essentials of jurisdiction are evidentially contingent on the generality of purpose, rather than the particularity of occasion. Conceding with this premise, the term "Quareer" (Ewers) in the Prophet's Hadith signifies the general understanding of every article of value in our life. This includes our utensils, our instruments of work, machinery, devices, apparatus, implements, tools, automation systems, everything that is the outcome of man's invention and innovation throughout the ages of progress. These organs of resources are considered articles of extreme value and delicate nature in the life of man. The giant factories, the precision instruments, from the simple forceps to the most advanced technology fall under the general understanding of Quareer, (Ewers) in the Hadith. Every instrumental device is the product of scientific progress, and a masterpiece of supreme carftsmanship; and should be attended with true attention, concern, observance, and optimized safe handling. They are objects of extreme value in human life, and should be, according to the meaning of the Hadith, handled and manipulated with utmost diligent meticulous watchful attention.

This general implication of the Hadith, signifies that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was the first to advocate in advising premonition to the whole Human race, that our instruments and faculties of progress should be thoroughly preseved by careful manipulation and precise delicate handling. Coarse, crude uncouth and unrefined management of such sophisticated delicate agents of human progress, will result in retardation of continuity of progress. The whole spectrum of human race should be taught to respect in esteem the elements of progress and advancement.

This broad understanding of the Prophet's Hadith comprises the dimensional extremes of human existance and function. It includes the

component of the human race, with respect, and above all with indulgent gentleness.

Such functional appropriation came about in Islamic thought as an ecumenic civilized attitude towards the liberation of women to find their pròper status in the human society. The Prophet of Islam focussed the attention on the real understanding of the dimensions of the position, duties, and responsibities of women in the human society as qualified and justified by Islamic teachnigs. At a time when all human societies regarded women as creatures with no right and no responsibilities, only as an article to be used; Islamic doctrines came about to grant women social identity, a body to chastise and respect, a mind to think, and a soul to honour. With these qualities, women in Islam became emancipated to have rights, responsibilities and functions in life.

The Hadith in its context is a corelation to the congruent similarity of the woman to the ewer. There is reference to the frail elegance, the elaborate ornamentation of the woman, and also of the ewer. The woman carries with her the continuity of human life through the function of the womb. Her patient nature emotional feelings, supreme sensitiveness, all form part of her feminine constitution. The ewers are easy to break and damage; women are also very sensitive to pyschological injury, and hurt of feelings. For such reasons the purpose of the Prophet's Hadith remains true to the present day and will remain so to eternity. Indeed with the existing human stress and complexity of human life, feminine nature requires careful liniency but not neglect, support in strength but not brutality. A woman is unhappy in association with masculine cruel ruthlessness, and indeed most unhappy if treated with neglect, inattention, thoughtlessness and indifference.

The Hadith signifies that Islamic thought optimizes the paradigm of women in human communities. The profound completeness of her feminine roie, the intricate ultrasensitive constitution of her spititual matrix, and the complex microanatomical structure of her psychology. This makes the female highly ornamented and beautified in her external appearance; and also exceedingly passionate, tender, emotional, and gentil at the inner depths of her character. Any infringement on these highly sensitive characteristics is detrimental to the feminine natural responses, and conducive to behavioral alterations.

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

"TENDERNESS TO THE EWERS"

BY. ABDEL-HAKIM AHMAD TAHA

Tenderness is an emotional state of linience, concern and watchful attention. It is a compound condition of attentiveness that demands diligence, thoroughness, loving care, strength, knowledge and concept. The word also comprises the understanding of fostering, nuturing, to favour and sympathize, render assistance and support with gentle clemency and tolerant compassion.

The "Ewers" is the plural of "Ewer" which is a recepticle of glass, ceramic, porcelain, glod, silver, used for keeping liquids and fluids of any kind. Such recepticles are characterized by elaborate ornamentation, embellished beauty, and expensive make. They are also very frail, vulnerable, sensitive to feeling and to touch, easily damaged, difficult to heal or repair. Every article of delicate elegance, attractive beauty, expensive value and of significant importance is classified in this context as an "Ewer". The arabic syntax of the root word is "Qarourah", plural "Quareer", which is a recepticle of meticulous make, elegant beauty and therefore effeminate in nature, and properties.

The present Hadith of the Prophet signifies a particularity of occasion and a generality of purpose. The occasion was when a camel driver companion to the prophet, frightened some of the women by severely handling their camel. The Prophet addressed the man by the famous Hadith- "Rifqqann be-al-quareer" (Tenderness to the Ewers). Therefore the Hadith was a particular instruction, an advice and admonition from the Prophet to be tender, linient and graceful to women. In practice, the Prophet himself was very gallant, courteous, well behaved, respectful and refined during his associations with women. He was aware of their femininity, their physical sensibility, and their affectionate passionate nature. On several accasions, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) advised that women should be dealt with dignity as an integral

Indeed during the reign of Omar Ibn Al-Khattab, the implementation of the standards of governance developed to compose within itself the rapid growth of the Muslim nation. It was a growth in territorial expansuion, social and economic changes, cultural interactions of the various tribal origins in the region, and above all the theological impact of the Muslim faith and Muslim law of Shariah.

The new system of governance was totally Islamic founded on "Authority through Consultation", and the real Authority of government of office was by public proclamation of fealty to the head of state. The man in office of authority was completely restricted and governed by the doctrines of Islam. The individual dignity, self respect, and sense of freedom energized a social environment of stability and equality. Every man was within the responsibility of what the Quran and Sunnah decreed, no man was exempt. These were the elements of Islam enlightment of humanity, and the roots of social promotion, civilization and liberation of mankind.

The formulation of a seperate Fiscal System in the reign of Omar Ibn Al-Khattab imposed itself, and became necessary as another independent administration due to the extensive incomes and revenues that paralleled the geographic territorial Muslim expansions. This new socioeconomic impact on the Muslim community had to be administrated with maximum proficiency. The proper use of expenditure and distribution of wealth was a major concern of Omar. This major issue of importance, unprecedented in Arab or Muslim history, induced Omar to resort to consultation. He consulted the most eminent of Prophet's companions, men of knowledge, the Muhagereen and the Ansars. The final resolution was to construct a register of all people. This register included all the names of the members of every clan and tribe. This included men, infants, children, widows, orphans, and old age. Omar Ibn Al-Khattab entrusted the task of the register to Uqail Ibn Abi Taleb, Makhzamah Ibn Nofal, and Jubayr Ibn Mutaam. The purpose of the register in the mind of Omar was to leave the Arab warriors totally free to crusade on the path of Allah. This register indicated the name of every individual, and the amount of payment alloted to him. Omar Ibn Al-Khattab declared "The allowance of the shephard and herdsman in the distant valley of this land should reach him where he is". The register included every member of the Arab population, nobody was left out. The annual allowance was prescribed according to the effort spent in Islam, the individual needs, and the duties imposed. Every tribe and clan had its own register kept in the custody of the head of the clan, or kept in the responsibility of the commissioner of every region in the domain of Muslim territories.

This complex function necessitated the organization of a revenue administration, and a treasury. The revenue administration was the responsibility of Arfagah Ibn Harthamah, Utbah Ibn Farqad, and Abd-Allah Ibn Al-Muttam. The inhabitants of Iraq, Syria, and Palestine were the owners of their lands. The purse of the Zakah and the other charity funds were distributed among the inhabitants of these regions. Muslim warriors in these territories were not allowed to own land property in these regions. The construction of the registry took place between the fifteenth and twentieth year of Hijrah. The registry and the treasury were established for the first time in Arab countries in the regin of Omar Ibn Al-Khattab. Associated with that, Omar established a mint factory for coinage. A separate municipality was erected in each territory to be the office of the commisar where he performed his duties. At Al-Madinah, Omar Ibn Al-Khattab took his office at part of the Masjid, similar to what Abu Baker and the Prophet had done before.

→

appointed judges to settle disputes between people. Omar entrusted the judiciary matters at Al-Madinah to Aly Ibn Abi Taleb, and Umair Ibn Amer Ibn Al-Khazraj. Other famous personalities.that were appointed as judges were Shurayh Ibn Al-Hareth Al-Kandy.; Abu Mousa Al-Ashary, Qays Ibn Abi Al-Aas Al-Sahmii, Ias Ibn-Subaih, Kaab Ibn Sur Al-Azadi and others. These judges were totally independent in jurisdiction, they practiced the Muslim law of Shariah as doctrined by the Holy Quran and Traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar himself was highly educated and conversant in the subject of Islamic law of Shariah. His life as the Prophet's companion, and minister to Abu Beker enriched him with copious knowledge in this field. This knowledge enabled Omar to nominate and choose the judges from among those who were pious and knew best the intricate matters of Islamic administration of justice.

The deep seated sense of justice in Omar's mind, and his knowledge of its basic precepts, made him formulate rationalities in magistrate arbitration and legal actions. He wrote "The administration of justice is a divine ordinance and a tradition to follow. The duty of the judge is to conceive the evidence, and to decide when confidently sure. It is fundamental to treat opponents with equality. The prosecutor provides evidence, and the defender is under oath. Amenities between oponents are encouraged, except those that infringe on the rulings of Quranic Decrees. Truth is old and far-rooted, returning to it is justice, defecting from it is inequity. Abstain from impatience, nervousness and irrational decisions. Justice when justified adds to the confidence and purifies the intention". These were few of what Omar wrote as elements of widsom to impress upon the mind the essential dimensions of the firm and continuous desire to render to every individual that which is rightly his.

The institution of Judiciary office as a separate function from the state authority was an act of wisdom and supreme administration. This action developed through the years that followed into an established system of the Muslim State. This separation of the judiciary function from the state authority prevented the totalitarian dominance of the state, and therefore safeguarded the implementation of individual rights, social justice, communal dignity, and the concept of freedom. The independance of jurisdiction provided a status of prestige and dignity to the position of judge. This position necessitated wisdom, knowledge, intelligence, discretion, scrupulous character, piety, and confident self respect.

Omar wrote to the heads of Muslim States who were acting on his behalf "Make the people equal in rights, beware of bias and discrimination, institute rational logic do not pass judgement in anger, and always be on the footing of justice". Omar carried the responsibility for the action and conduct of his commissioners, for they were his choice to act on his behalf to govern the affairs of Muslims.

Omar Ibn Al-Khattab commissioned several commisars to govern the various Muslim states. These governers were selected with precision, and remained under permanent observation by Omar himself, and by public opinon from the people. Several of these governers and commisars remained several years in office, some were withrawn and replaced by others. Some of Omar's commisars that remained a considerable period in office were Attab Ibn Assied at Maccah, Osman Ibn Abi Al-Aas at Al-Tayef, Yaala Ibn Muniah at Al-Yamen, Huzaifah Ibn Mihsan at Uman and Al-Yamamah, Al-Aala Ibn Al-Hadramy at Bahrain, Abu Ubaydah Ibn Al-Garrah at Syria, Saad Ibn Abi Waqqas at Al-Koufa, Al-Mugherah Ibn Shubah at Al-Basrah, and Amre Ibn Al-Aas at Egypt. Several other personalities were popular as Omar s commisars, of these were Abu Mousa Al-Ashary, Umair Ibn Saad, Muawiyah Ibn Abi Sufyan, Rabie Ibn Al-Afkal and others. Omar carried out periodic consultations with these governners; and solicited news of their performance in office by meeting with the people during the Hajj season. Omar Ibn Al-Khattab always made certain that strict standards of justice were instituted by the commisars in the various Muslim states.

The policy of Omar in this respect aimed at optimizing the standards of governance to be strong in practice and most efficient in justice. The commisars of Omar were cognizantly perceptive of the precise understanding of governance. In a speech by Umair Ibn Saad, one of Omar's commissioners; he said "Islam will remain strong with the strength of rule, however, the strength of rule is not by brutal force, it is by the foundation of right and the implementation of justice".

During the early years of Omar's office, these commisars were responsible for every aspect of rule. They combined the duties of military commanders, attending to judiciary matters, implementation of standards, and other duties. When responsibilities expanded and increased, Omar Ibn Al-Khattab separated the responsibility of judiciary and tribunal affairs, and

requirements and demands of the community. Every man, woman, child, and infant was a responsibility of Omar. From his experience with such practice of proximal relationship with the people, Omar could reach standards of social legislations that were very justifiable to the needs of the community. These legislations conformed with the intricate teachings of Islam of which Omar was very aware. The precise implementation of kindness, the cognizance and attention to the needs of the community, formlated a popular potentate chancellor of the people who was grealty loved, respected and avowed. Omar personally attended to every detail of administration, the strategy of the crusades in Iraq and Syria, the supervision of governers in the various states, the administrative policy of the nation, the judiciary matters, and the personal solicit of every element matter. He was observed once following a stray camel, and when asked, he answered "That was a stray camel that belonged to the state, I had to retrieve it". To that meticulous degree Omar Ibn Al-Khattab was consciously apprehensive of the duties of his office.

The administration of Omar Ibn Al-Khattab was distinctive by a supreme opitimized practice of justice, which became throughout human history very portrayal in its thoroughness, and exemplary of its quality. The basic codes of jurisdiction upon which the dimensions of such system of justice were structured, were the laws of Islamic Shariah in their most comprehensive concepts. To his kinsmen, Omar was very strict inded, making them as example to others. He ardently believed that the institution of justice was the most concrete foundation for human promotive culture, and progressive human civilization of refined enlightment. That was the path to human freedom, emancipation, dignity and respect.

Omar Ibn Al-Khattab developed a self composed system of selective discretion for the choice and oppointment of the various governers for the different states to act as his deputies. His famous words were "people are always on the right path, as long as their governers are straight". Throghout all Muslim territories from the north regions of Syria and Iraq, to the south coast of the Arab peninsula, justice became a popular common social standard ensured for all individuals at all levels of the society; from the governer to the ordinary man, from the richest to the poorest, and from the oldest to the youngest infant. The governers, answering to the function of office were strictly responsible for the administrative institution of justice.

OMAR IBN AL-KHATTAB

The IMPLEMENTATION

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Ph. D.

The reign of Omar Ibn Al-Khattab was characterized by an optimal practice of the basic precepts and injunctions of Islamic standards and guidelines. Omar Ibn Al-Khattab functioned as an intimate close companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and after that as an advisor to Abu Bakre Al-Siddiq. His knowledge of Muslim Theism, Arab history, tribal socio-psychology, human trends and nature; were indeed excellent. His insight, preceptive wisdom, piety, war strategy, peace administration, and his unequalled discriminative rationality enabled him to continue the implementation of standards of the regime founded by the Prophet, and established by Abu-Bakre Al-Siddiq.

The concept of authority in the mind of Omar Ibn Al-Khattab was very specifically clear, precise, subject to a rigorous system of self judgement and analysis. He conceived authority as grave responsibility extorting for itself the reverence of incumbent moral obligation of its sacred duty. He denied in absoluteness the spectacle of ornate flagrance and ostentatious pageantry associated with authority. This great apprehension was expressed as he said "How can I concern myself with the affairs of the people, unless I share the tribulations they endure".

The geographical expansions, and the affluence of the Muslim nation in the reign of Omar Ibn Al-Khattab did not change his humble primitive style of life. His supreme sense of office made him conceive his duty towards every individual of the Muslim nation, their welfare, their property, their culture, their unity, their freedom, their rights and their most intimate social relationships. He understood that social kindness, love, magnanimity, amiability, sincerity and devotion were essential requirements for prosperity and social resplendence.

The annals of Islamic history are very rich with narratives of how Omar Ibn Al-Khattab was very intimately close to the daily life,

// AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 63, PART III
Rabie Al-Awal, 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab
The Implementation
By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Roots of Wisdom
Hadith of the Prophet
Tenderness to the Ewers
By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

> ***"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".***

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

ص ١٢٨
ع ٣٤٤٤٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الله

مُنْزِلُ الكتاب بهذا الدين السمح على رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وهذا الدين لمن يرغبه ، وثمارهُ لمن يبذرها عن حُبّ ، ويتعهدها بملازمة فيجنيها زاهرة يانعة ، تسعى إليه قبل أن يسعى إليها ، وتانس إليه اضعاف شوقه إليها ... واية غرابة في ذلك .. ؟!

تلك سنة الله ... قانونه الفطرى الذى لا يتخلف ، وهل مِنَّا احد ينفر ممن يحبه ، او يرضى بهجره ؟! فما بالك بدين هو .. بطبيعته يحسن إلى من أساء.إذا سعى إلى الله بتوبة صِدْقٍ شِبْراً سعى الله إليه ذراعاً ، وإذا سعى إلى الله ذراعاً سعى إليه ـ تعالى ـ باعاً[1] ، وفَرِحَ ـ جل وعلا ـ بتوبته اشد مما يفرح العبد بتحقيق رغبته ، بل يضيف إليه حُبَّ الناس فيه .

هؤلاء المحبون يهديهم الله لنوره ، ويتقبل منهم احسن ماعملوا ، ثم هم الابرار في عليين .

عزيز عليهم اسمه تعالى ... يحفظونه « قولاً » و « فعلاً » ، ولا يتهاونون بشانه على اى حال ... هو على السنتهم ذكر ، وهو في قلوبهم تقوى .

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع
السنة الثالثة والستون
ربيع الآخر ١٤١١ هـ
نوفمبر ١٩٩٠ م

الله

روى أبو بكر احمد بن محمد المروزى فى « الورع » عن الإمام ابى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه ـ قال : عن ابان عن انس قال ، قال رسول الله ﷺ :

من رفع قرطاساً[٢] فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) إجلالاً لله أن يُدَاسَ ، كُتِبَ عند الله من الصديقين ، وخُفِّفَ عن والديه العذاب وإن كانا مشركين » ، فما بالنا بقوم غفلوا عن منزلة هذا الاسم الجليل ؟! وتهاونوا فى حقه ، وما أكثرهم من المسلمين الذين نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم .

يتندرون بأسماء الله ، ويتلاعبون بها ، ويستكثرون من الخلط فيها رغبة فى إضحاك الناس ، وسعياً إلى (شهرة) مثيرة،و (مال) وفير .

وأبرز مايكون هؤلاء عصبة من أهل الفن لا تخلو ـ أبداً ـ مسرحية لهم ، أو فصل فكاهى فيها عن هذا التلاعب بالخلط والتلبيس وإخراج أسماء الله مختلفة تماماً عن اللفظ الصحيح ، وخذ إلى ذلك من آيات الله تعالى ، وأسماء أصحاب رسول الله ـ ﷺ ماشاعت هذه العصبة :

يقولون،والناس يضحكون !

غفلة مِمَّن ضَحِكِ ، وجُرْمَ مِمَّن أَضْحَك !

ولستَ تطلب ترويحاً عن نفسك بعد يوم شاق أمام مسرحية من هذه ، أو رواية ، أو فصل عارض إلا قمتَ آثما مما سمعت وشاهدت من طعن فى هذا الدين على ألسنة هؤلاء الفنانين .

وما كان لى أن أطلق عليهم لفظ (الفنانين) أو على أحدهم لفظ (الفنّان) إلا أنهم رضَوْها لأنفسهم ، وليس بصارف معناها الأصلى إضافة حديثة ضمها (المعجم) فالمُوَلَّدُ غير الصريح .

ثم لاعلينا :

إن الله أنذر ، وبَيَّنَ ، ولا حجة لأحدنا فى الإنصات إليهم ..

يقولون : لهو برىء ....،وأي براءة وهم يؤذون الله ورسوله والمؤمنين .

يقولون : « إنما كنا نخوض ونلعب » .

ويقول المولى عز وجل :

﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ التوبة ٦٥ ـ ٦٦ .

فأما نحن ـ المشاهدين والسامعين ـ ونسأل الله أن يتوب علينا ، فقد قال تعالى ـ لنا :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ .

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ النساء ١٤٠ .

نعم من رضى بهذه الفِعال ، وجلس يستمتع بها ويضحك لها ، فهو تماماً مثل الذى أضحكه .. هذا قال فأفرط ، وذاك شَجَّع واستكثر .

نسأل الله التوبة والعصمة من الزلل .

د.علي أحمد الخطيب

(١) الباع : مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالاً .. الوسيط .

(٢) ورقة

الاحتفال بمولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

نص خطاب الرئيس

محمد حسني مبارك في حفل مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

في ذكرى ميلاد الرسول محمد

صلى الله عليه وسلم

بيان

من الأزهر الشريف

نص خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك

فى حفل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى ليلة الثلاثاء التى تشرق على الناس بميلاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى مسجد محمد على بالقلعة القى الرئيس خطابه التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

● الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات الاعزاء ..

يسعدنى كل السعادة أن التقى بكم فى هذا الملتقى الكريم ، لكى نحتفل معاً بذكرى ميلاد نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كما يسعدنى غاية السعادة أن أقدم أخلص التهانى لكم ، ولكل المواطنين فى مصرنا الحبيبة ، وإلى كل الأشقاء فى أمتنا العربية المجيدة ، وإلى جميع الإخوة فى عالمنا الإسلامى العزيز .

وابتهل إلى الله عز وجل فى هذه الليلة المباركة ، أن يكشف عن أمتنا الغمة وأن يصون أبناءها من كل ملمة ، وأن يحفظ عليها نعمة الوحدة ، ويربط بين قلوبها برباط المحبة ، وأن يبسط عليها مظلة السلام ، ويجعل رحمته درعاً تحميها من كل الأخطار ورعايته حصناً يحفظها من كيد الأشرار ..

فى الذكرى قيم إسلامية رفيعة .

● وبعد أيها الإخوة .. فهذه الذكرى ينبغى أن تذكرنا بتلك القيم الإسلامية الرفيعة التى أرساها صاحب الذكرى ـ صلوات الله وسلامه عليه ، تلك القيم الخالدة الإنسانية ، التى جاء بها وحياً عن ربه لصالح البشرية ولدفعها إلى آفاق التقدم ، والصعود بها فى مراقى السمو والتحضر ، ولاسعادها فى ظلال الأمن والوئام والاستقرار والازدهار والسلام ..

وليس الأمر أمر تذكير فقط ، وإنما الأمر أمر أخذ بتلك القيم ، وبالعمل بما توجبه من سلوكيات ، وما

تفرضه من علاقات وسياسات .. وبهذا تكون احتفالاتنا بالذكريات المجيدة استلهاماً يدفع إلى خير الأمة ، ودرساً ينتج نجاح الجماعة ، ومنهاجاً يوجه إلى الطريق القاصد ويصل بنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ إلى الأمل المنشود .

على أن هذه القيم المحمدية الخالدة ليست مجرد تجريدات ونظريات ، وإنما هى مبادىء عملية قد زُرعت فأثمرت وُطبقت فأبدعت ، وكان من ثمارها وإبداعها ماأحدثت من تغيير شامل فى حياة العرب أولاً ، ثم فى حياة بقية الشعوب ثانياً ، ثم فى صنع الدولة الإسلامية الشامخة والحضارة الإسلامية الباذخة . ومعروف أن الدولة الإسلامية كانت فى عهود ازدهارها ـ التى استمرت عدة قرون ـ أرقى الدول ، كما كانت حضارتها واحدة من أعظم الحضارات .. ولم تتخل تلك الدولة عن مركز الصدارة إلا حين تخلت عن تلك القيم ، وتنكبت طريق تلك المبادىء .. ولذا كان علينا أن نعود إلى تلك الدعائم الإسلامية الإنسانية الرفيعة ـ التى أرساها صاحب الذكرى العطرة ـ لكى نعيد صياغة حياتنا على مثلها ، ونعلى بناء أمتنا على أصولها وبهذا نصلح ما فسد من أمورنا ، ونقوِّم ما أعوج من سبلنا ، ونصبح بذلك جديرين بالانتساب إلى نبينا والانتماء إلى ديننا ..

حياة العرب قبل الإسلام

أما حياة العرب ، فقد حدث فيها بالإسلام ما يشبه المعجزة الكبرى التى يعرفها كل من له إلمام بالتاريخ العربى والإسلامى .. فقد كان العرب قبل الإسلام يحيون حياة جاهلية متخلفة أهم مظاهرها القبلية الممزقة ، والعدوانية الغاشمة والاستبدادية المتحكمة ، والطبقية المتسلطة والتفرقة الظالمة .. فالقبائل شتى ، وهى تتصارع دون تعقل وتعتدى دون رفق ويتسلط رؤساؤها دون مشورة ، كما يتمايز فيها الناس بالأصول والعروق ، ويتفاخرون بالأحساب والأنساب ، ويعتزون ـ دون رادع ـ بالقوة الباغية ، ويستدلون ـ دون تحضر ـ بالهمجية الطاغية ، كما ينقسم الناسُ فى تلك الحياة القبلية الجاهلية ، إلى سادة متجبرين وعبيد مقهورين ، وإلى أقوياء معتدين وضعفاء مسلوبين ، وكانت بعض الحروب ـ فى أيام العرب الجاهلية ـ تستمر سنوات وسنوات ، بينما تكون قد شبت لأتفه الأسباب ، بل كثيراً ما اشتعلت الحرب لمجرد الرغبة فى إظهار القوة واستعراض السطوة والتباهى بالغلبة ، فإذا لم يجد المعتدى عدواً يوجه إليه غارته ، كان يشن تلك الغارة على قريبه بل على أخيه ، ومن هنا قال شاعرهم مفتخراً بغارات قومه على أقربائهم وإخوتهم من قبيلة بكر :

واحيانا على بكر اخينا   إذا لم نجد إلا اخانا

دعوة الإسلام إلى إقامة دولة متحضرة

ثم جاء الإسلام فدعا إلى الترابط والوحدة وإقامة الدولة المتحضرة ونبذ التفرق والتمزق وقضى على القبلية المتخلفة ودوى فى الآفاق صوت الحق سبحانه :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

كما دعا الإسلام إلى الإخوة والمحبة . واحترام حرية الغير وتقديس حرمة دم الإنسان وعرضه وأرضه فقد علت صيحة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » بل جعل المسلم هو « من سلم الناس من لسانه ويده » . ثم ختم تعاليمه الإنسانية الرفيعة بقوله الخالد فى خطبة حجة الوداع : « أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا » .. كذلك دعا الإسلام إلى المساواة بين الناس . ونبذ كل تفرقة أساسها الأنساب والأحساب أو الأجناس والألوان ، فنقل محمد إلى البشرية وحيا عن ربه : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . ثم فسر هذا الدستور الخالد بقوله ـ صلوات الله عليه ـ : « الناس سواسية كأسنان المشط ، ليس لعربى فضل على عجمى ولا لأبيض فضل على أسود إلا بالتقوى » .. وأكد تلك المساواة بقوله الحاسم : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ..

ورسم الطريق الحق أمام الله وأقرب الناس إليه ، حين نهاهم أن يأتوه بأحسابهم على حين يأتيه الناس بأفعالهم .. بل إنه ـ صلوات الله عليه ـ تلقى وحياً عن ربه سورة من سور القرآن الكريم تقبح مسلك عم من أعمامه وتنذره بنار جهنم ، وذلك جزاء لما قدمت يداه من آثام ضد قيم الإسلام ونبى الإسلام . ذلك العم هو أبو لهب ، الذى أنذره الله بأنه ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ والذى لم تشفع له قرابته ـ الحقيقية ـ للرسول ، أو تحل بينه وبين أن يكون ـ بسبب عمله وشره المستطير ـ من المستحقين لجهنم وبئس المصير .

كذلك دعا الإسلام إلى التعاون والتكافل والمسئولية المشتركة حين يتعلق الأمر بسلام الأمة وكيان الجماعة ومن هنا نادى بدفع الظلم والتصدى للبغى والضرب على يد المعتدى .. وما أروع قول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا رأيتم الظالم ولم تأخذوا على يديه ، يوشك أن يعمكم الله بعذاب من عنده » بل ما أبلغ تلك الصورة التى قدمها الرسول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ليجسد أمامنا بشاعة المعتدى على حق المجتمع بزعم أن ما يفعله إنما هو حقه ، وفى نهاية تلك الصورة يوضح الرسول عاقبة السلبية فى معاملة هذا العادى على حق الجماعة وهى عاقبة وخيمة وبيلة ، لأنها الهلاك للمعتدى وللساكتين السلبيين جميعاً .. أما تلك الصورة ، فهى تمثيل المجتمع بقوم ركبوا سفينة فاقتسموا أماكنهم فيها . ثم جاء أحد الراكبين وراح يثقب المكان الذى تحت قدميه بحجة أنه يخصه ولا شأن لسواه به .. ثم يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاثاً للجميع على الضرب على يد هذا المهدد لأمن الآخرين وحياتهم :

« فإن هم أخذوا على يديه نجا ونجوا ، وإن هم تركوه هلك وهلكوا » .

وإلى جانب ما تقدم من قيم رفيعة ، دعا الإسلام إلى الصدق والأمانة واحترام العهد والوفاء بالوعد ، كما دعا إلى الوقوف إلى جانب الضعفاء والمقهورين ، ونجدة المستجيرين والمظلومين .. عملاً بمبادىء الشرف ، وتمسكاً بقيم المروءة ، واحتراماً لإنسانية الإنسان الذى كرمه الله ، وجعله خليفته فى أرضه قصداً إلى إعمارها وازدهار الحياة بالحق والخير والعدل وصالح الأعمال فيها .

نضال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإرساء المبادىء الإسلامية

وناضل الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجل إرساء هذه المبادىء ، وتحمل فى سبيل نشرها وتغيير المجتمع العربى على نهجها . وظل ـ صلوات الله وسلامه ـ عليه يكافح ثلاثة عشر عاماً فى مكة ويتحمل فى هذا الكفاح ما يفوق طاقة البشر ، ثم انتقل مهاجراً إلى المدينة ، وظل عشر سنوات بها فى معارك من أجل تدعيم هذه القيم وترسيخ تلك المبادىء .. وأخيراً لقى ربه وقد ترك فينا هذا الدين

القويم ، الذى تتألق فيه هذه القيم والمبادىء كما تتألق النجوم فى السماوات العلى ، وهذا الدين دستوره القرآن الكريم وشرحه وتفصيله السنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة ، وفى القرآن والسنة يقول ـ صلوات الله عليه ـ : « فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » ..

بتلك القيم والمبادىء تغيرت حياة العرب

وهكذا تغيرت حياة العرب بتلك القيم والمبادىء الإسلامية الإنسانية الخالدة ، فتجمعوا بعد تفرق وتوحدوا بعد تمزق وصارت لهم دولة مهيبة موقرة بعد أن كانوا يعيشون فى قبائل مشردة مبعثرة وحل الحب بينهم والسلام ، محل العداء والحرب والخصام ، وصار مجتمعهم يقوم على المساواة الإنسانية لا على العنصرية ولا الطبقية وأعليت بينهم قيم الحرية وتقديس حق الغير ، وحرمة دمه وعرضه وماله ، فلا بغى ولا عدوان ولا ظلم ولا طغيان وإنما إخاء وتعاون وأمن وأمان .

وبهذا التغيير الرائع فى حياة العرب ـ والذى يشبه المعجزة ـ أصبحوا قادرين على حمل رسالة محمد إلى الآخرين ، فساروا بها شرقاً وغرباً هداة مبشرين ، لا محتلين ولا مخربين .. ولم تكن حروبهم ـ شأنها شأن غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا حروباً دفاعية ضد معتدٍ جائر أو حروباً وقائية ضد عدو متربص مهدد أو حروباً تحريرية ضد مستبد طاغ يستذل الضعفاء ويقهر البسطاء ويحول بينهم وبين أن تصلهم رسالة السماء .

على أن هذه الحرب كانت دائماً لا تقصد إلا المحاربين الذين يحملون السلاح ويوجهونه إلى صدور المسلمين . أما النساء والأطفال والشيوخ ، بل الناس من غير المحاربين ، فكانوا دائماً آمنين . بل إن سفراء الأعداء وحاملى رسائلهم ، ومثلهم العباد والرهبان من أصحاب الديانات الأخرى ، كانت لهم دائماً حرماتهم وحرياتهم ، عملاً بوصايا النبى الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهات خلفائه الراشدين ، وأخذاً بمبادىء الإسلام السمحة وقيمه الإنسانية الرفيعة .

هذا ما كان من جهاد المسلمين ، وهذا ما كان من أسباب حملهم للسلاح وخروجهم للحرب . أما العدوان من مسلمين على مسلمين أو من عرب على عرب ، فهذا لم يكن إلا ممن خرج على الجماعة ، واستحق الإدانة بما سود من صفحات التاريخ ، وأراق من دماء الأبرياء ، وخاصة آل البيت أو الصحابة والتابعين ، أو الأئمة والمفكرين والصالحين .

بالقيم الإسلامية تغيرت حياة الأمم الأخرى

ذلك ما فعل الإسلام من تغيير شامل فى حياة العرب ، أما ما فعله بحياة الأمم الأخرى التى كانت خارج نطاق بلاد العرب ، فحسبنا أن نتذكر هنا أن العالم كان ـ قبل الإسلام ـ قسمة بين دولتين كبريين ، هما الفرس والروم ، وكانت هاتان الدولتان تعيشان على نظم بعيدة عن قيم الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل ، كما كانتا تحولان دون وصول العقيدة الصحيحة والقيم الإسلامية الإنسانية الرفيعة إلى الرعايا المقهورين والمستعمَرين المغلوبين .. وبعد أن وصلت طلائع الدعوة المحمدية إلى تلك الدول ونصر الله الحق ، وبعد أن دخل الناس ـ من أهل تلك البلاد ـ فى دين الله أفواجا ، عملت القيم الإسلامية عملها ، فحلت الحرية محل العبودية ، وقامت المساواة مقام العنصرية والطبقية وانتصر العدل وقهر الظلم ، وعم السلام ، وأصبحت تلك البلاد ـ بفضل الإسلام ـ من مكونات الدولة الإسلامية الكبرى ، التى كانت تمتد حدودها من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، ومن جنوب فرنسا شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً .. كما أنتجت تلك القيم الإسلامية الرفيعة القائمة على الحرية والمساواة ،

والديمقراطية والعدل والتى تعلى كرامة الإنسان وتقدس حرمة دمه وماله وعرضه والتى تحض على العمل ، وتدعو إلى الإنتاج وتقصد إلى تعمير الحياة وترقيتها بالعلم النافع والفكر الصحيح والفن الرفيع ـ انتجت تلك القيم ، تلك الحضارة الإسلامية العظيمة ، التى كانت لها مراكز متألقة فى المدينة ودمشق وبغداد ، والقاهرة والقيروان وقرطبة ، وغير هذه وتلك من العواصم الحضارية الإسلامية الكبيرة ، التى نبغ فيها العلماء والمفكرون والأدباء والفنانون من كل الأجناس والألوان والطبقات ، حيث وحد بين الجميع الفكر الإسلامى الراقى ، وأزال الفوارق بينهم الروح الإسلامى السمح ، وأضاء قلوبهم نور الإسلام الوضاء .. وهكذا قامت دولة الإسلام الكبرى ونهضت حضارته العظمى على أساس من تلك القيم التى لا تعرف العداء ، ولا تقر البغضاء ، والتى ترفض التفرق وتمقت التمزق ، كما تحرم العدوان وخاصة على الجار والأخ ، والمشارك فى شهادتى « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ..

■ الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات والأبناء ...

ماأحوجنا دائماً إلى أن نتذكر هذه القيم التى ارساها نبينا الكريم ، الذى نحتفل الليلة بذكرى مولده العطرة .. وما أحوجنا إلى أن نترجم هذا التذكر إلى منهاج عمل وخطة إصلاح وأسلوب علاج .. بل ماأشد حاجتنا فى تلك الأيام بصفة خاصة ، إلى أن نسارع إلى تلك القيم المحمدية السامية لكى نتخذ منها طاقة نور نهتدى بها فى ظلمات حجبت عن البعض نور الحق .. إن أمتنا الإسلامية قد بدأ ضعفها منذ انحرفت عن طريق تلك القيم ، وقد وصل بها الضعف أحياناً ، إلى وقوعها تحت سيطرة الاستعمار ، بعد أن تفرقت وتمزقت ، فهانت وتخلفت .. ولكن رحمة الله أدركت هذه الأمة ـ منذ سنوات ـ فنهضت بعد كبوة ، واستيقظت بعد غفوة ، ودب فيها روح البعث بفضل زعماء مخلصين ، ومفكرين مصلحين وثوار فدائيين . وأخيراً حمل الاستعمار عصاه ورحل عن بلادنا ، وبقى أن نصلح ما افسده ونعمر ما خرب ونعوض ما فات .. وكنا قد تجمعنا بعد فرقة ، وتصافينا بعد جفوة ، وأخذنا طريقنا نحو إعادة بناء مجد أمتنا وسابق نهضتنا وماجد حضارتنا..

ردَّة جاهلية مقيتة

وفجاة حدثت المحنة التى نسأل الله أن يهدى إلى النجاة منها .. وكأن هذه المحنة قد أراد الذين من ورائها أن يعيدوا حياة أمتنا إلى جاهليتها الأولى ، فيعتدى القوى على الضعيف ، ويسلب حامل السلاح الأعزل روحه وماله وأرضه وعرضه ، وتحل الفرقة والتمزق محل الوحدة والتجمع ، ويشيع الصراع والقتال والخصام ، بدلاً من الوفاق والوئام والمحبة والسلام ، ويتجدد الاعتزاز بالأنساب والأعمام والإخوال ، بدلاً من الاعتزاز بالمبادىء والخلال وصالح الأعمال .. أجل أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ، نحن الآن فى أمس الحاجة إلى تعاليم صاحب الذكرى العطرة ، وإلى تذكر ما فعلت تلك التعاليم بالعرب ، وما صنعت بالعالم خارج نطاق العرب ، وإلى تأمل كيف بنت تلك التعاليم وشادت وأنجزت ، وكيف أن محاولات إغفالها قد أخرت وعوقت ، بل هدمت ودمرت .. وأكثر من التذكر والتأمل ، نحن محتاجون أكثر من أى وقت مضى للعمل بمقتضى هذه التعاليم إذا أردنا النجاة مما يهددنا من أخطار ، وإذا أردنا أن نتجنب ما نساق إليه من دمار ، وإذا شئنا أن نعود ـ كما أراد الله لنا ـ ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .. لأن الإسلام ليس كلمة تقال ولا لقباً يحمل .

إنما هو الفعل والعمل والسلوك والأخلاق ، وناتج المبادىء والقيم .. ولأن القيم الإسلامية السامية والتعاليم المحمدية الراقية ، هى التى صنعت أمة العرب ، وأقامت دولة الإسلام ، وصاغت حضارة المسلمين ، تلك الحضارة التى تتألق صفحاتها مشرقة وضاءة فى سجل الحضارات كلها والتى عاشت فى

ظلها البشرية ناعمة سعيدة قروناً عديدة ، ومازالت معالمها إلى اليوم منارات باهرة ، كما كانت إنجازاتها بالأمس كنوزاً عامرة .

أليس مما يبعث على الأسى أن نتخلى عن تلك القيم بينما يأخذ بها الآخرون ، وهى القيم التى صلح بها أمر امتنا أولاً ، وليس بغيرها يصلح أمر امتنا آخراً ؟!..

أليس مما يثير العجب أن يقوم بيننا من يحاولون ردنا إلى جاهلية مقيتة قضى عليها الإسلام ، وتجاوزتها حياة العرب ، وأصبحت أثراً بالياً لا يحمل إلا أبشع الوصمات ، ولا يثير إلا أسوأ الذكريات ؟! .. ألم يحرم الإسلام العدوان وينهى عن تفريق الجماعة وإشاعة الفتنة فى صفوف الأمة ؟

ألم ينبذ الإسلام الأنانية والفردية والطمع والجشع والاستعلاء بالباطل والزهو بالقوة الغاشمة ؟

ما بال أقوام يريدون أن يشوهوا صورة الإسلام ويسيئوا إلى تعاليم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟

ما بال أقوام يريدون أن يلوثوا كل ما هو طاهر ونبيل وكريم ، من مبادىء ديننا وقيم تاريخنا العظيم ؟

ما بال أقوام يريدون أن يمزقوا ما توحد من أمة العرب ، ويفرقوا ما تجمع من شمل المسلمين . ويهيلوا التراب على ما أنجز المصلحون وما شاد المخلصون وبنى المجاهدون والصابرون ؟

لماذا تخلق الأزمات تلو الأزمات ، وتشن الحروب بعد الحروب ، وتثار الفتن بعد الفتن ؟ ونحن أشد ما نكون حاجة إلى الأمن والاستقرار حتى ندرك ركب الحياة الزاحف ، وحتى نهيىء لشعوبنا ما هى جديرة به من تقدم وازدهار .

وأعجب العجب أيها الإخوة والأخوات أن من يريدون ردنا إلى الجاهلية الأولى ، يفعلون مايفعلون حاملين راية الإسلام بعد أن تنكروا لكل مبادئه وداسوا كل تعاليمه وأساءوا أبلغ الإساءة إلى جميع قيمه ، وكأن راية الإسلام أصبحت لديهم إحدى وسائل الخداع فى معارك العدوان والتفريق والتمزيق والصراع .

كيف كنا .. وكيف أصبحنا ؟

نعم أيها الإخوة . نحن فى حاجة اليوم أكثر من أى وقت مضى ، إلى تصور كيف كنا بقيم الإسلام وكيف أصبحنا بغيرها ، ماالذى أنجزنا حين عدنا إلى تلك القيم وماالذى فقدنا حين خرجنا عليها .. إننا ـ ونحن فى بداية الرجوع إلى قيم ديننا ـ كنا قد حققنا صورة طيبة من صور الوحدة . وشكلاً كريماً من أشكال التعاون وبداية مأمولة من بدايات التقدم ، وكنا قد أوشكنا أن نفرغ إلى تصحيح ما فسد من أمورنا واسترداد ما ضاع من أراضينا ، ورعاية من ظُلم من شعوبنا وتنمية ما نضب من مواردنا وتجديد ما بلى من حضارتنا وتعويض ما فات من تقدمنا .. وبدا العالم من حولنا يتعاطف معنا ويتبنى قضيتنا ويحترم نضالنا ويساند حقوقنا .. ثم حدث ما حدث .

تضرع إلى الله ـ عز وجل ـ

فاسألوا الله أن يقى أمتنا شرور ما حدث واضرعوا إلى المولى ـ فى هذه الليلة المباركة ـ أن يهدى كل مسئول عما حدث ، وأن يبصره بنعمة الرجوع إلى الحق ، « فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل » وابتهلوا إليه سبحانه لهذه الأمة المجيدة . أن يكشف غمتها ، ويفرج كربتها ، ويصون وحدتها وأن ييسر ما تعقد من أمرها ، ويصون عليها أمنها وأمانها ، وأن تخرج من أزمتها دون إراقة دماء ، ودون مضاعفات لما حل بها من ابتلاء .. والله حسبنا ونعم الوكيل ، وهو ـ سبحانه ـ الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

● وكل عام وانتم بخير .... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

في ذكرى ميلاد الرسول محمد

صلى الله عليه وسلم

بقلم صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

ما أشبه الليلة بالبارحة كان مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر ابريل سنة ٥٧١م والعالم حينذاك يقاسى تفكك الخلق ، وضياع المثل الاعلى ، فكان اكمل ما فى حياة هذا المولود خلقا عظيماً شهد به الله فى القرآن الكريم ، ورجولة كاملة خضع لها الناس ، وامانة شاملة تفرد بها فى قومه حتى لقبوه (الأمين) ودينا جمع بين سعادتى الدنيا والآخرة .

كانت ولادة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وقت تكابد الإنسانية عوامل البلى ، فالوثنية تهلك الروح ، والمادية ترهق الجسد ، وكانت الولايات فى عالم الناس لأناس أوهنهم الترف والفسوق وهدهم الطمع والخيانة وكانت أمم الناس فى تيه من الضلال عن الحق كل الحق ، إلا شعبا اعتصم بفطرته بالصحراء ونجا بخلقه مما ساد من فساد شامل ، نشأ فى أحضان الصحراء على سجاياها الطليقة من كل قيد ، فما عبث بضميره صاحب سلطة ، وما استبد بخلقه طاغية ، بل كان الغزو المتوالى مصفاة أودت بالضعيف وأبقت على القوى ، حتى كان العرب فى جملتهم آنذاك أصلب الأمم عوداً وأصبرهم فى البأساء ، وكأن الله سبحانه قد احتجزهم فى صحرائهم ليستخرج من أصلابهم تلك النخبة التى اختارها لقيادة الشعوب الحائرة ، وأختار من بين هذه النخبة محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحمل وإبلاغ رسالته الأخيرة العامة لكل البشر ، تعالت سماحة آبائه وتسامت فكان خياراً من خيار .

كانت ولادة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلمة الهدى من الله ونفحة للبشرية من قوة الحق كانت بشريات الرسالة الأخيرة من الله وظهور الرسول المنتظر قد لاحت واستجابة دعوة إسماعيل عليه السلام قد بزغ نورها ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

سبحانك الله ما ابلغ حكمتك .

لقد شاء الله لنوره وبرهانه أن يشرقا فى منزل عبد الله بن عبد المطلب وزوجه آمنة بنت وهب ، ذلك المنزل المتواضع ، وشاء العلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا اليتيم الأمى ، لتكون آيته أبهى وأبهر ، ودعوته أقوى وابرع ، وكلمته ألصق بالأفئدة وادخل فى العقول .

نشأ كما ينشأ أترابه من الصبية فى رحاب مكة ولكن الله الذى رباه وسواه وصنعه لرسالته جعله المثل الأعلى للإنسان الكامل والقدوة والأسوة التى تحتذى ، فقد صوره خلقا سويا وخلقا قويما : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ورباه لينظم الحياة بالقدوة ويعلم الدين بالعمل ، فاجتمع فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تفرق فى جميع الناس من خصال حميدة وخلال البطولة : ﴿ .. أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى.وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى.وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى .. ﴾ .

نعم : أغناه ربه فلم يكن عيالا على أحد بل رعى وسعى واتجر فى كل أموره الجليلة والضئيلة وثيق الذمة راجح العقل ، صادق العزم ، حلو المعاشرة كما وصفته زوجه خديجة (**تحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق**) ثم كان الإعداد من الله والاستعداد للرسالة إلى الخلق ، فكان غار حراء وكانت دار الأرقم وكان جبل ثور وكانت دار أبى أيوب فى يثرب ، ثم كان مسجده الجامع حيث شاء الله أن يثبت رسالته ويؤدى مهمته ثم كان الرفيق الأعلى بعد أن أدى الرسالة بصدق الجهاد واحتمال مكاره الدعوة .

كانت ولادة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيذانا بعهد جديد للإنسانية وكان فى ذاته حاملاً رسالة ربه ، مجاهداً نبيها بالصدق ، مجالداً بالصبر ، مجادلا بالمنطق مصاولا بالرأى مؤثرا بالحجة والبيان ، ثم قاهراً عدوه باليد ، جدد أسلوب الحياة وأقام موازين المجتمع فى العلم والسياسة والخلق والتشريع وفى الحرب وفى السلم .

وإن من أسس الإسلام أن نطيع الله فى قرآنه ونطيع الرسول فى سننه وآدابه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ . ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

فأين العرب والمسلمون اليوم من هذه الذكرى وهى تمر بهم وقد ارتطموا يتمرغون فى الخمول ، حتى رضوا بالهون وقنعوا بالدُّون وتخلوا عن مكانهم ومكانتهم فى صدر هذه الحياة .
ذلك لأنهم لم يتخذوا من قرآن ربهم ومن سنة نبيهم منهاجا ولأدوائهم علاجا ، ومن حياة أولى العزم من أسلافهم قوة وقدرة وأسوة أليس صحيحا أنه ما أشبه الليلة بالبارحة ؟

نعم ما أشبه أمة العرب والمسلمين اليوم بحال العالم حين ولد رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهم يعيشون اليوم صورا ممزقة وأشياعا متفرقة وأتباعا لغيرهم ، تعنو جباههم لأصحاب القوة بعد أن افتقدوها بل قد أضاعوها بفرقتهم واختلافهم وتخلفهم فى العلوم والمعارف والصناعات والزراعات

نص خطاب فضيلة الامام الأكبر

واصبحوا عيالا يتكففون الأمم الأخرى كل وسائل العيش والحياة وأسباب القوة .

هاهم يتظالمون حيث صال القوى على الضعيف ، وتحيف الغنى على الفقير ، وروع المسلم اخاه واغتصب أرضه وأخرجه من داره ، وعقاره ، وصيره بائسا .

وغفل أولئك الذين اصطنعوا القوة والفتوة على إخوتهم الذين أمنوا بجوارهم واطمأنوا إلى أنه ليس من الإسلام ولا من أخلاق العرب والمسلمين الغدر والاغتصاب ، وصيال القوى على الضعيف ، تغافلوا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه ابو داود (**لا يحل لمسلم ان يروع مسلما**) والحديث الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة (**لا يشير احدكم إلى اخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار**) هذا إذا أشار إليه بالسلاح فكيف بمن صال وجال ، ومن اعتدى وبغى وهدم الدور ، وانتهك الأعراض وانتهب الأموال والممتلكات واغتصب أرض جيرانه وإخوته المسلمين وشرد مئات الآلاف من العاملين ، ومنع الناس أرزاقهم بل ورزأهم فى مدخراتهم .

لقد غفل البغاة الصائلون على إخوتهم المسلمين عن قول الله سبحانه فى سورة غافر : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ وقوله : ﴿ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَصِيرٍ ﴾ الم يسمعوا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته فى حجة الوداع : (.. **فإن دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم**) .

الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعد .

الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال : (**الا هل بلغت ؟ الا هل بلغت . قلنا نعم . قال : اللهم اشهد**) .

فما بال قوم من هذه الأمة استحلوا الأموال والأعراض والدماء فقتلوا وشردوا وروعوا المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا .

الم يقرأوا أو يسمعوا قول الله سبحانه : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ .

الا إن ما حدث من عدوان العراق على الكويت وما ترتب عليه من أوضار وأضرار وإذلال للأمة العربية والإسلامية أمر كبير وإثم عظيم : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ ﴾ .

الا إن السكوت على هذا الظلم والعدوان قد استنكره سيدنا أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ حين قال : (ياأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده) .

فما أجدر الأمة العربية والإسلامية وقد نكبت فى أمنها بيد بعض ابنائها ما اجدرها فى ذكرى مولد

الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تأخذ من أحكام الله منهاجا ومن سنة رسول الله صاحب الذكرى علاجا ، وأن تُجمع أمرها وتقيم الشورى حكما عدلا وما أجدر هذه الأمة أن تنزع عما ارتكبت من آثام وما شغلها من أوهام ، وما أغواها مما أُدخل على ثقافتها من أباطيل تدحضها حقائق الإسلام .

ما أحرى أولئك الذين ظاهروا العدوان أن يفيئوا إلى أمر الله وينزلوا عند حكم رسول الله ويردوا الظلم بمنع الظالم من المراء والاستمرار فى ظلمه الذى أوقع به الأمة فى كارثة العصر وجعلها عبرة للأمم .

ولتجتمع الأمة على كلمة سواء ليحاول المخلصون أن يتجاوزوا هذه الحال وأن يعلوا فوق كل محال فهذه الذكرى المجيدة التى كانت فتحا وبشرا للإنسانية ينبغى أن تخشع قلوب الأمة كلها إجلالا حيث قام صاحبها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أمته على التوحيد والوحدة والوئام والمحبة .
﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

اللهم فى هذه الذكرى صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كان الله ورسوله أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم وأموالهم ، وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، بل صبروا وصابروا وجاهدوا حتى انتصروا ونشروا دين الله ودخل الناس فيه أفواجا .

اللهم فى ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف بين قلوب زعماء الأمة واكشف عنها بفضلك ورحمتك هذه الغمة ، فليس لها من دون الله كاشفة ، اللهم اربط كل قلوب أوليائك وثبتهم على الحق وأيد الحق بهم ، واهد من ضل الصراط المستقيم وجنب الأمة ما يراد بها من هلكة ولا تؤاخذها بفعل سفهائها .

اللهم قلت وقولك حق ووعدك صدق : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فلنقبل على التوبة إلى الله واستغفاره ، والندم على ما فرط من إهمال وبعد عن العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولنقنت فى صلواتنا توبة ودعاء واستغفارا ورجاء ولتكف تلك الأصوات المثيرة للشقاق والمؤججة للنيران . وتلك الأقلام التي دأبت على الإثارة وافتعال المعارك فى غير ما ميدان ، فإن الأمة تمر بوقت عصيب تحتاج فيه إلى العودة إلى الله فى كتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب الذكرى ، واتركوا لجمع الكلمة مكانا ولإطفاء الفتنة قوة وكيانا واتركوا الجدل والمراء فى الحق ، والأمة فى حاجة للنصح ، وكلنا يحفظ الحديث الذى رواه مسلم وقد قيل إن عليه مدار الإسلام وقيل أحد أرباع الإسلام (الدين النصيحة) قلنا لمن ؟ قال : (لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

بيان
من الأزهر الشريف

إن الحوادث المؤسفة التى وقعت فى المسجد الاقصى من العصابات الإسرائيلية التى هاجمت المسجد ومن القوات الإسرائيلية التى داهمت الفلسطينيين الذين يدافعون عن المسجد وملحقاته فقتلت منهم العشرات واصابت اكثر من الف نفس .

هذه الحوادث المؤلمة التى تدل على ان الإسرائيليين على مختلف مستوياتهم قد تخلوا عن الإنسانية ، وان الحكومة الإسرائيلية قد خرقت المواثيق الدولية التى تؤكد على الحفاظ على حقوق الإنسان واحترام دور العبادة وحمايتها وهى بهذا العمل قد شاركت فى انتهاك حرمة المسجد الاقصى ، ولم تحترم شعور مليار مسلم من كافة شعوب الارض .

وإن الأزهر الشريف ليستنكر هذه الافعال الهمجية المؤسفة التى لم ترع حق الله ولا حق الناس .

ويهيب الأزهر الشريف بمنظمة المؤتمر الإسلامى ان ترفع امر هذه الحوادث الشنيعة إلى منظمة الامم المتحدة بكافة هيئاتها لتنظر فى هذا الجرم الفظيع الذى ارتكبته إسرائيل حكومة وشعبا .

كما يهيب بمنظمة الامم المتحدة التى اقامها العالم حفاظا على الحقوق الإنسانية والمقدسات لدى كافة الشعوب ، ان تضطلع بمسئوليتها تجاه هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الأزهر الشريف بالدول الخمس الكبرى صاحبة الراى الحاسم فى مجلس الامن ان تتضافر جهودها فى رد هذا العدوان بالإجراءات الحازمة الحاسمة التى تحمى مقدسات المسلمين فى الارض المحتلة وفى فلسطين وتحمى الفلسطينيين من هذا العدوان الاثيم .

كما يهيب الأزهر الشريف بالشعوب الإسلامية والحكومات ان يتخذوا موقفا موحدا إزاء هذا العدوان على المسجد الاقصى والذى قتل وشرد الأنفس البريئة التى تدافع عن المقدسات والحرمات .

ويحث الأزهر الشريف الحكومات ان تدعم الشعب الفلسطينى فى القدس والارض المحتلة .

كما يهيب الأزهر الشريف بالفلسطينيين بالقدس والارض المحتلة ان يثبتوا فى مواقعهم ولا يتخلوا عن ارضهم ولا عن مقدساتهم مدافعين عنها ولو باجسادهم ولا يوهن من عزمهم ذلك الخلل الذى بدا فى صفوف الأمة العربية والإسلامية فلعل ماحدث فى القدس يكون دافعا لجمع كلمة العرب والمسلمين ووحدة صفهم للدفاع عن مقدساتهم وكافة حقوقهم .

وعلى الفلسطينيين فى القدس والارض المحتلة ان ينزلوا عند حكم الله سبحانه فى قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

١٩ من ربيع الاول ١٤١١ هـ
٩ من اكتوبر ١٩٩٠م

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير الولايات المتحدة بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ـ السيد فرانك وزنر سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة وبرفقته السيد / ستانلى جوملر اسكودرو مستشار السفارة للشئون السياسية والسيد / رونالد شلكير المستشار بالسفارة وذلك بمكتب فضيلته فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الأربعاء ٢٤ من المحرم الموافق ١٥ من اغسطس ١٩٩٠ .

وقد بدأ اللقاء بالشكر والترحيب ثم استأذن السيد السفير من فضيلة الإمام فى التحدث باللغة الانجليزية قائلاً : إنه اعتاد أن يزور فضيلة الإمام الأكبر كل عام للتشاور والاستفادة بالنصح وقد جاء اليوم لشرح موقف حكومته من الأحداث الجارية الآن فى الخليج العربى ، وأن هذا الموقف قد أثر فى الجميع تأثيراً مريراً ، وأن الولايات المتحدة قد أرسلت قواتها بناء على طلب المملكة العربية السعودية للدفاع عن أراضيها وأنه متى انتهت المشكلة سينتهى الموقف وتعود القوات لأنهم يريدون الاحتفاظ بصداقتهم وعلاقاتهم مع شعوب المنطقة والوقوف أمام الغزو العراقى والعمل على سحب قواته وإرجاع الحكومة الشرعية للكويت ، وأن هذا العمل الذى قامت به الولايات المتحدة جاء موافقاً لما قرره مؤتمر الدول الإسلامية وجامعة الدول العربية .

وقد عقب **فضيلة الإمام** : إن أحداً لا يوافق ولا يصدق ما حدث فى الخليج ، إذ انه فى الوقت الذى سعى فيه الرئيس محمد حسنى مبارك فى أكثر من عشرين ساعة طيران بين الدول المعنية فى المنطقة لاحتواء الأزمة قبل وقوعها ، كانت الأمور مدبرة والنية مبيتة على هذا الغزو وربما شعر سيادة السفير بما دار فى الشارع المصرى وانطباعات الهيئات والأفراد فى مصر ، كما انه عرف بالطبع ما جاء فى قرارات منظمة المؤتمر الإسلامى ومؤتمر القمة العربى وتصديق الأغلبية على القرار الصادر عن المؤتمر ، وأن الشعب المصرى شجب ورفض هذا الوضع المؤسف وأيد خطوات الرئيس حسنى مبارك لمجابهة هذا

الغزو وإعادة الحكومة الشرعية فى الكويت .

فقال السيد السفير : فى الواقع لقد اتخذت الولايات المتحدة موقفها بناء على قرارات منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وقد أيد المجتمع الدولى هذا الموقف متمثلاً فى أوروبا وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى .

فقال فضيلة الإمام : إنه يأمل فى أن يأتى هذا التجمع وهذه الضغوط وهذا الحصار على العراق بالثمرات المرجوة دون حاجة لاستخدام كل هذا الكم الهائل من الأسلحة فى منطقة الخليج ، وأنه من المأمول أن يكون هناك ضبط للنفس ومحاولة الوصول إلى حل بالطريق السلمى وألا تستخدم القوة العسكرية إلا فى حالات الضرورة القصوى .

فقال السيد السفير : بأنه يؤيد هذا تماما وأنه من أجل الحفاظ على حياة وأرواح آلاف الشباب ليس للعراق والكويت فقط ولكن للولايات المتحدة والسعودية ومصر وكل المشاركين وأنه بالطبع سيكون الأفضل لو امتثل العراق للضغوط وتراجع عن موقفه وسحب قواته وإلا سيتسبب ذلك فى وجود سابقة خطيرة وربما تشهد الخمسون عاماً القادمة من جراء ذلك مزيداً من العنف والقلاقل إذا ترك هذا الوضع للعراق ، ولكننا نحاول ومعنا جميع أصدقائنا من أجل حماية سلام وأمن ورخاء المنطقة كما أن هذا الموقف سيتسبب فى متاعب لمصر وخاصة فى الجانب الاقتصادى .

فقال فضيلة الإمام :

إن هذا الوضع وهذه المتاعب لن تكون من نصيب مصر وحدها ولكنها ستؤثر فى جميع دول المنطقة وفى الغرب أيضاً وكل ما نأمله أن يعمل مجلس الأمن على سرعة تنفيذ قراراته الأخيرة وأن يكون هناك موقف موحد لكل هذا التجمع ولا تتغلب المصالح والأهواء والخلاف فى الرأى حتى لا يزيد ذلك من تصلب العراق وتشدده وخاصة أننا سمعنا فى الآونة الأخيرة بوجود بعض الخلافات فى تطبيق قرارات مجلس الأمن الخاصة بالدفاع والحصار من جانب الأعضاء الخمسة الدائمين .

فقال السيد السفير : فليسمح لى فضيلة الإمام الأكبر بتوضيح وشرح هذه النقطة حيث أنه فى ميثاق الأمم المتحدة المادة ٥١ والمادة ٤٢ يوجد خلاف فى شأن طلب دولة من دولة أخرى التدخل للدفاع عنها ففى المادة ٥١ تنص على أنه من حق أى دولة عضو فى هيئة الأمم المتحدة طلب الدفاع عنها من قبل دولة أخرى من الهيئة ، وقد أخذت الولايات المتحدة بهذه المادة فى حين أن المادة ٤٢ تنص على أنه فى حالة طلب الدفاع فإنه لابد من صدور قرار هيئة الأمم المتحدة ، وقد أخذت بهذا فرنسا ، ونحن الآن ننسق العمل فيما بيننا لوضع حد لهذا الاختلاف ، وقد أبلغ السيد فرانك وزنر سفير الولايات المتحدة تحيات وتقدير شعب أمريكا وحكومة ورئيس الولايات المتحدة لفضيلة الإمام الأكبر وقدم شكره الخاص لفضيلة الإمام على هذا اللقاء المثمر وأنه سيبلغ حكومته وجهة نظر الأزهر وفضيلة شيخ الأزهر وما طلبه فضيلته فى محاولة ضبط النفس واستخدام الحل عن الطريق السلمى وأن السلام دائماً أصعب .

ومرة أخرى رحب به فضيلة الإمام الأكبر وحمله تحياته وشكره لشعب وحكومة ورئيس الولايات المتحدة وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب .

والله الموفق ..

حضر اللقاء وسجله

احمد عبد الخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر

مع المؤتمر الإسلامي

العالمي بمكة

٢١ - ٢٣ صفر ١٤١١ هـ

وثيقة مكة المكرمة

الصادرة عن المؤتمر الإسلامى العالمى

لمناقشة الأوضاع الحاضرة فى الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل ومنه نستمد العون والتوفيق .

فى يوم الاثنين الموافق ٢١ من صفر ١٤١١ هـ إلى يوم الاربعاء ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ انعقد «بمكة المكرمة» المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة الأوضاع الحاضرة فى الخليج ، وحضره ممثلون لعلماء المسلمين وقادة الرأى فى الأمة والعاملين فى حقل الدعوة ومندوبى المنظمات والحركات والجمعيات الإسلامية من انحاء العالم ، لتدارس احتلال العراق للكويت وضم اراضيه بالقوة وتهديده لأمن الخليج وتعريضه لمصالح الأمة الإسلامية للخطر وما ترتب على ذلك من آثار خطيرة ، وبيان حكم الإسلام فى هذا الحدث وما نتج عنه من آثار اليمة اضرت بسمعة الأمة الإسلامية وعرضت حقائق الإسلام وقيمه للتشويه .. والتوصية بالمخرج من المحنة فى ضوء هدى الإسلام واحكام شريعته حتى يتحقق البيان الذى أوجبه الله على العلماء .

إن تطبيق شريعة الله والتزام منهجه فى كافة مجالات الحياة وعرض ما يقع للمسلمين من قضايا ومشكلات على كتاب الله وسنة نبيه والنزول على حكم الشرع واجب هذه الأمة .

ذلك أن إعلان الإيمان بالله والإقرار بأن شرعه هو الحق وأن حكمه هو العدل ، لا يستقيم مع عدم النزول على حكمه بمقتضى قول الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(٢) .

وما اكتنف المسلمين من وهن وفرقة وتظالم وتدابر إلا بعد أن ضعفت صلتهم بهذا النهج واتبع كثير منهم أهواءهم . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(٤) .

وعليه فقد قرر المؤتمرون بالاجماع إعلان الوثيقة التالية شهادة بالحق ورعاية للأمانة

(١) سورة النساء : ٦٥ . (٢) سورة الاحزاب : ٣٦ . (٣) سورة طه : ١٢٤ . (٤) سورة البقرة : ١٢٠ .

ونهوضا بالمسئولية وبلاغا إلى الأجيال :

إن مقاصد الشريعة القطعية ومبادئها الكلية وأدلتها الجزئية توجب الحفاظ على الأنفس والاعراض والأموال والذود عنها وتعد الموت من أجل كل ذلك شهادة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٥) . وقال - عليه الصلاة والسلام - : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ..... إلخ » . صحيح البخارى ومسند أحمد . وقال عليه الصلاة والسلام : «من قتل دون ماله فهو شهيد» صحيح البخارى .

وفى نور هذا الهدى الربانى المبين يعلن المؤتمر :

إن عدوان النظام العراقى على الكويت إهدار صريح وانتهاك سافر لهذه الحقوق والمقاصد التى حفظها الإسلام وهو منكر عظيم وفساد كبير وسنة سيئة يشهد على ذلك أهل العلم والعقل .

ومن ثم فلا يزول هذا المنكر ولا يرتفع هذا الفساد إلا بانسحاب الجيش العراقى الكامل من الكويت وإبطال كافة الآثار المترتبة على هذا المنكر وذلك الفساد .

ومما ترتب على هذا العدوان وجود قوات أجنبية فى الخليج إذ اضطرت المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى إلى طلب قوات إسلامية وأجنبية لمساندة قواتها الدفاعية فى مواجهة عدوان وشيك من القوات العراقية المحتشدة على حدود المملكة العربية السعودية .

ولقد تقرر عند أولى العلم أن شريعة الإسلام تتسع لهذا الإجراء وتستوعب هذه الضرورة ومن هنا فإن ثمة تلازما بين احتلال الكويت والتهديد العراقى للمملكة العربية السعودية ودول الخليج ووجود القوات الأجنبية فإذا زالت هذه الأسباب انتفت الضرورة لوجود هذه القوات كما أكد أولو الأمر فى المملكة العربية السعودية على ذلك .

ولا يرى المؤتمر مسوغا لإقحام الحرمين الشريفين فى هذا الخصام السياسى والإعلامى فليس فى الأرض المقدسة وجود أجنبى ولا يجوز أن يقحما فى الصراعات والشعارات والخلافات والمزيدات السياسية فالنأى بهما عن هذه الصراعات والمزايدات مظهران من مظاهر تعظيمهما واحتراما : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(٦) .

والمؤتمر مدرك حرص المملكة الدائم على إبقاء الحرمين الشريفين بعيدين عن الصراع السياسى والمذهبى كما يقدر الجهود الدائبة المخلصة التى تبذلها المملكة فى خدمة الحرمين الشريفين والحفاظ على طهارتهما وقدسيتهما .

كما يشيد المؤتمرون بتطبيق المملكة العربية السعودية للشريعة الإسلامية ودعمها للمسلمين فى شتى بقاع الأرض وحرصها على تضامنهم .

والمؤتمر يدرك أن من مخططات الأعداء الثابتة والمتجددة إيقاد نيران الفتن والحروب فى العالم الإسلامى وكأن المستثنى وحده من فرص الهدوء والاستقرار التى يتمتع بها غيره فى ظل الوفاق الدولى الجديد .

وتعتبر أزمة الخليج الراهنة حلقة فى هذا المخطط الذى لا يريد لأمتنا خيرا ولا نهضة ولا تقدما . ومن المحزن أن يجد هذا المخطط من ينفذه من أبناء الأمة العربية والإسلامية .

إن أزمة الخليج قد صدعت العلاقة الأخوية بين الشعوب الإسلامية وفرقت كلمة المسلمين خاصتهم وعامتهم وحرمتهم من الإحساس بالأمن على أنفسهم وأموالهم وديارهم وأعراضهم وصرفت الجهود والهمم عن قضايا الإسلام والمسلمين كقضية الجهاد الأفغانى والانتفاضة الفلسطينية وهجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين المحتلة وسائر القضايا الإسلامية .

---

(٥) سورة الأنعام : ١٥١ . (٦) سورة الحج : ٣٢ .

وثيقة مكة المكرمة

إن غزو العراق للكويت مع منافاته للإسلام قد أتاح الفرصة لأعداء الإسلام لتشويه صورة الإسلام والمسلمين أمام الرأى العام العالمى حيث حرصت أكثر وكالات الأنباء العالمية على إظهار الإسلام وأهله بصورة دموية لا تحفظ العهود والمواثيق ولا ترعى حق الجوار ولا ترحم صغيرا ولا تعرف حق كبير .

وتدبر المؤتمر أسباب الضعف والتخلف والخذلان والفرقة والاضطراب فى الأمة فوجد أن من أخطرها وأبرزها ما يلى

أولا : الاستبداد الذى أتاح لفرد واحد أن يقرر اجتياح بلد عربى مستقل ويتصرف فى مقدراته ويعبث فى مصائر الأمة ويعبث فى أهم قضاياها الأمنية والسياسية والاستراتيجية .

ثانيا : تمزيق الأمة بالشعارات العرقية والقومية والعلمانية والطائفية .

ثالثا : ضعف البناء الذاتى فى التربية والتعليم والصناعة المدنية والعسكرية وترك الاستعداد للجهاد .

رابعا : الحملات الإعلامية المعادية والغزو الثقافى والفكرى وضعف أعلام المسلمين عن التصدى لها .

خامسا : القصور الظاهر فى سلوك الأمة وفشو مظاهر العصيان والمخالفات كالتعامل بالربا وصور الفسوق فى البيت والشارع .

سادسا : الغفلة عن مخططات الأعداء وتدبيرهم ومكرهم . وعلاجا لهذه الأوضاع يؤكد المؤتمر : وجوب العودة إلى الله تعالى عودة صادقة والالتزام بكتابه وسنة رسوله - ﷺ - إذ هما ركيزتا العمل المخلص والجاد فى سبيل إحياء الأخوة الإسلامية وبناء الأجيال على أسس سليمة والعزم البصير على ترسيخ النهضة الإسلامية الشاملة .

ودعوة العلماء إلى القيام بواجب البيان لكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾(٧) .

ودعوتهم إلى جمع كلمتهم والتشاور فيما بينهم ليصدروا عن موقف واحد فتتحد الأمة من ورائهم ونحذرهم من الوقوع تحت الضغوط ترهيبا وترغيبا فإن الله يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٨) .

وندعو حكام المسلمين وقادتهم إلى تحكيم شرع الله فيما بينهم فإن الله سبحانه يقول :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٩) .

وندعوهم إلى الزام أجهزة الإعلام والتعليم بحمل رسالة الإسلام وتمثلها ، وإلى أن تكون أدوات صالحة لتهيئة أجواء الاستقامة النفسية والفكرية والخلقية والسلوكية : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١٠) .

وندعو إلى تطبيق مبدأ الشورى الذى يغنى الأمة عن التطلع إلى مفاهيم الديمقراطية الغربية والذى يعصم الأمة من الاستبداد الذى يجعل مصائر الأمة ضحية للأهواء الفردية .

وندعو إلى الوحدة الإسلامية وفق مقوماتها العقدية والفكرية والتربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(١١) .

(٧) سورة آل عمران : ١٨٧ . (٨) سورة البقرة : ١٧٤ . (٩) سورة النساء : ٦٥ . (١٠) سورة الحج : ٤١ . (١١) سورة الأنبياء : ٩٢ .

ان هذه الوحدة الإسلامية المفروضة والمطلوبة هى - بعد عون الله - سبيل المسلمين إلى حياة كريمة قوية فى ظل الكيانات الكبيرة التى يعاد بناؤها فى العالم فى مناخ الوفاق الدولى فوق كوكبنا الأرضى .

وندعو إلى بناء القوة العسكرية الإسلامية بسرعة وعزم وإلى الاستعداد بمفاهيمه الشرعية الصحيحة وهى إعلاء كلمة الله ودفع الظلم والذود عن المقدسات والقتال دون النفس والأهل والمال .

إن بناء القوة العسكرية الإسلامية الجهادية هى الضمان الحقيقى والدائم - بعد توفيق الله - لعزة المسلمين واستقلالهم وسيادتهم ومكانتهم المرموقة بين الأمم .

وندعو كافة الدول العربية والإسلامية ودول العالم إلى الالتزام بالعهود والمواثيق والأعراف الدولية التى تمنع الاعتداء والتدخل فى الشئون الداخلية للدول وتحض على إفشاء السلام فى المنطقة وفى العالم وعلى التعاون وحسن الجوار وحل الخلافات بالطرق السلمية وعدم فرض الإرادة الخارجية عليها .

وندعو الدول الإسلامية كافة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وفقا للشريعة الإسلامية لا وفقا للمفاهيم الطبقية ونوازع الأحقاد والضغائن - وتبعا لمنهج هذه الأمة فى احترام الحقوق ، وتحريم الاعتداء والاستيلاء عليها بالقوة . ويجب كذلك إشاعة روح التعاون بين الدول الإسلامية والتكافل بين شعوبها ، ورفض كل شكل من أشكال الاغتصاب للحقوق والممتلكات دون مبرر ، وإحياء روح المحبة والألفة بين ابناء هذه الأمة واستنكار كل قول وعمل وسلوك يسعى إلى إثارة الفتنة والحساسيات بين الشعوب العربية والإسلامية والدعوة إلى مواجهة هذه النزعات والتصرفات بالمزيد من الوعى والإدراك لما تؤدى إليه من انقسامات خطيرة من شأنها أن تدمر الروابط العميقة بين هذه الشعوب وتقضى على أسباب قوتها وتماسكها وتفتح اوسع الأبواب لكيد الأعداء .

وندعو شعوب الأمة الإسلامية فى مختلف أنحاء الأرض إلى ممارسة أقصى درجات الوعى واليقظة والحذر تجاه المحاولات الرامية إلى استغلال عواطفها الدينية الجياشة وحساسيتها المفرطة نحو مقدساتها العظيمة فى الخلافات السياسية ، والبرامج الدعائية التى لا تعرف تقوى الله - عز وجل - ولا تلتزم مراقبته فى بواعثها وأهدافها .

وندعو إلى حياة إسلامية صحيحة فى سائر مناحى حياة المسلمين فالإسلام ليس شعارا موسميا يرفع بغتة لهذا الغرض أو ذاك .. إنما الإسلام منهج يطبق فى شعب الحياة جميعا مهما اتسع نطاقها وتنوعت مواقعها .

والمقياس الصحيح للولاء للإسلام هو التخلى الكامل عن حياة الجاهلية بعصبيتها وحزبيتها إذ لا تصح دعوى من يدعى الإسلام وهو لايزال متلبسا ومتشبثا بالأصل العلمانى واللادينى للحياة والحكم .

ويأتى بعد التخلى عن العلمانية : تطبيق شرائع الإسلام وشعائره فى صميم المجتمع والدولة ، ذلك أنه لا يمكن موضوعيا وعمليا أن يطبق الإسلام أو يصدق فى الأخذ به نظام علمانى اتخذ العلمانية منهجا فى الحياة ولم يزل كذلك .

كما ندعو إلى استتباب السلام فى المنطقة وفى كافة دول العالم والحرص على عدم اللجوء إلى الحروب كوسيلة لإنهاء الخلافات .

ونسأل الله - عز وجل - أن يلهم هذه الأمة رشدها وأن يبصرها بمواضع الضعف فيها .

وأن يريها الحق حقا ويرزقها اتباعه ويريها الباطل باطلا ويرزقها اجتنابه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قرارات وتوصيات

المؤتمر الإسلامي العالمي

لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج

المنعقد بمكة المكرمة في الفترة من ٢١/٢-٢٣/٢/١٤١١

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين . وبعد :

فنظرا للأحداث الجلى التى نزلت بمنطقة الخليج من اجتياح القوات العراقية للكويت وتهديدها المملكة العربية السعودية ودول الخليج الاخرى وما تبعه من الاستعانة بالقوات العربية والإسلامية والأجنبية لمساندة قواتها .

فقد دعت « رابطة العالم الإسلامي » إلى مؤتمر إسلامي عالمي ضم علماء المسلمين ومفكريهم من انحاء العالم حيث انعقد في الفترة من ٢١ ـ ٢٣ صفر ١٤١١ هـ ـ الموافق ١٠ ـ ١٢ سبتمبر ١٩٩٠ م .

وقد تداول اعضاء المؤتمر في الأحداث الخطيرة انطلاقا من واجبهم الديني ومسئوليتهم الإنسانية والتاريخية .

وحرصا على استمرار وازدهار اواصر الأخوة والقربى والجوار .

وإدراكا للأخطار والتحديات التى تهدد الأمة في حاضرها ومستقبلها ، في كيانها المعنوى والمادى .

وبعد مداولات استغرقت ثلاثة ايام واتسمت بروح الأخوة الإسلامية والصراحة والموضوعية .

اصدر المؤتمر القرارات والتوصيات التالية :

اولا : لما كانت نصوص القرآن والسنة قد قضت بأن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . فإن المؤتمر يقرر إدانة العدوان العراقى على الكويت وانتهاب الأموال والممتلكات وتدمير المؤسسات واستباحة الحرمات وإدانة حشد القوات العسكرية على حدود المملكة العربية السعودية تهديداً لأمنها وأمن دول الخليج .

ثانيا : يطالب المؤتمر النظام العراقى بسحب قواته من أرض الكويت فورا ودون شرط وبسحب القوات التى حشدها على حدود المملكة العربية السعودية وعودتها إلى داخل أراضى العراقى وإنهاء كافة آثار الاحتلال والتهديد وتحمل كافة التعويضات عما أحدثته قوات الاحتلال العراقى من اتلاف وسرقات .

ثالثا : يطالب المؤتمر بعودة الشرعية الكويتية إلى تسلم مقاليد الحكم في بلادها .

رابعا : لما كانت قواعد الشريعة الإسلامية تلزم بالوفاء بالعهود والمواثيق للمسلمين وغيرهم وتحمى الرسل والسفراء والمقيمين فى البلاد الإسلامية من غير المسلمين فى انفسهم وأموالهم ووفقا لما قررته القوانين الدولية والأعراف الدبلوماسية ، فإن المؤتمر يطالب النظام العراقى بالالتزام بهذه المواثيق واحترامها .

خامسا : فيما يتعلق بالاستعانة بالقوات الأجنبية فإن المؤتمر بعد الاطلاع على بحوث العلماء يقرر أن ما حدث من استعانة المملكة بقوات أجنبية لمساندة قواتها فى الدفاع عن النفس إنما اقتضته الضرورة الشرعية والشريعة الإسلامية تجيز ذلك بشروط الضرورة المقررة شرعا .

ومتى زالت أسباب وجود هذه القوات من انسحاب العراق من الكويت وعدم تهديد المملكة ودول الخليج فإنه على هذه القوات مغادرة المنطقة .

ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية تكوين قوة إسلامية دائمة تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامى تلجأ إليها الدول الإسلامية عند حدوث النزاعات بينها .

سادسا : يرى المؤتمر أنه يتعين على المسلمين تجديد التوبة والرجوع إلى الله تعالى وتصحيح المسار فى جميع شئون الحياة وفقا للكتاب والسنة كما يتعين عليهم تكوين الشباب إيمانيا وعسكريا حتى يواجهوا الأخطار المحدقة بالأمة للدفاع عن بيضة الإسلام . كما يقرر المؤتمر أن إعداد القوة اللازمة لحفظ أمن المسلمين فى مجتمعاتهم والدفاع عنهم ضد الأخطار قد أصبح فرضا متعينا على المسلمين .

سابعا : يناشد المؤتمر الحكومات والهيئات الإسلامية السعى لمنع وقوع الحرب وتحقيق الأمن والسلام فى المنطقة .

ثامنا : يناشد المؤتمر الحكومات والهيئات والشعوب الإسلامية بذل الجهود لتحقيق وحدة المسلمين بإقامة سوق إسلامية وتكامل اقتصادى فيما بينها ومعاهدة دفاع مشترك .

تاسعا : يناشد المؤتمر الحكومات الإسلامية بتطبيق الشرعية الإسلامية فى كل مناحى الحياة القضائية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع العناية بإقامة الشورى فى حياة المسلمين وتطهير المجتمعات الإسلامية من آفة الربا وتنقية وسائل الإعلام مما يخالف تعاليم الإسلام .

عاشرا : يستمر هذا المؤتمر فى حالة انعقاد دائمة وتكون له لجنة لمتابعة أعماله والتنسيق مع الهيئات والمنظمات الإسلامية فى معالجة الموقف وتكوين وفود للدول والشعوب والهيئات الإسلامية لبيان حقيقة ما جرى وخطورته على مستقبل المسلمين وضرورة الإسهام فى معالجة المشكلة .

كما يدعو المؤتمر العلماء والمفكرين المشاركين فيه إلى الإسهام فى معالجة القضية من خلال مجال عملهم والهيئات العاملين فيها كل حسب اختصاصه .

حادى عشر : يدعو المؤتمر الهيئات الإسلامية إلى إقامة مؤتمرات وندوات لتوعية المسلمين فى الموضوعات التى عالجها المؤتمر مستفيدة من الأبحاث والدراسات التى قدمت فيه .

ثانى عشر : يؤكد المؤتمر على ضرورة مشاركة المنظمات الإسلامية الإغاثية وفى مقدمتها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والهلال الأحمر الدولى فى إغاثة منكوبى كارثة الخليج فى كافة الدول ذات العلاقة .

ثالث عشر : يؤكد المؤتمر على أن هذه الفتنة المفجعة يجب ألا تشغل المسلمين عن قضاياهم الأساسية والمصيرية وفى قدمتها قضية المسجد الأقصى والقدس وفلسطين وقضايا المجاهدين الأفغان وقضية كشمير وقضايا الأقليات المسلمة المضطهدة فى العالم .

رابع عشر : يقدم المؤتمر بمناسبة انتهاء أعماله الشكر للحكومات والهيئات والشعوب الإسلامية التى وقفت مع الشعب الكويتى فى محنته وشجبت العدوان العراقى الغاشم وأيدت المملكة العربية السعودية فيما اتخذته من إجراءات . ويخص بالذكر حكومة خادم الحرمين الشريفين والشعب السعودى وحكومات الشعوب الإسلامية الأخرى على وقوفها مع الشعب الكويتى المسلم والرعاية التى أحيط بها . كما يشكر المؤتمر الأمانة العامة « لرابطة العالم الإسلامى » على دعوتها لحضور هذا المؤتمر والترتيبات الممتازة التى وضعتها مما ساعد على إنجاز أعماله فى الوقت المحدد له .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين .

صدر فى مكة المكرمة
بتاريخ ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ

ما يمحو الله به الخطايا

عن ابى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) (الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : «إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط) .
رواه مسلم .

للأستاذ :
محمد صابر البرديسى

اللغة :

١ ـ يمحو = يزيل ويذهب .
٢ ـ إسباغ الوضوء = اتمام الوضوء .
٣ ـ على المكاره = الشدائد فى نحو برد شديد .
٤ ـ فذلكم الرباط = أى الجهاد فى سبيل الله

ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ الشهور والأيام مواقيت للعبادة والأعمال .
٢ ـ وجوب المداومة على العبادة .
٣ ـ قيمة الأعمال فى إتقانها والإخلاص لله .

البيان

١ ـ الشهور والايام مواقيت للعبادة والاعمال :

إن الشهور والأعوام والليالى والأيام ، كلها مواقيت للأعمال ، وأزمان للعبادة ، ومقادير

للآجال ، فهى تنقضى جميعا ، وتمضى سريعا ويبقى الله الذى أودع فيها الفضائل ، وخصها بالمحامد ، فهو باق لا يزول ، ودائم لا يحول ، رقيب على أعمال عباده ، مطلع على نوأياهم وأسرارهم .

ومن رحمته بهم أنه يسبغ عليهم فواضل النعم ، ويعاملهم بغاية الجود والكرم ، فهناك شهر الصيام ، فشهر الحج إلى بيت الله الحرام ، فما من يوم من الأيام إلا ولله على عباده وظيفة من وظائف طاعته يتقرب بها إليه ، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته ، يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه ، فالسعيد من وفق للعبادة وتقرب إلى الله بفرائض الطاعات ، ونوافل العبادات ، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد فى دنياه وأخراه .

عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) (اطلبوا الخير دهركم كله ،

وتعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله تعالى أن يستر عوراتكم ، وأن يُؤَمِّنَ روعاتكم) رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية .

٢ - وجوب المداومة على العبادة :

وقد أمر الله عباده بأن يعبدوه حتى يلقوه لأنه لم يجعل لعمل المؤمن منتهى إلا الموت . قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر ٩٩ .

ومعنى الآية : الاستمرار على الطاعة حتى آخر لحظة من حياتك ، وأن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتا فيصلى بحسب حاله ، كما ثبت فى صحيح البخارى : عن عمران بن حصين (رضى الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : «صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب» .

وقد ذهب بعض الملاحدة إلى أن المراد باليقين «المعرفة» وادعى أنه إذا ذهب أحدهم ووصل إلى المعرفة سقط عنه التكليف ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا ثم أصحابهم أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، فظهر من هذا أن المراد باليقين فى الآية إنما هو (الموت) وكثير من الناس يقبلون على العبادة وذكر الله فى زمن بعينه كرمضان ، فإذا ما انتهى شهر الصيام رجعوا إلى ما كانوا عليه فى سابق الأزمان ، يتعبدون فى رمضان ولا يتعبدون فى غيره ، إنهم ضلوا السبيل وكذبوا مع الله ، فبئس القوم قوما لا يعرفون لله حقا إلا فى رمضان .

قال بعض الناس : إنا إذا أدينا الفرائض ، لم نبال الا نزداد . فقال لهم بعض من سمعهم من الصحابة : ويحكم ؛ والله لقد قام رسول الله «ﷺ» حتى تفطرت قدماه . أى تشققت قدماه (ﷺ) إن الإنسان قد يحصل منه بعض النقص أو التقصير فى الفرائض فتكون النوافل بمثابة الترقيع لخلل الفرائض ، كما أن الغيبة تخرق الصيام ، والاستغفار يرقعه .

إن الله سبحانه أول ما ينظر فى أعمال العبد يوم القيامة ، فى صلاته ، فإن كملت فقد أفلح ونجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر .

وكذا الاعمال تجرى على هذا المنوال .

ما يمحو الله به الخطايا

قيمة الأعمال فى اتقانها والاخلاص لله :

على المسلم أن يؤدى عمله فى اتقان وتجرد لله ، وإخلاص له ، وبذلك يجد لعمله متعة ولذة ، لا مجرد العمل ، فإن ذلك لا يكون له أثر فى حياة الإنسان ولا يتخلل مشاعره ، ولا ينبض به قلبه .

وإن الله سبحانه وتعالى يحب من العبد إذا عمل عملا أن يتقنه ، ويداوم على استمراره ، وعدم احباطه وإبطاله ، وقد قيل : (إن من علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها ، ومن علامة ردها أن تعقب تلك الطاعة بمعاصٍ بعدها تفسدها وتحبط ثوابها) .

يقول الله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ البقرة ٢٦٦ .

هذا مثل ضربه الله لمن له أعمال صالحة ، من صيام وصلاة وحج وصدقات ، فكانت أعماله الصالحة بمثابة الحديقة فيها من كل الثمرات وحينما تقدمت به السن ، تسلطت عليه أفعال المنكرات وارتكاب الموبقات ، وترك الطاعات والأعمال الصالحات ، فينزل على هذه الحديقة عاصف من الإعصار يحرقها فلا ينتفع بشىء من ثمرها ، مع مسيس حاجته إليها ـ هكذا المعاصى تحرق الطاعات وتهلكها وتمحوها .

إن الحسنات يذهبن السيئات ، والموبقات يبطلن الأعمال الصالحات وما أقبح المنكرات بعد الأعمال الصالحة تمحقها وتمحوها ، وما أجمل الأعمال الصالحات تكفر السيئات ، ففى الحديث :

(الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) رواه مسلم .

وكذلك إسباغ الوضوء فى نحو برد شديد ، وكثرة الخطا إلى المساجد للصلاة واستماع العلم ، وترقب الصلاة التالية لصلاته التى اداها فإن ذلك له أجر عظيم ومكفر للذنوب مثل الجهاد فى سبيل الله . وعلى كل فإنه لا أفضل من مؤمن يؤدى صلاته أو صيامه ، أو صدقته بإخلاص ، وإتقان واحتساب لله .

وإن الموتى يتحسرون فى قبورهم على ما فاتهم من المداومة على الأعمال الحسنة ، ويتمنون الرجعة إلى الدنيا ليزدادوا من الأعمال الصالحة ، والمفرط منهم يقول :

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون ٩٩ ـ ١٠٠) فلا يجابون إلى ما سألوا ، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون وأحرى بالمسلم أن يحافظ على الفرائض ، ويتزود من دنياه لآخرته .

والله الموفق ..

التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة

فى غزوة الأحزاب

لواء - أ . ح

محمد جمال الدين محفوظ

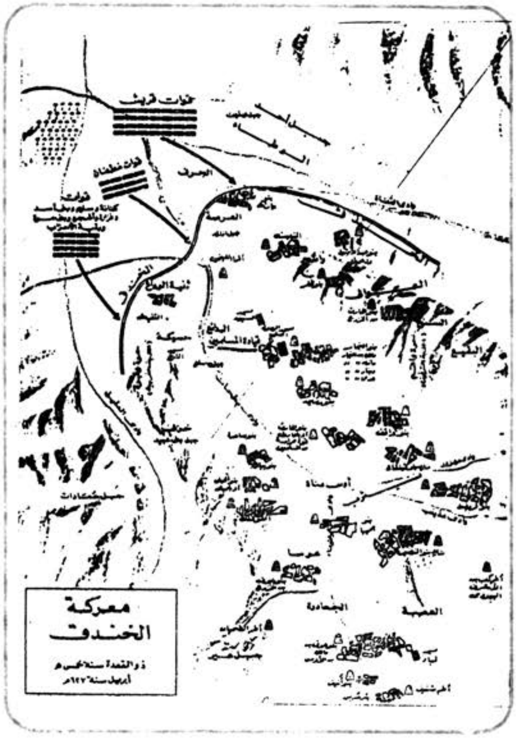

(د . حسين مؤنس اطلس تاريخ الإسلام)

الخندق لأول مرة فى الإسلام :

● علم الرسول ﷺ بتجهز المشركين لمهاجمة المدينة فشاور اصحابه فاشار سلمان الفارسى بحفر خندق للدفاع عن المدينة ، ولم يكن حفر الخنادق للأغراض الدفاعية معروفا عند العرب من قبل .

قال سلمان : «يارسول الله ، إنا كنا بارض فارس إذا خفنا العدو خندقنا علينا »(١) .

● وقد أخذ الرسول - ﷺ - بما اشار سلمان وخرج فى نفر من المهاجرين والأنصار يستطلع الأرض ، فارتاد موضعا فى شمال المدينة واختط فيه الخندق ، وكان شمال المدينة هو الناحية المكشوفة التى يستطيع المشركون أن يدخلوا المدينة منها (انظر الخريطة) .

وجاء فى مغازى الواقدى : « وكان الخندق مابين جبل بنى عبيد بخربى ، إلى راتج فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج ، وكان للأنصار مابين ذباب إلى خربى ، فهذا هو الذى حفره رسول الله - ﷺ - والمسلمون وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وهى كالحصن وخندقت بنو عبد الأشهل على نفسها مما يلى راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من

---

(١) على بن برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٦٣١ .

التنظيم الهندسي للدفاع عن المدينة

وراء المسجد ، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أُبَىّ ، ورفع المسلمون النساء والصبيان إلى الآطام (الحصون) »[٢] .

العوامل التى حكمت تخطيط الخندق :

● لقد كانت طبيعة الأرض فى المنطقة من أهم العوامل التى حكمت تخطيط الخندق وقضت أن يكون « خط الدفاع الرئيسى » عن المدينة من الجهة الشمالية ، فقد كانت المدينة محاطة بموانع طبيعية فى الجهات الثلاث الأخرى ، فمن جهة الشرق كانت حرة[٣] واقم ، ومن الغرب كانت حرة وبرة ، ومن الجنوب كان جبل سلع .

● وبالإضافة إلى ذلك كانت آطام (حصون) بنى قريظة فى الجنوب الشرقى تكمل نطاق الأمن من جهة الجنوب إلا إذا غدر بنو قريظة بعهدهم الذى كان بينهم وبين المسلمين بألا يناصروا عليهم عدوا .

● كما أن بقية المدينة قد تم تحصينها بسد الفرج بين البيوت حتى أصبحت كالحصن .

التنظيم الهندسى للخندق (انظر الرسم)

اتساع الخندق

● لم نوفق فى المصادر والمراجع لنص صريح موثق يحدد اتساع الخندق ، ولكن يمكن أن نصل إلى معرفة اتساعه على وجه يكون أقرب ما يمكن إلى الحقيقة بدراسة العوامل الآتية :

(١) لقد كان الغرض من حفر الخندق هو منع فرسان العدو من اقتحامه وعبوره ، فلابد أن يكون اتساعه وعمقه بحيث لا تستطيع الخيل اقتحامه .

(٢) الجواد العربى يستطيع تخطى الخنادق التى اتساعها ثمانية أمتار ، وذلك طبقا لرأى الاتحاد المصرى للفروسية الذى استطلعنا رأيه فى هذا الشأن (انظر الخطاب) على أنه يمكن تخفيض هذا الرقم قليلا بالنظر إلى اختلاف ظروف وإمكانات إعاشة الخيل والعناية بها وتدريبها على القفز بين ذلك الوقت والوقت الحاضر .

(٣) ورد فى الموسوعة العسكرية[٤] أن عرض الخندق فى غزوة الأحزاب كان حوالى ٦ أمتار . كما جاء فى كتاب : « الفن الحربى فى صدر الإسلام » مايلى : « وأظن أن قفزة الجواد الجيد تقارب الأمتار الستة »[٥] إلا أننا نقدر عرض الخندق مابين ٦,٥ م إلى ٧ أمتار ودليلنا على ذلك مايلى :

أ ـ إدرك فرسان المشركين بعد استطلاعهم للخندق أن اتساعه يتجاوز قدرة خيلهم على القفز الطويل ، فجعلوا يطوفون بالخندق بحثا عن مكان يضيق فيه ليعبروا منه ، وحتى عند محاولتهم العبور فى المكان الضيق لم يكن الأمر سهلا بل إنهم اضطروا إلى استخدام القسوة مع خيلهم حتى تعبر .

روى البيهقى عن ابن اسحاق ، ومحمد بن عمر عن شيوخه قال : « فجعلوا (أى المشركين) يطوفون بالخندق يطلبون مضيقا ، يريدون أن يقحموا خيلهم إلى النبى ـ ﷺ ـ فتيمموا (اتجهوا إلى) مكانا من الخندق ضيقا قد أغفله المسلمون فجعلوا يكرهون خيلهم ويضربونها حتى اقتحمت »[٦] .

ب ـ بعض الذين حاولوا اقتحام الخندق فشلوا وسقطوا فيه .

فقد روى أبو نعيم أن رجلا من آل المغيرة قال : لأقتلن محمدا ، فأوثب فرسه فى الخندق فوقع ، فاندقت عنقه »[٧] .

● أما عرض الخندق عند القاع فيقدر بأربعة أمتار ونصف تقريبا لضرورة ذلك هندسيا لضمان ثبات

---

(٢) مغازى الواقدى حـ ٢ ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

(٣) الحرة : أرض فيها حجارة سود متشيطة (أى صخور بركانية) .

(٤) الموسوعة العسكرية : حـ ٢ ص ١٨٢ (لفظ : خندق التحصينات) .

(٥) عبد الرءوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام ص ١٩١ .

(٦) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد حـ ٤ ص ٥٣٢ .

(٧) المرجع السابق ص ٥٣٦ .

الأبعـــاد التقريبيـــة للخنـــدق

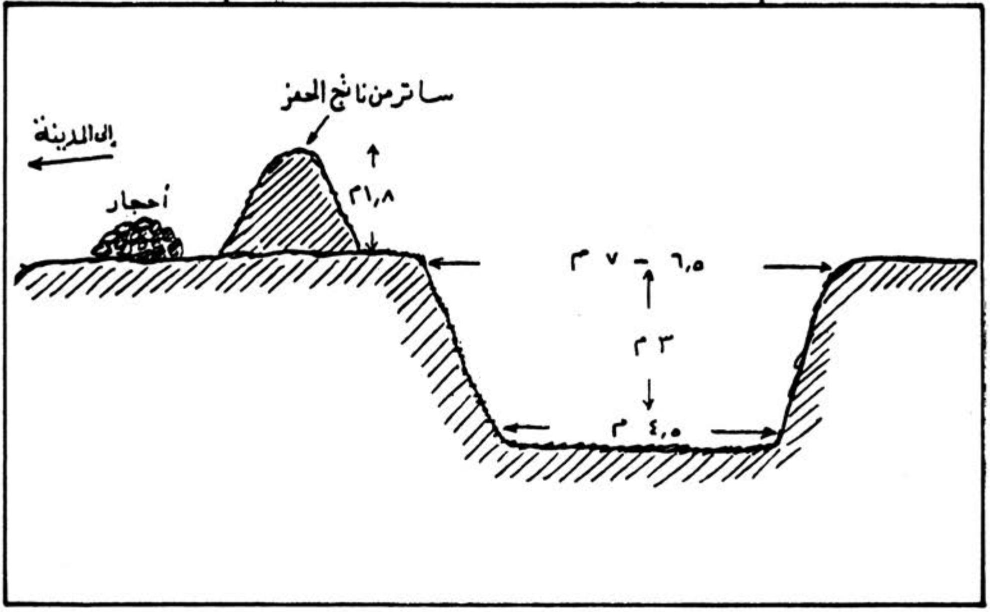

الرمال عند حافتى الخندق ، وعدم انهيارها إلى داخله .

عمق الخندق

كان عمق الخندق حوالى ثلاثة أمتار (أى خمسة أذرع ومتوسط طول الذراع ستون سنتيمترا) .

فقد ذكر الحلبى وهو يصف قدرة سلمان الفارسى الخارقة عند حفر الخندق : « كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع »[٨] وهذا العمق مع الاتساع السابق ذكره يحقق الهدف المطلوب وهو منع الخيل من اقتحام الخندق .

نصيب الفرد الواحد فى الحفر

روى الطبرانى بسند لابأس به عن عمروَ بن عوف المزنى « أن رسول الله - ﷺ - خط الخنـدق من أجم الشيخين طرف بنى حارثة حتى بلغ المزاد فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا »[٩] أى أن نصيب الفرد الواحـد كـان أربـعـة أذرع (٢٥٠ سم) .

طول الخندق

إذا كان نصيب الفرد الواحد أربعة أذرع وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف ، فيكون طول الخندق اثنى عشر ألف ذراع أى حوالى ستة كيلو مترات أو يزيد .

المدة التى استغرقها الحفر

وردت فى مدة حفر الخندق روايات مختلفة كان أقصرها ستة أيام وأطولها ما يقرب من شهر ، ونقدر أن تكون هذه المدة حوالى أسبوعين بالنظر إلى حجم العمل .

أدوات الحفر

استخدم المسلمون أدوات الحفر الآتية :

(١) المساحى : جمع مسحاة (بكسر الميم وبالسين المهملتين) وهى المجرفة من الحديد (الجاروف) - والسحو : الكشف والإزالة .

(٢) الكرازين : جمع كرزين وهو الفأس .

---

(٨) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٦٣٤ + سبل الهدى والرشاد حـ ٤ ص ٥١٥ .

(٩) سبل الهدى والرشاد : حـ ٤ ص ٥١٥ وقد روى ابن كثير فى سيرته مثل ذلك .

التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة

(٣) المكاتل : جمع مكتل وهو زنبيل يعمل من الخوص لنقل الرمال والأحجار .

تقسيم العمل

● وفضلا عن تحديد نصيب لكل فرد فى الحفر وهو أربعة أذرع (٢,٥ م) كما قدمنا فقد قسم الرسول - ﷺ - الخندق بين المهاجرين والأنصار ، فكمان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج إلى ذباب ، وكان الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل أبى عبيدة .

ساتر الوقاية

● وقد جعل المسلمون الردم والأحجار الناتجة من الحفر إلى جانب الخندق من ناحية المدينة وعلى مسافة مناسبة من حافته (متر أو مترين مثلا) لمنع تساقط الرمال داخل الخندق ، وهذا الساتر له دور كبير فى الدفاع إذ يحقق مايلى :

١ - تأمين حماية المقاتلين المسلمين من أنظار العدو وسهامه مع تأمين ظروف أفضل لهم للرصد والرمى والحركة ، من أجل ذلك يمكن تقدير ارتفاع الساتر بثلاثة أذرع تقريبا أى حوالى ١٨٠ سنتيمترا .

٢ - حماية حرية المناورة بالقوات خلف الساتر وخاصة القوات المكلفة بالقيام بالهجوم المعاكس .

٣ - تيسير عمليات الإخلاء (إخلاء الجرحى) وعمليات إمداد القوات بمطالبها الإدارية .

● أما الحجارة فقد جعلت فى أكوام متقاربة وراء الساتر على طول الخندق لكى يستخدمها المسلمون عند الحاجة فى رمى المشركين الذين يحاولون اقتحام الخندق أو يسقطون فيه كما سيأتى .

القيادة والسيطرة

● وقد أحكم الرسول القائد - ﷺ - سيطرته - فى إطار القيادة والسيطرة على المعركة - على أعمال التنظيم الهندسى وحفر الخندق وتجلى ذلك فيما يلى :

١ - تقسيم العمل بين المهاجرين والأنصار وتحديد نصيب الفرد كما قدمنا .

٢ - إشرافه - ﷺ - على أعمال الحفر بل والمشاركة فيه .

٣ - عدم ذهاب أى فرد إلى أمر خاص (كقضاء الحاجة) إلا بعد الاستئذان منه - ﷺ - .

قال ابن إسحاق : « وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد منها ، يذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير واحتسابا له[١٠] .

٤ - اتخاذه - ﷺ - مركز قيادة فى قبة (خيمة) صغيرة مستديرة .

٥ - استمرار العمل طوال النهار مع الراحة ليلا .

٦ - استعماله - ﷺ - ابن أم مكتوم على المدينة[١١] .

٧ - حل المشكلات وإزالة العقبات التى تعترض المسلمين .

قال ابن إسحاق كان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية[١٢] ، فشكوها إلى رسول الله - ﷺ - ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت (تفتت) حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة[١٣] . كما روى ابن إسحاق أن سلمان الفارسى قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىّ صخرة ، ورسول الله - ﷺ - قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة .

قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى .

قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى .

قال : قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ماهذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الأولى فإن الله فتح

(١٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الثانى (حـ ٣ - ٤) ص ٢٦١ .

(١١) نفسه : ص ٢٢٠ .

(١٢) الكدية : الأرض الغليظة أو الصلبة لاتعمل فيها الفأس .

(١٣) ابن هشام : المرجع السابق ص ٢١٨ .

R.A.E.
FEDERATION EQUESTRE EGYPTIENNE
F.E.E.
الاتحاد المصري للفروسية

Le Caire / / 19 — القاهرة في ٢ / ١٠ / ١٩٨

السيد اللواء أ.ح جمال محفوظ
تحية طيبة وبعد ،
إلحاقا إلى خطاب سيادتكم المؤرخ أول سبتمبر ١٩٨٨ بطلب معلومات فنية عن مقدرة الجواد العربي .
نتشرف بإفادة سيادتكم بالآتي
أولا . يستطيع الجواد العربي تخطي الخنادق باتساع حوالي ٨ متر .
ثانيا . من ناحية قدرة الجواد العربي على السير على مدى يوم كامل . يستطيع قطع مسافة حوالي ٥٠ كيلو مترا في اليوم كما يمتاز الجواد العربي بقوة التحمل والسير لمسافات طويلة . على أن يكون معدا اعدادا جيدا من ناحية التدريب وكذا من الناحية الصحية والبدنية .
وجدير بالذكر أن الجواد العربي أكفأ خيول العالم من قوة التحمل والسير على جميع أنواع الأراضي وخصوصا في سير الصحارى .
وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ..

لواء /
(حسين خيري)
وكيل الاتحاد المصري للفروسية

عليّ بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق[14] .

حراسة الخندق وصد محاولات اختراقه

● وكان رسول الله - ﷺ - والمسلمون قبالة عدوهم لايستطيعون الزوال عن مكانهم يعتقبون خندقهم يحرسونه[15] أى يتناوبون حراسته ليل نهار لرصد حركات العدو وكشف محاولاته لاقتحام الخندق والقضاء عليها .

روى محمد بن عمر عن ام سلمة رضى الله عنها قالت : كنت مع رسول الله - ﷺ - فى الخندق ، وكنا فى قر شديد (أى برد) فإنى لأنظر إليه ليلة قام فصلى ماشاء الله أن يصلى فى قبته ، ثم خرج فنظر ساعة فأسمعه يقول : هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ، ثم نادى عباد بن بشر .

فقال عباد : لبيك .

قال : أمعك أحد ؟

قال : نعم ، انا فى نفر من أصحابى حول قبتك .

قال : انطلق فى أصحابك فأطف بالخندق ، فهذه خيل المشركين تطيف بكم ، يطمعون أن يصيبوا منكم غرة ، اللهم فادفع عنا شرهم ، وانصرنا عليهم وأغلبهم ، فلا يغلبهم أحد غيرك ، فخرج عباد فى أصحابه فإذا هو بأبى سفيان بن حرب فى خيل المشركين يطوفون بمضيق من الخندق ، وقد تدربهم (أى علموا وحزروا) المسلمون فرموهم بالحجارة والنبل (السهام) حتى اذلقهم المسلمون بالرمى ، فانكشفوا منهزمين إلى منازلهم[16] .

● وكانت فى الخندق ثلمة[17] (أى مضيق) لم يوضح المؤرخون طبيعتها أو سببها ، والمرجح أن يكون المسلمون تركوها لأنها تؤدى إلى أرض سبخة وهى أرض ذات نز[18] وملح تصعب فوقها الحركة والمناورة مما يجعلها « أرض قتل » وفخا إذا وقع فيه من يحاول اقتحام الخندق يسهل القضاء عليه .

قال : ابن إسحاق : « ثم اقبلوا تعنق بهم خيلهم (أى تسرع) حتى وقفوا على الخندق .. وثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فى نفر

(١٤) نفسه : ص ٢١٩ .
(١٥) سبل الهدى والرشاد : جـ ٤ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .
(١٦) نفسه ص ٥٢٩ .
(١٧) الثلمة : الخلل فى الحائط وغيره ، يقال : ثلم الجدار وغيره ثلما : أحدث فيه شقا ، وثلم الوادى : انكسر جانبه (المعجم الوسيط) .
(١٨) النز والنز : مايتحلب من الأرض من الماء .

التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة

معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم .. » ثم جرت مبارزة بين على وبين عمرو بن عبد ود قتل فيها عمرو ، فخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة(١٩) .

● وبالنظر للأهمية التكتيكية لهذه الثغرة أو المضيق ، فإن الرسول - ﷺ - كان أحيانا يحرسها بنفسه .

فقد روى محمد بن عمر عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كان رسول الله - ﷺ - يختلف إلى ثلمة فى الخندق يحرسها »(٢٠) .

● ثم إن المسلمين كانوا يعبرون من خلال هذه الثلمة لمطاردة أولئك الأعداء الهاربين ، فحينما قتل عمرو بن عبد ود رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير - رضى الله عنه - كما تبعهم كذلك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -(٢١) .

الأمن والسرية

● كان الخندق مفاجأة للمشركين لم يكونوا قط يتوقعونها حتى قالوا : هذه مكيدة لم تكن العرب تكيدها(٢٢) ، فدل ذلك على أمرين فى غاية الأهمية :

(١) أن المسلمين كانوا على علم مسبق بنوايا أعدائهم بالخروج من مكة لمهاجمتهم وذلك بفضل يقظة رجال استخباراتهم فقد بعث العباس عم النبى - ﷺ - برسالة تحمل هذه المعلومات مع رسول سريع الحركة حتى أنه قطع المسافة من مكة إلى المدينة فى ثلاثة أيام ،(٢٣) .

(٢) أن استخبارات المشركين عجزت على المستويين الاستراتيجى والتكتيكى عن اكتشاف أمر الخندق وذلك رغم أن حفره استغرق مدة ليست بالقصيرة (حوالى أسبوعين)

● واستخدم المسلمون يوم الخندق شعارا (وهو المعروف بكلمة سر الليل) هو : « حم ، لاينصرون »(٢٤) ، ولقد خرجت طليعتان (مفرزتا استطلاع) للمسلمين فالتقتا ولا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون إلا أنهم العدو ، فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار « حم لاينصرون » فكف بعضهم عن بعض ، فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم(٢٥) .

حماية الجبهة الداخلية

● ولم يغفل المسلمون أمر الجبهة الداخلية (المنطقة الإدارية) فى المدينة فاتخذوا الإجراءات الكفيلة بتأمينها وحمايتها وخاصة من الخطر الذى قد يأتى من جهة يهود بنى قريظة إذا نقضوا عهدهم ، ومن ذلك مايلى : -

(١) رأت صفية عمة الرسول - ﷺ - وكانت فى أحد الحصون الخلفية عشرة من اليهود يستترون ويرمون الحصن ، ودنا أحدهم إلى باب الحصن ، فأخذت سيفا (أو عمودا) ثم نزلت فقتلته به ، وألقت برأسه على اليهود ، فتفرقوا »(٢٦) .

(٢) أراد الرسول - ﷺ - أن يتحرى عما بلغه من نقض بنى قريظة للعهد ، فبعث سعد بن معاذ بن النعمان ومعه بعض الصحابة ، وقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه (أى يقولون كلاما يخالف ظاهره معناه ، بحيث لايفهمه إلا الرسول - ﷺ -) ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس (حرصا على الروح المعنوية للمسلمين) ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس ، قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم(٢٧) .

(٣) وبعث الرسول - ﷺ - مفرزتين قويتين لحراسة المدينة ، الأولى تتألف من مائتى رجل بقيادة سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلى .

والثانية تتألف من ثلاثمائة رجل بقيادة زيد بن حارثة ، وكانوا يظهرون التكبير ، فكان لذلك أثره فى إيقاع الرهبة فى قلوب بنى قريظة وردعهم ، فرجعوا عما كانوا قد هموا به بالإغارة على المدينة ليلا(٢٨) .

---

(١٩) ابن هشام : المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٢٠) سبل الهدى والرشاد : المرجع السابق ص ٥٢٩ .
(٢١) السيرة الحلبية : المرجع السابق ص ٦٤٣ - ٦٤٤ .
(٢٢) ابن هشام : المرجع السابق ص ٢٢٤ .
(٢٣) سبل الهدى والرشاد : ص ٥١٤ .
(٢٤) ابن هشام : ص ٢٢٤ .
(٢٥) سبل الهدى والرشاد : ص ٥٣٧ .
(٢٦) نفسه ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .
(٢٧) ابن هشام : ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٢٨) سبل الهدى والرشاد : جـ ٤ ص ٥٢٨ .

من الإعلام إلى الأمية فالتبشير

للأستاذ/ حسن على العنيبسى

الإعلام الإسلامى فى مواجهة التبشير

بين الإعلام .. والأمية :

مما يؤسف له ان واقع المجتمعات الإسلامية يضعف من قوة الإعلام الإسلامى ـ لا اى إعلام ـ فمن الإعلام ما يفسد على المرء دينه وذلك لان الإعلام الإسلامى يتفاعل على ما هو عليه ، فإنه لا يتحرك فى فراغ ، ومما يعرقل رسالة هذا الإعلام بصفة عامة والإعلام المطبوع بصفة خاصة تلك الامية المنتشرة فى شتى انحاء العالم الإسلامى ؛ فالجهل رأس كل بلية وحسبك ان تطالع التقرير السادس لمنظمة الصحة العالمية لمعرفة نسبة الأمية فى بلاد المسلمين وستعرف ان الإعلاميين المخلصين لهذا الدين يواجهون محنة لافتقادهم للجمهور القارىء والجدول الآتى يبين نسبة الإلمام بالقراءة والكتابة فى دول الإسلام .

البلـــد	النسبة المئوية (حسب عام ١٩٧٧)	البلـــد	النسبة المئوية	البلـــد	النسبة
باكستان	٢١٪	تونس	٥٥٪	سوريا	٥٣٪
بنجلاديش	٢٢٪	موريتانيا	١٠٪	العراق	٢٦٪
السعودية	١٥٪	مالى	١٠٪	إيران	٥٠٪
النيجر	٨ ٪	اليمن الشمالى	١٠٪	تركيا	٦٠٪
افغانستان	١٢٪	اليمن الجنوبى	١٠٪	مصر	٤٠٪
نيجيريا	٢٥٪	المغرب	٢٨٪	الأردن	٦٢٪
الجزائر	٣٥٪	الصومال	٥٠٪	لبنان	٦٨٪
				السودان	١٥٪

من الاعلام إلى الأمية فالتبشير

ولقد أدرك المبشرون هذه الحقيقة : «انتشار الأمية بين المسلمين» ولذلك أخذوا بالأسلوب العلمى الصحيح فى مجال الاتصال بالجماهير ، فالقاعدة الإعلامية ترتب أفضلية أنواع (الاتصال) وفقاً لطبيعة الجمهور وذلك لضمان أقصى تأثير ممكن .

وحيث تنتشر الأمية فالأفضل أن يكون «الاتصال شخصيا» أو ما يسمى بـ (الاتصال المباشر Personal Communication) فأكثر المخططون الاستعماريون من المبشرين .. وحيث تنتشر المساحات الجغرافية وتتباعد يكون الاتصال الجماهيرى[1] أيسر وأقل تكلفة لكنه ليس أكثر تأثيراً .

وحيث يكون الجمهور على مستوى جيد لا يقل عن نسبة ٨٠٪ يعرفون القراءة والكتابة فإن الاتصال المطبوع من خلال الصحافة يكون أفضل .

ولقد جمع المبشرون بين كل أنواع الاتصال بمهارة فائقة ، وعرفوا أين يستخدمون الاتصال المباشر ، وأين يستخدمون وسائل الإعلام بجميع أشكالها ؟! وقد توافرت لهم الإمكانات الضخمة التى لا تعنى بها الدول الإسلامية والإعلام فى بلاد المسلمين أمام عقبات الأمية ، وأمام تدفق المبشرين بالآلاف فى غزوة عنيفة لم يشهدها العالم الإسلامى عبر القرون الماضية .. أمام كل هذا يقف الإعلام الإسلامى مذهولاً : كيف يرد .. وماذا يقول .. ومتى يقول !! وما وسائله عندما يقول ؟!

وقبل أن نناقش موقف الإعلام فى بلاد المسلمين نشير سريعاً بالأرقام فقط إلى ذلك الهجوم المنظم على بلاد المسلمين ، وإلى تلك الغارة الوقحة التى تدمر أمامها كل شىء ثم بعد معرفة جيدة بأساليب أعداء الإسلام ، يمكن لنا أن نقترح استراتيجية إعلامية فعالة تقف أمام هذا الطوفان من الإعلام المضاد ، سواء فى ذلك (الإعلام الشخصى) فى شكل المبشرين أو (الجماهيرى عبر وسائل الإعلام الحديثة) .

وفيما يلى لمحات سريعة نطوف خلالها - بالأرقام - أرجاء العالم الإسلامى ، لنعلم حجم التبشير فيه .. ولعل هذه الأرقام تكون تحت بصر العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية والمهتمين بشئون المسلمين فى العالم ، وتجدر الإشارة قبل أن نغادر هذا الموضع إلى غيره إلى ما نشرته مجلة Time تايم الأمريكية فى ١٨/٤/١٩٦٠ منذ سبعة وعشرين عاما حيث نشرت هذه المجلة تحقيقاً صحفيا استغرق اثنتى عشرة صفحة من المجلة تحت عنوان «الدين .. أقوى من الغزو» .

قالت هذه المجلة إن عدد المبشرين فى العالم الآن أى عام (١٩٦٠) كالآتى :

٣٨,٦٠٦ مبشرين كاثوليك ، ٥١,٠٠٠ مبشر بروتستانتى فكم ياترى وصل عددهم عام ١٩٩٠ م .

---

(١) الاتصال الجماهيرى غير المباشر فالأول هو الاتصال عن طريق (الراديو) .. إلى (القمر الصناعى) وهو اتصال شامل لكنه لا يؤثر فى كل فرد على حدة عكس الاتصال المباشر .

١ - قارة آسيا :

١ - التبشير فى اندونيسيا :

وهى دولة مسلمة ٩٠٪[٢] من سكانها يعتنقون الإسلام ، ولكن هذه الدولة لظروف اقتصادية صعبة مرت بها ، ولضغوط مختلفة استغلها التيار الصليبى فى العالم لصالحه جعل حجم التبشير فى هذه الدولة كما يلى :

(١) توجد فى اندونيسيا الإسلامية حسب احصائية عام ١٩٦٧ :

٩٨١٩ كنيسة بروتستانتية .
٧٢٥٠ كنيسة كاثوليكية .
٢٦٣٠ قسيسا كاثوليكيا .
٨٥٠٤ مبشراً متفرغا من البروتستانت .
٥٣٩٧ مبشراً متفرغا من الكاثوليك[٣] .

ولعل هذه الأرقام لا تمثل سوى ٢٥٪ من الأرقام الحالية فقد مر على هذه الإحصائية اكثر من عشرين عاما ، ولعلك تدهش لهذا الجيش الجرار من المبشرين فى هجمة شرسة على أندونيسيا المسلمة ، ولقد سمعت بأذنى فى المؤتمر الإسلامى الذى دعا إليه الأزهر الشريف فى عيده الألفى مندوب أندونيسيا يبكى ويعلن أن المخطط التبشيرى يهدف إلى تحويل المسلمين عن الإسلام تماما فى عام ٢٠٠٠ م .

ذلك فى الوقت الذى تتصارع فيه الدول الإسلامية فى حروب طاحنة ما تكاد تنتهى واحدة حتى تنفجر أخرى تحصد الشباب وتبدد المال . لقد كان تقدير الخسائر فى حرب إيران - العراق مليونا ونصف مليون قتيل وجريح ومفقود ، إلى ضياع (٣٥) مليار دولار فى شراء آلات الدمار من كل طرف كانت كافية لمسح آلام المسلمين فى شتى بقاع الدنيا .. فهل نتنبه لما يجرى فى اندونيسيا قبل أن تصبح اندلسا أخرى .. نبكى عليها .

(٢) ويوجد فى الفلبين ٤,٨ مليون مسلم[٤]

يقيمون فى المناطق الجنوبية الفقيرة منتشرين فى نحو ثلاث عشرة ولاية ، وحسب تقرير لجنة حقوق الإنسان لسنة ١٩٧٦ يوجد ٢٥ الف مسلم فى السجون والمعتقلات فضلاً عن التبشير العنيف فى الجنوب ، هذا قليل من كثير مما يحدث للمسلمين وبين المسلمين ، ويزداد ضراوة وحدة هذه الأيام ، بعد أن اقتنعت حكومة الفلبين بنظرية الغرب عن الإسلام فتخلت عن وعدها بمنح الحكم الذاتى للمسلمين .

ترى .. كيف يواجه الإعلام الإسلامى مثل هذه الأمور ؟!!

ب - افريقيا :

أما فى قارة أفريقيا فإن الأمر جد خطير والتبشير قائم على قدم وساق بشكل علنى سافر ، يتحدى كل مشاعر التسامح والأخوة ، ويتحدى مبدأ حرية العقيدة الذى تشير إليه مبادىء الأمم المتحدة .

وفى أفريقيا يزور الأسقف الأكبر للفاتيكان مواطن التبشير مرتين فى عام واحد ويعلن فى

(٢) اكثر من ٧٠ مليون نسمة يدينون بالإسلام حسب احصائية سنة ١٩٧٠ م .
(٣) عطية خميس ، تداعت عليكم الأمم ص ٦٦ .
(٤) مصادرنا فى هذه الأرقام غير إسلامية ، وعادة ما تتعمد هذه المصادر تقليل عدد المسلمين أيا كانوا .

من الاعلام إلى الأمية فالتبشير

مؤتمر صحفى عالمى «أن على الإسلام ان يخلى مكانه فى هذه القارة» مما حدا بعض كبار الصحفيين فى مصر أمثال جلال الحمامصى ومصطفى أمين أن يردوا عليه فى صحفنا فى مصر ويكفى أن نشير إلى أن قارة أفريقيا يطوف بها شرقاً وغرباً حسب آخر إحصائية لعام ١٩٨٦ اكثر من (١١٥) الفاً من قسس وغيرهم مستخدمين جميع وسائل الترغيب التى برع فيها المبشرون من علاج وتعليم وقروض ، ومنح ، إلى جميع وسائل الترهيب مثل تدبير الانقلابات العسكرية والتجويع وحظر المعونات والقمح والسلاح .. الخ .

وحتى تكتمل الصورة لدى العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية يحسن بنا أن نشير إلى مقارنة نشرت بجريدة الأخبار فى العدد رقم ٨٥٣ الصادر فى ٢٤ رمضان سنة ١٣٨٠ هـ تقول تحت عنوان «تقرير للكونجرس عن أفريقيا» :

فى هذا التقرير فصل عن أفريقيا والتبشير الدينى الأمريكى فيها يقول :

كان يوجد فى افريقيا فى سنة ١٩٦٢ ـ ٤٧٠ قسيساً .. والآن ٤٤٧٠ قسيساً .

كان يوجد فى أفريقيا فى سنة ١٩٦٢ ـ ٤٣٠ راهبة .. والآن ٣٤٠٠ راهبة .

كان يوجد فى افريقيا سنة ١٩٦٢ ـ ٧٥ رجلا مع بعثات التبشير .. والآن ٧٥٠٠٠ رجل ، وهذه الاحصائيات عن عام ١٩٨٠ فقط .. فكم هى بعد عشر سنوات ؟!

أما عدد المبشرين البروتستانت فى أفريقيا من الأمريكان .. فقد كان (٢٨٦١) واصبح فى عام ١٩٦٢ م (٣٤٢٦) يعمل معهم من الأفريقيين (٢٤,٠٠٠) افريقى وفى التقرير عن عام ١٩٧٠ بلغ عدد المبشرين فى أفريقيا ٤٣,٠٠٠ مبشر مسيحى .. قارن الأرقام ولاحظ نمو الأعداد كل عام ، ثم لك أن تعرف كم هم الآن ؟!

وهذا جدول يبين نمو الكنيسة الكاثوليكية فى افريقيا حتى عام ١٩٨٠

جدول رقم (٢)

التاريخ	عدد السكان	عدد الكاثوليك	النسبة المئوية
١٩٠١	١١٨,٠٠٠,٠٠٠	١,١٩٧,٠٠٠	٪١,٠٠
١٩٢٩	١٦٩,٠٠٠,٠٠٠	٩,٢٩٤,٠٠٠	٪٥,٥
١٩٦١	٢٦٠,٩٥٨,٠٠٠	٢٥,٩١٥,٥١٢	٪٩,٩
١٩٧٩	٤٤٣,٤٣٩,٠٠٠	٥٤,٨٤٥,٦٠١	٪١٢,٤
١٩٨٠	٤٥٦,١٠٦,٠٠٠	٥٦,٦٦٧,٦٢٦	٪١٢,٤

فى زنزبار :
قامت الصحافة العالمية الصليبية واليهودية بشن حرب شعواء على المسلمين هناك ، وعندما ضم «جوليوس نيريرى» هذه الدولة إلى أراضيه تمت مذابح دامية راح ضحيتها نحو خمسة عشر ألف مسلم بحجة الأعداء البيض .. وإنما كان هؤلاء مسلمين .

وفى نيجيريا : نسبة المسلمين فيها أكثر من ٩٠٪ شنت عليهم المؤامرات المختلفة عقب الانقلاب العسكرى ضد الرئيس المسلم «أحمد بللو» ـ رحمه الله ـ ثم قامت عدة انقلابات عسكرية بعد ذلك تركت البلاد لا تنعم باستقرار .

اثيوبيا : نسبة المسلمين ٥٥٪ حوالى ٢٩ مليون مسلم (حسب تعداد ١٩٧٧) وهو تعداد نشك فيه كثيراً يخفى ما لا يقل عن ٢٠٪ من باقى السكان ، وهناك تحصر الوظائف فى غير المسلمين إلى جانب حظر نشاط الدعوة الإسلامية .

اما فى اوروبا :
فالأنباء تترى بحوادث ما يجرى للمسلمين فى البانيا والمانيا ويوجوسلافيا وبريطانيا ، وهذه الأخيرة تصرفت عن عمد دفاعا عن سلمان رشدى معلنة أنها لا تمنح غير المسيحيين حصانة من الهجوم . أضف إلى ذلك أحوال المسلمين فى بلغاريا والمجر واليونان(٥) .

ولم نذهب بعيداً .. هذا لبنان الذى لا يجد فيه المسلمون نفس الحقوق التى للمارونيين .

هذه هى الخريطة مقربة شيئاً ما أمام الإعلامى المسلم ، والداعية المسلم ، نسأل الله التوفيق والسداد .

(٥) راجع مجلة الأزهر ربيع الأول ١٣٩٩ هـ / فبراير ١٩٧٩ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنويا

١ ـ جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) اربعة جنيهات وثمانون قرشا .
٢ ـ اتحاد البريد العربى الافريقى [بالبريد الجوى] (٣٥) خمسة وثلاثون دولارا او مايعادلها .
٣ ـ باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولارا . او ما يعادلها .

وتطلب راسا من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ
شارع الجلاء ـ القاهرة
ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر .

حضارة الإسلام وحضارة الغرب في أفريقيا

إعداد قسم التحرير بالمجلة

امتدت حضارة الإسلام إلى القارة الأفريقية منذ بداية القرن الأول الهجرى ، وتحول السكان فى شمال القارة - وهم فى جملتهم من الحاميين - إلى الإسلام ، واختلطوا بالعرب الساميين ، وتزاوجوا ثم اندمجوا ، حتى اصبحوا شعباً عربياً يشكل الجناح الغربى للعالم الإسلامى ، ولم يلبث الإسلام ان نفذ إلى الصحراء الكبرى ، وعبر ممراتها ودروبها إلى الجنوب ، وحول بحيرة تشاد ووادى نهر النيجر ، ومالى ، ثم استدار على الجانب الغربى للقارة حتى وصل إلى نيجيريا والكاميرون والجابون ، وعلى الجانب الشرقى ماراً بكينيا وتنزانيا إلى موزمبيق ، وازدهرت حضارة الإسلام فى شمال القارة وشرقها وغربها ، واكتسب الناس فيها ثقافته وحضارته ، واتبعوا شريعته فى الفكر والسلوك ، فمسحت شريعة الإسلام وحضارته عن كاهلهم عبء الوثنية والكهانات والخرافات التى ناءوا بها طويلاً ، ورزحوا تحت اثقالها ازماناً ، وظهر من بينهم العلماء والفقهاء والمحدثون ، الذين اخذوا بايدى الناس إلى نور الإسلام وإنسانيته وسمو مبادئه

ولم يلبث المسلمون أن تراجعوا عن مركز الصدارة فى قيادة العالم ، بتراجعهم عسكرياً ، وتقدم الغرب يدنس بأقدامه كل ركن من أركان القارة ، ويسيطر على كل بقعة فيها ، ولما استقر واطمأن فى هذه البلاد ، بدأ يحارب الإسلام وحضارته ، محاولاً أن يحل محله حضارته وثقافته ، وهى حضارة تحمل مظهراً مسيحياً خالياً من كل مضمون أنزل على المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - وأخذت مضموناً سياسياً لخدمة أهداف الغرب الاستعمارية لاسيما وهو الآن يتخلى عن تراث المسيحية الأصيل . حتى أنه ليفتقر إلى أبسط المبادىء الخلقية والإنسانية التى تعين على بناء حضارة .

نعم .. لقد تخلى حراس المسيحية وكمنتها ورجال كنائسها عن قدسية الحياة الزوجية ، ولم يعودوا يحاربون الخيانة أو يستهجنونها ، بل إن كبير أساقفة كنتربرى [1] يرفض حتى أن يدين

(١) مقابلة مع كبير أساقفة كانتربرى فى جريدة التايمز البريطانية يوم الاثنين ٢ مارس ١٩٨٧ م .

الشذوذ الجنسى ، بحجة أن الشواذ قد لا يستطيعون أن يغيروا ما أصيبوا به أو جبلوا عليه ، وقبل تصريح كبير الأساقفة هذا ، كان البرلمان قد وافق على إباحة الشذوذ الجنسى للبالغين ، بل لقد وصلت المهانة والضعة بحراس المسيحية الغربية إلى درجة يصرح معها أسقف بيرمنجهام ذات مساء بأنه قد يتفهم إمكانية أن يكون السيد المسيح ـ عليه السلام ـ شاذاً جنسياً ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ (٢)

نعم لقد أضاع حراس المسيحية قيمها ومبادئها ، ولم يبق من العقيدة ذاتها إلا القشور والمظاهر ، فويل لهم مما صنعوا ويصنعون ، ولقد يدهش المرء حين يعلم أن نسبة القساوسة الشواذ جنسياً قد وصلت فى بعض الإدارات إلى ٥٠٪ (٣) ناهيك عن حوادث الاغتصاب والسكر والتساهل فى أمور الجنس والإجهاض والفواحش المنكرة حتى بلغ الحال ببعض الأتباع إلى الفسق بمحارمه فأدركهم ما أدرك المجوسية ، حيث يتوقع أن تصل حالات فسق الآباء ببناتهم إلى (٦٠٠٠) حالة فى العام (٤) .

لا يملك المرء إزاء هذا الخراب الأخلاقى ، والتراجع المشين عن القيم السامية إلا أن يقول كما قال بعض القساوسة : « إن الكنيسة قد ماتت . ولكنها لم تدفن بعد » .

وبعد ، ألم يأن لنا أن تستنهض همم حراس الإسلام وعلمائه وقادته ومفكريه ، ليعملوا جهدهم ، كى ينقذوا البشرية من تراجعها المهين نحو عصور ما قبل الأسرة ، وما قبل الحضارة والأديان .

كانت هذه مقدمة لابد منها لنعود بعدها إلى موضوعنا ، ولقد كنت قد قرأت وكتبت الكثير عن الإسلام والمسيحية فى أفريقيا ، ولكن ما قرأته وكتبته لا يقارن بالمشاهدة المباشرة ، والاحتكاك بالمجتمعات الأفريقية وجهاً لوجه ، وهذه تجربة لابد من حكايتها للمسلمين من أبنائنا فى الشرق والغرب ، حتى يأخذوا منها عظة وعبرة ، ويتصوروا ما يمكن أن يحل بهم فى مستقبلهم إذا جازت عليهم تجارة الغرب بدينه ، وأضلتهم دعاياته ومخططاته الخبيثة ، ذلك أننا بأحد الموازين نرى أن حركة تقليد الحضارة الغربية ، بل وحتى حركة اعتناق الديانة المسيحية على الطريقة الغربية تتزايد تزايداً مطرداً وملحوظاً فى أفريقية بصفة خاصة ، بل وفى الأجزاء المتباعدة من قارة آسيا ، ويتزايد عدد المقبلين على الثقافة الغربية فى صورها المختلفة ، فما الذى يحدث لهؤلاء فى حياتهم وسلوكهم ومستقبلهم .

إن ما يحدث على سبيل المثال فى مجتمع حديث العهد بالمسيحية وهو المجتمع الكينى ، حيث اعتنقها حوالى ٧٠٪ من أفراد هذا المجتمع ، جدير بالبحث والدراسة وإعمال النظر ، ما يحدث فى هذا المجتمع وأنا به زعيم ، وشاهد عيان لا يمكن أن يصدقه عقل ، ولا يمكن أن تقبله فطرة سليمة أو شخصية سوية ، فالجنس فى هذا المجتمع مباح بلا قيود ، والخيانة الزوجية شائعة بلا حدود ، وتسأل المرأة : هل أنت متزوجة ؟ تقول : لا ، هل عندك أولاد ؟ نعم ،

---

(٢) مجلة المركز (المركز الإسلامى فى الخرطوم) مقالة بعنوان حضارة الغرب إلى أين : حسن مكى ص ٨ (العدد ٤١ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ) .

(٣) جريدة الجارديان البريطانية ٧ مارس ١٩٨٧ .

(٤) التايمز البريطانية ـ الأربعاء ٢٤ يولية ١٩٨٧ .

حضارة الاسلام وحضارة الغرب

ولمن ينتسبون ؟ إلى أبى . وتسأل طـالبة الجامعة : هل أنت عذراء ؟ تقول : لا ، وترد ببساطة : وما قيمة ذلك ؛ إن الشباب لا يقبلون على العذراوات ، وكل شاب له عشيقة وكل شابة لها عشيق ، يمارسان الجنس عياناً بياناً ، بعلم الأهل ومباركتهم ، وكانت النتيجة المحتومة ، اطفالا بلا آباء شرعيين ، وأمراضا خبيثة كالإيدز ، بلغت نسبة المصابين به حداً غير معقول ، حوالى ٤٠٪ ، وفى هذا مؤشر خطير ، وفهم جاهلى للحياة الإنسانية ، وتراجع إلى عصر ما قبل الأسرة وما قبل الأديان بقيمها ومبادئها التى أخرجت الإنسان من الظلمات إلى النور ، ومن الحيوانية إلى كرامة الإنسانية ترى الناس سكارى ومدمنين للسكر ، وكثير منهم لصوص يسرقون وينهبون ويقتلون . ثم يذهبون للسكر والعربدة ، حتى افتقد الناس الأمن والأمان وصارت البيوت بما عليها من قضبان حديدية سجونا حقيقية ، ولا يأمن حتى المواطن من السير ليلاً بمفرده فى أى مكان بأطراف المدينة .

ويعجب الإنسان إذا ذهب إلى إحدى الكنائس المحلية فى نيروبى وكأنه فى مسرح . تتعالى فيه الموسيقى صاخبة مجنونة ، ويتراقص فيها الشباب والشابات ، يدعون الرب كى يغفر لهم ، ويمحو عنهم خطاياهم ثم يعاودون الكرة أسبوعاً بعد أسبوع ، وكأن الخطيئة شىء تافه القيمة ، ليست له آثاره المدمرة والقاتلة للروح ، ويمكن غفرانها دورياً أحداً بعد أحد .

وتعال بنا إلى ساحة الإسلام وحضارته فى ذات البلد ، ترى المسلمين وإن أصابهم من مجتمعهم هذا رذاذ متناثر، وشرر متطاير ، تراهم شكلاً فى صورة ترتاح لها الأعين ، وترضى عنها النفس المفطورة على حب الخير والجمال وترى الفتيات محتشمات مغتسلات ، تعلو جباههن سمات الحياء وتشعر فى قلوبهن برقة الإسلام وسماحة التدين ، وتراهم مضمونا ، على قدر من الصدق والأمانة وحسن الخلق ، يراعون الله فى سلوكهم ، ويعبدون الله فى بيوتهم ، يصلون ويصومون ويركعون لرب العالمين .

ولطالما ارتفع نعيق الغرب ، وتعالت أبواق دعايته البغيضة ، تعلن أن المسلمين عنصريون ، يفرقون بين الأبيض والأسود ، ويستعبدون السود لمصلحة البيض ، ولم أر دليلاً على فساد هذه الأكذوبة من وجوه هؤلاء المسلمين السود ، الذين لا يمكن أن تفرق بينهم وبين غيرهم ، مالم يذكر لك انه مسلم او تعرف ذلك من اسمه . ومالنا لا نذكر النموذج العملى للعنصرية الغربية فى جنوب افريقية ، وهى الدليل الذى يدحض كل شك ويمحق كل باطل ، والا يذكر الناس مؤخراً كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد حجبت معونتها عن « زيمبابوى » لمجرد انتقاد أحد المسئولين فى الحكومة السياسة الأمريكية تجاه دولة جنوب افريقية العنصرية ؟

* * * *

إن الغرب يعمل على تغيير الوجهة الحضارية والثقافية فى افريقية إلى وجهة غربية نصرانية ممسوخة ، ويعمد فى سبيل ذلك إلى إبعاد التعليم الإسلامى عن مجالات الحياة فى أفريقيا ، كما يعمل على إبعاد العاملين من أبنائه عن مواقع التأثير فى المجتمعات ، ليحل محلهم أجيالاً مستغربة ممسوخة مشوهة ، ومن سوء الحظ أن الغرب قد نجح فى تحويل الملايين إلى تلك النصرانية المصنعة فى الغرب ، حتى لقد سألت سيدة عن اسمها فقالت لى : اسمى ڤاليستا عمر . وامى فاطمة . قلت : أنت إذن مسلمة ؟ قالت : لا .. انا مسيحية رغم أن ابى وأمى

مسلمان ، وسكينة ونعيمة وآمنة ، قد وجدتهن زوجات لرجال مسيحيين ، كل ذلك فى غياب سلطان الإسلام ، ولقد تحدثت كثيراً مع مسئولين عن الدعوة ، وقلت لهم : أين أنتم ؟ وقد رأيت بعينى رجالاً يصحبون ابناءهم إلى المسجد ، يريدون الدخول فى الإسلام ، ويرغبون فى أن يساعدهم المسلمون لختان أنفسهم وأبنائهم وتعليمهم كيف يصلون ، ولكن ـ بكل أسف ـ حتى هؤلاء لا يجدون من يأخذ بأيديهم إلى نور الإسلام ، فهل عجز المسلمون حتى عن احتضان هؤلاء ، وضمهم إلى ساحة الإسلام ، وإلى الأخوة الإسلامية الشاملة ؟ ومن موقع مسئوليتى أمام الله أقول : رغم كل شىء مازالت هناك فرصة لاجتذاب العديد من الناس إلى رحاب الإسلام ، ولن يتأتى هذا بهذه الأساليب المعمول بها الآن ، بل يجب إعداد خطة شاملة ينسقها ويخططها أصحاب الرأى والعلماء العاملون فى هذا الحقل ، ليس فقط من رجال الدين ، بل من العلماء مهما اختلفت تخصصاتهم ، الذين لهم علاقة ودراية بالأوضاع فى هذه القارة . ومن وجهة نظرى أرى أن أفضل السبل وأقدرها على تحقيق الغاية هو الاعتماد على الكوادر المحلية بعد تدريبها وتثقيفها ورعايتها مادياً ، لأنهم أقدر على الدعوة بحكم انتمائهم إلى ذويهم ومعرفتهم بلقائهم وثقافتهم ، ويجب أن نتذكر أن الإسلام لم ينتشر فى معظم بلاد الدنيا إلا على أيدى الناس العاديين من الدعاة التجار وغيرهم ، يؤيدهم ويشد من أزرهم قوة الإسلام الذاتية ، وكونه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

وبالله التوفيق

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة .

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حىّ الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأسا إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

من تاريخ الأزهر

تقرير عن مشروع إلغاء القسم العالى من معهدى اسكندرية وطنطا ٢

بقلم فضيلة الشيخ
محمد الأحمدى
شيخ الجامع الأحمدى بطنطا
رحمه الله

هذا التقرير من الوثائق الهامة التى تنشر هنا لأول مرة ، وننفرد بنشره على صفحات مجلة الأزهر الغراء ، فهى الوحيدة التى تضطلع بنشر تراث الأزهر ، جعلها الله حارسا ومدافعا عن تراث الإسلام .

د . مجاهد توفيق الجندى

أسباب انحطاط المستوى العلمى فى النظام الذى يجب أن يعالج

السبب الأول : فى ذلك كثرة الحصص اليومية على الطالب فقد كانت قبل النظام اثنتين ، وقد يزيد الطالب المتفوق ثالثة ، وصارت فى النظام أربعا لجميع الطلبة ؛ وقد انبنى على هذا ، وعلى كثرة العلوم ، وكثرة المقررات السنوية (كما سيأتى بيانه) أن أصبح الطالب فى أشد أنواع الجهد والكد لا يجد فرصة للمذاكرة ، ولا لإعطاء المسائل حقها من البحث والتفكير بدقة . وعلى مهل كما كان فى الماضى ، وانقسم الطلاب إلى فريقين ..

فريق ضعيف فَهُوَلَهُ هذه الحصص المتوالية ، والأحجام الكبيرة والمقررات الواسعة فى عويصات المسائل فينهزم أمامها ويحس بالعجز ويولى

وجهه شطر حفظ الملخصات والمتون عساه يفوز بها فى الامتحان .

وفريق قوى لا يزال يجِدُّ ويكدُّ ولا ييأس ، ويقتطف بعض الشىء من هنا ومن هناك بقدر ما تسمح به الحال من غير إنضاج .

يكلف الطالب الآن فى القسم العالى بأن يتلقى كل يوم درسا فى الفقه العالى من كتاب (المجموع) أو (المنهج) ودرسا فى الأصول من كتاب (ابن الحاجب) المشهور بصعوبته ، وثالثا فى التفسير من كتاب (النسفى) ورابعا فى البلاغة من كتاب (دلائل الإعجاز) وقد يكون بدل الفقه المنطق من كتاب (الشمسية) أو (التوحيد) من كتاب (الطوالع) .

ومن المعلوم أن طريقة التدريس الأزهرية تقتضى أن يذاكر الطالب الدرس فى أكثر من زمن تلقيه بل قد يصل ذلك فى الكتب الصعبة إلى ضعف زمن التلقى .

ونظراً إلى أن زمن الحصة الواحدة ساعتان إلا ربعا ، وهى أربع فى اليوم ، يكون مجموع مدة العمل نحو (١٨) ساعة على الأقل ؛ فكيف يتصور القيام بهذا وعلى استمرار .

لذلك تجد الطالب يرتقب بعض ساعات أيام الاستراحة كالخميس والجمعة مع بعض ساعات من الليل أو يختلس دقائق بين الحصص ليذاكر فيها مذاكرة لا تجدى فى الغرض الأزهرى المطلوب .

وكثير من الطلبة يتلقى كثيراً من الدروس بلا مذاكرة ، وكل مُلِمٍّ بالطريقة الأزهرية يعلم أن تلقى الدرس بدون مذاكرة ضياع فى ضياع .

هذا هو ما ينهك قوى الطلاب ويجعلهم يشتغلون أضعاف ما كان يشتغل الطالب قبل النظام ثم لا يخرجون بطائل يجدى ، اللهم إلا إلمامات بمعلومات شتى لا تذهب أن تزول فأما (تَمَكُّنٌ) من مادة بعينها أو (ملكة فهم) ومناقشة راسخة فقليل ذلك ، فإلى هذا وغيره يرجع انحطاط المستوى .

وبديهى أن توحيد القسم العالى لا يجدى مطلقاً فى معالجة مثل هذا الداء كما أن بقاء الحال على ما هو عليه لا دخل له فى الضعف بل هو بالعكس مما يقاومه بسبب ما يوجد فى المعاهد من المنافسة .

السبب الثانى : كثرة المقررات السنوية فى القسم العالى على الخصوص ؛ فهناك (صحيح مسلم) كله و(تفسير النسفى) كله و(دلائل الإعجاز) كله و(الشمسية) كلها و(الطوالع) و(ابن الحاجب) والنصف الثانى من كتب الفقه العليا كـ(المجموع) و(المنهج) و(الهداية) وهذا كله غير (الأخلاق) و(نظام القضاء) و(الكيمياء) و(الطبيعة) و(الهيئة) والوقت المحدد لا يتسع لشىء من ذلك .

يكلف الطالب الآن بصحيح مسلم كله من أوله إلى آخره ، ويقال له : عليك أن تستحضره تمام الاستحضار بكل ما فيه من إشكالات ودقائق وآداب وأحكام وغريب لكى يضمن لك النجاح فى الامتحان التحريرى الذى ستفاجأ فيه بالاختبار فى أى نقطة يقع عليها اختيار اللجنة ثم يعطى من الوقت ما تستحيل دراسته فيه وحدها فضلاً عن دراسته أولاً ثم مذاكرته ثانيا فى آخر سِنِى الدراسة .

هذا فى حين أن الطالب من قبل ما كان يكلف بتلقى ذلك فى فن الحديث وما كان يمتحن فيه على

من تاريخ الأزهر

طريق المفاجأة بل يعين له حديث ويعلم به ليذاكره ثم يناقش فيه[١] .

ومع هذا فقد كان الطالب الأول متينا ؛ لأن الوقت الذى يمضيه طالب النظام فى الاطلاع على ما لا يحصى من الأحاديث التى يحتويها مسلم والبخارى ويبذل الجهد فى مجرد تلاوتها باسم (إتمام المقرر) كان يمضيه الطالب غير النظامى لا فى ذلك بل فى تربية ملكة البحث فى مواضع خاصة ومتى توافرت لديه الملكة سهل عليه أن يحكم حكما صحيحا فى كل ما يعرض عليه من حديث وغيره ، وإن لم يطلع عليه من قبل و(الحفظ) أمر يعرض ويزول أما (الملكة) و(قوة التفكير) فأمر يدوم وينمو فماذا تنفع كفاءة المدرس للحديث أمام هذا المقرر الذى يحتاج فى مجرد تلاوته إلى أكثر من الزمن المخصص له : أيتقن دراسة القليل ويترك الباقى فى حين أن الطالب سيفاجأ بأسئلة فى أحاديث قد لا يكون اطلع عليها وقد يكون فيها من الغريب والمشكل الشىء الكثير؟! وإذا ترك الأستاذ الباقى فهل يتركه الطالب أيضا أو يذاكره وفى أى زمن يكون ذلك ؟

يكلف الطالب الآن بتلقى (تفسير النسفى) كله ، ويعطى وقتا لا يكفى لثلثه على أن يمتحن فيه امتحانا مفاجئا فى أى آية ليكتب عليها من ناحية : المعنى ، واستنباط الأحكام ، وبيان دقائق البلاغة ، غير ذلك فى حين أن الطالب قبل النظام لم يكن فى الغالب يحضر من التفسير إلا أجزاء يقرؤها الأستاذ مع تمام التروى والتأنى ، ويمتحن الطالب فيها بتعيين آية ليذاكرها فى أيام معدودات ثم يختبر فيها ، فأين هذا من ذاك ؛ وماذا تنفع كفاءة المدرس ، وأمامه المقرر يحتاج إلى ضعف الزمن ، ومن ورائه رئاسة المعهد تستحثه على أن يتمم كل المقرر وإلا اعتبر مخالفا للقرارات واللوائح ؟؟؟!

يفاجأ الطالب فى السنة الأخيرة التى عليه أن يستحضر فيها مقرر القسم كله من فقه وأصول وبلاغة وتفسير وحديث وأخلاق بتكليفه بتلقى كتاب الطوالع الذى لم يكن معروفاً من قبل ، ويفاجأ لأول مرة بتلك المباحث الفلسفية الغامضة المحتاجة إلى نهاية الدقة والبحث والتأمل وهو فى تلك السنة قلق الضمير مشغول البال بأمر الامتحان وبتحضير تلك المقررات الواسعة .

هذا فى حين أن الطالب من قبل إنما كان يمتحن امتحان العالمية فى (شرح السنوسية) فأين هذا من ذاك ؟ وكيف يتسنى للطالب فى مثل هذه السنة دراسة الفلسفة العميقة التى كان لا يشتغل بها من قبل إلا الواحد بعد الواحد من العلماء مثل الشيخ محمد عبده وأضرابه ؟! أفيمكن إتقان دراسة بهذه الكيفية مهما كان الأستاذ كفؤا .

الواقع الجارى أن الأساتذة يرون الزمن أقل مما يكفى فيعمدون إلى أهون الشرين فيدرسون الأهم فالأهم بحسب ما يناسب فى مثل ذلك الوقت الضيق ويتركون آخر السنة يعطى الوقت للطلبة حتى يذاكروا العلوم السابقة .

(١) راجع تصوير العلامة جلال الدين السيوطى : محاضرة القاها أمام جمع من شيوخه وزملائه فى تفسير الثلاثة آيات الأولى من سورة الفتح ، تخرج بها استاذا للتفسير بجامع شيخون بالقاهرة والذى نشرناه لأول مرة فى مجلة الأزهر عدد شهر سنة ١٩٨٣ وهو يعطينا صورة جلية واضحة عن نظام الامتحان قديما وتخريج العلماء بالأزهر وغيره .

السبب الثالث :

كثرة حصص الأستاذ ، فلقد كان المعهود قبل النظام أن الذى يقرأ (جمع الجوامع) مثلا فضلا عن مثل (ابن الحاجب) لا يكاد يقرأ غيره ؛ أما الآن فالأستاذ يقرأ (ابن الحاجب) خمس حصص أخرى فى (الشمسية) أو (الطوالع) أو (العقائد النسفية) فيكون مجموع حصصه عشراً كما قضت اللوائح ، وقد يزيد على العشرة لقلة المدرسين فى المعهد ، يضم إلى هذا كِبَرُ المقرر ؛ فعليه أن يتم الشمسية فى عام ، وأن يتم ثلث ابن الحاجب كذلك ولا شك فى أن كثرة الحصص مع سوق المشيخة للأستاذ حتى يتم المقرر طبقاً لقرارات المجلس الأعلى من أشد الأمور التى توقعه فى الحيرة وتفضى به إلى التساهل خصوصا والطالب أمامه مكدود يتنازعه كل أستاذ طول اليوم بُغْيَةَ إتمام المقرر .

وكثر ما لا يرى أستاذ كل فن وسيلة إلى الإتمام إلاّ بإعطاء حصص إضافية وكثر ما يحول دون ذلك حاجة كل أستاذ إلى ذلك مع عدم وجود وقت عند الطالب لهذا وذاك .

كان الأستاذ من قبل إذا وصل إلى مسألة صعبة لم يتركها حتى ينتهى منها مهما طال الأمر ولكن هل يتأتى ذلك الآن مع هذه الحصص والمقررات ؟ إنى أقرر هذا باعتبار ماهو موجود فى معهد طنطا وهاهو نموذج من دروس فريق من أساتذته فى سنوات مختلفة .

اسم الأستاذ	دروسه فى سنة ٣٤ ـ ١٣٣٥		دروسه فى سنة ٣٥ ـ ٣٦		دروسه فى سنة ٣٦ ـ ٣٧	
	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص
الشيخ ابو المجد الخياط	المنهج	٥	المنهج	٥	ابن الحاجب	٥
	صحيح مسلم	٢	ابن الحاجب	٥	النسفى	٥
	الزبيدى	٢	الزبيدى	٢	الذريعة	١
	الذريعة	١				
	العقائد النسفية	٣				
	مجموع الحصص	١٣		١٢		١١
الشيخ محمد عبد الرءوف جمال الدين	الدرر	٥	الدرر	٥	الهداية	٥
	ابن الحاجب	٥	ابن الحاجب	٥	ابن الحاجب	٥
	تاريخ سن ٨	١	المصطلح	١		
	مجموع الحصص	١١		١١		١٠
الشيخ عبد السلام شرف	النسفى	٥	النسفى	٥		
	ابن الحاجب	٥	ابن الحاجب	٥	مراقب	
	ادب اللغة	١	الذريعة	١		
	مجموع الحصص	١١		١١		

اسم الأستاذ	دروسه في سنة ١٣٣٤ - ٣٥		دروسه في سنة ١٣٣٥- ٣٦		دروسه في سنة ١٣٣٦ - ٣٧	
	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص	اسم الكتاب	عدد الحصص
الشيخ محمد السيد ابو شوشة	العقائد النسفية حساب سنة ٤ السعد تاريخ سنة ٤	٣ ٣ ٥ ١	العقائد النسفية دلائل الإعجاز صحيح مسلم الخبيصي والوليدية حساب سنة ٤	٢ ٢ ٤ ٢ ٣	العقائد النسفية ابن الحاجب دلائل الإعجاز كله	٢ ٥ ٤
	مجموع الحصص	١٢		١٣		١١
الشيخ محمد غرابة	العقائد النسفية السعد إنشاء وادب اللغة تاريخ سنة ٧ بيان سنة ٣ صرف سنة ٣	٣ ٥ ٢ ١ ١ ١	العقائد النسفية السعد الزبيدى عروض وصرف	٢ ٥ ٣ ٢	التحرير الشمسية دلائل الإعجاز الزبيدى	٥ ٤ ٢ ٢
	مجموع الحصص	١٣		١٢		١٣
الشيخ عفيفى عثمان	الهداية السعد جبر	٥ ٥ ٢	الهداية ابن الحاجب تاريخ سن ٨	٥ ٥ ١	الهداية ابن الحاجب تاريخ سن ٨	٥ ٥ ١
	مجموع الحصص	١٢		١١		١١

السبب الرابع :

عدم تحديد السنة الدراسية بمقدار ما يلزم للدراسة تحديداً دقيقاً مستمراً لا ينخرم مهما كانت الأسباب فالجارى الآن ان المجلس ينظر في تحديد وقت (المسامحة)[٢] والامتحانات في الشهر الخامس من الدراسة ، ونظراً لوجود (بطالات)[٣] لرمضان وللصيف فكثيراً ما ينتهى الأمر بما لا يوافق إتمام المقررات ومن أقرب ذلك ما حدث في العام الماضى حيث لم تتجاوز مدة الدراسة ستة أشهر ، فإن لم يمكن رغما عن بذل كل مجهود إتمام المقررات فيها وترتب على هذا بالنسبة للسنة الثانية عشرة الحالية الصورة الآتية :

لم تكمل مقررات الأصول وهى من الأمور التى لا يجوز استقلال الطلبة بإتمامها وأعطى الأساتذة الذين كانوا يدرسونها عشر حصص غيرها تنفيذاً للنظام وكلفوا في الوقت عينه بصفة غير رسمية بأن يتموا ذلك المقرر مع الطلبة لحاجتهم إليه في حصص غير رسمية فكان المجموع من ذلك لكل أستاذ نحو (١٥) حصة

(٢) كان هذا اللفظ يطلق على وقت (الإجازة) السنوية ، وغيرها ، المحرر .
(٣) إجازات .

وأصبحت الحصص التى يتلقاها الطالب نحو ٢٠ حصة : خمسة فى (الطوالع) وخمسة فى (ابن الحاجب) وأربعة فى (الحديث) وخمسة فى (التفسير) وواحدة فى (الأخلاق) .

فكيف يتسنى له مع هذا أن يذاكر علوم القسم التى سيمتحن فيها ؟

وكيف يتأتى للأساتذة الذين يدرسون (١٥) حصة فى القسم العالى أن يتقنوها ؟

وهل كان يجوز ترك باقى المقررات رأسا أم كان يمكن إتمامها فى مثل تلك السنة الدراسية التى قررها المجلس بالأغلبية مراعيا فى ذلك رمضان وألا يقع فى أثناء السنة الدراسية ؟!

أليس الواجب أن نقدر مدة الدراسة بمقدار ما يلزم لإتمام المقررات تقديراً دقيقا لا ينقص أبداً .

السبب الخامس :

كثرة العلوم فقد كانت العلوم التى تدرس قبل النظام أحد عشر علما ، ثم زيدت إلى أربعة عشر وهى الآن (٣٧) ولا جرم أن قوى الإنسان محدودة فما كان ينفق من المجهود فى شىء أصبح ينفق فى أضعافه ، ويستحيل أن يتفوق الإنسان فى أمثال هذه الأعداد من العلوم .

إن الاجتهاد والإقبال على الدراسة الآن من الطالب والأستاذ أكثر مما كان من قبل النظام ، ولكن تلك العوائق هى التى أضعفت التخريج ، ولو أن هذا الاجتهاد والإقبال . مع الحالة القديمة فحسب لكان النجاح مائة فى المائة دائما ولكان المتخرجون اليوم أرقى بكثير من المتخرجين أمس وإنه عَارِضٌ فيما يأتى مقارنة بين الحالة القديمة والحالة الجديدة يتبين منها موضع

	الحالة قبل النظام	الحالة بعد النظام
العلوم	أحد عشر علما	سبعة وثلاثون علما
حصص الطالب	اثنتان أو ثلاث على الاكثر	أربع
حصص الأستاذ	من ٥ إلى ١٠ أسبوعيا	من ١٠ إلى ١٤ أسبوعيا
طريقة التدريس	العناية بالجدل وتربية الملكة	العناية بإتمام المقررات وتلخيص المسائل
الأجل المحدد للكتب	الأمر موكول إلى اختيار الأستاذ	مدة معينة ومسئولية عن التأخير مع دلالة التجربة على أنها أقل ما تلزم بكثير فى كثير
المواظبة من الطالب	الأمر موكول لاختيار الطالب وحالة كل طالب فى نفسه	مراقبة وإقبال وعدم كثرة تخلف
المواظبة من الأستاذ	الأمر موكول لاختيار الأستاذ وحالة كل أستاذ فى نفسه	مراقبة وإقبال وعدم تخلف
ميزة الدراسة	تربية ملكة الفهم والعناية بطريقة الجدل على مهل	الإلمام بكثير من العلوم التى كانت مجهولة من قبل مع المواظبة واستخدام كل الوقت فى الاشتغال .
طريقة الامتحان	مجرد تعيين مواضع من كل علم ويعطى الطالب عشرة أيام للمذاكرة ثم يناقش فى هذه المواضع .	أولا : اختبارات تحريرية فى كل مقررات القسم من العلوم الدينية والعربية لا يمكن النجاح فيها إلا باستظهار هذه المقررات مع وجود ملكة فهم . ثانيا : اختبارات شفهية كذلك ثالثا : تعيين على الطريقة القديمة فى ثلاثة علوم مع ملاحظة أن كثرة العلوم وقلتها فى امتحان التعيين وعدمها متقاربتان لأن المدار فيها على قوة الجدل والبحث .

من تاريخ الأزهر

الضعف وأنى غير عدم كفاءة المدرسين وغير تعدد المعاهد .

السبب السادس :

عدم وضع قواعد للترقى يكون أساسها تشجيع الممتازين المجدين فى التعليم بوجه منضبط لمراجعة المواظبة وحسن النتيجة فإن مكافأة الممتاز فى التعليم من أهم الوسائل التى ترقى التعليم وتوجب التنافس بين العلماء فى ذلك كما أن إهمالها مما يولد الفتور والتراخى عند أهل الاستعداد العالى من المدرسين خصوصاً الحديثين منهم .

فمتى كانت التحسينات أو العلاوات أو الترقيات تمنح عن طريق الأقدمية أو التعميم تفتر عزيمة المجد ويقول فى نفسه لا فائدة من الجد .

وقد حدث عند ورود أول تحسين للعلماء فى سنة ١٩١٧ أن اجتمعت لجنة للنظر فى ذلك وقررت الا تعمل بآراء مجالس الإدارة ، ولا ترجع لمسألة حسن النتائج لعدم إمكان الحصول عليها فى غير الأقسام النظامية ، بل إلى ما تراه هى ، وكنت من بين أعضائها ، فقدمت إليهم اقتراحا كتابيا يقضى بوجوب عمل مبادىء وقواعد يكون أساسها حسن النتائج والتفوق فى التعليم فقررت أن تمضى فى عملها ، وأن تحيل اقتراحى إلى مجلس الأزهر للعمل به إن وافق فى المستقبل أو المجلس قرر إحالته مع لجنة لتنظر فيه ولم تحصل إلى الآن .

وقد وجدت بعد ذلك عدة تحسينات عامة وارتفعت من جراء بعضها شكاوى عديدة .

إنى اظن أن تسجيل نتائج الأساتذة فى دفتر خاص وكذا مواظبتهم والرجوع إليها فى منح الترقيات مما يفيد فى ترقى العلم وتقليل أو إعدام الشكوى .

لقد كان ترك الحرية قبل النظام للطالب فى اختيار أستاذه من أهم دواعى تنافس العلماء فى التعليم حتى يقبل عليهم الطلبة فالآن وقد قضى النظام بحشد الطلاب للأساتذة قد بطل هذا الداعى ، ولابد من تعويضه ، وأهم مايصلح عوضا له مكافأة الممتازين وإيجاد الوسائل التى تمكننا من معرفة أولئك الممتازين بطريقة صحيحة هذه هى الأسباب التى يرجع إليها ضعف المستوى العلمى وهذه هى الأمور التى يجب التفكير والبحث فيها وإصلاحها ، أما تعدد المعاهد فلا دخل له أبداً بل هو عامل قوى من عوامل الجد وتقوية التخريج بسبب ما فيه من المنافسة كما أسلفنا .

السبب الثالث :

سوء النتيجة فى هذا العام فى المعاهد الثلاثة وهو ما يمكن أن يفهم من إيراد هذا الاقتراح فى تقرير الامتحان فى هذا العام وهو لا يصلح مسوغا وذلك لما يأتى :

(أولاً) : لأن سوء النتيجة ، عاما فى معاهد ثلاثة ، لا يقضى بإلغاء اثنين منها أرايت لو أن امتحان الدراسة الثانوية فى مدرسة طنطا الثانوية أو مدرسة رأس التين فى اسكندرية ساءت نتيجته عاما أكان يبنى وزير المعارف على ذلك إلغاءهما والاكتفاء بالتوفيقية والسلطانية فى القاهرة ، أقول ذلك بقطع النظر عن أن عدم تأليف لجنة لبحث أوراق الامتحان إنما كان بأدنى اغلبية وبقطع النظر عما شاهده بعض الأعضاء فى الجلسة من أن بعض الأوراق قد وضعت عليها علامة الغلط بدون وجه ، وأن ذلك مما يدعو إلى البحث (فقد يكون له نظير كثير) وبقطع النظر عن طلب بعض الأعضاء تدوين

رأيه فى الجلسة وعدم تدوينه (وقد كان خلاصة هذا الرأى أنه مع ميله إلى عدم التسأهل فى الامتحان ومع اعتقاده أن إعادة الامتحان مما يغتفر من الوجهة الإدارية فإنه تلقاء ما رآه فى الجلسة اتفاقاً وعرضه على المجلس من وجود تعليمات لا يظهر وجه لها لا يمكن أن يرتاح إلى التصديق النهائى مع النتيجة من الوجهة الفنية قبل تأليف لجنة لبحث الموضوع طبقاً للمتبع من قبل فى مثل ذلك .

(**ثانياً**) : لأن سوء النتيجة فى شهادة العالمية كان عاماً فى الأزهر وفى المعاهد .

(**ثالثاً**) : لأن هناك سبباً هو أول ما يمكن أن تتوجه إليه النفس فى التعليل وإن لم يذكره التقرير ألا وهو : **توالى الإضرابات فى الأونة الأخيرة** الذى قضى بأن يلغى مجلس الأزهر إلا على سنة برأسها من ترتيب سنى دراسته ، وأن تكون السنة التى قبلها والسنة التى بعدها من أقصر السنين الدراسية .

(**رابعاً**) : إن التقرير قد عدد وبين أسباباً لسوء النتيجة ولم يجزم بواحدٍ منها ولا تظهر صلة بينها وبين فكرة الإلغاء ؛ فإذا كان السبب هو كثرة المقررات فى الأقسام النظامية فليس دواء ذلك إلغاء القسم العالى من طنطا واسكندرية وإبقاءه فى الأزهر ، وإذا كان السبب عدم مراقبة المدرسين فإنما الدواء مراقبتهم لا إلغاء بعض الأقسام ؛ وإذا كان السبب التساهل فى امتحان النقل فالواجب التشديد فيه ، وإذا كان السبب عدم كفاءة المدرسين فإنما الدواء معالجة ذلك بانتخاب الأكفاء كما ذكر فى التقرير .

على أنى أعتقد توافر الأكفاء وأن الضعف له أسباب أخرى بيناها فى غير هذا الموضع من هذا التقرير .

السبب الرابع :

أن يقال أن المسألة مسألة توحيد للأقسام العالية وحصرها فى دائرة واحدة والتوحيد خير من التكثير وهذا كلام مجمل يحتاج إلى تحليل فإن كان الغرض (توحيد قواعد التعليم ونظامه ومناهجه وكتبه) فذلك أمر لازم وهو حاصل الآن ، فإن المعاهد كلها تسير على منهاج واحد وقواعد واحدة وتخضع لمجلس واحد ، وإن كان الغرض (توحيد المعهد وعدم تعدد المدارس) فذلك ما لا يقال به لأنه ضرب من الاحتكار يضر ولاينفع ؛ فمتى كان تعدد المدارس والمعاهد ضاراً فى أى بلد أو أى نوع من أنواع التعليم ؟!!!

إن المشاهد فى كل الأقطار هو تعدد أنواع المدارس مع توحد المنهاج والشهادة وذلك هو الموجود الآن فى مدارس الحكومة .

وإذا كان فى القطر المصرى بعض أنواع من المدارس لم تتعدد فليس ذلك لأنه ضار ، كلّا بل لأن هناك عقبات تحول الآن دون التعدد ويوشك أن تتعدد متى أخذت البلاد حظها من الترقى .

هاهى مدرسة الحقوق مثلا كانت واحدة ، ولكن هاهو قد وجد بجانبها قسم الحقوق من الجامعة بقدر ما سمحت به الفرصة مضموماً ذلك إلى مدرسة الحقوق الفرنسية وبذلك أصبحت أقسام التعليم العالى للحقوق ثلاثة فى القطر المصرى والتفكير متجه دائماً إلى التوسيع فيها وفى غيرها لا إلى التضييق .

ذلك هو ما أدّانى إليه بحثى[٤] رأيت من واجبى ألا أكتمه وأن أعرضه على أولياء الأمر علّه يفيد فى دراسة مثل هذا الموضوع الهام ولهم الرأى الأعلى والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

شيخ الجامع الأحمدي - محمد الأحمدي

١٣ محرم سنة ١٣٤٠ - ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢١

(٤) إن فى هذا التقرير لفوائد تاريخية وواقعية للرقى بالتعليم ، ولقد شاء الله أن تعود جامعة الأزهر إلى فتح الأقسام العالية بمختلف أقاليم الجمهورية مما يؤكد صحة نظر فضيلة الشيخ الأحمدى - رحمه الله - المحرر

ليبريا والإسلام

٤

للأستاذ : محمد المتناوى

نمو النشاط الإسلامى :

ما إن اجتمع شمل المسلمين فى المسجد حتى وجدوا أنهم فى حاجة ماسة إلى جمعية رسمية تسجل بالجهات المختصة فى الدولة ، وتتولى كافة شئونهم وتنسق بينها وتسعى لتوحيد صفوفهم فكانت الجمعيات الإسلامية التالية :

١ - جمعية الرابطة الإسلامية :

واستطاع المسلمون تشكيلها عام ١٩٥٦ م ، وأول من رأسها : (الحاج وامويا شريف) ومقر هذه الجمعية العاصمة (منروفيا) وكان أول أعمالها إنشاء مدرسة ابتدائية إسلامية تهتم بدراسة الدين واللغة العربية إلى جانب العلوم العصرية وقام بتمويل هذه المدرسة :

أ - صندوق الجمعية .
ب - التبرعات المقدمة من المسلمين .
جـ - المصروفات المقررة على كل تلميذ .

وقام بالتدريس فى هذه المدرسة نخبة طيبة من أساتذة أفارقة من « غينيا » و« مالى » يجيدون العربية ، وعلوم الشريعة الإسلامية .

وقد وصلت الأفواج فى مدارس هذه الجمعية إلى المرحلة الثانوية ، ويتلقى الطلبة دروسهم فيها باللغتين : العربية والانجليزية ، وعلى الرغم من أن الشهادة العربية لا يعمل بها فى الدولة ؛

فإن الشهادة الانجليزية تفتح الطريق إلى العمل ، والأخيرة معتمدة لدى الدولة ضرورة أداء الطلبة امتحانهم لنيلها بمدارس الدولة مع كافة الطلبة الليبيريين ، ولما لخريجى هذه المدارس الإسلامية العربية من كفاءة متميزة صاروا فى طليعة الطلبة الذين ترحب بهم مدارس الدولة .

٢ - جمعية اتحاد مسلمى ليبريا (بسانيكولى) .

استحث عمل مسلمى العاصمة همم المسلمين داخل البلاد ، فكان بناؤهم للمسجد ، ثم إنشاء الجمعية ، والمدرسة حافزا للنشاط ، فأسرع مسلمو محافظة (نمبا) الواقعة على حدود غينيا ، وساحل العاج بإنشاء جمعية اتحاد مسلمى ليبريا ، وجعلوا مقرها فى عاصمة المحافظة (سانيكولى) عام ١٩٦٤ م .

ونشطت هذه الجمعية فكان جدول أعمالها الأول يضم العمل من أجل :

أ - تجميع جهود مسلمي محافظة « نمبا » تحت لواء هذه الجمعية .

ب - بناء مسجد جامع في محافظة « نمبا » مقره عاصمة المحافظة « سانيكولي » .

جـ - إنشاء مدرسة ابتدائية إعدادية على وفق مدارس العاصمة التابعة لجمعية الرابطة الإسلامية .

د - إنشاء مساجد ومدارس في جميع مدن وقرى المحافظة وقد كان في كل من : (جنتا - سكلبي - تبتا - باربا - كامب فور) ولنا وقفة عند بناء مسجد جنتا فقد تضافرت الجهود والمساعي في جنتا ، لبناء مسجد ضخم كبير ، تعلوه أربع مآذن ، وحوله فناء واسع ، أعد ليسع جميع المسلمين من كافة الأعمار في صلاة العيدين . كما يوجد فيه غرفتان لتجهيز الموتى ، وهو المتبع في جميع المساجد .

وفرش المسجد من الداخل بالموكيت ، وكان لي شرف نقش جدرانه بالآيات القرآنية ، كما فعلت في مسجد سانيكولي .

ويوم الافتتاح أعلن زعيم المسلمين عن تكلفة هذا الصرح الشامخ فقال : إنه تكلف مليونا وأربعمائة وأربعين دولارا امريكيا ، (١٠٠٠٤٤٠) وكان لافتتاح هذا المسجد صدى واسع ، وصل إلى جميع دول غرب افريقيا . فقد افتتح في مهرجان كبير ، واحتفال رائع عظيم ، استمر عشرين يوما متوالية وحضره مسلمون من جميع الدول المجاورة ساحل العاج ، ومالي ، وغينيا ، ونيجيريا ، وسيراليون وغيرها .. بالاضافة إلى المواطنين من جميع قرى ومدن ليبريا ، ووزعت الضيوف على منازل المسلمين حسب العشائر .... وبعد هذا الاحتفال العظيم الذي شهد لعظمته جميع الأوساط تحدد يوم خاص ، لحضور رئيس الجمهورية (وهو غير مسلم) لافتتاح المسجد بنفسه ، إرضاء للمسلمين .

هـ - تكوين لجنة لتنظيم شئون الدعوة الإسلامية . وتنحصر أعمالها في الآتي :

١ - تنظيم برامج دورية للتوعية الإسلامية ، ونشر فكرة مبسطة للخطوط العريضة للشريعة الإسلامية .

٢ - دراسة المعوقات التي تقف أمام الدعوة ، ومحاولة تذليلها .

٣ - محاربة البدع والخرافات . والطقوس غير الإسلامية .

٤ - تكوين فرقة من الدعاة تطوف القرى للتوعية . والاتصال بالجمعيات الإسلامية الاخرى .

٥ - التصدي للدعايات المغرضة ، ضد الإسلام ، وإقامة المحاضرات وتوزيع الكتيبات . التي بدأت تصل من الدول العربية والإسلامية .

٦ - محاولة إنشاء عيادة طبية في سانيكولي . مقابل مستشفيات التبشير وهذه المحاولة مازالت على الورق ولم تخرج لحيز التنفيذ حتى غادرت البلاد .

٧ - تكوين لجنة للتبرعات لرفع أجور المدرسين الافارقة ، والصرف على المساجد والمدارس والتوسعة فيها .

٨ - عقد دروس في المساجد لجميع الأعمار ، لتعليم اللغة العربية .

ليبـــريا والإســـــلام

التعاون الإسلامى الثقافى لهذه الجمعية

يمد الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية هذه الجمعية بما يمكنها من ممارسة نشاطها الإسلامى العلمى بين أبناء المسلمين فى هذه البلاد .

كذلك تجد تعاونا طيبا من السعودية ممثلا فى رابطة العالم الإسلامى وعدة جامعات من المملكة إلى جانب إدارة الإفتاء ووزارة الأوقاف السعوديتين وكانت حكومة الكويت تمدها بأكثر من رافد لا يعلم إلا الله - تعالى - ما تنتهى إليه الأحوال .

كما تتعاون مع الجمعية كل من : البحرين ، والسودان عن طريق المؤسسات العلمية .

٣ - جمعية المؤتمر الإسلامى الليبيرى :

انشأها المسلمون فى العاصمة (منروفيا) عام ١٩٦٦ ، وتعتبر ثالثة الجمعيات الهامة فى ليبيريا ، وقد اهتمت بإنشاء :

المدارس ، ومسجد جامع بالعاصمة يعتبر الثانى فيها . كما اهتمت بالتوعية الإسلامية ، والعمل على نشر الإسلام بين غير المسلمين .

وكان - جميلا منها - أن تهتم بشراء قطعة أرض تخصها بموتى المسلمين الذين كانوا يدفنون مع موتى غيرهم من أهل الملل الأخرى .

٤ - الجمعية السلفية بالعاصمة ايضا .

استطاع مجموعة من المسلمين اصحاب الفكر السلفى ، أن ينشئوا جمعية ثالثة بالعاصمة ، اسموها « الجمعية السلفية » .

واهم اعمالها الآتى :

١ - بناء مسجد جامع ثالث بالعاصمة .

٢ - إنشاء المدارس الإسلامية .

٣ - التوعية الإسلامية .

ونرجو الا تأخذ التوعية بالإسلام بين جمعية واخرى أهدافا تفرق بين المسلمين تحت أى شعار ، فتلك كارثة - بمفردها - أصابت الدعوة فى العالم الإسلامى ، فرفقا ورحمة بمسلمى هذه البلاد الذين يلمون شعثهم ، ويجمعون كلمتهم ، ويتبارون فى إظهار وحدتهم .

٥ - جمعية اتحاد الطلاب المسلمين فى ليبيريا (١٩٨٦ م) .

استطاع الشباب المسلم المثقف ، إنشاء جمعية طلابية مقرها (جَنْتَا) فى محافظة (نمبا) - التى اهتمت بـ :

١ - توحيد جهود الشباب .

٢ - نشر الثقافة الإسلامية .

٣ - الاتصال بالاتحادات الطلابية خارج البلاد .

٤ - إقامة مؤتمرات ، وتنظيم محاضرات إسلامية .

٦ - الجمعية الأم (الجمعية الوطنية لمسلمى ليبيريا) .

فى سنة ١٩٧٤ م اجتمع رؤساء هذه الجمعيات وكلهم عزم وتصميم على تجميع الجهود والعمل على توحيد الصفوف مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[1] وقوله ﴿ وَلَاتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2] ولهذا القصد ، اتفقوا على

(١) آل عمران ١٠٣ .

(٢) الانفال ٤٦ .

تشكيل الجمعية الأم ، التى تشرف على جميع الجمعيات والمدارس والمساجد فى القطر من أدناه إلى أقصاه .

ويكون مقر هذه الجمعية فى العاصمة « منروفيا » .

وقد اختاروا أول رئيس لها الحاج (واموبا كونى) . ويطلق على رئيس هذه الجمعية (سلطان المسلمين) ويقوم بتمثيل المسلمين فى المؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى البلاد العربية والإسلامية .

وقد أصدر رئيس الجمهورية (سير وليم تولبرت) فى ذلك الوقت أمراً بتسجيل أعضاء هذه الجمعية ضمن موظفى الدولة فى مقر جمعيتهم ، وصرفت لهم مرتبات شهرية من الدولة بحكم ذلك .

اهم اعمال هذه الجمعية

وضعت الجمعية دستورا لأعمالها معترفا به فى الأوساط الحكومية ، جعل لها حق فض أى نزاع بين المسلمين ، وأصبح مقررا فى الأوساط الحكومية رد ما يأتيها من نزاع إلى الجمعية ، وإقرار أحكامها ، وتصدق الدولة على هذه الأحكام فتكون ملزمة ، وخصصت الجمعية مندوبا عنها بكل مديرية من المديريات التسع بليبيريا لمتابعة أحوال المسلمين ، والإحاطة بما يلم بهم من حوادث ، والإشراف على قضاياهم ، والحكم فيها ، فإذا تعسر عليه أمر رفعه إلى الجمعية ، كما يرفع إلى الجمعية تقريرا كاملا عن أحوال المسلمين بمنطقته ، واحتياجاتهم فيها .

واستطاعت الجمعية أن تحجز وقتا فى التليفزيون الليبيرى لإذاعة برنامج إسلامى مبسط بلغات القبائل الإسلامية .

ما بعد الجمعية الأم :

أثارت هذه النشاطات كوامن الدافع الإسلامى فى النفوس فبدت الشخصية الإسلامية تنمو بمميزاتها فى المجتمع الليبيرى ، وكانت الجمعية الأم مصدر نهضة شاملة جعلت هذه الشخصية الإسلامية تنمو وهى على معرفة بأخلاق الإسلام وحقوق المسلم وعدالة الشريعة وأهدافها ، وفضل الأخوة الإسلامية والمساواة بين المسلمين فى الحقوق والواجبات على ما أرادته شريعة هذا الدين السمح الذي يتميز فيه المسلم بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ الكهف .

وبدت النهضة واضحة بآثارها فى المدارس والمساجد والدراسات والمحاضرات .. نهضة مباركة عملت على ربط المسلمين فى ليبيريا بإخوانهم فى العالم الإسلامى ، وقد تقدم توضيح لذلك كان من نتيجته إيفاد الدعاة والمدرسين والمناهج والكتب من القاهرة والرياض وغيرهما .

وتقوم الدول العربية والإسلامية مشكورة بتقديم كل عون ممكن كما قدمت المنح الدراسية . لبعض الطلاب الحاصلين على الشهادة الإعدادية والثانوية من المدارس الإسلامية . من كل من :

١ ـ الأزهر .
٢ ـ الكويت .
٣ ـ البحرين .
٤ ـ المغرب .
٥ ـ السعودية .
٦ ـ المركز الإسلامى الأفريقى بالسودان .

ليبيريا والاســــلام

تعداد المسلمين :

وصل تعداد المسلمين بـ « ليبيريا » إلى نحو ٤٥٪ من مجموع السكان البالغ عددهم نحو مليونى مواطن ، والبقية إما نصرانية على دين الدولة الرسمي ، أو وثنية ، كما أن هناك من على الفطرة لا يدين بدين أبدا

وحبذا لو اهتمت الجهات الإسلامية بنشر الإسلام بين هذه الطبقة ، فإنه سريعا ماتستجيب إليه .

وتجدر الإشارة إلى أن نسبة المسلمين تختلف نظرا لموقعها الجغرافى ، فهى كبيرة جداً على حدود غينيا حيث توجد مديريتا « لوفا » و« نمبا » وعلى حدود سيراليون حيث مديرية « كيماوند » .

وتكثر تجمعات المسلمين حيث المدن :
« وينجاما » و« زُورُوِدُوَا » و« سانيكولى » و« جنتا » و « بنجا » و« بومى هِلْس » و« تشاين » و« كَكَتَا » . ثم تقل نسبة المسلمين فى غير هذه البلدان .

حِرَفُ المسلمين :

تكاد اكثر أعمال النشاط التجارى تعود إلى المسلمين :

فاكثر المتاجرين فى « الماس » وأكثر من ٨٠٪ من سائقى السيارات إلى حرف كثيرة يقوم بها المسلمون ، فهم لا يكلون عن العمل ، إن الله لا يضيع اجر من احسن عملا .

الإقبال على الإسلام :

أمام هذا السلوك الممتاز والمتميز للمسلمين الذى ينقادون فيه لدينهم ما أمكن ـ ظهر فضل الإسلام ، واتضح كيانه ، وبرز إحسان شريعته ، فكان ـ من ذلك كله ـ إعلان يفض الدعايات المغرضة ضده ويدفع بالتوجه إليه من أهل العقائد الأخرى مما زاد معه عدد المسلمين ، وجعلهم ـ بالتالى فى خطر عظيم .

الرد الصليبى :

أمام هذا التيار الإسلامى الشديد لم تتوقف إمكانيات البعثات الصليبية ، فكثفت هذه البعثات من جهودها ، فزادت فى إرسال المبشرين فى صورة أطباء ، ومهندسين زراعيين ، وأساتذة من جميع التخصصات وأقاموا أكثر من إذاعة لبث دعايتهم ، منها إذاعة A.L.W.A « الحب الأزلى يرحب بأفريقيا » وتذيع بجميع لغات القبائل إلى جانب العربية والانجليزية والفرنسية .

جماعة شهود « يهوا » :

وهى جماعة تبشيرية غامضة ، وإن دَلَّ لفظ « يهوا » فإنما يدل على صلة وثيقة بالعهد القديم ، ولهذه الجماعة خط تبشيرى خاص :

فهم يستخدمون التبشير لخلط مفاهيم الأديان . وهم أقرب إلى اليهودية منهم إلى المسيحية المتداولة ، وإن تحدثوا باسم المسيحية فهم يركزون على موسى ـ على نبينا وعليه أفضل

الصلاة والسلام . كذلك هم لا يؤمنون بـ « البعث » ويصرحون بذلك فى كتبهم .

وعدم إيمانهم بالبعث يميل بنا إلى الاعتقاد بيهوديتهم ؛ فإن فرقة « الصدوقيين » اليهودية المعاصرة للمسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لم تكن تؤمن بالبعث . ولانشك فى أن هذه المعالم الثلاثة بصمات واضحة تمت بهم إلى اليهودية .

وصلاتهم تؤدى على قرع الطبول والاهتزاز مع الرقص بطريقة لا تنم عن قدسية العبادة أو وقار العابد .

وهذه الجماعة « شهود يهوا » يملكون إمكانات مادية كبيرة تساعدهم على جذب الرواد لاسيما الفقراء الذين تنتابهم حالة اقتصادية صعبة ولهذه الجماعة إذاعة خاصة بها ، ويبدو عليها بوضوح سافر طابع الماسونية إلى ابعد الحدود ، ويوزعون الكتب المزينة بالصور الجميلة .. والمجلات والنشرات الخاصة بهم ، والمطبوعة طبعا فاخرا بأربع وثمانين لغة من لغات المنطقة وغيرها .

كما نرى من حين لآخر سفينة تابعة لهم ، ترسو فى ميناء منروفيا ، « العاصمة » مجهزة بأحدث الأجهزة . بها « السينما » و« الفيديو » كما يوجد على سطحها حمام سباحة ، ما رايت مثله فى العظمة و« الديكور » . والتجهيز ، وصالة محاضرات ، ومطعم . وما أن تحتويك هذه السفينة حتى تنتقل بك إلى عالم آخر اقرب إلى الخيال ، فهى مدينة متوشحة بجمال غانية تتأوّد على صفحات المياه . وتشد الأفئدة والأبصار ، فإذا جلس من أفراد هذا الشعب الذى غالبيته معدمة ، وبعد غسيل مخ مركز ، وتمتع بما فى السفينة من إمكانيات تشبع الرغبات .. كل الرغبات .. فماذا بعد ؟!

أقبلت السفينة ، وعلى متنها اكثر من مائة وسبعين من المبشرين يتفرقون داخل القطر . حاملين الكتب ، والنشرات ، التى يوزعونها . مستخدمين فى ذلك طريقة تتفق وميول هذه الشعوب . فيقفون فى الشوارع والميادين العامة ، يعزفون على الجيتار ، مع الغناء ، وقد اختاروا لهذه المهمة . أحلى المطربين صوتا ، والعازفين مقدرة وفنا ، فيتجمع حولهم الناس من كل حدب وصوب ، تاركين أعمالهم ، ذلك أن هذه الشعوب مولعة بالموسيقى ولعا شديداً . تهتز أجسامهم لمجرد سماعها كبارا وصغارا . شيوخا وشبانا . فلو وضعت أحدهم فى حانة . من حانات « الديسكو ـ الموسيقى الصاخبة » لمدة شهر كامل لاستطاع أن يرقص دون انقطاع بلا طعام . وهو فى أعلى درجات النشوة والسعادة .

و(شهود يهوا) يدخلون إليهم من هذا الباب الكبير المفتوح على مصراعيه . ويعرضون عليهم تعاليمهم مرة بالقول ، ومرة بالغناء . لذلك جعلوا ترانيم صلاتهم فى كنائسهم الخاصة على دقات الطبول .

مراسم الدفن عند غير المسلمين :

كان من غريب ما رايته أثناء إقامتى بهذه البلاد هذه المراسم ، وتبدأ بفتح بطن الميت ، ونزع أحشائه ، ثم إعادة خياطة هذا الفتح ، يلى ذلك حقن الجثة بكمية من « الفورمالين » كنوع مؤقت من التحنيط ، وبعد ذلك ينقلون الجثمان إلى فناء واسع ، يلتفون حوله ليلا رجالا ونساء وشبابا من الجنسين . يرقصون على أنغام الموسيقى الصاخبة . فى حفل يستمر أكثر من أسبوع ، تقدم فيه الخمور ، بكميات هائلة يحضرها الأقارب والأصدقاء ، والجيران ، مجاملة لأهل الميت ، بجانب ما قد جهزه أصحاب العزاء من الخمور .

وتقاس مكانة الفقيد بقوة الرقص ، وارتفاع الموسيقى الصاخبة ، وارتفاع حجم وعدد زجاجات الشراب التى اندفعت داخل

ليبـريا والاســـلام

« البالوعات » الآدمية ، الموجودة فى الحفل ، ولا يمكن أن يتصور فى هذا الجو أدنى ذرة من حزن ، أو وقار أو قدسية لهيبة الموت . ثم بعد هذا يوارون الجثة التراب بعد أن تكون رائحتها ازكمت الأنوف ، وقلبت الأمعاء . لكنهم معتادون لهذه العادة التى لا نسمع عنها فى أية عقيدة .

سلبيات فى مسلمى ليـبريا :

كانت إقامتى فتره طويلة كفيلة بدراسة أحوال المسلمين ، ومن خلال حبى لهم أرجو مخلصا أن يَتَخَلَّوْا عن :

١ ـ التعصب القبلى الشديد الذى يصل بهم ـ أحيانا ـ إلى غمط الحق .

٢ ـ أن يقيموا إمامة الصلاة بينهم على معرفة صحيحة بقواعد هذه الإمامة ، فلا تتسرب إليها صبغة التعصب المقوت .

٣ ـ أن يتفقوا على حل شرعى صحيح يوحد بينهم التعرف المُوَحَّد لرؤية الهلال ، فلا يأتى العيد ، فتقام صلاة العيد أياما عدة .. حتى فى البلد الواحد .

٤ ـ أن يعلموا أن (إرسال اليدين) فى الصلاة أو (قبضهما) ليس خلافا يبطل الصلاة ، أو يدعوا إلى التشابك بالأيدى ، ومن كان « سلفيا » حقا ينبغى أن يتميز بعلم نافع ، وليعلم تماما أن الفتنة داخل المسجد شر ما بعده شر ، وأن احتكامه إلى البطش بمن يخالفه ليس من السنة ولا السلفية فى شىء والحمد لله الذى جعل وجود كبار السن ، والجمعيات المحلية ، والجمعية الأم ـ يفض الخلاف الذى ينبغى ألا يكون فى صفوف المسلمين .

٥ ـ أن يعلم المسلمون بليبيريا أن الفتوى التى روجت ـ فيما بينهم ـ بإباحة الزواج بأكثر من أربع مجتمعات لرجل واحد باطلة وأشد منها بطلانا ما روجه بعض الأدعياء ـ فيهم ـ بإباحة الزواج بتسع .

٦ ـ كذلك ليعلموا أن الرقص ليس مباحا ، وأن تعدد الزوجات ليس بواجب بل عند العلم بعدم القدرة التامة على العدل بينهن عليه بزوجة واحدة فقط ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ وقطع الإمام الطبرى فى تفسيره بحرمة الواحدة أيضا إذا لم يكن عادلا معها فى حقوقها « انظر مقدمة تفسير سورة النساء الآية الثالثة » .

لقد كان الفهم السىء لهذا الوضع سببا مؤديا لسوء الأخلاق الذى يترفع عنه مسلمو ليبيريا .

٧ ـ يجب التوقف عن اعتبار زوجة ، أو زوجات ، الأخ المتوفى تركه يرثها الأخ الأكبر ليكمل بها ، أو بهن نسوته .

بعض معوقات الدعوة :

اللغة الغالبة على أهل هذه البلاد هى الإنجليزية ، ومعظم الدعاة المبعوثين لهذه المنطقة غير دارس لها . فيفقد اقوم طريق موصل إلى القوم ، والاستعانة ببعض المترجمين كثيرا ما لا يحقق الهدف المنشود لأسباب :

أ ـ فى مقدمتها عدم استيعاب المترجم لدقائق « العربية » ومفرداتها فتكون الترجمة خطأ .

ب ـ تعصب المترجم لفريقه أو قبيلته قد يتسبب فى كتمان الحقائق .

جـ ـ ليس المترجم ملزما بالترجمة فهو يؤديها تطوعا بلا أجر ، ويؤدى ذلك إلى فوضى الوقت عنده ، فهو غير منتظم ، ويتوقف العمل عند غيابه .

د ـ لا تتوافر الكتيبات الإسلامية المترجمة إلى لغة المواطنين لتعليمهم وبخاصة الناشئة وإنى لأرجو أن يضاعف الأزهر الشريف عنايته بهذا القطر والمبتعثين إليه .

عبد الله بن سبأ
بين الحقيقة والأسطورة

للأستاذ: أحمد عرفات القاضي

أولاً : الدكتور طه حسين والفتنة الكبرى :

لقد خرج الدكتور طه حسين قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن وبالتحديد سنة ١٩٤٧ م على الناس بضجة كبرى حملها كتابه الفتنة الكبرى . وقد جاء الكتاب فى جزءين ، تناول فيه موضوع الفتنة التى أدت إلى مصرع سيدنا عثمان والإمام على ، كل فى جزء على حدة .

والدكتور طه حسين يحمل الصحابة مسئولية الفتنة وذلك حيث يذهب إلى أن الفتنة كانت عربية ، نشات من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة لهؤلاء الأغنياء فى عهد سيدنا ـ عثمان رضى الله عنه ـ فيقول : « ولم يكد نظام عثمان هذا يذاع ويسرع الأغنياء إلى الانتفاع به حتى ظهر الشر »[1] .

ثم بدأ يتحدث عن عبد الله بن سبأ فيرى ان هناك قصة أَكْبَرَ الرواة المتأخرون من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدرا لما كان من الاختلاف على عثمان ، ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمح آثارها بعد وهى قصة عبد الله بن سبأ الذى يعرف بابن السوداء .. وإلى ابن السوداء يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف فى البلاد الإسلامية ايام عثمان[2] .

ويرى الدكتور أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ هذا يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافا شديدا ، وأول مانلاحظه الا نجد لابن سبأ ذكرا فى المصادر المهمة التى قصت أمر الخلاف على عثمان . فيرى أنه لم يذكره ابن

(*) الكاتب ماجستير فى الفلسفة الإسلامية ، وأحد صحفيى جريدة الأخبار .

(١) الفتنة الكبرى ١٠٩/١ المبحث الخاص بسيدنا عثمان .

(٢) المصدر السابق ١٣١/١ .

عبد الله بن سبأ

سعد حين قص انتقاض الناس على عثمان ، ولم يذكره البلاذرى فى أنساب الأشراف ، والبلاذرى فى رأى الدكتور ، هو أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا[٣] .. والحقيقة أن البلاذرى ورد لديه ذكر ابن سبأ كما سنبين فيما بعد .

ثم يرى الدكتور أن ابن سبأ لم يذكره إلا الطبرى من رواية سيف بن عمر وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر[٤] .

وبعد أن زعزع الدكتور الثقة فى وجود ابن سبأ وحمل الصحابة مسئولية الفتنة مدعيا أنه بذلك يحفظ المسلمين من أن يعبث بعقولهم طارىء من أهل الكتاب[٥] .

بعد ذلك يرى أن خصوم الشيعة فى عصر الأمويين والعباسيين قد بالغوا فى أمر ابن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية وليشنعوا على علىّ وشيعته من ناحية أخرى فيزوروا بعض أمور الشيعة على الشيعة وما أكثر ماشنع الشيعة على خصومهم فى أمر عثمان وفى غير أمر عثمان[٦] وعلى هذا فهذه كلها فى رأى الدكتور أمور لا تستقيم للعقل ولاتثبت للنقد . ولاينبغى أن تقام عليها أمور التاريخ . والشىء الواضح الذى ليس فيه شك فى رأى الدكتور طه حسين أن ظروف الحياة الإسلامية فى ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأى واختلاف الأهواء ونشأة المذاهب السياسية المتباينة[٧] .

والحقيقة أن الدكتور طه فى حديثه السابق يريد أن يقول شيئا ولكنه يخفف من عبء الصدمة على الناس ، وقد كان فقد وصل إلى بغيته فى الجزء الثانى من الكتاب الذى خصصه لدراسة الأحداث فى عصر الإمام علىّ تحت عنوان « على وبنوه » حيث يقطع الشك باليقين ويلقى إلينا بقنبلته الموقوتة وذلك حيث يرى أن أمر ابن سبأ أمر منحول ، ولا وجود له ؛ لأنه لم يظهر له اى أثر فى (حرب صِفِّين) ، ولا فى اختلاف الصحابة وقت التحكيم ، ولم يظهر له أثر فى فكر الخوارج ، وعلى هذا فإن ابن سبأ لم يكن إلا وهما ، ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ولم يدخروه للخوارج[٨] .

هذا كل ماقاله الدكتور طه حسين فى شأن ابن سبأ وقامت الدنيا ولم تقعد حول كتابه « الفتنة الكبرى » حينذاك فتصدى له الكثير بالرد وتابعه فريق آخر على رأيه السابق .

فهل ياترى كان الدكتور طه حسين صادقا فيما قاله ؟ وهل ماقاله كان حقا من بنات أفكاره ونتيجة لجهده فى البحث والتنقيب أم كان طه حسين مجرد حاطب ليل يغير على ماقاله الآخرون ..؟!

وقبل أن نناقش كلام الدكتور طه حسين يجب أن نذكر رأى المستشرقين فى هذا الموضوع حتى تتضح جميع الآراء قبل المناقشة حسب الأصول الموضوعية والعلمية المقررة .

المستشرقون وابن سبا :

لايخفى على أحد أن الاستعمار الثقافى أو الاستشراق أخطر أنواع الاستعمار ، وقد عمد المستعمرون إلى هذا اللون من الاستعمار بعد أن فشلوا فى التغلب على المسلمين عن طريق السيف

(٣) المصدر السابق ١٣٢/١ .
(٤) المصدر السابق ١٣٢/١ .
(٥) المصدر السابق ٢٣٢/١ .
(٦) المصدر السابق ١٣٤/١ .
(٧) المصدر السابق ١٣٤/١ .
(٨) الفتنة الكبرى ٩٨/٢ ، ٩٩ على وبنوه .

فى ميدان القتال ، وفى اختراق صفوفهم بالدبابات والمدافع الفتاكة والطائرات الحارقة ، وذلك نتيجة أن المسلمين يحاربون أعداءهم من منطلق العقيدة الدينية التى يضحون في سبيلها بالنفس والنفيس لهذا لجأ الاستعمار إلى الاستشراق أو الاستعمار الثقافى لإضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك فى كل مابين أيديهم من عقيدة وقيم ومثل عليا ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم فيكونوا عبيدا لها يجرهم حبها إلى حبهم وإضعاف روح المقاومة فى نفوسهم(٩) وذلك عن طريق تزييف التاريخ الإسلامى وتصويره على أنه مجموعة من الفتن والقلاقل(١٠) ولهذا نراهم يهتمون بالمتصوفة الغلاة والفلاسفة وأصحاب الحركات الهدامة كالباطنية وغيرهم .

ولاننسى أن ننبه إلى أن اليهود دخلوا إلى حركة الاستشراق كجزء من المجموعة ، ولم ينفردوا وحدهم ولكن التحموا بغيرهم من المستشرقين النصارى الذين لم يكونوا أقل من اليهود عداوة للإسلام ، وعملا على تشويه مبادئه ومثله(١١) وكان على رأس المستشرقين اليهود المستشرق الألمانى يوليوس فلهوزن « ١٨٤٤ - ١٩١٩ » الذي اشتهر بتعصبه ضد الإسلام ، وعمل على تشويه مبادئه ، وله من المؤلفات كتابان : الأول « تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية » وقد ترجمه الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، والثانى « الخوارج والشيعة » وترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوى .

وفى الكتابين يتعرض فلهوزن لموضوع الفتنة فيحمل وزرها لكبار الصحابة على وطلحة والزبير لأنهم فى رأيه كانوا ينتظرون المنافع الشخصية لهذا وقفوا من الخليفة وقت الفتنة موقف المتفرج الذى يظهر أسفه ولا يستطيع عمل شىء ، ولكنهم كانوا يظهرون غير ما يبطنون هذا إلى جانب أنهم لم يعملوا أبدا على إيقاف سير الحوادث آملين أن تنتهى بالفائدة لهم(١٢) .

وهذا الذى ذهب إليه فلهوزن فيه تجريح لكبار الصحابة المبشرين بالجنة ، ونيل منهم ، ووصمهم بالنفاق ، وبأنهم يظهرون غير ما يبطنون ، مما لا يوافق عليه أى مسلم له أدنى صلة بالإسلام ، هذا فضلا عن كونه موقفا يتعارض مع قواعد الإسلام التى توجب على المسلم أن ينصر أخاه ظالما برده عن الظلم ، أو مظلوما ، والحفاظ على وحدة الصف الإسلامى ، وتفادى الفتنة ، وشق يد الطاعة من أول المسلمات التى يعرفها المسلم ويجب عليه تطبيقها فما بالك بأجلاء الصحابة المبشرين بالجنة الذين بذلوا النفس والنفيس من أجل رفع راية هذا الدين .

وإلى جانب ذلك كله ؛ فإن كلام فلهوزن السابق يحتوى على مغالطة تاريخية ويتناقض مع الثابت والمعلوم تاريخيا فقد أجمعت المصادر على أن الإمام على أمر ولديه الحسن والحسين بالدفاع عن الخليفة وكذلك ذهب محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وقال الإمام على لولديه : « اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلاتدعا أحدا يصل إليه(١٣) » وبعد أن قتل

(٩) الاستشراق والمستشرقون ٢٣ ، ٢٤ د . مصطفى السباعى .

(١٠) التبشير والاستشراق ص ١٩٥ لانور الجندى .

(١١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٤٩ د . محمود حمدى زقزوق .

(١٢) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ص ٤٨ ، ٤٩ ترجمة د . محمد عبد الهادى ابو ريدة .

(١٣) انساب الاشراف ٥/٦٩ طبعة مصورة وغير محققة طبعت فى بيروت .

عبد الله بن سبأ

سيدنا عثمان وبلغ على وطلحة والزبير وسعد الخبر خرجوا ، وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم ، حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا ، وقال على لابنية : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة و ... عبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان(١٤) .

ثم يرى فلهوزن أن الثورة على سيدنا عثمان كانت ثورة ضد الظلم ومن أجل الحق والعدل فيقول : « وكان بدء الخلاف فى الإسلام الثورة على عثمان فى سبيل الله ضد الخليفة من أجل الحق والعدل وضد فساد الحكم وظلمه . وهى كلمات لم تستعمل ضد عثمان وحده بل ضد كل حاكم يضل عن سواء السبيل »(١٥) .

وهذا الذى ذهب إليه فلهوزن هو بعينه تفسير اليهود والشيوعيين وأعداء الإسلام ومن تابعهم من المسلمين لكل الانتفاضات والثورات الشعوبية والمجوسية الحاقدة على الإسلام والمسلمين على مر التاريخ ، حيث دأب هؤلاء على وصف تلك الثورات والانتفاضات بأنها كانت ثورة الضعفاء والمظلومين ضد فساد الحكومة وظلمها فهى ثورة أهل الحق والمظلومين قام بها المواطنون الضعفاء طلبا للعدل والمساواة(١٦) !!

ولايخفى على أى عاقل مافى هذا الكلام من المكر والخبث والدهاء وذلك لأنه يرمى من وراء هذا الكلام إلى أن ينفى أى صلة للحاقدين والموتورين من اليهود كعبد الله بن سبأ وغيره بالفتنة وبالأحداث والصراعات التى أدت إلى مقتل الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، لهذا لم يكن عجبا أن نجده يحمل الخوارج وحدهم مسئولية دم الخليفة وليس هذا فقط بل يرى أنهم كانوا يفتخرون بذلك وهؤلاء الخوارج فى رأيه نَبْتَةٌ إسلامية صحيحة وليس بينهم وبين ابن سبأ أدنى صلة(١٧) .

وهذه مغالطة أخرى من فلهوزن حيث أن المعلوم تاريخيا أن الخوارج لم ينشأوا إلا بعد التحكيم بين على ومعاوية أى بعد مقتل سيدنا عثمان بحوالى عامين تقريبا .

وهكذا فإن ابن سبأ فى رأى فلهوزن ـ وهو البحاثة (المنصف العظيم) بعيد عن الأحداث وهو برىء من الفتنة ودم الخليفة المقتول براءة الذئب من دم ابن يعقوب وذلك لأن الفتنة كانت عربية وكان كبار الصحابة أنفسهم ينتظرون أن تنتهى الأحداث بما انتهت إليه وأن الخوارج وهم الأتقياء حقاً كانوا يفتخرون بقتل عثمان .

فإذا كان ابن سبأ بريئا من الفتنة ومن دم الخليفة فمن ياترى الذى وصم ابن سبأ بهذا العار ولطخ شرفه بهذا الدنس ؟؟

إن فلهوزن لا يبخل علينا برأيه فى هذا الموضوع الشائك حيث تتفتح قريحته على الحقيقة وذلك حيث ينتهى إلى أن سيف بن عمر التميمى هو الذى وصم ابن سبأ بهذا العار ولطخ شرفه وعرضه بهذا الدنس فوضع أمر ابن سبأ

---

(١٤) انساب الأشراف ٥/٧٠ .

(١٥) الخوارج والشيعة ٣٩ لفلهوزن ترجمة د . عبد الرحمن بدوى .

(١٦) انظر رسالتنا للماجستير عن الفكر السياسى عند الباطنية وموقف الغزالى منه تقدمت بها للحصول على درجة الماجستير من قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم حيث تعرضت لهذا الموضوع باستفاضة .

(١٧) تاريخ الدولة العربية ص ٦٠ ، ٦١ لفلهوزن .

وانتحله[١٨] لكى يلصق تلك التهمة الشنيعة بهذا اليهودى البرىء ...!؟

هذا ما قاله فلهوزن عن الفتنة وكيف نشأت عربية وليس لابن سبأ سبب فيها ، ولكن العجب العجاب أن فلهوزن رغم نفيه لوجود ابن سبأ فى الفتنة ولشخصيته فإنه يرى أن هناك حزباً نشأ فى الكوفة متأخرا عن الأحداث واتخذ هذا الاسم وليس بينه وبين ابن سبأ أدنى صلة فيقول : « وارتفع فى الكوفة شأن لحزب كان حتى ذلك الحين متواريا فى الظلام واتخذ اسم السبئية ، وقد غير هؤلاء السبئية الإسلام من أساسه وذلك بأن جعلوا من شخص النبى شيئا إلى جانب القانون المستقل عن الأشخاص كما هو فى القرآن والسنة وفوق هذا القانون الذى رضى به الناس بعد وفاة النبى[١٩] أى أن فلهوزن ينفى وجود ابن سبأ ودوره السياسى فى أحداث الفتنة لكنه لم ينكر الأفكار الغالية التى نسبت إلى السبئية ومنها القول بأن عليا وارث محمد وصاحب الحق فى الخلافة[٢٠] . وليس خافيا على أحد أن فلهوزن يبرىء اليهود من تهمة المشاركة فى دم الخليفة المقتول ، ويثبت فى الوقت ذاته تأثر الإسلام باليهودية عن طريق القول بوراثة على رضى الله عنه لمحمد ﷺ كما هو الحال عند الذين يؤمنون لليهودية بوراثة الملك فى بيت داود ، وبوراثة يوشع بن نون لموسى عليه السلام .

فياله من ذكاء بارع وذلك حيث يعمد إلى تبرئة اليهود إذا كان الأمر أمر دس وخيانة وتآمر ، وإلصاق تهم بالإسلام على أنه تأثر باليهودية على اعتبار أنها ديانة ملفقة من فلسفات وأديان ومذاهب وأخلاط شتى ـ وهذا ما حاول أن يبرهن عليه كثير من المستشرقين ـ فلا بأس من وجود فكر ابن سبأ كهمزة وصل ودليل على تأثر الإسلام باليهودية .

فأى موضوعية هذه وأى إنصاف ذلك الذى تمتع به العلامة الكبير والبحاثة المنصف يوليوس فلهوزن ..!!

المهم أن ما قاله فلهوزن عن ابن سبأ ـ فيما سبق ـ ذاع وانتشر بين المستشرقين اليهود وغير اليهود وممن اشترك معهم فى العداوة للإسلام وما أكثرهم ـ على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ـ باعتبار فلهوزن من المتقدمين ومن البارزين فى الحركة الاستشراقية فى الوقت ذاته .

زملاء فكره :

وممن تعرضوا لموضوع ابن سبأ أيضا المستشرق كيتانى الذى ذهب إلى انكار دور ابن سبأ العقائدى وقصره على دوره السياسى فى تأييد الإمام علىّ بن أبى طالب والدعوة إلى خلافته والاشتراك فى الحرب ضد خصومه[٢١] .

وكذلك جولد تسهير اليهودى الذى عاش فى مصر وكان يحضر دروس العلم فى الأزهر مرتديا الزى الأزهرى ، فإنه يرى أن النسابين المسلمين يميلون إلى نسب أصول يهودية لأولئك الذين يكرهونهم لسبب ما[٢٢] . ومن لم يقتنع بما قاله هؤلاء عن ابن سبأ حاول تزييف نسبه وقال : إنه لم يكن من اليهود .

---

(١٨) انظر الخوارج والشيعة ص ٣٨ .
(١٩) تاريخ الدولة العربية ٦٣ ، ٦٤ .
(٢٠) المصدر السابق ص ٦٤ .
(٢١) نقلا عن مذاهب الإسلاميين ٢٠/٢ د . عبد الرحمن بدوى .
(٢٢) نقلا عن أصول الإسماعيلية ص ١١٧ لبرنارد لويس .

عبـد اللـــه بـــن سبـــأ

وهكذا يتكتل هؤلاء اليهود وأشياعهم لتبرئة اليهود من دم سيدنا عثمان .

وبعد هذا العرض الموجز لرأى فلهوزن اليهودى وغيره من المستشرقين فى موضوع ابن سبأ يتضح لنا : أن كلام الدكتور طه حسين السابق عن ابن سبأ لم يكن من بنات أفكاره وليس له أى فضل يذكر - ذلك إذا كان تجريح الصحابة والتشكيك فى التاريخ والتراث الإسلامى فضلا يفتخر به - فيما كتب بل لم يكن سوى حاطب ليل يغير على ماكتبه الآخرون دون الإشارة إليهم ، ولعل الذى شجع الدكتور طه حسين على الإغارة على ما كتبه فلهوزن أو غيره فى موضوع ابن سبأ هو أن هذه الكتب لم تكن نقلت بعد إلى اللغة العربية وهذا الموقف ليس غريبا على الدكتور طه حسين الذى أنكر من قبل وجود نبى الله إبراهيم عليه السلام وشكك فى القرآن وفيما كتبه عن الشعر العربى فى كتابه « الأدب الجاهلى » الذى اتضح فيما بعد انه لم يكن له فيه من فضل إلا فضل النقل والسرقة عن الغير دون إشارة أيضا .

وكل مافعله الدكتور طه حسين فى موضوع ابن سبأ هو أنه اتبع اليهود فى تبرئة اليهود وفى هذا يقول الأستاذ أنور الجندى : « وهذا الهدف هو الذى ينفى عن اليهود الشركة فى دم عثمان والتحريض على قتل الإمام فركب مركبا وعرا خالف فيه أسلوب العلماء فى جرح الأخبار وكذب الرواة فى شىء بغير برهان وصدقهم فى شىء آخر بغير برهان أيضا وهو نفسه ينعى على الذين يكذبون الأخبار التى نقلت إلينا ما كان من الناس من فتنة وخلاف »(٢٣) .

والسؤال الآن : ما الذى دفع فلهوزن ورفاقه من المستشرقين إلى تداول أمر ابن سبأ والفتنة فى هذا الوقت بالذات أعنى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؟

غير خاف على كل ذى عقل أن اليهود فى تلك الفترة كانوا قد جمعوا فلولهم المشتتة فى أوروبا فى جماعات وأصبحوا أسياد المال وأربابه فى أوروبا وامريكا ، وكان كثير من زعمائهم قد تغلغل فى الحياة السياسية وكانوا قد عقدوا العزم على إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين دون سواها حيث عرضت عليهم أماكن أخرى فى افريقيا وآسيا ولكنهم رفضوها ومن هنا فإنهم كانوا يقصدون بما كتبوه عن ابن سبأ والحركات الهدامة إلى التمهيد لقيام دولة اليهود فى فلسطين ولهذا كانوا يهيئون الجو النفسى العام للمسلمين لاستقبالهم عن طريق طمس سوءاتهم ضد الإسلام والمسلمين وليس هذا بجديد عليهم فقد فعلوا ذلك مع النصارى واستطاعوا أن يحملوا الكنيسة على إصدار فتوى أو بيان بتبرئة اليهود من دم المسيح(٢٤) على ما عند هؤلاء من عقيدة كما عمدوا إلى نشر الإلحاد وهدم القيم عن طريق تغلغلهم فى الحياة الثقافية باسم المذاهب الفلسفية والأدبية والفكرية ، وفى الصفحات القادمة سنرد على هذه الاتهامات التى أثارها المستشرقون حول موضوع الفتنة وشخصية ابن سبأ بالأدلة اليقينية والبراهين الموثقة بما يبطل مزاعمهم ومساعيهم إن شاء الله .

---

(٢٣) محاكمة فكر طه حسين ص ٢١٩ للأستاذ انور الجندى .

(٢٤) اليهودية للدكتور احمد شلبى ص ٣١٧ ، والتبشير والاستشراق لاحمد الجندى ص ٢٩١ .

المستشرقون والموضعية

٤

بقلم
الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

وضع الحديث :

أما افتراؤه الآخر بأن أحاديث العقيدة وضعها الصحابة وعلماء السلف - رضوان الله عليهم - فهو افتراء لا يصدقه عاقل

وقد كفانا علماء الحديث أنفسهم مؤونة الرد على هذا الافتراء ؛ وذلك بجهودهم العلمية التى بذلوا فيها أقصى طاقات العلماء المؤمنين فى الحفاظ على سنة رسول الله ﷺ، وفى وضع قواعد الجرح والتعديل ، والتمييز بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع .

فكيف يمكن - بعد هذا كله - أن يسمح علماء الحديث وأصحاب السنن بدخول أحاديث موضوعة فى أبواب العقيدة والإيمان ؟

وقد ثبت ثبوتا قاطعاً اشتمال القرآن الكريم والسنة الصحيحة على كل أبواب العقيدة الإسلامية وأركانها وأدلتها وآثارها ، وعلاقتها بالأعمال والعبادات والشريعة والأخلاق - فما الحاجة إذن إلى وضع أحاديث ؟

وكيف يعقل أن الصحابة وعلماء السلف - رضوان الله عليهم - يفترون الكذب فى باب العقيدة التى تفرض الصدق على المؤمنين ، وتحرم الكذب وتلعن الكاذبين ؟

وكيف يعقل أن هؤلاء الصالحين - رضوان الله عليهم - يفترون الكذب على رسولهم الكريم ، وهم الذين رووا عنه - ﷺ - : « من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (متفق عليه) .

عالمية الإسلام :

قضية أخرى يزعم المستشرق أنها لم ترد فى القرآن الكريم ، وإنما وردت فى أحاديث وضعها الصحابة - رضوان الله عليهم - ونسبوها - كذباً - إلى الرسول ﷺ وهى قضية « عالمية الإسلام

يبدأ المستشرق فيزعم أن القرآن ليس فيه مايدل على أن الإسلام رسالة عالمية للناس جميعاً ، وأن محمداً رسول الله إلى الناس كافة ! ويستدل على زعمه بمايلى :

١ - أن محمداً فى القرآن رسول كغيره من الرسل ؛ ومن ثم يكون مبعوثاً إلى قومه خاصة .

المستشـرقــون والموضـوعيـة

٢ ـ أن معنى « النبى الأمى » أنه المنتسب إلى امة من غير اليهود ؛ أى العرب . فليس معنى « النبى الأمى » الذى لا يقرأ ولا يكتب ، بل معناه « النبى العربى » .

٣ ـ يشير إلى الآيات التى تصف القرآن بأنه نزل « قرآنا عربيا » و« حكما عربيا » و« لسانا عربيا » ؛ ويرى أن معناها أن القرآن موجه للعرب فقط !

٤ ـ ويشير إلى الآية الكريمة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى ٤٢ : ٧) ، ويرى أنها تدل على أن محمدا ﷺ ارسل إلى أهل مكة ومن حولها ؛ اى إلى العرب وحدهم !

ويستخلص مما سبق أنه من المستحيل أن يُقبل القول بأن محمداً ﷺ يمكن أن يكون قد اعتبر نفسه رسولاً إلى الناس كافة !

ويستشهد على مزاعمه السابقة بمستشرقين آخرين وبخاصة صديقه المستشرق هرجرنجى فى كتابه : المحمدية .

وبعد الطعن فى عالمية الإسلام وإنكار ورودها فى القرآن ، يصل المستشرق إلى المرحلة الثانية من خطته « المتكاملة » ، وهى الطعن فى الحديث :

فيزعم أن الصحابة رضوان الله عليهم وضعوا أحاديث فى عالمية الإسلام ليبرروا بها الفتوحات الإسلامية التى امتدت ـ بعد وفاة الرسول ﷺ من شبه الجزيرة إلى معظم أنحاء العالم ، وحملت معها الدعوة العالمية للإسلام . ومن هذه الأحاديث حديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » (متفق عليه) .

وكذلك رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والرؤساء .

عالمية الإسلام حقيقة ثابتة فى القرآن الكريم :

وهذه العالمية لم تطرأ على الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ ، كما يدعى المستشرق ، وإنما هى حقيقة ثابتة منذ بداية الدعوة الإسلامية فى مكة . ويكفى أن نشير إلى الآيات المكية التى تؤكد هذه العالمية ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ٢١ : ١٠٧) .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(•) (الأعراف ٧ : ١٥٨) .

(من الغريب أن المستشرق يشير إلى هذه الآية ويترجم « يميت » الى « يقتل » ! Kills) .

أما وصف النبى بأنه « النبى الأمى » فمن المعروف أن « أمى » فى اللغة العربية ليست نسبة إلى أمة ، وإنما معناها الذى لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت ٢٩ : ٤٨) ولو علم أعداء الإسلام من المشركين واليهود والنصارى فى عصر الرسول ﷺ أنه كان يقرأ ويكتب ما سكتوا عن ذلك ، ولأذاعوا ، فى كل مكان .

وأما وصف القرآن بأنه « عربى » فالمقصود

• لئن افتعل هذا المستشرق معنى خاصا لكل ما تقدم من آيات كما فَعَلَ من تلقى عنه نفس افكاره ، ونشرها بصحيفة الأهرام من نحو سنتين أعنى به د . خلف الله ، فما هو قائل فى قوله تعالى ـ فى سورة الأنعام ـ ١٩ .

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ اى هو نذير لكل من بلغه ، فمن بلغه القرآن لزمته الحجة ، راجع تفسير ابن كثير والبغوى وغيرهما فى الآية الكريمة المحرر

ليست النسبة إلى جنس العرب ، بل إلى اللغةالعربية ، أى أنه نزل بلغة عربية واضحة وبيان معجز ، كما قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء ٢٦ : ١٩٣-١٩٥) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ فيقول ابن كثير فى تفسيره : («أوحينا إليك قرآنا عربيا » أى واضحا جليا بينا « لتنذر أم القرى » وهى مكة « ومن حولها » أى سائر البلاد شرقاً وغرباً)

وإرسال الرسل والكتب إلى الملوك والرؤساء فى حياة الرسول ﷺ ، وانتشار الإسلام فى أنحاء الأرض بعد وفاته ، إنما هو نتيجة طبيعيه ومنطقية لتحقيق عالمية الإسلام ؛ وذلك بتبليغ دعوته للناس جميعاً ، وإظهاره على الأديان كلها ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة ٩ : ٣٣ والصف ٦١ : ٩) .

وما سبق عرضه من آراء المستشرق فنسنك يبين موقفه من الحديث والعقيدة الإسلامية ومن الإسلام بوجه عام .

وهو موقف لايحتاج إلى تعليق :

ريلاند

« هادريان ريلاند ـ ت ١٧١٨ م ـ » استاذ اللغات الشرقية بجامعة اوترشت بهولندا . له كتاب : الديانة المحمدية فى جزءين : عرض فى اولهما العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر بالعربية واللاتينية . وفى الثانى تظاهر بتصحيح بعض الآراء الغريبة عن الإسلام (على طريقة المحامى الذى يطالب ـ بفتور ـ مراعاة « الظروف المخففة » لموكله وهو يعتقد إدانته !) . وحامت حوله شبهات الكنيسة فحرمت تداول كتابه . ومن المعروف ان الكنيسة الكاثوليكية فى اوروبا فى تلك الفترة كانت تحرم كثيراً من الكتب لأقل شبهة ، وبخاصة إذا اتصلت هذه الشبهة بالإسلام . ولكن لم يكن لشبهات الكنيسة حول مؤلف هذا الكتاب بالذات مايبررها ، فلم يكن يقصد فى الحقيقة إلا شن الحرب على الإسلام بطريقة اكثر فعالية ، كما صرح هو نفسه بذلك .

فهو يدس السم بزعمه اولاً ان **بعض تعاليم محمد** صحيحة (لاحظ أنه ينسب تعاليم الإسلام إلى محمد ﷺ ولذلك يسمى كتابه : **الديانة المحمدية**) ويدعو إلى الرجوع إلى المصادر العربية لفهم الإسلام فيقول : « ينبغى على المرء .. أن يتعلم اللغة العربية وأن يسمع محمداً نفسه وهو يتحدث فى لغته ، كما ينبغى على المرء ان يقتنى الكتب العربية ، وأن يرى بعينيه هو وليس بعيون الآخرين . وحينئذ سيتضح له أن المسلمين ليسوا مجانين كما نظن ؛ فقد أعطى الله العقل لكل الناس . وقد كان فى رأيى دائماً أن ذلك الدين الذى انتشر انتشاراً بعيداً فى آسيا وافريقيا وفى أوروبا أيضاً ليس دينا ماجنا أو سخيفا كما يتخيل كثير من الناس » .

ويمضى المستشرق فيصرح بهدفه الحقيقى من تاليف كتابه فيقول : « صحيح أن الدين الإسلامى دين سىء جداً وضار بالمسيحية إلى حد بعيد . ولكن اليس من حق المرء لهذا السبب أن يبحثه ؟ **الا ينبغى للمرء ان يكشف اعماق الشيطان وحيله ؟ إن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام فى حقيقته لكى يحاربه بطريقة اكثر اماناً واشد قوة » .**

المستشرقون والموضوعية

فالمستشرق يدافع أولاً عن موكله « الإسلام » بأنه ليس ماجنا ولا سخيفاً ، ولكنه مع ذلك « دين سيىء جداً وضار بالمسيحية إلى حد بعيد » ..

ثم يصرح بهدفه الحقيقى الذى يتمثل فى شيئين :

أولاً : إثبات رايه المسبق عن الإسلام وهو أنه من أعماق الشيطان وحيله .

ثانياً : محاربة الإسلام بطريقة أكثر فعالية .

وبهذا التصريح تتضح « موضوعية » هذا المستشرق . وهى موضوعية لا تحتاج كذلك إلى تعليق !

دى ساسى

(سلفستر دى ساسى - ت ١٨٣٨ م)

مستشرق فرنسى تعده بعض المؤلفات من المنصفين لأنه « اهتم بالأدب والنحو مبتعداً عن الخوض فى الدراسات الإسلامية ، وإليه يرجع الفضل فى جعل باريس مركزاً للدراسات العربية ، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوى » .

ومن الواضح أن مجرد الاهتمام باللغة العربية لا يجعل من أى إنسان منصفاً ، فجميع المستشرقين يشتركون فى هذا الاهتمام ، بل إن نشأة الاستشراق فى الغرب المسيحى ترتبط بالتنصير ، وتتخذ من دراسة اللغة العربية وسيلة لتنصير المسلمين .

وبدأ الاستشراق وجوده الرسمى فى الغرب بقرار المجلس الكنسى فى فيينا سنة ١٣١٢ م بتأسيس كراسى جامعية فى جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وسلامنكا ، لدراسة اللغات الشرقية ، ولا سيما اللغة العربية . وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدمه المنصر ريموند لول « ١٢٣٥ - ١٣١٦ م » الذى كان يحث المسيحيين على تعلم اللغة العربية كأفضل وسيلة لتحويل المسلمين إلى المسيحية ، وبخاصة بعد فشل الحروب الصليبية فى تحقيق أهم أهدافها وهو ردة المسلمين عن دينهم أو إبادتهم جميعاً .

وكذلك أنشىء كرسى اللغة العربية بجامعة كامبردج سنة ١٦٣٦ م « بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون فى الظلمات » !

المستشرق دى ساسى يعد أول مستشرق أوروبى فى العصر الحديث يمثل الاستشراق كمؤسسة سياسية تعمل لخدمة الاستعمار الغربى ، وتثبيت أقدامه فى العالم الإسلامى . فقد كان حلقة الوصل بين الاستشراق والسياسة الفرنسية الخاصة بالمسلمين ، فكان يستشار بانتظام من قبل وزارة الخارجية الفرنسية ، وكذلك وزارة الحربية . وكان من مهامه أن يترجم نشرات الجيش الفرنسى إلى المسلمين، وهو الذى قام بترجمة الإعلان الفرنسى إلى الجزائريين باحتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ م . وجمع كثيرا من المخطوطات العربية الإسلامية فى باريس ، وعين أول مدرس للغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية فى باريس « وأصبح مديرا لهذه المدرسة سنة ١٨٢٤ م » ، كما كان أول رئيس للجمعية الآسيوية الفرنسية وهى الجمعية الاستشراقية التى تأسست فى باريس سنة ١٨٢٢ م

ومع اهتمامه الواضح بالشعر العربى كان إعجابه الحقيقى بالأدب اليهودى ؛ فقد وصف الشعر العبرى بأنه « شعر مقدس حقيقة » . وثقافته الأصلية التى تلقاها فى دير بندكتى ثقافة لاهوتية عميقة ، تعتمد على العهدين القديم والجديد . ونشاطاته كلها تمثل الارتباط الوثيق بين الاستشراق والاستعمار والتنصير « يتبع»

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في مدح
آل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم

لا تحزني

أيام في بغداد

في مدح آل رسول الله

للشاعر: دِعبِل الخزاعي

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمرات
ديار على والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذى الثفنات
ديار عفاها كل جون مبادر ... ولم تعف للأيام والسنوات
قفا نسال الدار التى خف اهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات ؟
واين الألى شطت بهم غربة النوى ... افانينَ فى الآفاق مفترقات
وما الناس إلا حاسد ومكذب ... ومضطغن ذو إحنةٍ وترات
إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنينٍ اسبلوا العبرات
لهم كل حين نومة بمضاجع ... لهم فى نواحى الارض مختلفات
وقد كان منهم بالحجاز واهلها ... مغاوير يختارون فى السروات
ملامك فى اهل النبى فإنهم ... احبَّاى ما عاشوا واهل ثقاتى
تخيرتهم رشدا لامرى فإنهم ... على كل حالٍ خيرة الخيرات
فيارب زدنى من يقينى بصيرة ... وزد حبهم يارب فى حسناتى
بنفسى انتم من كهول وفتية ... لفك عُناةٍ او لحمل ديات
احب قصى الرحم من اجل حبكم ... واهجر فيكم اسرتى وبناتى
واكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيد، لاهل الحق غير مواتى
لقد حُفَّتِ الأيام حولى بشرها ... وإنى لارجو الأمن بعد وفاتى
الم تر انى من ثلاثين حجة ... اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيئهم فى غيرهم متقسما ... وايديهم من فيئهم صفرات

***

فآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد حُفَّلُ القَصَرَات

بنات زياد فى القصور مصونة   وآل رسول الله فى الفلوات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم   أكفا عن الأوتار منقبضات
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غد   لَقُطِّعَ قلبى إثرهم حسرات

الشاعر : هو دعبل بن على بن رزين من خزاعة ، نشأ بالكوفة وكان شاعراً هجاءً لا يسلم من هجائه كبير ولا صغير حتى الخلفاء توفى عام ٢٤٦هـ وشعره قوى الأسلوب من النوع المطبوع ، وكان جرىء النزعة متعصبا للطالبين ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

القصيدة : تظهر بوضوح تحسره على آل البيت وديارهم وأحوالهم ويمتدح بطولاتهم ومواقفهم المشهورة ويؤكد ولاءه لهم ويقارن بينهم وبين بنات زياد فى نعيمهم وقصورهم وذلك فى شعر قوى واضح .

رشاد محمد يوسف

لا تحزني

إلى الدكتورة سعاد الصباح

للأستاذ/ سيد حسن قرُون

لا تحزنى لا تحزنى   فالشمس تشرق فى غد
وتعود رَبَّةُ عصرها   فى موكب متجدد
تلك الكويت فحيها   واهتف بها بتودد
مهما تعنت خصمها   ومضى بطرف أرمد
وأتى يجر سلاحه   ليشوه الوجه الندى
فالحق فوق سلاحه   يعلو ويبطش باليد
أسعاد أنت جنانه   ولسانه فى المشهد
ناجيهِ بالشعر الجميل من الفؤاد الأملد
ودعى الضلال وجنده   لمصير يوم أسود
وتفاءلى بتحرك   من عالم لم يرقد

أيام بغداد

للشاعر: جميل صدقى الزهاوى

أتعود بعد تَصَرُّمٍ وَنَفَادِ ... أيامُ بغدادٍ إلى بغدادِ؟
أيام بغدادَ التى فى مُرِّهَا ... كانت عوادى الدهر غير عوادى
إذ ليس بغدادٌ كما تُلْفَى ولا ... حكامُ بغدادٍ ذوى استبداد
كانت محطا للعلوم وَأهلَها ... وقرارةً للمجد والأمجاد
اليوم هاتيك العلومُ بأسرها ... مدفونةٌ بمقابرِ الأجداد
قد عاش دهراً فى نعيمٍ أهلُها ... فإذا النعيمُ وأهلُها لنفاد
أيام مد الأمنِ وارفَ ظله ... فيها، فكانت جنة المرتاد
أيام بغداد تضِىءُ جميلةً ... فتلوح مثلَ الكوكبِ الوقادِ
أيعاد ما قد مر من عُمرانِها ... أم ذلك العمران غيرَ مُعاد؟
لا ترجِع الرغباتُ نحوَ عِراصِها ... أو ترجعُ الأرواحُ للأجساد
فتقوم فيها بالسداد حكومة ... وتزول عنها دولة الأوغاد
جاسوا المنازل مفسدين وأوقدوا ... نار الإساءة أيما إيقاد
إنى أظنك لا ترى بمكانها ... من بعد بضع سنين غيرَ رماد
فهناك أهلٌ يجهلون حقوقهم ... وحكومة تعتُو ودهر عادى
هم أيدوا الحكام فى تدميرها ... فكأنهم، لو يخجلون، أعادى
لجأت إليهم حين عز نصيرها ... ولقد يجاء إلى ذوى الأحقاد
قضت الفظاظة فى طبائع أهلها ... أن لا يكون فؤادهم كفؤادى
قد زال عن بغداد كل حلاوة ... لكن كذاك لها قديم ودادى
فلها مع الجور الذى ألقى بها ... ود بقلبى نال من أجلادى
بغداد تطلب ذلتى وأعزها ... فانظر لبعد البون فى الأضداد
وتريد موتى إذ أريد حياتها ... شتان بين مرادها ومرادى

الشاعر: جميل صدقى الزهاوى « ١٨٦٣ ـ ١٩٣٦ » شاعر عراقى كبير ولد فى بغداد ونشأ تحت رعاية أبيه مفتى بغداد، ونظم شعره فى موضوعات شتى تناول فيها كل شىء تقريبا من السياسة والاجتماع، إلى الغزل، إلى العلم والفلسفة ويغلب على شعره روح العالم المفكر أكثر من روح الشاعر الأديب ـ ويعتبر الزهاوى من رواد التطوير والتجديد فى بلده، ويعد أول شاعر عراقى اتصل بالحياة وعالج مشكلات المجتمع ـ رغم بعض النزوات والانحرافات ـ فقد سجل بشعره أنغاما جديدة لا نجدها فى شعر الجيل الذى سبقه.

القصيدة: زفرة حارة وآهة عميقة لما آلت إليه أحوال بغداد وحكام بغداد حيث عاصر وعايش الكثير من المظالم والاستبداد والمتناقضات.

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور
عبد الله عبد الخالق المشد
نوفمبر ١٩٠٣ - سبتمبر ١٩٩٠

للأستاذ: فتحى بدر

فقد الازهر بفقد الدكتور المشد عالماً جليلاً وفقد المسلمون فقيهاً معطاء ثبت الحجة قوى الإقناع ، كان رحمه الله دارساً واعياً وعالماً محققاً وفقيهاً مجتهداً وإدارياً حكيماً وصاحب نظر صائب وفكر متطور .

كان اول من افتى - فى العصر الحديث - بجواز نقل لحوم الاضاحى إلى خارج مكة المكرمة على الا تباع ، بل لينتفع بها فقراء المسلمين فى بقاع الأرض .. ونفذت المملكة العربية السعودية فتواه .

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية

ولد الفقيد الكريم بديروط - مركز المحمودية - محافظة البحيرة فى نوفمبر سنة ١٩٠٣ .

- حصل على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩٢٧ .. بعد أن اجتاز السنوات الدراسية الأربع الأخيرة فى سنتين ، ونال شهادة التخصص فى النحو والصرف والتربية سنة ١٩٣١ ، وعمل - بعد ذلك :

مدرساً بمعهد الأسكندرية الدينى ، وطالب مع بعض إخوانه بتحسين أحوال العلماء ففصلهم المرحوم الشيخ الظواهرى .. ثم أعادهم للعمل المرحوم الشيخ المراغى .

ثم عمل أستاذاً لفقه الحنفية فى كلية الشريعة .

تولى بعد ذلك الإدارة العامة للوعظ والإرشاد سنة ١٩٥٩ ، ثم ندب رئيساً للقسم العالى بجامعة الأزهر سنة ١٩٦٥ وأميناً مساعداً .

من أعـــلام الأزهـــر

اختير عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر سنة ١٩٧٣ .. وعضواً بلجنة الموسوعة للفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧٧ .. ثم رئيسا لهذه اللجنة ولجنة القرآن والسنة بالمجلس .

- تم تعيينه بلجنة الشريعة الإسلامية المتفرعة من شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وقد شارك فى كثير من لجان تقنين الشريعة بمجلس الشعب .. وقد وضع فى هذه اللجان بحوثاً مفصلة وتقارير عن قوانين وأحكام الضمان الاجتماعى ، والتأمينات الاجتماعية والمعاشات والتأمين والربا والمضاربة وطرق الإثبات الشرعية .

عين مستشاراً دينياً لبنك مصر بميدان الحسين - رضى الله عنه - سنة ١٩٨٠ . واختير عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠ . ثم عضواً بلجنة الشريعة والقانون بالمجلس الأعلى للثقافة والإنتاج العلمى سنة ١٩٨٠ ، وفى العام التالى عين رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر ، ثم اختير أستاذاً غير متفرغ بجامعة الأزهر سنة ١٩٨٥ ، ورئيساً للجنة تقنين الشريعة الإسلامية بالمذهب الحنفى بمجمع البحوث الإسلامية ، ومستشاراً للبنك الوطنى للتنمية والمصرف الإسلامى الدولى .

الإنتـــاج العلمـــى :

(١) وضع تقريراً عن أحوال المسلمين فى الصومال والحبشة وأريتريا سنة ١٩٥١ .

(٢) « الآداب الدينية والاجتماعية » للمدارس الثانوية مع المرحوم الشيخ على حسب الله سنة ١٩٥٤ .

(٣) « هدى الإسلام » للمدارس الاعدادية مع المرحوم الشيخ على حسب الله سنة ١٩٥٤ .

(٤) « تفسير القرآن الموجز » « مشترك » وزارة الأوقاف سنة ١٩٦٠ .

(٥) كتاب عن « على مبارك - حياته ودعوته وآثاره » - سنة ١٩٦٢ مع المرحوم الأستاذ محمود الشرقاوى ونال جائزة مجمع اللغة العربية .

(٦) « الرق فى الإسلام » - طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ١٩٦٢ .

(٧) « رسالة فى موقف اليهود من الإسلام والمسلمين فى العصر الأول » - طبع مجمع البحوث - المؤتمر الرابع .

(٨) « رسالة فى وظيفة المسجد فى المجتمع المعاصر » - طبع مجمع البحوث - المؤتمر الخامس .

(٩) « فى فقه الحنفية المقارن » - طبعة أولى -

(١٠) « مصـــادر التشريع الإســـلامى » (أصول فقه لطلاب المعهد العالى للدراسات العربية والإسلامية) .

(١١) « ألوان من هدى الإسلام » (تحت الطبع)[١] .

---

(١) والكتاب يشمل :
العبادات ميسرة ، والمعاملات ، والملل ، والمذاهب المنشقة الحديثة كالبهائية .. وغير ذلك والقائم - حالياً - على إعداد هذا الكتاب للنشر الزميل : الأستاذ زكى المراغى المستشار بالمعاهد الأزهرية سابقاً والأستاذ فتحى بدر - إدارة البحوث والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية .

(١٢) « مختارات من الفتاوى والأحكام » (تحت الطبع) .

الاعمال التى اسندت إليه خارج الجمهورية :

- التدريس بكلية عبية بلبنان - ١٩٤٧/٤٠ .. حيث عمل مع الاستاذ عبد الحميد بك سعيد والامير شكيب أرسلان على التقريب بين المسلمين من أهل السنة والدروز .

- أوفد إلى الصومال والحبشة واريتريا وعدن سنة ١٩٥١ ووضع تقريرين عن أحوال المسلمين فى تلك البلاد كان لهما شأن كبير ..

- سافر إلى القدس والأردن ولبنان وسوريا لحضور مؤتمر الخريجين سنة ١٩٥٦ ..

- راس بعثة إلى لبنان لتهنئة المفتى سنة ١٩٦٧ .

- ناب عن الأزهر فى مؤتمر علماء المسلمين المنعقد فى استانبول وأعد فيه أبحاثاً علمية سنة ١٩٧٩ ..

- أوفده الأزهر إلى سيريلانكا فى مهمة رسمية .

- كما أوفده إلى باكستان لحضور مؤتمر إسلامى سنة ١٩٨٠ .

- ناب عن الأزهر فى مؤتمر العلوم الإسلامية المنعقد فى استانبول فى تركيا سنة ١٩٨١ .

الأوسمة التى منحت له

(١) وسام الاستحقاق سنة ١٩٦٩ .

(٢) وسام الفنون والعلوم من الدرجة الأولى ١٩٨١ .

(٣) وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ، ومنحه هذا الوسام الأخير السيد رئيس الجمهورية فى احتفال مصر هذا العام بمولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى أقيم بمسجد القلعة مساء الثلاثاء ١٢ من ربيع الأول ١٤١١ هـ .

هذه نبذة تاريخية يسيرة عن الرجل الذى فقده الإسلام والأزهر فجر يوم الأحد ٣ من ربيع الأول سنة ١٤١١ هـ الموافق ٢٣ من سبتمبر سنة ١٩٩٠ .

رحمه الله رحمة واسعة .

« إلى حضرات الكتاب »

ترجو ادارة المجلة أن يوافيها حضرات الكتاب .على وجه السرعة. بصورة فوتوغرافية للكاتب مصحوبة ببيان محدد بعنوانه وعمله ، أبو بكونه فى (المعاش) مع بيان عمله السابق للأهمية.

العلوم الكونية

لقد مضى زمن طويل ، تخلّف فيه المسلمون عن ركب الحضارة بعد ان كانوا فى مقدمته ، واهملوا فيه تراثهم بحجة انه غير ذي قيمة او جدوى فى حاضر الأمة او مستقبلها ، وتركوا فيه غيرهم يستاثرون بكتابة تاريخ العلم والحضارة كما يحلو لهم ، فرفعوا من شان بعض الحضارات ، وحطوا من شان البعض الآخر ، بل إنهم غمطوا حق الحضارة الإسلامية وانكروا دورها الرائد فى دفع مسيرة التقدم البشري . وإذا كان ماوصل إلينا من تراثنا العلمي ـ علي قلته ـ يؤكد سبق اسلافنا إلى وضع أصول البحث العلمى السليم ، ويدحض دعاوى الحاقدين وافتراءات المتعصبين الموجهة ضد الإسلام والمشككة فى قدرات العقلية الإسلامية ، والمشوهة لحقائق التاريخ والعلم على حد سواء ، فإن اغلب هذا التراث لايزال بكراً فى مظانه المختلفة ، ينتظر من يقراه قراءة عصرية متانية ويتناوله بالدراسة العلمية المفصلة وفق منهج تحليلي مقارن . ولا يخفى ما لمثل هذه الدراسات التراثية من اثر عظيم فى تاصيل ثقافتنا الإسلامية باعتبارها الأساس لاية نهضة حضارية منشودة ، تاخذ بالعلم والتقنية طريقاً نحو التنمية والتقدم ، طبقاً لمبادىء الدين الإسلامي الحنيف .

فى التراث الإسلامى

أ. د . أحمد فؤاد باشا

وسوف نعرض فى دراستنا الحالية لأهم المنجزات التى حققها علماء الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم الكونية ، وهي قضايا ونظريات يمكن تصنيفها ضمن مانعرفه اليوم فى علوم الفيزياء والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها ، إلا اننا آثرنا أن نعبر عنها بمسمياتها الأصلية كما وضعها أصحابها لأول مرة ، وهي فى حقيقة الأمر لا تختلف كثيرا فى مدلولاتها عما تعنيه اليوم ، على الأقل من حيث الموضوع والمنهج ، إن لم يكن من حيث المحتوى العلمى أيضاً فى أغلب الأحيان .

أولاً : ظاهرة الجاذبية :

من المعروف أن العالم الانجليزى إسحاق نيوتن هو الذى وضع صياغة قانون الجذب العام الذى ينص على أن « كل جسم فى الكون يجذب أى جسم آخر بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتى الجسمين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما » ، ويعرف ثابت التناسب باسم « ثابت الجاذبية الكونى » Universal gravitational constant وهذا القانون كما نعرفه اليوم هو الذى يشرح حركة الكواكب فى مسارات دائرية تقريباً حول الشمس بفرض أن جذب الشمس وكواكبها هو السبب فى تلك الحركة الدورانية . لكن طبيعة العلم التراكمية ، كما يصفها فلاسفة العلم ومؤرخوه ، تلفت الأنظار إلى ما أكده نيوتن نفسه من أنه ما كان ليتوصل إلى صياغة قوانينه الشهيرة لولا أنه وقف على أكتاف من سبقوه من عمالقة العلماء .

ويقول الخبثاء إن المقصود بمن سبقوه هم علماء عصر النهضة الأوروبية فقط أمثال تيكوبراهى وكبلر وجاليليو وغيرهم . أما المنصفون فينسبون الفضل لأصحابه ، ويعثرون فى تراثنا الإسلامى على ما يؤكد سبق علماء الحضارة إلى اكتشاف فكرة الجاذبية وبلورة مفاهيم جديدة متعلقة بها . ولعل فى سرد القصة من أولها ما يظهر هذه الحقيقة الهامة ، إذ لايشك أحد فى أن الإنسان القديم قد لاحظ سقوط الأجسام من الأعلى إلى الأسفل . مثلما لاحظ نيوتن سقوط التفاحة من الشجرة إلى الأرض ، ثم تعامل مع الموجودات على ضوء هذه الملاحظة .

وكانت أولى محاولات تفسير السقوط الحر للأجسام للفيلسوف اليونانى أرسطو الذى اعتقد بأن سبب سقوط الجسم إلى الأرض يعود إلى « الوحشة الطبيعية » الكامنة فى الجسم نفسه ، تماماً مثلما يميل الطفل إلى حضن أمه كلما بَعُد عنها باعتبارها المكان الطبيعى لإزاحة وحشته ، واتجاه حنينه هو الذى يدفع به إلى مقاومة حالة الوحشة وطردها . ويلاحظ بعض الباحثين فى هذا الموضوع أن أرسطو قد أمعن فى « أنْسنَة الطبيعة » عندما طبق الأحاسيس الإنسانية على ظواهر الطبيعة وسلوك أشيائها ، فرأى أن الجسم المادى الصغير يجد مكانه الطبيعى حين « يسقط » فى حضن أمه : كوكب الأرض[1] أى أن النظرة « الأرسطية » تقضى بأن الجسم الساقط يميل من تلقائه إلى الحركة نحو الأرض .

ويأتى عصر الحضارة الإسلامية الذى اهتدى فيه العلماء إلى المنهج العلمى السليم فى تحصيل العلوم والمعارف ، فلم يقبلوا تماما البراهين الفلسفية للآراء التى يمكن اختبار صحتها تجريبيا . وفطنوا إلى أن التفسير العلمى لظواهر الطبيعة يكتسب دقته من مدى تعبيره عن الحقيقة العلمية الكامنة وراء سلوك هذه الظواهر ، إما بوصفها تطابقا للواقع الموضوعى ، وذلك بإطلاق لفظ الواقع على الأمور التى يمكن التحقق منها على نحو يقره الجميع ، وإما باعتبارها تطابقا لقضايا ذهنية ليس لها مسميات فى عالم الواقع ، مثل بعض قضايا علم الرياضيات للأشياء كما هى فى ذاتها ، إذ من الممكن تشييد نسق كامل للتفكير الرياضى .

(١) محمود إبراهيم الصغيرى ، مكانة الهمدانى فى تاريخ تطور مفهوم الإنسان لظاهرة الجاذبية ، مجلة الاكليل ، العدد الخامس ، صنعاء ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

العلوم الكونية فى التراث الاسلامى

استطاع علماء الحضارة الإسلامية ، بهذه الطريقة العلمية الجديدة فى البحث والتفكير والتأمل ، أن يقلبوا تصورات القدماء الفلسفية عن الظواهر الطبيعية راسا على عقب ، وأن يقدموا لأول مرة أساسا مقبولا لتفسير السقوط الحر للأجسام تحت تأثير الجاذبية الأرضية . ويبدأ الهمدانى هذه الثورة العلمية بقوله ، فى سياق حديثه عن الأرض وما يرتبط بها من أركان ومياه وهواء : « فمن كان تحتها (أى تحت الأرض عند نصفها الأسفل) فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها ، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى ، وكثبات قدمه عليه . فهى بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب..... »(٢) .

ويتضح جليا من هذا النص أن الهمدانى قد ربط ظاهرة الجاذبية بالأرض التى تجذب الاجسام الصغيرة فى كل جهاتها ، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركزة فى الأرض وتظهر آثارها فى مجال فعال حول الأرض أشبه بذلك المجال الذى يتمتع به « حجر » المغناطيس . ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين فى تطاير كل ما على سطحها . وبهذا المفهوم العلمى يكون الهمدانى قد أرسى أول حقيقة جزئية فى فيزياء ظاهرة الجاذبية ، وهى مايعرف بطاقة الموضع أو طاقة الكمون Potential energy الناتجة أصلا عن ارتفاع الأجسام عن الأرض ، وإن كان لم يقل فى النص صراحة أن الأجسام تجذب بعضها البعض ، وهو المعنى الأساسى لقانون الجذب العام لنيوتن (٣) .

وأضاف علماء آخرون تباعا ، فى عصر الازدهار الإسلامى ، حقائق أخرى جزئية على طريق استكمال التصور الإنسانى لظاهرة الجاذبية من خلال دراساتهم لحركة المقذوفات ، من حيث إن حركتها إلى أعلى عند القذف تعاكس فعل الجاذبية الأرضية ، أو أن القوة القسرية التى قذف بها الجسم إلى أعلى تعمل فى تضاد مع قوة الجاذبية الأرضية . فهذا هو هبة الله البغدادى يقول فى كتابه «المعتبر فى الحكمة» : «... فكذلك الحجر المقذوف فيه ميل مقاوم للميل القاذف ، إلا أنه مقهور بقوة القاذف ، ولأن القوة القاسرة عرضية فيه ، فهى تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعى ولمقاومة المخروق ... فيكون الميل القاسر فى أوله على غاية القهر للميل الطبيعى ، ولايزال يضعف ويبطىء الحركة ضعفا بعد ضعف وبطئا بعد بطء حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعى ، فيغلب الميل الطبيعى فيحرك إلى جهته »(٤) .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن البغدادى لايستخدم مفهوم « الميل » كقوة خفية أو « وحشة » طبيعية فى اتجاه الحنين إلى حضن الأم : كوكب الأرض ، مثلما قال أرسطو ، ولكنه عنى به القوة المادية التى تتحكم عمليا فى حركة المقذوف صعودا ضد الجاذبية الأرضية وهبوطا فى اتجاهها . والسؤال الذى طرحه البغدادى فيما يتعلق بهذه القضية العلمية هو : هل يتوقف

---

(٢) الحسن بن احمد الهمدانى ، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) ، اعداد وتحقيق : محمد محمد الشعيبى ، مطبعة دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٣ . وكان المستشرق السويدى المعاصر « كريستوفر تول » قد عثر على إحدى النسخ الأصلية لمخطوطة كتاب الجوهرتين فى إحدى المكتبات الأوروبية وقام بتحقيقها وترجمتها إلى اللغة الالمانية عام ١٩٦٨ ، طبعة جامعة أوبسالا ، ثم ظهرت بعد ذلك طبعته المذكورة باللغة العربية .

(٣) د . أحمد فؤاد باشا ، الاتجاه العلمى عند الهمدانى ، مجلة المسلم المعاصر ، ع ٥٨ (١٩٩٠) .

(٤) راجع : د . جلال شوقى ، تراث العرب فى الميكانيكا ، القاهرة ١٩٧٣ .

الحجر المقذوف عند أعلى نقطة يصل إليها حين يبدأ فى الارتداد إلى سطح الأرض ؟ ويجيب هو نفسه فى نفس الكتاب بالنص الواضح الصريح : « من توهم أن بين حركة الحجر علوا المستكرهة بالتحليق وبين انحطاطه وقفة فقد أخطأ . وإنما تضعف القوة المستكرهة له وتقوى قوة ثقله ، فتصغر الحركة ، وتخفى حركته على الطرف ، فيتوهم أن ساكن »[٥] .

ويثابر المخلصون من العلماء على البحث والتنقيب فى كتب التراث الإسلامى ، فيعثرون على المزيد من النصوص التى تتضمن مفاهيم أكثر وأوصافا أشمل لظاهرة الجاذبية . ومن أشهر النصوص التى تعرضت لهذا الموضوع وأوضحها ماقاله البيرونى فى رده على المعترضين على دوران الأرض حول نفسها والمعتقدين بأن الأرض لو دارت لطارت من فوق سطحها الاحجار واقتلعت الأشجار ، وأكد فى هذا الرد أن الأرض تجذب مافوقها نحو مركزها ، فقد جاء فى كتابه « القانون المسعودى » أن الناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة ، وعليها أيضا نزول الأثقال إلى أسفل كما أن الخازن قد أوصلته أبحاثه إلى أن الأجسام الساقطة تنجذب فى سقوطها نحو مركز الأرض ، فذكر فى كتابه «ميزان الحكمة » أن الجسم الثقيل هو الذى يتحرك بقوة ذاتية أبدا إلى مركز العالم فقط ، أى أنه يعنى أن الثقل هو الذى له قوة تحركه إلى نقطة المركز . وقد فطن الإمام الرازى إلى تعميم فكرة الجاذبية على جميع الأجسام الموجودة فى الكون ، فنجده يتحدث عن انجذاب الجسم إلى مجاوره الأبعد ، مقتربا بذلك من المعنى الشمولى الذى توصل إليه نيوتن .

وينجح البغدادى مرة أخرى فى تصحيح ذلك الخطأ الجسيم الذى وقع فيه أرسطو عندما قال بسقوط الأجسام الثقيلة أسرع من الأجسام الخفيفة ، فنراه يثبت حقيقة علمية هامة تقضى بأن سرعة الجسم الساقط سقوطا حرا تحت تأثير الجاذبية الأرضية لاتتوقف إطلاقا على كتلته ، وذلك عندما تخلو الحركة من أى معوقات خارجية ، ويعبر عن هذه الحقيقة بكلماته فيقول : « ... وأيضا لو تحركت الأجسام فى الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير والمخروط المتحرك على رأسه الحاد والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة ، فى السرعة والبطء . لأنها إنما تختلف فى الملاء بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق كالماء والهواء وغيره ... »[٦] .

وهكذا يتضح سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى بلورة المفاهيم الأساسية لظاهرة الجاذبية بعيدا عن الآراء الفلسفية القديمة والتصورات النظرية عن الحركة والسكون ، واستنادا إلى حقيقة ما أثبتوه من مناهج البحث فى المعرفة تعتمد على طبيعة موضوعاتها . ولولا هذه الثورة الهائلة التى أحدثوها فى منهجية التفكير والبحث العلمى السليم لظلت خرافات القدماء قائمة حتى وقتنا هذا ، ولما وجد اسحق نيوتن من يقف على أكتافهم من عمالقة العلماء لكى يصنع مجده وشهرته . ففى قصة اكتشاف ظاهرة الجاذبية التى قدمناها خير دليل وأوضح مثال .

---

(٥) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٤ .

راجع أيضا : محمود إبراهيم الصغيرى ، مرجع سابق .

(٦) راجع ماكتبناه عن « تطور نظريات الحركة » فى مؤلفنا : « فلسفة العلوم بنظره إسلامية » ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٤ ومابعدها .

هكذا تنام

يقضى الشخص العادى ذكراً كان ام انثى ثلث حياته فى الفراش على امل ان ينام . وهو ما يقدر بحوالى ثمانى ساعات يومياً .. عملية لا يمل الإنسان تكرارها بالطبع سبعة ايام فى الأسبوع و٣٦٥ يوماً فى السنة . ولا يهم كثيراً المكان الذى تتواجد فيه ولا العمل الذى تشتغل به فالنوم كما يقولون سلطان ، إن حل وقته فلا مجال لتحاشيه او الإفلات من حبائله . اما إن حاولت الاستغناء عنه أو العيش بدونه فانت إنما تدعو إلى مخدعك ضيفاً ثقيلاً يفسد عليك كل شىء ، بل إنك لتصاب معه بالأداء الوظيفى المختل والإحساس بالفتور والإربـاك الأكيد للعلاقات الشخصية الشديدة التداخل .

ترجمها عن .. « Viprant Life »

الأستاذ
مجدى عبد الحميد بشير

وكما هو معروف بالضرورة الا اهمية للبيئة التى تعيش فيها ؛ فإن ذلك يعنى أول ما يعنى ان الوقت الذى تنفقه فى النوم تتقارب مدده أياً كان المكان الذى سكنته من الكرة الارضية . اما أن تستغرق عملية النوم ثلث مدة حياة الإنسان وهو ما يساوى عشرين عاماً من حياة رجل أو امرأة عاش كل منهما ستين سنة ، فذلك وقت لىس بالقصير . فكر مثلاً فيما كان يمكنك إنجازه لو لم تكن بحاجة إلى تعطيل كل انشطة حياتك وجعلها وقفاً على النوم لا غير .. اما كان يمكنك استخدام كل هذا الكم الهائل من الوقت فى عمل إضافى أو لهو برىء أو حتى فى مجرد القلق والتفكير ؟

ولكنها حكمة الله .

طوائف النُـوَّام : ـ

النـاس إزاء النوم ثـلاث طوائف .. فطائفة منهم تنام نوماً عميقاً لو اطلعت عليهم لحسبتهم موتى [وما هم بموتى] لا يوقظهم إلا أن تغرق غرف نومهم فى بحر من الشمس وقد أخذت أشعتها الحامية تغسل بغتةً الفُـرُشَ والأسِرَّة . وبعضهم لا يستيقظ إلا عندما تتحطم أوتـار السكون وتتكسر لحظات الصمت المطبق على صرخات المنبهات المعدنية المزعجة . وطائفة أخرى تعلو وتهبط ، تـرتفع وتنخفض ، تلف وتتلوى ناهضة دون وعى فى كل ساعة عند الوقت المحدد الذى ضبطت عليه عقارب المنبه وأجراسه للاستيقاظ مما يكون واضحاً معه عدم تمكنهم طيلة الليل من الظفر بحظ وافر من النوم المريح المشبع لغريزة أودعها الله طبيعة بنى البشر .. ومن ثم ينتهى

(١) كاتب المقال : ريتشارد . ل . ميل Richard . L . Meil . M.P.

بهم المطاف إلى أن يرفعوا للفجر الجديد ألوية تنبىء عن أعين باتت تحرس ممتلكات ثمينة أو اناس انهمكت ليلها فى عمل ضرائبى شاق .

أما الطائفة الثالثة فلن تسمع آذناك منهم إلا الغطيط والشخير واللهاث وهم يستميتون فى إدارة دفة عربة النوم يقطعون الطريق كدحاً إلى الصباح . وهؤلاء أيضاً كسابقيهم ينتابهم إحساس لا يستطيعون إخفاءه بانعدام النوم المريح للأعصاب ناهيك عما يؤكده العلماء من أنه نتيجة مشاكل متشابكة فإن هذه الطائفة يمكن أن تكون عرضة لمخاطر صحية حقيقية إن لم يكونوا عرضة للموت فى أثناء ما يفترض أنه فترة من الراحة المنعشة الوادعة .

ماهية النـــــوم :-

فى هذا الموضوع تثور عدة تساؤلات منها :

ما النوم ؟ ولماذا نحتاج إليه ؟ وما الأسباب التى تدفع به أحياناً إلى أن يكون ضرباً من ضروب الخطر ؟
– إن النوم فى تعريفه العلمى الدقيق هو دورة منتظمة متكررة الحدوث من النشاط الجسمانى المتناقص والوظائف العقلية المتغيرة [٢] . وفى أثناء تلك الفترة ذات النشاط الجسمانى المتضائل ينعدم إحساس النائم نسبياً ولا نقول كلياً بالعالم الخارجى وما يجرى فيه من أحداث .

أما لماذا ننام ؟ فذلك سؤال لم يتمكن العلماء بعد من الإجابة عنه إجابة شافية . هذا ومن المعلوم لكل منا أن الأطفال الرضع ينامون نحو ١٦ إلى ١٨ ساعة يومياً ، بينما لايقضون فى اليقظة إلا نحو ٦ إلى ٨ ساعات . أما الأمر بالنسبة لنا نحن البالغين فمختلف تماماً .

كيمائية النـــوم :-

فى حديثنا عن عملية النوم : نقول إن هناك عناصر كيماوية معينة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية النوم . ولربما اعتمد النوم الهادىء على مقدار توافر هذه الكيماويات فى الجسم . فالنوم العميق المنعش يعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على توافر مادة كيماوية معينة فى المخ تدعى Serotonin وهذا يعنى أنه مالم تتوافر هذه المادة بكمية كافية فى المخ فإنه سيصاب بالفتور مما يثبطه عن إصدار الأوامر لسائر أعضاء الجسم بالنوم . كذلك يمكن لبعض العقاقير والأدوية مثل Reserpine أن تقلل من مفعول مادة Serotonin فى المخ مسببة الأرق .

وهنا يبرز تساؤل : فى أى المواد تتوافر هذه المادة ؟ وما المصادر التى يمكن للمخ أن يعتمد عليها فى الحصول على الـ Serotonin ؟

يقول العلماء إن اللبن يحتوى على مركب (L - Tryptophan) وهو مركب كيماوى يقوم الجسم بتصنيع الـ Serotonin منـه . والأمهات يعرفن لسنين عديدة أن زجاجة الحليب الدافىء كفيلة بإسكات طفل لا يكف عن الصراخ ؛ بل وجلب النوم الهنىء المريح له . ومن ناحية أخرى فإن الهرمونات كـ (الإدرنـالين) الذى تكمن أهميته فى تمكيننا من التغلب على الضغط والإجهاد اتضح أن لها تأثيراً معاكساً تماماً لما لمادة Serotonin من تأثير حميد .

فالهرمونات ليست فى حقيقتها إلا مواد تساعدنا فقط على البقاء فى حالة من اليقظة والانتباه ولا علاقة لها براحة الأعصاب من قريب أو بعيد .

كيف يتهيأ الجسم للنوم :-

ماأن يأخذ الشخص مضجعه حتى يمر الجسم ببعض التغيرات المثيرة . فالعضـلات تـأخـذ فى الاسترخاء ، ويصبح النفس أشد عمقاً وأكثر انتظاماً كما تأخذ درجة حرارة الجسم فى الهبوط التدريجي مما يفسر حاجتنا الماسة للغطاء فى ساعات الصباح المبكر . أما التغيرات الأشد إثارة فتحدث فى داخل المخ .

وقد أثبت ذلك بالدليل بعض العلماء الذين تمكنوا بجهود مضنية من تسجيل النشاط الكهربى للمخ ، وذلك باستخدام أجهزة متناهية الصغر فائقة الحساسية تم توصيلها بالجمجمة .

أن تسجيل النشاط الكهربى للشخص غير النائم أوضح عدم انتظام ذلك النشاط . إنه يشبه ما يمكن لطفل فى الصف الأول الابتدائى أن ينجزه على كثرة أخطائه لو حاول

(٢) هذا وصف وليس تعريفاً للماهية ....

هكذا تنام

رسم خط مستقيم ؛ فعندما يستسلم أحدنا للنوم تتجه محاولة رسم ذلك الخط المستقيم إلى أن تكون أقل اهتزازاً ، كما تميل إلى أن تكون قريبة الشبه ماأمكن برسم أمواج المحيط فى يوم إتسم بالهدوء النسبى ، وكلما إزداد النوم عمقاً كلما صار شكل الموج أكثر انسياباً وترقرقاً ، ولا يعنى هذا أن الشخص النائم يتجه فى رسمه لذلك الخط من طرف إلى طرف دون أى اعوجاج ؛ فإن المسألة تختلف عن ذلك قليلاً . فالنوم المُشْبِع المُرْضِى لمزاج الإنسان يتألف فى جوهره من مستويات تعلو وتهبط فى الاختلاف . فمن النوم الخفيف حيث تميل الأمواج للاهتزاز إلى النوم العميق أو السبات حيث تكون الأمواج أكثر انسياباً وهى عملية تتكرر عدة مرات فى الليلة الواحدة . ويستغرق الانتقال من حالة السبات إلى حالة النعاس ثم العودة مرة أخرى إلى السبات من ٩٠ إلى ١٠٠ دقيقة . وللشخص العادى من ٥ إلى ٦ دورات كل ليلة على النسق المذكور آنفاً .

وماذا عن الأحـــلام : ـ

على امتداد ساعات الليل يرى الشخص من حين لحين شيئاً من الأحلام . نعم كلنا نحلم على عكس الفكرة التى تسود لدى الكثيرين منا والتى تتمثل فى اعتقاد باطل مفاده أنهم يقضون الليل كاملاً دون أحلام . وهو وهم أكد خطأه قول العلماء : إن الأحلام أو بعضها ليس للذاكرة القدرة على الاحتفاظ بها حتى صباح اليوم التالى ، كما أكدت البحوث العلمية الخاصة بالنوم أن الرؤى والأحلام جزء لا يتجزأ من فترات نوم كل منا ، ولو أنك قمت بمراقبة عينى طفل صغير نائم وجسمه فسوف تلاحظ أن الطفل من حين لآخر يبدو وكأنه يحبس أنفاسه لبضع لحظات قصيرة فقط ، فهو يفغر فاه ثم يشرع فى إحداث حركات أشبه ما تكون بحركات (المص) ثم تأخذ مقلة العين فى الحركة السريعة جيئة وذهاباً وهذا هو ما يطلق عليه العلمـاء .. (نـوم المُقْـل سراع الحركات) (Rem - Sleep) وفى أثناء تلك الفترة من النوم على وجه الخصوص يرى الشخص ـ بالغاً كان أم طفلاً ـ الأحلام . ولو تم إيقاظه فى هذا الوقت من النوم بالذات لاستطاع أن يحكى لك بالتفصيل الممل عن حلمه وما رأى فيه ، أما إذا دلف الفرد إلى المستوى التالى من النوم العميق دون أن تتمكن من إيقاظه فإن كل أثر لما رأى من أحلام يمكن أن يغيب فى متاهات النسيان ويذوى .

وما فائدة الأحلام ؟ إن فى داخل كل منا إحساس مطبوع مركوز عميق بأن كماً معقولاً من الأحلام لهو شىء مهم بل جوهرى للأداء الوظيفى المناسب لما يوكل إلينا من أعمال بل لحالتنا الذهنية بشكل عام .

واضح إذن أن النوم شديد الأهمية ليس فقط لأجسامنا ـ تمشياً مع الرأى القائل بأهمية الراحة البدنية مما نعانى من مجهودات أثناء النهار ـ بل هو شديد الأهمية كذلك لشتى نشاطاتنا العقلية ، وبرغم جهلنا بسبب حدوث نوم (المُقل سراع الحركات) فإننا نحس أنه وقت يقوم المخ فى أثنائه بسد النقص فى بعض المواد الكيماوية التى يحتاج إليها أو بتصنيف وتخزين و(أرشفة) الكم الهائل من المعلومات التى كان قد تلقاها فى ساعات النهار الفائتة .

الأرق واسبابه :

إن أبسط تعريف للأرق يقول : إنه عدم القدرة على النوم بطريقة يرضى عنها الإنسان . وهناك أسباب عدة للأرق يمكن تحديدها ـ على تنوعها ـ بأنها عدم القدرة على الاستغراق فى النوم أو البقاء فى الفراش ساعات طوالا انتظاراً لنوم لا يأتى أو لرغبة فى النوم ما إن تصحو . ويرتبط بالقلق كل ما من شأنه إرباك حياة الإنسان كالاكتئاب والحزن والكدر وكلها أمور نفسية داخلية ، كذلك للأدوية تأثير لا ينكر فى إحداث القلق وكذا الجداول غـير المنتظمة ، ونـوبات العمـل المتغيرة ، والمشاكل المرضية خصوصاً تلك التى ينتج عنها آلام حادة . بل حتى مجرد الملل البحت باعث على الأرق ، ولو تبينت بوضوح مظاهر مشكلة ما تعانى منها واستطعت حلها لكان فى الخلاص منها ببساطة علاج ونجاة الأرق ، أما إذا لم يكن ذلك ممكناً فإن الرجوع إلى الفحوصات المخبرية والتحاليل المعملية الخاصة باضطرابات النوم تحت إشراف طبيب خبير ربما ساعدك ذلك على التغلب أو التخلص من تلك المشاكل المؤرقة .

النوم بلا نفس : ـ

النوم بلا نفس هو أحد مظاهر النوم الغريبة وواحدٌ من مراحله الشائكة . إنها فترة نوم غير عادية لابد من تغطيتها والحديث عنها بشىء

من التفصيل فهذه الظاهرة تعرف باسم (Apnea) وهى كلمة انجليزية تعنى حرفياً (بلا نفس) ، ففى أثناء هذه العملية الشديدة الطرافة يتوقف الفرد فعلاً عن التنفس لثوانٍ معدودات فى كل مرة . وعادة ما يكون هذا الأمر غير خطير ؛ لأن كل شخص منا قد يمر به فى نومه المعتاد كالطفل الذى تقدم ذكره فيما مضى من الصفحات .

لكن الخطر يكمن فى أن بعض فترات (النوم بلا نفس) تزداد وتتكرر فى البعض أكثر مما ينبغى كما تطول مدة كل فترة أكثر مما يجب . فإن حدث ذلك لقى من الجسم رد فعل حاد يتمثل فى أمور منها أن ضغط الدم يأخذ فى الارتفاع كما أن النبض يأخذ فى الازدياد بطريقة مفاجئة ، أضف إلى ذلك ما يمكن أن يصدر عن النائم من حركات عضلية عنيفة غير مرغوب فيها تصل أحياناً إلى حد ضرب وركل ودفع النائم إلى جانبه خارج الفراش .. وبسبب انعدام التنفس وتلاشى الأكسجين من الجهاز التنفسى تتغير كيماوية الدم لنقص الهواء النقى ، وعندما تشرع ضربات القلب فى عدم الانتظام وتلك أشد مظاهر (النوم بلا نفس) خطورة . فلو تم حرمان القلب من الأكسجين لفترة طويلة زائدة عن الحد المستطاع لأصيب نبضه بالرتم (٣) البطىء الذى يوصف عادة بأنه مهدد لاستمرار الحياة . ومن نتائج (النوم بلا نفس) الحتمية أن المصابين به عادة ما يستيقظون متعبين مجهدين ليست لديهم الطاقة الكافية لمواجهة ما ينتظرهم من مهام وأعباء طيلة النهار بكفاءة ونجاح .. ومن آثاره التى تأخذ فى الظهور بشكل واضح ما يعترى الشخصية من تغيرات مزاجية تتمثل فى النزقية الزائدة والعصبية الشديدة والمشاكسة والارتباك والاضطراب والتخبط وعدم التوازن . كذلك تشيع فى هؤلاء الناس نوبات الصداع الصباحية . كما يعانى البعض منهم من الدوار والغثيان الذى يزداد سوءاً عند ساعات الصباح الأولى . وعادة ما يتميز هؤلاء الناس بالرقاب الغلاظ والقصار ، ويميلون إلى الوزن الزائد ، ورغم هذا كله فليس الحال على ما يتصور من السوء فمن المهم معرفة أن هناك علاجاً لمعظم هذه المشاكل خصوصاً لدى أخصائى الصحة العامة والمتخصصين منهم فى اضطرابات النوم بالذات .

وبعد ... فإن الحصول على ليلة من النوم المرغوب الهادىء المريح يمثل فقط نصف الصورة ، أما الجانب الآخر للصورة فهو اليقظة ولكى يكون النوم مفيداً مجدياً فلا مناص من استقبال اليوم الجديد بوجه بشوش ضحوك . إذ كلما أخذت ساعات الليل فى الزحف أخذ عمق النوم فى التضاؤل ، وكلما أخذت جيوش الصباح فى التقدم أخذت تموجات المخ فى عدم الانتظام ، دالة على أن الشخص يفيق رويداً رويداً من حالة النوم . فما هو ياترى ذلك الشىء المنوط به إيقاظنا ؟

هذا الجهاز العجيب : لقد استطاع العلماء تحديد جزء من المخ يسمى (الجهاز المنشط الشبكى الصاعد) وهو اختصاراً بالانجليزية (Aras) ويبدو أن هذا المركز من المخ هو المسئول عن إثارة المبادرة الذاتية لدينا للاستيقاظ . ويزداد نشاط هذا الجهاز العجيب كلما اقترب الصبح ، لكن العلم لم يمط اللثام بعد عن طبيعة عمله .

تعقيب للمترجم :

إن من المؤكد أن انعدام القلق ضرورى ليكون هناك نوم عميق ، وهو أمرٌ لا يتوافر إلا للذاكرين الله كثيراً والذاكرات فهم يتمتعون بهذا الصفاء الفطرى وتلك السكينة المطبوعة ، وفى نهاية اليوم عندما يكون النوم أغلى مطالب الجسم وأثمن أمنيات العقل فإننا نخطو آمنين إلى منطقة اللاوعى واثقين موقنين أن الله معنا ، وأنه يرعانا وأن عنايته تحرسنا وتكلؤنا فى وقت ليس لنا فيه من حول ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى .

وبعد ... فإن من الملائم لنا جميعاً صغاراً وكباراً أن نردد ـ وقد أخذ كل منا مضجعه ـ مارواه البراء بن عازب قال : قال لى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل :

« اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، والجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى أرسلت .

فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به .. قال فرددتها على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما بلغت .. وكتابك الذى انزلت . قلت : ورسولك . قال : لا .. ونبيك الذى أرسلت » . رواه الستة .

---

(٣) الرتم : الغشية .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حكمة امرأة

دخل أحد الأمراء على أمه وهو يبكى بعد أن سقطت إمارته فى يد الأعداء فقالت له أمه : يابنى إن المُلك الذى يبكى عليه أصحابه لا يعود ؛ إنما يعود المُلك الذى يقاتل عنه أصحابه .

من كثر أدبه

كثر شرفه وإن كان وضيعا . وبَعُدَ صيته وإن كان خاملاً وساد وإن كان غريباً . وكثر حوائج الناس إليه وإن كان فقيراً .

إيثار

قال ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ أُهْدِيَ لرجل من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأس شاة فقال : إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا ، فبعثه إليهم ؛ فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة بيوت ثم رجع إلى من أهدى له .

إياك والعجلة

فإنها تكنى أم الندامة ؛ لأن صاحبها : يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن تصحب هذه الصفة أحداً إلا صحب الندامة وجانب السلامة .

عجبى

كان الناس يراعون بما يفعلون لا بما يقولون ؛ فصاروا يراعون بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراعون بما لا يقولون ولا يفعلون .

الشعر أفضل

أمسك على النابغة الجعدى الشعر أربعين يوماً فلم ينطق ، وفى أثناء ذلك غزا قومه قوما فظفروا ، فلما سمع فرح وطرب فاستحثه الشعر فذلَّ له ما استصعب عليه .

فقال له قومه : بحياتك لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسر من الظفر بعدونا .

من شرط صاحب مصر

كان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته ، فكتب إليه « الصلاح » وزيره مستشفعا :

من شرط صاحب مصر أن يكون كما
قد كان يوسف فى الحسنى لإخوته
ساءوا فقابلهم بالعفو وافْتَقَـروا
فَبَـرَّهـم وتـولاهـم بـرحمتـه

حقيقة

إذا طـالبتك النفس يـومـا بشهـوة
وكـان إليهـا فى الخـلاف طـريق
فخالف هواهـا ما استطعت فـإنما
هـواهـا عـدو والخـلاف صـديق

القناعة

قال سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - : لابنه عمر : يابنى ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال .

وقـال بـعض المفسرين فى قـول الله - عز وجل - : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ : إنها القناعة .

نصيحة

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
اتطلب الربح ممـا فيه خسران
أدب النفس واستكمل فضائلهـا
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ثمانية يهانون

ثمانية إن أُهِينُوا فلا يلومونَّ إلا أنفسهم :

- الجالس فى مجلس ليس له بأهل .
- والمقبل بحديث على من لا يسمعه .
- والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه .
- والمتعرض لما لا يعنيه .
- والمتآمر على رب البيت فى بيته .
- والآتى إلى مائدة بلا دعوة .
- وطالب الخير من أعدائه .
- والمستخف بقَدْر السلطان .

حب المال

قال بعض عقلاء الفرس : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى يثبت صدقه ، فإذا ثبت صدقه فهو عندى أحمق .

على قدرك

نظر رجل من الحذاق إلى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة ، ويتكلم ويلحن .

فقال له : تكلم على قدر ثيابك ، أو البس على قدر كلامك .

« دعـــاء »

اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضياءً ، ولأبصارنا جلاءً ، ولأسقامنا دواءً ، ولذنوبنا مُمَحِصاً ، وعن النار مخلصا .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

حكمة التفاوت بين الناس

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ
محمد محمد المدنى

إعداد الأستاذ
عبد الفتاح حسين الزيات

« التفاوت » من سنن الله ـ عز وجل ـ فى خلقه ، واظهر ما يكون فى الإنسان ، فمنه الطويل والقصير ، والأبيض والأحمر والأسمر والأصفر ، والجميل والدميم ، والغنى والفقير.

وانى القيت نظرك على « الطبيعة » ارضا وجوا لوجدت التفاوت .

ولله فى ذلك حكمة ، فإن هذا التفاوت نفسه فى مصلحة الإنسان .

قال الكاتب : رحمه الله :

سأل سائل عن معنى قوله تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (١) .

مع ثبوت التفاوت فى هذا الخلق على صور شتى ، بيان ذلك : أننا نرى الأرض الواحدة تنبت نوعاً من الثمر بذره واحده ، وغذاؤه واحد ، ويسقى بماء واحد ، ومع ذلك نرى تفاوتاً فى خلقه ، فهذه الثمرة حلوة ناضرة قوية فى تكوينها ، كانما أدركتها عناية خاصة من بين أخواتها ، وتلك الثمرة ضعيفة ضئيلة حائلة اللون ، فاسدة الطعم ، متغيرة الرائحة ، حتى يكاد الناظر إليها يحسبها جنساً آخر غير الأولى وهى فى الحقيقة منها ولعلها أختها فى غصنها ، وبين هاتين ثمرات أخرى متفاوتات يقرب بعضها من الأولى وبعضها من الأخرى ، وقد جعل الله تعالى هذا التفاوت آية من آيات قدرته ، ونبه العقول إليه حيث يقول : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

وكذلك نرى بعض البلاد يفضل بعضاً بما له من موقع حسن ، ومناخ حسن ، وبعضها يمتاز

(١) سورة الملك ٣ .

(٢) سورة الرعد ٤ .

بجودة أرضه ، وصلاحية تربته للإنبات والزرع وإخراج الطيبات ، أو بما تنطوى عليه هذه الأرض من منابع الغنى ، وكنوز الثروة ، وإلى هذا يشير الله عز وجل بقوله : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾(٣) فقوله : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ معناه بخلقه وتقديره وما فضله به على غيره ، فهذا نوع آخر من التفاوت .

والناس أكثر المخلوقات تفاوتاً ، فمنهم الجميل ومنهم الدميم ، ومنهم الذكى ومنهم الغبى ، ومنهم الضعيف ومنهم القوى ، ومنهم الشجاع ومنهم الجبان ، ومنهم الفقير ومنهم الغنى ، ومنهم الرضى فى أخلاقه ، المحمود فى أفعاله ، ومنهم الجافى الغليظ الذى لا يطاق .

وإننا لنجد الأسرة الواحدة من رجل وامرأة يثمران أبناء وبنات يصل أمرهم فى التفاوت الخَلقى والخُلقى إلى مدى بعيد ، يظن معه أن لا صلة بينهم .

وإلى هذا الاختلاف يشير القرآن الكريم فى كثير من آياته ، إذ يقول : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾(٤) ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾(٥) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(٦) .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفى الله التفاوت بقوله : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ ؟

والجواب : أن التفاوت المنفى فى الآية غير التفاوت المثبت فى الآيات الأخرى ، وذلك أن الاشياء كلها متساوية غير متفاوتة من حيث إنها جميعا مصنوعة بالحكمة مقدرة على سننها معطاة خلقها ، وما تصلح به وعليه فى نفسها ، وفى غيرها ، كما أنها مختلفة غير متساوية من حيث إنها أنواع يختص كل نوع بفائدة ، وأفراد يمتاز كل فرد بميزة ، والحكمة تقتضى هذا التفاوت ولاسيما فى الإنسان ؛ فلو أن الناس جميعا كانوا على شاكلة واحدة لبطل التعاون ، واختل نظام الحياة ، ذلك بأن الإنسان - كما يقولون - مدنى بطبعه يحتاج إلى من يعاونه ويقوم عنه ببعض شئونه ، فإنا لو تصورنا إنساناً منفردا ليس معه غيره لتصورناه مستوحشا كئيبا ناقص التصرف ، معطل المواهب ، مغلوبا على أمره ، لا يستطيع أن يصل إلى ما يصلح به أمره كإنسان .

ولو أن الناس كانوا جميعا على غرار واحد فى الخلق والعلم والقوى والملكات والرزق والحظ ، لبطل التعاون أيضا ، واختل نظام الحياة ، فإن كل واحد يرى أنه كفيره ، ولا يعترف بفضل عليه لمن سواه ، فتبطل الآمال ، وتتعطل الأعمال ، وتموت الرغبات ، ولاتبقى الحياة ميدانا للتزاحم والتسابق ؛ لأن كل امرىء فيها آمن على نفسه وماله ورزقه ، متمتع فيها بحظه ، لا تفاوت بينه وبين غيره ، وليس هناك ما يدعوه إلى نشدان الكمال ، أو التطلع إلى منزلة لم يبلغها ، وهو يرنو ببصره إليها ، وبهذا يصبح كل واحد فى الناس كأنه فرد برأسه ، لم يخلق أحد سواه ، لأنه وإن كان مجتمعا فيما ترى العين ، يعيش بين أفراد

(٣) سورة الاعراف ٥٨ .
(٤) سورة الإسراء ٢١ .
(٥) سورة المائدة ٤٨ .
(٦) سورة هود ١١٨ ، ١١٩ .

من روائع الماضى

من جنسه ، ويروح ويغدو معهم ، لكنه منقطع عنهم بآماله ورغباته ، معتزل حياتهم ، متجنب معترك النشاط والسعى والعمل .

لهذا كان من مقتضى الحكمة ، أن يكون الناس فى سائر أحوالهم متفاوتين غير متساوين ، وأن يحسن هذا من الأعمال والصنائع ما لا يحسنه ذاك ، وأن يمنح هذا من المواهب والقوى ما لا يمنحه ذاك ، ليظل كل منهم معلقاً بمن سواه مشاركا له فى القيام ببعض أعبائه ، متعاوناً معه فى عمارة الأرض ، وتحقيق الخلافة فيها ، مقبلا على ذلك برغبة فيه وميل إليه ، وطمع فيما وراءه ؛ وقد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(٧) وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾(٨) .

وقوله ﷺ : « كل ميسر لما خلق له » . فإننا لنرى كل ذى صنعة متمسكا بها ، حريصاً عليها ، وإن كابد فيها المتاعب ، ولابس المشاق ، ونرى كل صنف من الناس راضياً بنوعه ، فلا الذكر يتمنى أن يكون انثى ولا الأنثى تتمنى أن تكون ذكراً . وكل امرىء حريص على أن يصل إلى أحسن الحالات فيما يُسِّر له ، وفُطر عليه .

وقد أشار النبى ـ ﷺ ـ إلى المصلحة المترتبة على تفاوت الناس ، واختلاف هممهم ومطالبهم وقواهم وتباين طبقاتهم بقوله فيما يروى عنه : « لايزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تتساووا هلكوا » .

هذا المعنى الواضح البين من شأنه أن يفتح عيون الناس على حقيقة يجب التسليم بها ، والرضوخ لحكمها ، هى أن كل نظام يبنى على ما يخالف تلك السنة ، ويحاول الناس فيه التسوية بين الأفراد ، وقسمة الحظوظ بينهم على سواء ، هو نظام فاسد عليل ، لا يمكن أن يبقى ولو أيدته القوة ، وطنطنت به الدعاوى والخطب والكتب .

فليعلم ذلك أحلاس « الشيوعية » ومروجو فتنتها ، والمرجفون على الناس بها ، وليسمعوا قول الله عز وجل فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٩)

(٧) سورة المؤمنون ٥٣ .
(٨) سورة الإسراء ٨٤ .
(٩) سورة المائدة ٤٨ .

اللغة والأدب والنقد

ملاحظات حول مقال
النقد الأدبي من وجهة إسلامية

قراءة في كتاب
تاريخ الإسلام في أفريقيا

يانع الثمرات

ملاحظة حول مقال

النقد الأدبي من وجهة إسلامية

للأستاذ سيد سيد عبد الرازق

فى مقاله المنشور بمجلة الأزهر عدد ذى القعدة الجزء الحادى عشر ، السنة الثانية والستون بعنوان « النقد الادبى من وجهة إسلامية » يحاول الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ان يبلور حركة النقد الادبى الإسلامى قديماً وحديثاً من خلال الرصد التاريخى لهذه الظاهرة منذ بداية عهد الدعوة الإسلامية ، حيث ذكر الباحث أن « بذور النقد الإسلامى تلمس بوضوح فى كتاب الله عز وجل » ثم ذكر بعض النماذج النقدية للرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين ، ثم تطرق إلى النقد فى العصور الإسلامية ، الأموى والعباسى والأندلسى ، ثم العصر الحديث الذى تحدث فيه عن الرافعى واحمد امين . □

وعلى الرغم من الجهد المشكور الذى قام به الدكتور البيومى إلا أننا نستطيع أن نبدى بعض الملاحظات والتى نأمل أن تستقطب نظر المهتمين بقضية الأدب الإسلامى ، وتسهم فى فتح باب الحوار حول نظرية النقد الأدبى الإسلامى التى لا تزال فى مهدها الأول على الرغم من الجهد العملاق الذى بذله الأدباء الإسلاميون فى سبيل إرسائهم لـ « هذه النظرية وأسسها الفلسفية ، ومنهجها الجمالى » .

وأول ما يلاحظ أن الدكتور البيومى قد جعل عنوان مقالته : « النقد الأدبى من وجهة إسلامية » .

وهنا يتساءل المرء : هل ثمة وجهة نظر أخرى يؤمن بها الباحث ؟ وهل الأمر مجرد وجهة نظر تحمل طابعاً فردياً ؟ أم هى نظرية نقدية متكاملة ترتكز على رؤية شمولية للكون والعالم ؟ ومن ثم يصبح وصفها بوجهة نظر نوعاً من التحجيم والتقليل من شأن النظرية التى تحتاج إلى مزيد من التطبيق العملى لتثبيت أركانها .

وفى ثنايا المقال تتبدى جمل وعبارات تشير إلى

أن الدكتور البيومى يحصر ميدان النقد الإسلامى فى (الالتزام بمعناه الأخلاقى) وهذا جانب واحد من جوانب الالتزام فى المنظور الإسلامى كما يرى الدكتور محمد إقبال عروى .
والبحث عن الجذور التاريخية لنظرية « النقد الأدبى الإسلامى » عمل جاد ومخلص ومفيد ، إلا أنه ليس مقصوداً لذاته بقدر ما هو مقصود من أجل دعم وتركيز النظرية فى واقعها المعاصر ، ومن أجل بيان تميزها وشمولها ، ومن ثم فإن أول ما ينتظر من نتائج البحث عن هذه الجذور هو الإجابة عن بعض التساؤلات التى تثار بين الحين والحين فى وجه النظرية من مثل التساولات الآتية :

مامفهوم النقد الإسلامى ؟ وما خصوصيته ؟ وإلى أى مدى استطاع العصر الإسلامى الأول دفع نظرية النقد إلى الأمام ؟ وهل تغير مفهوم النقد فى صدر الإسلام عنه فى العصر الجاهلى ؟

وإذا كان هناك نوع من التغيير ، فهل يعقل أن يكون على مستوى الجانب النقدى فقط . أما على المستوى الإبداعى فيحدث العكس ؟

ثم ماذا عن الحركة النقدية فى العصرين ، الأموى والعباسى ؟ وإلى أى مدى استطاع النقد العربى أن يتحقق بالرؤية الإسلامية ؟ وما الدوافع التى أدت بالنقاد - على الرغم من مكانتهم الدينية والعلمية - إلى عدم التحقق الكامل لهذه الرؤية ؟!!

وفى اعتقاد المرء إن الإجابة عن هذه التساؤلات وأمثالها ، لا تتاتى إلا من خلال العرض الشمولى للتراث النقدى فى ضوء الرؤية الإسلامية ، مع عدم إغفال الظرف التاريخى - للظاهرة المعالجة - وما يحيط به من عوامل مؤثرة سواء أكانت هذه العوامل عقائدية (تصورية) أم سياسية أم اجتماعية أم بيئية أم نفسية .

وهذا ما لم يشر إليه مقال الدكتور البيومى لا من قريب ولا من بعيد ، وما كان له أن يتصدى لهذا العمل الكبير فى مثل هذه العجالة إلا أننا كنا نتمنى أن يتصدى لأية جزئية بقدر ما تتيح له الفرصة .

ثم ما العلاقة التى تربط بين حركة النقد الإسلامى والحركة المضادة ؟ تلك الحركة التى فصلت بين الدين والشعر فى العصر العباسى ، وهل ظل أعضاء هذه الحركة المضادة (للإسلامية) على طول الطريق ؟ أعنى هل خلا موقفهم النقدى من الجانب الأخلاقى ؟

والإجابة عن هذه التساؤلات يعرفها - بلا شك - الأديب الكبير الدكتور البيومى إلا أنه لم يتوقف لحظة ليتحدث عنها فيستفيد بذلك الناقد المسلم ، ونأمل أن يتوفر أستاذنا البيومى على هذه المهمة فى الغد القريب .

ويبدو أن الدكتور البيومى يؤيد القاضى الجرجانى فيما ذهب إليه من أن « سوء الاعتقاد إن وجد لا يخل بمعدن الشاعر الفنى » !! ولست فى حاجة إلى كثير من التطويل لأبين خطأ هذه المقولة ، إذ أن جدلية العلاقة بين الشكل والمضمون لا تخفى - وهنا أطلب من أستاذنا الدكتور البيومى أن يعيد النظر فى هذه المسألة على ضوء النماذج الشعرية ، وبخاصة تلك التى ذكرها لكل من المتنبى والسمسير ، مع مقارنتها بأشعار أخرى لهذين ، لنرى إلى أى مدى يؤثر فراغ المضمون فى انعدام الجمالية الشكلية .

وإذا ما جئنا إلى النقد الإسلامى المعاصر ، وجدنا أن الدكتور البيومى قد اكتفى ببعض الرواد كالأستاذ الرافعى أو الدكتور أحمد أمين ، وهذا فيه تجاهل لجهود عملاقة فى خدمة (نظرية الأدب الإسلامى) - تستحق أن يشاد بها ، ويرفع من شأنها ، إذ أن هذا التجاهل للمنظِّرين

النقد الأدبى من وجهة إسلامية

هو بعينه تجاهل للنظرية من وجه آخر .

وعلى الرغم من إسلامية الرافعى وأحمد أمين إلا أن الدعوة إلى أدب إسلامى لم تكن حينئذ قد ارتفعت ولم يكن لديهم الوعى الكامل بهذا المفهوم كما هو عند سيد قطب ومحمد قطب وعماد الدين خليل وعبدالرحمن رأفت الباشا ونجيب الكيلانى ومحمد إقبال وعبد الباسط بدر وغيرهم كثير ... وليس هذا مجال الحديث عن الخطى الموفقة التى خطاها هؤلاء بنظرية النقد الأدبى الإسلامى إلى الأمام .

وفى النهاية نشير إلى بعض الأفكار والعبارات التى وردت فى مقال الدكتور البيومى وهى لاتتفق من وجهة النظر الخاصة - مع الرؤية الإسلامية :

١ - يجمع فى النظرة النقدية بين عبدالملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وهناك فرق واضح بين المرتكزات النقدية التى يستند إليها كل منهما وإذا كنا نجد أن عبدالملك كان يستند أحيانا إلى المرتكز الأخلاقى فهذا لايمنع من وجود مرتكزات أخرى - عنده - تضاد الرؤية الإسلامية مما نتج عنه استحسانه لأشعار ربما بدت غير مقبولة من وجهة النقد الإسلامى ، بخلاف عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه - الذى كان يستند فى حركته الحياتية بكل جوانبها إلى الإسلام وبالتالى كان منظوره النقدى إسلاميا صافيا .

٢ - ورد فى حديثه عن عبدالقاهر الجرجانى ودفاعه عن المتنبى مايلى : « وعبدالقاهر مع الذين لايحكمون على الشاعر من زاوية الدين » فهنا تبدو العبارة غير معقولة فى موضعها !! فهل للناقد المسلم وجهة أخرى ينظر إلى النص من خلالها ؟ كما أن كلمة (زاوية الدين) فيها ما فيها من التضاد مع شمولية الإسلامية ومنهجه المتكامل فى تنظيم ووضع الأسس والمعايير للتجربة البشرية فى كافة أبعادها التى منها بالضرورة البعد الأدبى .

٣ - كما وردت هذه العبارة « فقد جاء من النقاد من ارتفع بأمثال بشار وأبى نواس وغيرهما من العابثين إلى أرفع مستوى شعرى ، ولو كان الخطب خطب الشعراء لذكرنا قوله - تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ .

ترى هل الناقد في منظور الإسلام هو الملتزم فقط أما الشاعر فهو غير مطالب بالالتزام ؟ وهل كان القرآن الكريم وهو يتحدث عن الشعراء يبرر لهم الموقف العابث ؟ أم هو تحذير وزجر ورفض للسقوط ؟(*)

---

* قرات كلمة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ، وكذلك قرات هذه الكلمة .. وأمام أحاديث أثارها مثيروها بشعار «الأدب الإسلامى » سمعتها فى أكثر من جامعة بعضها عربى ، والبعض باكستانى أثارها ثمة عرب أيضا ، وددت أن نعرف تحديدا دقيقا لمفهوم الأدب الإسلامى ... تعريفا يتوافر له ماللتعريف من حدود ، ولانزيغ عن ذلك بدعوى أن العبارة الأدبية لاتخضع لهذا المنطق .. ذلك أننا حين نقول : أدب إسلامى .. فسوف ندرسه .. وندرس بالتالى خصائصه .. أى أننا فى النهاية سندرس (علم هذا الأدب) فلابد من تحديده تحديدا دقيقا حتى نكون أرفع قيمة من مجرد إثارة قضايا يختلف بشأنها الناس . إن تحديد مفهوم «الأدب الإسلامى » يعنى :

أننا - أولا ينبغى أن نفصل بينه وبين الأدب الأخلاقى الذى يدعو إلى التزام الصدق .. والوفاء .. وماإليهما من ضروب الأخلاق الممتازة . ذلك أن هذه الأخلاق ، وإن كانت من الإسلام ، فإنها فى الإسلام وفى غيره من شتى العقائد الدينية وبعض الفلسفات أيضا . والشعر الذى يتضمها ، ومثله النثر ليس بالضرورة يحمل طابع الإسلام الذاتى

وثانيا - ينبغى أن يتوفر لهذا الأدب خصائص الإسلام الذاتية التى لايشاركه فيها غيره من عقائد أو فلسفات؛ فيحمل حينئذ الشعار الذى لايختلف إزاءه اثنان والأدب الذى يتضمن هذه الخصائص الذاتية ، ويحمل لواء إذاعتها عبر أثيره الشعرى والنثرى بشتى ألوانهما هو الأدب الإسلامى .. فهل .... الأمر كذلك ... ؟! ... الخطيب

قراءة في كتاب

تاريخ الإسلام فى أفريقيا

جنوب الصحراء

من القرن ٤ - ١٠ هـ / ١٠ / ١٦ م

اثارت القارة الأفريقية اهتمام الباحثين على اختلاف تخصصاتهم فتصدوا لدراسة تختلف جوانب الحياة فيها من سياسية واقتصادية إلى اجتماعية وجغرافية فلغوية وأدبية وتاريخية إلا ان نصيب الباحثين المسلمين فى هذه الإسهامات كان ضئيلاً للغاية بحيث تركوا الساحة تكاد تكون خالية ، أو هى خالية فعلاً امام باحثى الغرب . مع أن صلة افريقيا بالعالم الإسلامى أعمق واقدم بكثير من صلتها بالغرب ، ونتج عن هذا أن اصبحت شعوبنا العربية والإسلامية لا تعلم شيئا عن ظروف وأحوال تلك البقاع مع انها تشكل فى غالبيتها جزءا من العالم الإسلامى .

والدراسة التى نقدمها تلقى بعض الضوء على تلك البقاع وتقلل إلى حد ما من عمق تلك الهوة الثقافية السحيقة التي تفصل بين المسلمين فى مجتمعهم المعاصر ، والدراسة تحمل عنوان « تاريخ الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء من

تأليف .. الدكتور
دريد عبد القادر نورى

عرض وتقديم :
أحمد السيد تقى الدين

القرن ٤ - ١٠ هـ/ ١٠ - ١٦ م للدكتور دريد عبد القادر نورى وتتألف من مقدمة وستة فصول وخاتمة منتظمة فى (٣٤٤) صفحة طبع الموصل بدون تاريخ نشر .

فى المقدمة عرض المؤلف خطة بحثه وتقسيماته والهدف من الدراسة الذى حدده فى سد النقص الذى تعانى منه المكتبة العربية بفراغها من هذا النوع من الدراسات .

ويتناول الفصل الأول « افريقيا جنوب الصحراء قبل دخول الإسلام » وذلك فى الجوانب الجغرافية واللغوية والسكانية والعادات والتقاليد والمعتقدات .

فبلاد السودان الكبرى بلاد متسعة الأرجاء يحدها من الغرب المحيط الأطلسى ومن الشرق البحر الأحمر ومن الشمال الصحراء الكبرى

قـراءة فى كتـاب

ومن الجنوب الغابات الاستوائية المطرة وهى تنقسم إلى ثلاثة اقسام : السودان الشرقى ، والسودان الأوسط ، والسودان الغربى . أما الساحل الافريقى الشرقى والذى أطلق عليه الجغرافيون العرب اسم « أرض الزنج » فيحده من الشمال الصحراء ومن الجنوب « نهر روفما » ومن الشرق المحيط الهندى ومن الغرب البحيرات الكبرى ، ويسكن تلك البلاد السودان والزنوج ولا يعرف عنهم قبل إسلامهم إلا القليل وهم يتكلمون عدة لغات منها : السودانية ، والبانتو ، والسواحيلية والهوسا . وقد أخذت معتقداتهم قبل الإسلام أشكالاً مختلفة ، فهناك جماعة ليس لهم شريعة يراجعونها بل يسيرون وفق رسوم رسمها ملوكهم ، فى حين اكدت جماعة أخرى على قوة الطبيعة وعبدت الأسلاف ، بينما اعتنقت جماعات غيرها المجوسية والوثنية . وكان السحر والشعوذة القاسم المشترك بين معتقدات هذه الجماعات كما سادها التشويش وعدم الوضوح .

ولهؤلاء عادات قبل الإسلام غلب عليها طابع البداوة منها العرى والعرافة ، وتعظيم شيوخ قبائلهم تعظيماً كبيراً حتى اعتبرهم البعض أربابا من دون الله يطلبون منهم البركة والخصب.

● افريقيا والوطن العربى :

وفى الفصل الثانى يتحدث الكاتب عن « أهمية افريقيا وصلاتها القديمة بالوطن العربى » وفى هذا الفصل يؤكد أن العرب قد عرفوا تلك المنطقة منذ وقت مبكر وخاصة الرحالة منهم والذين سجلوا من مشاهداتهم فى أسفارهم الشىء الكثير ومن أبرز هؤلاء الرحالة « ابن خرداذبة » و« الاصطخرى » و« أبو زيد السيرافى » و« أبو عبيد البكرى » و« ابن فضل الله العمرى » و« ابن بطوطة » .. وغيرهم .

وقد شهدت أفريقيا جنوب الصحراء اتصالا وثيقاً بالوطن العربى قبل الإسلام حيث دلت الآثار على وجود صلات قديمة بين اليمن والساحل الأفريقى الشرقى ، كما أكدت المصادر الإغريقية والرومانية على عمق هذه الصلات ، كما كانت هناك اتصالات أخرى مع دول الخليج العربى والعراق ، وكانت التجارة هى المحور الأساسى الذى قامت عليه تلك الاتصالات ، أما الصلات القديمة بين شمال أفريقيا وجنوبها فتبدو واضحة خاصة مع مصر فقد أشارت الدراسات الأثرية إلى أن المصريين كانت تربطهم علاقات مع السودان الغربى .

وفى الفصل الثالث يبحث المؤلف « انتشار الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء » حيث عرض الخلفية التاريخية لدخول الإسلام فى السودان الغربى والسودان الأوسط السودان الشرقى ، ثم الحبشة والقرن الأفريقى .

ففى السودان الغربى كانت « دولة غانة » هى أول دولة عرفت الإسلام بشكل رسمى ودعت إليه ، ثم اعقبتها « دولة مالى » الإسلامية التى ضمت تحت نفوذها « دولة غانة » التى أصبحت تضم مدينة غانة فقط بعد تدهورها ولما ضعفت « دولة مالى » ، كانت قبائل « صنغاى » التى تشبعت بالإسلام قد قويت وعمد حكامها إلى توسيع دولتهم تحت راية الجهاد من أجل نشر الإسلام ، وما كان منهم إلا أن مدوا نفوذهم نحو الغرب فضموا إليهم دولة مالى المنهارة من أجل تشكيل امبراطورية إسلامية قوية كى تتمكن من مقاومة القبائل الوثنية فى الجنوب .

ويرجع الفضل فى عملية انتشار الإسلام واستقراره فى الصحراء إلى المرابطين . أما فى

الحبشة والساحل الافريقى الشرقى فكان الإسلام قد انتشر بشكل سلمى وبالمحبة والتداخل مع السكان الأصليين عن طريق الهجرة والتجارة ، وقد تغلغل الإسلام فى الساحل الشرقى كله امتدادا من « باجون » فى ساحل « باندر » حتى « موزمبيق » و« جزر القمر » .

● **أربعة معابر :**

ويشير المؤلف إلى أربعة معابر سلكها الإسلام إلى أفريقيا وهى : التجار الدعاة ، والعلماء ، والأربطة وحركات الفتح .

وفى الفصل الرابع يناقش المؤلف « الكيانات السياسية الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء » مؤكداً على أن ظهور هذه الكيانات لأول مرة فى تاريخ المنطقة جاء نتيجة طبيعية لظهور الإسلام فيها ، واتخذت بعد قيامها مظهرا إسلاميا واضح المعالم يتمثل فى : خروج المسلمين لأداء فريضة الحج ، واتصالهم بالقوى الإسلامية واتخاذهم اللغة العربية وسيلة للأداء والتعبير الرسمى وكذلك تبنيهم سياسة الجهاد ومن أهم هذه الكيانات :

كيانات السودان الغربى : دولة غانة ـ امبراطورية مالى ـ امبراطورية صنغاى .

كيانات السودان الأوسط : امبراطورية البرنو ، امبراطورية كانم .

كيانات السودان الشرقى والحبشة وساحل أفريقيا الشرقى العبدلات ـ دولة الفونج ـ مملكة شوا ـ مقديشو ـ كاوة .

● **الحياة الاقتصادية :**

يدور الفصل الخامس حول « الحياة الاقتصادية بما فيها من تجارة وزراعة وصناعة ورعى ، فبعد دخول الإسلام واستقراره فى أفريقيا جنوب الصحراء شهدت الجوانب الاقتصادية بوجه عام والتجارة بوجه خاص تطوراً وازدهارا كبيرا ، وقد أدى ازدهار التجارة إلى ظهور نوع من الترابط المتين بين الوطن العربى والإسلامى مع أقاليم بلاد السودان ، لأن التجارة كانت ومازالت من أهم الوسائل التى تعمل على تسهيل مهمة التبادل الحضارى والفكرى بين الأمم . وكانت التجارة تتم بالمبادلة وبطريقة « التجارة الصامتة » حيث يبدل الملح بالذهب .

فقد كان الذهب هو المنشط الأساسى للتجارة الإسلامية والعصب الذى حرك التطور العالمى فى العصر الوسيط نظراً لأن ذهب السودان كان المورد الأساسى الذى يغذى مصانع ضرب العملة ، ومن الصادرات الأخرى : التوابل وأنياب الفيل وريش النعام ، والأخشاب والعطور والأفاوية .

أما أهم الواردات فكان الملح الذى يستخدم فى تجفيف الطعام والمحافظة عليه إضافة إلى الأقمشة والحلى والتمور .

أما الزراعة فقد كانت طبيعة أفريقيا مناسبة لزراعة أنواع عديدة من الحبوب نظراً لتوافر مصادر المياه العديدة ، سواء كان ذلك بوجود أنهار عديدة كالنيل والنيجر والسنغال ، أو وجود مصادر أخرى للمياه كتوافر العديد من الواحات والبحيرات فى السودان الأوسط مثل بحيرة تشاد الكبيرة ، مع توافر مياه الأمطار الغزيرة ، أما أهم المحاصيل الزراعية التى عرفت فى المنطقة فهى الذرة والأرز والقمح إضافة إلى زراعة القطن وأشجار جوز الهند والبرتقال والموز .. إلخ .

كذلك كانت الصناعة مزدهرة ، ومن أشهر هذه الصناعات صناعة النسيج والجلود والصابون والأخشاب والتعدين .

وفى مجال الرعى توافرت عوامل طبيعية مناسبة من أرض ومياه ونمت الأعشاب بكثرة واستمرت حياة الغابات الكثيفة مما قدر لأنواع مختلفة من الحيوانات العيش فى تلك المناطق ، وهكذا قدر لأفريقيا جنوب الصحراء أن تكون

قـراءة فـى كتـاب

المورد الأساسى للعديد من أنواع الحيوانات إلى العالم .

وتناول فى الفصل السادس والأخير من الكتاب « النظم الإدارية » وتعنى : نظام الحكم والإدارة الداخلية والقضاء والجيش .

أما نظام الحكم فى أفريقيا جنوب الصحراء بعد الإسلام فقد كان بشكل عام ملكيا وراثيا ولكن بدا فيه نوع من أنواع الانتخاب ، وربما انتقل الحكم من فرع إلى آخر وربما انتقل الحكم إلى أحد كبار رجال الدولة ممن كان معروفا بالشجاعة والمقدرة وكان للملك فى بلاده وعلى شعبه مطلق الصلاحية ، ولم يحدد نفوذه وصلاحياته سوى القاضى المسلم أما مجالس السلطان مع شعبه فكانت بشكل عام عامرة بالحضور من مختلف الطبقات ، وإذا جلس السلطان جلس حوله العلماء والقضاة والطبقة العليا من رجالات الدولة ويحيط بهم السلاح والحراس من كل جانب .

أما إدارة البلاد فكانت من قبل موظفين لا يباشرون أعمالهم فى مكاتبهم ولكن فى حضرة الملك الذى كان يقضى معظم يومه فى إدارة بلاده والنظر فى المظالم والإشراف على الجيش ، ومن المناصب الإدارية وظيفة « النائب » وهو لقب يطلق على القائم مقام السلطان وعرف محليا فى دولة مالى باسم « قنجا » . ثم تأتى وظيفة الحاجب الذى كان وسيطا بين السلطان ورعيته . وهناك الوزير أيضاً .

أما القضاء فهو منصب إسلامى بحت ، ويتمتع القاضى باحترام كبير جداً من قبل المسلمين الزنوج ، وكثيراً ما كان السلطان يستشير القاضى ويطلب منه النصح والإرشاد ، وقد تمتع القاضى بصلاحيات خاصة لحفظ المؤسسات الدينية والتعليمية وفى تعيين الأئمة وإصدار الفتاوى وكثيرا ماكان يتولى بناء المساجد والمدارس أو توسيعها .

أما تعيين القضاة فكان يتم بشكل عام بأمر ومشورة السلطان الذى كانت بيده مطلق الصلاحيات وكانت له وحدة صلاحية النظر فى (القضايا الإجرامية) وخاصة ما يتصل منها بالأمن العام وقضايا المساس بالدولة ، أما القاضى فكان ينظر فى القضايا الشرعية وما يتصل بها .

فأما الجيش فقد كان الاهتمام به ضرورة من الضرورات التى أملتها طبيعة الحال فى المنطقة بعد انتشار الإسلام ، حيث برزت عملية الجهاد بين دول الإسلام والدول الوثنية ، وعليه فقد أصبح لهذه الكيانات جيش ثابت ومنظم يضاف إليه العساكر الاحتياطية ، وهم المتطوعون الذين كانوا يشتركون فى الحروب إلى جانب الجنود النظاميين لأسباب مصلحية أو عقائدية محببة فى الإسلام .

أما مكونات الجيش ففى « غانة » تألف معظمه من عناصر أساسية من قبيلة الملك « الساراكولة » ، وكان الملك هو القائد الأعلى للجيش . وفى « مالى » كان معظمه يتألف من شعب « الملالكة » ومن القبائل الحليفة . وانقسم الجيش فى معظم بلاد السودان والساحل إلى فرق عسكرية لكل فرقة قائد يرأسها . وهؤلاء القادة والأمراء إلى جانب الملك يشكلون القيادة العامة للجيش . وسلاح الجيش بشكل عام كان فى الفترة المتقدمة القسى والنشابة وكذلك الدبابيس وهناك فرقة الفرسان الذين يحملون فى أيديهم الحراب وعلى أكتافهم النشاب ، أما فرقة المشاة فأغلب أسلحتهم الحراب والسهام . وكانوا يعتمدون فى أساليبهم القتالية على الكر والفر ،

وقد حدثت تطورات فى أسلحة الجيش وتنظيماته فى العصور المتعاقبة .

وفى الخاتمة بين المؤلف فضل الإسلام على بلاد أفريقيا جنوب الصحراء وسكانها ، إذ بفضله تعرفوا على وحدانية الله تعالى وأقاموا كيانات سياسية مستقلة وامتلكوا ثقافة واضحة المعالم استمدوا أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامى .

تعقيب

أول ما يلفت النظر فى هذا الكتاب هو صغر حجمه حيث لم يتجاوز الـ « ٣٤٤ » صفحة مع ضخامة الموضوع الذى يتناول « تاريخ الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء » على مدى ستة قرون كاملة ومن استقراء فصول الكتاب لم نستطع أن نتلمس « منهج البحث » الذى حدده المؤلف لنفسه ، وفى بعض المواطن يشعر القارىء أن المؤلف عمد إلى تركيب المعلومات التى جمعها من مختلف المصادر والمراجع وأوصل بعضها ببعض دون التعليق عليها وكنا نود أن نلمح رأيه فيها .

وأيضاً باستقراء فصول الكتاب يتضح أن كل فصل كان يصلح لأن يكون موضوع دراسة مستقلة بذاتها تماما فالفصل الأول جاء تحت عنوان « أفريقيا جنوب الصحراء قبل دخول الإسلام » والثانى « أهمية أفريقيا وصلاتها القديمة بالوطن العربى » والثالث « انتشار الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء » والرابع « الكيانات السياسية والإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء » والخامس « الحياة الاقتصادية فى أفريقيا جنوب الصحراء » والسادس « النظم الإدارية فى أفريقيا جنوب الصحراء » .

وقد نتج عن ذلك أن الكتاب ذو موضوعات دسمة لم تستوف مضمونها تماما ، فمثلاً فى الفصل الثالث أشار إشارة سريعة إلى المعابر التى سلكها الإسلام إلى أفريقيا ، وكانت وحدها تصلح لأن تكون موضوع بحث هام .

والكتاب ـ وهو يحمل هذا العنوان « تاريخ الإسلام فى أفريقيا جنوب الصحراء » له إيحاءات تختلف عما نجده فى هذا الكتاب ، ولو أنه جعل العنوان « تاريخ الإسلام فى بلاد السودان » وتناول أقسام السودان الثلاثة التى ذكرها ، وتاريخ الإسلام فيها لكان أقرب إلى واقع الأمر منه فى هذه التسمية .

وحديثه باسم الإسلام يدفعنا إلى توجيه النظر إلى أخذه وتقريره ـ دون قصد ـ للدعاية التى يبثها الغرب ضد الإسلام باسم العرب حيث سلم سيادة المؤلف بأن أهم السلع التى نشطت تجارتها بعد الإسلام كانت الذهب والعبيد ، وفى هذه العبارة إيحاء كامل بما يريده الغرب من تصوير العرب بأنهم تجار العبيد .

وكان يجب على المؤلف أن يدرس هذه القضية ، ويبين بوضوح :

كيف لحقت هذه الصفة ببعض السكان من أفريقيا فصاروا « عبيداً » ؟ ومن الذى تاجر فيهم .. ؟

وقبل هذا وذاك كان ينبغى ـ وهو المسلم ـ أن يقرر فى وضوح أن الرق الشرعى ، هو الذى يتحقق وجوده فى « الأسرى » من حرب شرعية .. فأين كانت هذه الحرب التى أوقدها العرب ..؟!!

لسنا ندرى : كيف سلم المؤلف ببساطة بهذه القضية .. وما عذره فيها .. ؟

على أننا ـ فى النهاية ـ نشكر للباحث جمع هذه المادة وبيان مصادرها وخاصة المكاتبات والمراسلات والوثائق التى حواها الكتاب .

يانع الثمرات

في الكتاب العزيز قوله تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت / ٢٠ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج / ٤٦ .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ آل عمران / ١٣٧ .

الأستاذ : عادل خفاجة

في الآيات الثلاث ، وهي من كلام ربنا ـ جل وعز ـ لا يأتيها باطل ، ولا يرتقى إليها شك ـ حديث يتناول أموراً محدودة ؛ هى أن :

السير فى الأرض سبيل لمعرفة بدء الخلق ونشأة الكون ، وتلك معرفة تؤكد قدرته ـ تعالى ـ على البعث بعد الموت .

السير فى الأرض ينبغي أن يكون مصحوباً بالعقول الباحثة والقلوب الواعية وأداتى ذلك من سمع وبصر فيتم للباحث إدراك الحقائق على أصولها ، وينتهى إلى الفصل الدقيق بشأنها .. أي ينتهى إلى الحق الذى لا يرتقى إليه شك ولا جدال إلا من أعمى البصيرة المعاند للحق المكابر فى التصديق به .

والسير في الأرض كما يقف بنا حيث اكتشاف مافيها من (خَلْق) هو كذلك يَشْرُق علينا بسنن الله فيها ، أي بقواعد العدل التى لا تتخلف حيث ترتفع بالمؤمنين إلى أعلى عليين ، وتطيح بالجاحدين إلى أسفل سافلين .

جذبنى إلى هذه الآيات الكريمة قراءتي لها

وإلمامي ببعض التفسير فيها إلى جانب ما قرأته بكتاب « أزمنتنا الحضارية فى ضوء سنة الله فى الخلق »(١) .

لقد يحلو للبعض أن يفاخر بأمجاد القدماء ، ويقف ليعدد ما أقاموه من حضارة ، خاصة ـ وقد رأى بعينيه الكثير من الشرق والغرب يأتون إلى مصر ـ مثلاً ـ فيقفون مبهورين أمام هذه البنايات الحجرية كيف بنيت بهذه الضخامة على ماعليها من هندسة معمارية فى ذلك العصر السالف !!

وإن كان السؤال الذى يجب أن يكون ماثلاً أمامنا ـ وقد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام ـ هو : لماذا بادت تلك الحضارات ولم يبق منها سوى تلك المومياوات ، وهذه الأحجار ؟

وهل يمكننا أن نبنى حضارة مماثلة تفوق مجد هذا السلف ولكن ترفرف عليها راية التوحيد ؟

نقول : نعم . ولكن بحقها . فنعم ـ هذه ـ تستوجب منا أن نمارس عمل ما أمر به الله سبحانه وتعالى من سير فى الأرض وتدبر لأحوال الأمم السابقة كما بينت الآيات السابقة :

فالأمر بالسير ، والتدبر ، إنما هو لنعلم ماهية تلك (الرَّحَى) التى طحنت هؤلاء الجبابرة على ماكانوا عليه من قوة ، ولنعلم ـ أيضاً ـ السبل التى أدت بهم إلى هذا المصير لخير نتبعه وشر نتجنبه « فاكتشاف سنن السقوط والنهوض من لوازم البناء الحضاري ، وإن شئت فقل : من لوازم الشهادة على الناس والتأهيل لقيادتهم ، والقدرة على اختيار وتمثل الموقع الوسط »(٢) .

قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ البقرة / ١٤٣ .

قصص القرآن هو القصص الحق ، يحدث به المولى ـ عز وجل ـ الخليقة إلى يوم الدين .. بل إلى ما شاء الله رب العالمين ، وحسبنا أن الله ـ سبحانه ـ هو الذى يقص ، فما غاب عنه الخلق لحظة ـ سبحانه ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وهو ـ أيضاً ـ بكل شىء عليم ، يقول ـ عز من قائل :

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ الأعراف /٧

فى قصص القرآن الكريم نماذج العصاة على ما كانوا عليه :

جحوداً لواجب العبودية لله ـ تعالى ـ إلى استكبار فى الأرض يعمى عن الهدى واستبصار بدهيات النتائج لهذا الطغيان .. إلى الرذيلة الآثمة التى سنها قوم لوط ، وخلفها عليهم شر الخلق .. إلى سرقة الناس كيلاً وبخسهم الميزان وقطع الطريق من فعل آل مدين .. ضروب من المعاصى قست لها القلوب ، وعميت بها الضمائر فقدمت أنفسها قربانا للنيران .

ونجا كل رسول بمن آمن معه ..

نجا نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب .. وغيرهم من صفوة الأنبياء المرسلين .

وهوى قارون وفرعون وهامان .. وغيرهم من أهل العظمة الكاذبة والطغيان المبين .

وظلت من بعدهم تلك الأبنية الضخمة تبسط آثارها فى الأقصر وأسوان والأحقاف والحجر ، وتدمر .. وغيرها .. وغيرها لتشهد : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

سنة لم تخلق عبثا .. ولم تتخلف أبداً ، ترفع قوما وتردع آخرين .

ثم هى ـ إلى ذلك ـ تدفع الباحثين إلى التماس القوانين الكونية جميعاً للانتفاع بها ومعرفة طريق الحذر من مخالفتها ثم ـ هى بعد ذكرى للذاكرين .

---

(١) من تأليف د . أحمد محمد كنعان .

(٢) على حد قول الأستاذ . عمر عبيد حسنة فى تقديمه لكتاب أزمنتنا الحضارية فى ضوء « سنة الله فى الخلق » .

أنباء وآراء

اغتيال الدكتور رفعت المحجوب وحراسه

أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :
أن ما حدث بالنسبة لاغتيال الأستاذ الدكتور / رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق وطاقم الحراسة الخاصة ، أمر يؤسف له وأنه اعتداء وإهدار لدم المسلمين دون مبرر ، ذلك أن دم المسلم حرام على المسلم كما أخبر بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية فى قوله ـ ﷺ ـ (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

وقال : إن الذين اقترفوا ذلك الجرم وروعوا الآمنين واغتالوا المسلمين إنما ارتكبوا جُرماً عظيماً حرمه الله تعالى ويشجبه المجتمع وما ألفت مصر مثل ذلك العدوان وأضاف أن مصر فقدت بهذا الجرم الأليم البشع رجلاً قد خدم بلده وأمته وأبرياء كانوا فى رفقته .

يرحمهم الله جميعاً ويعوض مصر وذويهم خيراً ويثيبهم على ماقدموا لأمتهم .

كتبت الشئون الفنية لمكتب الإمام الأكبر :

الامام الأكبر يستقبل وزير العدل المالديفى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد وزير العدل لجمهورية المالديف .

وقد نقل السيد وزير العدل إلى فضيلة الإمام الأكبر تحيات السيد / مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف .

كذلك قدم السيد الوزير شكر حكومة المالديف على ما يقدمه الأزهر من خدمات جليلة فى مجالى العلوم الدينية والثقافة الإسلامية .

الامام الأكبر يشارك فى احتفالات النصر

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة ذكرى انتصار العاشر من رمضان ـ السادس من أكتوبر . فقد حضر فضيلته مراسم الاحتفال الذى أقيم بالنصب التذكارى للجندى المجهول بمدينة نصر صباح يوم الخميس الموافق ٩٠/١٠/٤ .

ثم حضر بعد ذلك الجلسة التى عقدت بقاعة المؤتمرات بمدينة نصر قبل ظهر نفس اليوم والتى ألقى فيها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك خطابه بهذه المناسبة .

الامام الأكبر يستقبل السيد سفير جزر القمر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح الأربعاء الموافق ٩٠/٩/٢٦ السيد / إبراهيم عبد الله .. سفير جزر القمر بالقاهرة .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير ودار الحديث بعد ذلك حول أوضاع العالم الإسلامى والمسلمين فى الوقت الراهن خاصة بعد أحداث الخليج الأخيرة .

الامام الأكبر يشارك في احتفالات ذكرى المولد النبوى الشريف

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر في احتفال وزارة الأوقاف بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بساحة مسجد محمد على بالقلعة .

الحروف العربية والمساجد في الاتحاد السوفيتى

اعلن الشيخ / محمد صادق (مفتى المسلمين في آسيا الوسطى ورئيس الإدارة الدينية في الجمهوريات السوفيتية) أن المسلمين قد عادوا لتدوين لغاتهم القومية بالحروف العربية .

وقد اكد الشيخ / محمد صادق نجاح مسيرة التقريب التى حققت نتائج طيبة تتمثل في افتتاح العديد من المدارس العربية والإسلامية وأن جميع المساجد في الاتحاد السوفيتى تقوم بدورها في مجال الدعوة والتدريب .

والجدير بالذكر انه قد عُقد مؤخراً في طشقند مؤتمر إسلامى عن الإمام الترمذى ، وقد مثل الأزهر في هذا المؤتمر فضيلة الشيخ محمد حسام الدين وكيل الأزهر نائبا عن فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ، وقد قدم فضيلته للمؤتمر بحثا بعنوان المختار من كتاب (الشمائل المحمدية) للإمام الترمذى (تقديم وتصحيح وتعليق) .

مولد تنظيم إسلامى جديد في الجزائر

تم مؤخراً في الجزائر إعلان ميلاد حركة وطنية دينية تدعى (الحركة الإسلامية للشباب الجزائرى) تهدف إلى نشر الإسلام وحمايته ومحاربة الإلحاد وانحراف الاخلاق .

كما تسعى إلى حماية الثروة والحفاظ على مصادرها والدعوة إلى توظيف هذه الثروات بما يحقق المصلحة الإسلامية .

الاسلاميون يفوزون في انتخابات المدن الفلسطينية

ذكرت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية ان الإسلاميين حَظَوْا باكبر عدد من الاصوات خلال الانتخابات التى جرت للجان الإسلامية في المدن المختلفة (عربا - يهودا) .

وقالت الصحيفة انه تم انتخاب اعضاء من الاسلاميين فقط للجان في كل من عكا والرملة واللد .

جمهورية تشاد تعلن اللغة العربية لغة رسمية في تشاد

اعلنت (منظمة الدعوة الإسلامية) أن واجب المسلمين في انحاء العالم تقديم مساعدات سريعة لإخوانهم المسلمين في تشاد ، هؤلاء الذين يواجهون ظروفا مأساوية ، وتشير - في هذا الصدد - إلى أن خبراء التعليم الذين اوفدتهم المنظمة إلى تشاد اوضحوا أن البلاد تحتاج إلى تدريب أربعة آلاف معلم لتنفيذ البرنامج الذى ترعاه الدولة بجعل اللغة العربية لغة رسمية في البلاد .

المسلمون في برلين الغربية

حسب محرر الأنباء :

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية في خبر لها نقلته الإذاعة البريطانية صباح ٥ سبتمبر ١٩٩٠م ان عدد المسلمين الذين يعيشون في برلين الغربية بالمانيا الاتحادية حوالى ١٣٠ الف مسلم ، كما يوجد بها مسجد افتتح عام ١٩٢٦ إلى جانب ثلاثين زاوية لأداء الصلاة .

وذكرت الوكالة ان رابطة المسلمين الاتراك ببرلين الغربية اعلنت عن اعتزامها إقامة مسجد جديد على الطراز المعمارى الإسلامي قرب المنطقة التى كانت تُضم المقبرة التركية القديمة في برلين الغربية

الفهـــرس

الموضوع | **صفحة**

● **الافتتاحيـــة**
للدكتور على أحمد الخطيب ٣٨٥

باب الاحتفال بذكرى المولد النبوى

● **نص خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك** ٣٨٨
● **فى ذكرى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ**
بقلم فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق ٣٩٤
● **بيان من الأزهر الشريف** ٣٩٨
● **لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير**
الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة ٣٩٩

باب مع المؤتمر الاسلامى العالمى بمكة

● **وثيقة مكة المكرمة الصادرة عن المؤتمر الإسلامى العالمى** ٤٠٢
● **قرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامى** ٤٠٦
● **ما يمحو الله به الخطايا**
للأستاذ محمد صابر البرديسى ٤٠٨
● **التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة فى غزوة الأحزاب**
للواء محمد جمال الدين محفوظ ٤١١
● **من الإعلام إلى الأمية فالتبشير**
للأستاذ حسن على العنيبيى ٤١٧
● **حضارة الإسلام وحضارة الغرب فى افريقيا**
إعداد قسم التحرير بالمجلة ٤٢٢
● **من تاريخ الأزهر**
بقلم فضيلة الشيخ محمد الأحمدى ـ رحمه الله ٤٢٦
● **ليبريـا والإســلام**
للأستاذ محمد المتناوى ٤٣٤
● **عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والأسطورة**
للأستاذ / أحمد عرفات القاضى ٤٤١
● **المستشرقون والموضوعية**
للدكتور أحمد عبد الحميد غراب ٤٤٧

باب الشعر والشعراء

● **فى مدح آل رسول الله ـ ﷺ ـ**
للشاعر دعبل الخزاعى ٤٥٢

الموضوع | صفحة

● إلى الدكتورة سعاد الصباح « لا تحزنى »
للأستاذ / سيد حسن قرون ٤٥٣
● أيـــام بغــــداد
للشاعر جميل صدقى الزهاوى ٤٥٤
● من أعـــلام الأزهــــر
للأستاذ / فتحى بـدر ٤٥٥

باب العلوم الكونية

● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ٤٥٨
● هـكــذا تنــــام
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ٤٦٢
● طرائــف ومـواقــف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤٦٦
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ٤٦٨

باب اللغة والأدب والنقد

● ملاحظة حول مقال النقد الأدبى من وجهة إسلامية
للأستاذ / سيد سيد عبد الرازق ٤٧٢
● قراءة فى كتاب تاريخ الإسلام فى افريقيا
عرض وتقديم أحمد السيد تقى الدين ٤٧٥
● يانــع الثمـــرات
بقلم الأستاذ / عادل خفاجة ٤٨٠
● انبـــاء وآراء
إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ٤٨٢

القسم الانجليزى
إشراف د. أنس النجار

● المقـــال الأول
للدكتور أنس مصطفى النجار ٤٩٤
● المقـــال الثانى
عبد الحكيم أحمد طه ٤٨٩

One, is that darkness and injustice are both disseminating processes, that start by one point and proceed in proliferative sequence to spread and dominate to curtain light and to conceal justice. It builds for itself a facade of false strength and cruel transgression to devour false strength and cruel transgression to devour all that is right, all that is just, all that is true, and nothing prevails but the abysmal darkness of ignorance.

Another is the both injustice and darkness are frail and weak in constitution. The total darkness of the night cannot conceal a single candle light, because light in its constitution is supreme. Also, the total injustice of mankind cannot suppress even a single word of justice, because justice is the firm and continuous desire to render to everyone that which is his right, and that aim is supreme.

A third is that injustice and darkness are both natural phenomena which stir the opposition of mankind to overcome them. Finally, injustice will succumb to what is rightfully just, and darkness will succumb to the brightness of light. Mankind shall always oppose darkness by inventing light. Also, mankind shall always carry the torch of knowledge, culture, enlightenment, and uninhibited thought to reach the true dimensions and depths of justice; which in its most optimized form is the realization of Divine Truth. The fountain of all knowledge, and the root of all wisdom is Belief, the Eternal Truth, the Lantern of Human Thought, the Absolute Reality.

The path of Injustice is the dark ignorance of the mind; and the true enlightenment of human thought is through Belief. Justice is the implementation of truth; it is right thought directing command and prohibition, it is the supreme act of the normal mental function. It is the dissemination of rightful reality and truth. It exhort for itself reverence, obedience and holds for itself the grand position in human existence.

human enlightenment, obstruction of developmental processes are all acts of injustice. Those who deny to serve the processes of life are parasites, living upon it but fail to actively enhance its advances. A third aspect of self injustice is the contradiction of legal earnings to enjoy the sanctional legitimate lawful fruits of life as authorized by Divine teachings. Injustice is self deprivation of the beauties and delicacies of life; and it is also the excessive wanton demands and lust for such desires. These opposite extremes are mortal to the spiritual processes of human thought and understanding, and in this respect will lead to grave self-injustice.

Injustice to kinsmen is a very bitter and grievous act. It is the injustice inflicted by one upon his own kin, which becomes very difficult to rectify or amend. The bitterness is inherent in the fact that the injustice is from a blood relation. The injustice from husband, from wife, from parents, from children, from relatives to relatives. Blood relations have legitimate rights intrinsic and inclusive in the lifes of individuals. Injustice to kinsmen is a rapidly disseminating process that soon tears the matrix of familial cohesion, and severs the bonds of social structural integration. The ultimate end of such injustice is the total collapse of social enlightenment, and the decay into the dark trenches of ignorance.

The injustice inflicted by an individual upon another, is the hugest mass of the act of injustice. It is the category of injustice most commonly encountered in human societies. It originates from human ego, self indulgence, greed, carnality, corruption, animality, hedonism, and unchaste profligacy. The purposes of Divine Ordinances, legislatives jurisdictions, legal warrants and actions, are to establish systems of social structure that prevents and aborts any action of injustice. All these systems, aim to safeguard mankind from the injustice of mankind. All social codes of ethics, manners, traditions, culture; and religious doctrines are implemented to establish a paradigm of justice with human societies. The degree and extent to which the understanding of the concept of justice and its implementation in any human community, is the basic criteria and indication of its enlightenment, integral humanism and civilization.

The present Hadith "Injustice is abysmal darkness" portrays in distinct precision of linguistic syntax the detrimental qualities that are constantly associated with injustice. The Hadith indicates the broad unlimited dimensions of the similarity between injustice and abysmal darkness in superb eloquent rhetoric. Learned scholars have interpreted several aspects of analogy between "abysmal darkness" and "injustice".

plague from heaven for what they have repeatedly infringed " (Surat Al-Baqarah, II, 59). "Such were their houses in utter ruin, because they practiced injustice. Verily in this is a sign for people of knowledge" (Surat Al-Naml, XXVII, 52). "... A crier shall proclaim between them : "The curse of Allah is upon the injust" (Surat Al-Araf, VII, 44). "Allah will establish in strength those who believe, with the Word that stands firm in this world and in the Hereafter; but Allah will leave to stray those who do injustice ... " (Surat Ibrahim XIV, 27). "All faces will be humbled before Him, The Living, Self-Sustaining, Eternal. Hopeless indeed will be the man that carriers injustice" (Surat Taha, XX, III). These are few of the numerous verses in the Holy Quran which give evidence to the fact that the injust will suffer torment, affliction, tribulation, grievance, and deprivation.

The Muslim concept of "Injustice" is that it arrests the growth and promotion of life, stops its processes, destroys human activity, paralyzes the ingenuity of mankind that Allah has inherently placed in order that mankind bears the responsibility of the Divine purpose of creation. The progress of the human race throughout history had always been associated with justice; and the downfall and retreat of human societies had always been the result of injustice. Progress and injustice are incompatible and inconsistent, also decay and disintegration are incongruous and contradictory to justice. Injustice is analogous to the octopus with multiarm destructive effect. Subjection, cruelty, infringement, violation, inequity, selfishness, atrocity, corruption, malpractice, crime, transgression, sin and all acts that deny justice, are all considered few of the several features of the monstrosity of "Injustice". Learned scholars have classified injustice into three major categories. Self injustice, injustice to kinsmen, and injustice to others.

Self injustice is the deprivation of the self from the natural human rights in this life and in the hereafter. The premier of these is the attainment of Faith through realization of Divine Truth. Such achievement promises dignified confidence in life, and warrants a status of grace in the hereafter. Failure to accomplish such understanding solid belief in Divinity results in atheism which is the darkest identity of injustice, the abyss of obscure ignorance. Transgression on Divine ordinances is a condition of self injustice. Criminal offences are also actions of injustice against the self and against the human society. Another condition of self injustice is the retardation of life's progressive promotion. Deterring knowledge, prohibit

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

"INJUSTICE IS ABYSMAL DARKNESS"

By: Abdel - Hakim Ahmad Taha.

The word "injustice" and its lexicological derivatives are encountered two hundred and eighty nine times in the text of the Holy Quran. The numerous recurrence of that meaning in many different verses, signifies the optimal extreme importance that Islam attributes to the grave issue of "Injustice". The analytical approach to the basic interpretation of the meanings of the various verses, reveals that the word "Injustice" is most often associated with "atheism". Several such associations appear in different verses of the Holy Quran in which both words are intimately concurrently related. From among such verses, the following ones are quoted. "Those who reject faith and do injustice - Allah will not forgive them...." (Surat Al-Nisá, IV, 168). "Behold, Luqman said to his son by way of instruction : O my son ! join not in worship (others) with Allah; for false worship is indeed the highest injustice " (Surat Luqman, XXXI, 13). "Who doth greater injustice than one who invents falsehoods against Allah, as he is being invited to Islam. And Allah guides not those who do injustice " (Surat Al-Saff LXI, 7). "..... and those who reject Faith are the injust" (Surat Al-Baqarah, II, 254). Such recurrent association between "Injustice" and "Atheistic" rejection of faith indicates the extreme ugliness, repugnant vileness, and abhorrent despicableness in the act of "injustice". Injustice leads to ignorance, and ignorance is precursor to atheism. Again, injustice degenerates into destitution, subjugation, insecurity, social chaos and entropy; all of which are channels that result into human degradation, infamy and shameful disgrace.

In the text of the Holy Quran, all attributes of ignominy and vileness are constantly related to those who are unjust; whether pertaining to atheism, or as an act that contradicts justice. "But the injust changed the word from that which has been given them; so We sent upon the injust a

The days of the drought and plague portray the most intimate characteristics of the man who was at the head of the Muslim Ummah at those times of grievous precarious imperilment. His extreme concern for Muslims, his superhuman efforts for their safety - bringing himself the last to be saved. He hated to eat when others were hungry; he despised to be safe when others were imperiled. Omar was also fully concerned with the spiritual status of the Muslim Ummah; he believed that spiritual strength gave the patience and endurance to overcome difficulties and ascend above the acuteness of disasters.

The decision of Omar ibn Al-Khattab to return to Al-Madinah away from the plaque stricken area of Amwas in Syria, represents the ecumenic Muslim concept of Fatalism. The human mind created by Allah was a tool to think and conceive; the results of the processes of thought are utilized in whatever decision is taken. The rationality of decision is what it has behind it of knowledge and thought. Whatever the Muslim decides with the rationality of knowledge and thought is yet the inevitable Divine Will, the ultimate fate of which one has no knowledge of; it is the Divine Will.

During that year, as was his usual habit, Omar ibn Al-Khattab lead the Muslims during the Hajj Season. Back to Al-Madinah, Omar resided to spent his utmost efforts to administer the affairs of Muslims. The destiny of Omar as Ameer Al-Moomineen, and the future of the Muslim Ummah were still weaving themselves into a matrix that was beyond anticipation; a matrix that was scribed only in the Divine will, that was more potentially powerful than the decision of men.

The greater problem that remained in Omar's mind was how to save the people in the plague stricken district. He wrote to Abu Ubaydah ibn Al-Garrah to take the people to stay at heights where more air was certainly useful for their health. However, Abu Ubaydah died from the plague, and also Muaz ibn Jabal that succeeded him. Amre ibn Al-Aas addressed the people to go up to the heights of hills and mountains which would be better for their health. The plague lasted about forty days according to most chroniclers. However, most authors agreed that the plague of Amwas was due to the excessive number of of unburied dead bodies after the Muslim-Roman battles. Earlier authors attribute the cause of the plague as Allah's punishment to Muslims in Syria for the indulgence of some groups in the consumption of intoxicants. The plague spread to Al-Basrah, south of Iraq where several thousands of the best Muslim warriors met their death. Finally, the acute phase of the plague ended, and eventually, the epidemic totally subsided.

Omar was then faced with a new critical situation particularly in Syria. On the one hand, the Muslim warriors had suffered great losses who died as victims of the plague; this left the Syrian Crusade subject to recession if the Romans were to think of counterattacking Muslim presence in Syria. On the other hand, the economic situation, the fiscal hereditary rights were in confusing disorder. Such matters must be settled at once, before Muslims disputed each other over matters of fiscal rights. Omar ibn Al-Khattab decided to look into such matters personally. He appointed Ali ibn Abi Taleb to administer the affairs of Muslims at Al-Madinah, and left in company of some and made plans to visit every region in Syria. Omar investigated the conditions of Muslims, discussed and solved matters that intimately concerned their life. Omar arranged for housing projects for the inhabitants; and reorganized the battalions and contingents of Muslim warriors, naming their positions, armament and appointing commanders. Omar gave full attention to solve all matters related to fiscal hereditary rights, and brought it out according to Muslim law of Shariah to become the entitled rights of those who were alive. When Omar had settled with all such matter, he appointed Moawiyah ibn Abi - Sufyan as his chancellor in Syria. At the time of his departure, it was prayer time, and the people requested that Bilal ibn Rabah would be asked to call the Adhan for prayers, and Omar requested from Bilal to do so, which he had ceased to do since the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Bilal called the Adhan, and the people remembered with great sentiment the days that elapsed, but never forgotten, the days of the Great Prophet summoning humanity to the new Faith.

Omar ibn Al-Khattab was the man ot action, the man who fully concerned himself with what concerned the people. The community of the Peninsula who survived the mortification of the drought, emerged into a solid unity and devotion to the person of Omar ibn Al-Khattab. It is at times of affliction and distress that the quality of man proves its worth.

The drought had hardly ended when the news of the plague in Syria and Palestine reached the Peninsula to deliver a thundering blow to its inhabitants who were still recuperating from the effects of the drought. The plague had spread from Amwas in Palestine to reach Syria. The dissemination was rapid, and the numbers of deceased became greater day after day. The total number of deaths was estimated to be twenty five thousands. The plague affected civilians as well as Muslim warriors, nobilities as well as common people. Men like Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, Muaz ibn Jabal, Yazied ibn Abi Sufyan, Al - Harith ibn Hisham, Suhayl ibn Amre, Utbah ibn Suhayl, and many others were victims of the plague.

Omar ibn Al-Khattab had decided to travel to Syria to supervise the arrangement of its administration. He actually left Al-Madinah with some companions to reach a place near Tabuk called Sargh. He was met by his army commanders from Syria who informed him that the plague was virulent to an extent that contradicted Omar and his companions to proceed further north into Palestinian territories. Omar became gravely disappointed as he was informed the details of the plague. Omar gathered a large group of those present at the time to discuss with them the immediate and long term measures to be taken to counteract the spread of the plague by a tight system of isolation and quarantine of the inflicted areas. Omar also asked their opinion whether he were to proceed into Syria with his companions or to return to Al-Madinah. The opinion regarding that issue was controversial, some were in favour of Omar proceeding to his purpose, to face his fate, destiny, the inevitable Divine Will. Others were of the opinion that Omar and those with him were to return to Al-Madinah in detour diverting from facing the detriment of the virulent plague. Omar finally declared his decision to travel back to Al-Madinah saying " We divert from one inevitable Divine Will to another inevitable Divine Will. Finally, Abd-Al-Rahman ibn Awf settled the dispute of that issue, and said that he had heard the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) say "When plague strikes, do not enter the region, and do not depart from it". Omar was satisfied with that Hadith, and proceeded with his companions towards Al-Madinah.

statement "How can I care for the community, unless I concern myself with that which concerns them". Omar ibn Al-Khattab and every member of his family shared the plight and predicament which the Muslims suffered. They cared, tendered helped, and prepared food for those desperate impoverished famished groups who flocked from the barren desert into Al-Madinah. Omar ibn Al-Khattab was the last to taste food, the remnants if anything was left behind, the crumbs and morsels.

Omar ibn Al-Khattab experienced great distress and agony. His health deteriorated he was under extreme stress. He resorted to prayer that Allah may lift the agony and destitution of Muslims. Omar wrote to the commissars in the various lands asking for supplies to save the Muslims of the Arab Peninsula. Omar felt the graveness of the responsibility. He was at the head of the State, he was primarily responsible to plan, scheme, arrange, organize, and find means to save the Muslims of the Peninsula from an impending imminent death through starvation and famine.

The supplies were received with great relief from Syria, Palestine, Iraq;. and Omar ibn Al-Khattab recruited squadrons of people to feed the people, house them, care for them, and look after their comfort. Omar ibn Al-Khattab and his family personally joined in these efforts through the days and nights. Couriers took supplies to distant places in the Peninsula where isolated groups of people where located. These messengers spent great efforts in making sure that everybody received food, clothes and shelter.

For nine whole months, the drought and famine continued, and inspite of the supernatural efforts made by Omar ibn Al-Khattab, his family and the people under his appointment, the death toll increased. People suffered the agony of hunger and starvation. Every evening, Omar prayed and supplicated to Allah to relieve their plight and despair. He wept as he humbly pleaded appealing to Allah to lift the burden of the depressive misery and torment. He entreated people to supplicate and stretch their arms high above in earnest desire and need for Divine Mercy and Transcendent Grace.

Finally, at long last after nine bitter months, the rains came, and the green carpet of the grazing lands soon appeared. Omar ordered the nomad tribes to return to their dwellings, and resume their normal lives. Omar ordered that no Zakah revenue was to be collected during that year. That very exhausting wearisome experience proved by all optimal measures that

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE DROUGHT AND THE PLAGUE

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, Ph.D.

The Muslim community in the Arab Peninsula were enjoying an era of prosperity and affluence. Muslim warriors in Iraq, Syria, and Palestine were victorious; the Islamic theism was proliferating progressively amongst the inhabitants of these lands. The purpose of the Muslim Crusades into these countries, to Summon and proclaim the teachings of Islam, have been achieved. The richness of these lands introduced into the Arab Peninsula more wealth than had ever been imagined. The whole region flourished through commercial interactions, economical prosperity, political stability, and theological unity. The implementation of a regime that was founded on absolute social justice and human rights, according to the doctrinal teachings of Islam, developed into pattern of life that resulted into intimate cohesion of the social matrix, with a very solid religious infrastructure.

The inevitable hand of destined fate, determined by Divine Will, struck the area with two great disasters that had detrimental impact on man and his total environment including animal and plant life. For two consecutive annums, the seventeenth, and eighteenth years of Hijrah; these two disasters took place following each other. The Drought came first to hit the Arab Peninsula throughout all its regions from the extreme south to the farthest north. For nine complete months, no rains came, total drought, no living matters plant or animal could survive. As the wind blew, dust storms added to the deplorable adversity of the catastrophe. Plants dried, cattle died, mankind resisted to suffer the torments of severe hunger, and the agony of defeat and death. The nomad tribes flocked into urban areas especially Al-Madinah, where food became more increasingly scarce if at all found.

Omar ibn Al Khattab amidst all this shared the plight, the hunger, the deprivation as any member of the community. Omar repeated his famous

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART IV
Rabie Al-Akher 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar ibn Al Khattab**
The Drought and the Plague.
By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Roots of Wisdom**
Hadith of the Prophet
Injustice is Abysmal Darkness
By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

٥ ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

ألا من وحدة لهذه الأمة تدفع أشجانها؟

ليس من عربى على شىء من ثقافة لا يعرف امَرأ القيس رائد الشعر العربى عصر الجاهلية ، وإمام فنونه ، النابع لآياته النابغة فى ادائه ، لكن قليلا منهم من يعرف « حِكْمَةَ » عَمِّهِ حين وقعت ازمة امرىء القيس التى اطاحت بوالده ، واعقبتها صيحة امرىء القيس : اليوم خمر وغداً امر .

ونشط امرؤُ القيس للثار لابيه ، ونفخ العصبية واوقد للحمية فإذا لديه من العرب جمع غرة حشدهم وراى فيه عزة ونصراً اسلماه لزهو خطير ، وركنا به إلى خيال جامح يؤكد له ان معه قوة لا يدركها وهن ، وجيشاً ـ على وحدة ـ لا يفتتها هوى ، وهو ـ به وبهم ـ بالغ امره ، ومدرك ثاره .

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادى الأولى ١٤١١ هـ
نوفمبر/ديسمبر ١٩٩٠
الجزء الخامس
السنة الثالثة والستون

ألا من وحدة لهذه الأمة تدفع أشجانها ؟

أما عمه ، فكان ببصيرته يقول : هيهات !!

كان العم حكيما يريد أن يقتصد فى « المصيبة » وأن يكتفى منها بما أحلت من بلاء ، وكان مقتنعا أن جمع ابن أخيه هباء ، وأن سلاحه خواء ، ودفعه واجبه أن ينصح لابن أخيه ليرده إلى « واقع » يستدرك به « الإنقاذ » وإلى « حكمة » يستثمر بها ما ملكت يداه ، وإلى « أناة » تفسح للحيلة أسباب النجاح ، فقال ـ لامرىء القيس :

« ياابن أخى ، نحن ـ العُرْبَ ـ كالأُسْدِ ، نجتمع فرادى ، ونعيش فرادى » .

وهل سمعنا بأسْدٍ ـ حتى اسْدِ كليلة ودمنة ـ جمعها شأن فتشاورت فى أمر » .

حسبك أن تراها تلمح فريسة حتى يقفز إليها ـ غير عابىء بالآخرين ـ أسرعهم إليها ، وأقواهم عليها ليلتهمها ولا شأن له بالجائعين .

ولم يعبأ امرؤ القيس بالنصيحة ، وغامر هذا الضليل حتى قذفت به الهزيمة من قبيلة إلى عشيرة ، وأحيط بالخوف فسار يلتمس الجوار حتى وقع بين يدى من أجاره طمعا فى نسائه ، وهتك العرض من زوجته ، فانطلق إلى « قيصر » يلتمس النجاة ... وعند قيصر ارتدى ـ من هداياه ـ حلة ، ما إن لبسها حتى تساقط لحمه ، وذهب غير مأسوف عليه يحمل لواءه إلى النار .

●●●

لكن ذلك كان فى « الجاهلية » حيث لم يكن ـ بعد ـ « إسلام » حيث كان الشتات ، والجدب والضياع .

يوم كان « الأجداد الأولون » يعبدون « هُبل » ويذبحون « للات » ويسجدون « للعزى » ويخشون « مناة » وتصتك أليات نسائهم حول الأوثان !!

يوم أكل بعضهم بعضا ، وقتلوا الأبناء ، ووأدوا البنات يوم أنفوا من « العمل » وأقبلوا على « النهب » الأثيم وولغوا فى « الدم » واستباحوا العرض الحرام .

يوم عاشوا سنداً لأثيوبيا فى اليمن ، ولفارس فى الحيرة ، وللروم فى بيروت !!

يوم كانوا شرطة لهؤلاء وهؤلاء ضد بنى جلدتهم من عرب الصحراء .

يوم ... ؟

بل أيام .. !

أيام التعاسة المرهقة ، والقبائل المتحاربة ، والعشائر المتنافرة والبطون الضائعة .

أيام البغايا السافرات ، و« الحزورة » تكيل الخمر إلى جانب البيت الحرام !!

....

ايام لا إسلام

●●●

وجاء « الإسلام » فتدفق السلام ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، واضاء الإيمان ربوعها ووهادها ، وطهرت من آثامها ، وذهب الزنيم واللئيم وكل افاك اثيم .. ، وكر الدين على الفرقة فأبادها وعلى « التَّبَدِى » فأنهاه ، فأوى « البطن » إلى « العشيرة » والتأمت « العشيرة » فى « القبيلة » والتحمت « القبيلة » بـ « أمة الإسلام » خير أمة أخرجت للناس ، فعز العرب بعزة الإسلام ، وفى دورة من ربع قرن سادوا عالمهم حتى صاروا مثله المرموقة فى كل مكان !!!

كانت « وحدة » وطيدة الأركان ، فذة ، قد انفردت فى عالمها بعزة الحق ، وكرامة العدل ، وحب الخلق .

فما يمنع منها ، وثمارها ليست أحلاما ، وسبلها ليست مستحيلة ولبناتها أوطان متجاورة وشعوب تحبها عن إيمان .

وتنشدها :

وحدة للنماء والانتماء لا شتاتا يذهب بالخصب ويأتى بالإباق .

وحدة تذهب بالعبوس والقنوط وتقضى على هذه الخطوب .

وحدة شديدة على الأعداء رحيمة بالأمشاج .

أبعد إله واحد ، ودين واحد ، وقبلة واحدة ، وشعيرة واحدة يكون هذا الشتات . ؟!

لِمَ هذا الشقاق والفراق .. ؟!

ألا من وحدة لهذه الأمة تدفع أشجانها ؟

وهذا المروق وغصب الحقوق ، وأكل الجار ، وخبث الجوار ؟!

لِمَ ، ونحن الأمة التى شرفها الله بالذكر ، وجعل كتابه بلسانها وأى مجد بعد هذا .. ؟!

أنختلف ، وكتاب الله بين أيدينا ، وفيه قوله الكريم :

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف ٤٣ ، ٤٤ .

اللهم إنا نسألك لمصر :
العزة والسداد ، فكم تشوفت للوحدة وعانت من أجلها ولم تتخلف عن ركب يريد الحق ويبغى السلام .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

فتويان للإمام الأكبر

عصير الشعير

مالــه ومــا عليــه

◆ ◆ ◆ ◆

متى تستبعد حضانة الأم؟

حديث صحفى لجريدة البيان

لقاء فضيلة الإمام ووزير الدولة
للشئون الإسلامية فى سيرلانكا

فتويان للإمام الأكبر

(أ)

عصير الشعير

ماله وما عليه

بعث السيد / ح . م . الجمعة إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر بالتالى :

نرجو التكرم - أفادكم الله - بالإفادة عن :
شرعية استيراد وبيع شراب عصير الشعير .
وهل هو حلال أم حرام ؟
علما بانه يباع بأسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة ويسمى هناك بيره بدون كحول .

الجواب :

إن الخمر التى حرمها الله فى القرآن الكريم بينتها السنة المطهرة فى أحاديث كثيرة منها :

١ - روى فى صحيحى البخارى ومسلم من حديث عمر رضى الله عنه أنه قال : « نزل تحريم الخمر وهى خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ماخامر العقل » متفق عليه .
٢ - عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ : « إن من الحنطة خمرا ومن الزبيب خمرا ومن التمر خمرا ومن العسل خمرا ومن الشعير خمرا وأنا أنهى عن كل مسكر » رواه أبو داود وغيره .
٣ - عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » رواه الخمسة .

٤ ـ روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطنى وصححه عن ابن عمر .

٥ ـ رواه أبو داود عن شهر بن حوشب عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر ، « والمفتر » كل شراب يسبب الفتور فى الجسم والخمول فى الأعضاء .

يقال فتر عن العمل فتورا من باب قعد ، انكسرت حدته ولان بعد شدته ومنه فتر الحر ـ إذا انكسر ـ فترة وفتورا وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ ﴾[1] أى على انقطاع بينهم ودروس أعلام دينهم ، وهذا المعنى ملحوظ فى تحريم المطعوم أو المشروب المفتر كالمخدرات بمختلف صنوفها طبيعية أو مخلقة ، فالمسكر والمفتر يباعد بين الإنسان وطبيعة خلقه الذى صنعه الله .

وعلى ضوء هذه الأحاديث التربوية والآثار النبوية يتقرر :

أولاً : إن كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، أسكر أو لم يسكر ، وسواء اتخذ من عنب أو تمر أو زبيب أو قمح أو شعير أو تين أو أرز أو ذرة أو عسل أو لبن أو غيرها مما يسكر ، ولا عبرة بالتسمية فقد أخبر الرسول ﷺ فيما رواه أبو مالك الأشعرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها » رواه الإمام أحمد وأبو داود .

ثانياً : عصير الشعير المسئول عنه ، إذا ثبت بعد تحليله خلوه من المواد المسكرة وأنه غير مسكر قليله وكثيره وعدم تأثير كثيره فى هذا سواء ، فإنه لا يدخل فى دائرة الخمر المحرمة ، أما إذا ثبت بالتحليل أنه يحتوى على مادة الكحول الموجودة فى الخمر المحرمة فى القرآن والسنة ، فإنه يكون من الأشربة المسكرة والتى يحرم تناول قليلها وكثيرها لثبوت وجود علة التحريم وهى الإسكار وهذا لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وما حرم تعاطيه حرم التعامل فيه بيعا وشراء ورهنا واستبدالاً ومن ثم لا يجوز استيراده ولا بيعه ولا أكل ثمنه لقول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الخمر : « إن الذى حرم شربها حرم بيعها وأكل ثمنها » .
وهذا إذا كان الحال كما جاء بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) سورة المائدة (١٩)

ب

متى تستبعد حضانة الأم ثم لمن تئول بعدها ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر سؤال من المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ متضمنا انه لظروف قهرية فارق زوجه بطلاق بائن ، وأن له منها طفلاً يبلغ من العمر عاماً واحداً ، وان من اسباب الطلاق شروع زوجته فى الانتحار عدة مرات بشرب جرعات كبيرة من الأدوية ، او بإلقاء نفسها من شرفة المسكن قصداً إلى الانتحار ، وانها ادمنت الدخان « السجاير » ، وتخرج من المنزل دون إذن وفى منتصف الليل وأثناء غيبته عن المنزل ، وتتلفظ بالفاظ قبيحة وسيئة وقد اقرت بحدوث كل ذلك منها كتابة وشهد بذلك والدها وأخواتها ، وأودع مع سؤاله أوراقاً طبية ومحررات أخرى استدل بها على ماقال ، واضاف ان هناك أموراً كثيرة يتوقف عن ذكرها باعتبارها اما لطفله وكانت زوجاً له .

فهل يحق لهذه المطلقة بحالتها هذه حضانة طفلهما شرعا ؟

والجواب

إن الحضانة مأخوذة من الحضن وهو الجنب .

يقال : حضن الصبى يحضنه حضنا وحضانة ، أى جعله فى حضنه وضمه إلى صدره .

وفى هذا معنى إمساك الولد وتربيته منذ أول وجوده مولودا ، وفى اصطلاح الفقهاء : الحضانة تربية الولد فى سن معينة ، ورعاية شئونه ممن له حق الحضانة شرعا من النساء أو الرجال .

هل الحضانة حق للصغير أم للحاضن ؟

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذا : فذهب الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى أنها حق الحاضنة لاحتمال عدم قدرتها فلا تجبر عليها إلا إذا تعينت لذلك ، بأن لم يوجد غيرها أو لم يكن لوالد الصغير ولا للصغير ذاته مال ، ذلك رعاية لحقه .

وفى قول البعض الآخر من الحنفية أن الحضانة حق الصغير ، ومن ثم تجبر الأم على الحضانة حتى لا يضيع حق الولد ، وهو موافق لأحد أقوال فقهاء المالكية .

وفى « مواهب الجليل » للحطاب المالكى أن الحضانة حق للحاضن ـ وللمحضون وليست حقا خالصا

لايهما ، ويرون أن حق الولد أقوى وهذا ما نميل للافتاء به ، فإذا أسقطت الحاضنة حقها تعرض الصغير للضرر ولحاجته إلى من يعنى به ويحافظ عليه ويقوم على شئونه فتجبر إذا تعينت .

● **حق الحاضنة :**

الأصل أن تكون الحضانة للنساء منذ ولادة الطفل ، لتميزهن بالشفقة والحنو والصبر على رعاية الطفل فى سنى عمره الأولى .

والأم أحق النساء بحضانة ولدها مالم يقم بها مانع ، ثم قرابتها من النساء مقدمون على الأب وقرابته فى ترتيب هذا الحق .

ويشترط فى الحاضنة أن تكون حرة عاقلة قادرة على تدبير مصالح المحضون والمحافظة عليه ، خالية مما يعجزها أو يصيب الولد بأذى ، كالمرض المعدى أو المنفر أو الشيخوخة ، والا تكون مشغولة بما يمنعها عن تمام الرعاية والعناية بالطفل بأن كانت كثيرة الخروج من المنزل سواء بسبب مشروع أو غير مشروع ، وأن تكون أمينة مأمونة عليه فى خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ، والا تكون متزوجة بغير محرم له .

● **مدة الحضانة :**

لم يشر القرآن ولا السنة النبوية لأمد تنتهى فيه الحضانة ، ومن ثم اختلفت كلمة الفقهاء .

فيرى الحنفية أن حضانة النساء للطفل منذ ولادته وحتى بلوغه السابعة من العمر على القول المفتى به ، وفى قول فى المذهب حتى التاسعة .

ويرى الفقه المالكى أن الصبى يبقى مع الأم أو من يحل محلها من النساء حتى يبلغ الحلم ، وعندئذ يذهب حيث يشاء ، أما الأنثى فتبقى مع الأم حتى تتزوج ويدخل بها الزوج ..

وعند الشافعية أن الولد ذكرا كان أم أنثى يبقى فى حضانة النساء حتى يبلغ سن التمييز ، وهى السابعة وعندها يخير بين أبويه أو بين من يحل محل كل منهما أو أحدهما .. وعند الحنابلة أن حضانة النساء تنتهى ببلوغ الغلام السابعة وبعدها يخير بين أبويه وهو صحيح المذهب ، وحتى تبلغ الأنثى التاسعة من العمر على المشهور فى هذا المذهب ـ وبعدها يكون الأب أحق بها من غير تخيير لها .

● **من يحل محل الأم :**

إذا فقدت الأم أو قام بها مانع من الحضانة كانت حضانة الطفل لأمها متى توافرت فيها الشروط .

وفى واقعة السؤال : إذا كانت والدة الطفل على هذه الحال التى وصفت بالسؤال وتشعر بها الأوراق المرفقة من اضطرابها نفسيا بإقدامها على الشروع فى الانتحار ، بتعاطى جرعات دوائية مميتة وبمحاولتها القفز إلى الشارع من شرفة المنزل وقد أدمنت « الدخان » السجاير ، وكثر خروجها من المنزل ليلاً ونهاراً كانت بهذا غير أهل لحضانة طفل لايزال فى عامه الثانى ، خشية الإضرار به ، أو وقوع الضرر عليه ، والحضانة صيانة ورعاية وحفظ لا إهمال وإضرار . وإذا كان غالب حال هذه المطلقة كما وصفت أصبحت غير أمينة وغير مأمونة على هذا الطفل من حيث العناية بأموره وما اكثرها فى هذه السن وكان تعرضه للضرر أمراً غالبا ، ومن قواعد الإسلام دفع الضرر ومنعه كما ورد فى المأثور عن الرسول ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » .

ولا تؤول حضانة هذا الطفل وهو لايزال فى سن حضانة النساء ـ إلى أبيه السائل إلا إذا امتنعت النساء التاليات لهذه الأم عن حضانته ، أو قام بهن مانع مقبول شرعا أو قعدن عن المطالبة .

وهذا إذا كان الحال كما جاء بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

« جاد الحق على جاد الحق »

مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

حديث صحفى لجريدة البيان

التى تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة

أجرى الحديث
فضيلة الشيخ مهدى عبد الحميد

السؤال الأول :

ماتقييم فضيلتكم لمقررات مؤتمر علماء الإسلام الذى شاركتم فيه مؤخرا ونظمته رابطة العالم الإسلامى ؟

جـ١ :ـ لقد كان هذا المؤتمر فى موقع المسئولية من أحداث أمته بالدراسة الموضوعية والمقررات والتوصيات الواضحة المستمدة من مصادر الإسلام التشريعية .. فقد ادان هذا المؤتمر العدوان العراقى على الكويت باعتباره اعتداء على حرمات المسلمين فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

السؤال الثانى :

ما رأى فضيلتكم فى استمرار العراق وإصراره على احتلال الكويت تحت دعوى حقوقه التاريخية فيها ، وأنها تمثل جزءا من أراضى العراق ؟

جـ ٢ : إن تلبيس العدوان بدعوى الحقوق التاريخية أمر ينقضه الواقع التاريخى وقد كتب فى ذلك الكثيرون من المؤرخين المعاصرين ، وقالوا : إن العراق بوصفه الحالى ككيان سياسى نشأ بعد الكويت ..

وذلك أمر يؤيد صدقه ، أن الدول القائمة فى المنطقة بحدود سياسية كلها كانت داخلة فى نطاق الدولة الإسلامية الكبرى التى قامت منذ عصر الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ ومن جاء من بعدهم من الدولة الأموية والعباسية بأمرائها المتعاقبين .. ثم الخلافة العثمانية التركية .. ومن ثم .. فلم تكن الكويت من تبعيات العراق فى أى وقت من الأوقات كما يُدعى الآن تبريرا للعدوان .. على أنه ينبغى أن يراعى منطق العصر ، واحترام الكيانات السياسية المعترف بها دوليا . فلاتكون الوحدة أو الاندماج إلا عن تراض .. كالصورة المعاصرة التى تمت بها الوحدة الألمانية ، إذ بالرغم من أن ألمانيا قد انقسمت بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين معترف بهما دوليا ، وكل منهما تشترك فى حلف عسكرى قوى ، لكن كلا منهما قد احترمت الوضع السياسى للأخرى إلى أن توافرت ضمانات الوحدة الرضائية بينهما فتمت .. وكان هذا أولى به المسلمون المتجاورون .. نزولا على أحكام الإسلام التى أرست حقوق الجوار ، وفرضت الأمن والأمان بين الجيران .. فحرم الإسلام ترويع المسلم حتى بمجرد الإشارة بالسلاح .. كما حرم اغتصاب أرضه وعرضه وماله .. فما وقع على الكويت من عدوان هو جرم كبير فى ميزان الإسلام .

السؤال الثالث :ـ

ماوجهة نظر الإسلام فيما يدعيه الرئيس صدام حسين من إعادة توزيع الثروات بين شعوب المنطقة ؟

جـ ٣ : إن الإسلام قد وضع نظام التكافل بين المسلمين كمبدأ عام فى مثل قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(١) وفرض تفصيلات جزئية تحتذى فى تطبيق هذا المبدأ وليس مما أقره الإسلام اغتصاب الثروات لتوزيعها .. فما وقع من العراق ضد الكويت إنما هو من باب الصيال واغتصاب الأموال بقوة السلاح ، ولم يشرع الإسلام هذا الطريق ، لأن العدوان معصية ، ولايتوسل بمعصية إلى إحسان .. وبمعنى آخر ، فإن الإسلام يبتغى الوسيلة الصالحة للعمل الصالح ، ولايقر المقولة الشائعة من أن الغاية تبرر الوسيلة ثم ماموقع قادة العراق من أصحاب الثروات حتى يستولوا عليها لتوزيعها بين الشعوب ؟؟

وهل فعلوا ذلك لشعب العراق ؟

السؤال الرابع :ـ

حاول الرئيس صدام حسين أن يثير الغبار بشأن استعانة المملكة العربية السعودية ودول الخليج بقوات أجنبية للمشاركة فى الدفاع عن أراضيها ضد أى عدوان .
فما وجهة نظر فضيلتكم بهذا الشأن ؟

جـ ٤ : هذا أمر بحثه مؤتمر علماء المسلمين فى مكة المكرمة ، وأصدر وثيقة مكة .. كما أصدر توصياته ، وتداول فى شرعية الاستعانة بغير المسلم ، وأجازها للضرورة أخذا بما وقع فعلا فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والضرورة قائمة فعلا بعد العدوان المباغت على الكويت ، والتهيؤ

(١) المائدة ٢ .

حديث صحفي مع فضيلة الامام الأكبر لجريدة البيان

لامتداد العدوان إلى المملكة العربية السعودية بحشد القوات على حدودها ، والتهديد العلنى الصريح الموجه للمملكة العربية السعودية ودول الخليج على مانشر فى الصحف .

وإذا كانت أحكام الشريعة تبيح لمن أصابته غصة أن يزيلها بجرعة من الخمر عند عدم وجود الحلال من الشراب ترد عليه نفسه حفظا لحياته .. فعلى مثالها يكون الدفاع عن النفس ، وتكون الاستعانة فى ذلك بأية قوة تدفع المغير المعتدى حفاظا على النفس والمال والعرض مادامت لاتوجد قوة مسلمة تقف فى وجه العدوان وتردعه .. والاستعانة فى هذه الحال موقوتة بضرورتها .. ومن هذه الضرورة إزالة العدوان على الكويت .

السؤال الخامس :ـ

ما الدور الذى ينبغى أن تقوم به شعوب وحكام الدول العربية والإسلامية تجاه تحرير الكويت من غزو العراق ؟

جـ ٥ : إن ماحدث من عدوان العراق على الكويت ، واغتصاب أرضه وعرضه وماله أمر منكور فى الإسلام ، ويدخل تحت حكم الصيال ، ووجوب دفع الصائل .. كما يمتد إليه حكم البغى ، ووجوب قتال البغاة المنوه عنه فى القرآن الكريم .. بقول الله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .(٢) .

وهذا الأمر بالقتال موجه إلى الكافة من المسلمين ، لكن المعنى به ـ ولاسيما فى عصرنا ـ هم من يملكون قوة القتال الدافعة وهم الحكام والحكومات ، وهذا لايمنع تطوع الأفراد من الشعوب الإسلامية فى صفوف المقاتلين لدفع البغى والعدوان .

السؤال السادس :ـ

تقييم فضيلتكم لموقف المجتمع الدولى من الغزو العراقى للكويت فى ضوء مقررات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى الصادرة بهذا الشأن ؟

جـ ٦ : لم يسبق ـ فيما أذكر ـ أن توافق رأى المجتمع الدولى فى الجملة على رأى واحد تجاه حدث من الأحداث التى وقعت فى العالم : كاجتماعه على مواجهة العدوان الذى قام به العراق ضد الكويت .. حيث اتخذ مجلس الأمن عدة قرارات ضد العراق ، حملا لها على الامتثال لرأى المجتمع الدولى فى الجلاء عن الكويت ، والتمكين من عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت .. وهذا موقف جدير بالتقدير لاسيما وقد سبق هذا مواقف من مؤتمر وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامى عشية العدوان ، ومجلس جامعة الدول العربية كذلك ، وغير هذا من المنظمات الإقليمية كمنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة دول عدم الانحياز . وكل ماصدر عن هذه المنظمات يرفض هذا العدوان ، والإصرار على إزالة ، وعودة الشرعية للكويت يمثل رأيا عاما للمجتمع الدولى جديرا بالاحترام .

---

(٢) الحجرات ٩

لقاء فضيلة الإمام الأكبر

والحاج عبد الحميد محمد أزور

وزير الدولة للشئون الإسلامية

فى سرى لانكا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، الحاج عبد الحميد محمد ازور وزير الدولة للشئون الإسلامية والثقافية فى دولة « سرى لانكا » ـ وذلك بمكتب فضيلته صباح اليوم الاثنين ١٠ ربيع الآخر ١٤١١ هـ الموافق ٢٩ اكتوبر ١٩٩٠ .

وقد بدأ اللقاء بالترحيب والشكر ..

ثم أعرب السيد الوزير عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر ، واشار إلى ان الصلة وثيقة بين « الأزهر » و« سرى لانكا » ، حيث انه يوجد كثير من العلماء الذين تخرجوا فى الأزهر من ابناء « سرى لانكا » ، كما ان الأزهر يرسل علماءه للعمل فى مجالات التدريس والدعوة الإسلامية فى البلاد .

وقال السيد الوزير : إنه يحمل تحيات السيد رئيس جمهورية « سرى لانكا » وابناء المسلمين لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر ، وانهم هناك يتمنون لقاء فضيلته ، وانهم سيرسلون دعوة رسمية لفضيلة الإمام لزيارة « سرى لانكا » لحضور الاحتفال بمرور مائة عام على إنشاء المدارس العربية الإسلامية التى أسسها عرابى باشا عام ١٨٩١ فى البلاد .

وفى استفسار من فضيلة الإمام الأكبر عن المستوى العلمى والدراسى فى « سرى لانكا » أجاب السيد الوزير أنه توجد مدارس « الغفورية » و« القاسمية » و« ندوة العلماء » وهى مراحل دراسية تبدأ من سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، ومدة الدراسة ثمانى سنوات ليتخرج منها الدارس فى مستوى الطالب الجامعى .

لقاء الإمام الأكبر مع الحاج عبدالحميد أزور

هذا وبعد أن أوضح السيد الوزير أن منصبه كوزير دولة للشئون الإسلامية والثقافية منصب جديد لرعاية النواحى الثقافية والدينية للمسلمين فى « سرى لانكا » ـ طلب سيادته مساعدة الأزهر فى المجالات الدراسية والدينية والعلمية للمدارس العربية والإسلامية هناك .

فقال فضيلة الإمام الأكبر بأنه يمكن إرسال تقرير واف عن هذه المدارس ومراحلها التعليمية ومناهجها الدراسية حتى يتسنى النصح وإبداء الرأى والنظر فى إمدادها بالمدرسين والكتب والمواد المساعدة فى النواحى الدراسية الأخرى .

● **اوضاع المسلمين :**

وحول أوضاع المسلمين فى « سرى لانكا » ونسبتهم وعددهم بالنسبة للسكان والمشاكل التى يواجهونها قال السيد الوزير : إن عدد مسلمى سرى لانكا يبلغ ١,٢ مليون نسمة ونسبتهم إلى عدد السكان ٨٪ من مجموع تعداد السكان ويسكنون فى تسع مناطق ، منها سبع مناطق يعيشون فيها دون مشاكل ولا قلاقل فى حين أن المنطقتين الباقيتين تقعان بين جماعات التاميل الذين يسمون انفسهم بالنمور ، وهم دائماً يهددون المسلمين ويضطهدونهم بسبب عدم تأييدهم لجماعات التاميل ، الانفصالية ، ونحن ـ المسلمين ـ أخذنا على أنفسنا ألا نؤيد الحركات الانفصالية ، ومن هنا يحدث الاضطهاد من جانب التاميل هذا وقد هرب آلاف من المسلمين وفروا من هذه الاضطهادات تاركين منازلهم ومساجدهم وزواياهم وقد اتخذتها جماعات التاميل معاقل لهم ومخازن لأسلحتهم .

وعن نشاطات المسلمين فى « سرى لانكا » وأماكن تجمعهم ، قال السيد الوزير : إن ثلث عدد المسلمين يسكن فى الإقليم الشرقى من الجزر ويشتغلون بالزراعة فى أراضيهم التى يمتلكونها ، أما الثلثان الباقيان فيعملون فى الحرف الأخرى وفى التدريس وفى التجارة وللمسلمين فى « كولومبو » مراكز تجارية كاملة منذ أيام دخول العرب والحضارمة والمغاربة للبلاد .

ثم قال السيد الوزير : إن الصلة بين مصر وسرى لانكا قوية منذ نفى الزعيم عرابى إلى البلاد واعتباره بطلاً واستقباله استقبال الأبطال ، وقد ساهم عرابى فى النهضة الثقافية والتعليمية للبلاد مساهمة كبيرة ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف الكبير ، وقال : إن الأزهر يسعده مد يد المساعدة للمسلمين فى كل مكان ولأبناء المسلمين فى سرى لانكا .

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

والله الموفق .

حضر اللقاء
احمد عبد الخالق محمد
المترجم بمكتب شيخ الازهر

من الإسلاميات

سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء

ندوة عالمية عن الإمام الشافعي

رضي الله عنه

جامعة القرويين في المغرب

الصحابي الجليل أبو هريرة

من رجال القضاء في الإسلام

الجديد القديم في عالمنا الشرقي

سبحانه وتعالى

ليس كمثله شىء

للدكتور محمود محمد رسلان

إذا كانت معرفة الله واجبة على البشر جميعاً ، فهى فى حق المسلم والمسلمة اوجب فمعرفة الله سبحانه امر ضرورى ، إذ بها يتحدد موقف المسلم من الخالق ـ سبحانه ـ سلبا او إيجابا : سلبا بان تكون لديه وسائل المعرفة فيهملها ، او يتجاهلها ، او لا يفهمها ، وايجابا باستخدام وسائل المعرفة المخولة لديه لمعرفة الخالق سبحانه ، ومن هذه الوسائل التفكير العقلى النابع من هدى الكتاب والسنة ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(1) .

ولقد فسر الإسلام مسألة العقيدة فى (الله) بما لا يدع مجالا للشك ، أو التردد ، ومما لا ريب فيه أن هذه المسألة من المسائل الصعبة التى تلاعبت بها أهواء أهل الملل ، فذهبوا فيها مذاهب شتى ، وحكموا الهوى فيها إلى مدى بعيد ، كأن الخالق مخلوق مثلهم تجرى عليه الأحكام التى تجرى عليهم ، أو هو ـ تعالى عما يقولون ـ مما يمكن تناوله بهذا العقل الكليل .

إن هذا الدين قد سدد على ذويه جميع السبل التى تؤدى إلى ذلك الفضول المزرى بكرامة العقول(2) ففى الكتاب العزيز يقول ـ عز وجل : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ طه : ١١٠ .

وهذا كقوله تعالى :
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ البقرة : ٢٥٥ .

(1) طه : ١٢٣ .
(2) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح تحليل دقيق لمبادىء الدين الإسلامى ص ٢٢ .

ووجد رسول الله ﷺ يقول :

« إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وأن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » .

أى أن الملأ الأعلى وهم فى عالم الروح ليطلبون العلم بالله كما نطلبه نحن ، وإن اختلفنا فى وسائل التحصيل هذا الاختلاف الكبير ، فلا عجب أن أصبح القول بالعجز عن معرفة ذات الله - فى غير ما حدثنا الله - تعالى - به عن ذاته - عقيدة إسلامية .

ونسب إلى الإمام على - كرم الله وجهه - القول :

« كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم ، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم ، وقدروك على الحلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم ، وأشهد أن من ساواك بشىء من خلقك فقد عدل بك ، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك . ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك ، وأنت أنت الله الذى لم تتناه فى العقول فتكون فى مهب مكرها مكيفا ، ولا فى روايات خواطرها فتكون محدودا مصرفا»[3] .

إن عقيدة المسلم الراسخة عنده أن الله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى : ١١ .

فالذى يعتقد فى هذا الباب أن الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه ، وعلىّ صفاته ، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ، ولا يشبه به ، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى إذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق ، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك ، وكفى فى هذا قول الحق : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

قال بعض العلماء المحققين :

التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات ، وزاد الواسطى رحمه الله بيانا فقال :

ليس كذاته ذات ، ولا كاسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته إلا من جهة موافقة اللفظ ، وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة ، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم[4] .

والمسلم يعلم علم اليقين وعين اليقين أن ذات الله سبحانه لا تشبه الذوات ، وصفاته لا تشبه الصفات .

وتأمل وتدبر الفرق بين الحياتين ، والصفتين فيما يلى :

«إن حياة الله تعالى ذاتية ، وحياة الإنسان من الله تعالى ، إن حياة الله تعالى أزلية ، وحياة الإنسان حادثة ، إن حياة الله تعالى لا تفارقه وحياة الإنسان تفارقه حين يموت .

إن حياة الله تعالى هى التى تفيض الحياة على كل حى ، وحياة الإنسان خاصة به ، وكذلك العلم والتدبير والإرادة ، والنظام كل ذلك ناقص فى الإنسان ، والله تعالى منزه عن النقص ، وإليه ينتهى الكمال المطلق فى ذاته وصفاته»[5] .

حقا «ليس كمثله شىء» .

فمخالفة الذات الإلهية لغيرها من المحدثات ظاهرة ، والبداهة تقضى بأن مرتبة المخلوق دون مرتبة الخالق بكثير ، وأن الخالق كذلك لا يشبه شيئاً من خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ، فإذا قيل : إن الله يسمع فليس سمعه كسمعنا ، أو

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) تفسير القرطبى : ٨٢٨/٧ سورة الشورى ط الشعب .

(٥) نقلا عن تفسير المنار جـ ٢٤/٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

سبحانه وتعالى : ليس كمثله شىء

يبصر ، فليس بصره كبصرنا ، فهو سبحانه غير مخلوقاته ، وشأن الألوهية اسمى مما تتصوره العقول القاصرة[٦] .

يقول الشيخ محمد عبده :

«فالفكر فى ذات الخالق هو طلب للاكتناه من جهة ، وهو ممتنع على العقل البشرى لما علمت عن انقطاع النسبة بين الوجودَيْن ولاستحالة التركيب فى ذاته وتطاول إلى ما لا تبلغه القوة البشرية من جهة أخرى ، فهو عبث ومهلكة :

عبث لأنه سعى إلى ما لا يدرك ، ومهلكة لأنه يؤدى إلى الخبط فى الاعتقاد ، لأنه تحديد لما لا يجوز تحديده ، وحصر لما لا يصح حصره»[٧] .

وهذه العقيدة لدى المسلمين هى التى أرغمت المفكرين ـ من أصحاب التثليث فى العالم الغربى على إعادة النظر فى عصرنا الحالى ، فكتب سبعة من كبار علماء اللاهوت فى انجلترا كتابهم (خرافة الإله المتجسد) كذلك كتب الدكتور ماريت ستانلى كودج عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية .

«ومما لاشك فيه أننا نحتاج فى محاولتنا لوصف الخالق ، ومعرفة صفاته إلى مصطلحات ومعان تختلف اختلافا بينا عن تلك التى نستخدمها عندما نصف عالم الماديات وبخاصة بعد أن تبين لنا أن هذا الكون الذى نعيش فيه لا يمكن أن يكون مادة صرفا ، وإنما هو مادة وروح ، أو مادة وغير مادة ولا نستطيع أن نصف الأشياء غير المادية بالأوصاف المادية وحدها»[٨] .

فكيف ـ إذاً ـ يستطيع إنسان وصف الحى القيوم ـ سبحانه .

لقد ضلت أجيال قصر فهمها ـ حين تحدثت عن الخالق ـ جل وعلا ـ فحصرت أفكارها فيما تعرف وتعلم بقدر ما هى عليه من بشرية ، وبنفس الوسائل بحثت فى (الله) فكان الضلال المبين من عبادة للأوثان ، إلى حلول ، إلى جحود فإلحاد ، وما ذلك إلا من منطلق حدود العلم البشرى الذى لم يرتق به وحى السماء .

أما الإسلام فقد رد الأمر إلى نصابه ، وأتى بالقول الفصل فى حقيقة الله ، ودحض كل الشبهات والأباطيل التى رانت على العقول حول الاعتقاد فى الله .

فالإسلام يبرهن على أن للكون خالقا واحدا متصفا بجميع صفات الكمال ، ويدعو بأن نجله عن التشبيه والتجسيد ، وعن كل صفات المخلوقين وهذا ما نراه فى الآيات القرآنية التى وصفت الله بهذه الأوصاف من مثال قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام : ١٠٣ .

والرسول ﷺ أمر بالتفكير فى مخلوقات الله ، ونهى عن التفكير فى ذات الله فقال : «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله»[٩] .

وقال أيضاً :

«تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله» .[١٠]

وهذا الذى قرره الإسلام من تنزيه لخالق الكون لم تصل إليه أرقى الفلسفات إلا بعد الإسلام بقرون كثيرة فنشوؤه فى جزيرة العرب فى ذلك العهد دليل على أن القرآن وحى إلهى[١١] لا سبيل إلى رده .

(٦) عفيف طبارة : روح الدين الإسلامى ص ١٠٩ ط السادسة والعشرون ١٩٨٥ دار العلم للملايين بيروت .
(٧) رسالة التوحيد : ٦١ ، ١٠ .
(٨) نقلا عن روح الدين الإسلامى ص ١٠٩ .
(٩) رواه الطبرانى .
(١٠) رواه البيهقى .
(١١) روح الدين الإسلامى ص ١١٠ .

في كوالالمبور

ندوة عالمية عن:

الإمام الشافعي

للأستاذ الدكتور
محمد الدسوقي

تحرص المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) على إقامة الندوات التى تتناول بالبحث والدرس حياة الأعلام من المفكرين المسلمين وتراثهم العلمي ، وذلك إيماناً منها بان النهضة الإسلامية المعاصرة ينبغي ان تستمد من عطاء أولئك الأعلام ما يسدد خطاها ، ويحقق اهدافها ، ويحول دون انحرافها عن غايتها ومهمتها المقدسة .

وقد أقامت المنظمة فى السنوات الأخيرة ندوات عن الأئمة : الغزالى ومسلم والطبري ، وأقامت فى الصيف الماضي ندوة عن الإمام الشافعي ، بمدينة كوالالمبور عاصمة ماليزيا فى المدة من ٢٢ ـ ٢٤ من المحرم سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٢ ـ ١٥ من اغسطس سنة ١٩٩٠ .

المنظمة الاسلامية

ويجدر قبل الحديث عن هذه الندوة التى اشترك فيها عدد كبير من العلماء والمفكرين ـ تقديم تعريف موجز بالمنظمة الإسلامية ، فربما

نـدوة عالمية عن الإمام الشافعى

كان القارىء على غير دراية كافية بهذه المنظمة ورسالتها الثقافية والتربوية .

إن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم مؤسسة علمية أنشئت فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى وفقا للقرار الصادر عن المؤتمر الحادى عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ..

وقد جاء فى ديباجة ميثاق إنشاء هذه المنظمة :

« إن الدين الإسلامى أصبح فى عالم كثير التغيرات ، متواصل التقلبات قوةً ثابتة من أعظم القوى الروحية والأخلاقية والسياسية التى أدت ولازالت وستظل تؤدى دوراً بالغ الأهمية على الصعيد العالمى ، وهو دور سيتعزز على مر السنين ، وعلى امتداد الأحقاب . إن هذا الشأو الذى بلغه هذا الدين الحنيف لدليل على أن الإسلام ليس عقيدة فحسب ، بل هو أيضا ثقافة وحضارة وفلسفة ، فضلا عن كونه رؤية إنسانية شاملة ، ونبراسا للحياة ، وقدوة فى العمل ..

وتقول الديباجة أيضا : وقد أصبح لزاما على كل مسلم وعلى الأمة الإسلامية جمعاء أن تطلق العنان لطاقاتها الكامنة ؛ لتكون جديرة بماضيها المجيد وخليقة بأن تتحمل مسئولياتها حاضرا ومستقبلا ، وتثبت وجودها فى عالم تتربص به (الأيديولوجيات) الإلحادية ، أو العدمية ، وتمزقه الصراعات المتعاقبة ، والأزمات المتوالية ..

ويبدو مما أوردته من ديباجة المنظمة الإسلامية أن العالم الإسلامى أدرك وهو فى معركة الصراع نحو الاستقلال بمفهومه الصحيح أنه فى حاجة ماسة إلى هيئة علمية يكون لها دورها الفاعل فى الدفاع عن مبادىء الإسلام ، والتمكين لثقافة هذا الدين فى مختلف المجالات ، وفى إقامة تعاون وثيق بين كل المؤسسات الفكرية والعلمية فى الدول الإسلامية ..

وقد تحددت لهذه المنظمة مجموعة من الأهداف ، أهمها :

١ ـ تقوية وتوثيق التعاون بين الدول الأعضاء فى مجال التربية والعلوم والثقافة ، وجعل الثقافة الإسلامية محور المناهج التعليمية فى جميع المراحل .

٢ ـ دعم الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وحماية استقلالية الفكر الإسلامى ضد عناصر الغزو الثقافى بصورها المتباينة .

٣ ـ تشجيع التعاون بين الدول الأعضاء فى مجالات البحوث العلمية التطبيقية ، واستخدام (التكنولوجيا) المتطورة فى إطار القيم والمثل العليا الإسلامية الثابتة ، والمحافظة على معالم الحضارة الإسلامية وخصائصها المتميزة .

٤ ـ حماية الأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية بكل السبل والوسائل .

٥ ـ دعم التفاهم بين شعوب العالم والعمل على حفظ السلام والأمن بكل وسيلة ممكنة ، وبخاصة من خلال التربية والعلوم والثقافة .

٦ ـ التنسيق بين المؤسسات المتخصصة فى الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى فى مجالات التربية والعلوم والثقافة وكل الدول الأعضاء فى هذه المنظمة ، تدعيما للتضامن والتكامل الثقافى فى العالم الإسلامى ..

وقامت المنظمة منذ إنشائها ، وفى هذه السنوات المعدودات من عمرها بجهد طيب فى خدمة تلك الأهداف ، على الرغم من الصعوبات التى تواجهها ، وفى مقدمتها قلة الموارد المادية .

وكان الاحتفاء بأعلام الفكر الإسلامى ، والإشادة بما خلفوه من تراث علمى من وسائل المنظمة فى القيام برسالتها ، وربط حاضر الأمة بماضيها على هدى وبصيرة ..

ندوة الإمام الشافعى :

وفى العاصمة الماليزية فى الصيف الماضى احتفت المنظمة بالإمام الشافعى بإقامة ندوة عالمية عن حياة هذا الإمام وفكره الأصولى والفقهى ..

جلسة الافتتاح :

وفى الجلسة الافتتاحية لهذه الندوة ألقى الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجرى المدير العام المساعد فى الثقافة بالمنظمة كلمة نيابة عن مديرها العام الأستاذ عبد الهادى أبو طالب ، قدم فى مستهلها الشكر الجزيل ، والامتنان العميق للحكومة الماليزية على دعمها للمنظمة ، وللجامعة الإسلامية العالمية على استضافة الندوة ، ولكل من ساهم من العلماء والمفكرين فيها ، ثم أشار إلى اهتمام المنظمة بالاحتفاء بأعلام المفكرين المسلمين ، مبينا أن الشافعى واحد من أبرزهم ، ويكفى دلالة على منزلة هذا الإمام أنه أول من دون علم الأصول ، ذلك العلم الذى يعد المنهج الأمثل للاجتهاد واستنباط الأحكام ، وختم كلمته بقوله : إن احتفاءنا بذكرى هذا الإمام الجليل فرصة لتطوير الاجتهاد وتنظيمه ، ليؤدى رسالته فى اثراء حياة الأمة ، وليحفظ لتشريعاتنا استقلالها ، وسلامتها من تأثيرات الفكر الوضعى .

وتحدث بعد هذا الأستاذ أنور إبراهيم وزير التربية الماليزى فذكر أن الأمة الإسلامية فى حاضرها يجب أن يكون لديها وعى تاريخى سليم بماضيها حتى لا تقع ضحية للإفراط فى الحنين إلى هذا الماضى ، ومن ثم يجب على العلماء أن ينهضوا بمسئولية الاجتهاد وفق مقاييس علمية تجمع بين الماضى والحاضر ، أو التراث والمعاصرة .

وإذا كان على العلماء أن يطوروا مناهج البحث والاجتهاد فإن عليهم أيضا أن يربطوا بين تطوير هذه المناهج ، والقيم الروحية الإسلامية حتى لايكون للمفاهيم العلمانية ، أو الاتجاهات الفكرية الغربية أثر فى حياتنا أو وجودنا ..

وألقى بعد ذلك الدكتور عبد الحميد أبو سليمان مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا كلمة تحدث فيها عن الإمام الشافعى ، وأسس تجديد منهاج التشريع الإسلامى ، وقد انصب حديثه على قضية الاجتهاد ، ووجوب أن يكون متصلا بالواقع ومؤثرا فيه وهذا يقتضى وجوب تطوير وسائل الاجتهاد حتى لايظل مشدودا إلى التراث دون اهتمام بما يجد فى حياة الناس .

وأنهى مدير الجامعة كلمته بالإشارة إلى أن آثار الاجتهاد تظل كصرخة فى واد مالم تتحول إلى تطبيق حى ، والتزام عملى من خلال المؤسسات التشريعية الشورية ..

الجلستان الأولى والثانية :

وفى جلستى العمل الأولى والثانية تناول الباحثون موضوع المحور الأول من الندوة ، وهو (الإمام الشافعى عصره وحياته وثقافته) ، وقد عرضت البحوث المقدمة حول هذا المحور من الأساتذة : محمد رشيد إبراهيم ، والدكتور عبد المعطى بيومى ، والدكتور ستريه أفندى ، والدكتور محمد عثمان سيسى ، والدكتور دكورى أبو بكر ، والدكتور عباس يونس ـ عرضت لكل ما يتعلق بالشافعى منذ ولادته يتيما فى غزة سنة : (١٥٠ هـ) وإلى وفاته بمصر سنة : (٢٠٤ هـ) ، واهتمت بصفة خاصة بمصادر ثقافته ، وتنوع معارفه ومواهبه العلمية واستقلاله بمذهب فقهى كان له دوره فى التقريب بين المذاهب .

وجاء البحث الذى قدمه الدكتور السيد رزق الطويل فى الجلسة الثانية عن لغة الشافعى ، وأثرها فى آرائه الفقهية والأصولية ، وقد بين أن

ندوة عالمية عن الإمام الشافعي

الشافعى إمام فى اللغة والأدب كما هو إمام فى الفقه والأصول ، وأن ثقافة هذا الإمام اللغوية انعكست على آرائه الاجتهادية .

الجلسة الثالثة :

وخصصت جلسة العمل الثالثة للمحور الثانى ، وهو الإمام الشافعى واضع أصول الفقه ، وقد تحدث فى هذا المحور كل من الدكتور رواس قلعه جى ، والدكتور محمد المختار ولد أباه ، والدكتور عبد الوهاب أبو سليمان ، والدكتور عبد المجيد الشرقى ، والدكتور محمد الأزرق ، والدكتور محمد رأفت عثمان وتناولت بحوث هذا المحور فى مجملها ، نشأة علم أصول الفقه ، وريادة الإمام الشافعى فى تدوين هذا العلم ، وتأصيل أهم قضاياه ، كما ألقت الضوء على بعض القضايا الأصولية كالمصلحة ، وقد أثار بحث الدكتور الشرقى جدلا حاميا بين المشاركين فى الندوة ، لما تضمنه من مسائل خلافية خطيرة .

الجلسة الرابعة :

جلسة العمل الرابعة عن (مذهب الإمام الشافعى بين المذاهب الإسلامية) وقد تنوعت موضوعات البحوث التى دارت حول هذا المحور . فقد تعرض الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة فى دراسته عن المذهب الشافعى بين المذاهب الفقهية لنشأة الفقه وتطوره ، ومدارسه وخصائص كل مذهب ، موضحا ما انفرد به الإمام الشافعى من أصول اجتهادية متميزة .

وتناول كاتب هذه السطور فى بحثه عن الجانب الاقتصادى فى فقه الإمام الشافعى أهمية آراء هذا الإمام فى مجال التنمية الاقتصادية مؤكداً أن الفقه الإسلامى عرض لقضايا الاقتصاد ؛ خلافا لما يذهب إليه الاستشراق من أن هذا الفقه لم يهتم بتلك القضايا .

وتحدث الدكتور عبد الحليم محمدى عن الاختلاف الفقهى وتطوره فى ماليزيا ، وقد بين فى القسم الأول من بحثه تاريخ الخلاف الفقهى بوجه عام مع الإشارة إلى أهم ما ألف فى هذا الموضوع ، وتكلم بعد هذا عن المذهب الشافعى ، فى ماليزيا منذ القرن الخامس عشر الميلادى وحتى الآن موضحا أسباب الاختلافات بين فقهاء هذا المذهب .

وأما الشيخ على عيسى محمد فقد تكلم عن جهود فقهاء المذهب الشافعى فى خدمة السنة ، وقد أكد ما قام به إمام المذهب من دفاع مجيد عن السنة حتى اشتهر بناصر السنة ، وأن فقهاء المذهب من بعده توفروا على خدمة السنة جمعا وتدوينا وشرحا .

وحظيت (نظرية الاجتهاد) عند الإمام الشافعى ببحث أعده الأستاذ محمد يوسف الفاروقى ، وقد تناول فى هذا البحث أسس تلك النظرية وتطبيقاتها وأثرها فى الفقه الإسلامى ..

وعن دور الإمام الشافعى فى دراسة المدارس الفقهية ونقدها ووضع الأصول التى تقرب بينها تحدث الدكتور ظفر إسحاق الأنصارى ؛ وقد أومأ فى غضون بحثه إلى أثر العادات والعرف فى تطور المذهب الشافعى ..

ثم كان الدور الأخير عن أثر المذهب الشافعى فى العالم الإسلامى وخارجه ، وفيه قدم كل من الدكتور محمد كمال حسن ، والدكتور تان سرى أحمد إبراهيم ، والدكتور محمود سعيدون بحثا مشتركا حول انتشار الإسلام فى أرخبيل الملايو ، وأثر المذهب الشافعى على التعليم الدينى والتشريع القانونى فى الملايو ، وقد أوضح البحث مراحل انتشار الإسلام فى الأرخبيل ؛ وكيف

نشأت المراكز الإسلامية فيه ، وتأثير الفقه الشافعى فى القوانين الماليزية ...

وتحدث الدكتور محمد سعيد البوطى عن أثر الشافعى على الفقه الإسلامى ماضيه وحاضره ، وقد أومأ فى مستهل حديثه إلى ما امتاز به الشافعى من تدوين علم الأصول ، ووضع الموازين الدقيقة للقواعد الاستنباطية للاجتهاد الفقهى ، ثم أشار إلى أثر هذا الإمام فى مقاومة الفكر الاعتزالى قديما والفكر العلمانى حديثا .

وجاء بحث السيد داود عثمان عن المذهب الشافعى فى جزر القمر ، وقد بين تاريخ دخول المذهب فى هذه الجزر ، وانتشاره فيها ، وختم بحثه بالدعوة إلى الاعتصام العملى بتعاليم الإسلام .

ثم تحدث السيد على الشيخ عن المذهب الشافعى فى الصومال ، وقد عرض أولا لدخول الإسلام وانتشاره فى الصومال ، وبين بعد ذلك أهم المدارس التى قامت على أساس المذهب الشافعى ، وبعض المؤلفات التى كتبها علماء صوماليون فى فقه هذا المذهب .

ودرس الدكتور محمد أحمد غازى ، أثر مبادىء الإمام الشافعى على القانون الدولى ، وسرد فى مستهل دراسته أهم المؤلفات فى موضوع القانون الدولى من وجهة النظر الإسلامية ، ثم فصل القول بعض التفصيل فيما كتبه الإمام الشافعى فى الأم عن علاقة المسلمين بغيرهم فى السلم والحرب .

وكان آخر بحث ألقى فى الندوة هو بحث الدكتور جعفر عبد السلام وعنوانه « عوامل انتشار المذهب الشافعى » وقد أجمل الدكتور جعفر هذه العوامل فى نسب الإمام وبلاغته ورحلاته وسهولة مذهبه ويسره وقيامه على أسس منطقية واضحة ، ثم جهد تلاميذه من بعده .

خلاصة :

ويتضح من هذا العرض العام لما ألقى فى ندوة الإمام الشافعى من أبحاث أن هذه الندوة قد تناولت بالبحث العلمى حياة الشافعى ومذهبه ، كما تناولت الربط بين فقه هذا الإمام وواقعنا التشريعى والاجتهادى ، ومن ثم حققت الغاية منها ، فقد جمعت بين دراسة الماضى ومشكلات الحاضر ، وأكدت أننا أمة لاتستغنى فى عصرها الحاضر عن تاريخها الفكرى الغابر ، ولهذا جاءت توصيات الندوة فى إطار الدعوة إلى مزيد من الاهتمام بالتراث الفقهى كله ، تحقيقا وتصنيفا وطباعة ودراسة وتقنينا ، واحتفاء بكل أعلامه ، وكذلك الدعوة إلى تقوية أواصر التعاون بين الجامعات الإسلامية خدمة للغة القرآن ، والتراث الإسلامى المجيد الذى بدد غياهب العصور الوسطى وأنار للبشرية طريق الحضارة الحديثة .. حتى تقوم نهضتنا المعاصرة على دعائم راسخة من القيم والمبادىء الإسلامية الخالدة ، فذلك وحده سبيل الأصالة والعزة والكرامة ..

واود فى نهاية هذه الكلمة ان اسجل للشعب الماليزى المسلم عواطفه الأخوية الكريمة ، وحبه العميق للدول الإسلامية ، وهو حب منبثق عن إيمانه وصدق يقينه ، وهذا يقتضى من الهيئات العلمية الإسلامية ذات التاريخ العريق ان تمد هذا الشعب وغيره من شعوب جنوب شرق آسيا بالعلماء والمفكرين الذين يجاهدون فى سبيل الحق ، ويمكنون للغة القرآن وتعاليم الإسلام بين هـذه الشعـوب التى يخطط التبشـير والاستشراق لغزوها معنويا ، ومحاربتها فى عقيدتها وإسلامها .

إنه واجب مقدس يفرضه علينا ديننا ، واعتقد ان الأزهر بمؤسساته العلمية جدير بقيادة هذا المدد لتلك الشعوب ، فهى تكن له كل تقدير وولاء وحب .

إنه فى نظرها جامعة الإسلام الأولى ، وحصنه الذى يذود عنه كيد الكائدين ، ومكر المنافقين ، وحقد الطامعين .

وعد الله لا يتخلف

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

(سورة النور ـ ٥٥)

وهذا الوعد الصادق من الله العلى القوى بثلاثة أمور هى أسمى ما تتمناه أمة تنشد العزة والسيادة والرفعة والسعادة إذا أخلصت دينها لله الذى لا يخلف الميعاد .

الأمر الأول

الاستخلاف فى الأرض ، هو أمل الأقوياء المخلصين وأمنية الأتقياء المؤمنين فى كل وقت وحين وتلك هى سنة الله فى الأولين والآخرين من عباد الله الصالحين ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، فلقد استخلف الذين من قبلهم جزاء إيمانهم وصدقهم ، وذلك لأن الله لا يضيع أجر المحسنين وهو القائل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (سورة النحل ـ ٩٧) .

والمستحقون لرضوان الله هم الذين جاهدوا فى الله حق جهاده فصبروا وصابرو وصدقوا وثابروا فعرفوا للوقت قيمته ، وللعلم ثمرته ، وللعمر غايته :

إن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى .

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ

لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ « سورة العنكبوت ٢ - ٣ »

ولقد أدرك السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أهداف الرسالة المحمدية فاعتصموا بحبل الله جميعا ولم يتفرقوا ؛ وقد استمسكوا بالعروة الوثقى لما آمنوا بأن الله لا يقبل المسلمين متقطعين فى الأرض أمما ، وأدركوا أن عزتهم مستمدة من عزة الإسلام الذى يقول للمسلمين : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ . . ﴾ « سورة الأعراف - ٩٦ » .

الإخلاص عطاء إيجابى

إن أية جماعة تخلص فى عملها لله سيجعل الله لها السيادة ويحقق لها السعادة والعزة والقوة والمنعة والمجد والرفعة ، لأن قوتها من ذاتها يساندها إيمان راسخ وعقيدة سليمة بريئة من الرياء والالتواء ، لأن عقيدة الإسلام ليست معقدة وأخلاقه كريمة وشمائله عظيمة ، فالصدق سجية المسلمين ، والأمانة صفة المتقين والإخلاص طريقهم إلى الله رب العالمين .

وكم صنع الإسلام فى الأيام الأولى رجالاً وكون أبطالاً ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ . . . ﴾ لأنهم كانوا صورة للإسلام تمشى على الأرض هونا : وإذا تحقق للمسلمين الاستخلاف فى الأرض فكانوا أجلاء بجلال الحق ، أقوياء بقوة الإيمان - امتلأت بهم الدنيا عدلا وأمنا وسلاما .. فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، كما جاء وصفهم فى القرآن الكريم الذى أضاء الطريق أمام من شاء أن يهتدى إلى سواء السبيل ، والقرآن قادر فى كل وقت وحين على أن يؤسس بنيان الحياة على تقوى من الله ورضوان ليعمر المسلمون الأرض بالعمل الصالح الذى ينفع الناس ويسعد المجتمعات فيكون فى الأوقات بركة وخيرا ، والله قد جعل الإنسان خليفة فى الأرض ليعمرها ، ولتكون رسالته نافعة وأعماله ناجحة وأفكاره ناضجة ، فلا تعرف همته للكسل سبيلاً ولا للفشل طريقاً ، فيزدهر الاقتصاد ويتحقق الإنتاج وتكون للمسلمين كلمة مسموعة ، لأن سلطانهم بيدهم لا بيد أعدائهم .

الإنفاق فى سبيل الله

ويقول الله تعالى :

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ « سورة الحديد - ٧ » .

وبهذا يأمر الله المستخلفين فى أرض الله بالإنفاق من مال الله لوجه الله تعالى ، مثل بناء وتعمير المساجد للراكع والساجد ، وفى كل ما يعود على المجتمع بالنفع العام ، وذلك لأن المجتمع كالجسد الواحد والأفراد كالأعضاء . فلا يمكن للفرد أن يعيش منفرداً وحده بعيداً عن المجتمع ، فإذا قدم الفرد عملاً للصالح العام فهو يخدم نفسه لأنه عضو فى المجتمع الذى يعيش فيه :

ولقد وعد الله المنفقين بخير كثير ووعد الشاكرين بحفظ النعمة فى أيديهم وزيادة : ﴿ . . . . لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . ﴾ .

ورحم الله القائل :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يَذْهَب العُرْفُ بين الله والناس

إن الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا يأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، وبألا نفسد فى الأرض بعد إصلاحها ، وبأن نتعلم من أولى الخبرة والمعرفة من غيرنا مايدفعنا إلى التقدم فى

وعـــد اللـــه لا يتخلـــف

شئون الدنيا لخدمة المسلمين فما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وما أقبح الكفر والكسل والفشل والإفلاس بالناس الذين لا يريدون تأسيس الحياة على العمل للدين وللدنيا معا، فكرهوا أن يتعلموا علوم العمران والمعارف التى تريهم آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم .

ولكى يعيش المسلمون فى عزة الأقوياء عليهم أن يعدوا ما استطاعوا من قوة لإرهاب عدو الله وعدو المؤمنين وكل معتد أثيم من الطغاة المعتدين والبغاة الطامعين .

ثروتان

وإن الإنسان والوقت ثروتان هائلتان لاستثمار أدوات الإنتاج على أكمل وجه، ولا يستطيع المصنع أن يعمل وحده، فلا تستخرج كنوز الأرض بنفسها لتكون على ظهر الأرض إلا الإنسان والوقت والذى يرجوه الإسلام من المسلم هو أن يعمل لاستثمار ما سخره الله له من ماء وهواء وحقل ومعادن وجو وبر وبحر .. وكائنات كثيرة وبهذا يكون المسلم قويا، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. لأن الضعف أول الطريق إلى الإهمال، والإهمال أقصر طريق إلى الفقر المخيف المذل، ونعوذ بالله من الذل والفقر والهوان ولهذا كانت تربية الإنسان من المهد إلى اللحد من أعظم القربات عند الله تعالى : « ولأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » .

وإن المعادن الأصيلة هى التى تبنى الأمم لأن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وقد يكون المرء أمة فى رجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً .. ﴾ وإنما يتم بناء الأمم بالأقوياء من أبنائها أولى الصدق فى القول والفعل، فكم سعدت البشرية برجل منحه الله حب الخير للغير فامتلأت حياته بركة لنفسه ولغيره .

ولقد صنع الإسلام صورا فى أيامه الأولى يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها، وذلك لأن الإسلام ليس فى حاجة إلى كثرة كغثاء السيل، ولكنه فى حاجة إلى رجال يخلصون فى تأدية رسالته الخالدة السامية إلى الإنسانية ويحملونها إلى العالمين بأمانة وهمة وذمة وتكون الدعوة إلى الله مخلصة والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ « سورة فصلت ـ ٣٣ » وبالدعوة الصادقة الحقة يعلم أهل الأرض أن الإسلام قد نظم شئون الدنيا والدين . وبهذا يؤدى خلفاء الله فى أرضه رسالته وهى أسمى الرسالات وأعظمها قوة، والله يقول : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ .. ﴾ « سورة آل عمران ـ ١١٠ » .

خيـــر الأمـــم

وبهذا النص القرآنى الخالد يتبين أن أمة الإسلام خير الأمم وأنها أخرجت للناس لقيادة النفوس والقلوب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتلك هى طبيعة الأمة المحمدية فى حقيقة وجودها، فهى الأمة التى بيدها المؤهلات الخيرية وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله، وعلى هذه القواعد يحقق المسلمون رسالة الإسلام التى سعدت بها الدنيا بالقدوة الحسنة والموعظة الحسنة، لأن الإسلام ينتشر بالقدوة كما ينتشر بالدعوة، وقدوة المسلمين أجمعين فى كل مكان وزمان هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أما منهج الدعوة فهو كتاب الله الخالد الذى لا يتبدل ولا يتغير لكيلا يتبدل الناس

ولا يتغيروا : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ وقد تكفل الله بنصر من ينصر دينه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ « سورة محمد ـ ٧ » ، ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ «سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣» .

ذلك لأن الضعفاء هم بنصر الله أقوياء ، والأقوياء بخذلان الله ضعفاء .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾ (سورة آل عمران ١٦٠) .

والإيمان هو الضابط وهو الأساس وهو المقياس وهو الحافز على النهوض بالمجتمع المسلم نحو البناء والازدهار ، لا نحو الشقاق والهدم والدمار بسبب التمزق والتفرق الذى يمقته الإسلام ويأباه ، فهو دين يقول للمسلمين .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران ـ ١٠٣) .

إن الإسلام منهج نظيف للحياة الطاهرة التى لا غنى للبشر عنها : فهو المنهج الذى لا يضل متبعه ولا يشقى ولا يذل ولا يخزى .

الأمــر الثانـــى

هو أن يمكن الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات دينهم الذى ارتضى لهم ، ما أعظم أن يرى المتقون دينهم قد انتشر ومنهج القرآن قد انتصر ، ويومئذ تكون الدعوة الإسلامية قد حققت أهدافها بعون من الله الذى يدافع عن الذين آمنوا الذين قاموا بنشر دينه حتى أظهره الله على الدين كله ، لما كان الله ورسوله أحب للمؤمنين مما سواهما وذلك لأن المرء لا يحيا قلبه إلا بالإيمان السليم الذى يخالط الأرواح ويمتزج بالدماء ويستقر فى النفوس الطاهرة البريئة من أدران الرذائل ومطامع الدنيا ومن نسيان الحق والهدى ، لأن معنى أن يسود الإسلام هو ما يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (سورة الفتح ٢٨) .

ولقد رسم الإسلام صورة حية للأمة المحمدية فى القرآن الكريم وكذا فى التوراة وفى الإنجيل والله يقول : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح ـ ٢٩) .

الإسلام لا يحابى كسولا ولا يجامل جهولا

وإذا استخلف المؤمنون فى أرض الله ، عليهم أن يؤدوا واجب الحياة عليهم بأن يؤمنوا إيمانا صادقا مع الله ومع النفس ومع الناس وأن يستقيموا استقامة كاملة جادة نافعة .

«قل آمنت بالله ثم استقم» وبهذا يمكن للدين فى نفوس الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتسود مبادئه وتعاليمه وتؤمن عقيدته وتطبق شريعته الباقية الصامدة الخالدة إلى شرعها الله لسياسة الإصلاح الاجتماعى لكيلا يوجد فى المجتمع الإسلامى منحرف لأن الإسلام نظيف جاء من عند الله ليطهر المجتمعات من رجس الفسوق والعصيان والكفر والطغيان ، وذلك لأن النفاق والعقيدة ضلال مبين وكفر برب العالمين .

رحماء بينهم

والمؤمنون حقا ـ من صفاتهم أنهم رحماء بينهم وهذا دليل الدين المكين فى قلوب المتقين فى مجتمع المستقيمين من عباد الله الصالحين .

والرحمة قبس من نور فى قلوب الأبرار وكوكب

وعـــد اللـــه لا يتخلـف

درى فى سماء الإنسانية المثالية وقد جاءت الرحمة غاية رسالة قائد لخلق إلى الخلق المبعوث رحمة للعالمين .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فقد كان ﷺ بالمؤمنين رحيما .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة ١٢٨)

فهو الرحمة المهداة وهو الرحمة نفسها كما قال هو عن نفسه :

«إنما أنا الرحمة المهداة» أما رحمة الله فقد وسعت كل شيء وهو القائل : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأعراف ١٥٦ ـ ١٥٧) إن رحمة الله مشروطة باتباع الرسول ومرتبطة بالتراحم بين الناس ومنها رحمة الإنسان بنفسه وبوالديه وبالأقربين وبالجار والناس أجمعين .

ومن رحمة الإنسان بنفسه أن يزكيها وبألا يظلمها لأن من ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء ، لأن الله قد كرم ابن آدم فجعله أفضل المخلوقات حيث جعله خليفته فى أرضه وأرسل له رسلا مبشرين ومنذرين ، وختم الرسالات الإلهية بالإسلام الحنيف الذى كلف الله به كل مسلم أن يرحم نفسه بألا تذل رقبته إلا لله ، وألا يركع لأحد سواه فلا ذل ولا استكانة ولا استسلام للهوان لأن الله يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (سورة النساء ـ ٩٧) .

ولا ريب أنه لا يجتمع فى قلب امرىء مسلم إيمان وهوان ، لأن القلب التقى قوى أبى عزيز عفيف :

من يهن يسهل الهوان عليه
مـــالجـــرح بمـــيت ايـــلام

والإسلام دين العزة والوحدة والقوة والرحمة .

الأمر الثالث

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا

الأمن نعمة من نعم الله الكبرى التى كرم الله بها أول بيت وضع للناس بمكة لراحة حجاج هذا البيت وتأمينهم ليؤدوا شعائر الله عند البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ والبيت العتيق العريق ملتقى الوافدين إليه من كل فج عميق ، من جميع أقطار الأرض ، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد رجا ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا فاستجاب الله الدعاء وحقق له الرجاء . إذ قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ فقال الله عز وجل :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ (سورة البقرة ١٢٥) .

وقال جل جلاله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (سورة آل عمران ٩٦ ـ ٩٧) والله يقول ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ

حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ (سورة القصص ٥٧) .

وقد وصف الله مكة بأنها البلد الأمين ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ . . ﴾ (سورة التين ٣) والأمين جزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام - ٨٢) .

الخوف والجوع عقوبتان

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل - ١١٢) .

والأمن يبدأ أولا بين الإنسان ونفسه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (سورة الرعد - ٢٨) .

ثم بين الإنسان ووالديه : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وبين الإنسان وجاره وأقاربه : ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ إلى قول الله ﴿ ... وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ (سورة النساء - ٣٦) .

وبين الإنسان والناس وهذا يتحقق بمكارم الأخلاق من حب لله ورسوله وللمؤمنين وبالأمانة والصدق والعدل وبالإيثار لا الأثرة .

بالإيمان يتاكد الأمن ويتجدد السلم

الإيمان بالله هو الدرع الواقى من الضرر والخطر ، ولو أنصف الناس لاستراح القاضى ، ولو أنصف الناس لارتبطوا بربهم سرا وعلانية لأنه علام الغيوب ، ولأن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء فالطير يسبح بحمد الله ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ (سورة النور - ٤١) .

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (سورة الإسراء - ٤٤)

إنه لاملجأ من الله إلا إليه : فهو المعطى المانع الضار النافع الخالق الرازق : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يس - ٣٦) ذلك لأن الإيمان بالله هو أول شىء دعا إليه رسول الله - ﷺ - قومه : لأن الله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الحديد - ٣) .

ولقد بين الله لهم أن الله هو الذى أنشأ الوجود كله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة الأنعام - ١٠١ - ١٠٣) .

ولايعتبر مؤمنا من لم يؤمن برسل الله عليهم السلام - من قصهم علينا القرآن ومن لم يقصصهم علينا : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (سورة البقرة - ٢٨٥) .

وبعــد

فهذه منحة من الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات إنجازا لوعد الله تعالى ووعد الله حق لأن الله لايخلف الميعاد ، ويجب أن نعلم علم اليقين أن هذه الدنيا لاتصلح بغير دين الله ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (سورة محمد - ٢)

وعــد الله لا يتخلــف

أرايت كيف يكون جزاء المتقين عند ربهم فى دنيا الناس ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ؟ ثم أرايت ماوعد به أهل الإيمان والعمل الصالح فى هذه الآية الكريمة . من استخلاف فى الأرض ، وتمكين الدين الذى ارتضاه لهم ربنا : والأمن من بعد الخوف ؟؟؟ : والله عنده حسن الثواب فليتذكر أولو الألباب وليعتبر أولو الأبصار وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم بالارتباط الوثيق بربهم ، وهذا يتأكد بمراقبة الله وخشيته وبره وطاعته ليسود الخير ويعم البر ويتوارى الضرر ويختفى الخطر ، وتعمر الأرض بطهارة السلوك وحسن السيرة وجميل الإيثار وصنع المعروف والاستماع إلى النصيحة والعمل بكتاب الله وتدبر آياته البينات بخشوع وخشية وتدبر ، وذلك ليرى الناس الحق حقا والباطل باطلا لتستقيم حركة الحياة . والله يقول : ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة الأعراف ـ ٣٥) .

وهل يدرك الشاردون من الهدى المبتعدون عن إلههم أن الله يدعوهم إلى المعرفة فيسوق إليهم الأدلة تلو الأدلة ليثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربهم خالق كل شىء ، فلا إله غيره ، ولارب سواه ، وهو القاهر فوق عباده فلا ملجأ منه إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّاكَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَايَعْلَمُونَ. أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّاتَذَكَّرُونَ. أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة النمل ـ ٥٩ ـ ٦٤) .

هذه التساؤلات يوجهها القرآن الكريم لأولئك الذين جعلوا أصابعهم فى آذانهم فصمت عن سماع الحق وعميت أعينهم عن رؤية الهداية والنور ، فأغلقوا قلوبهم وعقولهم واتخذ كل إلهه هواه ومنهم من أضله الله على علم مع وضوح الأدلة وشهادة البينات على أن الإله واحد لاشريك له : ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ. رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَابَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ (سورة الصافات ٤ ـ ٥) .

الإسلام يوجه العقول للنظر فى الألوان

والإسلام يدعو الأبصار والبصائر إلى التفكر فى ملكوت الله ليأخذ العقل سبيله إلى معرفة الخالق البارىء المصور الذى كل شى عنده بمقدار ، ومن ثم يقتنع من كان له قلب بأن التوحيد هو الحق المبين ، ولكنك : ﴿ لَاتُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَاتُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ. وَمَاأَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾(سورة النمل ـ ٨٠ ـ ٨١) والله يقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وهكذا يصحح الإسلام حركة الحياة ويطهر الاعتقاد من الإلحاد ، ويدعو البشر جميعا إلى التأمل والتعقل والتفكر فلا حجر على العقل فى الإسلام ، فهو يقول للعقل انطلق واسبح كما شئت ولكن احذر الغرق !!!

داء النفوس ودواؤها

النفس البشرية قد تصاب بداء خطير وشر مستطير حينما تكون أمارة بالسوء : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ فيكون صاحبها شقيا قلقا مضطربا حائرا ..

والدواء النافع لهذه النفس أن تزكى بالإيمان وتستقيم بالعمل الصالح وحسن النية ونقاء السريرة ومراقبة الله والبعد عن خطوات الشيطان ونهى النفس عن الهوى : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (سورة الليل ـ ٤ ـ ١٠) .

وفي هذا دليل على أن الإنسان يمكنه أن يسيطر على نفسه ، فإن لم يغلبها بهداها غلبته بهواها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (سورة الشمس ٩ ـ ١٠) والله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النازعات ـ ٣٧ ـ ٤١) أما النفس اللوامة : فهى التى تلوم صاحبها عندما يقدم على شر يجعله يرتكب إثما : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ . والمسلم حينما يستفتى قلبه فيؤنبه الوازع الدينى ويحذره أو يعاتبه أو يعاقبه ويحاسبه إنما وقع فى خطيئة . أو جريمة أو مخالفة لدين الله الخالد الذى يطهر النفس من الذنوب والعيوب ، والنفس علاجها يسير غير عسير ، لأن التقوى تزكى النفس ، وتطهر القلوب وتشرح الصدر وترفع القدر والله يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (سورة الأعلى ـ ١٤ ـ ١٥) أما النفس المطمئنة : فحسبها أن يقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

تامين النفس من اخطار الذنوب

كل مسلم يتطلع إلى نيل ماوعد الله به المتقين من الاستخلاف فى الأرض وتمكين الدين فى قلوب المتقين ، والأمن النفسى والاجتماعى والغذائى : لأنه لو تم ذلك لسعد الناس فى حياتهم وسادوا ، لأن الله معهم ، ولابد من الاستقامة الدائمة التى يعرضها الإسلام على أتباعه وبها تطمئن القلوب وتنشرح الصدور ، ومن ثم يكون الإيمان قائدا للنفوس يرشدها إلى مكارم الأخلاق ومنها الصدق والأمانة والإخلاص لله .

تجنب صحبة الأشرار

ودليل الاستقامة ، تجنب أصدقاء السوء والالتزام بصحبة الأخيار الأبرار الأطهار ، لأن المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل ، وإنما يعرف المرء بخليله ويقاس بجليسه ، والإسلام قد علمنا أن التقوى تنفع الذرية وتعمر الديار وعلمنا أن الذكرى تنفع المؤمنين ، ولكن الفسق مدمر ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ والله يقول :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (سورة النازعات ٣٧ ـ ٤١) .

ويقول جل جلاله للمسلمين :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة ـ ٢٥) .

من معالم حضارة الإسلام

جامعة القرويين في المغرب

(٢)

للأستاذ الدكتور
أحمد الحفناوى

ولقد واجه العلماء والطلاب مرارة السخرية بهم والاحتقار لما ينسبون إليه ولكنهم تحملوا كل الذى وجه إليهم باسم التقدم حينا وباسم المدنية والحضارة حينا آخر ،

كما تحملوا عبء الطائفية التى حدثت وقويت بين المثقفين فى المغرب فى هذه الأثناء والتى كان قد وضع بذورها المستعمر باسم (الجديد) فى مقابل ماهو قديم ينتسبون إليه ويعيشون فى ظله ..

فى هذه الفترة وبينما النقاش والحوار مستمر بين دعاة التوحيد فى البرامج التعليمية فى أطوارها الأولى وبين علماء القرويين ....

تمكن الأستاذ « الفاسى » من نقل طور القرويين الثانوى من داخل المسجد إلى بناية جديدة جهزت بالمقاعد الضرورية والوحدات الطبية مما أدى إلى ارتفاع عدد الطلبة إلى نحو أربعة آلاف ، وزيد فى عدد مأويهم المشتملة على المياه الكافية والإنارة ووزعت عليهم منح ، ووظف عدد من المتخصصين للسهر على العناية بمدارس سكنى الطلبة كما نقل طلبة النهائى إلى بناية خاصة تتصل بالمسجد ، وبعد إنشاء الحى الجامعى فى « فاس » انتقل إليه طلاب « القرويين » .

وعلى أثر المشروع الذى تقدمت به رابطة علماء المغرب (١٩٦١ م) إلى الملك « الحسن » الثانى أصدر جلالته مرسوما ملكيا بإقرار جامعة القرويين وإنشاء كليات : « الشريعة » « وأصول الدين » و« اللغة العربية » ومدة الدراسة فى كل كلية ثلاث سنوات ثم رئى فى (١٩٧٠ م) تمديد فترة الدراسة فى الكليات إلى « أربع سنوات » وأصبحت « جامعة القرويين » جامعة حديثة تشتمل على : الكليات السابقة الذكر إلى جانب « دار الحديث السنية » وهى بمثابة معهد للدراسات العليا فى العلوم الإسلامية واللغوية والأدب العالى ، وقد أنشئت عام (١٩٦٤ م)

بمرسوم ملكى رقم ٦٨ ـ ١٨٧ فى ١٦/٨/٦٨.(١)(٢)

وللجامعة روافد تبلغ ثمانية عشر معهداً (١٨) معهدا منتشرة فى جميع انحاء المغرب ويزاول طلاب القرويين كافة النشاطات : رياضية واجتماعية وفنية وثقافية ، وتستقبل الجامعة العديد من طلاب : أفريقية وآسيا تؤهلهم لحمل الأمانة إلى أهليهم وأوطانهم وإن كنا نأمل أن تدعم « القرويين » أكثر وأكثر من جانب المسئولين المغاربة لتستطيع أداء دورها بإيجابية أكثر فى هذا الميدان .

ولقد أصبحت العطلات والموارد المالية والنظم الإدارية والامتحانات موحدة فيها وفى غيرها من المؤسسات التعليمية المغربية .

من ثمار « القرويين »

لقد كتب علماء القرويين العديد من المؤلفات فى التفسير والحديث والفقه وأصوله والأدب العربى واللغة والتاريخ والمنطق وعلم النجوم والطب وتزدان المكتبة العربية بـ"عديد من هذه المؤلفات مما يعطى الباحث فكرة عن تاريخ القرويين الفكرى ..

كما نبغ من رجالاتها العديد من الأعلام نذكر منهم : « أبا عمران الفاسى » و« المعاقرى » و« على بن حرزهم » و« عثمان السلالجى » و« ابن الياسمين » و « أبا حفص ابن عمر » و« أبا العباس الجراوى » و« أبا موسى الجزولى » و« ابن مشيش » و« المزدغى » و« المراكشى » و« ابن رشيد » و« ابن أجروم » و« ابن الحاج » و« أبا العباس الجزنائى » و« المكودى » و« الشيخ زروق » و« البيستى » و « أبا القاسم الوزير » و « عبد العزيز القشتالى » و « ابن عاشر » و « القصار » و« الرودانى » و« الحسن اليوسى » و« ابن زاكور » و« ابن الطيب العلمى » و« ابن عبد السلام بنانى » و« ابن الطيب اللغوى » و« أبا العلاء العراقى » و« ابن الونان » و« الشيخ التاودى بن سودة » و« الشيخ ابن كيران » و« الرهونى » و« حمدون بن الحاج » و« الفقيه كنون »(٣) و« الشيخ الإمام أبا شعيب الدكالى » و« محمد بن العربى العلوى » و« محمد عبد الكريم الخطابى » و« محمد الفاسى » و« الزعيم علال الفاسى » و« العلامة عبد الله كنون » و« الصحفى الكبير عبد الكريم غلاب » .

هؤلاء وغيرهم ممن خرجتهم « القرويين » وازدانت بهم الحركة العلمية والفكرية التحريرية بالمغرب الأقصى والتى يرجع الفضل إليها فى الحفاظ على الصبغة العربية الإسلامية لهذا الجزء العزيز من الأمة العربية .

دور القرويين :

قامت جامعة القرويين بدور أساسى فى تحرير المغرب ، حيث كانت منبع (الحركة السلفية) التى تطورت إلى (حركة وطنية) ، قاومت الاستعمار وسياسته وحطمت أحلامه وحافظت على وحدة المغرب الأقصى عربا وبربراً ، وبالرغم من صنوف الاضطهاد التى وجهت للقرويين فإن المغاربة عموما ، وعلماء « القرويين » بوجه خاص ، لم يتوقفوا عن المقاومة . بل انهم فى سبيل دفاعهم عن الوطن تحملوا السجن والاعتقال والنفى والعديد من صنوف الإذلال ، وليس خافياً على أحد ما قام به الاستعمار الفرنسى من تطويق جيوشه « لجامع القرويين »

(١) ، (٢) مذكرة رابطة علماء المغرب إلى جلالة الملك الحسن الثانى بهذا الخصوص . ط . تطوان .. تفضل بإهدائها إلى كاتب هذه الدراسة الشيخ الفاضل عبد الله كنون أمين عام رابطة علماء المغرب عام ١٩٧٣ .

(٣) وهو جد فضيلة الشيخ عبد الله كنون ، أمين عام رابطة علماء المغرب ، رحمه الله !!

من معالم حضارة الاسلام

بالدبابات ، ورمى المجتمعين فيه للمقاومة برصاص الرشاشات والبنادق وقاومت « القرويين » المستعمر بلا هوادة ، وشهدت العديد من المؤتمرات التى عقدها الوطنيون ، ونظمت حركة المقاومة منذ بدايتها من بين أبنائها ..

وتاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ملىء بأنصع الصفحات التى سجلها كفاح علماء القرويين وطلابها ضد القوى الاستعمارية .

الا يكفينا دليلا أن حزب « الاستقلال » الذى قاد الحركة الوطنية هو الابن الشرعى « لجامعة القرويين » ؟

وإذا كانت القرويين قد أدت ماعليها تجاه تحرير المغرب فلقد قامت بدور لايمكن نكرانه فى نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية فى العديد من دول أفريقية ولاخلاف فى أن مراكز الثقافة الإسلامية فى غرب أفريقية ـ بوجه خاص ـ مثل « تمبكت » و « جنى » و« كَنُو » ومدينة « لجامعة القرويين » بالكثير من الجهود التى بذلتها فى هذا الشأن ، حتى الطرق الصوفية التى قامت بدور نشط فى هذا السبيل كانت تستمد مناهجها فى الدعوة ومعارفها عن الإسلام من الجامعة الفاسية .

لقد كان « لمكتبة القرويين الكبرى » دور عظيم ـ على مر العصور فى الحفاظ على كتب التراث وعيون المؤلفات والمخطوطات النادرة مما كان له فضل لاينكر فى الحفاظ على ثقافة الإسلام طوال هذه القرون بالرغم مما نزل « بالمغرب » من أحداث وما تعرض له من غزو أجنبى !

تقدير جهود القرويين :

لقد قامت « الجامعة القروية » برسالتها العلمية والفكرية فى مختلف العصور فنراها عرفت منذ القرن العاشر الميلادى إلى القرن الخامس عشر ، ازدهاراً منقطع النظير واكتسبت سمعة عظيمة فى أنحاء عديدة من العالم حيث قصدها الطلاب من أطراف ، أفريقية وحتَى من أوروبا .

لقد جد عليها منذ الاحتلال الفرنسى (١٩١٢ م) ـ وقبله بقليل ـ ما أصاب هذه الحياة العلمية والحركة الفكرية بشىء من الركود فنرى علماءها يلفظون الجوانب الرياضية والفلسفية والطبيعية من محيط التراث العربى الإسلامى حرصا منهم على البقاء فى دائرة المعرفة الدينية وحدها توفيراً للوقت فى سبيل العناية بها وحفظها من الضعف أو الضياع خصوصا أن الاستعمار كان يدأب على النيل منها .

كانت القرويين صورة واضحة وقوية للمقاومة العنيدة الفذة ضد أساليب التغريب والسيطرة من قبل المستعمرين ، لم تستسلم طوال تاريخها ، قاومت ، وقاومت حتى انتصرت وانتصر بها « المغرب » وحفظت عليه عروبته وإسلامه .

كذلك فقد ارتبطت رسالتها منذ أن أنشئت بالإسلام وثقافته وبالمعرفة العربية المتوارثة وعلى العموم بالتراث العربى الإسلامى ، وحملت عبء هذه الرسالة منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى حتى الآن . وأثقلت كاهلها مرة فأبطات السير بها وخفت عليها مرة أخرى فسارت بها قدما إلى الأمام ، وإذا كان « المغرب » وطنا عربيا ولغة سكانه هى العربية ودينهم هو الإسلام وتاريخهم الثقافى يتصل بأسلافهم الذين شاركوهم فى هذا التراث سواء أكانوا فى « المغرب » أم فى رقعة أخرى من الوطن العربى الإسلامى ، وإذا كان « المغرب » كذلك فإن

رسالة « القرويين » هى حمل مقومات الثقافة للمجتمع العربى الإسلامى فى المغرب الذى هو جزء من الوطن العربى الإسلامى الكبير ، ومن أجل هذا كانت مركزاً لهذا التراث القومى ، مركزا لهذا التراث الأصلى الذى تدور على أساسه حياة العرب فى توجههم وفى سعيهم فى الحياة بالمغرب ، فإذا ما اضطلعت « القرويين » بهذه الرسالة وحفظتها على الأقل من الضياع فقد أدت خدمة جليلة لهذا الوطن العربى ، وفى الوقت نفسه أدت خدمة جليلة لثقافة الإسلام ، ولايعيب القرويين أن تكون قد تعثرت فى السير أو تكون قد جمدت فترة من الزمان أو تكون قد اصطدمت بعقبات أو أزمات وغالبتها فغلبتها حينا ، وانتصرت عليها أحيانا ، فإنما تلك وقفة التقاط للأنفاس تؤدى إلى السعى الحثيث .

لايعيبها ذلك ؛ لأنها على كل حال ما أبطأت فى سيرها وماجمدت فى حركتها وما انهزمت فى مغالبة العقبات إلا من أجل هذا الوطن العربى ومن أجل الثقافة الإسلامية . لا يضير رجالها أن وجهت إليهم سهام النقد وكثير من النقائص والمعايب فلقد كانوا القوة لجامعة القرويين تغالب بها فتغلب أو تنتصر ، وكانوا الحافظين فى صدورهم لأصول هذا التراث العزيز وكانوا المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمه ، وكانوا الملقنين بألسنتهم للأجيال الجديدة تلك الثقافة وبذلك كانوا هم العمد التى قامت عليها تلك الثقافة . واتصل بوجودهم وجودها وبقاؤها .

لقد كان اعتماد الاستعمار الفرنسى للبقاء فى المغرب - إلى جانب الوجود العسكرى - على قطع الصلات بين الماضى والحاضر ، بين الأجيال التى تنشأ وبين ما لأسلافهم - من قبل - من ثقافة وتراث وأمجاد وتاريخ ، فبدأت العناية باللغة الفرنسية وقيم الحياة الغربية وبالتفكير الأوروبى ومنهجه حتى كاد العربى هناك ينسى ماضيه ويركز الفخر بحاضره ولم يكن هناك إهمال فحسب للغة العربية والتراث الإسلامى الروحى والعقلى ، وإنما كانت هناك سخرية واستخفاف بها وسخرية واستخفاف بالقائمين على أمرها وسخرية واستخفاف - إن همسا ولمزا وإن علانية - بمن يردد قيمها كما هى فى واقع أمرها ، أو يعتز بالانتساب إليها والتمسك بها . وهنا كان على (القرويين) أن تواجه هذا التحدى المقنع حينا والسافر أحيانا وكان عليها أن تقاوم هذا التخريب الموجه إلى أعز ماتملكه الأمة العربية ، والذى عليه وحده تقوم نهضتها يوم تواتيها الظروف للنهضة وهو الذى يمثل تراثها الروحى والعقلى وقيمها ومثلها فى الحياة ، ويمثل لغتها وتاريخها الحافل بالأمجاد والبطولات والملىء بأسباب الفخر والإعزاز .

لقد كافحت « القرويين » فى ثلاثة ميادين هى :

(أ) الإسلام (ب) اللغة العربية (جـ) التاريخ .

ففى مجال الإسلام كانت الدعوات الفكرية تحمل طابع التجديد فى الفكر الإسلامى وتنقيته من الزيف وفتح باب الاجتهاد والعودة به إلى منابعه الأولى وقد حملت دعوة الإسلام متحررة نقية ، من غير جمود ولاتحجر فجددت فكره وتراثه وكشفت عن بطولاته وأمجاده ، وقد ربت هذه الدعوة أجيالا من الشباب المثقف المؤمن المعتصم عن الشهوات الراغب فى الاستشهاد من أجل الحرية .

وفى مجال اللغة العربية دافعت القرويين أحر دفاع وأصدقه وقاومت ما وسعتها المقاومة كل تيارات التغريب والعامية والكتابة بالحروف اللاتينية ودفع اللغة الفرنسية إلى الأمام وأكدت أن اللغة العربية قادرة على البقاء وأنها حقيقة

من معالم حضارة الاسلام

بأن تكون لغة الحضارة والمدنية العصرية فلم تجمد عن قبول الألفاظ ، الجديدة بالنحت والاشتقاق أو التعريب .

وظلت الثقافة المغربية حقيقة بحماية القرويين وتنميتها والدفاع عنها طوال هذه الحقبة .

وفى مجال التاريخ ، قاومت « القرويين » كل مؤامرات الغرب وردت على كل ماوجه من اتهامات إلى التاريخ المغربى ، وعنى المؤرخون المغاربة بمقاومة الآراء التى تقوم على تمزيق الأمة المغربية ، أو التى حاولت رد نهضتها إلى الرومان وكان إيمان « القرويين » صادقاً بأهمية التاريخ فى بناء الأمة خلال أيام الاحتلال .

ولعل كتاب « النبوغ المغربى » الذى ألفه الأستاذ « عبد الله كنون » يمثل هذا الإيمان الصادق ، ذلك لأن هذا الكتاب وجد مقاومة عنيفة وصدر القرار العسكرى بمنع رواجة ومعاقبة من تضبط عنده نسخة وكتبت صحيفة « السعادة» لسان حال الحماية الفرنسية :

« صدر أمر يقضى بمنع الكتاب المعنون « بالنبوغ المغربى » الصادر باللغة العربية فى تطوان من الدخول إلى المنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى وبيعه وعرضه وتوزيعه » .

وثارت الصحف ضد هذا التدخل فى شئون الفكر وكتبت جرائد « الحرية » ، و« الوحدة المغربية » مقالات ملتهبة ، ومع ذلك ؛ فإن الكتاب لم يتوقف وترجم إلى الأسبانية وقوبل بالتقدير ومنحت وزارة المعارف مؤلفه ، دكتوراه شرف الآداب من جامعة « مدريد » .

لقد نجحت « القرويين » نجاحاً كبيراً فى الحفاظ على مقومات المجتمع المغربى وهى : « الإسلام » و« اللغة العربية » و« الشخصية المغربية » التى هى جزء من الأمة العربية الإسلامية وإذا كانت « القرويين » قد نجحت فى الحفاظ على ثقافة الإسلام وعلى الشخصية العربية الإسلامية للشعب المغربى طوال هذه القرون فإن رسالتها ـ مع غيرها من معاهد إعداد الدعاة فى أنحاء العالم الإسلامى ـ ومن الآن يجب أن تكون نشر الإسلام والتعريف به والدفاع عنه فى كافة البقاع . ذلك لأن القرويين فى « فاس » والأزهر فى « القاهرة » والجامعات الإسلامية فى « السعودية » والزيتونة فى « تونس » هى الذخائر التى تحمل معنى الإسلام فى ذهن المسلم يتجه إلى أى منها فى معنى عقيدته وشريعته ، ولم يقصر الأزهر فى مد المسلمين ـ وبخاصة فى أفريقية ـ بما يحتاجونه على قدر طاقته .. ولم تقصر الجامعات الإسلامية فى المملكة العربية السعودية في القيام بجهود متتابعة وملحوظة فى هذا الميدان ، وهذه الجهود كلها وإن كانت أقل مما يتطلبه الجهاد الروحى فى سبيل الإسلام ، إلا أننا نأمل أن يُمَكَّن « للقرويين » من أن تمد يدها لسائر الجامعات الإسلامية التى تقوم بخدمة العقيدة خارج نطاق العالم الإسلامى للتعاون معها فى هذا السبيل .. خصوصا أنها ـ أى القرويين ـ هى التى قامت بتأسيس « جمعية الجامعات الإسلامية » التى تضم سائر جامعات الإسلام ومقرها مدينة « فاس »[٤] .

إن الدول الاستعمارية بتراجعها عن العديد •

(٤) مجلة جمعية الجامعات الإسلامية ٧٢ ـ ١٩٧٣ م .

من الدول التى احتلتها تفتح الأبواب وتهيء الأسباب للمجاهدين فى سبيل ثقافة الإسلام وعقيدته ، فلابد إذاً من أن يُمَكِّنَ المغرب « للقرويين » فى هذه الأرض البكر بأن يمدها بالمال ويسندها بالنفوذ ليحقق لنفسه عن طريق الخير والحق ما كان يرجوه الاستعمار عن طريق الشر والباطل .

ماتستحقه « القرويين » :

إن بذل المال والجهد فى معونة « القرويين » يحرر أفريقية الوثنية ـ وغيرها من عبودية الروح والعقل والجسد ، وهو كسب سياسى ضخم حاول المستعمرون طويلاً أن ينالوه بالدهاء والإغراء والدماء والزمن فما استطاعوا ، ثم كانت عاقبتهم أن اجتثوا من فوق الأرض الطيبة كما يجتث النبات الطفيلى السام من حقول الحنطة ذلك بأنهم استعلوا على أصحاب الأرض فتميزوا عليهم بالقوة واستأثروا دونهم بالثروة ، وتركوهم للعرى والجوع والمرض والجهل والمشقة .

أما الإسلام فسيدخل فيهم دخول النور فى العين والسرور فى القلب والبرء فى السقم والنظام فى الفوضى .

إن « القرويين » من أهم المراكز الإسلامية فى مستقبل الحياة الأفريقية ، وقد آن لها أن تتحرك أكثر وأن يمكن لها أكثر وأكثر وإنى لمدرك تماماً أن الفرصة متاحة للعمل وأن الأرض مهيأة للزرع وأن « القرويين » مستعدة للبذر فما على « المغرب » إلا أن يسوق السحاب إلى النفوس الظمأى فترتوى ، وإلى الأرض الميتة فتحيا ويومئذ تلد أفريقية الرجال وتبرهن لأوروبا البيضاء أن المرء بجوهره لا بمظهره وأن جوهر الإنسان ، لايختلف باختلاف لونه فى الناس ولابتغير موقعه من الأرض .

إن « القرويين » لايصح لها ـ بأى حال ـ أن تقف بمعزل عن الصراع المخيف الذى يدور بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الأفريقيين فى أعماق القارة الغالية .

لايصح لسبب هام وبديهى ، هو أنها فى بلد أفريقى ولسوف تظل هذه الشعوب ، خاصة الموجودة منها فى غرب أفريقية ، تتطلع إليها وهى فى بلد يحرس الباب الشمالى الغربى للقارة ، والذى يعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .

لايصح بحال من الأحوال أن تتخلى عن مسئوليتها فى المعاونة بكل ما تستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق القارة العذراء ، والمؤكد أن أفريقية الآن مسرح لفوران عجيب مثير والرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوروبية يحاول التأثير بكل الوسائل ، ليضمن لنفسه الاستمرار فى استغلال ثروات القارة .

لايصح للقرويين أن تقف أمام الذى يجرى فى قارتها وتتصور أنه لايهمها ولايعنيها !!

ولسوف أظل أحلم باليوم الذى أجد فيه « القرويين » معهدا ضخماً للإسلام يسعى لكشف أسراره أمام عيون الوثنيين والملحدين . ويخلق فى عقولنا وعيا إسلاميا مستنيرا ويشارك مشاركة فعالة فى تحمل أمانة نشر الإسلام والدفاع عنه فى سائر البقاع .

إن « القرويين » بذلك تكون قد أدت ماعليها لشريعة الله ورسوله وما عليها للعصر الذى تعيشه .

ولعلى فى النهاية أستطيع أن أقرر الحقائق التالية : ـ

أولاً : إنه قامت عند مسلمى المغرب منذ أواخر القرن الثالث الهجرى مايمكن أن يسمى

من معالم حضارة الاسلام

بحركة جامعية كان لها أثرها الكبير ـ فيما بعد ـ فى خدمة الفكرة الجامعية وتطورها .

ثانيا : إن هذه الحركة الجامعية نبعت من « القرويين » ، ثم تمثلت فى دور العلم المنتشرة هنا وهناك فى أنحاء المغرب كفروع لها وبلغت ذروتها فى العصر الحديث بإقرار جامعيتها على النظام الحديث وهى بذلك إسلامية أصيلة نالت من التطور مايتفق وإسلامها .

ثالثاً : إن القرويين بلغت درجة كبيرة من حسن التنظيم الإدارى ورقى المناهج التعليمية وطرق الدراسة بها مما نستطيع أن نفاخر به أحدث الجامعات الأوروبية .

رابعاً : إن إليها ـ وإلى غيرها من جامعات العالم الإسلامى ـ يرجع الفضل فى العمل بكثير من النظم التربوية التى تعمل بها العديد من الجامعات العصرية كمجانية التعليم والضمان الاجتماعى ونظام المدن الجامعية وتكافؤ الفرص وحرية الفكر ولاريب أن ذلك إنما كان صدى للتعاليم الإسلامية السامية .

خامساً : إنها أكدت رسالة العلم الاجتماعية فكان لها نشاطها فى الميدان العلمى والاجتماعى ، إذ عملت على خدمة المجتمع وهو عين الغرض الذى تسعى له جامعات العصر الحديث .

سادساً : إنها فتحت للمرأة ميدان التعليم ، واعترفت بأستاذيتها متى كانت قادرة على ذلك .

سابعا : إنه يجب على المسئولين فى المغرب أن يدعموها ويساندوها لتؤدى دورها بفاعلية فى التعريف بالإسلام ونشره والدفاع عنه فى أنحاء العالم .

وأرجو الله سبحانه أن يرزق المسلمين من الروية ما يمكنهم من مراجعة حسابهم مع تاريخهم وأن يرزقهم من القوة والشجاعة ما يمكنهم به من الاتجاه صوب تراثهم كما أرجو من الله أن يمكن المسئولين المغاربة من بذل أكبر لـ « القرويين » يدفع إلى دعمها والتمكين لها .

وإذا كان المسلمون فى أماكن عديدة من العالم يتعرضون اليوم لما يمكن أن يعيد إلى الأذهان « محاكم التفتيش » ، فالمأمول أن يكون ذلك إيذانا بتنبيههم إلى مراجعة إمكاناتهم للقيام بالدعوة على وجه صحيح ، وتقديم النموذج الحى فى هذا المجال .

الصحابى الجليل

أبو هريرة

عبد الرحمن بن صخر

رضى الله عنه

بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

كان يسمى فى الجاهلية : عبد شمس بن صخر ، فلما أسلم : سَمَّاهُ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : عبد الرحمن .. وهو من قبيلة دوس : إحدى قبائل اليمن .

وامه : اميمة بنت صفيح بن الحارث ، وهى دوسية ايضاً . نزح إلى المدينة المنورة : سنة سبع من الهجرة ، وكان عمره حينذاك : نحواً من ثلاثين سنة ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخيبر .

فاسلم بين الحديبية وخيبر عن رغبة واشتياق ، ومنذ رأى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لم يفارقه أبدا ، إلا فى ساعات النوم ، فكان يلازمه للخدمة : فى السفر والحضر ، راغباً فى العلم والهدى ، مكتفياً بما يقيم أوده ، ويسد رمقه .. ويقال : إنه أسلم قبل هذا التاريخ بزمن طويل ، ولكن هجرته : إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنما كانت فى تلك السنة ، ويرجح هذا القول لدليلين :

(١) ماذكره ابن حجر فى الإصابة : من ترجمة الطفيل بن عمرو الدوسى : أنه أسلم قبل الهجرة . ولما عاد بعد إسلامه إلى قومه : دعاهم إلى الإسلام ، فلم يجبه إلا أبوه وأبو هريرة ، وهذا صريح فى أن إسلام أبى هريرة : قد تم ، قبل قدومه إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة خيبر بسنوات ..

(٢) مارواه البخارى ومسلم : من أمر المشادة : التى جرت بين أبى هريرة ، وبين أبان ابن سعيد بن العاص حين قسمة الغنائم ، بعد فتح خيبر ، فقد طلب أبان من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن يقسم له من الغنائم ، فقال أبو هريرة : لا تقسم له يا رسول الله ؛ فإنه قتل ابن قوقل : وهو النعمان بن مالك بن ثعلبة ،

الصحابى الجليل أبو هريرة

ولقبه : قوقل بن أحرم ، وذلك فى معركة أحد ، إذ كان أبان لا يزال مشركاً ، فقتل ابن قوقل ..

ومن هذه القصة تبين لنا أن أباهريرة ، حين قدم خيبر ، مهاجراً إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن حديث عهد بالإسلام ، بل كان متتبعاً لمعاركه وأحداثه ، بحيث يعلم أن أبان ابن سعيد بن العاص هو الذى قتل ابن قوقل يوم

سبب تكنيته بأبى هريرة :

كان رضى الله عنه عطوفاً على الحيوان ، رآه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً يحمل هرة صغيرة فى كمه ، فسأله .

فقال : هذه هرة يارسول الله ، فقال : اجلس ياأباهريرة ، فصارت كنية له ، واشتهر بها ، حتى غلبت عليه ، وفى رواية الترمذى عنه قال : « كنت أرعى غنم أهلى ، وكانت لى هريرة صغيرة ، فكنت أضعها بالليل فى شجرة ، وإذا كان النهار : ذهبت بها معى ، فلقبت بها ، فكنونى أبا هريرة .

أوصافه وشمائله :

كان آدم ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا ضفيرتين ، أفرق الثنيتين ، يحنى لحيته بالحناء ، ويعفيها ، ويحفى شاربه ، كان خفيف الروح ، صادق اللهجة ، محبباً إلى الصحابة ..

لم يكن يعكر عليه صفو حياته ، وينغص عليه عيشه . سوى مشكلة واحدة . لم يرقأ له دمع بسببها ، كانت هذه المشكلة هى أمه ، التى رفضت أن تسلم ، ليس ذلك فحسب ، بل كانت كثيراً : ما تؤذى ابنها فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فتذكره بسوء ، وذات يوم : أسمعت اباهريرة : فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما يكره فانفض عنها باكياً محزوناً ، وذهب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اخضلت لحيته من كثرة الدموع .

يقول محدثاً : عن هذه الحالة : « فجئت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أبكى ، فقلت : يارسول الله كنت أدعو أم أبى هريرة إلى الإسلام فتأبى عَلَىَّ ، وإنى دعوتها اليوم ، فأسمعتنى فيك ماأكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة إلى الإسلام ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم اهد أم أبى هريرة ، فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما أتيت الباب ، إذ هو مجاف (أى مغلق) وسمعت خضخضة الماء ، ونادتنى ياأبا هريرة مكانك ، ثم لبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، وخرجت وهى تقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فجئت أسعى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أبكى من الفرح ، كما بكيت من الحزن ، وقلت : أبشر يارسول الله ، فقد أجاب الله دعوتك قد هدى أم أبى هريرة إلى الإسلام ، ثم قلت يارسول الله، ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين والمؤمنات .

فقال : « اللهم حبب عُبيدَك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة » ..

زهده وعبادته

كان شديد الحرص على أن يصحب النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أكثر الأوقات ، ويأكل عنده .

روى مسلم فى صحيحه فى فضائل الصحابة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ملء بطنى » .

قال الحافظ ابن حجر : « اى مقتنعاً بالقوت ، فلم تكن له غيبة عنه » ، وكثيراً ما تحمل آلام الجوع ، حرصاً منه على الا يفوته شىء، من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

روى البخارى عن أبى هريرة : « والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض بكبدى من الجوع ، وأشد الحجر على بطنى » . ويقول : « لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وحجرة عائشة ، فيقال : مجنون ، ومابى جنون ، ومابى إلا الجوع » . وقد فسّر أبو هريرة الصرع الوارد فى هذا الأثر المروى عنه بأنه صرع جوع وفاقة ، لا صرع جوع ومرض ..

وأما ورعه وعبادته : فقد كان - رضى الله عنه - من العابدين الأوابين : يتناوب مع زوجته وابنته قيام الليل كله ، فيقوم هو ثلثه ، وتقوم زوجته ثلثه ، وتقوم ابنته ثلثه .. وهكذا لا تمر ساعة من الليل إلا وفى بيت أبى هريرة عبادة وذكر وصلاة .

وأخرج ابن كثير فى تاريخه : « أن أباهريرة : كان يقوم ثلث الليل ، وامراته ثلثه ، وابنه ثلثه ، يقوم هذا ، ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا » . وأخرج ايضاً عن أبى هريرة قوله : « إنى أجزىء الليل ثلاثة أجزاء : جزء لقراءة القرآن، وجزء أنام فيه ، وجزء أتذكر فيه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » .

وعن عكرمة - رضى الله عنه - : « كان أبو هريرة يسبح كل ليلة اثنى عشر ألف تسبيحة ، يقول : أسبح على قدر ذنبى » . وقال أبو عثمان النهدى : « قلت لأبى هريرة كيف تصوم ؟ قال : أصوم أول الشهر ثلاثاً ، فإن حدث بى حدث : كان لى أجر شهرى ».

وكان مع هذا كله ، ورغم فقره يتصدق بما يصل إلى يده من مال ..

بعث مروان بن الحكم : إلى أبى هريرة : بمائة دينار ، فلما كان الغد بعث إليه ، إنى غلطت ولم أردك بها ، وإنى إنما أردت غيرك .. فقال أبو هريرة : قد أخرجتها ، فإذا خرج عطائى فخذها منه ، وكان قد تصدق بها ، وإنما أراد مروان اختباره » .. البداية والنهاية .

حفظه وقوة ذاكرته :

كان ذا موهبة خارقة فى قوة الذاكرة وسعتها ، لم يكن ممن يكتبون ، ولكنه كان سريع الحفظ ، كان يجيد فن الإصغاء يسمع فيعى فيحفظ ، ثم لا يكاد ينسى كلمة واحدة ، مما وعاه ، مهما امتد به الزمن ، من أجل ذلك هيأته موهبته ؛ ليكون أكثر أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - حفظاً لأحاديثه ، وبالتالى أكثرهم رواية لها ، وقد بلغ مارواه من الأحاديث : ٥٣٧٤ حديثاً ..

وكان من أثر ملازمته للنبى - صلى الله عليه وسلم - ملازمة تامة أن اطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أقوال الرسول وأعماله .. لقد كان فى بادىء أمره سيء الحفظ ، حين أسلم ، فشكا ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال له : افتح كساءك . فبسطه ، ثم قال له : ضمه إلى صدرك ، فضمه فما نسى حديثاً بعده قط .

الصحابى الجليل أبو هريرة

روى أن رجلاً جاء إلى زيد بن ثابت فسأله ، فقال له زيد : عليك بأبى هريرة ، فإنى بينما أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد : ندعو الله ونذكره ، إذ خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى جلس إلينا فقال : عودوا للذى كنتم فيه ، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى ، فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤمن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال : اللهم إنى أسألك : مثل ما سأل صاحباى ، وأسألك علما لا يُنسى .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : آمين ، فقال زيد وصاحبه ، ونحن يارسول الله : نسأل علما لا ينسى ، فقال : سبقكم بها الغلام الدوسى ..

لم تكن لأبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : أرض يزرعها ، ولا تجارة تشغله ، ولهذا فقد كان يكرس نفسه ، ودقة ذاكرته ، لحفظ أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوجيهاته ، فلما انتقل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . إلى الرفيق الأعلى ، جعل أبو هريرة ، يحدث ويحدث عن رسول الله ؛ مما جعل بعض أصحابه يعجبون !! أنى له كل هذه الأحاديث ؟ ومتى سمعها ووعاها ؟ ... ولقد ألقى أبو هريرة : الضوء على هذه الظاهرة ، وكأنه يدفع عن نفسه مغبة تلك الشكوك التى ساورت بعض أصحابه ..

روى البخارى والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « يقولون إن أبا هريرة قد أكثر ، والله الموعد ، ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وسأخبركم عن ذلك ؛ إن إخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم ، وإن إخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق .. وكنت ألزم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ملء بطنى ... فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا .

ولقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً : أيكم يبسط ثوبه . فيأخذ من حديثى هذا ، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لن ينسى شيئاً سمعه ؟ فبسطت بردة عَلَىّ ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدرى ، فما نسيتُ بعد ذلك اليوم شيئاً حدثنى به ، ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه : ما حدثت شيئاً أبدا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ « سورة البقرة ١٥٩ ، ١٦٠ » .

وهذا هو سر تفرده بكثرة الرواية ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. والمستشرقون ومن لف لفهم ، يتظاهرون باستغراب قوة الحفظ عند أبى هريرة ، ولو نظروا بعين الإنصاف لما وجدوا فيه غرابة ، فلكل أمة من الأمم ميزة تمتاز بها عن غيرها ، والحفظ من الميزات التى امتاز بها العرب ..

وكان يقول عن نفسه : « ما من أحد من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أكثر حديثاً عنه منى : إلا ما كان من عبدالله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ولا أكتب » ..

ثنـاء الصحابة عليه والتابعين وأهل العلم

قال عمر لأبى هريرة : « إن كنت لألزمنا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأحفظ لحديثه » ..

وقال طلحة بن عبدالله : « لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما لم نسمع » ..

وقال ابن عمر : « أبو هريرة خير منى ، وأعلم بما يحدث » ..

وقال أبى بن كعب : « إن أبا هريرة كان جريئاً : على أن يسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أشياء لا يسأله عنها غيره » ..

وقال الشافعى : « أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره » ..

وقال البخارى : « روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم » ..

وقال أبو صالح : « كان أبو هريرة أحفظ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وقال سعيد بن أبى الحسن (أخو الحسن البصرى) : « لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً من أبى هريرة » ..

وقال الحاكم : « كان من أحفظ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والزمهم له صحبة : على شبع بطنه ، فكانت يده مع يده ، يدور معه حيثما دار ، إلى أن مات ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ولذا كثر حديثه » ..

وقال ابن حجر : أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً » ..

وهكذا كان أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ : مدرسة كبيرة فى مجال الرواية عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب لها البقاء والخلود ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

عاش أبو هريرة عابداً مجاهداً لا يتخلف عن غزوة ولا عن طاعة ، وحين تولى إمارة البحرين من قبل أمير المؤمنين عمر ادخر مالاً من مصادر حلال ، وعلم بذلك عمر ، فاستدعاه إلى المدينة ، وهنا يحدثنا أبو هريرة عما دار بينه وبين عمر ، من حوار سريع (وكان قد قدم بعشرة آلاف) ، فيقول : قال لى عمر : ياعدو الله وعدو كتابه ، أسرقت مال الله ؟ . قلت : ماأنا بعدو الله ، ولا عدو كتابه ، لكنى عدو من عاداهما ، ولا أنا من يسرق مال الله ، قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف ؟ قلت : خيل لى تناسلت ، وعطايا تلاحقت ، فقال له عمر : فادفعها إلى بيت مال المسلمين ، ودفع أبو هريرة المال إلى عمر ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم اغفر لأمير المؤمنين.. وبعد فترة من الزمن دعا عمر أباهريرة ، وعرض عليه الولاية من جديد ، فأباها واعتذر عنها ، فقال له عمر : أتترك العمل ، وقد طلبه من كان خيراً منك ؟ قال : من ؟ . قال : يوسف ابن يعقوب ـ عليهما السلام ـ فقال أبو هريرة يوسف نبى ابن نبى ، وأنا أبو هريرة : ابن أميمة .. أخشى ثلاثا واثنتين ، فقال عمر : أفلا قلت : خمسا ؟ قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حكم ، وأن يضرب ظهرى ، وينتزع مالى ، ويشتم عرضى » ..

مرضه ووفاته

وفى مرضه الذى توفى فيه أحس بوجع شديد ، واشتد شوقه إلى لقاء ربه ، وبينما كان عواده يدعون له بالشفاء من مرضه ، كان يلح على الله تعالى .. قائلاً : « اللهم إنى أحب لقاءك ، فأحبب لقائى » ...

وعن ثمان وسبعين سنة فاضت روحه إلى باريها ، وذلك فى العام التاسع والخمسين للهجرة وبين ساكنى البقيع الأبرار ، تبوأ جثمانه الطاهر مكاناً طيباً مباركاً ..

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ « الحشر : ١٠ » .

المراجع

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ..
(٢) الإصابة فى تاريخ الصحابة ..
(٣) البداية والنهاية ..
(٤) تاريخ ابن كثير ..
(٥) صحيح البخارى ..
(٦) صحيح مسلم ..
(٧) سنن الترمذى ..
(٨) مسند الإمام أحمد ..
(٩) المستدرك للحاكم ..

المستشرقون والموضوعية

المستشار: أحمد عبد الحميد غراب

(٦)

إدوارد لين

مستشرق إنجليزى عاش فى نفس القرن الذى عاش فيه دي ساسى ؛ أى القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى شهد زحف الاستعمار الغربى الصليبى على بلاد المسلمين ، بتمهيد المستشرقين ومساعدتهم .

وقد وُصف كذلك بأنه من المستشرقين الذين قاموا بدراسة الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية ، بل لمجرد حب العلم !

وله كتاب مشهور عن عادات المصريين وأساليب حياتهم بعنوان : An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians نشرته سنة ١٨٣٦م الجمعية الاستشراقية البريطانية المعروفة باسم الجمعية الآسيوية الملكية : Royal Asiatic Society .

وقد جمع موادَّ الكتاب خلال إقامته فى مصر فى السنوات ما بين ١٨٢٥ - ١٨٢٨ ، ١٨٣٣ - ١٨٣٥م .

ويحتوى الكتاب على معلومات غزيرة عن الشعب المصرى المسلم وعاداته الإسلامية كما تلاحظ فى الحياة اليومية ؛ ومن ثَمَّ كان أحد العوامل التى مكَّنت الاستعمار البريطانى من فهم المجتمع المصرى ، والتمهيد لاحتلال مصر سنة ١٨٨٢م .

وقد تظاهر هذا المستشرق خلال إقامته فى مصر بأنه مسلم ، واتخذ له « صاحباً » مصريا مسلماً ؛ ليساعده فى الاختلاط بالمصريين دون إثارة الشكوك والشبهات حوله ! والمستشرق فى كتابه يعكس صفات صاحبه هذا ، وبخاصته صفاته السيئة ، على الإسلام والمسلمين جميعا ، ولا سيَّما الجمع بين التديُّن والشهوانية ؛ جريا على عادة المستشرقين فى نسبة النزعة الشهوانية - افتراء - إلى الرسول - ﷺ - والإسلام .

ويُنسب إليه وضع المعجم الكبير فى العربية والانجليزية بعنوان : Arabic-English Lexicon والحقيقة أن الذى ساعده بدرجة عظيمة فى وضع هذا المعجم هو الشيخ إبراهيم الدسوقى الذى كان يعمل مصححا فى مطابع بولاق المشهورة بالقاهرة ، خلال إقامة إدوارد لين فى مصر

مونتجمرى وات

مستشرق قسيس كان يعمل إلى عهد قريب رئيسا لقسم الدراسات العربية (والإسلامية) بجامعة أدنبرة فى بريطانيا .

وصفته بعض المجلات « الإسلامية » ليس فقط بالموضوعية والإنصاف ، بل كذلك « بالتعاطف غير العادى مع الإسلام » . وقد ناقشنا بالتفصيل – فى مكان آخر – موقف هذا المستشرق من الإسلام ، ومن الرسول – ﷺ – بوجه خاص ؛ ونشير هنا إلى هذه المناقشة بإيجاز :

فى كتابه : **محمد النبى ورجل الدولة** (بالإنجليزية) يعتبر الرسول – ﷺ – مصلحا اجتماعيا وأخلاقيا ، ولكن بمقاييس عصره وبيئته فقط ، وليس بمقاييس الغرب المسيحى « المستنير » فى عصرنا الحاضر !!! ويزعم أن القرآن الكريم من إنتاج الخيال المبدع عند محمد – ﷺ – (أى ليس وحيا من الله) وهو كخيال الشعراء والفنانين ، ويأتى بالصدق والكذب ! ويقارن المستشرق بين الرسول – ﷺ – وما أوحى إليه من الذكر الحكيم وبين هتلر وخياله « المبدع » وما عرف عنه من عُصاب وهستيريا كانت تؤثر فى الجماهير وتجعلها تفعل ما يريد ! وهكذا يردد المستشرق – بطريقة ماكرة خبيثة – افتراءات المستشرقين الآخرين عن إصابته – ﷺ – بالصرع والهستيريا – حاش لله – وفى مواضع عدة من الكتاب يردد كذلك افتراءات المستشرقين اليهود والنصارى أن القرآن يعتمد كثيراً فى موضوعاته على الأخذ من الأصول اليهودية والنصرانية ؛ أى من التوراة والإنجيل !

ومن هذا يتضح أن وصف هذا المستشرق بالموضوعية والإنصاف بل بالتعاطف « غير العادى » مع الإسلام – إنما هو تضليل متعمد للمسلمين يقصد به إخفاء حقيقة الاستشراق ومخططاته وأهدافه عن المسلمين ، والزعم بأن بعض المستشرقين – على الأقل – يمكن للمسلمين الثقة بهم ، بل والتلقى عنهم ، واعتبارهم « حجة » فى الدراسات الإسلامية !

ويعمل هذا المستشرق الآن (مع مستشرقين آخرين) مستشارا فى دورية إسلامية متخصصة تصدرها دار نشر فى إحدى الدول العربية الإسلامية . وعن طريق هذه الدورية وأمثالها يصبح للمستشرقين اليهود والنصارى ولاية الحكم ، ليس فقط على الطلبة المسلمين ، بل وعلى الأساتذة المسلمين فى الجامعات الإسلامية ، وما إذا كان هؤلاء الأساتذة مؤهلين أو غير مؤهلين لتدريس الإسلام ، وتوجيه الشباب المسلم فى أعلى مراحل التعليم !

فهل هناك سرطان ثقافى أخبث من هذا السرطان الاستشراقى الذى يتغلغل كل يوم فى جامعات المسلمين ؟

برنارد لويس

مستشرق يهودى كان يعمل بجامعة لندن ، والآن بجامعة برنستون ، أستاذاً لتاريخ العرب والإسلام .

له مكانة كبيرة فى الاستشراق البريطانى – الأمريكى ، وذو نفوذ كبير لدى الدوائر الحكومية فى بريطانيا وأمريكا وإسرائيل ؛ ويعتبر لديها حجة فى سياسة الشرق الأوسط ؛ وفى التعامل مع العرب والمسلمين .

يتظاهر بالموضوعية ، ويعظ الآخرين بها ، بل ويتّهم بعض الباحثين الغربيين بالخروج عنها ؛ ومن ثم يخدع بعض المؤلفين المسلمين فيصفونه بالموضوعية ، وهو منها براء .

يقول أحد هؤلاء المؤلفين : « هناك فريق من المستشرقين قد حاول جاهداً الالتزام بالحيدة والموضوعية ، وأنكر على كثير من زملائه نزواتهم التى انحرفت بهم عن النزاهة العلمية » .

ثم يستشهد المؤلف بكلام لمونتجمرى وات (وقد سبق الحديث عنه) ، يليه استشهاد بكلام لبرنارد لويس حيث يقول :

« لا تزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرةً فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ، ومستترة

المستشرقون والموضوعية

فى الغالب وراء الحواشى المرصوصة فى الأبحاث العلمية » .

والذى يقرأ هذا الكلام يظن أن برنارد لويس أحد الموضوعيين الكبار !

والحقيقة التى سجَّلها الباحثون - ومنهم مسلمون وغير مسلمين - أن كتابات هذا المستشرق تحفل بالدعاية السياسية للغرب وإسرائيل ، كما تحفل بالتعصب ضد العرب والإسلام .

وإن المرء ليضيع وقته سدى إذا حاول البحث عن حكم عادل أو موضوعى فى تناول برنارد لويس للإسلام . إنه يفضل أن يعالج الإسلام بطريقته المعروفة فى الايحاء والدس ؛ ثم يحاول بعد ذلك أن يجعل من الافتراء والدس حقيقة لا شك فيها .

وعلى سبيل المثال نراه فى كتابه : **العرب فى التاريخ** The Arabs in History يكرر المزاعم الاستشراقية عن أن محمداً - ﷺ - قد خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية ، كما يبدو ذلك واضحا فى القرآن (واضحا لمن ؟ وبأى دليل ؟) . ويزعم أن محمداً - ﷺ - لم يأخذ قصص القرآن من الكتاب المقدس مباشرة ، وإنما أخذه بطريقة غير مباشرة ، وعلى وجه الترجيح (؟!) من التجار والرحالة اليهود والنصارى .

ويتضح من هذا أنه يردد نفس الافتراءات الاستشراقية المعروفة منذ القرون الوسطى حتى الآن : القرآن ليس وحيا .. محمد ليس نبياً .. بلا دليل ولا برهان ! :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ. ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ (الحج ٢٢ : ٨ - ٩) .

وقد أشرف هو وبعض شركائه على تحرير الكتاب الضخم : **تاريخ الإسلام لجامعة كامبردج** Cambridge History of Islam الذى صدر فى مجلدين سنة ١٩٧٠م ، واشترك فى تأليفه عدد كبير من المستشرقين (من بينهم برنارد لويس نفسه) ، وفيه يرددون الزعم الاستشراقى القائل بأن الإسلام مزيج ثقافى لا أصالة فيه ؛ لأنه مستعار من عدة ثقافات أخرى : يهودية ونصرانية ، يونانية ، وفارسية ، بالإضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية ، وهى البيئة العربية الجاهلية .

وفى مقالة لهذا المستشرق بعنوان : المفاهيم الإسلامية للثورة (بالإنجليزية)نراه يسخر من مفهوم الثورة فى الإسلام وعند العرب ؛ فيردُّ الكلمة إلى أصلها اللغوى : ثَور - ثارَ ؛ أى نهض (الجملُ مثلاً) ، أو اهتاج . أى أن الثورة بالمفهوم الإسلامى العربى ماهى إلَّا نوع من الهيجان أو الانفعال العاطفى المؤقت ، أو الفتنة الطائفية ؛ أى باختصار السلوك اللاعقلانى الصادر من مجتمع متخلف) ! .

ومن الواضح أنه يقصد الثورات الإسلامية والعربية ضد الاستعمار الغربى وإسرائيل ؛ فيحاول السخرية منها ، وتحقيرها ، والحط من شأنها ، وتشويه بواعثها وأهدافها وقيمها ؛ وتصويرها بأنها ليست أكثر من جمل يحاول أن ينهض ، أو جمل يرغى ويزبد . إنها هيجان مؤقت ، لا يلبث أن يهدأ ، أو يتبخر ، دون أن يحقق نتيجة أو يترك أثراً ..

وهذا النوع من الوصف الساخر المهين - كما لاحظ د . إدوارد سعيد - هو الذى يقدمه هذا المستشرق وأمثاله لصانعى القرار فى حكومات

الغرب ، لحملهم على الاستخفاف بثورات العرب والمسلمين ، أو تحريضهم على سحقها دون مبالاة بالنتائج .

(إن الانتفاضة ، أو بالأحرى الثورة الإسلامية فى فلسطين الآن ، فى بواعثها وأهدافها وقيمها وتضحياتها الهائلة ، واستمراريتها ، لتكذب كل كلمة كتبها هذا المستشرق الحاقد على الإسلام والمسلمين) .

وبالنسبة للعرب فى فلسطين يتظاهر مرة أخرى بالموضوعية ؛ فيحكى وجهة النظر العربية ضد الصهيونية ؛ مستخدما لغة القوميين العرب (لا لغة الإسلاميين) ، دون أن يذكر على الإطلاق استخدام اليهود (بمساعدة الصليبية الغربية) للقوة الوحشية لاحتلال أرض فلسطين بالرغم من إرادة سكانها المسلمين .

وكذلك نراه يتكلم كثيرا عن غياب الديمقراطية في بلاد الشرق الأوسط ماعدا إسرائيل . ولكنه لا يذكر على الإطلاق ممارسات إسرائيل « الديمقراطية » ضد العرب والمسلمين : قوانين الهجرة ، وإخراج المسلمين من أرضهم وديارهم ، ونسف بيوتهم ، والسجن بلا محاكمة ، والتعذيب ، وكسر العظام ، والمذابح الجماعية للرجال والنساء والأطفال ؛ وانتهاك حقوق الإنسان بصور وحشية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشرية .

وبالرغم من هذا كله لا يستحى المستشرق من وصف إسرائيل بالديمقراطية ، كما لا يستحى أن يتظاهر هو بالموضوعية .

« وإذا لم تستح فاصنع ما شئت » !

كارليل

توماس كارليل فى كتابه : الأبطال وعبادة البطولة (١٨٤١م) يمدح الرسول - ﷺ - ويصفه بالصدق والإخلاص ، ولكنه يصف القرآن الكريم بأنه كتاب « ممل ، مضطرب ، مختلط ، مشوش ، جاف ، يعيد ويكرر بلا نهاية ؛ مُطَوَّل حتى الإملال ، معقَّد ، غباء لا يُطاق » .

وكارليل هذا هو الذى يستشهد به كثير من المؤلفين المسلمين - بسذاجة - على « اعتراف » بعض المستشرقين وبعض الغربيين بعظمة الرسول - ﷺ - . كأن الرسول - ﷺ - بحاجة إلى هذا الاعتراف ، وكأن شهادة كافر به ، تعلى من قدره والله تعالى يقول لرسوله - ﷺ - :

﴿ لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾ (النساء - ٤ : ١٦٦) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع :

د . محمود حمدى زقزوق : **الاستشراق** .
أحمد عبد الحميد غراب : **رؤية إسلامية** .
أبو الحسن الندوى : الإسلام والمستشرقون **البعث الإسلامى** .

A.L. Tibawi : English-Speaking Orientalists (Islamic Centre - Geneva 1385/1965) p. 10. N. 7.

إدوارد سعيد : **الاستشراق** بالانجليزية .

Bernard Lewis : The Arabs in History (London 1968) pp. 38 - 90 .

Bernard Lewis : 'Islamic (Oncepts of Revolution) in Revolution in the Middle east and other case studifs- proceedings of seminars. Ed. By: Vaticiotis (London 1972) pp. 38 - 90 .

ومن هذا القبيل الاستشهاد بأدباء ومفكرين ليسوا مستشرقين ، أمثال تولستوى وبرناردشو وجوته . أمَّا المستشرقون الذين أسلموا (وقليل ماهم !) فلا يسمون بعد إسلامهم مستشرقين ؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ماقبله .

الجديد القديم في عالمنا الشرقي

أين الحكم المسموع..؟!

للأستاذ
السيد حسن قرون

فى مقال للأستاذ العقاد بمجلة الرسالة ديسمبر ١٩٤٤ بعنوان « اسئلة واجوبة » حديث عن الشرقيين جاء ردا على سؤال سائل من « بيت المقدس » يقول السؤال :
مابال رجالنا يتقاتلون ويخذل بعضهم بعضا حين نرغب فى عمل يفيد بلادنا ؟ اهو حب الظهور ؟ أو هو الغرور ؟ اهو العناد والجمود ؟

وقد جاء جواب العقاد فى الكلمات الآتية ، وأنا أنقله هنا لأنه يصور ما فى نفوسنا من حيرة نحو ما نراه فى عالمنا العربى والإسلامى من خلافات تبلغ مبلغ التقاتل وإسالة الدماء وتخريب المدن والمرافق . يقول العقاد فى هذا الشأن : السؤال جديد قديم منذ قال جمال الدين الأفغانى ـ رحمه الله ـ « اتفق الشرقيون على الايتفقوا ..» .

أما السبب فقد تكتب فيه المطولات ، وقد يوجز فى سطور ، ونحن فى مقام الإيجاز فعسى أن نحصر السبب فى كلمات قليلة تدل على مكان العلة ، ونترك المجال بعد ذلك مفتوحا للطبيب المأمول : طبيب الزمان . إن الخلاف يطول كلما قل الحكم المسموع ، والحكم المسموع بين الرجال العاملين هو تمييز الأمة أو تمييز الرأى كما نسميه فى الاصطلاح الحديث .

فالأمم التى بلغ الرأى العام فيها مبلغ التمييز يخاف المخطىء أن يصر على خطئه فيها . لأنها تقضى عليه ، والأمم التى لم تبلغ مبلغ التمييز يطمع المخطىء فى تضليلها ولا يخشى المتنازعون فيه عاقبة نزاعهم على الحق أو على الباطل ، فيطول أجل النزاع ويصعب الفصل فيه .

وسيظل الخلاف دأب الشرقيين مادام مأمون العاقبة على المختلفين ، ويظل مأمون العاقبة عليهم مادام الحكم المسموع قابلا للتضليل ، عاجزا عن التمييز . وكلما صعد سواد الأمة درجة فى سلم الإدراك والأخلاق هبط الخلاف درجة بين الزعماء العاملين . وأحسبهم صاعدين وإن كنا نستبطىء خطواتهم فى الصعود .

هذا ماكتبه العقاد عن سؤال سائله منذ ٣٨

سنة ، وفى هذه المدة الطويلة : هل تغير مفهوم الزعماء الشرقيين عن الخلاف ؟ إن الأحداث الماثلة تجيب بالنفى ، لأن الخلاف الناشىء فى عالمنا الإسلامى والعربى يبلغ حد التقاتل دون

أن يكون للرأى العام أثر فيه أو مكان له ، ومع أن سواد الأمة الإسلامية أخذ دوره فى الثقافة وعرف عائدة الحرية عليه ، وزاول قدرا غير قليل من الديمقراطية وإبداء الرأى لايزال محكوما عليه بالوصاية ، «وسيظل الخلاف دأب الشرقيين مادام مأمون العاقبة على المختلفين » كما يقول العقاد ، فلم نر شعبا من الشعوب ناهض الرأى الفاسد أو العمل الظالم فى كل أمر عام يبلو مصير تلك الشعوب ، فزعماء إيران اليوم يهددون دون أخذ رأى الشعب الإيرانى ، ولا أعتقد أن النظام العراقى قد أخذ رأى الشعب حين هاجم إيران ، وحين تقع الواقعة وتعظم الكارثة يكون المعاقب هو الشعوب لا من أقاموا الحروب وأرثوا العداوات وأشعلوا الفتن ، وتغنوا بالشعارات والبطولات .

إن المخلصين من علماء الدين والمفكرين فى مصر وغيرها أنكروا الحرب الغبية التى قامت بين شعبين تجمعهما عقيدة واحدة هى عقيدة الإسلام ، وأن الأرض المتنازع عليها يسكنها وينتفع بها مسلمون من هنا أو هناك ، فلا ضير على المتنازعين أن يتفقوا على رضا المسلمين دون حمل السلاح وإراقة الدماء ، وإعلان الغالب والمغلوب ، ويقرءون القرآن والأحاديث الشريفة ، وكأنهم يقرءون شيئا لايخصهم أو مضى زمانه ، ويقولون الثورة الإسلامية والحكم الإسلامى وهم بعيدون عنه بعدهم عن مبادىء الغرب القائمة فكأنهم يعيشون فى الجاهلية على عهد كسرى والنعمان بن المنذر ، ولم يصغوا إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ولا إلى قول الرسول الكريم « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » البخارى كتاب العلم .

ونعود إلى « الحكم المسموع » الذى أشار إليه العقاد فنجده لا رأى له يعد مسموعا أو غير مسموع ، فهو سادر فى غفلته ، معطل التفكير فى كل جبهة من الجبهات ، قد ضلل ، فلم يخفه زعيمه ، ولو خافه لفكر فيما يفعله ألف تفكير وعمل حسابا كبيرا لمن يتحدث عنهم ويسوقهم إلى ميادين القتال ، ميادين قال فيها نبيهم ورسولهم محمد ﷺ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » البخارى ـ كتاب الإيمان .

لقد بلغ من التضليل أن يقال : مجوس ومسلمون ، أو عرب وفرس ، ويوم دخل الفرس فى الإسلام شاركوا فى تعاليمه وتفقهوا فيها ، وأعطوا أفكارا وأعمالا كانت من تراثنا الحبيب الذى نعتز به ، ونحرص عليه .

ومن يوم أن فسر علماؤنا من السلف المبدأ القائل : « إن المجتهد المخطىء له أجر ، والمجتهد المصيب له أجران » والمسلمون يتقاتلون ويظنون أن لهم أجرا فى كلتا الحالتين . وليس الأمر كذلك فالحلال بيِّن والحرام بيِّن ولا ينبغى لمصائر الشعوب أن تكون مجالا لأفكار مخطئة أو أفكار ضالة تنبعث من أطماع لاسند لها من الدين وتعاليمه .

كيف يكون للحكم المسموع أو (الرأى العام) فعاليته فى إحقاق الحق وإبطال الباطل ؟ لابد من الرجوع إلى طبيعة الدين الإسلامى الذى قرر ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١) ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(٢) ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ

←

(١) الحجرات ١٣

(٢) آل عمران ١٥٩ .

﴿بَيْنَهُمْ﴾[٣] وسبيل ذلك (المصالحة) التى جاءت فى سورة الحجرات .

ومن أعجب ما رأينا وسمعنا أن أية مساع حميدة لا تستطيع أن تأتى بفائدة ، وهذا خروج على أوامر الدين ، وخروج على طبيعة الجوار ، فلا الدين نأخذ بتعاليمه ، ولا منطق الحياة والحضارة نستمع إليه ولو كانت للشعوب نظرات حية وفهم لمنطق الحياة ، وتجمع لديها رأى عام له تمييزه فى المواقف لما قامت تلك الحرب كما قلنا سابقا .

لقد انقسم العرب على أنفسهم فى تلك المعركة ، لا لأنهم يختلفون حول ويلاتها ومايجب نحوها من عمل صالح فقد كان فيهم مؤيدون للفريقين على السواء ، فكأنهم يزيدون النار اشتعالا ، ولا يشغلون أنفسهم بإطفائها .

هل العالم الإسلامى اليوم صارت له عقائد مختلفة ؟ سنة .. شيعة .. ودعوة ، كل شىء صار مهدر القيمة ، منقوص الكرامة ، ضائع الهوية ، ومرة أخرى أين سواد الأمة الذى ينشده العقاد ؟ ليس موجودا مادام لايدرك واقعه ، ولايعرف مصيره ، ولايزن مايقع بميزان الأخلاق الكريمة ، والطبائع السوية .

لقد تفاعل العقاد حين قال ، وأحسبهم ـ أى الزعماء ـ صاعدين وإن كنا نستبطىء خطواتهم فى الصعود . أنتفاعل معه أم نيأس ، واليأس إحدى الراحتين ؟

أرى أمة شهرت سيفها
وقد زيد فى سوطها الاصبحى

فاللهم عونك على دفع البلاء ، وبصر قادتنا بما ينفع البلاد والعباد ، واجعل شعارهم قولك الحق :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وأنت المستعان .

---

(٣) الشورى ٣٨ .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة باحد العنوانين التاليين :

(ا) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة .

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حىّ الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالأشتراكات رأسا إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

من رجال القضاء فى دولة الإسلام

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

شُرَيْح بن الحارث الكِنْدِى

كان أعلم الناس بالقضاء فى زمانه ، ذكيا فى استنباط الأحكام ، فهو ذو فطنة ومعرفة وعقل ، كما كان نموذجا للفقيه العابد والمجتهد العالم بأصول الإسلام كادق مايكون العلم ، ويكفيه فخراً انه كان موضع ثقة الراشدين الخلفاء : عمر ابن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلى ابن ابى طالب رضوان الله عليهم اجمعين .

فهو إلى جانب تقواه وورعه وعدالته ونزاهته كانت احاديث رسول الله ﷺ تشكل سلوكه وتصوغ تصرفاته وتصبغ منطقه بصبغة الإسلام الخالص .

ذلك هو شريح بن الحارث الكندى أحد التابعين من أهل اليمن ، ومن رجال القضاء المشهورين فى دولة الإسلام ، أمضى جل عمره مابين دارس يتلقى العلم على شيوخ عصره ، وبين قاض أو مفت يبصر الناس بشئون دينهم .

● كيف ولاه الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب منصب القضاء ؟

يروى الإمام الشعبى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهو خليفة اشترى فرسامن رجل واشترط أن يدفع الثمن بعد تجربة الفرس بيد أنه ما كاد يسير بالفرس بضع خطوات حتى عطبت الفرس فقال لصاحبه : خذ فرسك فقال الرجل : لا ، فقال له عمر وهو حاكم المسلمين : اجعل بينى وبينك حكما ، فقال الرجل : نعم؛ شريح ! فسأله عمر : من شريح ؟ فقال الرجل : شريح اليمنى ، فانطلقا إليه وقصا عليه القصة وانتظرا : بماذا يحكم ؟

شريح ابن الحارث الكندى

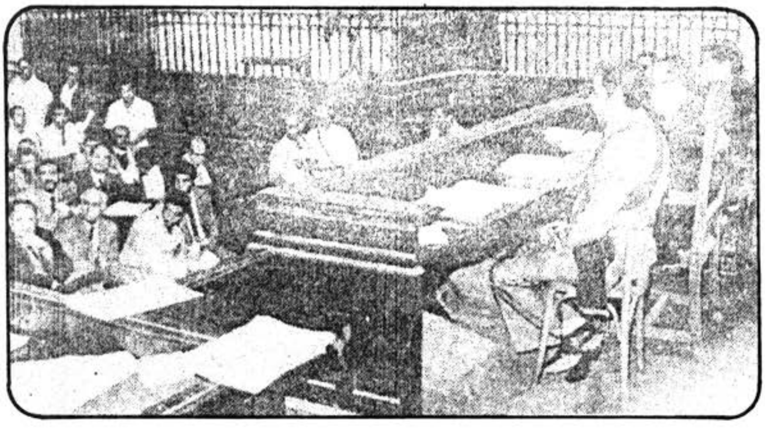

مجلس قضاء فى مصر : اعلاها
عصر ما قبل محمد على والآخر .
فى العصر الحديث الصورة عن « الأهرام » .

فنظر شريح إلى عمر وقال : « ياأمير المؤمنين أخذته صحيحاً سليماً فعليك أن ترده سليماً كما أخذته أو خذه بما ابتعته » .

وبعد صدور الحكم من شريح لم يغضب عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - إذ وجد أمامه رجلاً أمينا فى حكمه حريصا على كلمة الحق ، شجاعا لا يخشى إلا الله .

فقال عمر لشريح : وهل القضاء إلا هذا ؟ وكان من نتيجة إعجاب الخليفة الراشد عمر به أن بعثه قاضيا إلى الكوفة .

(راجع لوكيع محمد بن خلف بن حبان - أخبار القضاة ٢ / ١٨٩ . عالم الكتب - بيروت) .

● وصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب له فى ولاية القضاء :

كتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى شريح يقول له : « إذا أتاك قضاء فاقض بما فى كتاب الله ، فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله فاقض بسنة رسول الله ﷺ ، فإن أتاك ماليس فى سنة رسول الله فاقض بما يجتمع فيه رأى المسلمين ، فإن أتاك مالم يجتمع فيه رأي المسلمين فاختر إحدى اثنتين إن شئت فاجتهد رأيك وتقدم وإن

شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيرا والسلام » .

وفى رواية « إن شئت أن تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرنى ولا أرى فى مؤامرتك إياى إلا أسلم لك » .

ومن وصايا عمر إليه أيضاً : « لاتشار ، ولا تضار ، ولا تشتر ، ولا تبع ، ولا ترتش » .

● كيف كان شريح يعقد مجلس القضاء ؟؟

كان شريح يعقد مجلس القضاء فى المسجد ليتوافر فيه شرط العلانية وحضور الناس ، ولم يكن يعقد هذا المجلس فى بيته إلا فى اليوم المطير ، كما كان يستفتح مجلس القضاء بقراءة قول الله تعالى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾[٢] .

وقبل دخوله إلى مجلس القضاء كان يتوضأ ويصلى ركعتين ويسأل الله أن يهديه إلى العدالة ، وكان يستحضر فى ذهنه دائماً أحاديث رسول الله ﷺ التى توضح مدى خطورة منصب القاضى ومسئوليته أمام الله مثل قوله :

« ما من حكم يحكم بين الناس إلا أُتى به يوم القيامة وملك آخذ بقفاه فيوثقه على شاطىء جهنم ثم يرفع رأسه فإن قيل له ألقه ، ألقاه فى مهواة يهوى فيها أربعين خريفاً »[٣] .

وقوله ﷺ (يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايتمنى أنه لم يقض بين اثنين)[٤] .

● اجتهاد الراى عند شريح :

رغم علم شريح أن القاضى إذا أخطأ رغم اجتهاده فله أجر ، وإذا أصاب فله أجران فإنه لخشيته من الله كان يخاف الخطأ وعدم الحكم بالصواب لذلك فإن اجتهاد الرأى كان المشكلة التى تؤرقه[٥] .

● مساواته بين الخصوم :

يحكى الإمام الشعبى فيقول : جاء الأشعث ابن قيس إلى شريح فى مجلس القضاء .

فقال شريح : مرحباً بشيخنا وسيدنا ، هاهنا ، هاهنا فأجلسه معه ، فإذا رجل جالس بين يدى شريح فقال له : مالك ياعبد الله ؟ قال جئت أخاصم الأشعث بن قيس ، قال شريح : قم ياأشعث مع خصمك ، قال الأشعث : وما عليك أن تقضى وأنا هاهنا ؟ فرد عليه شريح بحزم آمراً له بقوله : « قم قبل أن تقام » وعندئذ قام الأشعث إلى جانب خصمه امتثالاً لأمر شريح[٦] .

● فصله فى القضاء عما زاد على الثلث فى الوصية :

يروى أن رجلاً استأذن ورثته بأن يوصى بأكثر من الثلث فأذنوا له ثم اختصموا إلى شريح فقال : « هم بالخيار إذا نفضوا أيديهم من تراب قبره »[٧] .

---

(١) كتاب اخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان ـ الجزء الثانى .

(٢) سورة ص ٢٦ ، (عقد مجلس القضاء بالمسجد) فى حاجة إلى دراسة يتبين ـ فى ضوئها ـ مدى إجازة الأمر هذا فى المسجد .

(٣) رواه ابن ماجه كما رواه احمد والبيهقى .

(٤) أخرجه ابن حبان .

(٥) والحديث رواه الشيخان وأبو داود ونصه « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان اجتهد فأخطأ فله أجر » هكذا ورد بكتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ تأليف المحدث عبد الرحمن الشيبانى المجلد الرابع المطبعة السلفية ١٣٦٦ هـ .

(٦) كتاب « أخبار القضاة » لوكيع محمد بن خلف بن حيان « الجزء الثانى » .

(٧) المرجع السابق .

شريح بن الحارث الكندى

● **شريح يرد شهادة احد الشهود :**

عند نظره إحدى القضايا المعروضة عليه ، شهد رجل عنده فلما قام قال هذا الرجل للمشهود عليه « كيف رأيت ؟ » فرد عليه شريح شهادته ورفضها ولم يقبلها(٨) .

● **بين شريح وعلى بن ابى طالب - رضى الله عنهما :**

روى وكيع قال : حدثنا على بن عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح بن الحارث القاضى قال حدثنى أبى عن أبيه معاوية ، عن ميسرة ، عن شريح قال :

لما توجه على بن أبى طالب إلى قتال معاوية ابن أبى سفيان افتقد درعا له فلما رجع وجدها فى يد يهودى يبيعها بسوق الكوفة فقال : يايهودى الدرع درعى لم أهب ولم أبع .

فقال اليهودى : درعى وفى يدى .

قال علىّ بينى وبينك القاضى قال فأتيا شريحا ، وقص عليه الإمام على قضيته فطالبه شريح بالبينة(٩) ، لأن اليهودى قرر أن الدرع درعه وفى يده فأجاب الإمام على بأن شهوده هما ابنه الحسن بن على وقنبر ، لكن شريح رفض شهادة الابن لأبيه وقال : لا تجوز شهادته فقال الإمام على : سبحان الله رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »(١٠) فقال اليهودى : أمير المؤمنين قدمنى إلى قاضيه وقاضيه يقضى عليه ، أشهد أن هذا الدين على الحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأما عن الدرع فهى درعك ياأمير المؤمنين سقطت منك ليلاً ، ثم توجه بعد إسلامه مع الإمام على يقاتل معه « بالنهروان » حيث قتل هناك .

ويحكى شريح فيقول مررت مع على بن أبى طالب على المقابر فقال : « ياأهل المقابر أما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد اقتسمت ، وأما الذرارى فقد نكحت ، هذا خبر ما عندنا هاتوا خبر ماعندكم ، ثم التفت إلىَّ فقال : لو أذن لهم فى الجواب لقالوا : تزودوا فإن خير الزاد التقوى(١١) » .

● **مثال من فتاوى شريح :**

يروى أن شريحا رأى رجلاً يصلى حين أشرقت الشمس فبعث إليه من يقول له : إنه لا تحل له الصلاة فى هذه الساعة ، وجاءه رجل فقال له : إنى طلقت امرأتى مائة تطليقة : فأجابه بقوله : أما ثلاث فلك ، وأما سبع وتسعون فإسراف ومعصية(١٢) .

---

(٨) المرجع السابق .

(٩) البينة تعنى شهادة الشهود - والموضوع كله عن أخبار القضاة - الجزء الثانى .

(١٠) رواه الترمذى هكذا فى كتاب « التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول » تأليف الشيخ منصور على ناصف المجلد الثالث الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١ هـ . سنة ١٩٦٢ دار إحياء التراث العربى بيروت .

(١١) كتاب أخبار القضاة لوكيع محمد بن خلف بن حيان الجزء الثانى .

(١٢) المرجع السابق .

● **القاضى لا يتأثر ببكاء الخصم :**

يذكر الإمام الشعبى أنه شهد شريحا وقد جاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت فقلت ياأبا أمية - وهى كنية شريح - ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة ، فقال ياشعبى إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون(١٣) .

● **وفاته :**

لبث شريح بن الحارث فى منصب القضاء والفتيا فى الكوفة بأرض العراق خمسا وسبعين سنة حتى طلب من الحجاج بن يوسف ، والى العراق من قبل الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان أن يعفيه من القضاء فأعفاه فلم يقض بعد ذلك بين اثنين حتى مات وله من العمر مائة وثمانى سنين .

وحسبه شرفا وفخرا شهادة الإمام على بن أبى طالب له ، ذلك أنه لما قدم على - رضوان الله عليه - الكوفة اجتمع عليه الناس يسألونه وعلى يجيبهم ثم سأله شريح عن مثل ما سألوه عنه وأكثر فقال له على : هل حفظت كل ما سألت عنه ؟ قال شريح : نعم . قال على : فأعده علىَّ فأعاده عليه وعندئذ قال على له : « اذهب فأنت أقضى العرب »(١٤) .

---

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) كتاب « وفيات الأعيان » لأبى العباس شمس الدين احمد بن خلكان - الجزء الثانى الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - سنة ١٩٤٨ م مطبعة السعادة بالقاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنويا

١ - جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) اربعة جنيهات وثمانون قرشا .

٢ - اتحاد البريد العربى الافريقى [بالبريد الجوى] (٣٥) خمسة وثلاثون دولارا او مايعادلها .

٣ - باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولارا . او ما يعادلها .

وتطلب راسا من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة

ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر .

٢

من العناصر الهامة في العمائر الدينية الإسلامية

المحاريب

مفهومها القديم والحديث - أهميتها - أنواعها - زخارفها

بقلم : أحمد رجب محمد على

المحراب الثلاثى :

ويقصد بالمحراب الثلاثى المحاريب الثلاثة المتجاورة التى لا يوجد داع معمارى لتعددها فهذه المحاريب الثلاثة يمكن أن نعتبرها محرابا ذا ثلاثة تجاويف ـ وهو ما يعرف فى العمارة الإسلامية بالمحراب الثلاثى .

ويعتبر المحراب الثلاثى من الأشياء النادرة فى العمارة الإسلامية فى مصر لأننا لا نجده إلا فى (مشهد إخوة يوسف)(١) ٥٠٠ هـ ، وضريح (خضرة الشريفة)(٢) و (ضريح الإمام الشافعى) ٦٠٨ هـ و (ضريح مصطفى باشا)(٣) ٦٦٦ هـ(٤) .

ومن الجدير بالذكر أن المحراب الثلاثى ذو هدف جمالى فى المقام الأول ، وذلك لكونه وجد فى أماكن ـ إلى حد ما ـ لا تحتاج إلى تجويف المحراب للتدعيم ، سواء لصغر المساحة كما فى (مشهد إخوة يوسف) ، أو لسمك الجدار كما فى (ضريح الإمام الشافعى) رضى الله عنه .

زخارف المحاريب :

أولا : الأساليب الزخرفية على المحاريب :

يمكننا أن نقسم المحاريب تبعا للأساليب الزخرفية ومواد الزخرفة إلى الأقسام الآتية :

(١) بمنطقة القلعة .
(٢) بمنطقة الإمام الشافعى .
(٣) بمنطقة القادرية .
(٤) د . سعاد ماهر ، المرجع السابق جـ ٢ ط ١٩٧٣ ص ١٠٨ .

١ ـ المحاريب ذات الزخارف الجصية القالبية والمحفورة :

يعد هذا الأسلوب أول الأساليب التى استخدمت فى زخرفة المحاريب ، وقد انتشرت المحاريب ذات الزخارف الجصية انتشارا واسعا وخصوصا فى العصر الفاطمى والمملوكى البحرى .

من أبرز المحاريب ذات الزخارف الجصية فى العصر الفاطمى المحراب القديم بالجامع الأزهر ٣٦١ هـ ـ ٩٧٢ م ، ومحاريب (مشهد السيدة رقية)[٥] ٥٢٧ هـ ـ ١١٣٣ م و (محراب ضريح الشبيهى)[٦] ٥٤٥ هـ ـ ١١٥٠ م ، أما أبرز المحاريب الجصية فى العصر المملوكى فهو (محراب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون) (٦٩٥ هـ ـ ٧٠٣ هـ) (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤ م) .

٢ ـ المحاريب المكسوة بالفسيفساء :

من أبرز أمثلة هذا النوع (محراب ضريح شجرة الدر)[٧] حيث تحتوى طاقية[٨] هذا المحراب على كسوة من الفسيفساء الزجاجية . وهى تعد أولى المحاولات لعمل محاريب كاملة مكسوة بالفسيفساء فى مصر وإن كانت المصادر التاريخية تروى لنا : أن جامع عمرو كان به محراب مزخرف بالفسيفساء يرجع إلى عهد أقدم من شجرة الدر[٩] ومن أشهر المحاريب المغشاة بالفسيفساء (محراب قبة يشبك)[١٠] (٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩ م) وهو مكسو بالفسيفساء الرخامية .

٣ ـ المحاريب المكسوة بالرخام :

وقد ظهرت بوادر استخدام (الكسوة)

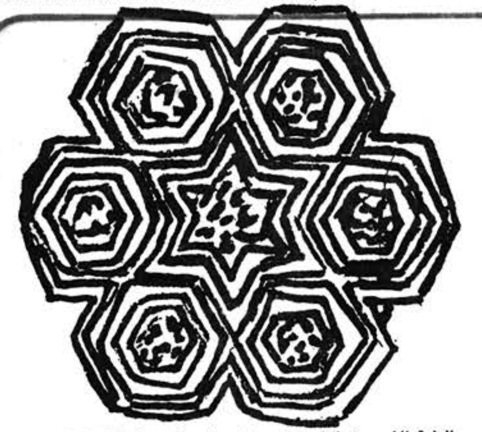

الطبق النجمى كما ظهر على محراب مشهد السيدة رقية الخشبى المتنقل والمحفوظ حالياً بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة

الرخامية فى محراب قبة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤١ هـ ـ ١٢٤٣ م) وتطورت هذه الطريقة فى ضريح المنصور قلاوون (٦٨٣ هـ ـ ١٢٨٤ م) حيث كسيت كل الجدران السفلية بوزرات من الرخام[١١] ومن أبرز أمثلة المحاريب المزخرفة بهذا الأسلوب محراب جامع (الناصر محمد بن قلاوون) بالقلعة ٧٣٥ هـ ـ ١٣٣٥ م ومحراب (مدرسة السلطان حسن)[١٢] (٧٥٧ هـ ـ ٧٦٤ هـ) (١٣٥٦ ـ ١٣٦٢ م) .

٤ ـ المحاريب المكسوة بالبلاطات الخزفية :

من أقدم المحاريب التى استخدم فيها هذا الأسلوب (محراب جامع شيخو ٧٥٠ هـ ـ ١٣٤٩ م)[١٣] حيث كسى الجزء السفلى من حنية المحراب بأربعة صفوف من البلاطات ذات الزخارف الهندسية (الطبق النجمى) و(جامع ألتى بارمق ١٠٣٣ هـ)[١٤] ويلاحظ أن البلاطات

---

(٥) شارع الأشرف بجوار مسجد السيدة نفيسة .

(٦) بمنطقة الإمام الشافعى .

(٧) شارع المعز (النحاسين) .

(٨) شارع الأشرف بجوار مسجد السيدة نفيسة .

(٩) الجزء العلوى من تجويف المحراب .

(١٠) د . حسنى نويصر ، دراسات فى عمائر الأيوبيين والمماليك ص ٦١ ، مذكرة بمكتبة كلية الآثار جامعة القاهرة .

(١١) بالفداوية .

(١٢) بمنطقة القلعة .

(١٣) بالصليبة .

(١٤) حارة الغندور المتفرعة من شارع سوق السلاح بالقلعة .

من العناصر الهامة فى العمائر الدينية

الخزفية تكسو طاقية المحراب وكوشتية فى المحرابين السابق ذكرهما .

كذلك يلاحظ أن بعض البلاطات التى تكسو المحاريب ذات صلة وثيقة بالبلاطات التى أنتجت فى مدينة أزنيك العثمانية فى زخارفها بينما البعض الآخر تعكس زخارفه الطراز المحلى مثل زخارف بلاطات (محراب جامع شيخو) حيث زخرفت هذه البلاطات بالأطباق النجمية وهى من العناصر الزخرفية الهندسية التى نشأت وتطورت فى مصر .

٥ ـ المحاريب المكسوة بالخشب المزخرف :

وفى هذا النوع كانت تكسى طواقى المحاريب بالخشب المزخرف بالحفر أو بالنقوش الزيتية .

ومن أمثلة هذا النوع المحراب المجوف الذى أمر بعمله السلطان (لاجين) بالجامع الطولونى حيث كسيت طاقيته بالخشب المزخرف بنقوش زيتية .

وأخيراً فمن الجدير بالذكر أن بعض المحاريب كانت تشتمل على أكثر من أسلوب زخرفى مثل محراب الجامع الطولونى السابق الذكر والذى جمع فى زخرفته بين التكسية بالخشب والتكسية بالفسيفساء الزجاجية .

ثانيا : العناصر الزخرفية على المحاريب

تنوعت العناصر الزخرفية على المحاريب ما بين نباتية وهندسية وكتابية .

أولا : العناصر النباتية على المحاريب :

وقد انتشرت الزخارف النباتية على المحاريب وخصوصا المحاريب الجصية ، ولعل أبرز أمثلتها (محراب الأزهر القديم) و(محاريب المشاهد الفاطمية) ومحراب مدرسة الناصر محمد بن

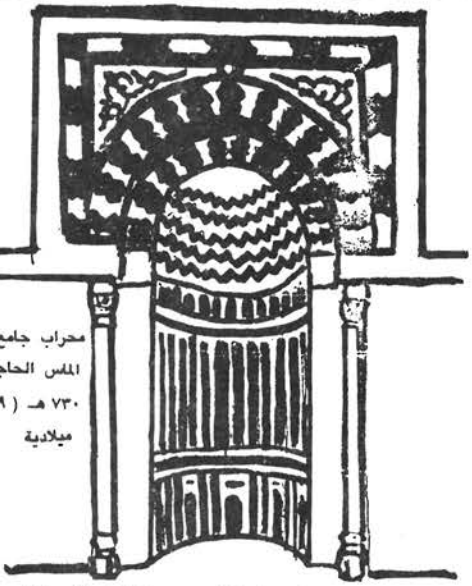

محراب جامع الأمير الماس الحاجب ٧٣٠ هـ (١٣٢٩) ميلادية

قلاوون بالنحاسين (٦٩٥ هـ ١٢٩٥ م) والذى ظهرت عليه العناصر النباتية فى عدة مستويات من الحفر .

أما أبرز العناصر النباتية التى شاعت على المحاريب فهى المراوح النخيلية وأنصافها والأوراق الثلاثية وأوراق العنب والأوراق الملتفة والسيقان الملتفة فضلاً عن الأشجار ، وهو ما ظهر على (محراب ضريح شجرة الدر ٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م) حيث اشتملت طاقية المحراب على شكل شجرة من الفسيفساء الزجاجية وهنا نجد أنفسنا أمام عنصر جديد من الرمزية فكأن هذه الشجرة المكونة من قطع الزجاج التى تشبه الدر ترمز إلى شجرة الدر صاحبة الضريح . ومن أبرز نماذج الزخرفة بالأرابيسك طاقية محراب قبة يشبك (٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩ م) .

ثانيا : العناصر الهندسية :

وقد انتشرت العناصر الهندسية على المحاريب وخصوصا على المحاريب ذات (الكُسْوَات) الرخامية ، أما عن أشهر العناصر الهندسية على المحاريب فهى :

* **الزخارف المتكسرة (الزخارف الدالية)** كما هو الحال فى طاقية (محراب مدرسة السلطان حسن ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م) وطاقية (محراب الأمير الماس الحاجب)[١٥] ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م (شكل ٢) ومحراب (المدرسة الأشرفية ٨٢٩ هـ ١٤٢٥ م)[١٦] وقد تكون هذه الزخارف زجزاجية كما هو الحال فى المنطقة الوسطى من محراب (ضريح بيبرس الجاشنكير)[١٧] (٧٠٦ هـ - ١٣٠٦ م) ومحراب(المدرسةالأشرفية شكل ٣) .

* **زخارف الطبق النجمى** .. وقد ظهرت أشكال الطبق النجمى على طاقية وكوشتى[١٨] (محراب ضريح سنجر الجاولى ٧٠٣ هـ -١٣٠٣ م)[١٩] وكوشتى (محراب مسجد الست مسكه ٧٠٤ هـ - ١٣٣٩ م)[٢٠] وطاقية (محراب مسجد الأمير الطنبغا الماردانى[٢١] (٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م) .

كذلك ظهر الطبق النجمى كعنصر زخرفى على البلاطات الخزفية التى تكسو المحاريب كما هو الحال فى البلاطات التى تكسو الجزء السفلى من (محراب جامع شيخو ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م) .

* **زخارف البوائك** .. وهذه البوائك قد تبرز عن مستوى حنية المحراب كما هو الحال فى (ضريح المنصور قلاوون ٦٨٣ هـ - ١٢٨٤ م)[٢٢] حيث برزت عن تجويفه بوائك صغيرة من العقود المحمولة على عمد خزفية صغيرة . وقد تكون هذه البوائك مشكلة من رخام أسفل تجويف المحراب وغير بارزة كما هو الحال فى (محراب جامع الناصر محمد بن قلاوون ٧٣٥ هـ - ١٣٣٤ م) ومحراب (المدرسة الأشرفية شكل ٣) و(محراب جامع الأمير شيخو ٧٥٠ هـ - ١٣٣٩ م) .

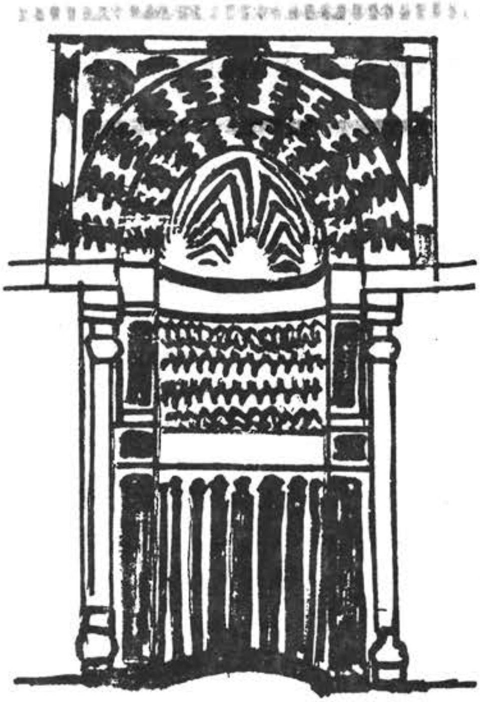

محراب المدرسة الأشرفية
بشارع المعز (٨٢٩ هـ - ١٤٢٥ م)

* **الزخارف المحارية** وقد شاع هذا النوع من الزخارف على طواقى المحاريب الجصية كما هو الحال فى المحاريب الفاطمية .

(محراب مشهد أم كلثوم ٥١٦ هـ)[٢٣] ومشهد (السيدة رقية ٥٢٧ هـ) ومشهد (يحيى الشبيهى ٥٤٥ هـ) وعلى المحاريب الرخامية كما هو الحال فى طاقية (محراب شيخو ٧٥٠ هـ) .

* **زخارف المقرنصات** حيث يتوج بعض المحاريب الجصية صف أو عدة صفوف من

(١٥) بالحلمية .
(١٦) شارع المعز بالنحاسين .
(١٧) بالجمالية .
(١٨) المنطقتان المثلثتان اللتان تحيطان بطاقية المحراب .
(١٩) بجوار الجامع الطولونى .
(٢٠) منطقة الحلمية .
(٢١) سكة المرادنى متفرع من شارع سوق السلاح .
(٢٢) بشارع المعز (النحاسين) .
(٢٣) قرافة الإمام الشافعى .

من العناصر الهامة فى العمائر الدينية

المقرنصات[٢٤] البسيطة ومن أمثلتها محاريب المشاهد الفاطمية .

* **زخارف الصنجات المعشقة** .. وزخارف الصنجات المعشقة فى المحاريب الرخامية تقابل زخارف المقرنصات فى المحاريب الجصية حيث يتوج معظم المحاريب الرخامية صف أو صفان من الصنجات المعشقة ذات اللون الأسود والأبيض بالتبادل (الأبلق) .

الزخارف الكتابية :

وقد شاعت الزخارف الكتابية على المحاريب وكانت هذه الكتابات عبارة عن أشرطة تحيط بالمحراب وتمتد داخل تجويفه أسفل طاقيته . وهذه الكتابات كانت بالخط الكوفى كما هو الحال فى محاريب المشاهد الفاطمية (كمشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ) أو بالخط الثلث المملوكى كما هو الحال فى (محراب مدرسة الجاى اليوسفى ٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٣ م)[٢٥] أما عن مضمون هذه الكتابات فهى آيات قرآنية ذات صلة بالقبلة والمحاريب مثل قول الله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ صدق الله العظيم[٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا . وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ «صدق الله العظيم»[٢٧] وقد كتبت هاتان الآيتان على عقد محراب قبة يشبك (٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩ م) .

وإلى جانب الكتابات القرآنية كانت هناك (الكتابات التسجيلية) ومن أمثلتها الكتابات التى تعلو (محراب قايتباى) بضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه والتى تسجل عمارته للضريح وإصلاحاته به .

المحاريب الخشبية المتنقلة :

والمحاريب المتنقلة ظاهرة اقتصرت على العصر الفاطمى ، والذى وصلنا منه ثلاثة محاريب خشبية متنقلة محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة : أحدهما يخص الجامع الأزهر والآخر يخص مسجد السيدة نفيسة والثالث يخص مشهد السيدة رقية .

وهذه المحاريب المتنقلة كانت تستخدم غالبا عند الصلاة فى الأماكن المكشوفة (صحن المسجد) عندما يكون الجمع كبيرا كما فى صلاة الاستسقاء وصلاة العيدين وصلاة الكسوف وغيرها من الصلوات التى يستحب فى صلاتها أن يقام بعضها فى الأماكن المكشوفة فضلاً عن صلوات الجنائز .

وتبدو أهمية المحاريب الثلاثة السابقة الذكر فى زخارفها وخاصة محراب السيدة رقية الذى ظهر عليه أول مثل لأشهر عنصر زخرفى هندسى فى الفن الإسلامى وهو الطبق النجمى (شكل ٤) وأيضاً (محراب السيدة نفيسة) الذى ظهرت عليه الأشكال الثلاثية التى تشبه حرف الـ T فى الانجليزية والتى انتشرت بعد ذلك على الأخشاب بل وظهرت على خوذات القباب كما فى (قبة السلطان قنصوه أبو سعيد) بنهاية شارع أحمد بن أينال بقرافة المماليك (٩٠٤ هـ ـ ١٤٩٩ م) .

---

(٢٤) الحنايا التى توجد أعلى زوايا مربع القبة لتحويل المربع إلى دائرة ترتكز عليها القبة .

(٢٥) بشارع سوق السلاح .

(٢٦) البقرة ١٤٤ .

(٢٧) الجن ١٨ ، ١٩ .

الأقليات الإسلامية

جنوب الباسيفيكى

بقلم : أحمد السيد تقى الدين

● **رؤية عامة :**

اصطلح على إطلاق اسم الأقليات الإسلامية على « المجموعات التى تدين بالإسلام وسط مجتمع يتميز بالأكثرية العددية لغير المسلمين » ، سواء كانت تلك الأقليات ضئيلة جداً وسط المجموعة الكبيرة ،أو كان لها وزن وثقل فى المجتمع الذى تعيش فيه .

وقد تكون الجماعة المسلمة اكثرية من حيث العدد ولكنها خاضعة فى تصريف شئونها لأقلية ذات نفوذ .

وتتنوع المشكلات الأساسية التى تعانى منها الأقليات المسلمة فى العالم ، فهناك مشكلات تتعلق **بالحقوق الطبيعية** التى ينبغى أن يتمتع بها الإنسان فى أى جماعة بشرية وهى :

● حق ممارسة الشعائر الدينية فى حرية تامة .

● حق تنظيم أمور الجماعة المسلمة طبقاً للتصور الإسلامى .

● حق الدعوة إلى دين الله ونشره .

والأقليات الإسلامية فى العالم تنقسم من حيث هذه الأمور الثلاثة إلى قسمين :

١ ـ أقليات مضيق عليها بالنسبة لممارسة الحق الأول ومحرومة تماماً من ممارسة الحقين الآخرين .

٢ ـ أقليات لا تعانى ضغوطاً فى ممارسة هذه الحقوق الثلاثة ، بينما نجد فى مجتمعها مشاكل من نوع أو أنواع أخرى ، فأحياناً تكون مشكلاتها نابعة من طبيعة فهمها لأمور الدين ، أو ترجع إلى إمكاناتها المادية وثقلها فى المجتمع ، وقد تكمن مشكلات تلك الأقليات فى العصبية العرقية ، فقد يحدث صراع أو نزاع بين المسلمين فى البلد الواحد لمجرد أن هذا من أصل تركى ، وذاك من أصل أندونيسى .. وهكذا .

كذلك تعامل بعض الأقليات فى المجتمعات التى تعيش فيها معاملة من الدرجة الثانية أو الثالثة مما يترك فيهم تأثيراً سلبياً بلا شك حيث إن

الأقليــــات الاســـلامية

وجودهم فى تلك المناطق جاء نتيجة للاستعمار الأوروبى مما جعل أهل البلاد الأصليين ينظرون إليهم على أنهم بقايا الاستعمار ..

الحاجة إلى الإحصاء الدقيق

ولسنا نشك إطلاقاً فى ان توافر الإحصاء الدقيق لهذه الأقليات الذى نرى فى ضوئه أعدادهم ، وأوضاعهم الاجتماعية والثقافية والسياسية يمهد السبيل لحصر مشاكلهم ، ويمهد لحلولها .

أما - الآن - فهناك تضارب صارخ فى الاحصائيات التى تتناول تعداد الأقليات الإسلامية فى العالم .

فالأستاذ محمود شاكر أورد ثلاث إحصائيات تحدد عدد الأقليات الإسلامية فى العالم : الأولى عام ١٩٧٩ وحدد فيها عدد الأقليات الإسلامية فى آسيا بـ (١٧٦,٥٣٨,٥٠٠) مسلم [١] .

والاحصائية الثانية عام ١٩٨٠ فى مقال نشر بمجلة الفيصل وحددت عدد الأقليات الإسلامية فى العالم بـ (١٦٢) مليون نسمة [٢] .

والثالثة عام ١٩٨٠ م وصدرت فى الطبعة الأولى من كتاب (العالم الإسلامى) الصادر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وحددت عدد الأقليات الإسلامية فى آسيا بـ (١٧٦) مليون نسمة ، وفى العالم كله بـ (٢١١) مليون نسمة [٣] ، والتضارب بين هذه الإحصائيات واضح لا يحتاج إلى تعليق ولكن الملفت للنظر فيها أنها لباحث واحد !!

الإسلام جنوب الباسيفيكى

يغطى المحيط الباسيفيكى مساحة تبلغ (٦٨) مليون ميل مربع ، تقع إلى الغرب من استراليا ، ونيوزيلنده ، وشمال شرق آسيا ، وفى الشمال اليابان والصين والاتحاد السوفيتى ، ومن الشرق أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، وتعد هذه المنطقة من أكثر بقاع العالم المأهولة بالسكان ، وذلك على الرغم من ضيق مساحة اليابس بها .

لمحة تاريخية

لا تشير المصادر التاريخية إلى أية معلومات توضح تاريخ منطقة جنوب الباسيفيكى ، وذلك حتى نهاية القرن السادس عشر ، ثم تبدأ المصادر فى الحديث عنها اعتباراً من بداية القرن السابع عشر ، وقت غزا البحارة الأوروبيون هذه المنطقة وفيها سكانها الأصليون . واعتباراً من القرن التاسع عشر بدأ قدوم البريطانيين والهولنديين والأمريكيين والفرنسيين إلى جزر الباسيفيكى ، وكان هدفهم الأول احتلال البلاد واستغلال مصادر الثروة فيها .

ومن المعتقد أن دخول الإسلام إلى هذه المنطقة قد بدء مع بدأ الموجات الاستعمارية لهذه المنطقة فمن الثابت انه تعيش فى منطقة الباسيفيكى جماعات هندية وأفغانية وصينية كذلك ، وليس - من ثمة - ما يبرر وجودها إلا أن يكون المستعمرون البريطانيون قد جلبوهم ضمن حملاتهم الاستعمارية للعمل فى هذه المناطق فى

(١) محمود شاكر ، البلدان الإسلامية والاقليات المسلمة فى العالم المعاصر ، ص ٦٤١ .

(٢) عدد (٤٢) ذوالحجة ١٤٠٠ هـ السنة الرابعة .

(٣) ص ١٧٣ .

مجالات الزراعة والرعى ، وخاصة أننى قد التقيت ببعض سكان جزر جنوب الباسيفيكى ممن يعودون إلى أصول أفغانية ، فأكدوا أن أجدادهم الأوائل كانوا يتزعمون حركات المقاومة فى أفغانستان ضد الاحتلال الانجليزي الذى قرر نفيهم إلى تلك المناطق للتخلص منهم من جانب وللإفادة من خبراتهم فى الزراعة ، والرعى من جانب آخر .

التنصير

ومما هو جدير بالذكر أن « المنَصِّرِين » المسيحيين قدموا إلى هذه الجزر واهتموا بتعليم سكانها وتقديم الرعاية الصحية لهم ، ونتيجة لجهودهم ازداد عدد المسيحيين ، وفى المقابل حرم المهاجرون المسلمون الذين أخذت أعدادهم تتزايد فى اضطراد بشكل أزعج المستعمرين - من أى تعليم أو رعاية صحية ، وكان ذلك بإيعاز من المبشرين الذين أشاعوا أن المسلمين هم الذين يرفضون التعليم والعلاج خوفاً على انفسهم وعلى أبنائهم من اعتناق النصرانية !!

كلية اللاهوت

وفى عام ١٩٦٥ أسس المبشرون كلية علم اللاهوت فى مدينة (صوفا) عاصمة (فيجى) واشترطوا ألا يلتحق للدراسة بها سوى السكان الأصليين غير المهاجرين لتعليمهم أسلوب التبشير وعلم اللاهوت .

وبمرور الزمن هبت رياح التغيير على هذه الجزر فأخذت تطالب بالاستقلال وبالتدريج تم القضاء على القوانين الاستعمارية ومن بينها تلك التى تحرم المسلمين من حق التعليم والعلاج .

وحالياً يعيش فى جنوب الباسيفيكى عدد من المسلمين فى (بَالْوا غينيا الجديدة) ونيوكاليدونيا ، ونيوزيلنده ، واستراليا ، وفيجى .

وتشير إحصائية لرابطة العالم الإسلامى أنه فى (بالوا غينيا الجديدة) وهى دولة مستقلة وعضو فى (الكومنولث) البريطاني يبلغ عدد المسلمين (٥٧٠) نسمة من مجموع عدد السكان الذى يبلغ (٣,٥) مليون نسمة تقوم الرابطة بتيسير بعض شئونهم الدينية والثقافية ، ونشاطها ينحصر فقط فى « بورت موسى » .

المرتدون

وفى نيوكاليدونيا - وكانت مستعمرة فرنسية - تقلصت كثافة المسلمين حتى بلغ عددهم (١٣) ألف نسمة .. من مجموع عدد السكان الذى يبلغ ١٥٠ ألف نسمة .

منهم خمسة آلاف أفريقي من شرق أفريقيا ، وستة آلاف من أندونيسيا والباقى أجناس مختلفة ، السبب الأساسى فى ذلك يرجع - فى الدرجة الأولى - إلى اضطهاد المجتمع لهم ومعاملته إياهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو أقل ... هذا من جانب ، ومن جانب آخر انعدام الصلة بينهم وبين العالم الإسلامى .. فليس بينهم علماء مرشدون أو كتب يسهل عليهم مطالعتها تنير لهم الطريق إلى حاجتهم الدينية .. نضيف إلى ذلك جهلهم باللغات العربية .. وما يفرق وحدتهم من صراعات عِرْقية .

مائة ألف تركى الى استراليا

وفى استراليا يبلغ عدد المسلمين حوالى ٢٧ ألف نسمة ، أغلبهم من الأفغان الذين استجلبوا فى الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادى للمساعدة فى تطوير المواصلات الصحراوية وطرق النقل ، وقد تم منذ بضع سنوات توقيع

الأقليات الإسلامية

اتفاق بين الحكومة الاسترالية والحكومة التركية يتم بموجبها تهجير مائة ألف تركى إلى استراليا ، ولا شك أن هذا العدد الضخم سيزيد من عدد المسلمين بشكل كبير .

ويجدر بالذكر أن أول مسجد فى استراليا بنى فى مدينة (بيرث) عام ١٨٩٠ ، وقد وصل عدد المساجد حالياً إلى ثمانية مساجد ، كما تأسس فيها الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية ومهمته تتلخص فى تشييد المساجد والإشراف عليها وإعداد المدرسين اللازمين لتعليم المسلمين وإصدار المطبوعات من كتب ونشرات .

وفى (فيجى) ينحدر المسلمون من أصل هندى نزح إلى هذه الجزر كعمال مهنيين متعاقد معهم للعمل فى مزارع القطن وقصب السكر ، وفى مزارع (شجر المطاط) ، وكان قدومهم أثناء الفترة ١٨٧٩ - ١٩١٦ ، وهم يمثلون حالياً نحو ٥٣٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٦٥٠ ألف نسمة .

وقد تأسست فى « فيجى رابطة الشباب المسلمين الفيجية » وتؤدى حالياً دوراً كبيراً فى خدمة الإسلام والمسلمين وخاصة أن أغلب المسلمين فيها من الشباب تحت الثلاثين عاماً .

ويوجد فيها كذلك - خمسة وثلاثون مدرسة ابتدائية وست مدارس ثانوية ومركزان إسلاميان .

المجلس الاسلامى لجنوب الباسيفيكى

فى أكتوبر ١٩٧٩ قرر مندوبو هذه البلاد تأسيس المجلس الإسلامى لجنوب الباسيفيكى والذى يستضيفه الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية ، ومن المقرر إنشاء مقر دائم للمجلس فى فيجي .

وقد وزعت الخطط والمقترحات إلى الجهات الراغبة فى تقديم المساعدات إلى المسلمين فى جنوب الباسيفيكى ، وبرغم زيارة كبار الشخصيات لهذه البلاد ووعودهم لدعم النشاطات الإسلامية ، فإن المسلمين فى حاجة إلى الكثير .

خاتمة المطاف

فى ضوء ماذكرنا آنفاً نجد أن الأقليات المسلمة فى تلك الدول المشار إليها تحتاج إلى دعم ورعاية من العالم الإسلامى ، وهنا نسوق توصيات المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية (شئون الدعوة الإسلامية) بخصوص الأقليات الإسلامية حتى لا تنسى .

توجيهات وتوصيات بالنسبة للأقليات

لما كان قد ظهر من مداولات المؤتمر افتقاد التنسيق والتعاون بين المراكز الإسلامية القائمة على شئون الأقليات فى مواقعها المختلفة والتناقض بين مخططاتها .

يوصى المؤتمر - فى سبيل التوجيه إلى واجبات الأقليات وواجبات الدول والشعوب الإسلامية نحوها - بما يلى :

أولاً : تأكيد السماحة الإسلامية فى التعامل بين أبناء الجالية الإسلامية وعليهم الا يحملوا معهم مشكلات أوطانهم التى هاجروا منها .

ثانياً : أن تكون الأسرة الإسلامية صورة لما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى ، فتربى أبناءها على المنهج الإسلامى بحيث تتكامل الصلة بين الأسرة والمجتمع الإسلامى باعتبار أن هذا المجتمع يستمد نظمه من أصول الإسلام .

البقية ص ٥٩٦

الشعر والشعراء

إشراف الأستاذ/ رشاد يوسف

يا أمة الإسلام

شاعران وذئب

يا أمة الإسلام

للأستاذ رشاد محمد يوسف

حتام يهتك سترَكِ الأوغادُ — وتضج بين ربوعك الأحقادُ
حتام تنبثق الدماء سخينة — من راحتيك وتُسْحَلُ الأجساد
يا أمة الإسلام اى بلية — غشيتك فانفطرت لك الأكباد
وكسا الوجوم المشرقين وصوحت — بالمغربين كآبةٌ وحداد
قد كنت سيدة الحياة فما الذي — ازرى بسيدةٍ وكيف تساد ؟
قد كنت قائدة الشعوب فما الذى — ازرى بقائدة وكيف تقاد ؟
فى كل شبر من ربوعك اشعلوا — فتناً يزيد اوارها الإمداد
أنَّى اتجهنا فالدسائس جمةٌ — عادت اساليب العداة وعادوا
يتقاسمون على الموائد خيرنا — وعلى عقيدتنا يُقام مزاد
الغرب والشرق البغيض تآمروا — وتجمع التبشير والإلحاد

والإخوة الأفغان طال صمودهم — زاد العداةُ وزاد الاستشهاد
يقفون فى وجه التآمر وحدهم — لبنات قلعتهم هى الأجساد
والعرب فى الوطن السليب تَبدَّدُوا — ملك اليهود زمامهم فانقادوا
سكن اليهود جلودهم وديارهم — والعائدون تفرقوا ماعادوا
والقدس فى الأسر المهين حزينة — ماساة اندلس هناك تعاد
وعلى الخليج تمزقت اوصالنا — عاد التتار تقودهم بغداد
بغداد تفتك بالكويت فخورة — « صدام » يفخر انه الجلاد
والنار تأكل خيرهم وخيارهم — والقوم لا وعى ولا استرشاد
وتظل تجتاح الخطوبُ ربوعنا — وتظل ظلمة ليلنا تزداد
ونَبيت ننعى كلَّ يومٍ عصبة — خلعوا هوية قومهم او كادوا

وتعاد قصة دنشواى واهلها ... ويعود يمرح بيننا الصياد
ياامة الإسلام صيحة شاعر ... قد ملّها التكرار والترداد
ماذا نقول ويوم مولد احمد ... للصحوة الكبرى هو الميلاد
انقول : وَحَّدْنَا الخطا فى وثبة ... والمسلمون جموعهم آحاد ؟
انقول : اطلعنا الصباح بافقنا ... وعلى العيون سحائب ورماد ؟
انقول : اعددنا ليوم كريهة ... والخلف بينهم هو الإعداد ؟
انقول : عدنا للتعاون إخوة ... وتنبه النوّام والرقّاد

● ●

ايعود للأرض السلام وتمحى ... عن ارضنا الأحقاد والأصفاد ؟
وتعود رائدة الحياة عزيزة ... وتعود تشرق فوقها الأمجاد ؟
يايوم مولد أحمد علمتنا ... « أن الحياة عقيدة وجهاد »
فعسى قدومك ان يكون لامتى ... عيداً فقد عزت بها الأعياد

شاعران وذئب

للفرزدق والبحترى

*** الشاعر الأول : « الفرزدق » .**

وأطلس عسال وما كان صاحباً   دعوت بنارى موهناً فأتاني
فلما دنا قلت : « ادن ، دونك إننى   وإياك فى زاد لمشتركان »
فبت أسوى الزاد بينى وبينه   على ضوء نارٍ مرةً ، ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكاً ..   وقائم سيفى فى يدى بمكان
« تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى   نكن مثل من - ياذئب - يصطحبان
وأنت أمرؤ - ياذئب - والغدر كنتما   أُخَيَّيْن كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى   رماك بسهم أو شَباة سنان
وكلّ رفيقَىْ كل رحلٍ - وإن هما   تعاطى القنا قوماهما أخوان

***

*** الشاعر الثاني : « البحتري » :**

وأطلس ملء العين يحمل زوره   وأضلاعه من جانبيه شوى نهدُ
له ذنبٌ مثل الرشاء يجره   ومتن كمتن القوس أعوج منأد
طواه الطوى ، حتى استمر مريره   فما فيه إلا العظم والروح والجلد
يفضفض عُضْلاً فى أسرَّتها الردى   كقضقضة المقرور أرعده البرد
سما لى ، وبى من شدة الجوع مابه   ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب ، يحدث نفسه   بصاحبه ، والجَدُّ يتعسه الجد
عوى ، ثم أقعى ، فارتجزت ، فهجته   فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها   على كوكب ينقض ، والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة   وأيقنت أن الأمر منه هو الجد

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللبُّ والرعب والحقد
فخر ، وقد أوردته منهل الردى على ظمأٍ ، لو أنه عذب الورد
وقمت ، فجمَّعت الحصى ، فاشتويته عليه ، وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيساً منه ، ثم تركته وأقلعت عنه ، وهو منعفر فرد

***

* **الفرزدق :**

ـــــ أحد الشعراء الأمويين المشهورين الذى نشأ فى بادية البصرة وعالج الشعر صغيراً ونبغ فيه ، ومدح خلفاء بنى أمية وولاتهم بالعراق وهو كثير الفخر رصين اللفظ قوى السبك كان بينه وبين الشاعر المعاصر له جرير هجاء طويل وكان لكل منهما أعوان من الشعراء ـ توفى عام ١١٤ هـ .

* **القصيدة :**

ـــــ وهو هنا يحدثنا عن لقائه ذئباً جائعاً فى الصحراء فى آخر الليل فعطف عليه وقاسمه الزاد وهو يحترس منه ويرسى بعض المعانى العميقة حول صحبة الرحلة . كل ذلك فى أسلوب واضح جميل وعبارة وألفاظ قوية .

* **البحـــتري :**

ـــــ هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بالشام بمدينة منبج عام ٢٠٦ هـ وتنقل فى قبائل طىء وغيرها من البدو الضاربين على شواطىء الفرات . فاكتسب الفصاحة واللغة القوية السليمة ـ فجاء شاعراً رقيق الأسلوب بديع الخيال ، واقتفى آثار شاعر طائى كبير هو أبو تمام الذى وجهه ويسّر له طريق التعبير السليم واللغة السليمة .

* **القصيدة :**

ـــــ هذا لقاء يختلف عن اللقاء السابق ـ فالذئب هنا جائع هزيل بارز العظم ـ يصوت بأنياب معوجة كما يفعل المقرور من شدة البرد ـ التقيا وكل منهما به ذئب ينشد الطعام ويعانى من الجوع، وكل منهما يطلب الآخر ـ وأدرك الشاعر نية الغدر عند الذئب فعالجه بطعنة ثم بأخرى أدخل سنانها فى قلبه فخر صريعاً .. وقام الشاعر بجمع الحصى وإشعال النيران على الرمضاء وشوى الذئب ونال منه بعض الغذاء وتركه .

* موقفان متناقضان مختلفان .. شاعر يقتسم الطعام مع الذئب وشاعر يقتل الذئب لينال منه .. وهكذا يتأكد دائماً أن البقاء للأقوى والأكثر يقظة وحرصاً ـ فى شريعة الغاب .

مفتي مصر الأسبق

فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف

بقلم فضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

الشيخ حسنين ابن الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى(*) مفتى مصر الأسبق وابن وكيل الأزهر سابقا : أسرته من « بنى عدى » ـ مركز منفلوط بمحافظة أسيوط من صعيد مصر .

ولد فى يوم السبت ٦ من مايو ١٨٩٠ م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم بصحن الأزهر الشريف ثم جود قراءته على شيخ القراء فى عهده الشيخ محمد على خلف الحسينى .

وفى الحادية عشرة من عمره التحق بالأزهر طالبا ، وتلقى عن كبار الشيوخ . وكان منهم والده الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى والشيخ عبد الله دراز ، والشيخ عبد الهادى مخلوف ، والشيخ على إدريس ، والشيخ عبد الفتاح المكاوى ، والشيخ محمد الطوخى ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبد الحكم الدجوى ، والشيخ محمد راضى البحراوى ، والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ البيجرمى وغيرهم من المشايخ الأعلام .

ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى وحصل على شهادة العالمية فى يونيو ١٩١٤ م ولم يكن قد جاوز الرابعة والعشرين من عمره آنئذ .

(*) هذه الكلمة ألقاها فضيلة الشيخ محمد حسام الدين بمجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلسته الثانية لعام ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠/١٩٩١ م بمناسبة تعيينه عضوا بمجمع البحوث الإسلامية خلفا للفقيد ـ رحمه الله .

فالتفت إلى التدريس بالأزهر متطوعا فشرح (الملوى على السلم) و(الوليدية) فى أدب البحث ، و(كتاب مسكويه) فى الأخلاق ، ثم عين قاضيا بالمحاكم الشرعية فى يونيو ١٩١٦ م ، وتدرج فى مناصب القضاء ، حتى عين رئيسا لمحكمة الاسكندرية الكلية ، فى أواخر سنة ١٩٤١ م ثم عين رئيسا لتفتيش القضاء الشرعى بوزارة العدل « الحقانية » آنئذ .

واشترك فى إعداد مشروعات إصلاحية لبعض القوانين منها : (قانون المحاكم الشرعية) ، (قانون المجالس الحسبية) و (قوانين الطوائف الملية) ..

ثم انتدب للتدريس فى قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات ، ثم صدر مرسوم ملكى فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ م بتعيينه نائبا لرئيس المحكمة العليا الشرعية وعين عضوا بجماعة كبار العلماء بالأزهر ١٩٤٨ م ، ثم عضوا بمجمع البحوث الإسلامية منذ إنشائه بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م .

كما كان عضوا مؤسسا برابطة العالم الإسلامى ..

***

وكان عمل الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف بالإفتاء أوضح ما تميز به تاريخه العلمى ، فقد تصدى للإفتاء العام عندما خلا هذا المنصب بانتهاء مدة الشيخ عبد المجيد سليم ، فصدر قرار ملكى بتعيين الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مفتيا للديار المصرية ، وكان ذلك فى الثالث من شهر ربيع الأول ١٣٦٥ هـ الموافق ٥ من يناير ١٩٤٦ م وظل بالمنصب حتى ٢٠ من رجب ١٣٦٩ هـ الموافق ٧ من مايو ١٩٥٠ م تاريخ انتهاء مدة خدمته القانونية ، فاشتغل بإلقاء الدروس بالمشهد الحسينى إلى أن أعيد مفتيا للديار المصرية مرة ثانية فى مارس ١٩٥٢ م وحتى ١٩ من ديسمبر ١٩٥٤ م .

وبعدها عمل رئيسا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف لفترة طويلة .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ
حسنين محمد حسنين مخلوف

ولقد كُرِّمَ هذا الشيخ فَمُنِحَ كسوة التشريفة العلمية مرتين : الأولى وهو رئيس لمحكمة طنطا ، والثانية وهو مفتى الديار المصرية .

ولقد أصدر الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف مؤلفات عديدة أغلبها رسائل لطيفة : ومن أهمها :

* كتاب (كلمات القرآن تفسير وبيان) .
* صفوة البيان لمعانى القرآن .
* آداب تلاوة القرآن وسماعه .
* شرح عدة الحصن الحصين للإمام ابن الجزرى .
* شرح نصيحة الإخوان للإمام ابن طاهر الحضرمى .
* شرح الحكم للإمام عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى .
* رسالة الرفق بالحيوان فى الشريعة الإسلامية .
* رسالة : التفسير والمفسرون .
* أحكام الشريعة الإسلامية فى بدع المآتم وما ينفع الموتى من أعمال الأحياء .
* رسالة فى أحكام الميراث .
* مجموعة الفتاوى .
* رسالة الأخلاق الإسلامية .
* شفاء الصدور الحرجة شرح قصيدة المنفردة .

ومنها :

* شرح جالية الكدر بنظم أسماء أهل بدر .
* شرح المدحة النبوية للأستاذ أبو الوفا[1] .
* رسالة عقيدة الإسلام للإمام الحداد .
* رسالة فى تعاليم الشيعة الإسماعيلية .
* شرح لمعة الإسرار للإمام الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوى .
* رسالة فى أخطار المعاصى والآثام ووجوب التوبة منها .
* رسالة فى فضل تلاوة القرآن العظيم .
* رسالة فى شرح أسماء الله الحسنى .
* رسالة فى تفسير سورة القدر .
* أدعية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية .
* نفحات زكية من السيرة النبوية .
* شرح تشطير البردة للشيخ الشرقاوى .
* شرح مشكاة الأنوار فى أوصاف المختار .
* شرح البيقونية فى مصطلح الحديث .

ومما يلفت النظر أن أهم مؤلفات هذا العالم الجليل صدرت بعد الإحالة إلى المعاش ، ولم يخلص منها للفقه ، وعلم الفروع إلا رسالة : « أحكام الشريعة الإسلامية فى بدع المآتم » ..

ورسالة فى الميراث ، ومجموعة الفتاوى .

وفيما عدا هذه الوسائل فإن جملة مؤلفاته ، تتعلق بالقرآن الكريم ، أو بالتصوف ، والمدائح

(١) المقصود الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوى .

النبوية ، والأخلاق ، ثم العقائد ، ومصطلح الحديث .

وكانت كتبه فى تفسير القرآن الكريم أشهر كتبه على الإطلاق . وأوضح هذه المؤلفات كتابان : الأول : « كلمات القرآن : تفسير وبيان » .

وقد صدرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٥٦ م بالقاهرة ، ثم أعاد الشيخ مراجعته وطبعه ثلاث مرات : إحداها بمكة المكرمة ، وكانت المراجعة والطبعة الأخيرة لهذا الكتاب فى يناير سنة ١٩٦٥ م بالقاهرة .

وقد كتب فى مقدمته : « أما بعد » فهذا تفسير لما يحتاج إلى التفسير والبيان من كلمات القرآن ، يوضح معانيها ، ويعين على فهم الآيات التى هى فيها ، وضعت فيها الكلمات على ترتيب الآيات فى السور ، وعن يمين كل كلمة رقم آيتها ، وعن يسارها تفسيرها فى دقة وإيجاز .

ثم شرح الشيخ مقصده بالتفسير فى هذا الكتاب فقال : « فسرنا كلمات القرآن بالمعانى المرادة منها فى الآيات ، وقد تكون المعانى حقيقية ، وقد تكون مجازية أو كنائية » ..

ومعنى هذا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ أراد بالكتاب تجلية المقاصد فى التعبير القرآنى ، سواء كانت هذه المقاصد مستفادة بدلالة المفرد فى ذاته ، أو بدلالته فى نظمه فى سياق الآية ، أو بدلالة قرينة خارجية لم يشملها النظم القرآنى .

وسواء كان المقصد دلالة المفرد فى وضعه الأصلى أو دلالة اللزوم فى الكناية ، أو الدلالة التى انتقل إليها اللفظ مجازا .

وفى هذا تقريب لمعانى القرآن الكريم من جمهرة قراء عصرنا المتعجل ، وإيرادٌ لها فى معانيها الشرعية ، لا معانيها الوضعية اللغوية ، التى لا تقصد شرعا فى الكثير الغالب من الدلالات القرآنية .

وأما الكتاب الثانى فهو : « صفوة البيان لمعانى القرآن » وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بالمملكة العربية السعودية ، ثم طبعته دولة الإمارات العربية المتحدة فى احتفالاتها بمرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم ، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، وجعلته للإهداء مجانا ومنحة للمسلمين .

وقد جاء فى كلمة الوزارة مقدمة للكتاب(٢) : « ولما كان من أهداف الوزارة نشر علم كتاب الله بين الناس ليتفقهوا فى دينهم ، ولتستنير بصائرهم ، فقد رأت إعادة طبع هذا الكتاب النافع ، فاستأذنت الشيخ الفاضل « حفظه الله » فأذن ـ جزاه الله خيرا ـ بذلك مجانا ابتغاء وجه الله تعالى ، وطلبا للأجر والمثوبة .. أ هـ .

وقد جعل الشيخ « رحمه الله » كتابه الأول أساسا للتفسير فى كتابه الثانى : قال : « بدأت بشرح مفردات القرآن شرحا وافيا على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة ، أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التى انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدت الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذى قصدت ،

(٢) مقدمة الطبعة الأولى للكتاب .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ
حسنين محمد حسنين مخلوف

وإن لم تشتمل على غريب القرآن ، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به ، واكتمل من الجميع هذا التفسير الذى سميته : « صفوة البيان لمعانى القرآن » ..

هذا : وقد بدت ثقافة الشيخ واضحة بهذا الكتاب فقد التزم فى بيان مقاصد الآيات فى مسائل العقيدة بما عليه السلف والأشاعرة عموما وفى ايجاز مقبول . لكنه كان يتوسع فى بيان الأحكام الفقهية بما تتجلى به مواهبه وملكاته العظيمة فى هذا العلم .

ومثلا : لو استعرضنا شيئا مما كتبه الشيخ فى جانب العقائد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ الآية .

الفيناه يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ أى ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة فى نظركم . كالبعوض والذباب ، والعنكبوت ، فإن فيها من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق ....

وفى الآية إشعار بصحة نسبة الحياء إليه تعالى ومذهب السلف : إمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى ، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات . واختاره الألوسى .

وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازمه ، وهو ترك ضرب الأمثال بها ، لأن الاستحياء من الحياء ، وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب ، ويذم به ، أو هو انقباض النفس عن القبائح ، وهذا المعنى محال فى حقه تعالى . فيصرف اللفظ إلى لازم معناه . وهو الترك .. أ هـ .

ومن الواضح أن الشيخ رحمه الله ـ فى تفسير هذه الآية ـ أخذ أولا بمذهب السلف بإمرار نسبة الحياء إلى الله تعالى على ما ورد عليه النص ، مع تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ..

ثم أورد بعد ذلك رأى من يتجه إلى التأويل فى مثل هذه الصفات من خلف الأشاعرة بصرف اللفظ عن ظاهر معناه ، وإرادة لازمه ـ فيكون المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ « أن الله لا يترك ضرب الأمثال بمثل هذه المخلوقات » .

وشرح الشيخ أسباب الميل إلى هذا التأويل بقوله : لأن الاستحياء من الحياء وهو تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف مايعاب ويذم .. إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا . ثم قال : « وهذا محال فى حقه تعالى ، فيصرف اللفظ إلى لازم معناه » .

ومعلوم أن التفويض مذهب السلف وأن الأشعرى ـ رحمه الله ـ لزم فى كتابه « الإبانة » مذهب التفويض . وأنه فى كتابه « اللمع » مال إلى إعمال العقل فى غير شطط ، لكنه لم يتناول مسألة الصفات فى هذا الكتاب إلا من طرف بعيد .

وهذا لاينفى أن كثيرا من تلاميذ الأشعرى ، من أمثال أبى المعالى الجوينى ، وأبى بكر الباقلانى ، وغيرهما ثم مَنْ بعدهم من الخلف .

من مثل ابن دقيق العيد وغيره مالوا أحيانا إلى

تغليب جانب التأويل فى غير إسراف ، رغبة منهم في كمال التنزيه لله سبحانه وتعالى .

وفى الحق أن الأشعرى كان أقرب إلى تفويض السلف منه إلى منحى التأويل ، وهذا واضح من جداله مع المعتزلة والجهمية ، ورفضه تأويل آيات الاستواء على العرش ، واحتجاجه فى كتاب « الإبانة » لمبدأ التفويض ، واستشهاده لهذا المذهب بكثير من الآيات التى تتحدث عن الجهة ، كقوله سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[٣] ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾[٤] ، ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾[٥] ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٦] .. إلى غير هذه الآيات .

وهكذا نجد شيخنا الشيخ مخلوف ملتزما فى تفسيره بمذهب السلف فى التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشاعرة فى التنزيه والتأويل . بل وإنه ليتابع أيضا مذهب الأشاعرة فى غير هذا الجانب من المسائل العقدية .

ففى مثل ما كتبه تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ قال : الفسق الخروج عن الطاعة ، ويقع بالقليل والكثير من الذنوب . ولكن تعورف فيما كان كثيرا . وهو أعم من الكفر . فيقال للعاصى : فاسق ، وللكافر فاسق لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة ، والإضلال خلق فعل الضلال فى العبد ، كما أن الاهتداء خلق الاهتداء فيه .. انتهى ..

فقد فسر الفسق هنا بأنه : « الخروج عن الطاعة » وأنه « يقع بالقليل والكثير من الذنوب » .

ولم يفسره بأنه منزلة بين الإيمان والكفر ـ على ما قالت به المعتزلة فى مرتكب الكبيرة . قال الأشعرى فى « اللمع » : « كان الناس قبل واصل ابن عطاء رئيس المعتزلة على مقالتين : منهم خوارج يكفرون مرتكبى الكبائر ، ومنهم أهل استقامة يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ولم يقل منهم قائل : إنه ليس بمؤمن ولا كافر قبل حدوث واصل بن عطاء .

وأيضا فإن الشيخ أى فضيلة الشيخ مخلوف عندما فسر قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ قال : الإضلال خلق فعل الضلال فى العبد كما أن الهداية خلق الاهتداء فيه . انتهى .. وهكذا يتابع الشيخ مذهب الأشاعرة فى خلق أفعال العباد .. «يتبع»

---

(٣) الآية ١٠ من سورة فاطر .
(٤) الآية ٥ من سورة السجدة .
(٥) الآية ١٦ من سورة الملك .
(٦) الآية ٥٠ من سورة النحل .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حفظ الأعضاء

قال الإمام الرازى فى تفسيره : لا تكون المعصية إلا من الأعضاء السبعة وهى : الأذنان والعينان واللسان واليدان والبطن والفرج والرجلان .

وأبواب جهنم سبعة .

(ولا إله إلا الله محمد رسول الله) سبع كلمات ؛ فكل كلمة تكفر معصية عضو ، وتسد باباً من أبواب جهنم بفضل الله .

وقيل للقاضى أبى الطيب : قد كبرت سنك ولم تتغير أعضاؤك .

فقال : حفظتها فى صغرى فحفظها الله فى كبرى .

نصيحة

تجرع الصبر فإن قَتَلك ، قَتَلك شهيداً ؛ وإن أحياك ، أحياك عزيزاً .

لقد

خلق الله اللسان واحداً ، والقلب واحداً دون غيرهما من الأعضاء إشارة إلى أنه لا يُذكر بالواحد إلا الواحد .

ما ينبغى لحامل القرآن

قال ابن مسعود - رضى الله عنه - :

ينبغى لحامل القرآن أن : يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبنهاره إذا الناس يفرطون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه إذا الناس يختالون .

وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكيناً لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ، ولا صياحاً ؛ ولا صَخابا ولا حديدا .

وحتى لا تكون فتنة

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه وهو أمير المؤمنين : ياأبت مالك لا تنفذ فى الأمور . فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور .

فقال له عمر : لا تعجل يابنى فإن الله - تعالى - ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرَّمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

العقرب

أخبث الحشرات ، تلدغ كل شيء تلقاه ، ولها ثمانى أرجل ، وعينها على بطنها ، وإذا لدغت هربت فى الحال ، وإذا خرجت من بيتها أول النهار تلدغ كل شيء تلقاه من حيوان وجماد وربما ضربت الحجر والمدر ومن أحسن ما قيل فى ذلك :

رأيت على صخرة عقربا
وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها : إنها صخْـرةٌ
وطبعُك من طبعهـا الينا
فقـالت صدقـت ولكنني
أريد أُعَرِّفُهَا : من أنا !!

ومن عجيب أمرها انها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك الشيء من بدنه ، فإنها عند ذلك تضربه ، ومن شأنها انها إذا لسعت الإنسان فرّت فرار مسيء يخشى العقاب .

إن من الشعر لحكمة

ولقد أمر على اللئيم يسـبنى
فمضيت ثمت قلت : لا يعنينى

الجار

يلومونى إن بعت بالرخص منزلى
ولم يعلموا جاراً هناك ينغص
فقلت لهم : كفوا الملام فإنما
بجيرانها تغلو الديـار وترخص

قالوا

من صغرت عيناه ، ودام اختلاجها وتتابع طرفها ، ومال أنفه إلى أيمن شقيه ، وبعد ما بين حاجبيه ، وكانت منابت شعره ثلاثاً ثلاثاً وطال إكبابه إذا مشى ، وتلفت تارة بعد أخرى ؛ غلبت عليه أخلاق السوء .

ألهذا دعوناك ؟

دُعِيَ رجل ليخطب فى نكاح فحصر ، فقال : لقنوا موتاكم شهادة « أن لا إله إلا الله » ؛ فقالت امرأة حضرت : ألهذا دعوناك ! أماتك الله .

حقا

الفقر داء لا دواء له ، من كتمه قتله ، ومن أذاعه فضحه .

ويخرس الفطن عن حجته ، ويجعله غريباً فى بلدته .

دعاء

سبحانك إلهى !
إذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الأرض برحبها .
وإذا ذكرت رحمتك ارتدَّ إلىّ رُوحى .
سبحانك إلهى ! اتيت أطباء عبادك ليداووا لى خطيئتى فكلهم عليك يدلنى .

العلوم الكونية ٢

في التراث الإسلامي

أ. د. أحمد فؤاد باشا

ثانياً : نظريات الميكانيكا :

يُعرف علم « الميكانيكا » حالياً بأنه « أحد العلوم الفيزيائية الذى يعنى بدراسة حركة الأجسام أو تغيير مواضعها ، وهو ينقسم عادة إلى « الديناميكا » Dynamics التى تعنى بالأسباب الفيزيائية للحركة بمختلف أنواعها ، و« الكينماتيكا » Kinematics التى تعنى بدراسة الحركة المجردة من وجهة النظر الهندسية بصرف النظر عن اعتبارات الكتلة والقوة ، و« الاستاتيكا » Statics التى تختص بحالات الأجسام الساكنة أو القوى المتوازنة التى تحول دون ظهور الحركة . وتعتمد نظريات الميكانيكا على مفاهيم غير معرفة للفراغ والزمن والمادة ، مثل مفهوم « النقطة » و« الخط المستقيم » فى الهندسة « الإقليدية » المستوية التى وضع أصولها عالم الرياضيات اليونانى « اقليدس » Euclid فى القرن الثالث قبل الميلاد .

ويلجأ العلماء كثيراً إلى تبسيط الوصف الرياضى للظواهر الفيزيائية بواسطة استبدال الأشياء الواقعية فى الطبيعة بنماذج مناسبة تفيد فى أغراض عملية كثيرة ، مثال ذلك نجده عندما نتعامل مع كل من الأرض والشمس كنقطة ، وذلك عند وصف حركة الأرض حول الشمس من الناحية الرياضية . وقد كانت هذه مرحلة متقدمة فى تاريخ العلم ، أرسى دعائمها علماء الحضارة الإسلامية الزاهرة خلال العصور الوسطى على أساس الدراسات النظرية عن الحركة والسكون فى المؤلفات الفلسفية القديمة . من ناحية أخرى ، أدى المنهج التجريبى الذى اصطنعه علماء المسلمين إلى تحقيق ثورة هائلة فى مجال العلوم الطبيعية ، ومن بينها علم الميكانيكا الذى بدأته الفلسفة القديمة بعدم القدرة على التمييز بين حركة الطائر وحركة حجر يسقط من أعلى الجبل أو حركة نجم يدور فى السماء . ويكفى أن نستدل

على طبيعة الفرض الفلسفي وانعدام جدواه فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ العلم الطبيعى بما جاء فى التراث الإغريقى على لسان أفلاطون فى وصف الكون ما نصه : « والآن ، وبعد أن بلغت كل النجوم اللازمة لتكوين الزمن وضعاً حركياً مناسباً لها ، وبعدما أصبحت أجسامها المكبلة بالسلاسل كائنات حية تعرف مهمتها المرسومة ، بدأت تدور ، بعضها فى مدارات واسعة والبعض الآخر فى مدارات ضيقة .

« وكانت النجوم ذات المدارات الأضيق تدور بشكل أسرع ، وكانت النجوم ذات المدارات الأوسع أبطأ دوراناً » [1] . ولم تكن آراء أرسطو ، عبقرى الحضارة الإغريقية ، وتأملاته الفلسفية فى حركة الأجسام أحسن حالاً من آراء أستاذه أفلاطون ، فقد بحث هو الآخر فى حركة الوجود المادى المحسوس على أساس أن الطبيعة هى العلة الأولى لكل حركة أو سكون . ذلك أن لكل جسم فى فلسفة أرسطو مكانه الطبيعى الذى يسعى إليه ، وفى هذا المكان يكون الجسم فى حالة سكون . وهذا السكون صادر عن الجسم نفسه ، بمعنى أن كل جسم لابد له من مكان يحل فيه ، وبذلك يكون السكون من ذات الجسم كما كانت الحركة من ذاته أيضاً [2] . ويكاد يُجمع فلاسفة العلم ومؤرخوه على أن منطق أرسطو الصورى الذى اتبعه فى استخلاص مثل هذه الآراء الخاصة بظواهر العلم الطبيعى غير قادر على الوصول إلى حقائق علمية تؤكدها التجربة العملية ، ووصفوه بأنه منهج عقيم وأجدب لأنه لا يأتى بمعرفة علمية جديدة .

من هنا ، كان لابد للعلم من منهج جديد يقوم على الملاحظة والتجربة والاستقراء وفرض الفروض واستنباط النظريات والقوانين العلمية . وقد جاء هذا المنهج على أيدى علماء الحضارة الإسلامية . ومثل هذا المنهج الذى التزموه فى كنف الروح الإسلامية الباعثة لكل الطاقات البشرية والملكات المعرفية يظل دائماً قادراً على الإنتاج والعطاء إذا ما أحسن استغلاله وتطبيقه . ولا عجب إذن من أن يشهد المنصفون بأن العلم يدين بنشأته وتطوره لهذا المنهج الإسلامى الرشيد الذى لولاه لتأخر سير المدنية عدة قرون .

وقد كشف الباحثون فى مخطوطات التراث العلمى للحضارة الإسلامية عن الكثير من النتائج الهامة التى يمكن تصنيفها ، فيما يتعلق بهذا الجزء من الدراسة ، إلى مستويين أساسيين فى علم الميكانيكا نجمل عنهما الحديث فيما يلى :

١ - تعريف عناصر الحركة وأنواعها :

حدّد الشيخ الرئيس ابن سينا [3] عناصر الحركة فى ستة أمور هى : المتحرك (أى الجسم المتحـرك) والمحرِّك (أى القـوة المسببـة للحركة) ، وما فيه (يعنى موضع الجسم) وما منه (يعنى موضع بداية الحركة) وما إليه

---

(١) راجع مؤلفنا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) د . محمد عبدالرحمن مرحبا ، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٩ وما بعدها .

وتجدر الإشارة فى هذا الشأن إلى أن علماء وفلاسفة المسلمين الممثلين لروح الإسلام يرون فى أفلاطون وثنيًا كبيراً ويعتبرون أرسطو فيلسوف الإلحاد الكبير . راجع فى ذلك . د . على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، الجزء الأول ، دار المعارف ط ٨ ، ١٩٨١ ، ص ١٦٦ .

(٣) الشيخ الرئيس ابن سينا ، كتاب « الشفاء - الطبيعيات » ، تحقيق محمود قاسم ، مراجعة وتقديم إبراهيم مدكور ، المقالة الثانية ، الفصل الأول ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٦ .

العلـــوم الكـــونيـــة

(يعنى موضع انتهاء الحركة) ، والزمان (يعنى الفترة الزمنية التى استغرقتها الحركة) . ونجد تعريف الحركة الطبيعية والحركة القسرية فى قول ابن سينا أيضاً : « وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب فى نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إذا كان محركاً على جهة واحدة على سبيل التسخير فيسمى طبيعة » . كما نجد تعريف الحركة المكانية (الانتقالية) والحركة الوضعية (الدورانية) فى كتاب « المعتبر فى الحكمة » لابن ملكا البغدادى ، حيث يفرِّق بين هذين النوعين من الحركة بقوله : « الحركة المكانية هى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى آخر ، والحركة الوضعية هى التى تتبدل بها أوضاع المتحرك ولا يخرج عن جملة مكانه كالدولاب والرحا » (٤) ، كذلك أوضح البغدادى الفروق الجوهرية بين نوعى الحركة الطبيعية والحركة القسرية بقوله : « ...... فإن الحركة إما طبيعية وإما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور عن طبعه إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركة بالطبع لم يكن حركة بالقسر . والطبيعية إنما تكون عن مباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، وإلى مناسب أنسب من مناسب ... » (٥) ، ويتضح من هذا النص أن علماء المسلمين قد فطنوا لأول مرة فى تاريخ العلم إلى إمكان الجمع بين الحركتين الطبيعية والقسرية ، كما هو الحال بالنسبة للمقذوفات عند قذف الأحجار ورمى السهام وغير ذلك .

بالإضافة إلى هذا ، تمكن الباحثون فى تراث الحسن بن الهيثم من التوصل إلى حقيقة تاريخية هامة مؤداها أنه تعامل مع الحركة ـ من خلال معالجاته الرياضية لشرح ظواهر انعكاس الضوء وانعطافه ـ على أنها « كمية اتجاهية » قابلة للتحليل والتركيب بالمعنى المفهوم حالياً فى علم « المتجهات » Vectors . فهو يحلل الحركة للشعاع الضوئى الساقط إلى قسطين (أو مركبتين) : إحداهما عمودية على سطح السقوط والأخرى موازية له (٦) .

ويحتوى التراث العلمى الإسلامى أيضاً على مصطلح هام فى العلوم الفيزيائية يتعلق بالأسباب الفيزيائية للحركة « الديناميكا » ، هو مصطلح « كمية التحرك » Momentum الذى يشير إلى كمية فيزيائية فى المتحرك تتوقف على سرعة حركته وكمية المادة به . وقد أشار الحسن بن الهيثم إلى هذا المعنى بمصطلح « قوة الحركة » ، وذلك فى معرض شرحه لارتداد جسم مصادم لسطح مستو ، حيث يقول : « ... والمتحرك إذا لقى فى حركته مانعاً يمانعه وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه الممانع ، فإنه يرجع من (حيث) كان فى الجهة التى منها تحرك ... وتكون قوة حركته فى الرجوع بحسب قوة الحركة التى كان تحرك بها الأول ، وبحسب قوة الممانعة ... لأن الحركة المكتسبة إنما تكون بحسب مقدار المسافة وبحسب مقدار الثقل » . وهنا ، يكتسب إدراك ابن الهيثم للمعنى الكمّى للحركة أهمية خاصة إذا علمنا أن معدل كمية التحرك بالنسبة للزمن

(٤) أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى ، المعتبر فى الحكمة ، مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول ، رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .

(٥) المرجع السابق ، عن د . على عبدالله الدفاع ود . جلال شوقى ، أعلام الفيزياء فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ .

(٦) مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه البصرية ، القاهرة ١٩٤٢ .

هو أساس تعريف « القوة » Force الذى قام عليه قانون نيوتن الثانى للحركة (٧) .

كذلك عرف علماء الحضارة الإسلامية أسباب معاوقة سواء عن طريق الاحتكاك أو بسبب تأثير شكل الجسم وكثافة الوسط الذى تحدث فيه الحركة . فهذا نصير الدين الطوسى يؤكد بوضوح أن قوة المعاوقة الناشئة عن الاحتكاك تتناسب طردياً مع وزن الجسم . جاء ذلك فى معرض شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات » حيث قال : « ولا شك أن طبيعة (أى وزن) الجسم الأعظم تكون أقوى من طبيعة الجسم الأصغر لاشتمال الأعظم على مثل طبيعة الأصغر وعلى ما يزيد عليه ، ويلزم منه أن تكون مقاومة الأعظم أكثر من مقاومة الأصغر » .

وعن مقاومة الوسط الذى يتحرك فيه الجسم يقول ابن سينا فى طبيعيات كتابه « الشفاء » : « فإنك ستعلم أن مقاومة المنفوذ فيه هى المبطل للقوة المحركة » . ويقول هبة الله البغدادى فى كتابه « المباحث الشرقية » : « إن الجسم إذا تحرك فى مسافة ، فكلما كان الجسم الذى فى المسافة أرق كانت الحركة فيه أسرع ، وكلما كان أغلظ كانت الحركة فيه أبطأ » . وعن تأثير شكل الجسم المتحرك على مقاومة الحركة يقول ابن ملكا : « إن المخروط المتحرك على رأسه يخرق أسهل من المتحرك على قاعدته » ، وفى هذا أيضاً إشارة إلى أهمية الشكل الانسيابى فى سهولة الحركة ، وهو ما يلاحظ عادة عند صناعة السيارات والسفن والطائرات والصواريخ (٨) .

٢ ـ قوانين الحركة وتطبيقاتها :

نعلم الآن أن قوانين الحركة الشهيرة يعزى اكتشافها إلى العالم الانجليزي اسحق نيوتن فى القرن السابع عشر ، وتستخدم هذه القوانين لكى تصف وتتنبىء عن حركة الأجسام الظاهرة فى الكون ، بما فى ذلك حركة كواكب مجموعتنا الشمسية . وينص قانون نيوتن الأول للحركة كما نعرفه اليوم على أن « كل جسم يظل على حالته من السكون أو الحركة المنتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تغير من حالته » ، اى أن هذا القانون يختص بصفة مدافعة الجسم عند بقائه على حالته ، وهى ما تعرف باسم « خاصية القصور الذاتى » ، أما قانون نيوتن الثانى للحركة فينص على أن « القوة المؤثرة على جسم متحرك تتناسب تناسباً طردياً مع كل من كتلته وعجلة تحركه » ، حيث تعرف العجلة بأنها معدل تغير سرعة الجسم . وهناك نص آخر لهذا القانون هو : « يتناسب معدَّل التغير فى كمية تحرك جسم ما مع القوة المؤثرة عليه ، ويكون هذا التغير دائماً فى اتجاه القوة » . وإذا ما وصلنا إلى القانون الثالث للحركة فإننا نجد أنه ينص على أنه : « لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه » .

وقد أكدت مخطوطات التراث الإسلامى سبق علماء المسلمين إلى صياغة وصفية لقوانين الحركة الثلاثة المنسوبة لاسحق نيوتن فى نصوص صريحة واضحة نذكر منها على سبيل المثال :

أ ـ إشارة ابن سينا إلى خاصية القصور الذاتى التى يدافع بها الجسم المتحرك عن استمراره فى الحركة المنتظمة ، بقوله : « إنك لتعلم أن الجسم إذا خلّى وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بدّ من موضع

(٧) نجد هذا المعنى أيضاً فى نصوص أخرى من التراث الإسلامى وردت فى مؤلفات ابن ملكا البغدادى ، راجع فى ذلك المراجع المذكورة لمصطفى نظيف وعلى عبدالله الدفاع وجلال شوقى وأحمد فؤاد باشا .

(٨) لمزيد من التفصيل راجع مؤلفنا « التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، فصل الفيزياء » القاهرة ١٩٨٤ .

العلـــوم الكـــونيـــة

معين ، وشكل معين ، فإذن فى طباعه مبدأ استيجاب ذلك .... والجسم له فى حال تحركه ميل (أى مدافعة) يتحرك به ، ويحس به الممانع ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره فيبطل المنبعث عن طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه »[٩] . ويقول ابن سينا فى موضع آخر من طبيعيات الشفاء : « ... وليست المعاوقة للجسم بما هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء على حاله من المكان أو الوضع ... وهذا هو المبدأ الذى نحن فى بيانه »[١٠] . وهذا هو القانون الذى يناظر قانون نيوتن الأول للحركة .

(ب) صياغة ابن ملكا البغدادى للقانون الثانى للحركة على الصورة : « وكل حركة ففى زمان لا محالة ، فالقوة الأشد تحرك أسرع وفى زمان أقصر .. فكلما اشتدت القوة ازدادت السرعة فقصر الزمان ، فإذا لم تتناه الشدة لم تتناه السرعة ، وبذلك تصير الحركة فى غير زمان أشد ، لأن سلب الزمان فى السرعة نهاية ما للشدة »[١١] .

ونلاحظ هنا معنى التسارع (العجلة) فى عبارة « سلب الزمان فى السرعة » ، وهو يقابل فى عصرنا معدل تغير السرعة ، مما يفيد وقوف ابن ملكا البغدادى على معنى تناسب القوة مع تسارع الحركة . ولكنه بطبيعة الحال لم يكن مطلوباً منه فى حدود معطيات عصره أن يتوصل إلى الصيغة الرياضية التى وضعها نيوتن بعد ذلك بحوالى ستة قرون وهى « القوة تساوى حاصل ضرب الكتلة فى تسارع الحركة » .

(جـ) إشارة فخر الدين الرازى إلى أحد معانى قانون الحركة الثالث من خلال صياغته لقانون الاتزان تحت تأثير قوتين متساويتين بقوله : « الحلقة التى يجذبها جاذبان متساويان حتى وقفت فى الوسط ، لا شك أن كل واحد منهما قد فعل فيها فعلاً معوقاً بفعل الآخر ، ثم لا شك أن الذى فعله كل واحد منهما لو خلى عن المعارض لاقتضى اجتذاب الحلقة إلى جانبه »[١٢] .

وهكذا نجد أن علماء المسلمين قد سعوا بمنهجهم العلمى السليم إلى بلورة الكثير من المفاهيم الميكانيكية الجديدة التى ساعدت علماء النهضة الأوروبية بعد ذلك على إيجاد صياغات كمية لقوانين حركة الأجسام على الأرض ، أو حركة الأرض والكواكب والنجوم فى الفضاء الكونى .

---

(٩) عن : « اعلام الفيزياء فى الإسلام » مرجع سابق .

(١٠) المرجع السابق .

(١١) هبة الله بن ملكا البغدادى ، المعتبر فى الحكمة ، مرجع سابق .

(١٢) الإمام فخر الدين الرازى ، كتاب « المباحث الشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات » ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن بالهند ، ١٩٢٤ . عن « اعلام الفيزياء فى الإسلام » ، مرجع سابق .

أخبار العلم

إعداد/ صفوت عبد الجواد

بحث مصرى ناجح لحماية دول البحرين الأبيض والأحمر

● شهدت القاهرة جلسات المؤتمر العالمى الثانى التى عقدت لدراسة « تغيرات الجو وتأثيراتها على ارتفاع سطح البحر والمحيطات والأنهار » .

شاركت مصر فى هذا المؤتمر ببحث تقدم به الدكتور المحمدى عيد رئيس جهاز شئون البيئة .

تبين أن الدوائر العلمية الدولية تتوقع ارتفاع منسوب سطح البحر مابين نصف متر ومتر خلال السنوات الخمسين القادمة . مما سيؤدى إلى غمر الشواطىء المصرية بالمياه إلى داخل الدلتا بمسافة قد تصل إلى (٣٠) كيلو مترا ، لأن السواحل المصرية لاترتفع عن سطح البحر بأكثر من نصف متر بينما ترتفع القاهرة نحو ٢٠ مترا ، وقد يؤدى زحف المياه إلى ملوحة الأراضى المزروعة حاليا بنسبة ١٢ أو ١٥٪ ، ويعنى ذلك أن يتأثر ٨ ملايين من السكان يعيشون فى المدن الساحلية من الشواطىء .

وهذا بالإضافة إلى التأثير الضار على المحميات الطبيعية من المرجانيات ونباتات المانجرون التى تعيش فى مياه البحر الأحمر .

وأيد البحث المصرى مشروع عالم مصرى كبير هو الدكتور محمد القصاص بإقامة حواجز وسدود عند جبل طارق وباب المندب لحماية دول البحر الأبيض والأحمر من هذا الخطر .

هيئة أبحاث المناطق الحارة وعَمَى الأنهار

● أعلنت هيئة ابحاث المناطق الحارة « TDR » بمنظمة الصحة العالمية أن مرض (عمى الأنهار) « أونكوسركياسس » الذى تنقله الذبابة السوداء يهدد ١٧ مليون افريقى إلى جانب نحو خمسمائة مليون إنسان آخر تهددهم أمراض المناطق الحارة ، ونتيجة للأبحاث والدراسات تم التوصل إلى كفاءة دواء « إيفرميكين » ... كان يستعمل فى الطب البيطرى لعلاج مرضى (عمى الأنهار) .

طالبت هيئة أبحاث المناطق الحارة شركات الدواء العالمية بالمساهمة فى تكاليف نقل الدواء .

تشعيع الطعام :

ثمان وثلاثون دولة فى العالم تتولى تشعيع الطعام بتعريضه للأشعة طلبا للقضاء على التلوث والفساد والفطريات وقد أقيم مؤخرا فى (المركز القومى للبحوث وتكنولوجيا الاشعاع) بالقاهرة ـ مؤتمر للحفاظ على الأغذية بالأشعاع .

وافقت الهيئة الدولية للرقابة على الأغذية على حفظ الطعام بالإشعاع بشرط كتابة تعبير « معامل الاشعاع » .

أول معهد للطب النفسى يقام بالقاهرة

● فى إطار ثقة المنظمات العالمية المتزايدة فى كفاءة علماء مصر ، اختارت هيئة الصحة العالمية الدكتور أحمد عكاشة أستاذ ورئيس قسم الطب النفسى بجامعة عين شمس رئيسا لبحوث الهيئة فى منطقة شرق البحر المتوسط . يعتبر د / عكاشة عميد أحدث مركز أقيم لهذا الطب ويتبع جنيف مباشرة .

تمتد منطقة شرق البحر المتوسط إلى باكستان شرقا ، وتشمل جميع البلدان العربية حتى المغرب .

بدأ المركز عمله منذ أكثر من شهر ،

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

لا تعارض فى آيات الكتاب الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار
رحمه الله

إعداد الأستاذ :
عبد الفتاح حسين الزيات

يحلو لبعض اعداء هذا الدين لجهلهم به وضحالة معرفتهم بالعربية ، ولما فى صدورهم من مكر بالدين أن يصوروا للناس تناقضاً فى الكتاب العزيز وهم لا يدخرون وسعاً فى تشكيك المسلمين بجانب المخططات الأخرى التى استهدفت قطع العلائق بينهم ، ولو كان الكتاب من عند غير الله لكان فيه التناقض ، ولكنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ . قال الكاتب ـ رحمه الله ـ :

ينطق بالحق ، ويخبر بالحكمة ، ويلهم النفوس تقواها ، ويرشدها إلى خيرها وهداها ؛ كتاب أحكمت آياته ، وتسامت معانيه وألفاظه ، لا تجد من بينها تعارضاً ولا اختلافاً ، ولا تهافتاً ولا اضطراباً ، بل تجد دقة فى الوضع ، وجمالاً فى التصوير ، وإحكاماً وإتقاناً ، وأسلوباً بهر العقول ، وتخاذل أمامه كل أسلوب . عنت له الوجوه ، وخشعت عنده القلوب ، وخرت أمامه أساطين البلاغة والفصاحة .

وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن حكيم خبير ، جاء بالآيات البينات والدلائل الواضحات ،

والروعة والجلال ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ .

وما تمشدق به الملحدون الذين لم يتذوقوا طعم الإيمان ولم يجدوا حلاوته ، من دعوى وجود اختلاف وتعارض بين بعض آياته ، فذلك يرجع إلى أحد أمرين : إما للعناد والمكابرة وتلمس أتفه الشبه التى لا تلبث أن تزول بمجرد النظر الصحيح ؛ وإما للجهل بأساليب الكتاب العزيز التى لا يعرفها إلا من مارس البلاغة والبراعة ، وعرف ضروب التفنن فى أساليبها ، وتذوق مزاياها وخصائصها .

وإنى أسوق أقوى ما تمسكوا بخيوطه ، وتعلقوا بأهدابه ، مبيناً أنها خيوط عنكبوت لا تتماسك ولا تقوى على حماية من يعتمد عليها ، ولا تحفظه من التردى فى حفرة باطله .

ورد من بين آيات الكتاب آيات تنطق أن خلق الأرض تقدم خلق السموات ، وأن خلقهما استغرق ثمانية أيام ؛ وآيات تنطق أن خلق السموات تقدم خلق الأرض ، وأن خلقهما استغرق ستة أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك .

ويبدو للناظر فى ظاهر ذلك ما يوهم الاختلاف والتعارض . لذلك كان من الخير أن نعرض لتلك الآيات بالبيان حتى تسفر الحقيقة مشرقة الوجه واضحة الجبين لا يعلوها غبار ولا يلحقها شين .

ورد قول الله تعالى من سورة النازعات : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ صريحاً فى معناه واضحاً فى دلالته على أن خلق السماء تقدم خلق الأرض ، حيث ذكر خلق السماء وما يتعلق بها ، ثم ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها ، ثم أردف ذلك بقوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ اى بعد أن خلق السماء وما يتعلق بها دحا الأرض وبسطها . بينما نجد الآيات من سورة فصلت : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ . . ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ تفيد بظاهرها أن خلق الأرض تقدم خلق السموات ، خصوصاً الإتيان بكلمة (ثم) التى هى للترتيب بعد الفراغ من ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها ، وتفيد أن خلق الأرض كان فى يومين لقوله : ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ وأن خلق ما يتعلق بالأرض كان فى اربعة أيام، لقوله : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ وأن خلق السماء كان فى يومين ، فتكون مدة خلق الأرض والسماء ثمانية أيام لا ستة .

ومن هنا اختلف العلماء فى طريق العلاج لحل هذه المشاكل ؛ فرأى بعضهم أن خلق الأرض تقدم خلق السماء كما هو منطوق قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ .

فأنت ترى هذه الآيات قد تحدثت عن خلق الأرض وما يتعلق بها أولاً ، ثم جاءت كلمة (ثم) التى هى للترتيب مع التراخى الزمانى ، وتحدثت عن خلق السماء وما يتعلق بها ثانياً .

وما ورد من سورة النازعات من قوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ بعد ذكر خلق

من روائع الماضي

السماء وما يتعلق بها أولاً ؛ فمعناه أنه تعالى خلق الأرض أولاً ، ثم خلق السماء ، ثم قصد إلى الأرض فدحاها وبسطها . وبذلك لا يكون هناك تعارض ولا اختلاف بين الآيات . وهذا يوافق المروى عن ابن عباس ، فقد روى البخارى أن ابن عباس سئل عن التعارض الحاصل بين قول الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ وبين قول الله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ .... ﴾ إلى قوله : ﴿ طَائِعِينَ ﴾ فأجاب بأنه تعالى خلق الأرض فى يومين ، ثم خلق السماء فى يومين آخرين ، ثم دحا الأرض . ودحوها أن أخرج فيها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام فى يومين آخرين ، فذلك قوله : ﴿ دَحَاهَا ﴾ .

ولما كان هذا لا يساعده النظم الكريم ولا تقتضيه جزالته ، بل تنافيه ، لأن الآيات ذكرت خلق الأرض فى يومين ، وذكرت خلق ما يتعلق بالأرض من خلق الجبال والأشجار والنبات والحيوان فى يومين آخرين ، وذلك لا سبيل إليه إلا بعد أن تصير الأرض مدحوة ومبسوطة ، وبعد ذلك قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ فليس من شك فى أن ذلك يقتضى أن يكون خلق السماء بعد دحو الأرض وبسطها . وهو يطابق ما ورد من سورة البقرة : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ ؛ إذ لا يكون خلق ما فى الأرض جميعاً بدون أن تكون مدحوة ومبسوطة ـ لما كان الأمر كذلك رأى بعض العلماء أن خلق السماء تقدم خلق الأرض كما هو منطوق قول الله تعالى من سورة النازعات : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ أى بعد المتقدم ذكره : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ .

يعضد هذا ويقويه قول الله تعالى من سورة الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .

وقوله من سورة هود : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .

ومن سورة ق : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ لأنها تتحدث عن مبدأ الفطرة . ومن حسن السبك وجودة النظم ان ما يذكر أولاً يكون ظاهراً فى أنه هو المخلوق أولاً ، وقد ذكر خلق السماء فى هذه الآيات قبل ذكر خلق الأرض ، وأن قول الله تعالى فى سورة فصلت : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ بعد أن ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها لا يستلزم تقدم خلق الأرض على خلق السماء ، لأن كلمة (ثم) سيقت لغرض تعداد النعم لا لغرض إفادة ترتيب الخلق .

أو يقال إن التقدير ثم كان قد استوى إلى السماء ، كما فى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ إذ معناه إن يكن سرق . وأنت خبير بأن قصد تعداد النعم لا يمنع إفادة (ثم) الترتيب ، لأن هذا هو معناه ، كما أن تقدير كلمة كان أى ثم كان قد استوى ، يتنافى مع ما عليه القرآن من البلاغة واستقامة معانيه ، لما تقتضيه كلمة (ثم) من التأخير ، وما تقتضيه كلمة كان من التقديم ، وفى ذلك من التنافى ما لا يخفى .

وواضح أن القول بتقدم خلق السماء على

الأرض ليس بالحصيف ولا بذى الرأى السديد ، وإن عُزى إلى قتادة وارتآه كثير من العلماء ، لأنه يتنافى مع جزالة النظم الكريم ، وتتهافت معه معانى الآيات . الا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ كناية عن إيجاد السماء والأرض . فلو تقدم خلق السماء خلق الأرض لكان قوله : ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ مقتضياً إيجاد الموجود وتحصيل الحاصل . ومثل هذا يكون بمعزل عن ساحة كتاب اختص بمزايا لايدانيه فيها سواه .

والذى يصح أن يكون جديراً بالقبول فى هذا الموضوع : أن يحمل الخلق فى قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ . . . . ﴾ الآيات ، على التقدير والقضاء لا على الإيجاد والحصول ، أى قدر وجود الأرض وحكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين ؛ وبذلك تتلاشى شبهة : كيف كان ذلك فى أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك ، ضرورة أن اليوم يمتاز عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها ولا شمس ولا قمر .

﴿ وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أى قدر وقضى أن يكثر خيرها بخلق أصناف الحيوانات وأنواع النبات على ما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه مصلحة العباد « فى أربعة أيام » أى فى تتمة أربعة أيام مقدار يومين آخرين منضمين إلى مقدار يومى خلق الأرض ، فتكون مدة خلق الأرض وما يتعلق بها مقدار أربعة أيام ، وتكون مدة خلق السماء يومين ، وبذلك تتعلق آيات فصلت بالآيات الناطقة أنه تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام .

ثم شرع سبحانه وتعالى فى بيان التكوين والإيجاد بقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ اى ثم قصد إلى السماء فقال لها وللأرض التى قدر حصولها وحصول ما فيها كوناً وإحداثاً وفقاً لما قدرنا وأردنا فكانتا على ما اقتضته حكمته البالغة من كمال الإحكام والإتقان وجمال التصوير . وهذا تمثيل وتصوير لكمال قدرته تعالى وأنه لا يمتنع عليه تعالى شىء مما قدره وتعلقت قدرته بحصوله وإيجاده . وبهذا انحسر اللثام واتضح المقام أن (ثم) إنما هى للترتيب بين التقدير والإيجاد ، لا بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء . ولا ادل على ذلك من أن هذه الآيات إنما سيقت للتدليل على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن أن يكون له شريك ونِدّ ، لأن مبدع هذه الكائنات وهذه الأجرام العظيمة ، وتلك النعم الجزيلة ، لا يصح فى العقول السليمة أن يكون له أنداد وأن يكفر ، بل هو المستحق لأن يعبد ويشكر دون سواه .

وإنك لترى على هذا كيف تجاوبت أطراف النظم ، وتعانقت آياته ، ولعت من بينها شواهد البيان ومخايل الأساليب العالية ، وظهرت جزالته واستقامت معانيه مع الروعة والجلال .

عمرو بن كلثوم

سيرة حياة

للأستاذ: أيمن محمد ميدان

نسبـــه :

هو عمرو بن كلثوم بن مالك[١] بن عتَّاب بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبَيْب[٢] بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب[٣] بن افصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[٤] .

وَأُمُّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل اخى كليب ، وامها بنت بُعْج بن عُتبة بن سعد بن زهير[٥] .

مولـــده :

وعن مولده يروى أبو الفرج الأصفهانى رواية لا تخلو من مبالغة تثار كثيرا حول بعض الأشخاص الذين أحرزوا تفوقا ملموسا ، أو نبوغا مذهلا فى فترة من فترات حياتهم .

يقول الأصفهانى : « أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنى العُكلى عن العباس بن هشام عن أبيه عن خراش بن إسماعيل عن رجل من بنى تغلب ثم من بنى عتَّاب قال : سمعت الأخدر ـ وكان نسَّابة ـ يقول :

لما تزوج مهلهل بنت بعج بن عتبة أهديت إليه ، فولدت له ليلى بنت مهلهل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتليها . فأمرت خادماً لها أن يغيبها عنها . فلما نام هتف به هاتف يقول :

كم من فتى يُؤَمَّل
وسيد شمردل[٦]
وعُدَّةٍ لا تُجْهَل
فى بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال : يا هند أين ابنتى ؟ قالت : قتلتها . قال : كلا وإله ربيعة ! ـ فكان أول من حلف بها ـ فاصدقينى ، فأخبرته . فقال : أحسنى غذاءها ، فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتاب . فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت : إنه أتانى آتٍ فى المنام ، فقال :

يا لَكِ لَيْلَى من وَلَدْ
يُقدِمُ إقدام الأسَدْ

مـن جشـم فيـه الـعـدد
أقـول قيـلاً لا فنـد[٧]

فولدت غلاما فسمته عمرا . فلما أتت عليه سنة قالت : أتانى ذلك الآتى فى الليل أعرفه ، فأشار إلى الصبى وقال :

إنـى زعيـم لـك أمّ عَمـرِو
بمـاجد الجَـدِّ كريم النجـرِ[٨]
اشجـع من ذى لِبَدٍ هـزبـر
وَقّاصِ أقران شـديدِ الأسْر[٩]
يسودهم فى خمسة وعشر

قال الأخدر : فكان كما قال ، ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة[١٠] .

ومع ما تنطوى عليه هذه الرواية من مبالغة غير منطقية تبقى لها الدلالة على « أن عمرو قد ولد فى بيت السيادة من قومه ، ولقى من العناية ، وحسن الإعداد منذ نشأته ما هيأ له أن يكون فارسا متميزا وسيدا مقدما منذ شبابه المبكر »[١١] .

أبنـــاؤه :

تشير المصادر التى ترجمت لحياة عمرو بن كلثوم أو تناولت جانبا من جوانبها إلى أن لعمرو ثلاثة أبناء هم : الأسود ، وعبد الله ، وعباد ، وبنتا تدعى «النوار » ، وفيما يلى ترجمة مبسطة لكل واحد منهم :

١ ـ الأسود بن عمرو بن كلثوم : ـ كان سيدا شاعرا[١٢] ، وبه كنى عمرو فقيل أبو الأسود ، وبلغ الأسود من العز مبلغاً كبيراً دفع النعمان بن المنذر إلى أن يخطب وده ، فقد « كان النعمان بن المنذر يبعث إلى عمرو بن كلثوم بجباء فى كل سنة ، فلما أسن جعل يبعث إلى الأسود ابنه بمثله .... »[١٣] .

وللأسود بن عمرو بن كلثوم ديوان شعر صغير نشره المستشرق ف . كرنكو عقب شعر أبيه ، وقمنا بتحقيقه ضمن أطروحتنا للماجستير وعنوانها : « شعر تغلب فى الجاهلية ... جمع وتحقيق ودراسة » . وديوانه ينطوى على مقطوعتين ونتفة .

فى المقطوعة الأولى يرثى أباه رثاء مكلوم ، يجسد ـ ويعمق ـ شدة الإحساس بالفقد وهول المصاب ، فقال :

(الطويل)

لِيَبْكِ ابنَ كُلثوم ـ فقد حان يومه ـ
يتـامـى واضيـافٌ وكـلُّ مضيـّع
وَحَيٌّ إذا مـا اصبحـوا فى ديـارهم
بشـهبـاء فيـهـا حـاسر ومقنـع
وكـان إذا لاقـاهم صـد جمعَـهم
مـهـابَتُـه وخـوفُـه فتصـدعـوا
لعمـرى لقد ضـاعت أمـور كثـيرة
وذل من الأوداة مـا كنت تمنع[١٤]

وفى المقطوعة الثانية يصف فرسه « عتد » فهى قوية البنيان ، سريعة الكر والفر ، خبيرة بفنون القتال ، ويفتخر بشجاعته النادرة فى ميدان القتال ، فقال :

ولقـد شهدت الخيـل تحمل شكتى
عتـد أمـرّ من السـوابـح هيكـل
أمـا إذا استـدبـرتـه فمُلـزّز
ويـزيفـه تصـديـرُه إذ يقبـل
وكـأنمـا تـهـوى ببـزى كلمـا
حـرَّكتـه فـهـوى حثيثـا أجـدل
ولقد تركت القـرن فى يوم الـوغى
والنحـرُ منـه بـالـدمـاء مـرمـل
وإذا دعيـت إلى النـزال فـإننـى
فى القوم أول من يجيب وينزل[١٥]

وفى المقطوعة الأخيرة يفتخر الأسود بن عمرو ابن كلثوم بمكانته السامقة التى لا تطاول ،

عمرو بن كلثوم سيرة حياة

وأنسابه العريقة التى لا تمس ، مستمدا حيثيات فخره الشخصى هذا ، من آباء كرام أعزة هم الثوير بن هلال النمرى ، ومالك بن بكر ، وكلثوم بن عتَّاب ، وعمرو بن كلثوم ومهلهل ، فقال :

(من الكامل)

إن امـــرءاً ورث الثُّوَيْـــرَ ومـــالكـــا
والمـــرءَ كلثـومـــا لـــعـــال فـــاضـــل
ونَمَـــاه عمـــرو لـلـعُـلَىَ ومـــهلـــهـــل
لَيِمَنْـــزِلٍ مـــا نـــالـــه متنـــاول[١٦]

٢ ـ **عبد الله بن عمرو بن كلثوم** : ـ احتل عبد الله بن عمرو مكانة راقية بين قومه ، فقد كان سيدا شاعرا[١٧] ، ولعبد الله بن عمرو عقب مشاهير ، منهم العتَّابىَ أديب تغلب وشاعرها فى العصر العباسى ، وعنه يقول ابن قتيبة فى ترجمته : « كان شاعرا محسنا ، وكاتباً فى الرسائل مجيدا ، ولم يجتمع هذان لغيره »[١٨] .

ولعبد الله بن عمرو مقطوعة شعرية يفتخر فيها برهطه ـ بنى عتَّاب ـ فخرا يقترب كثيرا من فخر أبيه عمرو بن كلثوم « صاحب أقوى أنموذج للفخر القبلى فى الشعر الجاهلى »[١٩] ، فقال :

(الطويل)

لقـــد علمـت أفْنَـــاءُ تغلب كلـــهـــا
إذا نُسِبَـتْ بـــأننـــا من خيـــارهـــا
وأنَّـــا أســـاة الأمـــر منهـــا وإننـــا
إذا قيل : من يحمى ؟ حُماةُ ذِمارها
وأنَّـــا إذا نـــابـت عليهـم عظيمـــة
ذوو العقد من بكر وعقد جوارها[٢٠] .

ومدحه أبو اللحام التغلبى ـ واسمه : « سريع ابن عمرو ، وعمرو هو اللحام بن الحارث بن مالك ابن ثعلبة بن بكر بن حبيب »[٢١] وحضر يوم الكُلاب الأول وبه أبلى بلاء حسنا ، وله فيه شعر كثير ، أوردناه ضمن ديوانه الذى قمنا بجمعه وتحقيقه ضمن أطروحتنا للماجستير . وذكر البغدادى شيئا من أخباره نقلا عن أبى عمرو الشيبانى فى كتابه « أشعار تغلب » الذى لم يصلنا بعد[٢٢] .

فى قصيدة له يقول فيها :[٢٣] .

(البسيط)

انضيتُهـــا بعد المـــراح إلى امـــرىء
جلد القوى فى كل ساعة محبس[٢٤]
طَلْـــقٍ يَـــراحُ إلى النـــدى متبلـــج
كـــالبـــدر لافَـــةٌ ولا متـــعبس[٢٥]
إلى ابن هنـــد خـــذرفت أخفـــافهـــا
تهـــوى لمعتَمـــد بعيـــد المحـــدس[٢٦]
المشتـــرى حســـن الثنـــاء بمـــالـــه
وإذا تـــوجـــه معطيـــا لم يحبس[٢٧]
ولأنت أجـــود من خليـــج مـــرســـل
متتـــابـــع التيـــار غـــير مسجَّس[٢٨]
جِيبَتْ لـــه جبلاء من فـــوق الصفا
مَجْرٌ يمرُّ على الخليج الأخـــرس[٢٩]
لقمـــانُ منتصرا ، وقَسٌّ نـــاطقـــا
ولأنت أجـــرأ صولـــة من بيهس[٣٠]
يَقِصُ السبـــاعَ كـــأن حـــلا فـــوقـــه
ضخم مـــذمَّره شـــديـــدِ الأبخس[٣١]

٣ ـ **عباد بن عمرو بن كلثوم** : ـ كان عباد ابن عمرو فارسا هماما من فرسان تغلب المعدودين خاض كثيرا من معاركها ، و« قتل بشر ابن عمرو بن عُدُس »[٣٢] وبعبَّاد هذا كنى عمرو ابن كلثوم ، فقيل : « أبو عبَّاد »[٣٣] .

مدحه معاوية بن خالد بن كعب بن زهير ... وقومه ، فقال :[٣٤]

جزى الله عبَّاد بن عمرو ورهطـــه
سرورا فنعم القوم عند الهزاهز[٣٥]
هـــم قتلـــوا بشـــراً وردوا خيـــولـــه
بطعن كـــإيزاغ المخـــاض الحـــوامـــز[٣٦]

ولعبَّاد بن عمرو بن كلثوم مقطوعتان شعريتان عثرت عليهما خلال رحلة بحث واسعة الميدان ،

حثيثة الخطى ، فى المقطوعة الأولى يذكر صنيع بنى السفاح التغلبيين ، فقال :(٣٧) .

(البسيط)

هلا سألت بنى السفاح هل شعروا
بـأمـرهـم أنَّ غِبَّ البغى خَـوَّانُ
مـاأورث البغى قومـا قبلهم رشـدا
بـل يهلكـون بـه فى كـل أزمـان
يـامُوعدىّ بـأسمـان الخيـول ومـا
يـرثـى المصـاب لمـهـزول ولا وانِ
إنّـا لفى منزل مـا إن تخـاف بـه
امثـالكـم يـابنى غنـم بـن دودان

والثانية وردت له فى حماسة البحترى ص ١٦٧ يقول فيها :(٣٨)

(الكامل)

ومقـامـةٍ غُلْبِ الـرقـاب شهـدتهم
تـغـلى مـراجلـهـم لـدى الأبـواب
متسربـلى البـغضـاء بـاد شُنُؤُهـم
خُـزرٍ عيـونـهـم عـلىّ غضـاب
يـومـا بـأبـواب الملـوك علـوتهم
ببيـان ذى جـذل وفصـل خطـاب
كفيـت غـائبـهـم وكنـت وليـهـم
فـرجـعـت محمـودا بـغـير ثـواب

وتشير بعض المصادر إلى أن عمرو بن كلثوم يكنى أيضا بأبى عمير(٣٩) .

٤ ـ النَّوار بنت عمرو بن كلثوم : ـ تشير بعض المصادر إلى أن لعمرو بن كلثوم بنتا تدعى « النَّوار »(٤٠) أسرها حجل بن نضلة يوم ذى طلح ـ أو ذى طلوح ـ وركب بها المفاوز ، وفى ذلك قال ابنها شبيب بن جعل التغلبى ، يجسد حيرة بالغة هيمنت عليها وقلقا مستحكما انخرط فى نفسها حيال ما تعرضت له من ذل الأسر :

حنَّـت نـوار ولات هنـا حنـت
وبـدا الذى كـانت نـوار اجنت(٤١)
لمـا رأت مـاء السـلا مشروبـا
والفـرث يُعصر فى الإنـاء أرنت(٤٢)

وفاتـــه :

تذكر بعض المصادر أن المنية أدركت عمرو بن كلثوم وهو يناهز الخمسين ومائة سنة(٤٣) ، وأنه عندما أحس بدنو أجله جمع بنيه ، لوصيهم وصية رجل حكيم ، حلب الدهر واعتصر تجاربه ، فقال :

« يابنى ، قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائى ، ولابد أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت . وإنى والله ماعيرت أحدا بشىء إلا وعيرت بمثله ، إن كان حقا فحقا ، وإن كان باطلا فباطلا . ومن سَب سُب ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم ، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم ، وامنعوا من ضيم الغريب ، فرب رجل خير من الف ، وردٌ خير من خُلف . وإذا حدثتم فعوا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار تكون الأهذار(٤٤) ، واشجع القوم العطوف بعد الكر ، كما أن أكرم المنايا القتل ، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ، ولا من إذا عوتب لم يُعتب . ومن الناس من لا يُرجى خيره ، ولا يُخاف شره ، فَبَكْؤهُ خير من درِّه(٤٥) ، وعقوقه خير من بره . ولاتتزوجوا فى حيكم ، فإنه يؤدى إلى قبيح البغض »(٤٦) .

وعن كيفية وفاته ، نجد أنفسنا أمام روايتين ، الأولى منهما تلقى قبولا لدى من ترجموا لعمرو ابن كلثوم ، أو تناولوا جانبا من جوانب حياته ، وتكاد الثانية لاتفترق عن الأولى فى أهم أجزائها .

الرواية الأولى : يروى أن النعمان بن المنذر كان « يبعث إلى عمرو بن كلثوم بجباء فى كل سنة ، فلما أسن جعل يبعث إلى الأسود ابنه بمثله . فقال عمرو : مامت حتى ساوانى بولى . وحلف لا يذوق طعاما ولا شرابا إلا الخمر ، فجعل يشربها صرفا ، وجعلت امرأته تعتزله لكى يأكل فأبى واشتد عليها ، وهو يقول :

عمرو بن كلثوم سيرة حياة

معاذ الله تدعونى لحنث
ولو أَقْفَرْتُ أياما قتار

ثم جعل يشرب الخمر حتى مات(٤٧) .

الرواية الثانية : أوردها ابن قتيبة فى ترجمة زهير بن جناب فقال : « وهو أحد النفر الثلاثة الذين شربوا الخمر صرفا حتى ماتوا ، وهم زهير ابن جناب ، وأبو براء (عامر) ملاعب الأسنة عم لبيد ، وعمرو بن كلثوم التغلبى .

فأما زهير فإنه قال ذات يوم : إن الحى ظاعن . فقال : عبد الله بن عليم بن جناب (ابن أخيه) : إن الحى مقيم ، فقال زهير : من هذا المخالف لى ؟! قالوا : ابن أخيك . قال : فما أحد ينهاه ؟!. قالوا : لا . قال : أرانى قد خولفت ، فدعا بالخمر ، فلم يزل يشربها صرفا حتى قتلته .

وأما أبو براء (ملاعب الأسنة) فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان وَجَّهَ عدة من أصحابه إلى بنى عامر بن صعصعة فى خفارته(*) ، فسار إليهم عامر بن الطفيل ابن أخيه ، فلقيهم ببئر معونة فقتلهم ، فدعا أبو براء بنى عامر إلى الوثوب بعامر . فلم يجيبوه (فغضب) فدعا بالخمر فشربها صرفا حتى قتلته .

وأما عمرو بن كلثوم فإنه أغار على بنى حنيفة باليمامة ، فأسره يزيد بن عمرو الحنفى فشده وثاقا ، ثم قال : ألست القائل :

متى تعقد قريننا بحبل
نجذ الحبل أو نقص القرينا

أما أنى سأقرنك بناقتى هذه ، ثم أطردكما جميعا (فانظر أيكما يجذ ! فنادى : ياآل ربيعة : أمثلة ؟! فاجتمعت إليه بنو لجيم فنهوه (عن ذلك) فانتهى إلى (حجر) فأنزله قصرا وسقاه ، فلم يزل يشرب حتى مات »(٤٨) .

ويعلق المحقق العلامة الأستاذ أحمد محمد شاكر على هذه الرواية بقوله : « هكذا قال المؤلف ، وهو شىء شاذ لم نره عند غيره ، فإن القصة وردت فى الأغانى ٩/١٧٦ ـ ١٧٧ ، وفيه أن يزيد « ضرب عليه قبة ، ونحر له ، وكساه وحمله على نجيبة ، وسقاه الخمر » وأن عمرو بن كلثوم لما أخذت الخمر برأسه تغنى بأبيات ذكرها . فهذا إكرام ينفى أنه مات فى الأسر. ثم قد ذكر فى الأغانى ١٧٨ خبر موته ، وقد أتت عليه ١٥٠ سنة ، وأنه جمع بنيه وأوصاهم . نعم : ذكر أبو حاتم فى « المعمرين » حادث زهير ابن جناب ثم قال : « وشربها أبو براء عامر بن مالك بن جعفر حين خولف صرفا حتى مات . وشربها عمرو بن كلثوم التغلبى صرفا حتى مات . ولم يبلغنا أن أحدا من العرب فعل ذلك إلا هؤلاء » . وكذلك أشير إليهما فى الأغانى وابن الأثير فى مناسبة ترجمة زهير بن جناب ، ولم يذكر أحد منهم أن موت عمرو كان فى إسار بنى حنيفة . فلعل المؤلف دخلت عليه قصة فى قصة ! ـ أ ، هـ(٤٩) .

وإذا كان صاحب الأغانى وجامع ديوان عمرو اكتفيا بذكر قصة أسر يزيد لعمرو بن كلثوم وإكرامه ، ولم يذكرا أنه مات فى إسار بنى حنيفة ، فإن من العلماء من نص على أن عمرو لم يمت فى إسار بنى حنيفة ، كما زعم ابن قتيبة ، ففى كتاب « العفو والاعتذار » ٤٩١ ـ ٤٩٣ باب « تكرم الإشراف فى العفو عن الأسرى وغيرهم من ذوى الجنايات » ، أورد المؤلف قصة إغارة عمرو على بنى تميم وبنى حنيفة ، ووقوعه فى الأسر كما وردت فى كل من ديوان عمرو والأغانى مع خلاف طفيف فى لفظة هنا ، أو جملة هناك ، أو رواية بيت شعر .. على أنه أضاف بعد شعر عمرو الذى قاله عندما أحدثت الخمر أثرها فى رأسه .. قائلا : « فَمَنَّ عليه ، وأطلقه بغير فداء »(٥٠) .

(*) أبو براء هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة العامرى ملاعب الأسنة قال ابن سعد ـ فى الطبقات ٥١/٢ ط دار صادر بيروت :

« قدم عامر بن مالك بن جعفر أبو براء ملاعب الأسنة الكلابى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد .

قال ابن الأثير ـ فى أسد الغابة ١٤٠/٣ ط : الشعب : « الصحيح أن أبا براء لم يسلم » .

(١) أسقط القرشى فى جمهرة أشعار العرب ٣٨٨/١ هذا الاسم .

(٢) فى خزانة الأدب ورد هذا الاسم بتشديد الياء .

(٣) أسقط القرشى ـ أيضا ـ هذا الاسم من نسب عمرو . على حين ورد بكسر الهاء وتسكين النون فى الأغانى (ث) ٤٦/١١ ، وبفتح الهاء وتسكين النون فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٦٩ .

(٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٦٩ والأغانى (ث) ٤٦/١١ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٨٨/١ .

(٥) الأغانى (ث) ٤٦/١١ .

(٦) الشمردل : القوى الفتى الحسن الخلق .

(٧) الفند : الخطأ فى القول والرأى .

(٨) النجر : الأصل .

(٩) اللبدة : شعر الأسد الذى على كتفيه . والهزبر : من أسماء الأسد والوقص : الكسر والدق . وشديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخ .

(١٠) الأغانى (ث) ٤٦/١١ ـ ٤٧ .

(١١) شعر المعلقات ١٦/١ .

(١٢) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ ، والأغانى ٥٢/١١ ، وسمط اللآلى : ٦٣٥/٢ ، ومعجم الشعراء ٦ .

(١٣) نقائض جرير والفرزدق ١١٩ .

(١٤) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٣ .

* يتامى : واحدها يتيم ، قال الليث : اليتيم الذى مات أبوه ، فهو يتيم حتى يبلغ ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم ، والجمع أيتام ويتامى ويتمة .

والأضياف : جمع قلة واحدها الضيف ، والضيف : المضيف لطعام أو توثيق علاقة أو قربى ويجمع على أضياف وضيوف وضيفان والضيفين : الذى يتبع الضيف ، وقيل : الذى يجىء معه ، قال الشاعر :

إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن
فأودى بما تقرى الضيوف الضيافن

ومضيع : أى هالك .

* الشهب والشهبة : لون بياض يصدعه سواد فى خلاله ، ومنه قيل للكتيبة شهباء لما فيها من بياض السلاح والحديد فى حال السواد ، وقيل : هى البيضاء الصافية الحديد ، وفى التهذيب : قيل كتيبة شهباء إذا كانت عليتها بياض الحديد . والحاسر : الفارس الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . والمقنع : المتغطى بالسلاح وقيل : هو الذى على رأسه بيضة ، وهى الخوذة لأن الرأس موضع القناع .

* المهابة : المخافة والإجلال . وتصدعوا : تفرقوا وانشقوا على أنفسهم . والذل : نقيض العز .

(١٥) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٤ .

* الشكة : السلاح ، وقيل : ما يلبس من السلاح . والسوابح : صفة غالبة تطلق على الخيل ، وسبح الفرس : جريه .

* استدبرته : أى امعنت النظر فيه من خلف . وملزر : شديد الخلق ، منضم بعضه إلى بعض ، شديد الأسر . ويزيفه : يقال زاف البعير والرجل وغيرهما يزيف فى مشيته .. أسرع وقيل : هو سرعة فى تمايل ، وقيل : زاف البعير يزيف تبختر فى مشيته . وتصديره : تقدمه ، يقال تصدر الفرس وصدر كلاهما تقدم الخيل بصدره وقال ابن الأعرابى : المصدر من الخيل السابق .

البز والبزة : السلاح يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف ، والبز أيضا : الثياب ، وقيل : ضرب من الثياب . وهوى حثيثا : أى انقض مسرعا وحريصا ، والأجدل : الصقر صفة غالبة عليه ، وأصله الجدل الذى هو الشدة .

عمرو بن كلثوم سيرة حياة

● القرن :الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب . والوغى : غمغمة الأبطال فى حومة الحرب ، وقيل : الوغى الحرب نفسها . والنحر : الصدر .... قال ابن سيده : نحر الصدر أعلاه ، وقيل : هو موضع القلادة منه ، وهو المنحر . والمرمل : الملطخ والمضرج بالدماء .

● النزال فى الحرب : أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما ، فيتضاربوا ، عن المحكم .

(١٦) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٣ ـ ٦٠٤ .

الثوير : يعنى به عمرو بن هلال النمرى ، وقيل : الثوير بن عمرو بن هلال النمرى جده لأمه ، وخال أبيه . ومالك : يعنى به مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم .. ينتمى إلى هذا الحى من تغلب عمرو بن كلثوم وآل بيته وأخوه مرة ، وأبو أجأ وأبو حنش وذو السنينة ... وكلثوم : يعنى به جده لأبيه . ومهلهل : عمه . والمنزل والمنزلة : المكانة . والمتناول : المتطاول .

(١٧) جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ .

(١٨) الشعر والشعراء .

(١٩) دراسات فى الشعر الجاهلى ١١٥ .

(٢٠) شعر عمرو بن كلثوم ٦١٠ ـ ٦١١ .

أفناء : أخلاط والواحد فنو ، قال ابن الأعرابى : .. رجل فى أفناء القبائل أى لايدرى من أى قبيلة هو ... قال ابن برى : قال ابن جنى : واحد أفناء الناس فنأ ... قال : وكذلك أفناء الناس انتشارهم وسعتهم . وإذا نسبت : أى إذا اجتمعت لتتفاخر بالآباء والأجداد .

● أساة الأمر : معالجو الأمور ، ضالعون لمجابهتها . والذمار : كل ما يلزم الإنسان حفظه وحمايته والدفع عنه ، وإن ضيعه لزمه اللوم .

● نابت : أى نزلت عليهم ، وحلت بهم ، والعظيمة : النائبة ، وهى ما ينوب الإنسان من الحوادث والملمات . وذو العقد : أى حفظة العهود وصيانة المواثيق .

(٢١) نقائض جرير والفرزدق ٤٥٨ . وفى خزانة الأدب ٥٥٩/٨ « اسمه حريث مصغر حارث » .

(٢٢) خزانة الأدب ٥٥٩/٨ ـ ٩٦٠ .

(٢٣) المصدر السابق ٥٥٩/٨ ـ ٥٦٠ .

(٢٤) انضيتها : وجهتها . ومحبس : ضيق .

(٢٥) طلق : مستبشر منبسط الوجه متهلله . ومتبلج : ضاحك هاش مشرق الوجه . والفهه : العى . ومتعبس : مقطب مابين عينيه .

(٢٦) خذرفت : زجت بقوائمها . وأخفاف : واحدها خف ، والخف للبعير كالحافر للفرس . والمحدس : المذهب والمطرح .

(٢٧) الثناء : المدح والذكر الحسن . لم يحبس : لم يمسك أو يبخل .

(٢٨) أجود : أكرم . والخليج من البحر : شرم منه . ومرسل : منساب . والمسجس : المكدر الفاسد النتن .

(٢٩) المجر : ممر الماء . والأخرس الذى ينساب بهدوء دون أن يحدث صوتا .

(٣٠) لقمان بن عادياء صاحب النسور المشهور . وقس : يعنى به قس بن ساعدة الإيادى أحد حكماء العرب وبلغائها المشهورين . والصولة : الوثبة . وبيهس : من أسماء الأسد ، وهو مأخوذ من البهس بمعنى الجراة .

(٣١) يقص : يدق أعناقها .

والسباع : واحدها السبع ، وهو من البهائم ما كان ذا مخلب .. وقيل : يقع على ما له ناب من السباع ، ويعدو على الناس والدواب فيفترسها . والحل : الدهن . والمذمر : القفا . والأبخس : عصب فى الذراع ، وهو باطن قوائمه .

(٣٢) الشعر والشعراء ٦١١ وجمهرة أنساب العرب ٣٠٤ والأغانى ٥٠/١١ .

(٣٣) شعراء النصرانية ١٩٧/١ .

(٣٤) شعر عمرو بن كلثوم ٦١١ .

(٣٥) الهزاهز : الشدائد (حكاها ثعلب) لاواحد لها ، وقيل : الهزهزة تحريك البلايا والحروب للناس ، وقيل : الهزاهز الفتن يهتز فيها الناس .

(٣٦) بشر : يعنى به بشر بن عمرو بن عدس قتله عباد بن عمرو بن كلثوم . والطعن : الوخز بالحربة وغيرها . والإيزاغ :

إخراج الشيء دفعة دفعة .. والطعنة توزغ الدم . والمخاض من النهر الكبير : الموضع الذى يتخضخض ماؤه . والحوامز : الشديد القوى المنقبض .

(٣٧) شعر عمرو بن كلثوم ٦٠٦ ، بنو السفاح : يعنى بهم رهط السفاح التغلبى . وغب : عاقبة ونهاية . والبغى : العدول عن الحق والاستطالة على الناس بالفساد . خوان : أى عاقبة ظلم الناس والجور عليهم بالفساد قد تأتى بما لايريد الظالم أو يهوى فيتبدل حالة من اللين إلى الشدة .

● الرشد : نقيض الغى والضلال . ويهلك : يباد .

● أسمان الخيول : أى السليمة التى ليس فيها ضعف . والمهزول : الإبل لم تسمن ، والهزل : موت مواشى الرجل ، وإذا ماتت قيل : هزل الرجل فهو هازل أى افتقر . والونى : الضعف والفتور والكلال والإعياء .

● منزل : مكان . وغنم بن دودان : حى من أحياء كلب .

(٣٨) المقامة ـ بالفتح ـ الجماعة من الناس . وغلب : واحدها أغلب ، والأغلب غليظ الرقبة ، والعرب كانت تصف السادة بغلظ الرقبة وطولها . والمراجل : واحدها المرجل ، والمرجل : القدر من الحجارة والنحاس ، وقيل : هو قدر النحاس خاصة ، وقيل : هى كل ماطبخ فيها من قدر وغيرها .

● متسربلى البغضاء : البغضاء : شدة الكره ، يقول : هؤلاء القوم متشحون بوشاح حقدهم وحنقهم على . وشنأ : بغض ، خزر عيونهم : أي ينظرون عن معارضة ، وتخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر قال ابن الأعرابى :... الشاب إذا خزر عينيه فإنه يتداهى بذلك . وغضاب : واحدها غَضِبٌ ، أى شديد الغضب .

● علوتهم : تقدمت صفوفهم ، وسموت فوقهم مكانة . والبيان : يعنى به حسن الكلام وبليغه . والجذل : عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به فتشفى من مرضها . يقول : إذا جمعتنى وإياهم ساحات الملوك تقدمت صفوفهم ، وسموت عليهم بحسن الحديث وبليغه الذى ينبثق عن إنسان جربته الأمور وخبرته الأيام فأضحى له علم ورأى يشتفى بهما كما تشتفى الإبل الجربى بهذا الجذل .

● كفى يكفى كفاية : إذا قام بالأمر ، وشدد للمبالغة . والولى : الناصر والقائم بأمورهم . والثواب : جزاء ماعمل ، وقيل : الثواب جزاء الطاعة .

(٣٩) معجم الشعراء ٦ .

(٤٠) انظر ترجمتها فى : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٠٦ ، والعقد الفريد ١٨٨/٥ ـ ١٩٠ ، والشعر والشعراء ٩٤/١ ـ ٩٥ والمؤتلف والمختلف ٨٤ ، ولسان العرب (نور) ، وخزانة الأدب ١٩٥/٤ . وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٤٨/٧ .

(٤١) حنت : من الحنين ، والحنين : الشوق ونزاع النفس إلى شيء . ونوار : اسم للمرأة مأخوذ من نارت المرأة تنور إذا نفرت من الريبة ، وهو اسم أطلق على ابنة عمرو بن كلثوم التى أسرت يوم ذى طلح . واجنت : اخفت .

.. ورد هذا البيت منسوبا لشبيب بن جعل فى المؤتلف والمختلف ٨٤ وبرواية ثانية هى :

حنت نوار وأى حين حنت
وبدا الذى كانت نوار اجنت

(٤٢) السلا : الجلدة التى يكون فيها الولد من المواشى ، وهى المشيمة له ، والفرث : السرجين مادام فى الكرش . وارنت : صاحت وصرخت . ورد البيت منسوبا لبعض بنىْ ضبة وبرواية ثانية فى شرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ٥٥٥/٢ ، وهى :

لما رات ماء السلا مشروبا
والفظ يعصر فى الإناء ارنت

وعلق قائلاً : « ... والافتظاظ : أن تنهل الإبل وتعل ، ثم تكعم كى لا تجتر إذا أرادوا ركوب المفاوز ، فإذا نزلوا نحروها ، وشربوا ماء كروشها ، فذلك الفظ بعينه » وروى البيت برواية ثالثة فى خزانة الأدب ١٩٥/٤ هى :

لما رات ماء السلى مشروبا
والفرث يعصر فى الإناء ارنت

(٤٣) الأغانى (الثقافة) ٣٠/١١ .

(٤٤) الأهذار : جمع هذر بالتحريك ، وهو سقط الكلام .

(٤٥) البكء : قلة لبن الناقة أو الشاة أو انقطاعه ، والمعنى : فمنعه خير من عطائه .

(٤٦) الأغانى (الثقافة) ٥٣/١١ ـ ٥٤ .

(٤٧) ديوانه ، ونقائض جرير والفرزدق .

(٤٨) الشعر والشعراء ٣٧٩/١ ـ ٣٨٠ .

(٤٩) الشعر والشعراء ٣٨٠/١ ، هامش رقم ٤ .

(٥٠) العفو والاعتذار ٤٩٣/١ .

عرض وتلخيص لكتاب

تدوين السير والمغازى

بقلم: الأستاذ الدكتور
عبد العزيز عزت

اهدانى منذ فترة غير طويلة فضيلة الأستاذ الشيخ القاضى ابو المعالى اطهر مبارك بورى الهندى مؤلفه الجديد فى اللغة الأردية -"تدوين السير والمغازى" الذى نشرَتْهُ وقدمت له اكاديمية شيخ الهند دار العلوم - ديويند سنة ١٤١٠ هـ .

والحقيقة انه تربطنى بالمؤلف صلة علمية وثيقة منذ ان كنت مبعوثا للأزهر بالهند سنة ١٩٦٢ ، وقد قمت بترجمة كتابيه - « العرب والهند فى عهد الرسالة » و « الحكومات العربية فى السند والهند » من الأردية إلى العربية.طُبع الأول بالهيئة المصرية العامة للكتاب ، وطُبع الثانى بمكتبة المدّ الله البكرية بالرياض بالسعودية وذلك من بين كتبه العديدة التى الفها فى اللغة الأردية علاوة على كتابه - (رجال السند والهند) - باللغة العربية إلى القرن السابع من الذين وُلدوا وعاشوا فى الهند، او كانوا من طينتها وولدوا وعاشوا فى الخارج من العلماء والمحدثين ، والرواة ، والفقهاء ، والمشايخ ، والادباء والشعراء ، والمتكلمين ، والفلاسفة ، وارباب الصنائع وغيرهم .

والكتاب الذى نتحدث عنه وهو تدوين السير والمغازى يقع فى ٣١٩ صفحة من الحجم المتوسط ويشتمل على خمسة أبواب :

عنوان الباب الأول : (قبل تدوين السير والمغازى) ويتناول الحديث عن المفهوم اللغوى والاصطلاحى للسير والمغازى ، وعلم الحديث والسير والمغازى ، ويوضح أصحاب الحديث ، وأصحاب الفقه ، وأصحاب المغازى وبيان الفرق بينهم ومقاييس الروايات لدى أصحاب المغازى وذكر أسماء الغزوات والسرايا وعدد المشاركين فيها وغير ذلك من الأمور التى تتعلق بموضوع هذا الباب .

الباب الثانى وعنوانه : (المصادر المكتوبة فى السير والوثائق والمغازى) وتناول فيه الحديث عن القرآن الكريم والحديث الشريف والوثائق التذكارية منذ العهد النبوى وبيان أهميتها ، وذكر نماذج عديدة من ذلك فى عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين من بعده .

والباب الثالث وعنوانه : (تدوين السير والمغازى فى النصف الأول فى بداية القرن الأول الهجرى وتناول فى هذا الباب ذكر أسماء الكتب التى ألفت وأصحابها والتى بلغ عددها ثلاثة عشر

كتابا ، كما ذكر أسماء من اهتم بالسير والمغازى من الصحابة والتابعين وبين أحوال كل منهم .

الباب الرابع وعنوانه : (علماء السير والمغازى فى مختلف المدن) والمصنفين فيها ، ذكر من بينهم علماء الكوفة وأسماء الكتب التى ألفوها وعلماء بغداد وأسماء الكتب التى ألفوها وعلماء مصر والأندلس وأسماء الكتب التى قاموا بكتابتها .

الباب الخامس وعنوانه : (التدوين الفقهى للسيرة والمغازى) وتناول فى هذا الباب الذين كتبوا فيها من أئمة الفقه أمثال الإمام ابو حنيفة ونقل فى ذلك ماكتبه العالم المحقق ابو الوفا الأفغانى المتوفى سنة ١٣٩٥ هـ فى مقدمة كتاب « الرد على سير الأوزاعى » : أن من أقدم الكتب فى هذا الفن كتاب الإمام أبى حنيفة الذى أملاه على كبار تلاميذه أمثال : ابو يوسف وزفر وأسد ابن عمرو والحسن بن زياد لؤلؤى وحفص بن غياث النخعى ومحمد بن حسن الشيبانى وعافية بن زيد بن الإمام حماد ، وأحال فى هذه المسألة لمزيد من المعلومات على مقدمة كتاب « السير للأوزاعى » ص ٣[1] وكذلك ماكتبه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ ضمنا فى أحاديثه وكتاب ـ « السير الكبير » لمحمد بن حسن الشيبانى وكتاب : « الرد على سير الأوزاعى » للقاضى أبو يوسف الأنصارى الكوفى « وكتاب السيرة » للحسن بن زياد لؤلؤى وكتاب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى وغير ذلك من الكتب التى تكلم عن أربعة عشر كتابا منها ذكرت من بينها ماسبق ، وهى معروفة عند أهل العلم والمهتمين بهذا الفن ، ومهما يكن من أمر ، فإن هذا المؤلف يخدم بالدرجة الأولى الناطقين باللغة الأردية فى شبه القارة الهندية ، والباكستان .

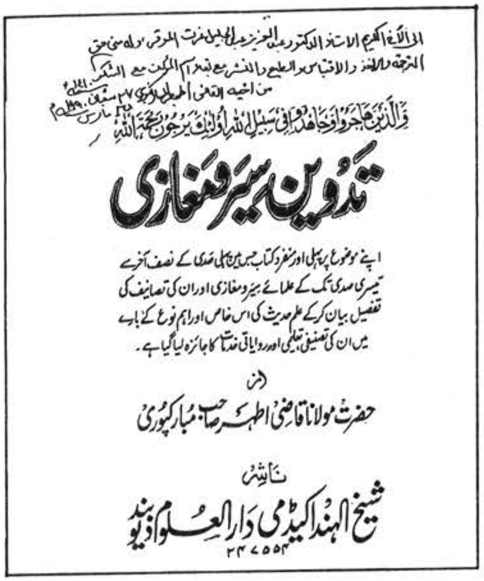
وَالَّذِيْنَ هَاجَرُوْا وَجَاهَدُوْا فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اُولٰٓئِكَ يَرْجُوْنَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

تدوين سير ومغازى

اپنے موضوع پر پہلی اور منفرد کتاب جس میں پہلی صدی کے نصف آخر سے تیسری صدی تک کے علمائے سیر ومغازی اور ان کی تصانیف کی تفصیل بیان کرکے علم حدیث کی اس خاص اور اہم نوع کے بارے میں ان کی تصنیفی، تعلیمی اور روایاتی خدمات کا جائزہ لیا گیا ہے۔

از

حضرت مولانا قاضی اطہر صاحب مبارکپوری

ناشر

شیخ الہند اکیڈمی دار العلوم دیوبند

ولنا على الكتاب ملاحظات لاتقلل من قيمته بحال ، فهو مضغوط فى مادته ، وبعض مسائله كانت تحتاج إلى بسط وتحقيق .

وقد ذكر المؤلف أعداد الصحابة والمشاركين فى الغزوات والسرايا ولم يأت بعددهم فى (غزوة أُحُد) بينما ذكر كتاب (السيرة النبوية لابن هشام) أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعبأ للقتال فى (أحد) وهو فى سبعمائة رجل ، كما أن كثيرا من أسماء الكتب التى ورد ذكرها لم يُحَدِّد ما إذا كانت هذه الكتب قد تم طبعها أم لازالت مخطوطة ، ولم يعين كذلك جهة وجودها ، وهى كتب على الغاية من الأهمية .

على أن المؤلف ـ فيما كتب فى هذا الكتاب ـ إنما ادى الواجب لعمل علمى جليل يضاف إلى مجموعة مؤلفاته التى تخدم الثقافة الإسلامية وتنير الطريق أمام الباحثين خاصة من ابناء شبه القارة جزى الله المؤلف خير الجزاء وأكثر النفع به .

(١) الرد على سير الأوزاعى ص ٣٢ ، ٣٣ طبعة إحياء المعارف النعمانية حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ تعليق أبو الوفا الأفغانى

أنباء وآراء

كتبت الشئون الفنية لمكتب الإمام الأكبر

● في الدورة الثالثة عشرة لأئمة العالم الإسلامي ووعاظه التي تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف والتي تستمر حتى نهاية جمادى الآخرة ١٤١١ هـ - ١٩٩١/١/١٥ .

- التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بأعضاء الدورة والقى فيهم كلمة دعاهم فيها إلى ان يعايشوا مشكلات عصرهم ودولهم الإسلامية . واكد فضيلته ان من اهداف هذه الدورات أن يتعارف علماء المسلمين في رحاب الأزهر وان يتحاوروا في امور الدعوة الإسلامية كما اكد فضيلته على ان الإمام يجب ان يكون قدوة وان يتوافق قولهُ مع عمله لأن الناس ينظرون إليه على انه قائدهم ومعلمهم .

وقد شارك في هذه الدورة الثالثة عشرة ثلاثة وعشرون واعظا وإماما يمثلون . غينيا بيسلو - غانا - افريقيا الوسطى - اليمن - امريكا اللاتينية - اندونيسيا - جنوب افريقيا الاتحاد السوفيتي .

الامام الأكبر يوافق
على ضم ثلاثة وستين معهداً للأزهر

● وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على ضم ٦٣ معهداً اهليا إلى الأزهر الشريف .

وتضم هذه المعاهد مختلف المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية وتشمل محافظات القاهرة والاسكندرية وكفر الشيخ والدقهلية والمنوفية والبحيرة والشرقية والمنيا وأسيوط وسوهاج وقنا وأسوان .

كتب محرر الباب :

« مفاجأة في التصويت على الشريعة الاسلامية » بباكستان

حقق التحالف الإسلامي المعارض في باكستان انتصارا كبيراً إثر تبنى مجلس الشيوخ الباكستانى مشروع قرار للعمل بالشريعة الإسلامية .

وشهدت جلسة التصويت مفاجآت إثر تغيير مواقف العديد من اعضاء المجلس الذين كانوا قد اعترضوا على هذا المشروع قبل خمس سنوات . كما احتل المسلمون غالبية المقاعد في الانتخابات الأخيرة التي جرت في باكستان خلال شهر اكتوبر ١٩٩٠ م

(وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .
صدق الله العظيم

« فيلم دينى عن حياة الامام البخاري لأول مرة » بالاتحاد السوفيتي

يقوم تليفزيون أوزبكستان بالاشتراك مع التليفزيون المصرى بإنتاج مسلسل دينى يحكى حياة الإمام البخارى .

والجدير بالذكر أن جمهورية أوزبكستان ذات غالبية مسلمة ...

الإمام البخارى ـ وهو محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخارى ـ يعتبر أمام الدنيا فى علم الحديث أخذ يدرسه ولم يتجاوز العشر سنوات .

ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ وتوفى فى شوال سنة ٢٥٦ هـ

مائة ألف مسلم بلغارى يطالبون الحكومة البلغارية الجديدة بتحسين أوضاعهم

ذكرت الإذاعة اللندنية فى مقابلة لها مع أحد زعماء مسلمى بلغاريا الأتراك بأنه قد عاد إلى بلغاريا من تركيا حوالى ١٠٠,٠٠٠ ألف مسلم قد نزحوا من مساكنهم أيام الحكم الشيوعى الفاشى وطالبوا فور عودتهم باستعادة مساكنهم وأعمالهم ومتاجرهم وأسمائهم الإسلامية كما طالبوا بالإفراج عن السجناء المسلمين الذين اعتقلهم العهد الشيوعى البائد ، ولا يزال المسلمون فى بلغاريا يطالبون بحقهم فى المساواة .

« مقتل أكثر من ألفى مسلم ـ فى أحداث ليبيريا الأخيرة »

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية ان الفى مسلم قد لقوا مصرعهم فى الأحداث الأخيرة بليبيريا على أيدى أفراد المعارضة التى مهدت لحملتها بتوزيع منشورات فى ليبيريا باسم الكنيسة لطرد المسلمين والقضاء على مؤسساتهم برغم أن المسلمين فى ليبيريا لا يمثلون مناصب عليا فى الحكومة ، ويبلغ عددهم اكثر من ٨٠٪ من السكان .

مجلة الأزهر :

قدمت مجلة الأزهر بحثا مستفيضا عن المسلمين فى ليبريا تتبين منه نهضة إسلامية جمعت بين المسلمين ، ونشأت بينهم جمعيات ضمت وحدتهم ... الأمر الذى أثار الجهات الاستعمارية .. فكانت هذه الحرب التى راح ضحيتها آلاف مؤلفة من المسلمين .

« استمرار اضطهاد المسلمين فى الهند »

ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط فى نبأ عاجل لها من الهند يوم السبت الموافق ١٦ من ربيع الآخر ١٤١١ أنه قد وقعت معركة كبيرة فى شمال الهند فى ولاية (أوتاربراديش) بين المسلمين والهندوس بسبب إقدام الهندوس على هدم مسجد شمال الهند لبناء معبد لهم مكان المسجد الذى بناه المسلمون فى القرن السادس عشر .

وقد راح ضحية هذه الاضطرابات نحو مائتين من المسلمين والهندوس .

وقد ذكرت الوكالة بأنه قد وقعت فى بنجلاديش اضطرابات مشابهة بين المسلمين والهندوس .

مجلة الأزهر :

يستخدم الهندوس أكثر من دعوى لإثارة الجماهير لهدم المسجد دون موقف حاسم من الحكومة الهندية إزاءه ويعنى هذا أن (ديمقراطية) الهند شعار من هواء ، فإن المسلمين البالغ عددهم مائة مليون نسمة على الأقل ـ أى ما يماثل سبع سكان الهند ـ لا يتمتعون بحقوقهم المدنية .

ثالثاً : العناية فى المنزل وفى تجمعات الجالية باللغة العربية ، باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية ولغة الصلاة والمناسك والوعاء الذى حفظ القدر الأكبر من التراث الإسلامى .

رابعاً : حث أبناء هذه الجاليات على الاتجاه إلى دراسة العلوم الحديثة والعملية ؛ لتكون منهم الصفوة القادرة على تأكيد الهوية الإسلامية فى العالم المعاصر فى لقاء بين الإسلام وشئون الحياة .

خامساً : يوصى المؤتمر كل جالية إسلامية بإيجاد أسلوب للتكافل الاجتماعى بين أبناء الجالية يرعى الضعفاء من ناحية والموهوبين من ناحية أخرى ، فتربية الجيل الجديد ورعايته من أعظم الاستثمارات فى حياة المسلمين .

وفى شئون الدعوة الاسلامية بين الأقليات

يوصى المؤتمرُ المجلسَ الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى تقرر إقامته بما يلى :

(أ) إنشاء مركز لشئون الأقليات ، ويمكن لهذا المركز أن يقبل التبرعات المنتظمة والهبات وأن يوزعها فى إطار التنسيق بينه وبين المراكز الأخرى .

(ب) إنشاء بنك معلومات عن الأقليات ، تتجمع لديه المعلومات عن كل جالية ، وأن يكون مزوداً بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات واختزانها وتصنيفها واسترجاعها .

(جـ) إصدار نشرة دورية ، تكون وسيلة منتظمة لتبادل المعلومات .

(د) إعداد مراكز متخصصة لإعداد الدعاة للمهجر فى أقطاره المختلفة ، وتكون أولوية الدراسة لأهل الأقطار المحتاجة إلى هذا النوع من الدعم .

(هـ) وضع أطلس للأقليات الإسلامية يرصد القائم من أنشطتها ويخطط لمستقبلها ويكون وسيلة للتعاون بين الخبرات والكفاءات الإسلامية من ناحية وبين مناطق الحاجة إليها من ناحية أخرى .

يوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى والحكومات الإسلامية والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة وما يضمه فى عضويته من هيئات ومؤسسات فى شأن الأقليات الإسلامية بما يلى :-

(أ) بذل نفوذها نحو رعاية هذه الأقليات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ومساعدتها على حل مشكلاتها ، والمحافظة على الهوية الإسلامية ، وحريتها فى ممارسة شعائر الإسلام وإقامة المساجد والمدارس والمستشفيات ، واستمداد شئون حياتهم من أصول الإسلام ، والتعبير عن عقيدتهم .

(ب) مساندة الأقليات التى تتعرض للضغوط فى أمر تسمية أولادهم ، وطرق تعليمهم ، وضمان حقهم فى العمل والإنتاج ، وتيسير تنقلهم بين الأقطار الإسلامية وغيرها والحاق أولادهم بالتعليم لديها .

(جـ) التعاون على إصدار سلسلة من المطبوعات وشرائط الفيديو ، والمسجلات الصوتية ، لتكوين مكتبة قرآنية وإسلامية مقروءة ومسموعة ومرئية ، ميسرة متدرجة مع مستويات العمر والثقافة .

(د) يوصى المؤتمر هيئات الإذاعة والتليفزيون فى البلاد الإسلامية باستثمار هذه الوسائل فى برامج معبرة عن الإسلام ، تذاع على الموجات المختلفة والاقمار الصناعية ، تعرِّف بالإسلام وحضارة المسلمين وثقافتهم فى الماضى والحاضر بحيث ينتفع به المسلمون فى المهجر وفى غيره ، وتكون دعوة حية للإسلام وشرحاً لمقاصده وأحكامه وأخلاقه وعدله ومساواته بين الناس فى الحقوق والواجبات ..

الفهـرس

الموضـوع	الصفحـة
● الافتتاحية ـ الا من وحدة لهذه الأمة ؟	
د . على احمد الخطيب	٤٩٧
مع فضيلة الإمام الأكبر	
● فتويان للإمام الأكبر	
أ ـ عصير الشعير	٥٠٢
ب ـ متى تستبعد حضانة الأم ؟	٥٠٤
● حديث صحفى مع فضيلة الإمام الأكبر	
لجريدة البيان	٥٠٦
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر والحاج عبد الحميد محمد أزور	٥٠٩
باب إسلاميات	
● سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء	
للدكتور محمود محمد رسلان	٥١٢
● ندوة عالمية عن الإمام الشافعى	
للأستاذ الدكتور : محمد الدسوقى	٥١٥
● وعد الله لايتخلف	
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	٥٢٠
● من معالم حضارة الإسلام جامعة القرويين فى المغرب	
للأستاذ الدكتور : احمد الحفناوى	٥٢٨
● الصحابى الجليل أبو هريرة	
لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٥٣٥
● المستشرقون والموضوعية	
للمستشار احمد عبد الحميد غراب	٥٤٠
● الجديد القديم فى عالمنا الشرقى	
للأستاذ السيد حسن قرون	٥٤٤
● من رجال القضاء فى دولة الإسلام	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٥٤٧
● من العناصر الهامة فى العمائر الدينية الإسلامية	
بقلم : احمد رجب محمد	٥٥٢
● الاقليات الإسلامية	
بقلم : احمد السيد تقى الدين	٥٥٧

الموضوع	الصفحة
باب الشعر والشعراء	
● يا أمة الإسلام	
للأستاذ رشاد محمد يوسف	٥٦٢
● شاعران وذئب	
للفرزدق والبحترى	٥٦٤
● من أعلام الأزهر	
مفتى مصر الأسبق	
فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف	
بقلم فضيلة الشيخ محمد حسلم الدين	٥٦٦
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٥٧٢
● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	
ا . د . احمد فؤاد باشا	٥٧٤
● اخبار العلم	
إعداد الأستاذ صفوت عبد الجواد	٥٧٩
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
الكتاب الكريم لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار	
إعداد الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٥٨٠
باب اللغة والأدب والنقد	
● عمرو بن كلثوم ـ سيرة حياة	
للأستاذ ايمن محمد ميدان	٥٨٤
● عرض وتلخيص لكتاب تدوين السير والمغازى	
بقلم الأستاذ الدكتور : عبد العزيز عزت	٥٩٢
● انباء وأراء	
إعداد الأستاذ عبد المنعم فودة	٥٩٤
● القسم الانجليزى	
المقالة الأولى : للدكتور انس مصطفى النجار	٦٠٠
المقالة الثانية : عبد الحكيم احمد طه	٦٠٥

optimization of use of that quality to bring good, and avoid harm. They have a clear sagacious foresight in matters that require perception and wise understanding. Their brilliant clear thought, their deep wisdom, enables them to realize matters with greater dimensions; added to that the gift of extrasensory perception. Such individuals become nearer and closer to the Infinite Powers of Allah, the Infinite Knowledge, the Dominion of the Infinite Creation. Human spiritual power comes from the cultivation of the mystical. The intellectual is the outer appearance of truth, the mystical is the inner; the inner side of human life. The believer must realize and be conizant of the essential fact that Allah's Presence is within us, around us, everywhere we turn, there is full portrayal of the Omnipresence of Allah. To the degree that we open our whole selves to this basic fundamental truth, and develop the feeling and awareness of it, we shall be granted the power of the quality. Nothing is impossible to the person who will assiduously practice the Presence of the Transcendent Creator.

Translated from the Arab Original by Dr. Anas M. El-Naggar.

visualization perceives without clairvoyance or certainty of the telekinetic thought transfer; it may be right or wrong, and the only proof would be the oncoming of the future. As to the Divinely Unrevealed, no power can penetrate its boundaries, whatever its qualifications of scientific, mental, psyche -somatic or spiritual attributes. This "Divinely Unrevealed" is specifically within the infinite knowledge of Allah, a sector of the Divine Dominion. "With Him are the keys of the "Divinely Unrevealed", the treasures that none knoweth but He". (Surat Al-An'am VI, 59).

This type of profundity is speculative, theoretically hypothetical and presumptive, based on mere postulations and conjectural abstractions. For such reason, it cannot be used as foundation for Judicial decisions, or as criteria of evidence.

The fourth class of "Profundity" is that of spiritual origin, a Divine gift, granted by Allah to any human of the obedient believers. Those who are close to Allah, by intention, action, deeds and piety. This type of supernatural quality is the most superior, and encompasses all other types. It originates through Divine power and by Divine support. It is granted to selected chosen individuals who remain silently humble bearing within themselves the supernatural abilities of transcendent perception. That individual preserves that ability as a gift granted to him by Allah, originating from the infinite power of Allah. It is a beam of light within the individual that becomes dark if exposed. It is considered by the individual bestowed, as a treasure given by Allah, which if exposed becomes lost. For such reason, the individual granted that type of "Profundity" remains humbly silent meditating in contemplation in the realms of infinite creation offering silent prayer in adoration, devotion, veneration and reverence to the Transcendent Sovereign.

That type of supernatural gift has power over the past, and the present; however, it has no power over he "Divinely Unrevealed". The persons with such quality refrain in abstinence from the vision of the future except in what prevents harm or brings benefit to mankind. Such quality cannot be used as criteria for Judicial decisions.

The Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) although generalized for all types of "Profundity", it particularly refers to the "Spiritual Profundity". That gift from Allah granted to the selected few, who ascend in spiritual excellence to reach a status worthy of that Divine Gift. In the Hadith, the instruction of caution and discretion from the Believer's profundity; in reality indicates an instruction of respect, and

The second is the "Mental Profundity", which constitutes utilization of the inborn and developed mental capabilities to associate certain observations with unobserved corollaries. This can become an outstanding talent in certain circumstances and situations. Such type of aptitude besides an individual inborn capability, requires much practical experience.

These two classes of "Profundity" may be utilized in Judicial and Tribunal matters, and may be considered as evidences for rational judgement. The first is based on scientific fundamentals which constitute the most trustworthy tenable evidence for rightful judgement. The second relies on the capability of the mind to associate, differentiate, characterize and finally stipulate with selective precision.

The third class of "Profundity" is that derived from a psycho-somatic origin, which is an inborn quality of an individual. Such individuals are born with this supernatural latent capability of distinctive unique skill. This esoteric phenomenal manifestation attributes to the individual the power of the mind over matter with telekinetic ability of thought transfer. Such individuals undergo excessive rigorously turbulent efforts which may be voluntary or involuntary, in order to behave towards in response to the performance of the function required. Such type of "esoterica" has no fundamentals, no limitations, and cannot be impersonated. The presence of fundamentals would give it a scientific attribute; also if it had limitations, it would be through a mental faculty; and if it were impersonated, it would be diabolic spurious fakery. Again, this esoteric quality is not restricted to any age group or sex or race; and not subject to any religious beliefs or faith, or the qualification of any scientific knowledge. It is an inborn quality of the individual, similar in nature to the acuteness of any of the scenses, intelligence, beauty or talent.

Environmental factors affect such inborn quality by either retardation or accentuation. The elements of the environment that may affect inborn qualities in an individual are the influence of religion, the scientific knowledge, the socio-economic impact. These factors govern and determine that inborn quality of psycho-somatic origin. This quality has the ability to visualise the past, and the hidden unseen present; the degree of perception depends on the potency of the quality. With the future, this

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

"BEWARE OF THE BELIEVER'S PROFUNDITY"

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

The arabic meaning for "beware" in this Hadith signifies caution, prudence, discretion, carefulness and circumspection. The meaning for "profundity" signifies mental capacity, foresight, perception, sagacity, craftiness, and brilliant wisdom. These faculties result after giving thought and rational consideration; aiming for wise understanding of the reality and essence. The quality of sagacious profundity is attributed to the talented skill to recognize the intricate details of matters from outward signs and indications. This quality may be classified into four categories.

The first is the "Scientific Profundity", which constitutes that perceptive skill of learned scholars and great thinkers to dwell deep into research with the aim of reaching paradigm framework systems of rational thought. The final purpose should promote the wellfare, advancement, and prosperity of the human race. In all disciplines of sciences, the men that are involved in the practice of such sciences should harness and catalize their knowledge into such channels of profundity and perceptive talents to reach levels of proficient skill. This is subject to two major requirements, namely, previous education, and personal intelligence. The education is the constant transmission of knowledge through the generations, and during the process of transmission, the knowledge gains volume, depth, quality, proliferation, differentiation and growth. These are the channels of human enlightenment, intellectual acquisition, mental cultivation, and mastery of skills. The individual intelligence and mental capability receives that knowledge, absorbs its basic concepts, directs its implementation, modifies its theories, researches its depths, expands its dimensions and promotes its precepts. It also dominates the preservation of that knowledge to remain in the service of those who pursue attainment of learning. These are the responsibilities of individuals, to learn, to add, to teach, and to initiate deeper and wider fields of mental vision.

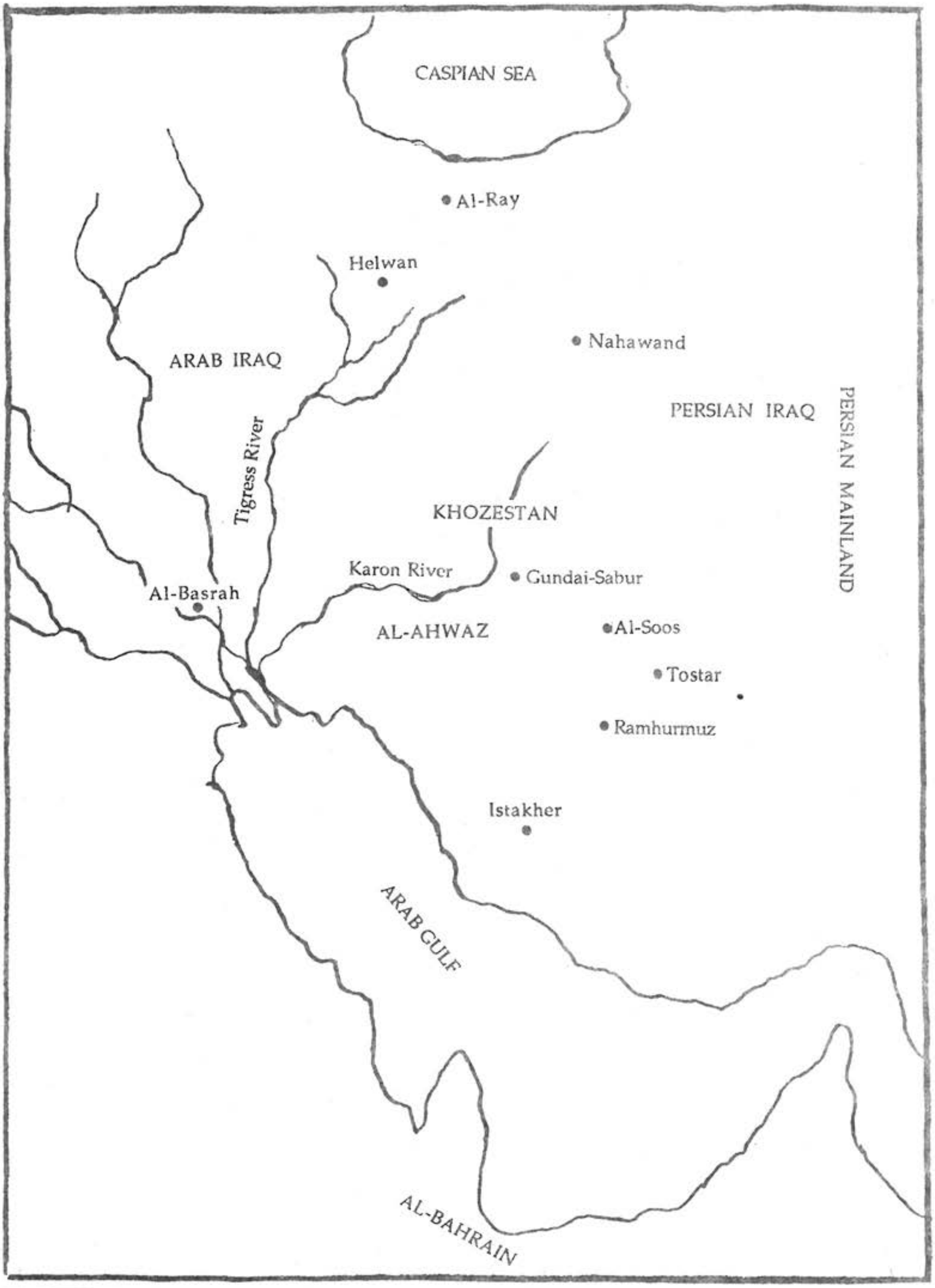
CASPIAN SEA
Al-Ray
Helwan
Nahawand
ARAB IRAQ
PERSIAN IRAQ
PERSIAN MAINLAND
Tigress River
KHOZESTAN
Karon River
Gundai-Sabur
Al-Basrah
AL-AHWAZ
Al-Soos
Tostar
Ramhurmuz
Istakher
ARAB GULF
AL-BAHRAIN

The spoils of battles were finally collected from these encounters, distributed among the warriors according to proper shares, one fifth was sent to the treasury at Al-Madinah with Al-Ahnaf Ibn Qays and Anas Ibn Malek, who took Al-Hormuzan with them to meet with the man at the head of the Muslim state. With the news of Muslim triumphs in Khozestan, and the occupation of Al-Ahwaz, Tostar, Al-Soos, and Gundai-Sabur; Omar Ibn Al-Khattab wept in reverence and veneration to Allah for bestowing up Muslims the gift of triumph. The region of Khozestan was one of the richest parts of Persia extending to include all the territory east of the Tigress river that lies between the Arab Iraq, and the Persian Iraq. These great Muslim victories brought abundant wealth to the Muslims, the elaborate opulence of Khozestan became under the authority of Muslims. Omar Ibn Al-Khattab remained refractory, unwilling, disinclined and very reluctant to the policy that Muslim warriors expand their penetration into Persia. This scrupulous attitude in the understanding of Omar Ibn Al-Khattab was later changed by compelling events. The changing patterns of human societies as governed by Divine will and Providence are more supreme than man's thoughts.

Omar Ibn Al-Khattab remained in deep contemplative thought, praying that Allah may guide him to the correct resolution. Al-Ahnaf Ibn Qays and Anas Ibn Malik were on their way from Khozestan to Al-Madinah carrying with them one-fifth of the spoils of battle, and accompanying the great persian commander Al-Hormuzan to meet with Omar Ibn Al-Khattab. The conversation between the two men in the presence of Al-Ahnaf and Anas was an encounter between two very different cultures and essentially contradictory beliefs. Soon after, Al-Hormuzan accepted Islam and was granted freedom, and given a stipend to live on.

When matters appeared to settle down, news reached Omar Ibn Al-Kattab that Yazdgrid the Emperor of Persia was mobilizing troops and instigating the inhabitants of Nahawand north of Gundai-Sabour, to revolt against Muslim presence on Persian soil. The defeat of the Persian forces at Tostar and the rest of Khozestan motivated the Persian military strength to assemble in one final confrontation against the Muslims. Once more, Omar Ibn Al-Khattab was compelled to instruct Muslim warriors to prepare for the Persian offensive.

Persian massive mobilization became well known to Muslim commanders who wrote to Omar Ibn Al-Khattab of the situation. The response of Omar to face that Persian uprising was his instructions to the Muslim commanders in those territories to mobilize their forces, plan their strategy, and to move against the Persians. The Muslim commanders leading three separate armies were Al-Numan Ibn Miqrin, Suhayl Ibn Addii, and Abu Moussa Al-Ashary. Omar Ibn Al-Khattab wrote to these men what routes to take, and what general strategy they should follow. Irrespective of such major actions, Omar Ibn Al-Khattab remained inclined to the policy of not penetrating further into Persian mainland. However, the situation necessitated a confrontation with the Persian forces assembled under the command of Al-Hormuzan.

The first encounter between Muslims and Persians took place at Ramhurmuz, where the Persians could not hold their ground in face of the Muslims. This made Al-Hormuzan decide to retreat to Tostar where he can shelter his forces behind its great walls. Al-Numan Ibn Miqrin moved to capture Ramhurmuz and then advanced to Tostar. In the meantime, Suhyl Ibn Addii advanced from Al-Basrah across the plains of Al-Ahwaz, proceeded to Tostar without facing resistance. The third Muslim army under the command of Abu Moussa Al-Ashary also moved from Al-Basrah across Al-Ahwaz to reach Tostar. The Muslims established a strong siege of the great city, the capital of Khozestan where the Persian forces were sheltered behind its walls. The Persians frequently came out in great numbers engage the Muslims, then returned behind the walls of the city. These repeated skirmishes results in many casualities on both sides. However, the Persians succeeded in defending the city of Tostar. After a long siege, the Muslims decided to storm the city. The Persians came out of the city to confront the attack of the Muslim warriors, however, they were compelled to retreat into the city. A Muslim contingent finally found its way into the city during the night through the water inlet across the wall. The gates were opened to the Muslim who stormed into the city. The Persian forces were highly disorganized by the surprise, their commander Al-Hormuzan took shelter at the height of one of the towers. The city was finally occupied by Muslim warriors. Al-Hormuzan negotiated his safety, and insisted to place his fate into the hands of Omar Ibn Al-Khattab personally.

After the occupation of Tostar, the Muslim warriors moved towards the city of Al-Soos west of Tostar and seized it without resistance. The Muslims moved north east to the city of Gundai - Sabur and placed it under siege. The city finally succumbed, opened its gates to the Muslims in demand of truce.

conflict or contention with their enemy; made the Persians fall under the wrong impression of thought, that the Muslims were suffering from instability and weakness. These thoughts were augmented by the Muslim defeat when Alalá Ibn Al-Hadrami the Muslim governor at Al-Bahrain crossed the gulf to raid the Persian mainland and try to reach Istakher. His defeat instigated the Persians to revolt against Muslim presence, and become insubordinately defiant and undutiful to the terms of armistice. The Persian insurgence proliferated to develop into an organized national urgency. Emperor Yazdgrid and Al-Hormuzan were at the summit of that national demanding urge. That was the beginning of the renewed hostilities between the Persians and the Muslims in the district of Al-Ahwaz which lies on the south east of the Iraq mainland. Small rivers run into Al-Ahwaz from the Tigress river.

The exact incidents that took place, the names of the various army commanders, the places, the dates of victory or defeat, the plans of strategy, and the details of events are all subject to much controversy among the different chroniclers. Notwithstanding, the differences in details, all narratives agree that the ultimate end of these hostilities was that the Muslim warriors occupied the whole eastern region of Khozestan including Al-Ahwaz. The armistice beteen Muslims and Persians dictated that the Persians were to remain within the limits of the mainland; and that the Muslims were the have the authority over what they had occupied of Khozestan. The Muslim penetration into Persian mainland was still against the desire of Omar Ibn Al-Khattab, however, events were greater that what Omar desired. For this reason, Omar instructed his army commanders on several occasions of victory over the Persians to accept the demand for truce. Omar also ordered the return of persian prisoners of war; and instructed Muslims to construct bridges, irrigation systems and roads in the territories occupied.

The final occupation of Khozestan came about after repeated Persian defeats, repeated truces, repeated insurgences, and further Persian defeats on the hands of Muslim warriors. These Muslim victories were not easily achieved, the Persians showed fierce resistance and bitter fighting, inflicted heavy losses among Muslim warriors inspite of their victory. Emperor Yazdgrid motivated the national spirits of Persians against the Muslims and stimulated their pride in provocation to resist the Muslims on the battlefield. Great numbers of Persian forces gathered under the command of Al-Hormuzan, and pledged in oath to death or victory. News of such

OMAR IBN AL-KHATTAB

RENEWED HOSTILITIES

By; Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The policy of Omar Ibn Al-Khattab was to end the Iraq crusade after the domination of Islam over the whole region of Iraq. That policy aimed at establishing a theopolitical unity of all inhabitants in the territories extending from south of the Arab peninsula to the north borders of Syria, and from the Arab gulf east to the Red Sea west. Omar wished there was an inpenetrable barrier between the Muslims in Iraq, and Persians on the Persian mainland. That trend of thought in Muslim policy was the original understanding since the time of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). That policy was to establish security for the juvenile Muslim Ummah in the Arab peninsula; and to maintain theopolitical unity with the Arab tribes resident north of the peninsula in both Iraq, Syria and the extensive desert territories between them. There was no intention to crusade further beyond these regions or to penetrate deeper into lands of the Eastern Byzantine Empire, nor into the lands of the Persian Empire. Notwithstanding that fundamental policy, the turn of events as predestined by Divine Will, resulted in issues that were beyond all expectations. These events compelled Omar Ibn Al-Khattab to modify his policy contrary to his personal preference.

After the battle of Al-Qadissyah, the persian forces dispersed, Emperor Yazdgrid escaped to Helwan and then to Al-Ray, and Al-Hormuzan the persian commander fled to Al-Ahwaz. Following this defeat of persian military strength, the Persians reconciled themselves to remain in appeasement as their forces disbanded. The strict orders of Omar Ibn Al-Khattab to the Muslim warriors were not to follow the Persians into their mainland. The Muslim governor at Al-Basrah was Utbah Ibn Ghazwan followed after his death by Al-Mughirah Ibn Shubah, followed after his discharge by Abu Moussa Al-Ashari. These changes in the governors of Al-Basrah, and the fact that Muslims did not try to scuffle in

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART V

Jummdah Al-Ulla 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   Renewed Hostilities
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Roots of Wisdom
   Hadith of the Prophet
   Beware of the Believer's Profundity
   By: Abdel-Hakim Ahmad Taha

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

م ١٢
ع ٢٠٠٠٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الواقع والمبادئ

حين ينزع الإنسان السَّوِىّ ـ بما فيه من شرف وطموح إلى « التصحيح » فإنما يحمله عليه مايراه من « نقص » فيما يحيط به من حياة ، أى أن « واقع » الحياة هو مصدر البيان الذى يضع تحت اعيننا العيوب التى تحتاج إلى التصحيح ، وهذا « الواقع » هو هو الذى يطرح « المبادىء » الكفيلة بالتصحيح ؛ فلولا الواقع ما نشد الإنسان المبادىء ، ولا أدت بدورها إلى تصحيح ، فالمبادىء إذاً هى الوسط الفعال بين « الواقع » و« الكمال » .

وليست المشكلة فى هذه الثلاث : الواقع ، والمبادىء ، والكمال، إنما هى فى « السَّوِىّ » الذى يدير المبادىء باقصى ما يمكن من مهارة ليعود بارفع قدر من « الإصلاح » دون أن يقود المجتمع إلى كارثة تأخذ فى طريقها كل فَلَاح .

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الآخرة ١٤١١ هـ
ديسمبر ٩٠ / يناير ١٩٩١
الجزء السادس
السنة الثالثة والستون

الواقـــع والمبــادىء

إننا لم نسمع أن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيد الأسْوِيَاء ، سَبَّ أبا جهل .. أو أمية بن خلف أو غيرهما من صناديد الشرك وأئمة الضلال ، ولازلنا نقرأ له عليه الصلاة والسلام ـ قوله : اللهم اهْدِ قومى فإنهم لايعلمون(١) .

إن المبادىء السامية ذاتُ لَبِنَات نظيفة لا تعرف « المَقْت » ولا البغضاء ، وما أكثر المعتنقين « المبادىءَ » السامية ، وقد فقدت أقدامُهم الطريق إليها؛لأنهم لا يتمتعون بخاصية « الإصلاح » وتفقد شخصياتهم مرونة العمل والبناء دون صدع أو صدام أو تجريح .. أو لمز وغمز . أو تهوين من شأن الآخرين .

وكانت ضرورة الإصلاح تقتضى أن يطلبوا لأنفسهم ما يفتقدون حتى إذا تمتعوا به وَلَجُوا الميدان مزودين بالمبادىء السامية ووسائلها الشريفة لكن ما أصعب بحث « الذات» و« اتهام الذات » .

وكم هو عسير على الإنسان أن يتهم ذاته ، ويطلب لها الصلاح وما أيسر « الطرح » لدى هذا الإنسان حين يستبدل خصومته للمجتمع بقدرته على ممارسة مبادىء الإصلاح ، وإذا به يُسقِط على المجتمع سيلا متعجرفا من الاتهامات .. وينسى قوله ـ ﷺ :

إذا قـال الرجـل : هلك النـاس(٢) فهـو أهلكهـم(٣)

إن الطرح فى ذاته شهادة بالتخلى عن المبادىء .. بل انفصام عن المجتمع ، و« القوقعة » دونه .. ثم هو فى النهاية استصحاب لمبادىء أخرى غير إنسانية .. مبادىء الكراهية والمقت والبغضاء .. إن المبادىء الشريفة هى فى ذاتها قمة ، وما أكثر الذين يصعدون القمة حتى إذا صاروا فوقها لا يدرون ماذا يفعلون ؟!

د. علي أحمد الخطيب

---

(١) الحديث بصحيح البخاري بكتاب الأنبياء ، وفى صحيح ابن حبّان من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » أي اغفر لهم ذنبهم فى شيح وجهى .

ابن حجر ٣٧٨/٦ الأميرية ١٣٠٠ هـ

(٢) هلك الناس : أي فسدوا .

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب البر .

مع الإمام الأكبر

خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة

فتوى في بعض أحكام تتعلق
بالأقليات الإسلامية في غير ديار المسلمين

بيان بشأن تدوين الآيات القرآنية
والأحاديث الشريفة

بيان حول العدوان على المساجد في الهند

استجابة الحكومة الهندية للنداء

لقاء فضيلة الإمام وسفير الهند بالقاهرة

خطبة الجمعة

من العربية إلى الترجمة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى الدورة الثالثة عشرة للأئمة والوعاظ التى تنظمها الأمانة العامة للدعوة الإسلامية للأزهر الشريف ، وتضم ائمة من بلدان العالم الإسلامى طرحت للبحث ترجمة خطبة الجمعة ، فقام الدكتور المحاضر بحصر لأوضاع الخطبة بمختلف بلدانهم ، فإذا هى بين :

(أ) خطبة لا تترجم إطلاقا ولا يعى المصلون من العربية شيئا .

(ب) أو درس يلقى قبل وقت الخطبة أو بعد صلاة الجمعة فى موضوع الخطبة أو خارج موضوعها .

(حـ) وخطبة تترجم بأوضاع شتى .

(د) ومصلون لا يعرفون العربية يصرون على إلقائها بالعربية ورفع الأمر إلى فضيلة الإمام الأكبر فعالج الخطبة وترجمتها فى البحث التالى حيث نقرأ :

- **أركان الخطبة ، وشروطها .**
- **أحكام المذاهب فى الترجمة .**
- **دراسة الإمام للموضوع واختياره لما يتفق ونفع المسلمين بالخطبة**

وهكذا يؤدى الأزهر الشريف واجبه دوما ليجد المسلمون حاجتهم فيما يريدون .

كتب فضيلة الإمام لهذه النخبة من العالم الإسلامى يقول :

الخطبة فى اللغة والاصطلاح :

إن الخُطْبَةَ ـ بضم الخاء : الكلام المنثور يُخاطِب به متحدث فصيح اللسان جمعا من الناس لطرح قضية أو إقناعهم بأدلة أو موعظة .

وقد اشتُهر أن الخطيب المتحدث عن القوم ، ومن يقوم بالخطابة فى المساجد وغيرها من المحافل .

والخُطْبة فى الاصطلاح : هى الكلام المؤلف الذى يتضمن بلاغا على صفة مخصوصة أو وعظا .

والموعظة هى : التذكير والنصح والأمر بالطاعة والنهى عن المناكير ، ونقل عن (الخليل) أنها التذكير بالخير فيما يَرِقُّ له القلب .

وأن الوصيَة هى: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقرونا بوعظ .

والنصيحة هى: الدعوة إلى ما فيه الصلاح والنهى عما يفسد .

ومن آدابها أن تكون سرا فى حين أن الخطبة يشترط أن يسمعها جماعة من الناس ، وإن (الكلمة) تستعمل بمعنى الكلام المؤلف المطول ، خطبة كانت أم قصيدة أم مقالة أم رسالة ، وإلى هذا أشار قول (ابن مالك) فى ألفيته : « وكلمة بها كلام قد يُؤَمّ » .

وفى الإسلام خطب مشروعة وإن اختلف حكمها بحسب مواقعها وهى : خطبة الجمعة والعيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وخطب الحج ، وكلها بعد الصلاة المشروعة إلا خطبة الجمعة .

ومن الخطب المشروعة الخُطْبَةُ فى خِطْبة النكاح .

والمقصود بهذه الكلمة خطبة الجمعة من عدة جوانب :

حكمها :

أنها شرط لصحة الجمعة وقد اتفق فقهاء المذاهب المعتبرة على أن الخُطْبتين شرط فى انعقاد الجمعة غير أن الحنفية قالوا : إن الشرط خطبة واحدة وتسن خطبتان .

ويستدل لغير الحنفية بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أخرجه البخارى : (صلوا كما رايتمونى أصلى) .

واضاف الجمهور أن الخطبتين أقيمتا مقام الركعتين ، وكل خطبة مكان ركعة فالإخلال بإحداهما كالإخلال بإحدى الركعتين[1] .

أركان الخطبة :

اختلفت كلمة الفقهاء فى هذه الأركان :

فقال أبو حنيفة : إن ركنها تحميدة أو تهليلة أو تسبيحة حيث إنَّهُ المأمورُ به فى قوله تعالى فى سورة الجمعة : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ .

وهذا النص يفيد مطلق الذكر الشامل للقليل والكثير ، وما أثر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يكون بيانا لأن هذا النص غيرُ مجمل .

وقال الصاحبان : لابد من ذكر طويل يسمى خُطْبَة .

وعند المالكية : أن ركن الخطبة أقل ما يسمى خطبة عند العرب ، ولو سجعتين .

نحو : اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما عنه نهى وزجر ، فإن سَبَّحَ أو هَلَّلَ أو كَبَّر لم يجزه .

وَنَصَّ ابنُ العربى على أن أقلها حمد الله والصلاة والسلام على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتحذير وتبشير ، وقراءة شىء من القرآن .

وذهب الشافعية إلى أن أركانها : حمد الله ويتعين بلفظ (الحمد لله) والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتعين بصيغة (صلاة ، وذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسمه أو بصفته ، فلا يكفى « صلى الله عليه وسلم ») والوصية بالتقوى ، ولا يتحتم لفظها ، والدعاء للمؤمنين فى الخطبة الثانية ، وقراءة

---

(١) ابن عابدين جـ ١ ص ٥٤٤ والموافق ١٥٨/١ ونهاية المحتاج جـ ٢ / ٢٩٩ والمغنى جـ ٢ ـ ٣٠٤١ .

خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة

آية مفهمة ولو فى إحدى الخطبتين فلا يكفى نحو ـ ثم نظر ـ لعدم إفهام هذه الجملة ، ويسن جعل الآية فى الخطبة الأولى .

واستدل الشافعية على هذا بفعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وأركانها عند الحنابلة : حمد الله بلفظ (الحمد) والصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصفة (الصلاة) والموعظة وهى المقصود بالخطبة ؛ فلا يجوز الإخلال بها ، وقراءة آية كاملة وزاد بعض الحنابلة الموالاة بين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة ، والجهر بحيث يسمع العدد المعتمد للجمعة حيث لا مانع وجعلهما الآخرون من الشروط[٢] .

شروط صحتها :

وقد اتفق الفقهاء على أن من شروط صحة الخطبة :

أن تقع فى وقت الجمعة ، وهو وقت الظهر عند غير الحنابلة ، وأن تكون قبل الصلاة ، وحضور جماعة تنعقد بهم الجمعة على اختلاف فى عددها ، ورفع الصوت بها بحيث يسمع العدد المطلوب المعتبر إن لم يوجد مانع ، ووجوب الإنصات على المصلين وإن خالف القول الجديد للشافعية فى الوجوب باعتبار أن الأمر والنهى الواردين فى الحديث الذى أخرجه البخارى : (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب : « أنصت » . فقد لغوت) محمول على الندب للأمر والكراهة للنهى ، ومن شروطها : الموالاة بين أركان الخطبة وبين الخطبتين وبينهما وبين الصلاة ، واشترط كذلك نية خطبة الجمعة فلو خطب بغير هذه النية لم يعتد بها عند الحنفية والحنابلة ، وقال المالكية والشافعية : إن النية ليست شرطا[٣] .

الخطبة والترجمة :

ومن شروط الخطبة كونها باللغة العربية :

والمراد : أن تكون أركانها باللغة العربية تعبدا واتباعا ؛ ولأنها ذِكْرٌ مفروض فاشترط فيه ذلك كتكبيرة الإحرام ولو كان المصلون جميعا من العجم الذين لا يعرفون اللغة العربية .

هذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء فى الجملة .

مع الحنفية :

وذهب أبو حنيفة إلى أن الخطبة تجوز بغير اللغة العربية ولو كان الخطيب قادرا عليها ، سواء كان القوم عربا أم من غيرهم ، واشترط الصاحبان (أبو يوسف ومحمد) كون الخطبة باللغة العربية إلا للعاجز عنها .

مع المالكية :

واشترط المالكية أن يكون الخطيب فى الجمعة عارفا معنى ما يقول ؛ فلا يكفى أن يكون ملقنا من غير فهم .

وأن تكون باللغة العربية ولا تجوز بغيرها وإن كان المصلون عجما .

---

(٢) فتح القدير جـ ١ ص : ٤١٧ وابن عابدين جـ ١ / ٧٤٣ القوانين الفقهية لابن جزى ص ٨٠ والخطاب جـ ٢ ص ١٦٥ ونهاية المحتاج جـ ٢ ص ٣٠٠ والكافى جـ ١ ص ٢٢٠ ونيل المأرب جـ ١ ص ٥٧ .

(٣) المراجع السابقة وغيرها من كتب المذاهب .

مع الحنابلة :

وفى الفقه الحنبلى : لا تصح خطبة الجمعة بغير اللغة العربية إن كان الخطيب قادرا عليها ؛ فإن عجز عن الخطبة بها خطب بغيرها من اللغات مما يُحْسِنُهُ سواء كان القوم عربا أو غيرهم لكن الآية التى هى ركن من أركان الخطبتين لا يجوز نطقها بغير اللغة العربية ، فإن عجز يأتى بدلا عنها بأى ذكر شاء باللغة العربية ؛ فإن عجز سكت بقدر قراءة آية .

مع الشافعية :

وفى الفقه الشافعى : الشرط أن تكون أركان الخطبة باللغة العربية فلا يكفى غيرها من اللغات متى أمكن تعلمها ؛ فإن لم يمكن خَطَبَ بغيرها . هذا إذا كان القوم عربا .

أما إن كانوا عجما فإنه لا يشترط أداء أركانها باللغة العربية مطلقا ولو تمكن الخطيب من تعلمها ماعدا الآية ، فلا بد أن يتلوها باللغة العربية ، فإذا عجز عن هذا يأتى بدلها بدعاء أو ذكر عربى ، فإذا عجز أيضا وقف بقدر قراءة الآية ، ولا يترجم الدعاء أو الذكر من العربية .

وأما غير أركان الخطبة فلا يشترط لها اللغة العربية بل ذلك سُنَّة .

ولما كانت أقوال فقهاء المذاهب المعتبرة على هذا النحو السابق إجماله فى شأن خطبة الجمعة ، واشتراط كونها باللغة العربية لدى جمهور الفقهاء - لا سيما فيما كان من أركانها - أما غير الأركان فقد يسرته بعض تلك المذاهب وكانت هذه الخطبة إنما شرعت للنصح والتذكير بالعواقب أو كما قال الخليل : هى للتذكير بالخير فيما يرق له القلب .

وكانت الخطبة باللغة العربية فى حضور قوم لا يعرفون هذه اللغة ولا يفهمونها مجرد صوت يتردد فى المسجد دون أن يتحقق المقصود المستهدف من خطبة الجمعة ، وهو الموعظة والنصيحة والوصايا وربما تعليم بعض الأحكام الشرعية .

وكان خطباء الجمعة فى البلاد الإسلامية التى لا تنطق اللغة العربية أو تنطق آيات من القرآن دون فهم لما يتلون من الذكر الحكيم يلتزمون ما استوجبه جمهور الفقهاء من لزوم الخطبة باللغة العربية كتكبيرة الإحرام واختلفت طرائق الخطباء فى نصح المسلمين من هذا الصنف ووعظهم .

فبعض المساجد يكون فيها درس فى موضوع قبل دخول الخطيب المسجد ورقيه المنبر ، ثم إذا ما حان وقت الخطبة ألقاها الخطيب باللغة العربية التى يجرى بها لسانه دون ترجمة ملتزمة بمذهب مالك الذى يتبعه - مثلا .

وبعض المساجد تترجم فيها خطبة الجمعة فى درس الجمعة المقبلة .

وبعض المساجد تترجم الخطبة بلغة القوم بعد الصلاة حيث لا يرضون ترجمة لها أثناء إلقائها .

أحسن ما يكون عليه العمل - إن شاء الله :

وإذا كان الخطباء قد اختلفت طرائقهم على هذا الوجه وغيره بين أقوامهم الذين لا يعرفون اللغة العربية ولا يفهمونها استمساكا بنصوص الفقه المذهبى فى كل موقع من بلاد المسلمين .

وكان هذا الصنيع مضيعا للفوائد المستهدفة من خطبة الجمعة وموقعها فى هذا اليوم الذى يجتمع فيه المسلمون أسبوعيا ، وكانت المذاهب المعتبرة كلها من رسول الله مُلْتَمِسٌ كان الأخذ بقول الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الخطبة بغير اللغة العربية باعتبار ما يقال فيها ذكر أو تذكير أو وعظ أو وصايا ، وفقط يلتزم الخطيب بتلاوة آيات القرآن بلفظها العربى ، وله أن يفسرها بعد تلاوتها بلغة القوم طلبا للفائدة المرتجاة ..

خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة

وإذا كانت مراعاة فقه المذهب الذى ارتاده الناس فى جهة ما واعتادوا أداء شعائر الإسلام وفقا لأحكامه أمرا قد يكون لازما لاستدامة وحدتهم واطمئنانهم فى عبادتهم ..

فإن فقه المذاهب جميعا لم يمنع الجمع بين الخطبة باللغة العربية بأركانها وشروطها وسننها وبين إعادة إلقائها بلغة القوم بالترتيب ، فتكون باللغة العربية أولا فى الخطبة الأولى ثم يلقيها بلغة القوم ، ثم يجلس ثم يبدأ الخطبة الثانية باللغة العربية ثم يلقيها مرة أخرى بلغة القوم ..

وبهذا الصنيع ـ إذا لم يَرُقْ الأخذ بقول أبى حنيفة الذى انفرد به بإطلاق ، حيث أجاز الخطبة بغير اللغة العربية من لغات البشر ـ يمكن أداء الخطبة على الوجه الذى ارتضاه جمهور الفقهاء أخذا بعموم الحديث الشريف : **(صلوا كما رأيتمونى أصلى)** مع نفع القوم المصلين بإعادة الخطبة مترجمة من ذات الخطيب أو من معاون له على الوجه السالف ، ومن ثم يهون الخَطْبُ ، وينتفع الناس بخطبة الجمعة دون مساس أو انتقاص من الحكم الفقهى لجمهرة الفقهاء أو خروج عليه ..

أما أن تلقى الخطبتان بغير اللغة العربية ، أو تترجمان إلى اللغة الوطنية فوق المنبر قبل إلقاء الخطبة الأولى والثانية باللغة العربية فذلك كالدرس قبل الصلاة ولا تكون خطبة الجمعة إلا تلك التى ألقيت باللغة العربية أخيرا ..

والذى أميل إلى الفتوى به :

هو أن يقوم الإمام الخطيب بإلقاء خطبتى الجمعة ويترجم كل خطبة إلى لغة قومه عقب إلقائها باللغة العربية ، ويعتبر ما ألقى بالعربية وما ترجم منها إلى غيرها خطبة واحدة .

أى الأولى والثانية كل منهما مكون من جزءين .

أولهما : باللغة العربية ارتباطا بالحكم الفقهى .

والآخر : بلغة القوم طلبا لنفع الناس وإرشادهم وتذكيرهم بلغتهم أو وصولا إلى إعمال قاعدة واجبة فى الإسلام هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وهذه القاعدة لا تنفذ بغير لغة القوم التى يفهمونها ..

هذا إذا وجد الخطيب أن فى الأخذ بقول الإمام أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ فتنة بسبب الالتزام المذهبى السائد لدى بعض الشعوب الإسلامية من العرب وغير العرب ..

هذا وفى سورة الإسراء قول الله سبحانه :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٤) .

وإذا كانت كل المخلوقات تسبح بحمد الله بقدراتها المختلفة التى خلقها الله فأولى بالمسلمين من الناس أن يقبلوا على التسبيح والتحميد باللغة التى جبلوا عليها وان كان على غير العرب من المسلمين أن يتعلموا لغة القرآن ليتدبروا آياته ويتعبدوا بتلاوته ، وما خطبة الجمعة وغيرها من الخطب المشروعة فى الجملة إلا تكبير وتحميد وتسبيح وتذكير وموعظة وتلاوة لبعض آياته (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) .(٥) والله سبحانه وتعالى اعلم ،

(جاد الحق على جاد الحق)

شيخ الأزهر

(٤) سورة الإسراء آية ٤٤ .

(٥) سورة النساء آية ٢٨

فتوى فى بعض أحكام تتعلق

بالأقليات الإسلامية

فى غير ديار المسلمين

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعـد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الازهر من مدير معهد علوم الشريعة الإسلامية بجنوب افريقيا خطاب مؤرخ : المحرم ١٤١١ هـ اغسطس ١٩٩٠ م يطلب فيه الإجابة عن الاسئلة التالية : ـ

١ ـ هل يصح للمسلم العيش تحت نظام كافر ، وإن صح فعلى اى شروط ؟

٢ ـ هل يصح الاشتراك والانضمام إلى فرقة سياسية كافرة إذا كان المسلمون اقلية وإن صح ، فعلى اى شروط ؟

٣ ـ هل يصح للمسلم ان يبقى على إسلامه ويلتمس الاشتراكية او الشيوعية او الراسمالية ؟

٤ ـ إذا رفضت دولة كافرة الاعتراف باحوال الشخصية الإسلامية فهل يصح للمسلم البقاء فيها ، علما بأن الدولة لاتمنع وقوع ووجود أثر الأحوال الشخصية الإسلامية ولكن لاتحكم عليه ولاعلى اثره قانونيا ؟

٥ ـ هل يصح للكافر (أهل الكتاب وغيرهم) أن يكون قاضيا أو محاميا فى شئون الأحوال الشخصية الإسلامية أو يقوم بإدارته فى دولة كافرة يوجد سيها مسلمون وعلماء مسلمون .

واجلـواب

أولاً : إذا أمن المسلم على دينه ومارس شعائر الإسلام بحرية فى بلد ليس له دين أصلا أو له دين غير دين الإسلام تصح إقامته ، أما إن خاف على دينه وخلقه أو على ماله وعرضه وجب عليه أن يهاجر إلى بلد يجد فيه الأمان .

ففى الحديث الشريف[1] : « **البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيرا فأقم** » كما صح أن بعض المسلمين الأوائل هاجر إلى الحبشة وأقام بها بأمر من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم تكن الحبشة دار إسلام .

ومن أقوال العلماء والمحققين[2] : (إذا وجد المسلم أن بقاءه فى أرض الكفر يفيد المسلمين الموجودين بدار الكفر بتعليمهم وقضاء مصالحهم أو يفيد المسلمين الموجودين فى دار الإسلام أو يفيد الإسلام نفسه بنشر مبادئه ورد الشبه عنه كان وجوده فى هذا المجتمع أفضل من هجرته) .

ويتطلب ذلك أن يكون هذا المسلم قوى الإيمان والشخصية والنفوذ حتى يمكنه القيام بمهمته . وقد كان للدعاة والتجار أثر فى نشر الإسلام فى بلاد الكفر .

ثانياً : مبدأ تشكيل الأحزاب السياسية على الوجه الذى شاع فى عصرنا واتخذ شعارا للديمقراطية لا مانع منه فى الإسلام وهو من المباحات التى يجوز مزاولتها فى نطاق أحكام ومبادىء الإسلام العامة فى الحكم والتشريع ، والحرام والحلال ومجالها ـ أى الحزبية العاقلة ـ الأمور الاجتهادية لاسيما المصالح المرسلة ، وما دام المسلم مقيما فى غير دار الإسلام فالأجدر به والواجب عليه ألا يشترك أو ينضم إلى فرقة سياسية حيث لا يأمن على حرية تصرفاته وقد تضطره السياسة الحزبية غير المسلمة إلى الالتزام بمبادئها وحتما هى مبادىء تخالف الإسلام فى الأغلب ويخشى منها عليه .

وفى الحديث الشريف « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**[3] » أما إذا كان المسلم قوى الشخصية قوى الإيمان صاحب نفوذ ، ورأى أن فى انضمامه إلى الفرقة السياسية نفعا للأقلية المسلمة بالدفاع عنها وتوصيل النفع لها فلا مانع من الانضمام مع الحذر واليقظة .

إذ من مقاصد الشريعة الإسلامية رعاية المصالح الراجحة وتحمل الضرر الأخف لجلب مصلحة تفويتها أشد ـ وفى الحديث « **المؤمن كيس فطن**[4] » أى عنده كياسة وفيه ذكاء وقد وجه القرآن عموما إلى أخذ الحذر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[5]

ثالثاً : الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية كلها مذاهب معاصرة قائمة على الاختلاف فى النظرة الاقتصادية فى شأن الملكية والإنتاج والتوزيع للمجتمع ؛ وتقوم فى جملتها على معاداة الدين وإغفاله ، والمسلم ليس بحاجة إلى الانتساب إلى أى مذهب اجتماعى أو اقتصادى لأن الإسلام له من المبادىء ما يحقق الرخاء والتقدم للمجتمع وليس الإسلام شيوعيا ولا اشتراكيا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن الزبير بن العوام ـ مختصر ابن كثير ـ مجلد ٣ ص ٤٢ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَإِيَّاىَ فَاعْبُدُونِ ﴾

(٢) انظر بيان للناس جـ ١ صـ ٢٩٨ الصادر عن الأزهر الشريف .

(٣) مسند الإمام أحمد عن أنس ـ رضى الله عنه ـ جمع الجوامع ص ٥٢٢ .

(٤) رواه الديلمى عن أبان عن أنس .

(٥) من الآية ٧١ من سورة النساء .

ولا رأسماليا لأنه دين له أصوله وفى مقدمتها القرآن والسنة الشريفة وهو فوق كل هذه الألوان والمذاهب المتعددة التى تحاد الله ورسوله فى الجملة ، ولايجوز للمسلم أن يصم نفسه بالانتساب إلى واحد من هذه المذاهب ونحوها ، حيث نشأت فى أمم ساد فيها الظلم والظلمات لكن الإسلام عدل فى كل أحكامه ومقوماته ، وعدالته الاجتماعية ومساواته بين الناس جميعا مقررة فى نصوص القرآن والسنة وتوابعهما من الأدلة الشرعية .

هذا والأصل أن ماوافق الإسلام فهو حق ، وما خالفه فهو باطل ينبغى على المسلم البعد عنه ومن استبدل بالإسلام عقيدة أو مذهباً آخر فقد باء بغضب من الله وتلك المذاهب فى جملتها قد غلب باطلها على ماقد يكون فيها من حق ، وواقعها المعاصر وتقلب أهلها وترددهم بين أفكار متعددة بل وربما متناقضة يجعل المسلم حريا بأن يلتزم : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾(٦) فلايضم إلى وصف المسلم الذى شرف به عقيدة وشريعة أى وصف آخر لاسيما وفى تلك المذاهب ما يرفضه الإسلام .

رابعاً : الأقلية المسلمة فى بلد غير إسلامى مادامت تقيم شعائر الإسلام وتطبق فيما بينها أحكامه فى العقيدة والشريعة لاسيما ما لا يدخل فى نطاق سلطة الدولة الجبرية مثل : الزواج والطلاق وما يتبعهما من النظام الإسلامى ، تكون بهذا قد أقامت شرع الله سواء ، اعترفت الدولة بالأحوال الشخصية الإسلامية أم لم تعترف ، والمهم التزام المسلم لتعاليم دينه ، والعمل بها وبمقاصد الإسلام بجلب المصالح ودفع المضار بقدر الاستطاعة ، ومسألة الاعتراف تعود لسياسة الدولة ، وأما صحة بقاء المسلم فى هذا البلد غير المسلم فقد تقدم حكمه فى الفقرة الأولى من هذه الفتوى .

خامساً : المسلمون إذا كانوا أقلية فى بلد غير إسلامى يرجعون إلى تعاليم الإسلام بتوجيه من علماء المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم وأحوالهم الشخصية وكل مايعرض لهم من أمور دينهم ، وإذا عين الحاكم غير المسلم قاضيا غير مسلم أو محاميا فى شئون الأحوال الشخصية الإسلامية أو من يقوم بإدارة أمورهم لم يجز هذا فى قول عامة الفقهاء حيث لايصح أن يتقلد القضاء إلا المسلم المؤهل لذلك بالشروط المقررة لمثله ، وماقال به أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ من أنه يجوز تولية القاضى غير المسلم على أهل دينه إذا جرى عرف الولاة بذلك ـ وهى حينئذ تولية زعامة ورياسة وليست تولية حكم وقضاء وإنما يلزمهم حكمه لالتزامهم له لا للزومه لهم ـ مؤداه جواز تولية الحاكم غير المسلم لقاض غير مسلم على أهل ملته أى غير المسلمين ، وليس إجازة لتولية قاض غير مسلم للفصل فى خصومات المسلمين(٧) .

ومن ثم فلا يحل للمسلمين التحاكم إلى قاض غير مسلم إلا عند الضرورة ، وعلى الأقلية الإسلامية فى هذه الحال العمل على الخلاص إما باستقلال أو بهجرة أو بالتحاكم إلى محكمين مسلمين علماء يرضاهم المتخاصمون لاسيما فى مسائل الحلال والحرام ، ومنها أمور الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونسب وميراث ، وهذا خير لدينهم ولدنياهم من التحاكم إلى قاض غير مسلم عينه الحاكم .

والله أعلم

---

(٦) الآية ١٣٨ من سورة البقرة .

(٧) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٥ فى ولاية القضاء .

بيان من مشيخة الأزهر الشريف

فى شأن تدوين الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة

على أوراق النتائج وغيرها ثم تمزيقها وإلقائها فى المهملات

وردت إلى مشيخة الأزهر الشريف نماذج مما يكتب على ظهر الأوراق اليومية للنتائج الشهرية والسنوية من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية ، وأن كل ورقة ترفع بمضى تاريخها تمزق أو تلقى فى المهملات والطرقات .

ومع اليقين بأن السادة الذين يقومون بطبع تلك الآيات والأحاديث إنما يهدفون إلى نشر أوامر الإسلام وأخلاقه وسلوكياته إلا أنه من باب سد الذرائع : تنبه مشيخة الأزهر الشريف السادة الذين يقومون الآن على طبع النتائج والتقاويم والنشرات للعام الجديد ١٩٩١ م أن يكفوا عن وضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ظهر الورقة اليومية للنتيجة أو فى أية وسيلة أخرى كالإعلانات مما يصدرونه ويكون عرضة للتمزيق والإهمال والرمى به فى الطرقات والشوارع وسلال المهملات ..

وأن يكفوا عن ذلك احتراما وتقديرا للقرآن الكريم ولأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والبعد بها عن مواقع المهانة والإهمال .

ففى القرآن الكريم قول الله سبحانه :

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ . لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ..

وتوصى مشيخة الأزهر : من عثر على ورقة أو أوراق مكتوب عليها آية قرآنية أو بعض آية أو حديث نبوى شريف أن يجمعها ولا يهملها وليدفنها فى الأرض بعيدا عن طريق الناس أو ليحرقها ويدفن رمادها كذلك ..

أكرموا القرآن والسنة يكرمكم الله فإنهما أصل الإسلام وعليهما مداره عقيدة وشريعة ولا تضعوهما أو بعضا منهما فى غير موضع التكريم والتعظيم .

وفقكم الله لطاعته وأثابكم ..

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

بيان من مشيخة الأزهر الشريف

حول العدوان على المساجد فى الهند

لقد حفلت الأخبار التى رددتها الصحف ووكالات الأنباء والإذاعات بأعمال العنف التى تهدف إلى هدم « مسجد بابرى » الأثرى فى بلدة « ايوديا » بولاية « اوتاربراديش » الهندية بغية إقامة معبد هندوسى مكانه .

وإنه لأمر خطير أن يتصاعد العنف ضد المساجد التى هى دور لعبادة الله ، وهو فى ذات الوقت نذير خطر مهدد للأمن والاستقرار فى الهند بل وفى شرق العالم كله ، ومؤثر على التعايش السلمى بين أبناء الهند على اختلاف عقائدهم ، وهذا العنف يؤخر التقدم والرقى الحضارى ويعوق التنمية التى تقدم الكفاية للشعب الهندى ، ومنذر بسريان هذا التعصب الممقوت إلى أتباع الديانات الأخرى ليس فى الهند فحسب ، بل وفى جيرانها ، مما يزيد من القلق والتوتر بين شعوبها .

ثم إن هذا العدوان على مساجد المسلمين يمثل اعتداء صارخا على حقوق الإنسان التى قد كفلتها كافة المواثيق الدولية ، فضلا عن أن الإسلام يحمى كل دور العبادة ويحافظ عليها .

وإن الأزهر الشريف إذ يستنكر العدوان من جانب الهندوس على مسجد « بابرى » فى الهند ويدعو جميع فئات الشعب الهندى الصديق إلى الحفاظ على دور العبادة جميعها واحترامها ليشكر الحكومة الهندية السابقة على موقفها الحازم إزاء ما وقع من اعتداء على هذا المسجد وغيره من المساجد ، وعلى المسلمين .

ويدعو كافة الحكومات الإسلامية إلى بذل جهودها لدى الحكومة الهندية الجديدة نحو منع تجدد هذا العدوان على هذا المسجد وغيره من مساجد المسلمين فى الهند،رعاية لحقوق الهنود المسلمين وهم مواطنون صالحون يعملون لخير بلادهم وتنميتها وحضارتها ويشاركون فى الدفاع عنها وفى عمارتها .

كما يدعو الأزهر الشريف الموسرين من المسلمين فى أنحاء العالم إلى المبادرة إلى المشاركة فى إعمار ما تخرب من هذا المسجد (بابرى) وغيره من المساجد فى الهند .

ولنتذكر نحن المسلمين أن المسجد هو دار المسلمين وأول مابدأ به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وصل مهاجرا إلى المدينة ، منه يرفع الأذان،وفيه تقام الصلوات ويلتقى المسلمون فى الجمعة والجماعات .

ومن ثم كان الحرص على إعماره وحمايته ونظافته أمرا حتميا على كافة المسلمين .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

استجابة الحكومة الهندية

لنداء

فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد بى . إيه . نازاريت ، سفير الهند بالقاهرة .

حيث عبر السيد السفير عن تقدير الهند حكومة وشعباً لدور الأزهر الشريف فى أرجاء العالم ، والصلة التاريخية والوثيقة بين مصر والهند ، والعلاقات الطيبة بين البلدين ، والتعاون المثمر فى الكثير من المجالات .

واضاف السيد السفير أن الهدف من الزيارة توضيح موقف حكومة الهند من مشكلة « مسجد بابري » .. حيث قامت الحكومة بواجبها فى حماية المسجد من المتعصبين الهندوس ... وأجرت الحكومة اتصالات بالزعماء الدينيين ، وأوضحت لكافة الأطراف أنها تحمى دور العبادة الموجودة على أرض الهند لكافة الأديان .. وأن رئيس وزراء الهند أعلن امام البرلمان الهندي أن الحكومة لن تسمح بهدم « مسجد بابري » ، أو بناء « معبد رام فى ابوريا » مهما كانت الظروف .

وذكر السيد السفير أنه قد أبلغ حكومته بمضمون البيان الصادر عن الأزهر الشريف بشأن مسجد « بابري » حسبما نشر فى الصحف المصرية ... حيث رحبت الحكومة الهندية بهذا البيان .

لقاء فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
والسيد / سفير الهند بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ـ بمكتب فضيلته ظهر يوم الثلاثاء ١٩٩٠/١٢/٤ م السيد / بى آيه نازاريت سفير الهند بالقاهرة .

* وقد بدأ اللقاء بالترحيب والشكر ..

وأعرب السيد السفير عن امتنانه وشكره للقاء فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر وأنهم فى الهند يكنون كل التقدير والاحترام للأزهر سواء بين المسلمين أو غير المسلمين .

* ثم تحدث السيد السفير عن دخول الإسلام فى الهند منذ أكثر من ألف عام ، وأنه كانت هناك ممالك يحكمها ملوك مسلمون فى الهند ، وأن الهند رغم أنها دولة علمانية إلا أنها تحترم جميع الأديان ويحظى الجميع بالمساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، وأن الهند بها سبع ديانات رئيسية .. أربع منها موجودة منذ القدم ، منها الهندوسية والبوذية ، والسيخ ، ثم دخلت الديانات السماوية الثلاث : الإسلام والمسيحية واليهودية بعد ذلك . والجميع يحظون بحرية العبادة والاحترام المتبادل وأن الهند رغم قدم حضارتها إلا أنها تعتبر مصر الشقيقة الكبرى من حيث أن حضارة مصر أعمق فى القدم .

* ثم عرض السيد السفير لموضوع مسجد(بابرى)فى الهند ، والذى تعرض لهجوم من جانب بعض المتعصبين الهندوس ، وأشار إلى أنه قرأ بيان فضيلة الإمام الأكبر فى الصحف ، وأن الحكومة الهندية قد اهتمت به ، وأخذته فى موضع الاعتبار كما أنهم سروا بما جاء به من دعوات وتوجيهات ، وشرح السيد السفير المشكلة قائلا :

« منذ استقلال الهند لم يحدث مثل هذه الأمور ولكن ظاهرة التعصب والتشدد ظاهرة اجتماعية عالمية لا نتفق معها ، وكما أن فى دول العالم الثالث متطرفين ومتعصبين متشددين ، يوجد أيضا مثلهم فى دول العالم المتقدم ويستوى هذا فى الدول الإسلامية والمسيحية ، وقد ظهر فى الآونة الأخيرة فى الهند جماعة من المتعصبين الهندوس على شاكلة جماعة الجهاد الإسلامى فى مصر ، وهم متشددون ، وقد شكلوا حزبا سياسيا فاز بمقعدين فى الانتخابات قبل الأخيرة ولكنهم ائتلفوا مع حزب هندوسى آخر وحصلوا على ٨٨ مقعدا فى الانتخابات الأخيرة ، وترجع جذور المشكلة التى ظهرت أخيرا إلى شائعة أطلقها بعض المتطرفين

لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير الهند

بأن مسجد «بابرى» الذى أقيم منذ أكثر من خمسمائة عام كان مكانه معبدًا للهندوس ، كما يعتقد البعض منهم أن القديس (لورد / راما) الذى يعتبره الهندوس نبيا وينظر إليه البعض على أنه إله قد ولد فى مكان أسفل هذا المسجد وسرعان ما انتشرت هذه الشائعة وحشد المتطرفون أنفسهم لها وكسبوا بعض المتعاطفين معهم وقاموا بعمل مسيرة حماسية متعصبة بلغ عدد المشتركين فيها ما يقرب من نصف مليون شخص متجهين لهدم المسجد وإقامة معبد مكانه ، ولما رأت الحكومة أن الموقف قد استفحل ، وبلغ هذا الحد سرعان ما تدخلت القوات الحكومية والشرطة لفض هذا التجمهر المتعصب وحماية المسجد من الهدم .. وقد تسبب هذا الموقف فى انقسام الحزب الحاكم : حزب راجيف غاندى حيث رأى البعض أن الحكومة أهملت معالجة الموقف فى بدايته وكانت تستطيع هذا ، ولكنها تركته إلى أن وصل إلى حد الخطورة وأنه كان لابد من اتخاذ موقف وقائى منذ البداية ..

وفور تولى رئيس الوزراء الجديد الحكم أعلن أمام البرلمان الهندى أن الحكومة لن تسمح بهدم مسجد «بابرى» أو بناء معبد رام فى (أيوديا) مهما كانت الظروف ، كما أوضح رئيس الوزراء الجديد أنه فى كافة الأمور المتعلقة بالوفاق الطائفى وحماية أماكن العبادة فإنه سوف يتخذ الإجراء الوقائى بدلا من الإجراء العقابى ، وأكد سيادته على ضرورة حل كافة الصراعات الدينية والخلافات حول أماكن العبادة عن طريق المفاوضات الودية بين القيادات الدينية ، وفى حالة فشل مثل هذه الجهود يحال الأمر إلى القضاء بعيدا عن تحويل المشكلة إلى قضية سياسية ..

هذا : وقد وجد رئيس الوزراء الاستجابة والتأييد من جانب الأحزاب السياسية والقومية المختلفة فى البلاد .. ووجد تأييد المسلمين والأقليات » ..

* **فقال فضيلة الإمام الأكبر :**

« إن موقف الحكومة الهندية قد أسعد الجميع ، وأن حماية دور العبادة أمر يجب أن يؤخذ فى الاعتبار ليس للمسلمين فقط ، ولكن لجميع الأديان والإسلام يحث على احترام وحماية دور العبادة وحسن الجوار .

* وطلب فضيلة الإمام الأكبر من السيد السفير : أن ينقل شكره .. وشكر الأزهر للحكومة الهندية على موقفها من الأحداث الأخيرة ضد مسجد «بابرى» فى الهند وأضاف فضيلته : أن الصلة بين الهند ومصر قديمة وممتدة .. وأن العلاقة بين الدولتين علاقة قوية ، وأن السيد السفير يمثل الهند كلها بما فيها المائة والعشرون مليونا من المسلمين ..

* ثم استطرد فضيلة الإمام الأكبر : إلى أن الأزهر الشريف يود أن يكون على صلة ورباط دائم مع المسلمين فى الهند .. لا سيما المعاهد والمدارس الإسلامية .. وقد كان للأزهر بالفعل عدد أربعة من العلماء المدرسين يعملون فى المدارس الإسلامية والعربية فى الهند ولكنهم فوجئوا بعدم إعطائهم تأشيرات الدخول للبلاد بعد عودتهم لقضاء اجازاتهم السنوية ..

* هذا وقد اقترح الأزهر إرسال وفد من اثنين أو ثلاثة للتعرف على احتياجات المعاهد والمدارس الإسلامية للمدرسين والكتب ولكن لم يجد هذا الطلب أية استجابة .

* فقال السيد السفير : إنه سيبحث هذا الأمر وأن الصلة العلمية يجب أن تكون متصلة وأنه كان فى لقاء مع المسئولين فى وزارة الشئون الخارجية منذ أيام لطلب أحد الأساتذة العلماء فى الشريعة للعمل بجامعات الهند ..

* ثم شرح سيادته أن الحالة الوحيدة التى يمنع فيها دخول البلاد هى حالة الوعظ أو الدعوة لأى دين يستوى فى هذا جميع الأديان .. ويرجع ذلك إلى ما تركته عقدة الاحتلال الأجنبى قبل الاستقلال ووجود البعثات التبشيرية المختلفة من أوروبا وأمريكا ، وما تركته قبل هذا الوضع من آثار سيئة واتجاهات متعصبة فى المجتمع الهندى ، فاتخذ قرار بأن يكفينا ما لدينا .. أما فيما يخص المجال التعليمى الأكاديمى وتبادل الأساتذة والخبراء فلا ضرر من وراء ذلك إطلاقا وهو أمر نقف جميعا وراءه ونؤيده ، ويخصوص هذا الوفد الذى يراه فضيلة الإمام الأكبر سأعمل على تسهيل هذه المأمورية والاتصال بالمسئولين من أجل هذا حتى ندعم أواصر الرباط العلمى والثقافى بين البلدين .

* ثم سأل السيد السفير حول الموعد الذى يراه فضيلة الإمام الأكبر لإيفاد هذا الوفد ؟

* فقال فضيلة الإمام الأكبر : إن هذا يتقرر فور الحصول على الموافقة المبدئية على سفر الوفد وسوف يتشكل من عالمين أو ثلاثة للتعرف على حاجة المدارس والمعاهد من المدرسين وليس من الوعاظ أو الدعاة إلى جانب استكشاف الحاجة إلى المراجع والكتب الدراسية .

* فوعد السيد السفير بأنه سيعمل جاهدا لتيسير مثل هذا الأمر ..

وشكر سيادته فضيلة الإمام الأكبر على اللقاء المثمر .. وهذا الوقت الكبير الذى اقتطعه من وقت فضيلته ..

* فأعرب فضيلة الإمام الأكبر عن سعادته بهذا اللقاء .. وأن الأزهر مفتوح دائما للجميع .

* وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

والله ولى التوفيق ..

حضر اللقاء وسجله :

احمد عبدالخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر

الدعوة إلى الخير

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ،
ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .
رواه مسلم

من الناس فريق شاء الله - سبحانه - أن تسلم فيه قوة الخير ، وتنتصر على نوازع نفسه ، فهو يندفع بهذه الطاقة اللطيفة فيعمل بها فى خاصة نفسه ، فيزينها علما وحكمة وعملا ، ويكرُّ بها - ابتغاء مرضاة الله فيعمل بها بين عباده ، فإذا هو داعية إلى الكمال الذى تنشده الفطرة السليمة ، وتدعو إليه الشرعة الحكيمة .

وفريق آخر تنتصر فيه قوة الشر بتأثير بيئة فاسدة ، أو رفقة منحرفة ، أو شهوة طائشة ، فيضل ، ويدعو غيره إلى سبيل الغواية والضلال البعيد .

والإسلام يوجب على أتباعه أن يكونوا وحدة متماسكة متعاونة ينصح بعضهم بعضا ، ويرشد بعضهم بعضا فهم أبناء دين واحد ، أفراده إخوة متحابون ، استجابة لقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ « الحجرات ١٠ » .

وهم مكلفون - من قبل دينهم - أن يوطدوا بينهم دواعى الألفة ، ويوثقوا روابط المحبة ، وأن يبذل كل منهم لأخيه النصح والإرشاد ، فيدعوه إلى الخير ، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، ويهدى إليه الحكمة والموعظة الحسنة ، ليزيده الله بها هدى ، ويرده بها عند ردى .

والهدى فى الحديث الذى بين أيدينا يراد به الاهتداء، ليكون أداة الإرشاد إلى الطريق المستقيم من خير يعمله أو شر يدعه .

والمراد بالضلالة ما يبعد الإنسان عن جادة الحق والصواب فيترك الصالح ويعمل السيىء .

والدعوة إلى الخير مكلف بها كل مسلم يلم به عن علم ، ويكف الشر كذلك عن علم ، والناس إذا تركوا الدعوة إلى الخير من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، خرجوا عن الميزة التى امتازت بها أمة الإسلام التى قال الله فى شأنها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ « آل عمران ١١٠ » .

روى البخارى عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى - ﷺ - قال :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا [اقترعوا] على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

فليست العبرة بجانب يبدو فيه الخير ، إنما العبرة فى أن يخلو الشىء - تماما - من الأذى ، وذلك يحتاج إلى بصيرة تستوعب أجزاء الأمور ، وتعلم كل جوانبها من خير وشر .

لقد بين الله -سبحانه- حال الذين كانوا لا يتناهون عن المنكرات ، عبرة لنا حتى لا نفعل فعلهم فنكون مثلهم ، ويحل بنا ما حل بهم .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - ، قال قال رسول الله - ﷺ - :

« إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لايحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَاكَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ « المائدة ٧٨ - ٧٩ » .

ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو لتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم » .

وإلى الذين يتهاونون فى دعوة غيرهم إلى الخير ، ويتقاعسون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، نسوق ما رواه الإمام أحمد - رحمه الله - قال :

قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ « المائدة ١٠٥ » وإنكم تضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله - عز وجل - أن يعمهم بعقابه » .اهـ .

أيها الداعون إلى الخير ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر - حسبكم فخراً وشرفا أنكم تقومون بدعوة رسول الله - ﷺ - : وهذه بشارة الرسول لكم على جهادكم فلكم مثل أجور من اتبعوكم مع استيفاء أجورهم كاملة لا ينقص منها شىء ، وفضل الله واسع ، على ألا ننسى أن الدعوة إلى الخير تقتضى الحكمة والبصيرة ، ولا تدفع إلى فتنة هوجاء ، وحمق مستطير .

قبس من نـــــور النبـوة

ولأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم .

فأما أولئك الداعون إلى البدع والضلالات ، وتفريق كلمة الموحدين ، المثيرون للفتن ، المتنكبون سنن الحق والهدى ، أسرى الشهوات والأطماع ، فحسبهم شراً أن عليهم وزر ضلالهم ووزر من أضلوهم ، واتبعوهم فى غوايتهم ، ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَايَزِرُونَ ﴾ « النحل ٢٥ » .

وليس أتباعهم بناجين عن الإثم ، فهو يتناسل فى نفوسهم وقلوبهم وجوارحهم أجمعين .. عليهم وزره وينالهم عقابه .

روى الترمذى عن أنس قال ، قال لى رسول الله - ﷺ - « يابنى إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل ، ثم قال لى يابنى : وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

وفى الحديث إنكار شديد على الذين يضلون الناس عن طريق الحق ويزينون لهم الشر ، فيفرقون الأمة ويشتتون جمعها أولئك لهم عذاب أليم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ثم أما بعد :

فإن الدعوة إلى الخير توجه لكل مسلم ، لا يُخص بها واحد دون آخر ، أو جماعة دون المؤمنين ، فإن من اتخذ هذا السبيل فقصر الخير وعمل الخير على جماعة بعينها يعمل لها وحدها ، وخصها دون الناس بما يستطيع من الطيبات فذلك وأمثاله قوم قال الله - تعالى - فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ « الأنعام ١٥٩ » .

إمام الفقهاء وكنز العلماء

الصحابة القراء

معاذ بن جبل

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

كان القرآن الكريم شديد التأثير في أنفس أهل المدينة من الأوس والخزرج فقد بعث النبى ﷺ إليهم مصعب بن عمير[1] وعبد الله بن أم مكتوم يسمعانهم كلام الله ويتلوان عليهم آياته وسوره . فلم يلبثا فيهم غير عام واحد حتى انقادوا للحق وانضووا تحت لوائه . ولم يبق بيت من بيوتهم إلا كان القرآن يتلى فيه . ولما هاجر إليهم النبى - ﷺ - أقبلوا على القرآن يكتبونه ويحفظونه ويستخرجون ما في كنوزه من النفائس والجواهر وكان من فرسان هذا الميدان أربعة نفر كلهم من الخزرج وهم[2] : معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبى بن كعب وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك .

وقد أكثر المؤرخون والمحدثون من الكتابة حول هؤلاء الأربعة عامة ، وحول معاذ بن جبل على سبيل الخصوص .

مولد معاذ ونسبه وإسلامه :

وخلاصة ما جاء على ألسنة هؤلاء العلماء هو أن معاذاً - رضى الله عنه - قد ولد في المدينة قبل الهجرة بعشرين سنة - وقبل البعثة بسبع سنين - وأن أباه[3] هو جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب الخزرجى الأنصارى ، وأمه هى هند[4] بنت سهل من جهينة من بنى ربعة . وقد

(١) السيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ط/ دار المعرفة للطبع بيروت ، ط / نهضة مصر . أسد الغابة جـ ١ ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٢) البداية والنهاية - ابن كثير - جـ ٧ ص ٩٥ - ط/ مكتبة المعارف - بيروت .

(٣) ابن حجر - الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٦ ط / دار الفكر - بيروت .

(٤) ابن سعد . الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٥٨٣ ط / دار بيروت للطباعة والنشر .

«معـاذ بـن جبـل»

كان معاذ رجلاً طوالاً أبيض[٥] الوجه واسع العينين براق الثنايا فى طبعه لين ، وفى خلقه سماحة ، وفى سلوكه لطف ودعة .

دخل فى الإسلام على يدى «مصعب بن عمير» ، و«عبد الله بن أم مكتوم» أثناء وجودهما فى المدينة يدعوان إلى الإسلام ، ويشرحان مبادئه وتعاليمه . وقبل عام من هجرته عليه الصلاة والسلام إلى (يثرب) وافى معاذ مكة مع قومه فى موسم الحج وكان بين السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة[٦] الثانية . ولما هاجر النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى طيبة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بين معاذ وبين عبد الله بن مسعود[٧] . ومن المؤرخين[٨] من يدعى أنه آخى بينه وبين جعفر بن أبى طالب . وهو كلام تنقصه الدقة ؛ فإن المؤاخاة قد كانت بين الهجرة وبدر ، وجعفر إنما عاد إلى المدينة بعد فتح خيبر . وقد روى فى هذا عن النبى ـ ﷺ ـ «والله ما أدرى[٩] بأيهما أسر : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» .

وعلة أخرى لا سبيل إلى إغفالها فى ترجيح الرواية الأولى وهى أن النبى ـ ﷺ ـ لم يكن يؤاخى بين أصحابه اتفاقا ومن غير سبب . وإنما كان يضم الشبيه إلى شبيهه والقرين إلى قرينه . وقد كان معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود متشابهين فى كثير من الوجوه فقد كانا كلاهما حافظين للقرآن وقارئين له . وكانا كلاهما بارعين فى الفقه ومبرزين فى الفتوى والاجتهاد .

ومهما يكن من شىء فإن معاذ بن جبل قد برَّز فى جوانب كثيرة ، ونبغ فى نواحٍ متعددة ، ففى حفظ القرآن وقراءته بلغ الغاية وأربى على النهاية . ولم يكن له نظير فى عصره سوى ثلاثة نفر[١٠] هم : عبد الله بن مسعود وأُبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة . فهؤلاء الأربعة قد تضافرت الروايات على أنهم كانوا يحفظون القرآن كله وأنهم كانوا يتلونه كما أنزل . وأن قراءتهم له قد كانت تخلب القلوب وتطرب النفوس وتهز الأفئدة لما أوتوه جميعا من الصوت الجميل والأداء الحسن والخشوع الذى لا حد له للإله الواحد الذى ملأ الخوف منه قلوبهم ، وملكت الهيبة له شعورهم فإحساسهم فلم يعملوا إلا له ، ولم يقصدوا إلا وجهه ؛ ولأن معاذ بن جبل قد كان نسيجاً ـ وحده ـ فى الحفظ والقراءة ؛ فإن المسلمين فى عصره قد كانوا يعتبرونه أمة وحده وكانوا يقولون فيه ما قاله الله فى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو أنه كان أمة[١١] قانتا لله ؛ وفضيلة أخرى كانت له ـ رضى الله عنه ـ وهى أن قومه كانوا ينتظرونه حتى يؤدى الصلاة مع رسول الله . ثم يتقدمهم فيصلى بهم[١٢] .

وفى الجهاد تحت لواء النبى ـ ﷺ ـ كان معاذ بن جبل البطل الكرار ، والشجاع المغوار ، والفارس الذى لا يشق له غبار . وقد اتفقت المصادر التى تحت يدى على أنه غزا مع النبى ـ صلوات الله عليه ـ بدراً وأُحُداً والخندق وغيرها من المواطن[١٣] وأنه لم يفارقه ـ صلوات الله عليه ـ فى غزوه ولا تخلف عنه فى مشهد .

(٥) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ ٣ ص ٣٥٥ ط/ دار الفكر ـ بيروت .
(٦) الطبقات الكبرى ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٣ ص ٥٨٣ .
(٧) البداية والنهاية ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٧ ـ ص ٩٤ ، ٩٥ .
(٨) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٥٨٤ ، الاستيعاب ـ جـ ٣ ص ٣٥٦ .
(٩) الإصابة ـ جـ ١ ص ٢١٠ .
(١٠) الاستيعاب ـ جـ ٢ ص ٣١٩ .
(١١) البداية والنهاية ـ جـ ٧ ص ٩٥ .
(١٢) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٥٨٦ .
(١٣) الإصابة ـ جـ ٣ ص ٤٢٧ .

من أجل هذا أحبه رسول الله ـ ﷺ ـ وآثره على الكثير من أقرانه وقال له : يامعاذ : والله إنى لأحبك[١٤] فلا تدعن أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ولما ركبته الديون[١٥] ولاحقه الغرماء كلٌ يطلب منه ماله عليه ـ تدخل النبى ـ ﷺ ـ بينه وبين دائنيه حتى ينظروه إلى ميسرة ، فقبل بعضهم ورفض البعض الآخر وراحوا يتعاقبونه حيثما كان ، فاضطر النبى ـ ﷺ ـ إلى بيع ماله لغرمائه . ولما لم يكف استعمله على اليمن وأباح له قبول الهدية[١٦] حتى يستطيع أداء ديونه . وقد رفع الله عنه الضيق وتمكن بعد عودته إلى المدينة من إرضاء غرمائه فى خلافة الصديق ـ رضى الله عنه .

وكما برَّز معاذ بن جبل فى ميدان حفظ القرآن وتلاوته وفى ميدان الجهاد تحت لواء النبى وراياته برز كذلك فى ميدان الفقه والاجتهاد حتى أن النبى ـ ﷺ ـ لما صنف أصحابه وأضاف كل واحد منهم إلى الجهة التى ظهر فيها نبوغه . قال : « وأعلمهم[١٧] بالحلال والحرام معاذ بن جبل » .

ولا جدال فيما يدل عليه هذا النص من الخبرة التى لا حد لها فى استنباط الأحكام ومعرفتها ، والقدرة على إجابة الناس فيما يعرض لهم من المشكلات وما يعن من القضايا والمسائل ، وقد يكون هذا هو السر فى تقليد النبى ـ ﷺ ـ معاذاً وظيفة القضاء فى اليمن[١٨] وأنت خبير بما تطلبه هذه الوظيفة من النبوغ فى الفقه والمعرفة الواسعة بالحلال والحرام . وقد عقد النبى ﷺ لمعاذ بن جبل اختباراً قبل شخوصه إلى اليمن . جاء فيه :

كيف تقضى بين الناس ؟[١٩]

قال معاذ : أقضى بينهم بكتاب الله تعالى .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبسنة رسوله ﷺ .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : أجتهد لهم ولا آلو .. فضرب على صدره ، وقال :

الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله .

وقد تقلد معاذ رضى الله عنه وظائف كثيرة فى عهد النبى ﷺ وفى عهد الصديق والفاروق . ولم تكن هذه الوظائف فى مجال واحد وإنما كانت فى مجالات شتى وميادين متعددة . فقد قلده رسول الله ﷺ وظيفة القضاء ـ كما سبق ـ فى اليمن . وقلده كذلك وظيفة التعليم[٢٠] وجمع الصدقات[٢١] من الجباة وجعله على الجند[٢٢] ومن أجل هذه المهام الكثيرة التى القاها على عاتقه ـ رضى الله عنه ـ فإنه لما استعد للخروج إلى اليمن دعا له قائلاً : «حفظك[٢٣] الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك ودرأ عنك شرور الإنس والجن» ، ولما وضع رجله فى الغرز أوصاه قائلاً[٢٤] : «أحسن خلقك مع الناس» وقد وضع معاذ هذه النصيحة وغيرها من النبى ـ ﷺ ـ موضع التطبيق والتنفيذ .

وقد روى من ذلك أنه ـ رضى الله عنه ـ قد كان

(١٤) البداية والنهاية جـ ٧ ص ٩٥ .
(١٥) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٥٨٤ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، الاستيعاب جـ ٣ ص ٣٥٩ .
(١٦) الإصابة ـ جـ ٣ ص ٤٢٧ .
(١٧) الاستيعاب ـ جـ ١ ص ٥٠ .
(١٨) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٥٨٤ .
(١٩) الاستيعاب ـ جـ ٣ ص ٣٥٧ .
(٢٠) الاستيعاب ـ جـ ٣ ص ٣٥٦ .
(٢١) الاستيعاب : جـ ٣ ص ٣٥٧ .
(٢٢) الاستيعاب ـ جـ ٣ ص ٣٥٦ .
(٢٣) الإصابة ـ جـ ٣ ص ٤٢٧ .
(٢٤) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٥٨٥ .

«معاذ بن جبل»

فى إحدى رجليه عرج[٢٥] فبسطها وهو يؤم الناس فى الصلاة . فبسطوا أرجلهم فلما انتهى قال لهم : لقد أحسنتم ولكن لا تعودوا فإننى ما بسطت رجلى إلا لأن فيها عرجا . وقد اتفق الرواة على أن معاذا قد كان فى خلقه لين . وفى طبعه سماحة وفى سلوكه لطف وفى تعامله مودة .

جاء فى أحد الكتب أن النبى - ﷺ - قد أنبأ معاذاً - وهو يودعه - أنه لن يراه فى هذه الدنيا مرة ثانية ، وقد تحقق ما أنبأه به فإنه لم يعد من اليمن إلا بعد أن كان - صلوات الله عليه - قد صعد إلى الرفيق الأعلى ، ولم يفتر نشاط الرجل بعد وفاة النبى - ﷺ - وإنما ظل كما كان فارس النهار وراهب الليل ، يغشى المعارك ويخوض الحروب ، ويتلو كتاب الله ، ويستنبط الأحكام منه ، ويتصدر حلقات العلم ومجالس المعرفة .

شهد حروب الشام[٢٦] وأبلى أحسن البلاء فى معركة اليرموك[٢٧] واستشهد فيها ابنه (عبدالرحمن) بين يديه ، ورآه بعض المسلمين وهو فى مسجد حمص[٢٨] يتصدر حلقة فيها ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ كان هو أقلهم عمرا وأصغرهم سنا ، وكان يُسأل فيجيب فى كل ما عرض له .

كان عمر - رضى الله عنه - يحبه ويجله ويعرف له شأنه وقدره ، رآه فى مكة فى خلافة أبى بكر فى موسم الحج فالتزمه وعانقه وعزاه فى وفاة النبى - ﷺ - ورأى معه بعض الغلمان[٢٩] فسأله عنهم فقال : هم لى . قال عمر : كيف . وقد عهدتك ولا مال لك ؟ قال : لقد أُهدوا إلىَّ . قال عمر : فشاور فيهم أبا بكر . قال : كيف . وقد أباح لى النبى - ﷺ - الهدية . والله لا أفعل . فلما عاد إلى بيته رأى فى منامه كأنه على شفير جهنم ، وأن عمر آخذ بحجزته . فلما أصبح ذهب إلى أبى بكر وقص عليه ما رأى . فقال : هم لك . فذهب إلى داره وكان قد حان وقت الصلاة فصلى بهم إماما ثم أعتقهم جميعا لوجه الله .

ولا جدال فيما تدل عليه هذه القصة وما يشبهها من إخلاص الرجل لله وشدة خوفه منه ، وأن العلاقة مهما كانت قوتها بين الصحابة فإنها لم تكن لتمنع بعضهم من نصيحة البعض .

استخلف أبو عبيدة بن الجراح معاذ بن جبل على عمله لما تبين له أنه قد دنا أجله وأعجزه المرض عن مباشرة وظيفته . وقد أقره[٣٠] عمر على ذلك وولى الشام معاذا لكنه - رضى الله عنه - قد توفى فى العام نفسه الذى تقلد فيه عمل أبى عبيدة . وكانت وفاته فى (قرية عمواس) أثناء الطاعون[٣١] الذى نزل فى بلاد الشام ، ومات فيه الكثير من الصحابة وأبنائهم .

يقول الرواة : لما[٣٢] أصيب أبو عبيدة بن الجراح فى طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع ، فقال الناس لمعاذ : ادع الله يرفع عنا هذا الرجز ، فقال : إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم - ﷺ - وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص بها الله من يشاء منكم ، أيها الناس ، أربع خلال من استطاع ألا يدركه شىء منهن فلا يدركه . قالوا : وماهى ؟ قال : يأتى

(٢٥) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٥ .
(٢٦) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .
(٢٧) البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٤ .
(٢٨) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٩ ، ٥٩٠ .
(٢٩) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٥ .
(٣٠) الاستيعاب - جـ ٣ ص ٣٦٠ .
(٣١) البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٥ .
(٣٢) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسى على آخر ، ويقول الرجل : والله ما أدرى على ما أنا ، لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة ، ويعطى الرجل المال من مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذى يسخط الله ، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة . فطعن ابناه فقال : كيف تجدانكما ؟ قالا : ياأبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين . قال : وأنا ستجدانى - إن شاء الله - من الصابرين . ثم طعنت امرأتاه فهلكتا وطعن هو فى إبهامه فجعل يمسها بفيه يقول : اللهم إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك فى الصغير ، حتى هلك» .

روى أحد الذين شهدوا موته : أنه كان يغمى عليه ويفيق فإذا سُرى عنه قال مناجيا ربه : اخنق خنقك[٣٣] فوعزتك إنى لأحبك .

جاء فى وصف أبى نعيم[٣٤] له فى (الحلية) : «كان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء . وكان جميلاً وسيما.

روى عنه من الصحابة : عمر ، وأبو قتادة ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وغيرهم . وكان يقول فيه الفاروق[٣٥] عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر .

اختلف الرواة فى زمان وفاته وفى سِّنه عندما أدركه الموت . وأرجح الأقوال فى نظرى هو أنه قد توفى[٣٦] فى خلافة عمر ، وفى العام الثامن عشر على سبيل التحديد وكانت سنه آنذاك ثمانى وثلاثين سنة . فرحم الله إمام الفقهاء وكنز العلماء ورائد الحفاظ والقراء ، وأثابه على ما قدمه لدينه وكتاب ربه ، ثواب الشاكرين الصابرين .

(٣٣) الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٨٩ .
(٣٤) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .
(٣٥) الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ .
(٣٦) الاستيعاب جـ ٣ ص ٣٦٠ ، الإصابة - جـ ٣ ص ٤٢٧ ، الطبقات الكبرى - جـ ٣ ص ٥٩٠ ، البداية والنهاية - جـ ٧ ص ٩٥ .

بســــــم الله الرحمن الرحيم

إلى القارىء العزيز

لا تشك إدارة المجلة فى إحاطتكم علماً بشان الارتفاع الشديد فى ثمن الورق ، فذلك امر ملموس لنا جميعاً ، مضافاً إليه بشان المجلة ما يتكلفه إعدادها من وسائل مختلفة للطباعة .

كذلك يعلم القارىء ما تقدمه المجلة من مادة بجانب هدية تصحبها بصورة دائمة مما يضيف إلى اعبائها المالية اعباء فوق اعباء . وذلك ماحدا بضرورة رفع ثمنها إلى « ٦٠ » ستين قرشاً - بهديتها ابتداء من شهر رجب ١٤١١ هـ .

ونامل أن يتاكد القارىء انه بذلك السعر يساهم فى تكاليف العدد بمقدار زهيد .

ومع خالص الشكر ، نرجو من الله التوفيق .

« مجلة الأزهـر »

كلمة وبيان في الحوادث الراهنة

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي المملكة العربية السعودية

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين ، سلك الله بي وبهم سبيل عباده المؤمنين وأعاذني وإياهم من أخلاق المغضوب عليهم والضالين .. آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد :

فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(1) .

وقال سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(2) .

وقال عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾(3) .

وقال عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾(4) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(5) .

وقال سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(6) .

وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(7) .

وقال عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ

(1) سورة الذاريات . [56] .
(2) سورة البقرة [21] .
(3) سورة النساء [1] .
(4) سورة لقمان [33] .
(5) سورة البينة [5] .
(6) سورة آل عمران [102 ، 103] .
(7) سورة الأحزاب [70 ، 71] .

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَايَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٩) .

وقال سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١٠) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١١) .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾(١٢) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(١٣) .

وقال سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللهَ مَاأَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ ﴾(١٤) . والآيات فى الأمر بالتقوى وطاعة الله ورسوله وبيان عاقبة المتقين كثيرة جداً .

وقد أوضح الله ـ سبحانه ـ فيما ذكرنا من الآيات أنه ـ عز وجل ـ خلق الثقلين لعبادته وأمرهم بها كما ذكر ـ سبحانه ـ أنه أمر جميع الناس بعبادته وتقواه ، وهكذا أمر المؤمنين بوجه خاص بتقواه والقيام بحقه ، كما أمرهم ـ سبحانه ـ بالاعتصام بحبله والتمسك بشرعه ، وأمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله ـ عز وجل ـ وأمرهم ـ عز وجل ـ أن يتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منهم خاصة ، بل تعم الجميع . وأوضح ـ سبحانه ـ أن من أسباب محبة الله للعباد ومن علامات الصدق فى محبة العبد ربه ومحبة الله له أن يتبع الرسول ﷺ ـ فيما جاء به ويتمسك بشرعه فى قوله وعمله وعقيدته . كما أوضح ـ سبحانه ـ أن من صفات المؤمنين وأخلاقهم العظيمة أنهم أولياء فيما بينهم وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

فالواجب على جميع المسلمين فى كل مكان أن يعبدوا الله وحده ، وأن يتقوه بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، وأن يتحابوا فى الله ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر . لأن فى ذلك سعادتهم ونجاتهم فى الدنيا والآخرة ؛ ولأن ذلك أيضاً من أسباب نصرهم على أعدائهم وحمايتهم من مكائدهم وشرهم .

كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١٥) .

وقال سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(١٦) .

والتقوى هي طاعة الله ورسوله ، والاستقامة على دينه ، وإخلاص العبادة لله وحده والتمسك بشريعة رسوله ﷺ ـ قولاً وعملاً وعقيدة . وهى : الإيمان والعمل الصالح ، وهى : الإسلام الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه كما قال ـ عز

---

(٨) سورة الحشر [١٨ ، ١٩ ، ٢٠] .
(٩) سورة آل عمران [٣١] .
(١٠) سورة الأنفال [٢٥] .
(١١) سورة التوبة [٧١] .
(١٢) سورة القمر [٥٤] .
(١٣) سورة القلم [٣٤] .
(١٤) سورة التحريم [٦] .
(١٥) سورة الحج [٤٠ ، ٤١] .
(١٦) سورة محمد [٧] .

كلمة وبيان فى الحوادث الراهنة

وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾(١٧) .

وقال عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٨) .

وقال عز وجل : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ﴾(١٩) .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ . . ﴾(٢٠) . الآية .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾(٢١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢٢) .

وقال سبحانه موصياً لعباده المؤمنين بالصبر والتقوى والحذر من أعداء الله : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٢٣) ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

ولايخفى ماوقع فى هذه الأيام من عدوان دولة العراق على دولة الكويت واجتياحها بالجيوش والأسلحة المدمرة . وماترتب على ذلك من سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الأعراض وتشريد أهل البلاد وحشد الجيوش على الحدود السعودية الكويتية .

ولاشك أن هذا من دولة العراق عدوان عظيم وجريمة شنيعة يجب على الدول العربية والإسلامية إنكارها . وقد أنكرها العالم واستبشعها لمخالفتها الشرع المطهر والمواثيق المؤكدة بين الدول العربية والدول الإسلامية وغيرها إلا من شذ عن ذلك ممن لا يلتفت إلى خلافه .

ولاشك أن ماحصل بأسباب الذنوب والمعاصى وظهور المنكرات وقلة الوازع الإيمانى والسلطاني .

فالواجب على جميع المسلمين أن ينكروا هذا المنكر ، وأن يناصروا الدولة المظلومة ، وأن يتوبوا إلى الله من ذنوبهم وسيئاتهم ، وأن يحاسبوا أنفسهم فى ذلك ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى أينما كانوا ، ويتناصحوا ويتواصوا بالحق والصبر عليه فى جهاد أنفسهم وفى جهاد عدوهم ومن اعتدى عليهم . وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً وان يكونوا صفاً واحداً وجسداً واحداً وبناء واحداً . ضد العدو وضد الظالم سواء كان مسلماً أو غير مسلم . كما قال عز وجل : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٢٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(٢٥) .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٢٦) .

(١٧) سورة لقمان [٨] .
(١٨) سورة النحل [٩٧] .
(١٩) سورة النور [٥٥] .
(٢٠) سورة آل عمران [١٩] .
(٢١) سورة المائدة [٣] .
(٢٢) سورة آل عمران [٨٥] .
(٢٣) سورة آل عمران [١٢٠] .
(٢٤) سورة المائدة [٢] .
(٢٥) سورة آل عمران [١٠٣] .
(٢٦) سورة العصر .

وقال النبي ﷺ : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) . رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة .

وقال ﷺ (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه**) . رواه البخاري ـ كتاب الأدب .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والواجب على رئيس دولة العراق أن يتقى الله ويتوب إليه وأن يبادر بسحب جيشه من دولة الكويت ثم يحل المشكلة التى بينه وبين دولة الكويت بالحلول السلمية والصلح العادل والتفاهم المنصف . فإن لم يتيسر ذلك فالواجب تحكيم الشرع المطهر بتكوين محكمة شرعية مكونة من جماعة من العلماء المعروفين بالعلم والفضل والعدالة للحكم بينهم كما قال الله ـ عز وجل :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٢٧) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ . . ﴾(٢٨) ، الآية ..

وقال عز وجل : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢٩) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٣٠) .

أقسم ـ سبحانه ـ في هذه الآية الكريمة أن الناس لايؤمنون حتى يحكموا نبيه محمداً ﷺ فيما شجر بينهم .

ونسأل الله لجميع قادة المسلمين من العرب وغيرهم التوفيق والهداية لما فيه سعادة الجميع وصلاح قلوبهم وأعمالهم واستتباب الأمن بينهم كما أسأله أن يعيذ الجميع من طاعة الهوى والشيطان إنه سميع قريب .

وأما ما اضطرت إليه الحكومة السعودية من الأخذ بالأسباب الواقية من الشر والاستعانة بقوات متعددة الأجناس من المسلمين وغيرهم للدفاع عن البلاد وحرمات المسلمين وصد ما قد يقع من العدوان من رئيس دولة العراق فهو إجراء مُسَدَّد وموفق وجائز شرعاً . وقد صدر من مجلس هيئة كبار العلماء ـ وأنا واحد منهم ـ بيان بتأييد ماتخذته الحكومة السعودية في ذلك ، وأنها قد أصابت فيما فعلت عملاً بقوله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾(٣١) ، وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٣٢) .

ولاشك أن الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن المسلمين وعن بلادهم وحمايتها من كيد الأعداء أمر جائز شرعاً ، بل واجب متحتم عند الضرورة إليه . لما في ذلك من إعانة المسلمين وحمايتهم من كيد أعدائهم وصد العدوان المتوقع عنهم . وقد استعان النبي ﷺ ، بدروع استعارها من صفوان بن أمية يوم « حنين » ، وكان كافراً لم يسلم ذلك الوقت . وكانت خزاعة مسلمها وكافرها في جيش النبي ﷺ ، في غزوة « الفتح » ضد كفار أهل مكة . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (**إنكم تصالحون الروم صلحاً آمناً وتغزون أنتم وهم عدُوًّا من ورائكم فتنصرون وتغنمون**) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح .

ونصيحتى لأهل الكويت وغيرهم من المسلمين في كل مكان ولرئيس دولة العراق وجيشه أن

(٢٧) سورة النساء [٥٩] .
(٢٨) سورة الشورى [١٠] .
(٢٩) سورة المائدة [٥٠] .
(٣٠) سورة النساء [٦٥] .
(٣١) سورة النساء [٧١] .
(٣٢) سورة الأنفال [٦٠] .

كلمة وبيان فى الحوادث الراهنة

يجدّدوا توبة نصوحاً ، وأن يندموا على ماسلف من الذنوب ، وأن يقلعوا عنها ، وأن يعزموا عزماً صادقاً على عدم العود فيها ؛ لأن الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة قد دلت على أن كل شر فى الدنيا وكل بلاء وفتنة فأسبابه المعاصى وما كسبته أيدي العباد من المخالفة لشرع الله . كما قال الله ـ سبحانه : ﴿ وَمَآأَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(٣٣) .

وقال عز وجل : ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(٣٤) .

وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٣٥) .

ولما وقعت الهزيمة يوم « أحـد » على المسلمين وأصابهم ما أصابهم من القتل والجراح بأسباب إخلال الرماة بموقفهم وتنـازعهم وفشلهم وعصيانهم أمْر الرسول ﷺ لهم بلزوم الموقف وإن رأوا المسلمين قد انتصروا ، واستنكر المسلمون ذلك وعظم عليهم الأمر ، أنزل الله قوله

تعالى : ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾(٣٦) ، يعنى يوم « بدر » ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣٧) .

وقد أخبر ـ سبحانه ـ فى كتابه العظيم أن التوبة سبب للفلاح وتكفير السيئات والفوز بالجنة والكرامة . فقال عز وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣٨) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾(٣٩) .

وقال عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، الآية(٤٠) .

ومن أعظم مظاهر التوبة وأوجبها الإخلاص لله وحده في جميع الأعمال ، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله وصغيره وكبيره ، والعناية بالصلوات الخمس وإقامتها فى أوقاتها من الرجال والنساء ، والمحافظة عليها من الرجال فى المساجد التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، والعناية بالزكاة والصيام وحج البيت والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق والصبر عليه .

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يصلح أحوال المسلمين فى كل مكان ، ويصلح قلوبهم وأعمالهم ويمنحهم الفقه فى الدين ، وأن يصلح قادتهم جميعاً ، ويوفقهم لتحكيم شريعته ، والتحاكم إليها ، والرضا بها ، وترك ما يخالفها ، وأن يصلح لهم البطانة ، ويعينهم على كل خير ، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم .

إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .. وصلى الله وسلم على نبينا وإمامنا وسيدنا إمام المتقين وقدوة المجاهدين وخير عباد الله أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٣٣) سورة الشورى [٣٠] .
(٣٤) سورة النساء [٧٩] .
(٣٥) سورة الروم [٤١] .
(٣٦) سورة آل عمران [١٦٥] .
(٣٧) سورة آل عمران [١٦٥] .
(٣٨) سورة النور [٣١] .
(٣٩) سورة طه [٨٢] .
(٤٠) سورة التحريم [٨] .

للأستاذ الدكتور
عبد الحميد الغزالى

قضية القضايا الاقتصادية

سعر الفائدة أم معدل الربح ؟

كآلية لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر

يدور الآن ، ومنذ سنوات قليلة ـ خاصة بعد ظهور المؤسسات النقدية والمالية والاقتصادية « الإسلامية » حوار حول (الفائدة المصرفية) من حيث كونها : ربحاً حلالاً أم ربا محرماً .

ومن حيث جدواها كآلية لإدارة رشيدة للنشاط الاقتصادى المعاصر .

ولمناقشة موضوعية هادئة لهذه القضية الهامة ، يتعين أن نحدد ببساطة ووضوح العناصر الرئيسية لهذه المناقشة . وهى :

مفهوم الربا :

وطبيعة العمل المصرفى الحديث .

وجدوى آلية سعر الفائدة .

ثم أخيراً مدى فعالية معدل الربح .

وسوف أتناول كل عنصر من هذه العناصر ، على الترتيب .

مفهوم الربا :

الربا ـ اصطلاحياً ـ هو « **الزيادة بغير عوض فى عقود المعاوضات** » والربا فى القرآن أو « الجاهلى » أو « الجلى » هو : ربا الدين أو القرض . وهو : « **الزيادة مقابل الأجل** » ، سواء كانت هذه الزيادة مشروطة ابتداء ؛ أو محددة عند الاستحقاق للتأجيل فى السداد .

والربا بهذا المفهوم محرم فى كافة الأديان السماوية ؛ لأنه يمثل أبشع صور أكل أموال الناس بالباطل ، ولذلك كان كبرى الكبائر فى

قضيــة القضـــــايا الاقتصــادية

الإسلام . فكل زيادة مهما قلت زادت عن أصل الدين فإنها تعد كسبا خبيثا . وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾(1) .

والربا بهذا المفهوم محرم ، بغض النظر عن طبيعة القرض (استهلاكيا كان أم إنتاجياً) ، أو طبيعة طرفي عقد القرض : (أفرادا كانوا ، أم أفراداً وشركات ، أو دولا ، أو مؤسسات دولية) وبغض النظر عن حال أي أحد ، أو كل طرف من طرفي العقد « يُسْراً كانت أم عُسْراً » .

وأخيراً بغض النظر عن تغير قيمة النقود (انخفاضا كان هذا التغير أم ارتفاعا) .

والربا بهذا المفهوم هو بحق « إيدز » المعاملات الاقتصادية المعاصرة ؛ فهو يفقد الحياة الاقتصادية مناعتها ، ويسلبها قدرتها على محاربة الأمراض الاقتصادية . ومن ثم :

يسود الإحساس بالاستغلال .

وتنخفض الإنتاجية .

وتنخفض كفاءة استخدام الموارد .

وتهدر الإمكانات الاقتصادية .

وتستفحل في النهاية الاختلالات والمشكلات الاقتصادية .

طبيعة العمل المصرفي

وهنا نتساءل :

ما طبيعة عمل المصارف الحديثة ؟

والإجابة المباشرة هي : أن عمل المصارف الحديثة ـ تجارية كانت أم متخصصة ـ هو التعامل في الائتمان أو الديون أو القروض .

والائتمان والدين هما جانبا القرض . فالائتمان هو جانب الدائن (المُقرض) بالنسبة للقرض . والدَّيْن هو جانب المدين « المقترض » بالنسبة للقرض .

وعلى ذلك ، يحكم علاقة البنك بالمتعاملين معه « **عقد القرض** » فتعامل البنك مع عملائه يظهر في تفاصيل مركزه المالي ، الذي يتمثل في ميزانية البنك .

وتنقسم الميزانية إلى جانبين أو شقين : الموارد أو « الخصـــوم » ، والاستخـــدامـــات أو « الأصول » .

فبالنسبة للموارد : يحكمها أساساً عقد « القرض » . ويأتي الجزء الهام منها من المودعين . وهنا ، يكون المودعون مقرضين ، والبنك مقترضاً نظير فائدة يدفعها البنك « فائدة مدينة من وجهة نظره » باستثناء الودائع الجارية التي لا يدفع لأصحابها فائدة عادة . وبالنسبة لكل الودائع ، تعتبر يد البنك عليها « يد ضمان » ، أي يضمن البنك أصل الوديعة ، ويقدم فائدة على الودائع غير الجارية .

وفيما يتعلق بالاستخدامات يقوم البنك بإقراض الأموال التي تجمعت لديه للتجار والمستثمرين وغيرهم . ويدهم كمقترضين هي ـ بدورها ـ « يد ضمان » ، أي يضمنون أصل قروضهم ، ويدفعون فوائد للبنك (دائنة من وجهة نظره) والفرق بين مجموع الفوائد التي يدفعها البنك للمودعين ، ومجموع الفوائد التي يحصل عليها من مستخدمي موارده المالية يمثل **العائد الصافي للبنك**

وعليه ، ففي كل جانب من جانبي ميزانية البنك :

(أ) ديون ثابتة في الذمة ، واجبة الرد بعد أجل معين .

(ب) وزيادة مشروطة ـ ابتداء أو عند

---

(١) البقرة ٢٧٩ .

الاستحقاق للتأجيل - على الدين مقابل الأجل .

ومن ثم ، فـ (عائد استخدام الدين) - إذا تحقق - يحل للمدين ؛ لأنه الضامن ، ولا يحل للدائن ، على أساس المبدأ الإسلامى الذى ينص بأن « الخراج بالضمان » ، أى أن العائد لا يحل إلا نتيجة تحمل المخاطرة . والمقرض ، عكس المشارك ، لا يتحمل مخاطرة .

ومن هنا ، ليس فى الإسلام - تأكيداً لتكافل اجتماعى حقيقى - سوى القرض الحسن . وأى قرض جر نفعاً فهو ربا . وإذا كان على رب المال مسئولية تنمية ماله وتثميره ، فعليه أن يقوم بهذه التبعة من خلال الاستثمار الإسلامى الحقيقى ، بالاشتراك بماله فعلاً فى (النشاط الإنتاجى) ، وتحمل نتيجة هذا الاشتراك ربحا كانت أم خسارة ؛ لأن المال لا يلد فى حد ذاته مالاً ، وإنما يزداد أو يربو حلالاً من خلال التوظيف الفعلى فى النشاط الاقتصادى ، وفقا لصيغ الاستثمار الإسلامى المختلفة القائمة على عقود المشاركة ، إذن ، المال ينمو من خلال نظام المشاركة ، وليس من خلال نظام المداينة بفائدة . وهذا هو جوهر عمل المصارف الإسلامية .

جدوى آلية سعر الفائدة

يرى بعض الاقتصاديين أن (**سعر الفائدة**) **هو السعر الاستراتيجى فى النظام الاقتصادى المعاصر . فهو :**

الجهاز العصبى للنظام المصرفى الحديث .

وهو الأداة الأساسية لإدارة النظام النقدى .

وهو العامل المؤثر فى المدخرات .

وهو المعيار الذى يضمن انتقاء أكفأ المشروعات .

وهو الذى سيخلص الدول النامية من مزيد من المديونية الخارجية ، وبالتالى من التبعية .

وهو الذى سيضمن فى النهاية أكفأ استخدام للموارد عن طريق أمثل توزيع لها .

وبالتالى ، تتحقق عمارة الأرض . وتتم مقومات القوة الاقتصادية ، ويتقدم المجتمع .

وبهذا التحديد والحسم ، تعد هذه الأداة « قدراً » محتوماً ، و« قضاء » غير قابل للرد ، كَتَبَهُ بعض الاقتصاديين على النظام الاقتصادى المعاصر .

وإذا ما حاول أىُّ نظام قائم الفَكَاكَ من هذا القدر المكتوب ، فسيقع بالتأكيد ظلم فادح على أصحاب الأموال ، وبالذات الدائنين . وسينهار النظام المصرفى ، ويشل النظام النقدى ، وتتلاشى المدخرات فى اكتناز « تحت البلاطة » أو تسرب إلى الخارج . مما يعرض الاقتصاد المتمرد على هذا « القَدَر » إلى الاضطرار إلى مزيد من المديونية الخارجية لتمويل العملية الاستثمارية ، على أساس سعر الفائدة . فلا مَفَرَّ من هذا « القدر » إلا إليه .

كما أن هذه المحاولة الفاشلة حتماً - فى نظرهم - سوف تؤدى إلى هدر اقتصادى . وذلك لأن « إلغاء الفائدة » يعنى أن رأس المال يصبح فى حكم المال المباح كالهواء ، ويعنى أيضاً فوضى فى اختيار المشروعات ، حيث لا تتجه الأموال بالضرورة إلى أعلى المشروعات إنتاجية وإنما أعلاها سلطة ونفوذاً . وفى النهاية ، سوف تعم الفوضى الاقتصادية ، ويزداد الفقر كفراً ، وتتعمق التبعية .

أى أن وجود النظام الاقتصادى المعاصر ، بنسقه ومؤسساته الحديثة ، مرهون بوجود سعر الفائدة . وغياب هذا السعر معناه - عند هذا البعض بوضوح - الدمار والفناء .

ومن منطلق أن كل نظام له ثوابته ومتغيراته ، وعلى أساس أن « النقود والبنوك » من متغيرات أى نظام ، لا يستطيع أحد أن يحرم على النظام الإسلامى الأخذ بمستحدثات العصر تبعا لمستجداته بدعوى أن المجتمع الإسلامى الأول لم يكن يعرف هذه النُّسُق . والمؤسسات . كما

قضيـة القضــــايا الاقتصـادية

لا يستطيع أحد ، بالقوة نفسها ، أن يضع شرطاً مسبقاً كثمن أو مبرر للأخذ بهذه المستحدثات ، مؤداه أن يتخلى المجتمع الإسلامى عن ثابت من ثوابت نظامه الاقتصادى بدعوى أن هذه النُّسُق والمؤسسات الحديثة لا يمكن أن تعمل بكفاءة ، أو حتى أصلاً ، إلا من خلال أداة سعر الفائدة .

وعليه :

لا أعتقد أن المدخل لهذه القضية هو : أن على المجتمع الإسلامى المعاصر ـ الذى لم يعرف أسلافه هذه المستحدثات ، وهو مضطر لها لكى يلحق بروح وركب العصر ـ أن يأخذها « كحزمة واحدة » بكل ما فيها ، حتى ولو كان فى ذلك إسقاط واضح لثابت من ثوابت نظامه ، وإنما أزعم أن المدخل المنطقى والعادل يتمثل فى التساؤل .

أولا : عن (ضرورة وفعالية سعر الفائدة فى الأنظمة الاقتصادية المعاصرة) ومنها النامية .

وثانياً : عن إمكانية أخذ النظام الإسلامى بهذه المستحدثات دون حاجة إلى سعر الفائدة . وهذا المدخل هو ما سأعتمده فى عرضى التالى .

بالقطع ، ليس هذا مكاناً مناسباً لسرد ما هو معروف من خلافات جذرية واختلافات عميقة بين الاقتصاديين حول تعريف وتحديد ونظريات سعر الفائدة . ناهيك عن دورها وآثارها فى النشاط الاقتصادى !!

ولا يجوز أن نقول ـ كما قال بعضهم : بعدم وجود هذا « الفيل الأبيض » إلا فى مخيلة الحالمين . أو نؤكد ، كما فعل البعض الآخر ، بعدم وجود الفائدة كعنصر تكلفة فى « الاقتصاد المسير » . ثم (نُمَنْطِقُ) ـ دون تبرير ـ القول بأن الفائدة بمثابة قطة سوداء فى حجرة حالكة الظلام ، أعيت الباحثين عنها بلا جدوى : لأنها ببساطة غير موجودة أصلاً فى هذه الحجرة .

كما لا يجوز أيضا أن نقول ـ كما قال البعض : إن سعر الفائدة ، كثمن أو إيجار لاستخدام النقود ـ التى لا تعد اتفاقا عنصرا من عناصر الإنتاج ـ يتحدد إدارياً من قبل السلطات النقدية ، هو « أصل » الأشياء ؛ لدرجة اعتبار « كل » عائد من عوائد عناصر الإنتاج صورة أو أخرى من الفائدة . كما لا يجوز أن نشدد ، كما فعل البعض الآخر ، على أن « كل » أجزاء الدخل يمكن اعتبارها « فوائد » على قيم الملكية ، وعلى القيمة الرأسمالية للإنسان .

ولكننا ، أمام هذين النقيضين المتطرفين من العدم والوجود ، ووسط ركام أو غابة التناقضات الخاصة بدوافع وأسباب وجود « سعر الفائدة » نسلم بوجود هذا « السعر » على أرض الواقع « المريض » ـ قوياً فى الاقتصاديات الرأسمالية ، وعلى استحياء (ايديولوجى) فى الاقتصاديات الاشتراكية ، وبضعف شديد فى الاقتصاديات النامية .

وكانت نتيجة هذا الوجود ، ولأسباب أخرى ، انتشار مرض « الانكماش التضخمى » STAGFLATION فى كل هذه الاقتصاديات ، بدرجات مختلفة ، وبصور ظاهرة أو مستترة ، كدليل واضح على سوء تخصيص واستخدام الموارد ، وكمؤشر لا يُخطىء على « عدم الاستقرار » النقدى والمالى والاقتصادى . مما أدى بصفة عامة ـ بالتالى ـ إلى حالة من الشلل المتزايد فى نشاط الوحدات الإنتاجية ، وظلم فادح بأغلبية المتعاملين ، وتهديد حقيقى لعملية « التراكم الرأسمالى » ، وتعويق مشاهد لحركة النمو وعملية التنمية .

وبعيداً عن مثالية « باريتو » PARITO OPTIMALITY ونموذج « المنافسة الكاملة » القائم على حالة « التيقن التام » ، يرى جمهور

من الاقتصاديين أن « سعر الفائدة » لا يعتبر - على المستوى العملى - أداة فعالة لتخصيص الموارد بصفة عامة ، والأموال القابلة للإقراض لغرض الاستثمار على وجه الخصوص . بل العكس تماما هو الصحيح .

الفائدة أداة رديئة ومضللة

لقد توصل - كمثال على ذلك - « انزلر » J. ENZLER ، « كونراد » W.CONRAD ، و« جونسون » L.JOHNSON ، على أساس دراسات ميدانية ، إلى حقيقة أن رأس المال فى الاقتصاديات المعاصرة قد أسىء تخصيصه إلى حد خطير بين قطاعات الاقتصاد وانواع الاستثمارات - أساساً بسبب « سعر الفائدة » . فالفائدة أداة رديئة ومضللة فى تخصيص الموارد ، تتحيز بصفة رئيسية للمشروعات الكبيرة على أساس « افتراض » غير مدروس بجدارتها الائتمانية . ومن ثم ، تعزز هذه الأداة الاتجاهات الاحتكارية .

فالمشروعات الكبيرة ، بحجة «مُلَاءَتِها » ، تحصل فى الواقع على قروض أكبر ، بسعر فائدة أقل ، بينما العكس تماماً يحدث بالنسبة للمشروعات المتوسطة والصغيرة ، التى يمكن أن تكون ذات إنتاجية أعلى ، وكفاءة أكبر ، ومُلاءةً أفضل . فتحصل هذه المشروعات على قروض أقل بكثير من احتياجاتها ، وبأسعار فائدة أعلى بكثير من طاقتها . وعلى هذا الأساس - وبدون دراسات جادة تذكر فى ظل نظام الفائدة الثابت والمضمون - لا تنفذ الاستثمارات الأعلى جدوى والأكثر إدراراً للعائد (المتوقع) ، بسبب عدم القدرة على التمويل ، الذى يذهب إلى مشروعات أقل إنتاجية ، بل وأقل حاجة - نسبياً - إلى التمويل الخارجى . ولكنها أقواها سلطة وأكثرها نفوذاً .

بل أكثر من ذلك ، أكدت الاستقصاءات ، التى أجراها « ميد » J.E MEADE و « اندروز » P.W. ANDREWS ، أن رجال الأعمال يعتقدون أن (سعر الفائدة) ليس عاملا يذكر فى تحديد مستوى الاستثمار .

أى أن المطلب على الاستثمار يعد « غير مرن » بالنسبة لسعر الفائدة لسببين :

الأول : كون سعر الفائدة يمثل نسبة ضئيلة من نفقة إحلال الاستثمار الجديد ، خاصة فى حالة التقادم السريع .

والثانى : اعتماد كثير من المشروعات على التمويل الذاتى ، مما يجعل أثره كنفقة ضمنية على المال المستثمر محدوداً .

وبالنسبة لعرض الأموال القابلة للاستثمار ، أى الادخار ، يرى جمهور من الاقتصاديين ، مع كينز ، أنه « غير مرن » عادةً لسعر الفائدة ، وتشير الدلائل الإحصائية إلى عدم وجود ترابط إيجابى كبير بين الفائدة والادخار . ويؤكد « سامولسن » P.SAMUELSON ذلك بقوله : إن بعض الناس يقل ادخارهم بدل أن يزيد ، حينما تزيد أسعار الفائدة ، وأن كثيرا من الناس يدخرون المبلغ نفسه تقريباً بغض النظر عن مستوى سعر الفائدة ، وأن بعض الناس يميلون إلى خفض استهلاكهم إذا وُعدوا بأسعار أعلى . ثم يستطرد قائلاً : « إن المبادىء الاقتصادية وحدها لا يمكن أن تعطينا تنبؤاً حاسماً . فكل الدلائل توحى بأن مستوى الفائدة يميل فى قرارىْ الاستهلاك والادخار إلى إبطال تأثير كل منهما على الآخر » .

وحتى لو افترضنا ترابطاً إيجابياً كبيراً بين الفائدة والادخار ، أى وجود تفضيل زمنى إيجابى قوى لدى جمهور المستهلكين ، كما يعتقد الكثير من الاقتصاديين ، فإن إصرار أصحاب الأموال ، المدخرين ، على الفائدة الثابتة المضمونة بعد - خاصة فى الاقتصاديات التى يتحدد فيها سعر الفائدة تحكمياً وعشوائياً

قضية القضــــايا الاقتصادية

وتتعرض لموجات تضخمية متصاعدة ـ أمراً غير منطقى وغير مفهوم ، لأن هذا يعنى ببساطة : إصراراً غريباً من مدخرين غاية فى الغرابة على استمرار انخفاض ـ إن لم يكن انهيار ـ مستوى معيشتهم نتيجة الأثر التآكلى المتزايد للتضخم على أموالهم . فالسعر « الحقيقى » للفائدة (أى السعر الاسمى ناقصاً معدل التضخم) يصبح ـ إن عاجلا أو آجلا ـ سالبا وبمعدلات متزايدة خلال الزمن . أى أن الأموال الحقيقية لهؤلاء المدخرين تتناقص باستمرار من عام لآخر .

وليس الوضع أفضل حالاً إذا ما تغيرت أسعار الفائدة . إذ يقع الظلم نتيجة توزيع العائد بين المدخـرين (المقرضــين) والمستثمرين (المقترضين) ، والذى يتم من خلال الوساطة المالية للبنوك ، بسبب تغير أسعار الفائدة ، سواء بالارتفاع أو بالانخفاض . ومن ثم ، يؤدى ذلك ، فى النهاية ، إلى تباطؤ التكوين الرأسمالى :

ففى دراسة قام بها « ليبلنج » H.LEIBL-ING للتجربة الأمريكية ، وجد أن ارتفاع أسعار الفائدة كان مانعاً كبيراً من الاستثمار . ففى فترة الدراسة (١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ م) ، بلغت مدفوعات الفوائد (ثلث) العائد الإجمالى على رأس المال ، مما أدى إلى تآكل فى « ربحية الشركات » ـ وترتب على ذلك هبوط نسبة رأس المال المخاطر فى التمويل الكلى (أى مجموع : الأسهم والقـروض) ، وانخفاض التكـوين الرأسمالى . وأدى هذا الانخفاض إلى دخول الاقتصاد الأمريكى فى « دورة » نزولية من انخفاض فى الإنتاجية ، أدى إلى انخفاض فى القدرة على تعويض التكلفة المرتفعة لرأس المال المقترض ، مما ترتب عليه انخفاض جديد فى الربحية ، وانخفاض متزايد فى معدل التكوين الرأسمالى .

والعكس تماماً صحيح ، من حيث الأثر لأسعار الفائدة المنخفضة على عملية التكوين الرأسمالى . هنا ، يقع الظلم أساساً على المدخرين الذين يوظفون أموالهم فى الإقراض . كما تشجع هذه الأسعار على الاقتراض للاستهلاك ، وعلى تدنى نوعية الاستثمارات ، مما يعمل بالتالى على تخفيض معدلات الادخار الإجمالية . ويؤدى ، فى النهاية ، كما أكد أحد تقارير « الجات » G.A.T.T ، إلى سوء استخدام رأس المال ، وإلى هبوط مستمر فى معدل التكوين الرأسمالى .

وكإجراء مصحح للاختلالات الهيكلية (تضخماً كانت أو انكماشاً) ، يتفق معظم الاقتصاديين على ان درجة فعالية سعر الفائدة « محدودة » ، خاصة فى حالة الانكماش . فالسياسة النقدية والائتمانيـة ، باتفـاق الاقتصاديين ، هى جوهر عمل البنك المركزى . وتعنى ببساطة (عملية التحكم) فى العرض الكلى للنقود ، أى كتلة او كمية النقود فى المجتمع ، وذلك للتحكم فى الائتمان بما يتفق واحتياجات مستوى النشاط الاقتصادى « المرغوب فيه » .

ويتم ذلك من خلال تسهيل وتشجيع الحصول على القروض ، خاصة قصيرة الأجل ، فى حالة الانكماش ، وتقييد وعدم تشجيع منح هذه القروض فى حالة التضخم ، من خلال تغيير سعر الفائدة . ويتم هذا التغيير بطريق مباشر ، أى « سعر البنك » ، وهو سعر الفائدة الذى يقرض البنك المركزى على أساسه مجتمع البنوك ، أو بطريق غير مباشر ، من خلال أدوات ـ كمية ونوعية ومعنوية ـ أخرى معروفة .

و« محدودية » فعالية هذه السياسة عملياً فى

التأثير على حجم ونوع الائتمان ، وبالتالى مستوى النشاط الاقتصادى ، ترجع - فى حالة التضخم - إلى أن العائد من الائتمان ، فى صورة استثمارات مربحة ، أكبر نسبياً من سعر الفائدة . ومن ثم ، يعد سعر الفائدة غير كاف ، كعنصر تكلفة ، للحد من التوسع فى الائتمان .

أما فى حالة الانكماش ، فهذه المحدودية أكثر وضوحا . ويرجع ذلك إلى أن كافة المتعاملين من « بنوك » ومشروعات وأفراد لا يتوافر لديهم الحافز على الاقتراض ، وهو إمكانية تحقيق ربح فوق تكلفة الائتمان ، فى هذه الظروف .

ومن ثم ، لا يكفى أن يقدم البنك المركزى الائتمان بشروط مشجعة ، أو حتى « مجاناً » فى حالة كساد حاد ، لكى يقبل المتعاملون على استخدامه فعلاً . وكما يقول المثل الإنجليزى : يمكن أن تحضر الحصان إلى الماء ، أو تحضر الماء إلى الحصان ، ولكن لا يمكن أن تجبره على أن يشرب .

ويختلف الوضع كثيراً ، فى الواقع ، بالنسبة للدول النامية . إذ بالرغم من وجود نظم نقدية ومصرفية فى هذه الدول ، نجد أن كثيراً من الشروط الأساسية للفعالية المحدودة أصلاً للسياسة النقدية والائتمانية إما غائبة تماماً ، أو متوافرة بصورة بدائية .

ومن ثم ، تعد « محدودية » فعالية هذه السياسة أشد حدة ووضوحاً فى هذه الدول ، فالمشكلة هنا، باتفاق الاقتصاديين ، ليست بالقطع مشكلة نقدية ، وإنما مشكلة هيكلية . فما تحتاج إليه هذه الدول ليس زيادة فى الإنفاق النقدى لكى تخرج من ركودها المزمن ، وإنما إحداث تغيير هيكلى فى العملية الإنتاجية عن طريق التنمية . فالقضية هنا ليست قضية « طلب » بقدر ما هى أساساً مسألة « عرض » ، بمعنى العمل على رفع درجة استغلال الموارد الإنتاجية المتاحة . وفى هذا الإطار ، يمكن للسياسات النقدية والمالية والتجارية الرشيدة ، كما سنشير فيما بعد ، وليس عن طريق سعر الفائدة ، أن تؤدى دوراً مفيداً فى هذه العملية .

سعر الفائدة من عوامل عدم الاستقرار

إذاً ، فمن حيث آثاره السلبية على عملية التكوين الرأسمالى ، وعدم فعاليته فى معالجة الاختلالات التضخمية والانكماشية ، يعد سعر الفائدة ، فى رأى عدد ليس بالقليل من الاقتصاديين ، من أهم عوامل « عدم الاستقرار » فى الاقتصاديات المعاصرة ، فلقد تساءل « فريدمان » M. FRIEDMAN ، فى بداية الثمانينيات ، عن : أسباب السلوك الطائش الذى لم يسبق له مثيل للاقتصاد الأمريكى . ورد على تساؤله بقوله :

« **إن الإجابة التى تخطر على البال هى السلوك الطائش المساوى له فى أسعار الفائدة** » . فالتقلبات فى سعر الفائدة تؤثر مباشرة فى سوق الاستثمار ، فيسوده قدر كبير من الشكوك . مما يجعل من الصعب اتخاذ قرارات استثمارية طويلة الأجل بثقة ، أو التخطيط الجيد لمستقبل الأعمال .

ويرجع « سيمونز » H. SIMONS السبب الأساسى للكساد العالمى العظيم فى الثلاثينيات إلى : « تغيرات الثقة التجارية الناشئة عن نظام ائتمانى غير مستقر » . وأكد على اعتقاده بأن خطر الاضطراب الاقتصادى يمكن تفاديه إلى حد كبير إذا لم يتم اللجوء إلى الاقتراض ، ولاسيما الاقتراض قصير الأجل ، وإذا ما تمت الاستثمارات كلها فى شكل تمويل ذاتى وبالمشاركة (أى من خلال حقوق الملكية : الحصص أو الأسهم) .

وحول المعنى نفسه ، شدد « مينسكى » H. MINSKY على حقيقة أن قيام كل مشروع

قضيــة القضـــايا الاقتصــادية

بالتمويل الذاتى لرأسماله العامل ، والتخطيط الرشيد لاستثمار أرباحه غير الموزعة ، يفرز نظاما مالياً قوياً . ولكن لجوء المنتجين إلى التمويل الخارجي عن طريق الاقتراض يعرض النظام لعدم الاستقرار .

ولقد تجسدت هذه الحقائق في السبعينيات . فعندما ارتفعت أسعار الفائدة خلال هذه الفترة ، انخفضت نسبة الاستثمار الثابت المحلى الإجمالى من الناتج المحلى الإجمالى للدول الغربية ، كما انخفض بصفة عامة معدل النمو الدولى . وعليه ، كان الأداء الاستثمارى الضعيف ، لتآكل ربحية المشروعات بسبب ارتفاع أسعار الفائدة هو العامل الرئيسى للنمو البطىء المشاهد خلال الفترة .

وهذا يؤكد ، فى رأى الكثير من الاقتصاديين ، أن « الربح » وليس « الفائدة » هو المحرك الأساسى لديناميكية الإنتاج والنمو فى الاقتصاديات الرأسمالية ، بل وفى « غيرها » من الاقتصاديات ـ وإن اختلفت المفاهيم والتعريفات والنظريات .

ولقد أيدت الدراسات التطبيقية التى قام بها الجهاز المصرفى الأمريكى ، هذا الرأى . إذ ثبت من هذه الدراسات وجود ارتباط إيجابى قوى بين مستوى الاستثمار ومستوى الأرباح . ويرجع ذلك إلى « الأرباح غير الموزعة » التى تتيح للمشروع تدفقا نقدياً يساعده على التمويل الذاتى . ففى الولايات المتحدة ، خلال الفترة (١٩٧٧ ـ ١٩٨٠ م) ، ولدت الأرباح غير الموزعة ، بالإضافة إلى مخصصات استهلاكات الأصول ، فى الشركات المساهمة ، مورداً نقدياً داخلياً صافياً بلغ خمسة أمثال الأرباح الموزعة . ومن إجمالى الإنفاق الاستثمارى فى الشركات غير المالية ، فى عام ١٩٨٠ م ، والبالغ نحو (٢٩٩) بليون دولار ، كان النصيب النسبى للتمويل الداخلى (٨٧٪) ، ونحو (٤٪) زيادة فى رأس المال . أما القروض ، فكان نصيبها الباقى ، أى حوالى (٩٪) فقط .

وعلى ذلك ، يمكن القول باطمئنان أن « الربح » هو القوة الأساسية الموجهة لقرارات المستثمرين ، ليس فقط كمعيار لجاذبية الاستثمار وإنما أيضاً لأنه مصدر تمويلى هام .. ولقد أيدت نتائج دراسة قام بها « ميلر » J. MILLER على (١٢٧) مشروعا هذا الرأى بشكل واضح ومباشر . إذ وجد أن نحو (٧٧٪) من هذه المشروعات استخدمت مفهوم « معدل الربح » عند اتخاذ قراراتها الاستثمارية .

وأخيراً ، يؤكد « تيرفى » R.TURVEY أن السعر النقدى للفائدة ليس هو المتحكم فى الاقتصاد . فسعر الفائدة لا يصلح ، ولم يكن مناسباً ، لقرارات الاستثمار .

وعليه ، يجب أن يحل محله « سعر » الأصول الحقيقية الموجودة ، أو المستوى العام لأسعار الأسهم . ومن ثم ، يكون لدينا « نظرية عامة » تحتل فيها أسعار الأصول الحقيقية ، لا الأصول الورقية ، مركز الصورة أو الصدارة . إذاً « الآلية » الحقيقية والفاعلة هى « الربح » وليس « الفائدة » . وهذا ينقلنا إلى جانب الربح من قضيتنا ، محل المناقشة .

يتبع

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا

للأستاذ الدكتور
أحمد الحفناوى

ليس من اليسير تحديد الحدود الجغرافية ، تحديدا دقيقا بالمصطلحات الجغرافية التقليدية لمنطقة غرب افريقيا ؛ ذلك لأنه لا توجد هناك حواجز جغرافية طبيعية – فى الشرق او فى الشمال – يمكن اعتبارها علامات بارزة تحدد بجلاء اتساع الأقاليم التى تشملها هذه المنطقة ، ولم تكن الصحارى ، أو النهران الكبيران : « النّيجر » و« السنغال » ، اللذان يجريان بمحاذاة حافة الصحارى الجنوبية – إلى اى يوم من الأيام – لتعطل انتقال الشعوب المختلفة أو تعرقل تجارتها .

ومن هنا كان لتلك الصورة الجغرافية الهامة تأثيرها الملحوظ فى تاريخ وحضارات البلاد فى هذه المنطقة ، عبر العصور ومن المعروف أن تاريخ الدعوة إلى الإسلام بين الأفارقة يكتنفه بعض الغموض ، ويبدو أن البربر كانوا أول من أدخلوا الإسلام إلى تلك البلاد التى يرويها نهرا : النيجر والسنغال ، حيث اتصلوا بممالك وثنية كان بعضها عريقا فى القدم مثل : « سنغهاى » ، وكانت القبيلتان البربريتان : (لمتونة) و(جدالة) اللتان تنتميان إلى (ضهاجة) ، تعملان على نشر الإسلام بين الناس ، مدفوعتان بحماستهما الدينية .

وقد أخذ الإسلام ينتشر – بعد ذلك – فى هذه البلاد منذ القرن الثالث الهجرى بعد أن أقام الكثير من التجار العرب والمهاجرين من قبائل البربر فى المدن والمراكز التى نشأت عند نهايات الطرق التى تعبر الصحراء الكبرى وتسير فيها القوافل إلى بلاد « السودان الغربى » ، آتية من الشمال الأفريقى .. وفى أواخر القرن الرابع الهجرى ، توقف انتشار الإسلام قليلا ، بسبب ثورات البربر ، وحروب الروم ، وفتن ملوك المغرب ؛ ولكنه عاد واستأنف همته فى القرن الخامس الهجرى ودخلت فيه قبائل الصحراء وأسست فى البلاد ممالك ومراكز كبيرة كان لها أثرها الطيب فى نشر الدعوة الإسلامية ، ويمكن القول : بأن هذه النهضة كانت بين القرنين : الخامس والحادى عشر الهجريين ، كما أن بعضها كان فى القرن الرابع الهجرى أيضا ،

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية

وكان مجالها بين الزنوج فى بلاد « السودان الغربى » وغرب أفريقيا على وجه العموم .

وقد اتصلت مصر « بغرب أفريقيا » ، ووضحت هذه الصلات أكثر ما وضحت فى العصر المملوكى الذى شهد تطور العلاقات بين مصر وغرب أفريقيا فيه تطورا بعيدا ، حيث كانت محاصيل أفريقيا الوسطى والسودان الغربى مادة من مواد التجارة التى ارتكزت عليها عظمة الدولة المملوكية ، التى كانت تبيعها للتجار الأوروبيين الجنويِّين من « نسبة إلى جَنَوه » ، والبنادقة « نسبة إلى البُنْدقيَّة » ، وغيرهم بأسعار مرتفعة ، وكان العاج من أهم صادرات تلك الجهات إلى مصر ، كما ذهب التجار المصريون بسلعهم إلى بلاد : « الكانم » و« مالى » و« التكرور » ..

وكان الحج من أهم عوامل تدعيم العلاقات بين « مصر » وبين هذه البلاد ، ذلك لأن حُجَّاجهم كانوا يمرّون بها فى طريقهم إلى الحجاز ، وبعد عودتهم منه ، وقد حَج كثير من مشاهير سلاطينهم فى هذه الجهات ، واتصلوا أثناء مرورهم بمصر بالسلاطين ووجوه الناس والعلماء وكانت لهم « بمصر » مراسلات سجلها « ديوان الإنشاء » ، وممن زار مصر فى طريقه إلى الحج « مِنْساهُوسى » سلطان « مالى » أو « التكرور » وإسكيا محمد سلطان « سنغهاى » وقد تأثر الأخير بهذه الزيارة إلى حد بعيد : تأثر بما رآه فى « مصر » من أسباب الحضارة وما سمعه فيها من علم ، وما لمسه من تقدم ، حتى إذا عاد إلى بلاده عمد إلى تطبيق ما اقتبسه : من نظم الحكم فى بلاده ، وتشبه بالخليفة العباسى فى ملبسه ومطعمه وكان قد لقيه فى مصر وتلقى منه التقليد والخلعة ، واعترف به حاكما شرعيا على بلاده وعندما عاد إلى عاصمة ملكه ، أرسل إليه رسولا خاصا من قبله .

وتعتبر قافلة الحج التى أوفدت إلى « مصر » بصحبة السلطان « منساموسى » من أروع مظاهر ثراء هذا العاهل الأفريقى :

كان ذلك فى العام السابع عشر من حكمه (سنة ٧٢٣ هـ) ، وقد رافق السلطان حشد كبير من الوزراء والعلماء والأتباع ، وقدر بعض المؤرخين عددهم بحوالى ، اثنى عشر ألف شخص !

مر السلطان فى رحلته هذه بـ« ولته » و« توات » و« رجلة » فـ« سرته » على شاطىء البحر المتوسط واتجه منها مساحلا إلى الاسكندرية ثم إلى القاهرة ، والقاهرة يومئذ مركز الحياة الإسلامية ، وكعبة العلماء ورجال الآداب ، ولما وصل إليها استقبله الأمير : أبو العباس أحمد بن الحاكى المهندار الذى ندبه السلطان « الناصر محمد » للإشراف على ضيافته ثم قدم « للناصر محمد » عدة هدايا منها : حمل كبير من الذهب الخام ، ولم يترك أميرا أو صاحب وظيفة إلا نفحه من الذهب !!

واستقبله الأهالى ، أينما سار بكل مظاهر الحفاوة التى تليق بمقام الضيف الجليل ، وكان يرى ممتطيا جوادا ، يسبقه خمسمائة من العبيد يحمل كل منهم ، قضيبا من الذهب زنة الواحد خمسمائة مثقال « أوقية » ، وكان العاهل سخيا خيرا يتدفق المال من يديه ، ويهب المنح إلى كل من يتصل به ، وكأنه لم يسع من وراء ذلك إلا إلى الظهور بمظهر السلطان الكبير الذى يحكم دولة عظمى دون أن يكون له هدف سياسى .

وقد عمل « الناصر محمد » كل ما فى وسعه لراحة ضيفه وحاشيته طوال مدة إقامتهم فى « مصر » . ويذكر « القلقشندى » أخبارا مفصلة

لتلك الزيارة ، نقلها عن « المهندار » ، الذى كلف بمرافقة السلطان :

قال لى المهندار : خرجت للتقاه من جهة السلطان ، فأكرمنى إكراما عظيما ، وعاملنى بأجمل الآداب وكنت أحاوله فى الطلوع إلى القلعة للاجتماع بالسلطان ، حسب الأوامر السلطانية ، فَأبَى وقال : جئت للحج لا لغيره ، ولم أزل به حتى وافق على ذلك ، وتقدم إلى السلطان فقام له ، وأجلسه إلى جانبه ، وتحدثا طويلا ، وبعد ذلك .. أرسل إليه وإلى أصحابه ، الخلع الكاملة ، والخيل المسرجة الملجمة .

ولمّا أن أوان الحج ، بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم وهُجُن « إبل » قوية كاملة العدة لمركبه ولأصحابه ، وأزواد جمة وفيرة ... وأمر أمير الركب بإكرامه واحترامه .

ولما عاد بعث إلى السلطان بهدايا من الحجاز تبركا ، فبعث إليه بالتحف والأمتعة الأخرى وعاد إلى بلاده[1] .

وذكر ابن أمير حاجب والى مصر : أنه كان معه مائة حمل ذهبا أنفقها فى سفرته تلك على من بطريقه من القبائل ثم بمصر والحجاز : تَوَجُّهًا وعودة حتى احتاج إلى القرض فاستدان على ذمته من أحد التجار بما له عليه من مكاسب ، ذكر بعض المؤرخين : أن السلطان « منساموسى » ظل متمسكا بجميع مظاهر الأبهة بفضل العون الذى زوده به أحد تجار الاسكندرية ، وقد توفى هذا التاجر فى « مسوفة » أثناء صحبته « للسلطان » فى طريقه لبلاده ، مما جعل السلطان ، يدفع ما عليه لهذا التاجر ، إلى ولده فى مصر !![2] .

لقد أقبل « السلطان » على شراء الرقيق من النساء ، وكذلك الأقمشة الحريرية ، وكان يدفع أضعاف الأثمان لما يشتريه ، وإن أثناء إقامته هبط سعر الذهب ـ فى مصر ـ عن ثمنه العادى لوفرة ما وجد منه ، وظل منخفضاً مدة طويلة .

دور الأزهـــــــر

ومن اللافت للنظر أن هذا السلطان انتهز الفرصة فى هذه الرحلة واشترى جملة من الكتب الدينية ليوفر لأهل بلاده ، مناهل الثقافة الإسلامية ، وتبع ذلك ، تبادل العلماء بين : القاهرة « وتمبكتو » : بين « الأزهر » و« سنكورى » وغيرها من « المدن » والمراكز الإسلامية فى كل غرب أفريقيا !!

لقد ظل الناس فى « مصر » يذكرون هذه الرحلة وما أحاطها ، وكأنها من الأحداث الأسطورية ، كما أخذوا يتناقلون أخبارها سنين طويلة ، كذلك فإن المؤرخين عنوا بتدوينها ، وبالرغم من أنها لم تكن أول رحلة يقوم بها « سلطان » من بلاد السودان الغربى إلى الشرق الإسلامى إلّا أن بعض الباحثين اعتبرها : استهلالا بارعا لعلاقات قوية بين البلدين ، شملت فيما بعد كافة المجالات الحيوية ، من ثقافية وسياسية واقتصادية ، وأصبح دخول « مصر » بالنسبة لحجاج غربى أفريقيا لا يعنى فقط مجرد مرور عابر إلى « مكة » و« المدينة » ، وإنما أصبح فى نظرهم اتصالاً عميقاً ومباشراً بحضارة عربية إسلامية متطورة ، وبتراث إسلامى عميق الجذور[3] ، ويبدو أن السبب وراء هذه النظرة الخاصة لمصر ، هو مكانتها فى نفوس المسلمين كافة ، حيث أنها كانت فى ذلك الوقت قد أصبحت فى ظل حكم المماليك لها ، أقوى نفوذا على المسرح السياسى ، ساعدها على ذلك ، ماكانت تحظى به من موقع جغرافى فريد

(١) القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٥ : ص ٢٧٩ ـ ٣٠٠ .
(٢) ابن بطوطة : مهذب الرحلة : ص ٢١٦ .
(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ووقائع الدهور : ط : الثانية ، تحقيق محمد مصطفى القاهرة ١٩٦٣ : ط : ص ١٦٣ .

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية

جعلها قلب العالم الإسلامى النابض ، والقوة المسيطرة على التجارة بين الشرق والغرب ، فضلاً عن أنها كانت مقر الخلافة العباسية وحامية حمى الحرمين الشريفين ، فى الحجاز والأماكن المقدسة فى القدس بفلسطين ؛ ناهيك عن وجود الأزهر الشريف ، قلعة العقيدة الإسلامية وحافظ القرآن والسنة ، ومعقل آمال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ذلك كله جعل من الطبيعى أن تقوم بين مصر - بثقلها الثقافى والحضارى - وبين الدول الإسلامية فى بلاد السودان الغربى وغرب أفريقيا ، علاقات قوية متنوعة فى شتى المجالات ، تأسيساً على الآثار الحميدة التى تركها انتشار الإسلام فى هذه المنطقة (٤) .

وقد نتج عن توثيق العلاقات : السياسية والاقتصادية ، أن ازداد حجم التبادل التجارى بين بلاد السودان الغربى ومصر ، حتى صارت العملة السودانية تحظى بثقة رجال المال والاقتصاد فى مصر ، الأمر الذى جعل منها عملة متداولة فيها ، لجودة عيارها وثبات قوتها الشرائية فى الأسواق المصرية ، حتى أن السلطان المملوكى « برسباى » عندما أراد إصلاح أحوال العملة فى مصر (سنة ٨٢٦هـ) قرر ألا يتعامل إلّا بالدراهم المصكوكة « بالديار المصرية » ، والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك خلا الدراهم المصكوكة فى « مالى » أو « بلاد التكرور »(٥) .

ولعل أبرز الدلائل الواضحة التى لا تزال قائمة إلى اليوم ، والتى تنبىء عن عمق وقوة الصلات ، بين هذه البلاد وبين « مصر » ، عبر العصور ، بقاء تلك الآثار الثابتة لبعض سكان منطقة السود ان الغربى فى « مصر » : مثل حى بولاق الدكرور ، والمحرفة عن كلمة : التكرور ، نسبة إلى إقليم : التكرور « مالى » فى غرب أفريقيا !!(٦) .

وهو حى ، ينسب إلى أحد صلحاء التكرور الذين دفنوا فى مصر وهو الشيخ العالم : « أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى » الذى عاصر الخليفة : العزيز بالله الفاطمى ، فلما توفى بنى له قبة ومسجداً عُرف باسم جامع التكرورى ، وقد جدد هذا المسجد ووسع فى عهد المماليك البحرية (سنة ٧٤٣هـ) ..

كذلك من الدلائل القوية على هذه العلاقات ، وجود رواق خاص بأبناء بلاد « التكرور » فى الأزهر الشريف ... وأيضاً مدرسة (ابن رشيق فى فسطاط مصر) بخط (حمام الريش) ، وهى مدرسة أنشأها الحجاج التكاررة على نفقتهم الخاصة ، لتدريس الفقه المالكى ، وللإقامة فيها عند مرورهم بمصر .

ذكر الحافظ التركمانى :

« .. أن بعض أبناء هذه البلاد حصل على حق المواطنة فى مصر ، حتى أصبحوا شخصيات

---

(٤) د . محمد محمد أمين : علاقات دولتى « مالى » و « السنغهاى » فى عصر سلاطين المماليك : بحث فى مجلة الدراسات الأفريقية العدد ٤ : القاهرة سنة ١٩٧٥ : ص ٢٨ .

(٥) ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان : جـ ٣ ص ٢٤ : تحقيق الدكتور : حسن حبشى : القاهرة .

(٦) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : جـ ٢ : ص ٣٠٤ ، فاى منصور على : « إسكيا الحاج محمد وإحياء الدولة الإسلامية فى السنغهاى » : ص ٢٣٥ . رسالة دكتوراه لم تنشر .. مقدمة إلى جامعة الأزهر سنة ١٤٠٨هـ .

بارزة تتولى بعض المراكز الهامة فى الجيش المملوكى المصرى ![٧] .

منهم عنبر التكرورى ، الذى رقاه « قايتباى » إلى نائب مقدم المماليك ثم صار مقدماً بعد ذلك ، وكانت الصلات الثقافية بين مصر والأزهر من جهة وبين هذه البلاد من جهة أخرى أهم وأقوى ، فقد غدت « مصر » فى القرن التاسع الهجرى موئل التفكير الإسلامى فى الشرق ، وكان « الأزهر » كعبة المسلمين ، فلن يكن بغريب أن يقصده الطلاب من غرب أفريقيا ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المسلمين ، وكان أهل « التكرور » ، أسبق الجماعات اتصالاً « بمصر » والأزهر فى هذه الناحية ، حيث استقرت منهم جماعات فيها لتشهد حلقات العلم فى « جامع الأزهر » .. كما وفد بعضهم عليها بقصد الانقطاع والعبادة والانتظام فى سلك الطرق الصوفية .

ويمكننا القول : بأن الثقافة ـ فى هذه البلاد ـ كان طابعها عربياً صرفاً لم تُداخله أية تأثيرات أخرى ، لسبب واضح هو : أن هذه الشعوب التى اعتنقت الإسلام ، وتشربت ثقافته ، لم تكن لها تقاليد ثقافية مثل تقاليد « الايرانيين » أو « الإغريق » ـ مثلا ـ التى أثرت فى الثقافة العربية فى بيئات الشرق الأدنى ، والأوسط .

كذلك فإنه يمكن القول بأن هذه الثقافة العربية ، التى حملت إلى هذه البلاد وتقبلها أهلها كما هى ، تعود جذورها : إلى ينابيع الشرق الإسلامى عن طريق الأزهر الشريف ، وبلاد الحجاز ، ثم تفاعلت كلها فى وحدة حضارية جامعة ، جعلت من هذه البلاد منذ قرون بعيدة جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامى الكبير .

لقد قدم الشرق بتقاليده الجامعية والدينية الثرية ـ لهذه البلاد ـ عوناً كبيراً فى سبيل تطوير لغة الضاد والتمكن منها ، بوصفها الأداة الوحيدة لتحصيل العلوم والمعارف الإسلامية ، فكان الأزهر وجهة جذب لأساتذة « سنكورى » بمدينة « تمبكتو » ، وغيرها من مراكز الثقافة الإسلامية فى عدد من بلاد السودان الغربى ، وغرب أفريقيا على وجه العموم ، وكان يقيم فيه كبار العلماء الذين تلقوا على أيدى جهابذته شتى العلوم الدينية واللغوية ..

العلامة الإمام السيوطى :

وكان العلامة « جلال الدين السيوطى » من أقوى علماء مصر والشرق أثراً فى مجريات الأمور فى تلك البلاد ، وقد تعارف معه « إسكيا محمد » « سلطان السنغهاى » ، أثناء مروره « بالقاهرة » وهو فى طريق عودته من الحجاز بعد أداء فريضة الحج ، وتوطدت علاقة الصداقة بينهما منذ تلك اللحظة ، وتناقشا حول بعض شئون الحكم والجهاد ، وتنبأ « السيوطى » له بعظيم الملك ، فى بلاد « السنغهاى » ، واستمرت المراسلات بينهما بعد ذلك حتى إنه ليذكر : أن « إسكيا محمد » لم يكن ليقدم على إبرام أمر ذى شأن يتعلق بالحكم ـ بعد هذا اللقاء مع « السيوطى » ـ إلا بعد الاتصال به وأخذ مشورته ، حوله[٨] .

وكانت للسيوطى ، مراسلات مماثلة مع سلاطين آخرين فى هذه البلاد ، مثل « إبراهيم تورى » من أهل « كتسينا » والسلطان « محمد تاسيفانه » وغيرهما .. وكانت آراؤه ، تنطوى على بُعد نظر ومعلومات واسعة !!

(٧) التركمانى : دور الإسلام فى التاريخ : جـ ٢ : ص ١٧٧ .
(٨) محمود كعت : تاريخ الفتاش فى اخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .. وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور .. تحقيق هوداس ط : باريس ١٩١٣ ص ٣٥ .

أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية

ولا يعنى هذا أن الثقافة الإسلامية والمدارس والمراكز التى كانت قائمة عليها فى هذه البلاد ، لم تتأثر بصلات أو بإنتاج مراكز إسلامية أخرى ؛ ولكنها تأثرت أيضاً ـ وبوضوح ـ بثقافة بلاد المغرب ، وهذا طبيعى ، لأن الإسلام دخل هذه البلاد من المغرب ، فحمل معه تقاليد المغرب وثقافته ؛ تلك التقاليد والثقافة التى كانت كلها تدور حول فقه الإمام « مالك » والعلوم المساعدة الأخرى التى تخدم هذا الفقه ، وتساعد على فهم هذه الثقافة التى وضحت فى : « القيروان » وانتقلت منها إلى المغرب الأقصى والأندلس ، حملها البربر معهم إلى غرب أفريقيا ، فغلبت على الثقافة فيها وقل أن تجد هناك مذهباً إلا مذهب « مالك » وفقها إلا فقه « مالك » : الفقهاء مالكيون فى حياتهم وتقاليدهم ، وإنتاجهم وتآليفهم وتدريسهم ، والشعوب مالكية تتأثر بهؤلاء الفقهاء . وتستهدى بهم ، وتراجم العلماء والفقهاء التى وردت فى كتاب « نيل الابتهاج » أو فى تاريخ « السعدى » أو « الفتاش » تعطينا هذه الصورة المالكية الصرفة ، حتى القلم العربى المستخدم ، كان هو القلم المغربى ، ويجب ألّا ننسى ـ فى هذا الصدد ـ أن ثقافة بلاد المغرب هذه ، كانت نتاجاً لثقافة « مدارس الفسطاط » و« الأزهر » فى مصر ، وثقافة الحرمين الشريفين فى الحجاز ؛ أى أنها مشرقية المنبع !!

ومن الملاحظ أن الثقافة الإسلامية فى هذه البلاد الأفريقية لم تكن أقل غزارة وعمقاً من الثقافة التى كانت منتشرة فى « مصر » أو فى « الحجاز » أو فى بلاد « المغرب » ، يتضح ذلك من نماذج العلماء والفقهاء الذين تعرضت لهم كتب التراجم ، حيث ثبت أنهم لا يقلون فى مستواهم واستعدادهم ، وتحصيلهم عن إخوانهم ، فقد تلقوا نفس التعليم ، وقرأوا نفس الكتب ، وعاشوا نفس الحياة ، وعرفوا بالإخلاص الشديد والحرص على التعليم ، واقتنوا المكتبات العظيمة ووقفوها على المتعلمين(٩) .

(٩) السعدى : تاريخ السودان : تحقيق : هوداس : باريس ١٨٩٨ : ص : ٢٢٩ ، ٢٢٣ .

٢

إنكار ابن سبأ..

نقش على الماء

للأستاذ
أحمد عرفات القاضى

قلنا : إن فلهوزن ومن تابعه من المستشرقين وغيرهم انطلقوا فى نفيهم لوجود شخصية عبد الله بن سبأ اعتمادا على رواية سيف بن عمر التى رواها الطبرى وعنه أخذ جميع المؤرخين وكتاب الفرق فى زعمهم . وقالوا : إن القُصَّاص المسلمين كانت لديهم الرغبة فى إضافة الأخطاء إلى شخصيات يهودية لتبرئة المسلمين من هذه الأخطاء .

وعلى هذا فالفتنة فى رأيهم كانت عربية وكان التمرد على سيدنا عثمان تمردا طبيعيا ـ نتيجة لانحرافه عن الحق ـ قام به المظلومون من المسلمين ، وأن كبار الصحابة كعلى وطلحة والزبير كانوا يتمنون النهاية التى انتهت إليها الأحداث .

وللرد على ذلك نقول :

أولا : إن رواية سيف بن عمر التميمى كما **رواها الطبرى هى** : فيما كتب به إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى **قال : كان عبد الله بن سبأ يهوديا** من أهل **صنعاء ، أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز** ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم[٢٥] . وأنه قال لهم : إن محمدا سيرجع ، وأن عليا وصى محمد ، وأن عثمان أخذها بغير حق من صاحبها فيقول : ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله ـ ﷺ ـ فانهضوا فى هذا الأمر فَحَرِّكُوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[٢٦] .

وحجة فلهوزن وأتباعه ممن شككوا فى وجود ابن سبأ أن سيف بن عمر هو راوى هذا الخبر وعنه أخذ باقى الرواة ولكى يذهب فلهوزن إلى تجريح سيف ينتقل من (التاريخ) إلى (الحديث) ويستند إلى تضعيف من ضعف سيفا فى (علم الحديث) ليسقط بذلك رواية فى (التاريخ) وهذا ضرب من البله لا يقول به

إنكــار ابــن سبــأ

عالم ؛ فإذا كان ثمة عالم فى العربية ، أيسقطه ضعفه فى الانجليزية ؟!

إن الإجماع قائم على أن سيفا حجة فى التاريخ ، فلا يضيره أن يكون ضعيفا عند بعض العلماء فى (الحديث) ، ثم بعد : فهل إذا انفرد برواية واحدة عن ابن سبأ ؟

ألم ترد رواية أخرى عن وجود ابن سبأ ودوره فى الفتنة غير رواية سيف ذلك الذى سماه الوضاع ؟ هذا ما سنناقشه فى الصفحات التالية ، الحقيقة غير ذلك تماما فإن هناك أكثر من رواية أخرى وردت عن ابن سبأ لدى المؤرخين وكتاب الفرق من غير طريق (سيف بن عمر) وهذا شىء منها :

١ ـ روى الجاحظ من طريق الشعبى ـ وكان ذا نزعة شيعية إلا أنه كان من العدول وكان يكره الشيعة ويحذر منهم ويتهمهم بالكذب فى الحديث ـ قال : عن حبابة بن موسى عن مجالد عن الشعبى عن زحر بن قيس قال : قدمت المدائن بعدما ضرب على بن أبى طالب رحمه الله فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى : ما الخبر ؟ قلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها .. قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢٧] . هذه رواية الجاحظ .

٢ ـ وأورد البغدادى من طريق الشعبى أيضا[*] قال وقد ذكر الشعبى أن عبد الله بن السوداء كان يعيش السبابية[١] على قولها وكان ابن السوداء فى الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فيذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا ، وأن عليا هو وصى محمد ﷺ وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا خير الأنبياء[٢٨] وأن هذا القول كان سبب إقبال شيعة علىّ عليه ، لهذا طالبوا عليا بتقريبه ، وقالوا له : إنه من محبيك ولكن عليا لما علم غلوه فيه هم بقتله فنهاه ابن عباس .

يقول البغدادى ـ وهو ممن ظن أن ابن سبأ غير ابن السوداء ـ كما يفهم من قوله فلما سمع ذلك منه شيعة على قالوا لعلى : إنه من محبيك فرفع علىّ قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه ، فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له : إن قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك . فلما خشى من قتله ومن قتل ابن سبأ ؟ الفتنة التى خافها ابن عباس **نفاهما إلى المدائن** فافتتن بهما الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه . وقال لهم ابن السوداء : والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته[٢٩] .

ويروى البغدادى عن أهل السنة قولهم بأن

---

* ولا يضيرنا هنا ما وقع من التباس فى ظن الشعبى أو غيره ، أن ابن سبأ غير ابن السوداء ، فالقليل من الإنصاف يجعل هذا اللبس دليلا على وجود ابن سبأ من ناحية ، وعلى دهائه وخبثه من ناحية اخرى . خاصة ان ابن سبأ كان يلقب بابن السوداء .

(١) أى السبئية .

ابن السوداء كان يهوديا وكان يريد إفساد دين المسلمين فيقول : قال المحققون من أهل السنة أن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى علىٍّ وأولاده لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام فانتسب إلى الرافضة السبابية حين وجدهم أعرف أهل الأهواء فى الكفر(٣٠) .

هذه هى رواية البغدادى عن ابن سبأ من طريق الشعبى وهى تختلف عن رواية سيف بن عمر التميمى .

٣ - والقمى « سعد بن عبد الله » أقدم مؤرخى الشيعة فى القرن الثالث الهجرى توفى سنة ٣٠١ هـ روى أن السبئية هى أول فرقة فى الإسلام قالت بالغلو فى الأئمة ؛ فيقول عن الغلاة :

فرقة منها قالت : إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وهى أول فرقة قالت فى الإسلام بالوقف بعد النبى « ﷺ » من هذه الأمة ، وأول من قال بينهما بالغلو وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن وهب الراسبى الهمدانى

وساعده على ذلك عبد الله بن حرس وابن أسود وهما من أجلة أصحابه(٣١) .

لاحظ قول القمى بوجود شخصيتين هما : ابن سبأ وابن أسود .

ويرى القمى : أن ابن سبأ أول من أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وادعى أن عليا - عليه السلام - أمره بذلك وأن التقية لا تجوز ولا تحل فأخذه علىٌّ فسأله عن ذلك فأقر به وأمر بقتله فصاح الناس إليه من كل ناحية يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره علىٌّ إلى المدائن(٣٢) .

والقمى يروى لنا أنه روى هذه الرواية عن جماعة من أهل العلم أى أنه لم يَتَلَقَّهَا عن شخص واحد بعينه وعلى هذا فهى رواية تختلف عن رواية سيف بن عمر التى رواها الطبرى فيقول :

وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ، ووالى عليا ، وكان يقول - وهو على يهوديته فى يوشع بن نون وصى موسى - بهذه المقالة فقال فى إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فى علىٍّ بمثل ذلك ، وهو أول من شهر بالقول بفرض إمامة علىٍّ بن أبى طالب ، وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه ، وأكفرهم فمن هاهنا قال من خالف الشيعة : أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية(٣٣) .

ويروى القمى ما قاله ابن سبأ وأصحابه حينما بلغهم نبأ موت الإمام على فيقول :
ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعى علىٍّ - وهو بالمدائن ، وقدم عليهم راكبا فسأله الناس فقال ما خبر أمير المؤمنين قال : ضربه أشقاها ضربة قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها ثم اتصل خبر موته فقالوا - للذى نعاه : كذبت

ياعدو الله لوجئتنا بدماغه ضربة فأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض(٣٤) .

إنكـــار ابـــن ســبـــأ

ثم يضيف إلى ما سبق أنهم مَضَوْا من يومهم حتى أناخوا بباب علىّ فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته ، الطامع فى الوصول إليه فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده : سبحان الله ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد ؟ قالوا : إنا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه وأنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الديار العقل ويلمع فى الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام(٣٥) .

هذا ما حكاه القمى أقدم مؤرخى الشيعة .

٤ ـ كذلك فإن النوبختى كان هو الآخر من رجال الشيعة فى القرن الثالث الهجرى وقد اتفق مع القمى فى القول عن السبئية بأنها أول فرقة مغالية فى الإسلام ، وأنه أظهر الطعن على الصحابة وأمر علىّ بقتله فصاح الناس فسيَّره علىٌّ إلى المدائن .(٣٦) .

والنوبختى قد نقل لنا عن ابن سبأ أيضا نفس الرواية التى رواها القمى إلا أنه زاد فنسب ما رواه عن جماعة من أصحاب الإمام علىّ فيقول :

وحكى جماعة من أصحاب علىّ ـ عليه السلام ـ أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا ـ عليه السلام ـ وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علىّ عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه ، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال ـ للذى نعاه : كذبت لوجئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض(٣٧) .

روايتان وردتا ـ على الأقل باعتبار أن رواية الجاحظ والبغدادى واحدة ورواية القمى والنوبختى كذلك ـ فى كتب التراث قديما عن ابن سبأ بخلاف رواية سيف بن عمر التميمى ، وأول ما نلاحظ عليهما أنهما تتفقان فيما بينهما ـ ما عدا الرواية التى رواها الجاحظ ؛ لأنه لم يتحدث عنهم إلا حينما وصلهم نعى الإمام علىّ وهم بالمدائن ـ على ما يأتى :

١ ـ إن ابن سبأ كان يهوديا فأسلم ـ أورد الطبرى أنه أسلم زمن عثمان ـ وأنه كان يقول فى يهوديته بوصية يوشع بن نون .

٢ ـ أنه أول من قال بأحقية الإمام على بن ابى طالب بالخلافة وإن عَبَّر عن ذلك القمى والنوبختى ـ مؤرخا الشيعة ـ بأنه أول من اشهرها .

٣ ـ أنه أول من أظهر الطعن على الصحابة وأبى بكر وعمر وعثمان .

٤ ـ إن الإمام علىّ نفاه إلى المدائن وكان يريد قتله ـ لولا شيعته ـ أو لولا ابن عباس كما يرى البغدادى .

٥ ـ إنه أنكر خبر وفاة الإمام علىّ حينما بلغه بالمدائن .

فإذا نظرنا إلى هذه الروايات نجد أن رواية البغدادى تتفق مع رواية سيف التى رواها

الطبرى فى أنه كان يريد أن يفسد على المسلمين دينهم ولكن الطبرى ينفرد بخبر أنه تنقل فى البلاد فذهب إلى الحجاز والبصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر فجاء مصر ، واعتمر منهم ، وقال لهم : انهضوا فى هذا الأمر وابدأوا بالطعن على أمرائكم .

وانفرد البغدادى بالقول بأنه قال : سينبع لعلىٍّ فى مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته .

كذلك انفرد القمى بالقول بأنهم أتوا إلى باب علىٍّ ، واستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع فى الوصول إليه ، وأنهم أنكروا على أهله وأصحابه خبر موته .

وقال القمى والبغدادى بوجود شخصيتين هما ابن سبأ وابن السوداء فإذا نظرنا إلى هذه الزيادات التى انفرد بها البعض دون الكل نجد أن ما انفرد به الطبرى والبغدادى من أنه كان يريد أن يفسد على المسلمين دينهم متضمن فى الأقوال السابقة التى اتفق عليها الجميع وهى أنه أول من أحدث القول بالوصية والرجعة والطعن على الصحابة .

وأما ما زاده الطبرى من أنه تنقل فى البلاد حتى أتى مصر ، واعتمر بهم وقال لهم : إن عثمان أخذها بغير حق ، وأن عليا هو الوصى ، وانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا(٣٨) فإن هناك من الروايات التى وردت لدى أقدم مؤرخى مصر ما يعضد ذلك ـ فقد روى عمر للكندى أن ابن أبى حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبى ـ ﷺ ـ ثم يبعث الرجال ويأتون فيقولون : إنها من عند أزواج النبى . وأنه لا يقرأها إلا فى المسجد ، وأمام الناس فيقول : حدثنى الليث عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمى أن ابن أبى حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبى ـ ﷺ ـ ثم يأخذ الرواحل فيضمرها ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا : ليس عندنا خبر ، الخبر فى الكتب . ثم يخرج محمد بن أبى حذيفة والناس كأنه يتلقى خبر أزواج النبى ـ ﷺ ـ فيجتمع الناس فى المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقوم أولئك الشيوخ من نواحى المسجد بالبكاء ثم يقول ثم ينزل عن المنبر وينفر الناس بما قرىء عليهم(٣٩) .

ويرى أنه جمع جيشه وذهب به إلى المدينة فيقول : « وأجمع محمد بن أبى حذيفة على بعث جيش إلى عثمان وقال : من يشترط فى هذا البعث . فكثر عليه من يشترط فقال : إنما يكفينا منكم ستمائة رجل فاشترط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس(٤٠) . وأنهم بعد أن ارتكبوا جريمتهم عادوا وقالوا : إنا لم نقتل عثمان ولكن قتله الله . فيقول : « ثم قتل عثمان ـ رحمه الله ـ وكان قتله فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، ثم إن الركب انصرفوا إلى مصر فلما دخلوا الفسطاط ارتجز مرتجزهم » .

خذها إليك واحذرَنْ أبا حسنْ
إنا نمر الحرب إمرار الرسن
بالسيف كى نخمد نيران الفتن

قال يزيد بن أبى حبيب : فلما دخلوا المسجد صاحوا إنا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله ، فلما

إنكــار ابــن سبـــأ

رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن خديج عليهم وبايعوه فكان أول من بايع على الطلب بدم عثمان(٤١) .

وهذا يعضد رواية الطبرى عن تنقل ابن سبأ فى البلاد ، والمعلوم أن جميع الوفود كانت قد همت بالرجوع إلا أن وفد مصر رفض وهم الذين اقتحموا الدار على سيدنا عثمان رضى الله عنه وقتلوه ، فليس هناك أى شك فى صحة هذه الزيادة التى أتى بها الطبرى .

هذا إلى جانب أنه من المعلوم أن من يكيد ويدبر لابد أن يتحرك لينفذ مؤامرته .

أما ما زاده البغدادى من أن ابن سبأ قال : إنه سينبع لعلىٍّ عينان تفيضان عسلا وسمنا يغترف منهما شيعته ، وما قاله القمى : إنهم أتوا إلى باب على وأنكروا على أهله خبر موته ؛ فإن العقل لا يمنع من قبول مثل هذه الأخبار كما أن نفيها لا يطعن فى صحة ما سبق من أخبار عن ابن سبأ وعن نشاطه فى تحريك الفتنة .

وأما قول البغدادى والقمى بوجود شخصيتين هما عبد الله بن سبأ وعبد الله بن السوداء فمجرد لبس بسيط من الممكن حدوثه وخاصة أنه من المعلوم أن ابن سبأ كان هو صاحب لقب ابن السوداء أيضا .

وعلى هذا فإن فلهوزن وأتباعه ممن ذهبوا إلى إنكار وجود ابن سبأ لم يكونوا منصفين ولا موضوعيين فكانوا بما خطوه لأنفسهم أسرع إلى كشف نواياهم وبخاصة حينما أخذوا برواية واحدة دون سائر الروايات الأخرى . وهذا ما يتنافى مع الأمانة العلمية والموضوعية التى يتشبثون بها كما يتنافى مع حرية الرأى والنزاهة العلمية والتحرى فى البحث . فإذا أضفنا إلى ما سبق أن هذه الكتب التى روت الروايات الأخرى التى أشرنا إليها كانت متوافرة وموجودة فى ذلك الوقت ، الذى سار فيه اللغط والجدل حول شخصية ابن سبأ ، فإن فلهوزن ورفاقه وأتباعه كانوا يثيرون مثل هذه القضايا لحاجة فى نفس يعقوب ، وهى كما قلنا تهيىء العالم الإسلامى لاستقبال اليهود رغبة أو رهبة .

المصادر والمراجع

٢٥ ـ تاريخ الطبرى ٤/ ٣٤٠ طبعة دار المعارف .

٢٦ ـ المصدر السابق ٤/٣٤٠ ، ٣٤١ .

٢٧ ـ البيان والتبيين ٨١ الجزء الثالث تحقيق عبد السلام هارون .

٢٨ ـ الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ .

٢٩ ـ الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

٣٠ ـ المصدر السابق ص ٢٢٦ .

٣١ ـ المقالات والفرق ص ٢٠ .

٣٢ ـ المصدر السابق نفس الصفحة .

٣٣ ـ المصدر السابق نفس الصفحة .

٣٤ ـ المصدر السابق ص ١٠ ، ٢١ .

٣٥ ـ المصدر السابق ص ٢١ .

٣٦ ـ فرقة الشيعة ص ٤٣ ، ٤٤ للنوبختى .

٣٧ ـ المصدر السابق ص ٤٤ .

٣٨ ـ تاريخ الطبرى ٤/٣٤٠ ، ٣٤١ .

٣٩ ـ الولاة والقضاة ص ١٤ ، ١٥ .

٤٠ ـ المصدر السابق ص ١٧ .

٤١ ـ المصدر السابق ص ١٨ .

يهود اليمن

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

تعددت أقوال المؤرخين فى أسباب ظهور الديانة اليهودية فى اليمن وهى قضية خلافية بين العلماء :

فيرى الدكتور جواد على أن فلسطين امتداد طبيعى لشبه الجزيرة العربية ، ومن الطبيعى اتصال سكانها بشمال الجزيرة العربية ، وانتقال طوائف يهودية إلى غرب شبه الجزيرة للاتجار أو الإقامة هناك[1] .

ويؤكد هذا الرأى النقوش التى اكتشفت فى حفائر «بيت شعاريم»* والتى تثبت وجود طوائف يهودية فى اليمن فى بداية القرن الثالث بعد الميلاد - أى فى أيام «المشنا» وقد كشفت هناك عن قاعة بها قبور «حميرية» وجدت فيها شهادات واضحة أن بعض يهود حمير أحضروا موتاهم لدفنهم فى فلسطين ، ففي إحدى الكتابات باليونانية «نجيد حمير» أى زعيم اليهود فى حمير، مما يشهد بانه فى فترة المشنا فى القرنين الثانى والثالث ، اهتم يهود اليمن بأن يشتروا لهم قبورا فى فلسطين ، وهذا يدل على العلاقات بين يهود اليمن وفلسطين[2] .

ويبدو أن بعض يهود اليمن عندما كانوا يهاجرون إلى فلسطين كانوا يأخذون معهم رفات أعزائهم فى صناديق خشبية لدفنها هناك ، اعتقادا منهم بأن من يدفن خارج فلسطين ستظل روحه هائمة يوم البعث .

ويقرر المستشرق «بروك» وهو من علماء القرن الثامن عشر : أن دولة حمير اليهودية ظهرت فى القرن الأول قبل الميلاد . لكن غيره يعارض هذا الرأى بقوله : أنه لو صح ذلك لكان يوسف المؤرخ اليهودى قد تناول هذه الدولة بالذكر مثلما أشار إلى ظهور دولة آرامية متهودة على أطراف

(١) على . جواد (دكتور) : تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٦ ، القسم الدينى ، المجمع العراقى ١٩٥٦ ، ص ٧ .

* وتقع جنوب شرق حيفا نقلاً عن :

Atlas of Israel : Edited, Drewn and printed by Survey of Israel, 1970 .

(2) Roth Cecil : The Standard Jewish Encyclopedia .
Massada pub, Com., Jerusalem, T.A., 1962 . P. 1939.

يهـــود اليمـــــن

نهر الفرات النائية من فلسطين وهى دولة «حديب» .

ويقرر كذلك العالم (سلفستر دى ساسى) أن ظهور اليهودية فى اليمن لم يسبق القرن الثانى بعد الميلاد ، لكن المؤرخ اليهودى «شيفر» ينكر صحة هذا الرأى ويؤكد أنه لو حدثت هناك دولة يهودية فى القرن الثانى بعد الميلاد لملأ التلمود صحائف غير قليلة بذكر أخبارها ، فخلو التلمود من هذه الظاهرة التاريخية أعظم دليل على عدم وجودها فى قرون تأليفه ، علما بأن ختام التلمود كان فى القرن الخامس بعد الميلاد(٣) .

وهناك مقال ناقض فيه العالم «بيرون» جميع من ذكرنا من العلماء وغيرهم ، وانتهى فيه إلى أن دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا فى القرن الخامس بعد الميلاد ، ويستدل بما ذكره الطبرى فى هذا الشأن قائلاً :

« إن أحيحه الذى قاتل تبان أسعد أبى كرب » ملك حمير وصاحب الدعوة اليهودية طلق زوجته «سلمة» فذهبت إلى مكة وتزوجت من هاشم بن عبد المطلب جد النبى محمد (ﷺ) وهذا يدل على أن مقاتلة تبان أسعد لأهالى يثرب ، إنما كانت حوالى القرن الخامس بعد الميلاد ثم ما ذكره الطبرى من أنه كان لتبان أسعد بنون ثلاثة (حسن وعمرو وذرعة) وذرعة هذا حسب رواية ابن هشام هو ذو نواس ، آخر ملوك حمير»(٤) .

ومن هنا لا يثبت بأى حال من الأحوال أن هذه الدولة قد عاشت قبل القرن الخامس بعد الميلاد ولاشك أن حجة بيرون أقوى .

وقد كتب جريتس يقول : «إنه ليس من المستبعد أن يكون التجار من أبناء إسرائيل قد أسسوا مدنا غنية لتبادل التجارة مع الهند فى جنوب الجزيرة العربية باليمن ، وخاصة المدن المهمة مثل (مأرب) و(صنعاء) ومن المحتمل أن تأسيس مستوطنة يهودية فى اليمن كان أيام ملوك يهوذا الذين أرسلوا سفنا فى البحر الأحمر إلى «أوفير» أرض الذهب(٥) .

فى حين أنه لم يثبت لدينا أن أحدا من ملوك يهوذا أرسل سفنا إلى «أوفير» إلا سليمان ، علاوة على أن عصر سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لم يكن عصر تجارة بالمعنى المعروف ، وفى عصر سليمان كانت التجارة تمارس بواسطة الفينيقيين تصديرا واستيرادا ، وبعد موت سليمان انقسمت المملكة على بعضها وضعفت التجارة(٦) .

كما يقول (جاكوف دى هاس) أنه ابتداء من القرن الخامس الميلادى كان هناك ثلاثة آلاف يهودى فى هذه المنطقة ، ولم يتحدث التاريخ عن هذا إلا بعد حكم صلاح الدين الأيوبى عندما كتب عنهم الحاخام موسى بن ميمون .

---

(٣) ولفنسون . إسرائيل : تاريخ اليهود فى بلاد العرب ـ مطبعة الاعتماد ١٩٢٧ ، ص ٣٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٥) صادوق . موشيه : يهود اليمن ، تاريخهم وأسلوب حياتهم (يهودى تيمان ، تولدوتيهم واورحوت حييهم) دار نشر عم عوبيد ، تل ابيب ، ١٩٦٣ ، ص ١٨ .
(٦) ظاظا . حسن (دكتور) ، والسيد عاشور : اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، ١٩٧٥ ص ٨٥ .

وهناك قول آخر بأن جماعة يهودية سكنتها سنة ٢٠٠ ميلادية وزاد عددها فى القرن السادس(٧) .

ومما سبق فليس هناك إجابة شافية وعلينا أن نكتفى بما جاء فى الأساطير وهى كثيرة وسنحاول الإشارة إلى بعضها .

«تقص إحدى الأساطير اليهودية أن ٧٥ الف يهودى منهم الكهنة واللاويون قد ذهبوا إلى اليمن فى عهد النبى (ارميا) ، وحينما دعا (عزرا) هؤلاء اليهود للعودة للقدس رفضوا ، فحرمهم نهائيا من حقوقهم المدنية ، وعلى أية حال تقول الروايات التقليدية أن (عزرا) حرمهم من الدفن فى فلسطين عقابا لهم ، ونتيجة لهذه الرواية التى لا تستند إلى أصل تاريخى ، فإن الآباء لا يسمون أطفالهم فى اليمن باسم (عزرا) على الرغم من أن كل الألقاب (التوراتية) موجودة هناك(٨) .

وأن هؤلاء المهاجرين دخلوا اليمن قبل خراب الهيكل الأول بأربعين عاما ، وأنهم كانوا مسلحين ، وتحصنوا فى قلعة (النقم) وأقاموا لهم حكومة هناك حتى جاء الإسلام .

وانتقال هذا العدد الخيالى من فلسطين إلى اليمن لم يرد فى أى مصدر علاوة على المبالغة فيه .

وتشير أسطورة أخرى إلى الأسرى اليهود الذين أرسلهم (بختنصر) ملك بابل إلى جنوب الجزيرة العربية .

وعن هذا كتب (يسحاق بن تسفى) يقول : « إن هذه الأسطورة تؤكد الأدلة السابقة ، بأنه فى داخل جيوش ملك بابل قد شغل أبناء «يهوذا» مكانا معلوما سواء بين الأسرى الذين أجلوا بواسطة بختنصر أو بين سكان يهوذا(٩) .

وعلى وجه العموم تعد الطائفة اليهودية فى اليمن من أقدم الطوائف اليهودية فى العالم ، وبداية الاستيطان اليهودى هناك تغلفه الأساطير ، ويدعى يهود اليمن نسبتهم إلى هؤلاء الذين رافقوا ملكة سبأ عند عودتها من زيارة الملك سليمان(١٠) .

وبعض المؤرخين يؤكد هذا استنادا لما جاء فى التوراة ، فى سفر الملوك(١١) وأخبار الأيام الثانى(١٢) وكذلك قصة سليمان مع ملكة سبأ فى القرآن الكريم(١٣) .

ويزعم أهل الأخبار أن تبعا اسمه (تبان أسعد أبو كرب) اهتدى إلى هذه الديانة أثناء مروره بيثرب عندما كان عائدا إلى اليمن من حروب له فى الشمال ، ومنذ ذلك الحين صارت اليهودية ديانة رسمية للبلاد(١٤) .

كما تزعم بعض الروايات أن حبرين من أحبار بنى قريظة وهما عالمان راسخان فى العلم قد هديا (التبع) إلى دين اليهود وأقنعاه بترك عبادة الأوثان ، وذلك أثناء غزوه ليثرب فتأثر بما سمع

البقية ص ٧٠٦

(7) Jacob De Haas : Encyclopedia of Jewish Knowledge, 1934 , P, 640 .

(8) The Jewish Encyclopedia, New York, London, 1905 , Vol, 12, P, 593 .

(٩) صادوق : نفس المرجع ، ص ١٨ .

(١٠) عبده ، على إبراهيم (دكتور) : يهود البلاد العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٣٤ .

(١١) ملوك أول : الإصحاح العاشر .

(١٢) أخبار الأيام الثانى : الإصحاح التاسع ١ ـ ١٢ .

(١٣) سورة النمل : ٢١ ـ ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٤ .

(١٤) جواد ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .

مقارنة القوات فى معارك الفتح الإسلامى

للدكتور: محمد بهاء الدين حنفى *

يكاد يجمع المستشرقون والكتاب الغربيون على رفض ما ورد بكتب المؤرخين المسلمين الأوائل عن المعارك الحربية التى دارت أثناء الفتح وبخاصة ما تضمنته من أرقام . وهم يقصدون من وراء ذلك التشكيك فى هذه المراجع حتى يتسنى لهم صياغة تاريخ الفتح فى الإطار الذى يخدم أهدافهم ، وتكاد حججهم لا تخرج عما ذكره « الجنرال جلوب » حيث يقول : « لم يكن لدى العرب أيام الفتح أية سجلات أو نظام للتوثيق ، ولم يكن التاريخ يهمهم فى قليل أو كثير - ويضيف :

إنهم لم يعنوا كثيراً بالمعارك العسكرية ولم يهتموا بالتواريخ والأرقام والحقائق - ثم يقول :

على الرغم من ميلهم إلى إعطاء الأرقام القريبة من الصحيحة بالنسبة إلى قوات المسلمين ، إلا أنهم كانوا ميالين كل الميل إلى المبالغة فى تقدير قوة أعدائهم ..»(1) ويتضح الهدف من إلصاق تهمة المبالغة بالمؤرخين المسلمين من خلال عبارة ساخرة ذكرها المستشرق الألمانى « فلهوزن » تعليقاً على بعض ما ورد بكتاب المؤرخ البيزنطى « تيوفانيس » حيث يقول :

« من السهل أن نفهم المقصود من ذلك ، وهو إثبات القاعدة الكبرى ، وهى أن النصر من عند الله فهو الذى يلقى الرعب فى قلوب الفئة الكبيرة من الكافرين أمام الفئة القليلة من المؤمنين ..»(2) .

وهى بلاشك محاولة لهدم القاعدة الإيمانية لمفهوم الجهاد فى الإسلام .

وللأسف ، نجد أن الطعن والتشكيك فى كتب المؤرخين المسلمين الأوائل ، انتقلا إلى كتابات العديد من المفكرين العرب . فمثلاً :

* الكاتب لواء أركان حرب سابقا .

يصف « د . طه حسين » كتب المؤرخين المسلمين بأنها : « أشبه بالقصص منه بتسجيل حقائق الأحداث » ، ويعلن شكه الكامل فى كل ما جاء بها عن تاريخ المواقع الحربية ، ثم يُعدد حججه فى أسلوب أدبى بليغ فإذا بها تتطابق تماماً مع آراء المستشرقين ويقول :

إنه لا سبيل أبداً إلى إيراد الأعداد الإحصائية سواء لقوة الجيوش أو عدد القتلى أو الأسرى خاصة فى ذلك العصر الذى لم تكن مناهج البحث والاستقصاء معروفة فيه »[٣] .

وإذا كان « د . طه حسين » ينهى بذلك أى أمل فى البحث عن حقيقة الأحداث فى كتب المؤرخين المسلمين ، فإن العديد من المفكرين المسلمين دعوا إلى البحث من جديد . فالأستاذ « سيد قطب » يعبر عن ذلك بقوله : « يجب أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامى على أسس جديدة كى تعطى كل أسرارها وإشعاعاتها ، وتنكشف بكل عناصرها ومقوماتها .»[٤] .

إن القضايا التى طرحها المستشرقون والمستغربون للطعن فى كتب المؤرخين المسلمين عن معارك الفتح عديدة ومتشعبة ولا يتسع تناولها فى مقال واحد . ونكتفى بمناقشة إحداها فى هذا المقال ، وهى : (**تهمة المبالغة فى تضخيم أعداد جيوش الروم والفرس والإقلال من عدد الجيش الإسلامى**) ، لأن هذه القضية تمثل محوراً هاماً يدور حوله الطعن فى كتب المؤرخين المسلمين . وحتى يكون الرد موضوعياً ، سوف نستند فى معظمه إلى ما ورد من بيانات فى مراجع الطاعنين أنفسهم .

وكمدخل للموضوع ، علينا أولاً أن نعلم : أنه بجانب العديد من العوامل التى تتحكم فى تحديد حجم القوات المسلحة لأية دولة ، تظل نسبة هذه القوات إلى التعداد السكانى للدولة من أبرز العوامل ، وبالتالى : فإن استنتاج حجم الجيوش التى كان فى مقدور المسلمين أو الفرس أو الروم حشدها خلال معارك الفتح بناءً على عدد السكان فى ذلك الوقت ، يعتبر مدخلاً موضوعياً لدراستنا . وطبقاً لدراسة معاصرة يتضح أن حجم القوات المسلحة فى الدول الغربية مقارناً بالعدد الإجمالى للسكان يمثل فى زمن السلم نسباً تتراوح بين ٠,٤٪ و١,٦٪ وتصل إلى ٧٪ وأكثر بعد استكمال التعبئة فى زمن الحرب[٥] وعلى الرغم من أن هذه النسب لم تكن معروفة فى عصر الفتح ، فإن المساواة فى تطبيقها على كلا الجانبين يقلل أى احتمال للمبالغة . بل وأكثر من هذا ، وحتى لا نقع فى شبهة التحيز ، سوف نأخذ فى دراستنا بنسبة التعبئة فى زمن السلم (١٪) لنطبقها على جيوش الفرس والروم ، بينما نفترض لجيوش المسلمين نسبة التعبئة فى زمن الحرب (٥٪) .

حجم قوات الروم

إن أول ما يلفت النظر ، ذلك التضارب الكبير فى البيانات الواردة بالمراجع الغربية عن حجم جيش الروم . وقد فسر ذلك المؤرخ الإنجليزى « ستيفن رتسيمان » بأنه كان أمراً مقصوداً للاحتفاظ بسرية عدد الجيش حتى لا يستفيد الأعداء[٦] كما أن تلك المراجع لم تورد رقماً محدداً أو متفقاً عليه عن إجمالى سكان الإمبراطورية فى زمن الفتح الإسلامى ، وهو ما سوف نحاول استنتاجه .

لقد قدر « إدوارد چيبون » تعداد سكان الإمبراطورية الرومانية عام ٤١ م بحوالى (١٢٠ مليون) نسمة ، معظمهم من سكان الولايات ، ولم تكن الحدود الرومانية فى ذلك الوقت قد بلغت أقصى اتساعها الذى بلغته عام (١٠٠ م) ..

مقارنة القوات فى معارك الفتح الإسلامى

وبانقسام الإمبراطورية عام (٣٩٥ م) إلى شرقية وغربية ، أخذت الإمبراطورية الشرقية (البيزنطية) طريقها إلى القوة والاتساع ، وورثت أهم البلاد والولايات ذات الكثافة السكانية العالية من الإمبراطورية القديمة ، وأصبح لها ولايات فى آسيا وأفريقيا(٧) وبذلك لا يكون من المبالغ فيه تقدير سكان الإمبراطورية البيزنطية بحوالى (٨٥ مليون) نسمة مع بداية القرن السابع أى بعد مرور حوالى ستة قرون على التقدير الذى ذكره « چيبون » ، أى أن الروم كان فى وسعهم حشد جيش تعداده لا يقل عن ٨٥٠ ألف مقاتل (١٪ من السكان) ، منهم على الأقل (٥٠٠ ألف مقاتل) فى مواجهة جيش المسلمين ، وهو تقدير لا يشكل أية مبالغة ، لأن الإمبراطورية البيزنطية ركزت جهودها فى ولايات الجبهة الشرقية والجبهة الجنوبية (مصر والشام) دون أن تستنزف جهودها فى الاتجاه الغربى كما يذكر « رتسيمان »(٨) . فضلاً عن أن الإمبراطورية كانت تدافع عن مستقبلها ووجودها بعد أن تصاعد تيار الفتح الإسلامى . والواقع أن تقدير قوة جيش الروم بهذا الحجم (٥٠٠ ألف مقاتل) يتفق مع البيانات التى وردت بالمراجع الأجنبية . فقد اعتمد نظام الدفاع الإقليمى للإمبراطورية على الاحتفاظ بقوات نظامية محلية فى عدد من اللواءات وكانت قوة اللواء (الثيما) تبلغ (١٠) آلاف مقاتل كما يذكر « نورمان بينز »(٩) وكان بالولايات الشرقية (١٤) لواءً مجمل قوتها (١٤٠) ألف مقاتل فى زمن السلم ترتفع بالدعم إلى حوالى نصف مليون مقاتل .

وقد أشار « جلوب » إلى ضخامة حجم الدعم بقوله : « إن هذا الدعم كان كبيراً لدرجة أن ثلثى جيش الروم المقاتل فى الشام كان من الأرمن والعرب الموالين للروم ، بينما كان الثلث الباقى من المجندين »(١٠) ولا يتسع المجال لسرد التفاصيل الكثيرة التى وردت عن تشكيل وأسلوب تعبئة الجيش البيزنطى ، وهى فى مجملها تجعل من رقم (نصف المليون) مقاتل ، رقماً مقبولاً .

حجـم قـوات الفـرس :

يذكر «جلوب» أن الامبراطورية الفارسية فى تلك الأيام كانت تمتد بعيدا إلى السند فى دولة الباكستان الحديثة وتضم كل ما نسميه (أفغانستان) هذا بالإضافة إلى (إيران) و(العراق) ـ ونحن نعلم أن (إيران) آنذاك كانت تضم أيضاً الولايات الإسلامية التى ضمها الاتحاد السوفيتى إلى ممتلكاته ـ كما أن «جلوب» قدر تعداد سكان مصر حينذاك بحوالى (٧ ملايين) نسمة(١١) .

ويمكننا الاسترشاد بذلك لتقدير التعداد السكانى لفارس بحوالى (٣٠ مليون) نسمة . وبالتالى فإن الجيش الفارسى لا يقل عن (٣٠٠ ألف) مقاتل (١٪ من السكان) وبعض المراجع الغربية تورد ما يؤيد هذا التقدير أيضاً . فيذكر «دونالد ولبر» أن الاسكندر الأكبر قهر بجيشه الصغير البالغ (٣٥ ألفا) جيشا فارسيا قوته (٣٥٠ ألفا) عام (٣٣٤ ق . م) فى (ايسوس) ، ويضيف أن جيش الفرس كان مقسما إلى «ست فرق» تضم كل فرقة منها (٦٠ ألف) جندى بخلاف حرس الملك الخاص البالغ (١٠ آلاف) مقاتل . كما أنه يذكر أيضاً أن المسلمين هزموا جيشا فارسيا فى القادسية تعداده (١٢٠ ألف) مقاتل ثم أبادوا جيشا فارسيا مماثلا فى نهاوند(١٢) . وعلى ذلك فإن رقم (٣٠٠ ألف) مقاتل رقم مقبول لجيش الفرس .

حجم الجيش الإسلامى :

يقرر «جلوب» أن الأرقام التى ذكرها المؤرخون المسلمون عن الجيش الإسلامى «قريبة من الصحيحة» ، ويذكر أن عدد سكان سوريا وفلسطين عام ٦٤٨ م كان لا يزيد على (٣ ملايين) نسمة ، وأنه ـ أى هذا الرقم ـ كان يفوق إجمالى سكان شبه الجزيرة العربية حينذاك(١٣) كما يقرر «جلوب» أن العرب الذين خرجوا من الجزيرة العربية هم الذين حملوا على أكتافهم وحدهم عبء كل الفتوحات وأنهم ـ على حد قوله : «كانوا قلة فى عددهم الذى لم يمثل سوى (٢ ـ ٣٪) من إجمالى سكان الامبراطورية الإسلامية عام (٧٥٠ م)(١٤) .

وعلى ذلك ، فإننا نقدر تعداد سكان الدولة الإسلامية قبيل الفتح بحوالى ١,٥ ـ ٢ مليون نسمة موزعين على تلك المساحة الشاسعة من الأرض الفقيرة فى وسائل المواصلات السهلة مما يجعل ظروف حشد وتعبئة القوات بها من أصعب الأمور فضلاً عن انفراد المسلمين بنظام التطوع فى حالة التعبئة . بل إن عددا كبيرا من المسلمين الذين قوتلوا فى حروب الردة ، حُرِموا من المشاركة فى جيش الفتح الإسلامى خلالَ المراحل الأولى من القتال .

ومع ذلك :

سوف نفترض أن الجيش الإسلامى بلغ (٥٪) من إجمالى التعداد السكانى ، أى أن أقصى حجم يمكن تصوره لهذا الجيش يتراوح ما بين ٧٠ ألفا إلى ٩٠ ألف مقاتل . وهو رقم قريب من تقديرات «جلوب» والتى ذكر فيها أنه خُصص جيش إسلامى قوته (٣٠ ألفا) فى جبهة فارس وجيش آخر قوته (٢٥ ـ ٤٠ ألفا) فى جبهة الشام وأعيد تشكيل جيش ثالث تراوحت قوته بين (١٢ ـ ١٥ ألفا) لفتح مصر .

ومن الغريب أن «جلوب» ذكر تلك الأرقام عندما قصد بلوغ هدف آخر وهو نفى عروبة الدول التى فتحها المسلمون بقوله : إن الحجم الضئيل لجيش الفتح الإسلامى ما كان ليترك هذا الأثر وأن قلة حجم المسلمين ضاعت فى الخضم الهائل من سكان البلاد المفتوحة(١٥) .

المقارنة العامة للقوات المتحاربة :

استعرضنا فيما سبق ما تضمنته بعض المراجع الأجنبية من بيانات تصل بنا إلى تصور الحجم الذى كان ممكنا حشده بسهولة طبقا لطاقات كلا الجانبين المتحاربين . ومنها يمكن الخروج بنسبة للمقارنة العامة لقوات الجانبين كما يلى :

البيـــــــان	الجبهـة الرومـانيـة (الشـام ومصر)		الجبهة الفارسية	
	المسلمون	الروم	المسلمون	الفرس
إجمالى القوات النسبة	٥٠ ألفاً ١	٥٠٠ ألف ١٠	٣٠ ألفاً ١	٣٠٠ ألف ١٠

أى أن قوات المسلمين كانت تُوَاجَهُ فى كل جبهة بقوات تبلغ عشرة أمثالها . ومع ذلك فإن هذه النسبة (١ : ١٠) تمثل الحد الأدنى ، أى أنها قد تزيد لأسباب عديدة :

أولا : يجب أن نضع فى الاعتبار أننا احتسبنا نسبة تعبئة القوات إلى عدد السكان بشكل يحقق أدنى نسبة فيما يتعلق بالروم والفرس ، بينما يحقق أعلى نسبة للمسلمين ابتعادا عن شبهة التحيز .

ثانيا : أننا لم ندخل فى حساب المقارنة حجم قوات الأساطيل الخاصة بالروم ، والتى تقدر بحوالى (٨٠ ألف) مقاتل حسبما ورد فى بيانات كل من «نورمان بينز» و«جلوب» كما أننا لم نحتسب قـوة سلاح الأفيـال (المدرعـات) المستخدمة فى جيش الفرس .

ثالثا : كان الجيش الإسلامى هو الطرف **(المهاجم)** بينما خاضت جيوش الروم والفرس **(حربا دفاعية)** الأمر الذى يزيد من عبء الجيش الإسلامى ويضاعف من نسبة المقارنة . وجميع العسكريين يعلمون أهمية تحقيق نسبة التفوق العددى للقوات المهاجمة إلى القوات المدافعة ، وهى غالبا ما تكون (٣ : ١) .

رابعا : كما أن عنصرى «الحشد» و«القيادة» لهما وزن كبير فى أى مواجهة مسلحة . فالقيادة الإسلامية كانت تدير حربا طاحنة فى جبهتين فى وقت واحد ، بينما تفرغت كل من القيادة الفارسية والرومانية لإدارة حرب دفاعية كُلٌّ على جبهته .

خامسا : كانت الخبرة القتالية بما تشمله من عناصر التدريب والتسليح والتنظيم فى جانب الفرس والروم ، وهو ما يضيف الكثير إلى عنصر التفوق العددى بمفهومه الرقمى المحدود .

مراجع التأريخ الإسلامى القديمة ، وبياناتها عن حجم القوات :

لم تحدد هذه المراجع الحجم الإجمالى لقوات كلا الجانبين المتحاربين ، وإنما عنيت بذكر تفاصيل هذه الأرقام فى كل معركة على حدة . ومن خلال تلك الأرقام سوف نحاول التوصل إلى الحجم الإجمالى للقوات فى مسارح العمليات التى شملها الفتح الإسلامى ، والخروج بالنسبة لمقارنة القوات كما جاءت بالمراجع الإسلامية . وسوف نركز على أكثر المعارك التى تعرضت صحة أرقامها لطعن المستشرقين وهى «أجنادين» و«اليرموك» بالشام ، و«بابليون» و«الاسكندرية» بمصر ، و«القادسية» و«نهاوند» فى فارس . على أن يتم تجميع تلك الأرقام من أهم المراجع الإسلامية وهى «تاريخ الأمم والملـوك ـ للطبرى»[١٦] ونرمز إليه بالحرف (أ) «البداية والنهاية ـ لابن كثير»[١٧] ونرمز إليه بالحرف (ب) ، «فتوح البلدان ـ للبلاذرى»[١٨] ونرمز إليه بالحرف (جـ) . والجدول التالى يوضح نتائج هذا التجميع للبيانات :

مسرح العمليات	المعركة	إجمالى القوات المتحـــاربة (بالألف) ، المرجع		متوسط نسبة المقارنة
		المسلمون	الروم / الفرس	
الشام	اجنادين اليرموك	٢٥ (جـ) ـ ٤٠ (أ ، ب) ٢٤ (جـ) ـ ٤٦ (أ ، ب)	٩٠(أ) ـ ١٢٠ (ب ، جـ) ٢٠٠ (جـ) ـ ٢٤٠ (أ ، ب)	١ : ٣,٢ ١ : ٦,٢
مصـر	بابليون الأسكندرية	١٢ ـ ١٥ (جـ) ١٢ ـ ١٥ (جـ)	اكثر من ١٠٠ (جـ) ١٢٠ ـ ٢٠٠ (جـ)	١ : ٧,٤ ١ : ١٢
فارس	القادسية نهاوند	١٢ (أ ، جـ) ٣٠ (أ ، ب ، جـ)	١٢٠ (أ ، جـ) ١٠٠ (جـ) ـ ١٥٠ (أ ، ب)	١ : ١٠ ١ : ٤

أى أن قوات الفرس والروم التى خاضت تلك المعارك ضد المسلمين ، كانت تتفوق عليهم طبقاً لكتب المؤرخين المسلمين بنسبة متوسطة تقريبية تبلغ (٧ : ١) . وهى بالقطع تقل كثيراً عن النسبة التى توصلنا إليها من قبل من المراجع الغربية (١٠ : ١) .

ونحن نقدر تماماً مشاعر الحيرة لدى المستشرقين والمستغربين على حد سواء ؛ لأن نتائج المقارنة مذهلة قطعا ، ولها دلالتها الأليمة فى نفوس المستشرقين . فقد حاول « جلوب » أن يخفف من وقعها بقوله : « من واجبنا أن ندرك أن الجيوش البيزنطية والفارسية كانت أعظم القوات العسكرية فى ذلك العهد ، وكان ضباط تلك الجيوش يدرسون المؤلفات عن التاريخ العسكرى وفنون الحرب ، وكانت لكل من تلك الجيوش تقاليدها العسكرية الخاصة بها والتى تبلغ فى عمرها عدة قرون وكان سلاحها من أحدث الأسلحة (تقنية) ... ولم تكن تنظر إلى الشعوب المتخلفة كالشعب العربى إلا بعين الزراية والامتهان » ـ ثم يضيف ـ « تمكن العرب ... من الاندفاع من صحاريهم ... ليطيحوا فى وقت واحد ، بأعظم أمبراطوريتين عسكريتين فى عالم تلك الأيام ... وتمكنوا من الاستيلاء على ثلثى امبراطورية الروم بينما قضوا على مملكة الفرس قضاء مبرما .. وكان أهل الجزيرة العربية ـ وحدهم ـ هم الذين قاموا بتلك الفتوحات .. التى تكاد تشبه المعجزات .. !! »(١٩) .

خاتمـــــة

لا نريد أن نغبن المستشرقين ، فالكثير من كتب المراجع التى نعتمد عليها فى دراستنا يرجع الفضل فى ظهورها إليهم . ولكننا ـ كما قال « د . الخربوطلى » ـ لن نجرد المستشرق أو الباحث الأجنبى فى الدراسات الإسلامية من التأثر بمواريثه الدينية الخاصة (٢٠) .

ونطبق ماورد فى الحديث الشريف من قوله ـ ﷺ ـ : « **الحكمة ضالة المؤمن** »(*) وإذا كان الاعتراف بالفضل واجبا ، فإن الحق لا ينكره إلا جاحد . فقد بات واضحاً أن ماذكره المؤرخون المسلمون الأوائل عن حجم جيش المسلمين فى معارك الفتح الإسلامى ، صحيح ما فى ذلك من شك . وأن ما ذكروه عن حجم جيوش الفرس والروم فى تلك المعارك ، هو الأقرب إلى الصحة والدقة والقبول . ولا ننسى أن بعض هؤلاء المؤرخين كتب تفاسير القرآن الكريم . ولا ننسى أن مراجع المؤرخين المسلمين انفردت بذكر هذه الأرقام ولم يتمكن الكتاب الغربيون من تقديم أرقام مخالفة لها مستندين فى ذلك إلى وثائق أو حتى مراجع غير إسلامية ، بل إن ما ذكروه من أرقام كانت وليدة التخمين والافتراض..

والخلاصـــــة :

أننا ننفى صفة « المبالغة والتهويل » التى حاول المستشرقون إلصاقها بكتب المؤرخين المسلمين الأوائل فيما نحن بصدده .

إن كنوز التاريخ العسكرى الإسلامى بهذه المراجع القيمة ، مازالت تستحث همم الباحثين المسلمين المخلصين وبخاصة العسكريون ؛ فأحداث الفتح الإسلامى لا يدرك كنهها ومغزاها إلا من عاش بعقله وروحه وحسه فى جو الإسلام . وخير ختام لمقالنا ، قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾(٢١)

صدق الله العظيم

البقية ص ٦٩٢

(*) حديث « الحكمة ضالة المؤمن » القضاعى فى مسنده من حديث الليث عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم مرفوعا بزيادة « حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه » وهو مرسل . انظر للإمام السخاوى ـ المقاصد الحسنة ص (١٩١) حديث رقم ٤١٥ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط أولى ١٣٩٩هـ .

بكائية فى ثنيات الوداع

شعر: السيد الصديق

« طلع البدر علينا ** من ثنيات الوداعِ »
« وجب الشكر علينا ** ما دعا لله داعِ »
« أيها المبعوث فينا ** جئت بالأمر المطاعِ »
نحن بالله رضينا ** عن يقين واقتناع

***

يا لماضٍ قد تناهى ** فى علو وارتفاعِ !
يومَ كان المسلم الحقُّ طهوراً كالشعاعِ
ليس يخشى الموت فى الله أخو قلب شجاعِ
يحكم الدنيا بعلمٍ ** ويدٍ طولى صناعِ
كان رمز العدل رمز الفضل مرضى المساعى
بارك الله خطاه ** فى ارتباع وانتجاع
كيف أصبحنا غثاء ** لا يُرجَّى فى انتفاع ؟!
لا يزال الضر فينا ** ما بقينا فى نزاع

***

من جفا الإسلام يبقى ** فى هوانٍ واتضاع !
حاز خسراناً مبينا ** من حوى سوء الطباع

إنما الدنيا متاع ** ذرعه مقدار باع
قد أتى حوباً كبيراً ** من غدا عبد المتاع !
كلما هبت رياح ** ألهبت شوق الشراع !

***

يارسول الله صرنا ** أمة من غير راع !
كفة الأقوام شالت ** فى موازين الصراع
لم يؤلفهم نظام ** فى انفراد واجتماع
أرضهم مأوى شريد ** وبنوهم فى ضياع !

***

أمة الإسلام باتت ** بين أنياب السباع !
يتداعون عليها ** لافتراسٍ وابتلاع !
مرتقى « المعراج » يعثو ** فيه أولاد الأفاعى
يصرخ « الأقصى » حزيناً ** فى صعاليك الرعاع
كيف دنستم رحاب « القدس » ياأهل الخداع ؟!
واقترفتم كل إثمٍ ** معلن القبح مذاع ؟!
يأذن الله لنار الحرب يوماً بإندلاع
ليميز الطيب الندب من النذل اليراع
هذه الأحجار فى « الضفة » ثارت و « القطاع»
وانتضى الشعب الفلسطيني عزماً للدفاع
أسد غيل صادفت يوم الوغى آرام قاع
ليس أقوى من شباب ** طالبى حق مضاع
لا تراعى أمة القرآن . صبراً لا تراعى !
إن نصر الله منك اليوم أدنى من ذراع !
أنت شمس الله يحيى نورها كل البقاع
إن نور الله لا يخبو ولن ينعاك ناع !

الأذان

للأستاذ عمر موسى البرعى

إن الأذان بـه المؤذن يصدع ... وله المصلى بالمهابة يخشع
ذِكْرٌ به لفظ الجلالة خافق ... وبه المُوحِّدُ للمهيمن يركع
صوت يدوى فى السماء رنينه ... إبليس يهرب من صداه ويفزع
أنواره فوق المآذن أشرقت ... تهدى العباد إلى الصلاة وتجمع
وسناه قد عم القلوب بنوره ... والمسلمون على هداه تجمعوا
(الله أكبر) للهداية رددت ... وغدا صداها للمسامع يقرع
تلك الشعيرة عُظِّمَتْ لجلالها ... وإلى السماء من المآذن ترفع
إن الأذان شعيرة محمودة ... وبها الموفق للفرائض يخضع
ونشيده عذب سمت أسراره ... والفيض فيه للخلائق متبرع
كم تطرب الآذان عند سماعه ... ويلذ للعبد التقى فيهرع
(الله أكبر) صيحة قد جلجلت ... فالقلب يصبو والنواظر تدمع
ورنينها العلوى يخترق السما ... فهو النداء العبقرى الأروع
حسب الأذان بأن فيه شهادة ... لله والمختار فيه يتبع
والله يجزى بالأذان عباده ... بمثوبة فيها العطاء الأوسع
فضل المؤذن ليس يحصر خيره ... فالخير موصول به لا يقطع
والله يعطيه على قدر المدى ... من صوته وصداه فيه مرجع
وينيبه من أفضاله ونعيمه ... أمنا به فى جنة لا يجزع
إن الأذان هو النداء لأمة ... المرء فيها للرضا يتطلع
ومن استجاب له فنعم مآله ... عقبى استجابته ونعم المرجع
طوبى لمن سمع النداء ملبيا ... وإلى بيوت الله دوما يسرع

تأملات فى الحياة والموت

"لأبى العلاء المعرى"

غير مجد فى ملتى واعتقادى ... نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى إذا قيـ ... ـس بصوت البشير فى كل ناد
أبكت تلكم الحمامة، أم غنت ... على فرع غصنها المياد
صاح: هذى قبورنا تملأ الرحب ... فأين القبور من عهد عاد؟
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض ... إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهد ... هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت فى الهواء رويداً ... لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... فى طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسَّا ... من قبيل وآنسا من بلاد
كم اقاما على زوال نهار ... وأنارا لمدلج فى سواد
تعب كلها الحياة فما أعجب ... إلا من راغب فى ازدياد
إن حزناً فى ساعة الموت ... أضعاف سرور فى ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ... أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال ... إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها، والعيش مثل السهاد

• • •

الشاعر: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعري، نسبة إلى معرة النعمان إحدى قرى الشام التى ولد بها، أصيب بالعمى فى طفولته، ولكنه ثابر واجتهد ودرس النحو واللغة على أبيه وارتحل فى سبيل العلم إلى طرابلس الشام واللاذقية وبغداد، وأخذ بنصيب من فلسفة الهند والفرس واليونان، عاد إلى مسقط رأسه بالمعرة وزهد الدنيا واعتزل الناس وسمى نفسه «رهين المحبسين» وعاش عمره للتأمل والتفكير فلم يتزوج وكان لا يأكل اللحم، ويظهر أثر البيئة فى شعره حيث يدل على انتشار الأفكار الفلسفية والجدل الدينى بين الشعراء والمفكرين، وله ديوان شعر مطبوع يسمى اللزوميات أو «لزوم ما لا يلزم» وله كذلك «سقط الزند» فى عدة أجزاء -وقد تناول حياته وشعره بالتحليل والنقد كثير من الأدباء والمفكرين

القصيدة: رثاء لصديق عزيز رحل ثم هى بعد ذلك رد على بعض الملحدين الذين ينكرون البعث وفيها التعمق والإيمان بالبعث والنشور والمعانى الإنسانية السامية -وقد يميل إلى التشاؤم أحياناً.

العلوم الكونية في التراث الإسلامي
٣

أ. د. أحمد فؤاد باشا

ثالثاً : النظرية الذرية :

إن تطور العلم والتقنية قد بلغ الآن حداً يستطيع عنده الإنسان أن يسلم بوجود الجزء الأصغر الذى تتكون منه مادة كل عنصر كيميائى ، وهو ما أطلق عليه فلاسفة الإغريق اسم « أتوم » Atom وظهر فى تراثنا الإسلامى باسم « الجزء الذى لا يتجزأ » و« الجوهر الفرد » ، ثم دخل فى لغتنا العربية حديثا باسم « الذرة » وذلك على سبيل ترجمة غير دقيقة لكلمة « أتوم Atom » التى تعنى فى لغة الإغريق « غير المنقسم » أو « غير القابل للانقسام » ، بالرغم من احتفاظ اللغات الأجنبية الأخرى بنفس الكلمة كما هى فى الأصل الإغريقى لتؤدى المعنى المقصود منها[1] .

وإذا كان إنسان القرن العشرين قد أفاد كثيراً من مختلف تطبيقات النظرية الذرية فى الأغراض السلمية ، فإنه فى نفس الوقت لم يسلم من آثارها المدمرة وتهديداتها المروعة عند استخدامها فى أسلحة الحرب وقنابل الخراب والإبادة . وقد جاءت النتائج العملية لتطبيقات النظرية الذرية على هذا النحو أو ذاك بعد أن مرت بمراحل عديدة عبر آلاف السنين ، كانت فى معظمها فلسفية الطابع ، وظلت كذلك حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر ، حيث أخذت فى التحول إلى نظرية علمية يمكن أن يعول عليها فى تفسير الكثير من الظواهر الفيزيائية والكيميائية ، وإن كان فهم الإنسان الكامل لنموذج الذرة وتصوره الصحيح عن تركيبها الدقيق لم يكتملا بعد حتى

---

(١) كلمة « ذَرَّة » فى اللغة العربية تجمع على « ذَرّ » : وهو صغار النمل ، ومن ابرز معانيها انها تطلق على ما يرى من هباء وجسيمات دقيقة فى شعاع الشمس الداخل من النافذة (انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة « ذر ») ، ومعناها البيانى المقصود : هو التهوين والتصغير والتقليل . قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (سورة الزلزلة : ٧ ، ٨) . أما استخدام مصطلح « الذرة » بمعناه الفيزيائى الكيميائى فى لغة العلم العربية فقد شاع وأصبح مقبولاً باتفاق الناس عليه ، لكنه لا يطابق المعنى اللغوى والبيانى من وجوه عدة .

الآن . ولعله من المفيد أن نتتبع بإيجاز مسيرة النظرية الذرية The atomic theory منذ نشأتها على أيدى فلاسفة العصور القديمة ، آملين من خلال ذلك أن نكشف النقاب عن الدور الذى لعبه علماء المسلمين فى تطوير واحدة من أهم النظريات العلمية المعاصرة ، وأن نلقى مزيداً من الضوء على إسهامهم فى تأصيل قواعد المنهج العلمى بصورة عامـة ، وتطويـرهـم لمعنى « الفرض » وأهميته فى عملية التفكير بصورة خاصة .

نشأة النظرية الذرية :

نشأت فكرة « الذرة » فى تفكير الإنسان لأول مرة ، عندما واجهته أول مشكلة فلسفية تتعلق بالتساؤل عن مبدأ الكون ، أو المادة الأولى التى نشأ منها ، وعن مدى إمكانية تقسيم المادة وصولاً إلى الجزء الأصغر منها . ويبدو أن هذا التساؤل كان بدوره نتيجة منطقية لاعتقاد مؤداه أن فهم الكون يتطلب معرفة بعض الشىء عن أجزائه الصغرى . وهو اعتقاد فطرى صحيح إلى حد كبير ، ولا يزال له انعكاس فيما يتردد الآن من نظريات حول أصل الكون ونشأته بعد أن زاد عليه « هيزنبرج » بقوله : إن فهم أى شىء عن تركيب الظواهر الطبيعية يتم عن طريق اكتشاف العلاقات الرياضيـة المعبرة عن أجـزائها الصغرى(٢) .

وتنسب النظرية الذرية فى نشأتها عادة إلى « لويقيبوس » الملطى وتلميذه « ديمقريطس » فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وإن كان المؤرخ والجغرافى اليونانى القديم « سترابو » Strabo قد عزا نشأتها إلى « موشوس » Mochos الفينيقى الذى سبق « لويقيبوس » ببضعة قرون(٣) . وتشير بعض المصادر إلى أن بداية التفكير فى « الذرة » تعود إلى الفيثاغوريين الذين نادوا فى القرن السادس قبل الميلاد بالذرية العددية عندما قالوا بأن الوحدات الأساسية للأشياء هى أشكال رياضية أو أعداد . وهناك أيضاً من يقول بأن الهنود القدماء تكلموا فى « الذرة » منذ مطلع القرن السادس قبل الميلاد ، لكن كلامهم هذا كثير الغموض لاختلاطه بنظريتهم القديمة « نحو عام ١٥٠٠ ق . م » حول العناصر الخمسة المؤلفة للوجود وهى التراب والماء والنار والهواء والأثير(٤) . ويميل بعض المؤرخين إلى ترجيح احتمال وصول هذه الآراء إلى لويقيبوس وديمقريطس ، أحدهما أو كليهما ، وخاصة أن الأخير قد عرف عنه أنه سافر إلى مصر والحبشة وبابل وفارس والهند ، فضلاً عن طوافه بلاد اليونان ، ولا شك أنه تعلم كثيرا من هذه الأسفار(٥) .

---

(٢) د . ڤيرنر هيزنبرج ، الجزء والكل ، محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية ، الترجمة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

(٣) جاء فى معجم الاعلام بقاموس « المورد » لمنير البعلبكى ، ص ٨١ من طبعة عام ١٩٨٦ أن آثار سترابو « ٦٤ ق.م - ٢٣ ؟م » تعد مرجعا معتمداً فى دراسة التاريخ القديم . أما المعلومة الواردة عنه فقد استقيناها من المرجع التالى :
F.W. Dobbs, A. Forslev and R.L. Gilbert, « The physical Sciences, » Alhyn and Bacon, Inc. Boston (1972), P. 195 .

(٤) ليست هذه العناصر هى المواد التى نعرفها اليوم بهذه الأسماء ، بل هى مثالات عامة لأصناف الأجسام الموجودة فى عالمنا ، فالتراب يمثل جميع الأجسام الصلبة ، والماء يمثل جميع السوائل ، والهواء يمثل جميع « الغازات » والأثير هو امتداد مكانى هادىء يتيح لباقى العناصر أن تتحرك وتتشكل الأجسام فيه . راجع فى ذلك :
عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦٧ .

(٥) د . محمد عبد الرحمن مرحبا ، الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٠ ص ٣٥ ومابعدها

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

ومهما يكن من أمر الخلاف حول صاحب فكرة الأساس الذرى للعالم ، فإن أول صياغة للنظرية الذرية قد قام بها لويقيبوس وديمقريطس فى صورتها التقليدية ، وأضاف إليها أبيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م) بعض الإضافات البسيطة ، ثم طرحها لوكريتيوس (٩٩ - ٥٥ ق.م) طرحا وافيا عن أبيقور فى قصيدته الشعرية « عن طبائع الأشياء » On the nature of things وليس يعنينا هنا تفصيل الفروق الفرعية بين هذه الفلسفة أو تلك ، ولا أى الفلسفات نقلت عن الأخرى أو تأثرت بها ، وإنما أول ما نود توضيحه هو أهم الأفكار التى تضمنتها آراء القائلين بالتفسير الذرى فى التراث الإغريقى ، والتى تتمثل إجمالاً فى افتراض أن العالم يتألف من ملاء « أى مادة » وخلاء « أى فراغ » ، وأن الملاء قوامه ذرات أو وحدات متجانسة لا تقبل الانقسام . وهى وإن كانت متناهية فى الصغر بحيث لا تدركها الحواس ، إلا أن العقل يمكنه إدراكها بالاستنتاج الرياضى . كما أنها لا متناهية فى أعدادها وأشكالها وأحجامها وترتيبها ، وإليها تعزى كل ثروة الأشكال والظواهر المتباينة للعالم ، وليست خصائص المواد المختلفة - فى زعم هذه النظرية - إلا نتيجة غير مباشرة لاختلاف طرق ترتيب الذرات وحركاتها النسبية . بل إن ما نلاحظه من تغيرات فى الأشياء وفى العالم ترجعه النظرية إلى ما يطرأ على هذه الأشياء أو ما يستحدث بها من تغير فى الوضع النسبي للذرات الداخلة فى تركيبها .

وقد عبر ديموقريطس نفسه عن مضمون نظريته الذرية بقوله : « كما يمكننا بنفس الحروف كتابة التراجيديا وكتابة الكوميديا ، كذا يمكننا أن نعرف الوقائع المتباينة لهذا العالم بنفس الذرات ، طالما كانت هذه تشغل أماكن مختلفة وتتخذ حركات متباينة »(٦) وهذا يعنى أن العالم الذى نعيش فيه ، فيما يعتقد أصحاب المذهب الذرى ، آلى محض ، أو محكوم بآلية محضة .

النظرية الذرية فى التراث الإسلامى :

إذا كان المذهب الذرى الذى وضعه فلاسفة الإغريق لايزال يحظى باهتمام كبير من جانب بعض المؤرخين وفلاسفة العلم الغربيين - ومن يدور فى فلكهم - يعرضون لتاريخ النظرية الذرية بالتحليل والتأصيل ، فإن الأمر من جانبنا نحن المسلمين يجب أن نتناوله بكل الحذر ولا نبالغ فى تقديره فوق ما يجب ، لأن هذا المذهب قام على كثير من الخيال ومن الجدل النظرى العقيم ولم يقم على منهج علمى منظم ، وهو بعيد كل البعد عن المدرك المعاصر فى تركيب المادة وبناء الذرة ، فضلاً عن أنه يستند عند أنصاره ويذهب بهم إلى أقصى حدود النزعة المادية الآلية التى تسيِّر - فى نظرهم - جميع الأشياء بحتمية القانون الطبيعى(٧) .

وقد اطلع المسلمون الأوائل على آراء فلاسفة الإغريق فى « الذرة » أو « الجوهر الفرد » من خلال مترجماتهم إلى اللغة العربية ، وخاصة ماجاء عن المذهب الذرى لديموقريطس فى كتابى « الميتافيزيقا » و« النفس » لأرسطو . وكان

---

(٦) فيرنر هيزنبرج ، المشاكل الفلسفية للعلوم النوويه ، الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٧٢ .

(٧) المادية Materialism نزعة فلسفية يزعم اتباعها أن المادة أصل كل شيء ، وبها دون غيرها تفسر الموجودات . والآلية او الميكانيكية Mechanism منحى فلسفى يعول على التفرقة بين المادة والقوة ويرد التغيرات كلها إلى الحركة ، فيقال حركة آلية لما لا تفكير فيه تقريباً ، ويقال تفسير آلى لكل ما يعتمد على الظواهر الحسية والمادية وحدها . أما الطبيعية

طبيعيا أن يتبرأ مفكرو الإسلام من هذا المبدأ الذى يجحد أصحابه الصانع المدبر للعالم وينكرون وجود الخالق الواحد جل وعلا ، كما ينكرون النبوة والبعث والحساب . وقد وصفهم الغزالى « فى المنقذ من الضلال » بالزنادقة ، كما وسموا بالدهرية الذين عناهم القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦) .

ولما كان المجال هنا لا يسمح بإسهاب الحديث حول كل ما جاء فى التراث الإسلامى بخصوص « النظرية الذرية » ، فإننا سنكتفى بالإشارة إلى مثالين ذوى مغزى يوضحان كيفية تناول المسلمين لهذه القضية الهامة من جانبيها الفكرى والعلمى التطبيقى .

١ ـ بالنسبة لفكرة « الذرة » ، يأتى أبو الهذيل العلاف فى مقدمة فلاسفة المسلمين الذين ساهموا فى أول صياغة إسلامية لنظرية « الجزء الذى لا يتجزأ » بحيث تنسجم انسجاما مطلقا مع مذهبهم الدينى(٨) . ويقضى السياق العام لهذه النظرية عند العلاف بأن العالم يتكون من عدد من « الذرات » أو الجواهر المفردة ، أو الأجزاء البسيطة التى لا تتجزأ ، وإلى هذه الأجزاء التى لا تتجزأ تنحل جميع الموجودات ، « إن الخردلة يجوز أن تتجزأ نصفين ، ثم أربعة ثم ثمانية إلى أن يصير كل جزء منها لا يتجزأ . ويجوز على الجوهر الواحد الذى لا ينقسم إذا انفرد ما يجوز على الأجسام من الحركة والسكون ، وما يتولد عنهما من المجامعة والمفارقة . وهذه الأجزاء تتحرك « فى خلاء » ، لكنها لا تتحرك ولا تسكن بذاتها لأن الله من حيث هو ذات مريدة وقادرة هو الذى أوجد الحركة فيها والسكون » .

وقد أخذ بهذه النظرية بعد ذلك كثيرون من المعتزلة ، ثم وضعها الأشاعرة ، ولا سيما أبو الحسن الأشعرى وتلميذه الباقلانى ، فى صورة أشمل جعلت منها مذهبا للأشاعرة(٩) .

٢ ـ أما بالنسبة للجانب العلمى من النظرية الذرية فى التراث الإسلامى فإننا نختار ما يدل عليه من إحدى التجارب الكيميائية العملية التى أجراها جابر بن حيان (٧٣٧ ـ ٨١٥ م) لتحضير الزنجفر « أو كبريتور الزئبق » حيث يقول : « لتحويل الزئبق إلى مادة صلبة حمراء ، خذ قارورة مستديرة وصب فيها مقداراً ملائماً من الزئبق واستحضر آنية من الفخار بها كمية من الكبريت حتى يصل إلى حافة القارورة ، ثم ادخل الآنية فى فرن واتركها فيه ليلة بعد أن تحكم سدها ، فإذا ما فحصتها بعد ذلك ، وجدت الزئبق قد تحول إلى حجر أحمر ، وهو ما يسميه العلماء بالزنجفر ، وهى ليست مادة جديدة فى كليتها ، والحقيقة أن هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتهما ، وكل ما حدث انهما تحولتا إلى دقائق صغيرة امتزجت ببعضها ، فأصبحت العين المجردة عاجزة عن التمييز بينهما ، وظهرت المادة

◄

« أو النيتشرية » Naturalism فهى مذهب الطبيعيين ، والموسومين بالدهرية نسبة إلى الدهر أو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك ، حيث يزعمون أن العالم وجد نفسه دون علة خارجة عنه ، ويردون جميع الأشياء إلى الطبيعة وحدها فيفسرون كل شىء فى ضوئها ويستبعدون كل مؤثر يجاوز عالم الطبيعة .

« راجع : المعجم الفلسفى ، إصدار مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٣ » .

(٨) أبو الهزيل العلاف من أشهر فلاسفة المعتزلة ، ولد عام ١٣٥ هـ/٧٥١ م ، وتوفى عام ٢٣٥ هـ/٨٤٩ م .

(٩) راجع فى ذلك بالتفصيل : د . على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، الجزء الاول ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف « بدون تاريخ » ، ص ٤٤٣ ومابعدها .

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

الناتجة من الاتحاد متجانسة التركيب ، ولو كان فى قدرتنا وسيلة تفرق بين دقائق النوعين لأدركنا أن كلا منهما محتفظ بهيئته الطبيعية الدائمة » .

ويعلق أحد العلماء المعاصرين(١٠) على هذا الوصف العلمى بأنه تصوير عجيب للاتحاد الكيميائى لعل فيه شبهاً من تصوير دالتن Dalton « ١٧٦٦ ـ ١٨٤٤ م » الذى جاء بعد جابر بألف عام ، وقال بأن الاتحاد الكيميائى يكون باتصال ذرات العناصر المتفاعلة بعضها ببعض .

وإذا عقدنا مقارنة سريعة بين الطريقة التى عالج بها علماء المسلمين مشكلة الذرة على النحو الذى أوضحنا والطريقة التى اتبعها علماء الغرب إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، نجد أن المذهب الذرى الإغريقى القديم قد عاد إلى الظهور على يد جاسندى Gass endi « ١٩٥٢ ـ ١٦٥٥ م » ، وعلى أيدى علماء الكيمياء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فى صورة ضروب من الحدس الهندسى نستطيع اليوم أن ندرك مبلغ سذاجتها . والواقع أن المفكرين فى ذلك الحين لم يترددوا فى أن ينسبوا إلى الذرة كل المدركات الحسية المباشرة ، بحيث أن الصورة الخاصة لذرات المادة تفسر إحساسات الذوق والرائحة واللون . وهكذا قيل إن ذرة البرد مدببة لأن البرد قارس ، وأن تأثير الأحماض فى الأجسام القاعدية أشبه باختراق الطرف المدبب فى الأحماض لسام القلويات . ولا شك فى أن مثل هذه التشبيهات ليست بذات قيمة علمية ، بل إنها لا تصور لنا الظواهر تصويراً جيداً (١١) .

لكن الذرة الكيميائية كما تصورها « جابر » و« دالتون » فى عمليات الاتحاد الكيميائى بين العناصر لم تعد مع حلول القرن العشرين ذلك الجزء الذى لا يتجزأ . فقد أدى تطور النظرية الذرية إلى قيام علم الفيزياء النووية لدراسة التغيرات التى تتعرض لها نواة الذرة ، ودراسة الإشعاع الذرى الطبيعى ، ودراسة التفاعلات النووية ، بل إن ظهور عالم الجسيمات الأولية وفيزياء الطاقات العالية قد أدى بنا الآن إلى الدخول فى مجال العلم الذى مازال يتكون ، والبحث فى أعماق « الذرة » عن جزء جديد منها لا يقبل التجزئة !!

ترى ..

ما دور علماء الأمة الإسلامية الآن ، بعد أن اقترب الإنسان كثيراً من الرؤية المباشرة للذرات الكيميائية المفردة والإمساك بها لاستخدامها فى إجراء تجارب علمية لم تخطر يوما على بال بشر ؟!(١٢)

وأين إسهامات المسلمين الآن فى كل هذه المجالات الهامة وغيرها من مجالات العلوم المعاصرة وتقنياتها ؟..

هيهات ـ والحال كما نرى ـ أن يفعلوا مثلما أسلافهم فعلوا !!!

---

(١٠) د . عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ١٩٨٠ ، ص ١٥٨ .

(١١) بول موى ، المنطق وفلسفة العلوم ، الترجمة العربية ، مكتبة دار العروبة ، ١٩٨١ م ، ص ٣١٥ وما بعدها .

(١٢) راجع ما كتبناه عن المصائد الليزرية واستخدامها لاصطياد ذرات بمفردها فى مقالنا « أشعة الليزر ومجالات استخدامها » ، مجلة الأزهر ، عدد ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ/ نوفمبر ١٩٨٨ م ، وأيضاً ما كتبناه عن أحدث أنواع المجاهر « الميكروسكوبات » فى مقالنا « الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة » ، مجلة الأزهر ، عدد صفر ١٤١١ هـ / سبتمبر ١٩٩٠ م .

إعداد وتقديم
الاستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

علموهم يكونوا لكم

لفضيلة الشيخ

محمد محمد المدني

شرع الله الإسلام نظاما واقعيا لحياة الإنسان . يتوافق مع فطرته وتكوينه ، ويتلاءم مع واقعه وضروراته . ويتناسب مع ملابسات حياته المتغيرة .

وهذا الجانب جزء اصيل من شريعة الإسلام منذ ان انزله الله دينا للبشرية جمعاء . وهو لذلك يرفض التطرف الذى يدعو إلى الفرقة ، وينبذ المثالية الخيالية الخالية من اى مضمون . ويحذر من الأمنيات الحالمة التى تصطدم بفطرة الإنسان وواقعه ثم تتبخر فى الهواء . وكتاب (الفرقان) لمؤلفه محمد عبد اللطيف افندى علامة من تلك العلامات المضللة ونتيجة فكر مغمور وثقافة ضحلة .

لذلك جاء الحكم عليه موافقا للطبيعة المسلمة الحقة التى تربأ بدينها ان يمس ، وبعقيدتها أن يتقول عليها متقول ، حتى لو كان مسلما .

قال الشيخ رحمه الله :

فى الشهر الماضى أصدرت « محكمة القضاء الإدارى » بمجلس الدولة حكمها فى قضية كتاب « الفرقان » الذى ألفه محمد عبد اللطيف أفندى ، وكانت الحكومة قد صادرته بناء على طلب مشيخة الجامع الأزهر ؛ لما تضمنه من مطاعن فى القرآن الكريم رسما وتلاوة ، وفى السنة المطهرة متنا وسندا ، فطلب مؤلفه من المحكمة أن تلغى هذه المصادرة ، وأن تحكم له بتعويض كبير قدره بما أصابه من ضرر أدبى ومادى نتيجة لهذه المصادرة .

وقد كان لكاتب هذه السطور وزميلين كريمين له ، جهد فى فحص هذا الكتاب ، ورفع تقرير عنه ، ثم فى الاتصال بالقضية ومتابعة أطوارها ، ويهمنى أن أبادر بتسجيل شكرى باسم الدين والعلم والأزهر لحضرات أعضاء هذه المحكمة

من روائــع المــاضــى

العادلة ، ولاسيما رئيسها الجليل « سامى مازن بك » ، فقد لمست عنايتها الفائقة بالموضوع ، وحرصها الشديد على تتبع كل ما يتصل به ليتجلى لها الحق ، ويسفر أمامها الرأى واضحاً فى هذا الموضوع الخطير ، حتى لقد علمت أن حضراتهم قرأوا فى موضوع الرسم والقراءات عشرات من الكتب المؤلفة قديما وحديثا ، ووقفوا عند كل موضوع من الموضوعات المتصلة بالقضية موقف الناقد البصير ، والفاحص الخبير .

وإن سعادة الرئيس لم يكن يكتفى بهذا ، ولكنه كان يتناقش شفويا مع العلماء فى كل نقطة يرى وجوب استجلائها قبل الحكم ، وقد زار الجامع الأزهر واتصل ببعض علمائه باحثاً منقباً حتى اطمأن قلبه .

وكذلك فعل حضرة الأستاذ الكبير « عبد الحليم بك الجندى » المحامى عن الحكومة والأزهر فى هذه القضية ، بل المحامى عن القرآن الكريم ، فقد كان مثال المؤمن بالله وكلماته ، الغيور على كتابه ، الحريص على تجلية الحق ، والظفر له بحكم يسجله التاريخ .

ولست أنسى ما حييت موقفه يوم الدفاع عن كتاب الله ، وقد أخذته حمياً الإيمان ، وهزت مشاعره الحماسة الدينية ، فتدفق بيانا بالبراهين الدامغة ، وصدع صوتا بالحق فى إخلاص عميق مؤثر ، حتى لكأن نبراته يومئذ نداء من السماء أن خذوا على يد هذا المسىء ، وعلموه أن كتاب الله لا تنال منه الترهات ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فاللهم اشكرهم على ما سعوا ، واجزهم بالخير على ما رعوا ، وأكثر فى المسلمين أمثالهم ممن يغارون على الحق ، وينصفون فى الحكم .

●●●

كتبت هذا الكلام اعترافاً بفضل أصحاب الفضل ، وتسجيلا له ، وأقول بعد هذا :

لقد كثر فى هذا العصر التطاول على الدين ، والتجرؤ على حقائقه وأصوله المسلمة ، وأصبحنا نرى كثيراً ممن يريدون الشهرة ، ويلتمسون الرواج ، يجعلون سبيلهم إلى ذلك ما يحاولونه من التشكيك فى الدين ، أو فى قدرة أحكامه ، وتشريعه على النهوض بحاجات الناس ، وكفالته لسعادتهم ، وما هكذا تلتمس الشهرة ، ولا بمثل هذا يكون الظهور .

فقد كان سلفنا يقضون أعمارهم فى البحث والتعمق والنظر الصائب ، ويصبرون على متاعب العلم ، ومصاعب التفكير ، ويجعلون لأنفسهم حدوداً لا يتعدونها ، فهم فى فلك الكتاب والسنة يدورون ، وعلى أساس من العقل السليم ، وأصول الشريعة يحكمون ، لذلك كانت تآليفهم ، نافعة ، راشدة ، وكانت أخطاؤهم إن أخطأوا مغفورة ، لأنها أخطاء المخلصين الذين لا يبتغون إلا الحق والمعرفة ، فإن أصابوا أجروا ، وإن أخطأوا أجروا ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ .

ومن الخير أن نتعرف العوامل التى دعت إلى أن يكثر فينا هذا الصنف من المؤلفين ذوى

الدعاوى العريضة ، والأقلام الطائشة .

وأحسب أن الأزهر إذا اكتفى بأن يصادر كتاباً أو كتابين فى كل عام ، فإنه غير مستطيع وقف هذا التيار الذى إن بدا اليوم هادئاً بعض الهدوء ، فسيكون غداً جارفاً مكتسحاً .

وفى اعتقادى أن الناس لم يجدوا غذاء دينيا صالحاً يقدم لهم ، فأقبلوا على مثل هذا الغذاء الذى تضوى به العقول ، وهذه سنة الله فى كل مجتمع ، فإن أى تقصير فى بث الأفكار الصالحة فيه ، يستتبع بقدره إقبالا على الأفكار الفاسدة ، أو المخطئة ، فلو أن الأزهر أخذ بوسائل العصر الحاضر فى تنوير العقول ، وتجلية الحقائق أمامها ، ومدها بزاد طيب لا خبث فيه ولانكر ، لكانت الأمة كلها كأهل الأزهر ، ولكان بعض أفرادها دعاة ذوى غيرة ، ولوُجد المجتمع الحفيظ بعضه على بعض من الزلل والضلال .

وقد علمتنا تجارب الأمم فى العصور الأخيرة ، أن الشعوب تصاغ ، وأن العقول تحشد وتجند ، وأن زعيما مخلصاً لفكرة ، مؤمناً بعقيدة ، يستطيع أن يقنع بها جيلا بأسره ، أو أجيالاً ، إذا أحسن الدفاع عنها ، وتوجيه العقول إليها .

ونحن فى أيدينا أقوم المبادىء ، وأثمن الشرائع ، وليس فيما عرفته البشرية من الأديان ، مايقف أمام ديننا موقف المنافسة أو المنازعة ، وبين ظهرانينا كتاب الله وسنة رسوله .. وفى مكتباتنا خير ما انتجته العقول ، وجادت به القرائح وقد أوتينا قسطا عظيما من السلطان فى الأمة ، والقدرة على توجيهها بما فى أيدينا من مناصبها وأموالها ، وبما لنا من نفوذ روحى دينى لا يتمتع به حزب ، ولا تنافسنا فيه جماعة ، ولكن ينقصنا حسن الانتفاع بهذه المزايا ، وأننا قد شغلنا عن رسالتنا بأشخاصنا ، وتفرغنا للمنازعات والمخاصمات ، من سرية وعلنية ، فأرهقنا بذلك أعصابنا وعقولنا ، وصار الكلال والتخاذل والتراخى من أبرز الصفات فى محيطنا .

يجب أن نعمل ، بل أن نشقى ونحفى فى العمل ، حتى نستطيع أن نربى ناشئة منا على فهم الدين والعلم فهما صحيحاً ، وعلى عشقهما العشق الذى يجعلنا نفنى فيهما ، وتتلذذ بما يصيبنا من نصب فى سبيل تحصيلهما وترويجهما فى الناس .

يجب علينا أن ننير العقول بما عندنا من العلم ، فقد جربت بنفسى أن كثيرا من المثقفين ثقافة مدنية يقابلون بعض أفكارنا مقابلة فيها جفوة وتنكر ، بل فيها أحيانا سخرية وتهكم ، ثم لا يلبثون إذا شرحت لهم شرحا دقيقا ، أن يتبينوا الحق ، ويفيئوا إليه ، ويكونوا من دعاته .

وليس هذا على المجتمعات بغريب ، فإنه لسنة الله فيها منذ القدم ، وقد كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يؤمنوا أساطين الشرك ، وأسانيد الكفر ، فاستطاع فرد واحد ، ثم أفراد معه أن يغزوا بهم العالم ، ويغيروا وجه التاريخ .

إننا نشكو من انصراف الأمة عنا ، ونغضب حين نرى رجال الحكم فيها يغضون عن مطالبنا ، ولا وسيلة إلى مداواة هذا وذاك إلا بأن نعمل ونعمل ونعمل ، يومئذ يأتى إلينا الدهر معتذرا ، ويطرق أبوابنا الذين نطرق اليوم أبوابهم فلا يجيبون .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

عجيج وخدعة

تكلم الحسن يوما حتى ابكى من حوله ، فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزم ، وخدعة كخدعة إخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون .

كلمات مضيئة

- إن لك فى مالك شريكين : الحدثان والوارث .
- عاشق المال لا يشفيه إلا الموت .
- عند الشروق تتجه أشعة الشمس إلى الأرض ، وعند الغروب تتجه إلى السماء كذلك الإنسان .
- من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يحب .
- لأن أُدْعَى من بُعْدٍ إلى قُرب خير من أن اقصى من قرب إلى بعد .
- إنى لأستحى ان اظلم من لا يجد على ناصراً إلا الله .
- من يعطى بسرعة فإنه يعطى مرتين .
- ليس مال كالصحة ، ولا نعيم كطيب النفس .

لماذا لا تأكل معها ؟

قيل لعلى بن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ إنك من أبر الناس بأمك ، ولا تأكل معها فى صحفة ؟

فقال : أخاف أن تسبق يدى يدها إلى ما تسبق عيناها فأكون قد عققتها !!

أغثنى .. وأنصفنى

حكى أن رجلا اتى امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك فقال له : بالذى أسبغ عليك هذه النعم من غير شفيع كان لك إليه ؛ إلا تفضلاً منه عليك ، إلا انصفتنى من خصمى ، واخذت لى الحق منه ، فإنه ظلوم غشوم لا يستحى من كبير ، ولا يلتفت إلى صغير .

فقال له : أعلمنى من هو ؟ فإن لم ينصفك ، وإلا اخذت الذى فيه عيناه ، من هو ؟

قال : الفقر !!

فاطرق إلى الأرض مليا ينكث الأرض ، ثم رفع راسه وامر له بعشرة آلاف دينار ، فاخذها ومضى ، فلما كان بعيداً عنه ، قال : ردوه ، فلما مثل بين يديه قال : ياذا الرجل سالتك بالله متى اتاك خصمك متعسفا ، إلا اتيت إلينا متظلما .

جـــزاء الإحســـان

دعا رجل لآخر أحسن إليه فقال :
أذل الله كل عدو لك إلا نفسك ، وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك .
وأعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر وفرغك الله لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

زوجـــة صالحـــة

قالت امرأة لبعلها وراته مهموما :
مم همك ؟
أبا لدنيا فقد فرغ الله منها ، أم بالآخرة فزادك الله هما .

وصيـــــة

أوصى الإمام على ولده الحسن - رضى الله عنهما - فقال : يابنى احذر من الأمور ثلاثا ووافق ثلاثا واستح من ثلاث ، وافزع إلى ثلاث ، واهرب من ثلاث ، وخالف ثلاثا ، وارجُ ثلاثا .
فقال الحسن : فصلها ياأبى .
فقال : احذر من الكبر والغضب والحرص المذموم .
ووافق كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - والصالحين من عباده .
وليكن حياؤك من الله ومن الملائكة ومن الصالحين .
وليكن فزعك خوفا من المعصية، وفزعك إلى التوبة ، وفزعك إلى طلب العلم .
واهرب يابنى من الكذب والخيانة والظلم .
واجتنب الشر وأهله والنفاق وأهله ، والحمق وأهله .
وخف الله وممن لا يخاف الله ومن لدغات اللسان .
وارج الله فى غفران ذنوبك ، وفى قبول أعمالك ، وفى شفاعة نبيك ﷺ .

حقـــا

قال لبيد بن ربيعة العامرى :

ولقد علمت لتأتين منيتى
إن المنـايـا لا تطيش سهـامهـا

لو كان لى دعوة مستجابة

قال العالم الزاهد ، الفضيل بن عياض وكان فى عهد بنى أمية :
لو كان لى دعوة مستجابة ، لم أجعلها إلا للإمام ؛ لأن الله تعالى إذا أصلح الإمام أمن البلاد والعباد .

دعـــــاء

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك بل اجعلنا موضع شفقتك أنت .
يارب ، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك بل موضع الإحسان منك أنت .
يارب ، واجعلنا دائما وأبدا بك ومعك وإليك فلا منجى ولا ملجا منك إلا إليك يارب .

مفتى مصر الأسبق فضيلة الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف

٢

بقلم فضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

فى كلمتنا الأولى عن شيخنا الجليل قدمنا لحياته ثم ذكرنا ما علمنا من مؤلفاته وعرجنا على مذهبه فى التفسير الذى التزم فيه بمذهب السلف فى التفويض غير تارك لمنحى الخلف من الأشاعرة فى التنزيه والتاويل ، واستكمالا للحديث نقول :

وفى التمثيل لمنحى التفويض ، ومنحى التأويل فى الصفات ، وقد أخذ بهما الشيخ معا ، نذكر تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾(١) .

قال الشيخ : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ علا إليها وارتفع من غير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تشبيه ، مع كمال التنزيه عن سمات المحدثات ، وقد سئل مالك ـ رضى الله عنه ـ عن الاستواء على العرش فقال : «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

ثم قال الشيخ : أو المعنى : أقبل وعمد إلى خلقها بإرادته انتهى .

هذه فقرات مما كتبه الشيخ «رحمه الله» فى تفسيره ، تكشف عن منهجه فى تناول المسائل العقدية على مذهب الأشاعرة ، وتوضح مأخذه

(١) الآية ٢٩ من سورة البقرة .

بخطة التأويل التنزيهى ، إلى جانب التفويض الورع فى الصفات .

وأما إيضاح الشيخ للأحكام الشرعية المستنبطة من الآيات القرآنية ، فقد بدت فيه ملكته الفقهية بارعة متمكنة ، وهو ملتزم دائما برأى جمهور الفقهاء ، لا يميل إلى رأى ضعيف ، فإذا اختلفت آراء الفقهاء ذكر كل رأى منها ونسبه إلى صاحبه .

هذا : مع الإيجاز وسهولة التعبير ، والحسم بالرأى فى الموضوع ، وعلى سبيل المثال ما ورد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾(٢) قال : حاضرو المسجد الحرام : هم أهل مكة ، وأهل الحل الذين منازلهم داخل المواقيت ، أو هم أهل مكة خاصة . أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة .

وإلى الأول ذهب الحنفية ، وإلى الثانى المالكية ، وإلى الثالث أحمد والشافعى - رحمهما الله - وتفصيل الأدلة فى الفروع انتهى .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾(٣) .

قال : ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا . . . . .﴾ نهى عن تعاطى الربا ، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائدة الربوية ، فقوله : ﴿ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ ليس لتقييد النهى به بل هو بيان لما كانوا عليه فى الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدى إلى استئصال المال . وقد حرم الله أصل الربا ومضاعفته ... انتهى .

الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) - خلص الشيخ إلى فهم فى غاية الدقة وجميل الاستنباط ، لقد خلص فى تفسير الآية إلى آراء مقنعة ، وخرج بها عن الحشد الكبير من الآراء التى تمتلىء بها كتب التفسير توجيها لأحكام هذه الآية ، وبخاصة ما يستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله : ﴿ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ نزلت لزجر المؤمنين عن نكاح الزانيات ، بعد زجرهم عن الزنا ، أى أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء اللاتى على

(٢) الآيه رقم ١٩٦ من سوره البقره .
(٣) الآية رقم ١٣٠ من سورة آل عمران .
(٤) الآية رقم ٣ من سورة النور .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ
حسنين محمد حسنين مخلوف

خلاف صفته ، وإنما يرغب فى نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا ترغب غالبا فى نكاح الصلحاء من الرجال بل تنفر منهم ، وإنما ترغب فيمن هو من شكلها من الفسقة والمشركين : لأن المشاكلة علة الألفة ، والمخالفة سبب للنفرة ، وهو كقولهم : لا يفعل الخير إلا تقى ، فإنه جار مجرى الغالب ، وقد يفعله من ليس بتقى ، و«حرم ذلك على المؤمنين تحريم تنزيه» وعبر عنه بالتحريم مبالغة فى الزجر ، أو حرم عليهم باعتبار ما فى ضمن عقده من المفاسد كالتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة ، والطعن فى النسب وغير ذلك ، فلا تكون الحرمة راجعة إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزوانى ، والزانيات باطلا للإجماع على صحته . وأما نكاح المشرك والمشركة . فإن كانت الآية نزلت قبل تحريمه ـ وقد حرم بعد الحديبية ـ فالأمر ظاهر ، وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمته مستندة إلى أدلة أخرى» .. أ هـ .

هذا السمت العام للتفسير فى كتاب «صفوة البيان لمعانى القرآن» يجعل له شأنا ومقاما حسنا بين كتب التفسير بعامة ، ويفتح له باب السبق بين المؤلفات المنشأة فى عصرنا بصفة خاصة .

● **فتيـــاه :**

أما فتيا الشيخ فكانت أبرز أعماله ، وكان عمله بالقضاء مجالا من مجالات الفتيا والرأى ، بيد أن القضاء يتميز بأن له قوة النفاذ والإلزام . على ما هو مقرر ..

والسمت العام لفتيا الشيخ سمت بارز فقد جمعت فتياه سعة الفقه والإحاطة بوجوه الرأى ، مع دقة استخراج الحكم ، ولطيف الملمح ، وحسن الاستدلال .

لكنا نلمح فى فتواه مع هذا كله أنه كان شديد الاحتياط ، قوى الحذر لا يميل إلى تبرير مستحدثات الأمور ، أو مستوردات الوقائع والسلوك .

وقد اخترت له بعضا من الفتاوى ـ على ضخامة تراثه الفقهى ـ منها ما يتعلق بالوقف . ومن سمت هذا النوع من الفتوى أنه ينبىء عن عمق الرأى لديه ، وحسن التعليل ، ووجاهة الترجيح ، وحريته ، ما لم تستظل الواقعة بقانون ، فإذا استظلت بقانون أعمل الشيخ فيها نصوص هذا القانون ووقف عن الترجيح بين الآراء .

ولقد كان التصرف فى بعض المال بالوقف شائعا معبرا عن اتجاه اجتماعى إسلامى وبخاصة فى العهد العثمانى .

وعلى حد تعبير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى مقدمته لمجموعات فتاوى الوقف الصادرة عن دار الإفتاء . قال : «وكان الوقف وجها من أوجه التعاون على البر ، وتحصين الثروات العقارية ، ولما تعاقبت القوانين بعد صدور القانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بإلغاء الوقف على غير الخيرات انكمشت سبل البر فلم نعد نسمع أن أحدا قد أوقف وقوفا على المساجد أو المستشفيات أو الملاجىء أو المدارس أو تحفيظ القرآن ، بل ولقد تبددت وقوف كثيرة كانت مددا للدعوة الإسلامية ، وعونا لطلاب العلم بالأزهر ومعاهده ، وغير هذا من طرق البر»أ . هـ .

ولقد كانت الفتاوى فى مواد الوقف غزيرة ،

وبخاصة فيما يتصل ببعض شروط الواقفين، وفيما يتعلق بالتصرف فى الأعيان التى تخربت أو انعدم ريعها.

وكانت الفتوى محكومة بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة، ثم خضعت لأحكام القوانين بداية بالقانون الصادر برقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ لأحكام الوقف.

وقد سئل الشيخ - رحمه الله - عن مال(٥) وقف على ملء صهريج معد لخزن الماء العذب، لسقيا الناس، وعلى عمارته ومرمته، وعلى منزل موقوف على ذرية الواقف، فإذا انقرضت الذرية كان ريع الوقف مصروفا للخيرات، وتبين من السؤال أن هذا الوقف ليس له حجة، وأن الصهريج قد اندثر واستغنى عنه، وأن المنزل قد هدم وبيعت أنقاضه.

فأجاب:

إن الصهريج وما وقف على ملئه وعمارته ومرمته وقف خيرى صحيح، وإن لم يصرح فى الأشهاد بجهة البر الدائمة التى يصرف إليها ريعه مآلا، إذ قد جرى العرف على أن من وقف وقفا كهذا يريد تأبيده كما فى الوقف على المسجد المعين - وأما المنزل فلا شبهة فى أنه وقف أهلى، وإقرار الواقف فى حجته بأن الملاليح(٦) المذكورة وقف عليه وعلى الصهريج إقرار معتبر شرعا، فتكون هذه الملاليح موقوفة عليهما بالسوية، وبتهدم الصهريج واستغناء الناس عنه بعد موت الواقف يبقى مكانه وقفا إلى الأبد على قول أبى يوسف الذى اخترناه للفتوى فى هذه الحادثة، وهو أولى من قول محمد بعودته إلى ملك الواقف إن كان حيا وورثته إن كان ميتا.

وبناء على ذلك يصرف ما وقف على الصهريج إلى أقرب جهة بر إليه عند أبى يوسف كالمساجد أو المستشفيات أو نحوها. ولكن بعد صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ تطبق عليه المادة ١٩ منه التى تقضى بصرفه بإذن المحكمة على من يكون محتاجا من ذرية الواقف ووالديه بقدر كفايته، ثم إلى المحتاج من أقاربه كذلك، ثم إلى الأولى من جهات البر حتى صدور القانون رقم ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣ بتعديل المصارف الخيرية الذى نشر بالوقائع المصرية بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٥٣، ومن حين العمل به تطبق أحكامه، ويجوز بإذن المحكمة استبدال أرض هذا الصهريج بما هو أنفع للخيرات» انتهى.

وهكذا أخذ الشيخ بقول أبى يوسف مبقيا وقف الصهريج خيريا إلى الأبد، ورجحه على قول محمد بعودته إلى ملك الواقف أو ورثته بعد أن تهدم، أخذ الشيخ بقول أبى يوسف فى الفترة التى سبقت صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ بأحكام الوقف وأما الفترة التى تلت صدور هذا القانون فقد أعمل فيها ما تقضى به نصوصه أخذا بقول محمد بن الحسن.

يتبع

---

(٥) الفتوى مسجلة برقم ٦٨ - م ٦٨ ص ١٢٩ فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٣ بدار الافتاء.

(٦) يقصد الملاحات.

من
أعلام الأزهر
١

عبد الكريم جرمانوس

باحث متحرر ومسلم غيور

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

يعد الدكتور عبد الكريم جرمانوس فى طليعة الباحثين المتحررين، الذين درسوا الأديان كافة، ثم رأوا فى تعاليم الإسلام نوراً يهدى إلى الصراط المستقيم، فاقدم على اعتناقه واثقاً من هدايته النافعة، ورسالته المصلحة، وناضل فى سبيله من قاموا بنقده المغرض فى صحف أوروبا، حيث عز عليهم ان يهتف مفكر لامع بغير ما يرون، وما كان جرمانوس فى قوة تفكيره، ووضوح منطقه ممن يقول: إنّا وجدنا آباءنا على أمة، وإنّا على آثارهم مقتدون، بل كان ممن يستمعون القول، ويزنونه بميزان العقل فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله.

وإذا كان الدكتور جرمانوس فى منطق جميع المثقفين، من أعلام المستشرقين فى العصر الحديث، فإننى لا أعده مستشرقاً بالمعنى المتداول مهما كتب فى عداد هؤلاء، لأن رجل الغرب إذا درس الإسلام وآمن به، وأصبح من أبنائه عن هداية واقتناع، لا يصح أن يدرج فى صف واحد مع من درس كتب الإسلام ليعرضها من وجهة نظره الخاصة غير معتقد مبادىء ما يعرض، إذ أن الأول بعد إسلامه الصادق يصبح شرقياً لا مستشرقاً، إذ يقيم بروحه

الصافية فى آفاق النبوة ، ومشارق الوحى الإلهى وإن ظل بجسده فى أوروبا ثاوياً لا يريم ! وما شأن الجسم المقيد فى مكانه إذا سبحت الروح فى عالمها الأوسع مستضيئة بهداية النور الذى أشرق فى مكة ثم امتد إلى أقصى الربوع ؟!

أما الذى يتكلف البحوث الإسلامية ليرضى حاجة نفسه أو يستجيب إلى نزعات قومه فى تسطير ما يرى أنه وجهة نظرهم دون أن يتغلغل إلى صميم الحقائق التى يدعى الإجادة فى تصورها وتصويرها دون إيمان فهو المستشرق حقاً ، بل إنى أزيد فأتسع بدائرة الاستشراق حتى تشمل نفراً من الشرقيين لدينا ممن عاشوا فى مصر وسوريا والعراق وغيرها من مدن العروبة ثم تراهم يكفرون بقيم الدين الإسلامى عن جمود لا عن فحص ، ويهتفون بحضارة الغرب وحدها هتافاً لا يقتصر على تمجيد الحسن ، وتقبيح الردىء بل يتعصبون لكل صادر من أوروبا تعصباً يضطرهم إلى الإزراء بتقاليد أهلهم وعادات إخوانهم ، هؤلاء هم فى رأيى مستشرقون لا شرقيون ، ومثلهم عندى كمثل « لا منس » و« مرجليوث » ممن كتبوا عن الإسلام تحت تأثير غرض خاص ، وما أجدر الدكتور عبدالكريم جرمانوس أن يكون بعيداً عن أولئك وهؤلاء .

لقد تحدث الكاتب الكبير الأستاذ محمود تيمور عن قصة إسلام الدكتور جرمانوس فقال من مقال طويل :

— سألته فى غضون حديث معه : ما قصة إسلامك ياحاج عبدالكريم ؟

فقبض على لحيته ، وجعل يتخللها بأصابعه ثم أجابنى بقوله : « هى لحظة من لحظات الإشراق ؛ لأن الإسلام دين الذهن المستنير وأن أصحاب التفكير الحر ليجدون فى هذا الدين السمح ، عقيدة وشريعة ما يستولى على الإعجاب ، وما يهدى إلى الاقناع ، وعندى أنه سيكون معتقد الأحرار كلما تخلصوا من ربقة النشأة ، ووطأة التقليد ، وأنا أعرف كثيراً من المستنيرين يجلون الإسلام ديناً ، ويكنون فى سرائرهم إيماناً وإذعاناً » .

يقول تيمور ، فقلت له : ولم يشفنى جوابه ، أو أطمعنى هذا الجواب فى الاستكثار من تفاصيله : هل لك أن تحدثنى ماذا حبب إليك الإسلام ؟

فاسترسل من فوره يقول :

— « حببه إلىّ شىء واحد ، هو جوهر كل شىء إنه دين الطهر ، دين النظافة ، نظافة الجسم والنفس والسلوك الاجتماعى ، والشعور الإنسانى ولا تستهن بالنظافة الجسمية فهى رمز ودلالة ، لها قيمتها المعنوية ، ولها أثرها العميق ، ومن هنا كانت الحمامات فى الحياة الإسلامية والعربية ، من أرقى مظاهر التحضر العمرانى ، ولقد تعلم الأوربيون نظام الحمامات من أهل الأندلس ، ولدخول الترك فى المجر فضل فى سبقها إلى شيوع الحمامات بها ، أما الطهر النفسى والاجتماعى فيكفيك منه فى الإسلام أن الدين هو المعاملة ، وأن الناس جميعاً سواسية أمام الله ، لا مزية لأحد بلون أو عنصر أو جنس ، وأن صلة المرء بمجتمعه فى الإسلام قائمة على أساس ركين من الإحساس بالسعادة براحة الضمير ، ولا يكون من وراء ذلك إلا مجتمع قوامه الحق والعدل والخير والسلام » ..

هذا لُباب ما تحدث به جرمانوس لصديقه تيمور ..

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

والحق أن الإسلام ببساطته يلخص فى سطور تجمع عناصره الداعية إلى سعادة الفرد والمجتمع ، وإذا كان الدكتور جرمانوس قد أوجزها لصديقه ، فقد أشبعها تحليلاً ودرساً فى كتابه الرائع (الله أكبر) لأنه يحكى قصة إسلامه ، ورحلته إلى مكة لحج بيت الله ، وهى رحلة ترجمت إلى عدة لغات ، وكان لها فى عالم الغرب صدى بعيد !

على أن حب الدكتور جرمانوس للإسلام قد دفعه إلى حب لغاته التى يتكلم بها المسلمون فدرس العربية والفارسية والتركية والأردية دراسة جادة عاونته على أن يؤلف بها بعض كتبه ، كما يؤلف بالألمانية والمجرية والإيطالية والانجليزية ، ولك أن تعجب من علّامة ضليع يترك مؤلفاته منتشرة بقلمه الخاص دون ترجمة أحدٍ سواه فى سبع لغات ! وقد وجد فى جامعة بودابست التى يشغل أستاذ التاريخ والحضارة بها لأكثر من أربعين عاما من ينشر البحوث داعيا إلى إحياء اللغات العامية فى الوطن العربى ، ويعد العربية كاللغة اللاتينية التى هُجرت إلى غيرها بتطور الزمان ، فيحلم بالزمن الذى تصبح فيه لغة مصر غير لغة العراق ، ولغة المغرب غير لغة الشام سعيا إلى تفتت كيان متماسك تربطه اللغة الفصحى بأقوى الرباط ولهذه الدعوة أشياع مستأجرون فى كل موطن عربى ، ولكن الدكتور جرمانوس حاربها أعنف المحاربة فى عواصم أوروبا ، ومواطن الاستشراق الاستعمـارى محاربة من يملك الحجة الدامغة والمنطق الأصيل ، وتعرض بذلك إلى خصومات حاقدة عملت على بتره من مكانه الجامعى بحجة أنه يسير فى غير الاتجاه المرسوم ، ولكن تلاميذ جرمانوس قد تعصبوا لعلمه وفضله ، ورأوا عمق تأثيره فى جامعات الشرق والغرب التى زار أكثرها كأستاذ زائر فسجل لبلاده مجداً لا يُلحق ، فبقى الداعية المسلح برأيه المستنير أستاذاً للتاريخ فى جامعته العريقة رغم أنف الحاقدين .

لقد سعدت بلقائه الكريم عدة مرات وحدثنى فى شأن الحرب الطاحنة التى يقوم بها الغرب على اللغة العربية متخذا أبواقه من بعض الأقلام فى الشرق ، ثم قال إننا لا نلوم أعداء العربية إذا حاربوها استجابة إلى أضغانهم الحاقدة ولكننا نلوم العرب أنفسهم لأنهم يهجرونها فى أحاديثهم العامة والخاصة ، ويذكر من نوادره فى ذلك أنه تعلم العربية الفصيحة وحده دون معلم فى المجر مكتفيا بالقواميس التى تذكر الكلمة العربية بإزاء ترجمتها الأجنبية ، ثم تطلع إلى زيارة القاهرة ليأنس بسماع الفصحى فى عاصمة الإسلام الأولى ومهد الأزهر الشريف ، ففوجىء حين قدم الاسكندرية مبحراً من أوروبا لأول مرة بمن يضحكون منه لأنه يكلمهم باللغة الفصحى ! ثم يردون عليه بألفاظ عامية لا يدرك معناها ، فأدركه الغضب ، وصاح متضايقا : جئت هنا لأتعلم منكم لغة القرآن ! أأقابل بالضحك والاستهزاء ! ثم رأى فى قلمه متنفساً لعواطفه الثائرة فبادر بإرسال كتاب عاجل إلى زوجته الكريمة ببودابست يقول فيه : «لقد جئت إلى مصر وأنا أحذر أن أكون غير ملم باللسان العربى فأصير ضحكة للعامة ، فأصبحت ضحكتهم لأنى أتكلم باللغة العربية ، بل لأنى أنا المتكلم بها وحدى فى جمرك الاسكندرية دون أن أجد الاحترام من أحد» !!

ثم يواصل الأستاذ جرمانوس ذكرياته عن تهالك بعض الكتاب على اللغات العامية دون العربية المجيدة فيقول :

أرسل إلىَّ قصاص عراقى هو الأستاذ أحمد الدباغ رواية كتبها باللغة العامية فى العراق ، كنموذج من أدب جديد يعمل على نشره تأثراً بدعاية من يرون سيطرة اللغات العامية فى أجزاء الوطن العربى ، فحاولت جاهدا أن أفهمها فلم أقدر على شيء ، فلجأت إلى أستاذ مصرى يعيش فى بودابست ليقرأها معى ظنا منى أن المصرى أقدر على فهم القصة العراقية من المجرى ، ولكن صاحبى المصرى كان معى من ناحية الفهم للقصة ، فلم يع شيئاً مما أمامه ، فقر رأيى على أن أواصل الشوط إلى نهايته ، وأتصل بالسفير العراقى فى المجر ليتولى الترجمة من العامية العراقية إلى اللغة العربية . وكانت حيرتى شديدة حين وجدت السفير العراقى نفسه يعانى مشقة كبرى فى تفهم كلمات القصة فسألته ألست عراقيا ؛ وهذه لغة موطنك ؟ فقال : إن اللهجات مختلفة ولغة (الموصل) العامية غير لغة (كركوك) و(خانقين) !! وإذا كان أبناء الإقليم الواحد لا يتفقون على ألفاظ واحدة ، فكيف نسعى إلى الكتابة بالعامية لنعبر عما نكتب ؟ وهل من فائدة الكاتب أن يوسع دائرة انتشاره الأدبى فى المحيط العربى أو يعمل على إغلاق نفسه فى حيز محدود !

لقد أسهبت فى إيضاح رأى الدكتور جرمانوس فى هذا المجال ، لأن ذيول هذه الدعوة إلى هجر الفصحى لاتزال تتحرك فى بطء حاقد ولازلت أذكر أن الأستاذ محمود تيمور قد ألف ثلاث مسرحيات باللغة المصرية العامية ، ومن بينها مسرحية (أبو شوشة) وقد سارع بإهدائها إلى الدكتور جرمانوس ليعلن له فى خطاب رقيق ، أنه ألف بالعامية ليثقف الشعب المصرى ويرتفع بمستواه ، فرد عليه الدكتور جرمانوس قائلاً : إن العامية لغة حديث فقط ، ولا تتسع إلى تصوير الخلجات النفسية العميقة ، وكشف السرائر الغائرة فى الأعماق كما تتسع الفصحى لرسم أدق النوازع فى إبداع ، وحار الأستاذ تيمور ما يصنع ردا على اعتراض صديقه فلجأ إلى الأستاذ زكى طليمات ليكفيه الرد على صاحبه ، فنشر طليمات بحثا فى عددين من الرسالة يوضح اهتداء تيمور إلى خلجات النفس فيما كتب ، وقد تكلف زكى طليمات رهقا شديداً فى افتعال ما قال ، ولم يفت ذلك جرمانوس فكتب إلى طليمات يقول : إنك استطردت إلى إيضاح بعض حقائق علم النفس لتجبرها جبراً على تطبيق موهوم لبعض الشخصيات التيمورية فى المسرحية العامية ، ويستطيع كل باحث نفسى أن يلقط من ألفاظ العوام فى الأزقة والمحلات والمقاهى ما يكشف عن أطوائهم النفسية ، لأن كل كلمة تقال صدى لانفعال نفسى ! بل إن كل حركة من حركات الحيوان الأعجم صدى لهذا الانفعال ، وإذن فمسرحية تيمور لم تكشف عن النفس البشرية ما تستطيع أن تكشفه القصة الفصيحة ذات الغور العميق ، وكان موقف جرمانوس داعياً إلى أن يهجر تيمور الكتابة بالعامية فيما بعد وأن يعمل على ارتقاء أسلوبه الأدبى ، حتى أصبح عضواً بمجمع اللغة العربية ، وارتقى بإبداعه الأدبى إلى مستوى من البيان كان موضع الاحتفاء والإعجاب !

وقد كان النقد الهادف طريق جرمانوس فيما يثيره من آراء تجد صداها المعارض ، فقد ألقى عدة محاضرات عن تاريخ الحضارة الإسلامية فى مدها الزاخر ، قوبلت بانتقاص من يسوؤهم أن تذاع محاسن هذه الحضارة فى جامعات أوروبا ، فكتبوا ينتقصون حضارة الإسلام مستشهدين

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جـرمانـوس

بواقع المسلمين فى القرنين التاسـع عشر والعشرين ! ولم يفت جرمانوس أن يواجه القوم بأنهم ينكرون تاريخ دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وما حمل المسلمون فى عصورهم الزاهية من أنوار ساطعة كانت بوارق النهضة الأوروبية ، إذ لولا حضارة الإسلام لم تستفق أوروبا من نومها العميق ، أما الواقع المؤلم لبلاد الإسلام اليوم فمصدره فى رأي الدكتور جرمانوس هو الحضارة الأوروبية وحدها ، لأنها حاربت هذه الشعوب الآمنة بالحديد والنار مستعمـرة ربوعها ، ومدعية أنها تحمل رسالة التقدم والازدهار ! وإذا مر قرن أو قرنان على حضارة الغرب الاستعمارية دون أن تتقدم دول الإسلام ، فليس الذنب ذنب الإسلام ، ولكنه ذنب من حاربوا تعاليمه ، ومنعوا الضوء عن العيون ، فتأخُر المسلمين إذن يرجع فى أول أسبابه إلى استعمار الغرب وابتزازه المادى !

وهذا القول حق شائع لا جديد به بالنظر إلينا نحن المسلمين ، ولكن الجديد كل الجديد أن يهتف به جرمانوس فى معاقل الاستعمار الحصينة بأوروبا ، وأن ينضم إلى القافلة الحرة ، التى تقدس حكم الحق ، وتقول للمخطىء فى جبروته : إنك متجبر ظلوم .

ولد جرمانوس فى بودابست سنة ١٨٨٤ م ونشأ مسيحيا يقيم شعائر دينه ، وتعلم فى طفولته لغة بلاده ، والتحق بالمدارس ثم بالجامعة ، فرأى القائمون على أمرها حينئذ أن يتخصص فى دراسة اللغة التركية ، فبعثته جامعة بودابست سنة ١٩٠٣ إلى جامعة استنبول ليتقن (لغة الأتراك) فى بلادهم ، وقد استطاع بجده الجاهد أن يجيدها قراءة وكتابة فى عامين فحسب ، كما شاءت الظروف الطيبة أن يقرأ تفسيراً للقرآن الكريم باللغة التركية جذبه إلى حقائق الإسلام من مصدره الأول جذبا عنيفا إذ رأى فى ضوء الآيات القرآنية المباشرة إسراف المبشرين ممن يحملون الإسلام ما ليس به ، ووقف وقفات طويلة ليقارن بين ما يكتبه القساوسة وصنائعهم عن الإسلام ، وما هو مسجل فى القرآن الكريم ، فتاق إلى أن يقرأ ترجمة الأحاديث النبوية فى اللسان التركى ، ليعرف أقوال نبى الإسلام كما نقلت من مصدرها الصحيح ، فعجب أكبر العجب لما تلقى من أمور الهداية التوجيهية فى إصلاح العالم بأسره ، وظهرت صورة محمد ﷺ أمامه فى ملامحها الصادقة بعيدة عن أكاذيب المرجفين ، ثم أتيح له أن يرجع إلى المجر ليجد أساتذته الكبار من سدنة الاستشراق يتحدثون عن الإسلام بما ليس فيه ، كما وجد أحدهم ينقل عن خاتم الأنبياء أقوالاً لا تمت إلى ما قراه جرمانوس فى الترجمة التركية بسبب ، لأنها أقوال تدعو إلى الإباحيـة والانغماس فى الشهوات ، وكان جرمانوس صادقا مع نفسه ، حين طلب تحديد موعد لإلقاء محاضرة تبين وجهة الإسلام فيما يخوض فيه الخائضون عنه دون اطلاع ، وعكف عدة أسابيع ليجمع كل ما يلصق بالإسلام زورا ، كاشفاً عن افترائه ومستندا إلى التفسير التركى الذى درسه ، وإلى ما وعاه من الحديث النبوى ، وللدكتور جرمانوس فى كل أدوار حياته هدوؤه الباسم ، ونفسه المتسامحة فهو لا يشتط فى جدال ، ولا يعنف فى مؤاخذة ، وبهدى رائع من خلقه المتسامح ، قابل أقوال معارضيه بالابتسام ، وعقب عليها بالتى هى أحسن ، فآثروا السلامة ، ولم يخوضوا معه فى لجاج هو أول من ينأى عنه إذا خالف آداب البحث وسنن الحوار ، ولم يكن جرمانوس حينئذ

قد اعتنق الإسلام ، ولكن البذرة قد غرست فى قلبه دون أن يشعر ، ومازالت تنمو فى سكون حذر ، حتى جاء اليوم الذى تفتحت فيه عن غصن ناضر ، وذلك بعد ثلاثة وعشرين عاما بالهند ، إذ كان من حظه الباسم أن يُختار أستاذاً للحضارة فى جامعات الهند متنقلا فى كلياتها العامرة بـ «دهلى» و«لاهور» و«حيدر أباد» ، وقد اختص عهود الخلافة الإسلامية الزاهرة بدمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة بفيض من بحوثه المقارنة ، وهو فى محاضراته العلمية يمزج التاريخ الإسلامى بالتشريع ، ويرسم مناحى التقدم الحضارى مصوراً أثر الإسلام فى استجاشة الهمم نحو الكمال الإنسانى مدنية وعلماً وسلوكاً ، واكتشافا وتقنينا وإبداعا معماريا وشعريا ، وارتقاء روحيا إلى معارج الإيثار والتواضع والإخلاص فى ظلال المنطق القرآنى الذى يهدى لما هو أقوم ، ولابد لمن يدرك هذه المعانى أن يسارع إلى اعتناق الدين الحنيف فى ثبات أكيد لا يعرف الشك ، وكان يوم الجمعة ميعاد هذا البعث الروحى الهائل حين صعد الدكتور عبد الكريم جرمانوس إلى المنبر فى جامع «دهلى» ليخطب الناس متحدثا عن بواعث إسلامه ، ثم ليؤم المسلمين فى صلاة الجمعة بعد أن صار واحداً منهم ! ولا تسل عن مهرجان الاحتفال الرائع بعد انتهاء الصلاة ، إذ ازدحمت الأفواج المتدفقة على المسلم الجديد تحتضنه حبا ، وتأمل فيه لسانا صادقا ، وقلما مخلصا ، وروحا متوثبا ، وهذا ما كان !

دامت إقامة الدكتور جرمانوس بالهند ثلاث سنوات ، عاشها فى بيئة إسلامية ذات غيرة متقدة على الدين الحنيف وطبيعى أن يكون الدين الجديد باعثا للرجل الطلعة على زيادة الاستيعاب الدارس لتعاليمه ، حيث انتدبته المحافل العلمية لإلقاء محاضرات مقارنة عن الأديان ، تخلص إلى إيضاح ما استتر فى طوايا التراث الإسلامى من كنوز لا يدرك جوهرها الثمين غير الدارسين من ذوى الدربة والشمول ، أما السعادة كل السعادة (وهذا تعبير جرمانوس نفسه) فكانت فى صداقة عبد الكريم جرمانوس للشاعر الإسلامى الكبير محمد إقبال ، لأن شاعر الإسلام العظيم قد بادر متصلاً بالوافد الزائر ، ليؤدى له حق الضيافة ، ولن يكون لقاء إقبال بصاحبه غير سبحات فكرية دائمة فى مشكلات العالم الإسلامى فى جميع أقطاره ، لأن شاعر الإسلام كان يعيش بروحه الرحبة فى آفاق العالم بأسره ، فهو يدرك الطغيان الجاحد فى الغرب ، والانحدار المفجع فى الشرق ، ويلمس الجرح الناغر فى جسم الأمة الإسلامية حين كبلها الاستعمار فى كل صقع بأعنف الكبول ، وقد كان النشاط التبشيرى موضع محاورة الرجلين ، إذ كان (جرمانوس) يرجع به إلى افتقاد النصفة العادلة لدى القائمين على شئون المسيحية فى أوروبا ويرجع به (إقبال) إلى تهاون المسلمين أنفسهم ، إذ وجد فيهم من يشجع المدارس الأجنبية على أداء رسالتها التبشيرية حين يقذف المسلمون بأكبادهم إلى الضلال الحقيقى ، وإذا كان الشاب الذى ناهز الثلاثين يرحل إلى أوروبا - إلا من هدى الله - فيرجع زائغ العقيدة ، فكيف يكون الطفل فى عهده الأول ؟ وهو منقاد إلى من تخصصوا فى إغوائه فيقدمون السم فى الدسم فى كل درس ينهضون به ، لأن المناهج فى هذه المدارس مناهج تبشير مهما استترت بأسماء الجغرافيا والتاريخ والأدب والأخلاق والتهذيب ، وقد سأل إقبال صاحبه عن مناهج الدراسة فى جامعات أوروبا وعمن تخصصوا فى دراسات الإسلام من المستشرقين لينتهيا من حوارهما الطويل إلى أن أكثر هؤلاء قد وجهوا عمدا إلى تشويه الحقائق الدينية ، فأكثر

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

أحاديثهم فى مؤلفاتهم الذائعة يدور حول أوهام المتصوفة ، وما يقال عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكأنه أصل من أصول الإسلام ، فإذا ترك الاستشراق دائرة التصوف إلى الأدب فالحديث حديث المجون والزندقة والإباحية ، ونشر كتب التبذل مع تسليط الأضواء على أمثال بشار وحماد وأبى نواس ، أما كتاب الله عز وجل فلا ينظرون إلى هدايته الحكيمة ، وقوانينه السياسية التى قفزت بالعالم كله إلى طريق الأخوة والحرية والمساواة ، ولكنهم يتحدثون عن القراءات الشاذة ، ويقفون الوقفات المخطئة أمام نقول فى التراث كتبت دون تحقيق ، ويُشم منها ما يبعث الشك ، مع وضوح بطلانها أمام الناظر المتفقه ، وهكذا يبحثون فى كل منحى علمى عما يثير العواصف فى العقول الآمنة ، كيلا تستقر على نهج سديد ، وقد عاش جرمانوس - رحمه الله - مفتخرا بإقبال ، ومعتزاً بصداقته وقد أهداه الشاعر الكبير عدة أبيات من نظمه كتبها بخطه الجميل وتفضل علىَّ الدكتور جرمانوس بصورة شمسية منها ، بادرت بنشرها بالمجلة العربية - جمادى الثانية سنة ١٤٠٠ هـ فى مقال تحت عنوان : (بين محمد إقبال وعبد الكريم جرمانوس) وفيه تفصيل متواضع لبعض ما أوجزت هنا من معان .

مقارنة القوات - المراجع - بقية

(١) ، (١٣) ، (١٩) : جون باجوت جلوب « الفتوحات العربية الكبرى » الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) يوليوس فلهوزن « تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية » ، الألف كتاب ، القاهرة ١٩٥٨ .

(٣) د . طه حسين « الشيخان » ، دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٧٥ .

(٤) سيد قطب « فى التاريخ .. فكرة ومنهاج » ، الدار السعودية للنشر ١٩٦٧ .

(٥) أروين هايكل « القوة الحربية والغرض السياسى » ، معهد الدراسات الاستراتيجية - لندن ١٩٧١ .

(٦) ، (٨) ستيفن رنسيمان « الحضارة البيزنطية » ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦١ .

(٧) إدوارد جيبون « إضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » - دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٩) نورمان بينز « الامبراطورية البيزنطية » ، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٧ .

(١٠) ، (١١) ، (١٤) ، (١٥) : جون باجوت جلوب « امبراطورية العرب » - دار الكتاب العربى - بيروت ١٩٦٦ .

(١٢) دونالد وبير « إيران ، ماضيها وحاضرها » - مكتبة مصر - القاهرة ١٩٥٨ .

(١٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى « تاريخ الأمم والملوك » - دار الفكر - بيروت ١٩٧٩ .

(١٧) الحافظ ابن كثير الدمشقى « البداية والنهاية » - مكتبة المعارف - بيروت ١٩٧٩ .

(١٨) أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى « فتوح البلدان » - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٦ .

(٢٠) د . على حسنى الخربوطلى « المستشرقون والتاريخ الإسلامى » - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٩٧١ .

(٢١) القرآن الكريم سورة الأنفال الآية رقم (٦٦) .

اللغة والأدب والنقد

من ذكريات رشيد رضا

وقفة مع محقق كتاب الوحوش

قراءة في كتاب

المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي

من ذكريات رشيد رضا

للأستاذ
السيد حسن قرون

السيد محمد رشيد رضا ـ و (السيد) لقبه ، وهو لقب آل البيت ، عرف به وكانه علم عليه ، وهو أحد ثلاثة فى العصر الحديث كانت لهم قدم صدق فى العاملين فى الإصلاح الإسلامي .

اما الثلاثة فهم حسب مواليدهم وظهورهم فى الحياة العامة : السيد جمال الدين الأفغاني ، والإمام الشيخ محمد عبده ، والثالث محمد رشيد رضا ، وقد اشتهر رشيد رضا فى مصر والعالم الإسلامي بعملين عظيمين : (١) مجلة المنار (٢) تفسير المنار . وإن كان الرجل قام بأعمال كثيرة ، واشترك فى مهام خطيرة تتعلق بشئون الدعوة الإسلامية والصحافة والتأليف . وقد حكى عن بداية أمره فى الأدب والثقافة الإسلامية : أن أول مقال كتبه ونشرته جريدة « طرابلس » كان عنوانه « فلسفة الأخلاق » وأن رئيس تحرير الجريدة لقبه عند ذكر اسمه « بالأديب الأريب » والأريب معناها العاقل ، وكان من الجائز أن يستمر فى صناعة الأدب وهو القارىء الدارس منذ نعومة أظفاره ، فيكون فى مقدمة الكتاب والشعراء والخطباء ، وله فى كل مجال منها نصيب ، بيد أن ميوله اتجهت إلى الإصلاح ، والإصلاح الإسلامي ، ومقاله الأول الذى تحدثنا عنه يشير إلى مستقبله فى عالم الكتابة .

ومن ذكرياته الشبابية تعرف ميوله ، وسباقه فى ميادين المعرفة القائمة على الكتاب والسنة وإحياء المجد المؤثل ، والعمل على وحدة المسلمين شرقاً وغرباً ، فلنصغ إليه يتحدث يقول ، واعذرنى إذا لم انقل إليك حديثه بنصه وقصه ، فعليك بمقدمات تفسير المنار ففيها تلك

الذكريات :

كنت فى طرابلس الشام قبل اشتغالى بطلب العلم مشتغلاً بالعبادة ، ميالاً إلى التصوف وكانت النيّة فى قراءتى للقرآن الكريم لأجل الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا . ولما رأيت نفسي أهلاً لنفع الناس بما حصلت من علم على قلتهِ ، أخذت أجلس بين العوام فى بلدنا أعظهم بالقرآن مغلباً الترهيب على الترغيب .. وفى أثناء ذلك ظفرت يدى بنسخ من جريدة « العروة الوثقى » فى أوراق والدي ، فلما قرأت مقالاتها فى الدعوة إلى « الجامعة الإسلامية » وإعادة مجد الإسلام وسلطانه وعزته ، أثرت فى قلبي تأثيراً دخلت به فى طور جديد من حياتى ، وأعجبت كل الإعجاب بمنهج تلك المقالات فى الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز ، وما تضمنه تفسيرها بما لم يَحُمْ حوله أحد من المفسرين وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى ثلاثة أمور :

١ ـ بيان سنن الله فى الخلق ونظام الاجتماع البشري وأسباب رقى الأمم وتخلفها ، وقوتها وضعفها .

٢ ـ بيان أن الإسلام دين سيادة وسلطان ، وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، فهو دين روحانى اجتماعي ، ومدنى عسكري ، وأن القوة فيه لأجل المحافظة على الشريعة العادلة لا لأجل الإكراه على الدين بالقوة .

٣ ـ المقالات التى حببت إلى حكيمي الشرق ومجددي الإسلام ومصلحى العصر : « السيد جمال الدين الأفغاني » و « الشيخ محمد عبده المصري » ، وهما اللذان أنشآ جريدة العروة الوثقى فى باريس ١٣٠١ هـ ، عقب احتلال الإنكليز لمصر فى أواخر ١٢٩٩ هـ ـ ١٨٨٢ م ، وكان الكاتب لتلك المقالات فيها هو الثانى بإرشاد الأول وهو أستاذه فى هذا المنهج ومربيه عليه .

وكان أن تأثر بتلك الجريدة حتى أنه عزم على الهجرة إلى « الآستانة » حيث ينزل السيد جمال الدين الأفغاني ، ولذلك كتب إليه يعرفه بنفسه وبرغبته فى صحبته إلا أنه يخشى ألا تطول إقامة السيد جمال الدين فيها ، وعلل ذلك بقوله : « لأن بلاد الشرق أمست كالمريض الأحمق يأبى الدواء ويعافه لأنه دواء » .

لم يقابل السيد / رشيد رضا السيد جمال الدين فاتجه إلى تلميذه وخليفته الشيخ محمد عبده ، فأخذ يتربص الفرص ، ويعد نفسه للقائه فدرس العلم بطرابلس وحصله ونال شهادة العالمية أو التدريس من شيوخه ، فكان أن هاجر إلى مصر ـ كما هاجر غيره من سوريا ولبنان لإنشاء الصحف والمجلات .. وأنشأ مجلة المنار ، وهنا لابد أن يتصل بالإمام محمد عبده والشوق يغلبه ، والإصلاح يدفعه ، فاتصل به مع زقزقة العصافير ، فكان اتصاله به من أول يوم « كالاتصال اللازم البين بـالمعنى الأخص بملزومه » هكذا يصف الصلة بينه وبين الإمام محمد عبده ، ليكون الثالث المخلص فى سبيل الإصلاح وفى مشاق الغربة والعمل والكفاح ، وأنشأ المنار للدعوة إلى الإصلاح .

لئن كانت العروة الوثقى نشرت فى العالم الإسلامي خفية وعلانية ثمانية عشر عدداً ، فلقد عاش المنار سنوات طويلة يزاحم فى العالم الإسلامي والعربي الصحف الأدبية والسياسية

من ذكريات رشيد رضا

وله قراؤه من جميع الطبقات والأجناس .

وكان أول اقتراح له على الإمام أن يكتب تفسيراً للقرآن بنفس الروح التى كان يكتب بها فى العروة الوثقى . فقال كالمعتذر : إن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها مالم يتقنه بعض ، ولكن الحاجة شديدة إلى بعض الآيات ، ولعل العمر لا يتسع لتفسير كامل ، فاقترحت عليه أن يقرأ درساً فى التفسير ، وكان ذلك فى شعبان ١٣١٥ هـ ثم كررت عليه الاقتراح فى رمضان وكان يعتذر ، وفى يوم الجمعة ١٣ رمضان ١٣١٦ هـ زاره مرة ثالثة فوجده متأملاً يقرأ عبارة لكاتب فرنسي يطعن فى الإسلام ، وعلل الإمام طعن الفرنسي بضعف المسلمين . يقول السيد محمد رشيد رضا : إن الإمام محمد عبده قال إن القرآن نظيف والإسلام نظيف ، وإنما لوثه المسلمون بإعراضهم عن كل مافى القرآن واشتغالهم بسفساف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّافِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾(١) . وماذا كان يكون ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدوا بها ؟

ثم ذكر أن الطاعن الفرنسي ادعى أن المسلمين لم يعلمهم نبيهم من صفات الخالق إلا انه حاكم قاهر وسلطان عظيم ، قد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها . وقال : وأين هذا من تسمية النصارى خالقهم بالأب الدال على الرأفة والعطف ؟ ثم طفق الأستاذ يرد ففرق بين اسم الرب ومافيه من معنى التربية والعطف . ومعنى الأب ومجيء الابن بمقتضى شهوته لا محبته .. وهذا الكلام فى الواقع لا يمثل الدينين فالإله له صفاته الإلهية والأب له صفاته البشرية وبينهما مسافات ومسافات ولكن الأستاذ الإمام مضطر لمجاراة أعداء الإسلام .

يقول صاحب المنار : ومازلت به حتى أقنعته بقراءة التفسير فى الأزهر فاقتنع ، وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف (فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ) وانتهى منه فى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطاً ﴾ . من الآية ١٢٦ من سورة النساء ، فقرأ زهاء خمسة أجزاء فى ست سنين ، إذ توفى من جمادى الأولى منها ـ رحمه الله تعالى وأثابه .

وكنت أكتب فى أثناء إلقاء الدروس مذكرات أودعها أهم ما أراه قاله ، وأحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره فى وقت الفراغ . واقترح عليه القراء أن ينشر هذا التفسير فى مجلة المنار ، فاستجاب لهم ، فشرع فى النشر سنة ١٣١٨ هـ وذلك فى المجلد الثالث من المنار .

وصاحب المنار مع إخلاصه لأستاذه ، وإخلاصه لمنهجه له شخصيته فى الفهم والكتابة ، ومن ذكرياته فى هذا الاتجاه قوله :

هذا ؛ وإنى لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه ـ رحمه الله تعالى ـ بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو فى حكمها ، وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين

(١) البقرة ٢٩ .

العلماء ، وفى الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها بما يثبتهم بهداية دينهم فى هذا العصر ... وأنا أرى أن صاحب المنار ثقافته واسعة وليست له قدرة على الاختزان بخلاف أستاذه الذى كان يضع كل شيء بقدره لأنه يقصد إلى العمل والعمل وحده .

ولا جدال فى أن صاحب المنار عاش بعده فتمم ما أراده الإمامان من إصلاح ظهر أثره فى كثير من المؤسسات والمجالات ، وأنت تراه مثلاً فى تحقيقه لكتاب « أسرار البلاغة » للإمام عبد القاهر الجرجاني يبدى رأيه فى بعض الألفاظ والجمل تعقيباً على ماقاله أستاذه فى درسه .

يقول الدكتور أحمد الشرباصى - فى كتابه « رشيد رضا الأديب الكاتب الإسلامي » :

وإذا كان الكاتب الإسلامي الكبير السيد محمد رشيد رضا قد خرج إلى الدنيا وليداً فى الثالث والعشرين من سبتمبر ١٨٦٥ م ورحل إلى دار البقاء فى الثانى والعشرين من أغسطس سنة ١٩٣٥ ، فإنه قد ظل نصف قرن من الزمان يخدم الإسلام ولغة الإسلام وأدب الإسلام بقلمه وبيانه خدمة موصولة جليلة قد يكون أكبرها وأظهرها : أثرين باقيين من آثاره : هما مجلة المنار ، وتفسير المنار .. وحبذا لو أعيد نشر تفسير المنار ، واختيار بعض كتاباته وقصصه من مجلة المنار لتكون نوراً أمام ناشئة العرب والمسلمين ، وأن تكتب سيرته بأسلوب قصصى يناسب أشواقه التى تحدث عنها حين أراد لقاء الأفغانى ففاته اللقاء بموته ، وهجر بلده وبيته ليكون مع (مناره) مناراً فى مصر لمصلحة العرب والمجتمع الإسلامي ، رحمه الله ونفعنا بما ألف ونشر .

وقفة مع كتاب الوحوش

هذا كتاب من كتب الأصمعى ، وهو مفيد جداً ، وقد حققه زميلنا أيمن ميدان ، المدرس المساعد بقسم الدراسات الأدبية ، بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، وتحقيق الكتاب دقيق يسير على قواعد نشر المخطوطات ، فقد قابل المحقق بين الروايات ، واثبت الصحيح ، وقوّم المعوجّ ، ونسب ابيات الشعر والرجز إلى قائلها ، وفسّر ما عَسُرَ فهمه من ألفاظ الشعر ، ثم وضع لنشرته فهارس كاملة تساعد الباحث ، والفهارس عمل مهمّ وإن بدا آلياً .

د/ شعبان محمد مرسى

الكتب والرسائل يستطيع المؤرخ الثقافي أن يرصد حركة التأليف عند قومنا ، ويستطيع أن يصف تطور الثقافة واتجاهاتها حتى عصرنا هذا ، وهو موضوع قيّم وفرع من فروع الدراسات التاريخية عسى أن يجد من يهتم به ، وإن كانت المشكلة معقدة فيما يتصل بالقرن الأول والثاني للهجرة ؛ لندرة ما وصلنا من كتب تلك الحقبة ، وإن كانت قد وصلتنا أسماء كتب كثيرة ، لعل الأيام تكشف عنها .

وقد سبق أن نشر المستشرق (جاير) هذا الكتاب فى القرن الماضي ، وفاته أن يطلع على بعض مخطوطاته ، وقد استوفى هذا النقص (أيمن) فى نشرته هذه للكتاب نفسه ، وكان بودّى أن يترجم (أيمن) مقدمة المستشرق جاير ودراسته ؛ ليتضح بالمقارنة مابذله(أيمن)من جهد ومدى الإضافة التى أضافها زميلنا ، فليس يكفى طالب الحقيقة قول(أيمن) « وبعد فترة تتجاوز

وقيمة الكتاب عظيمة ؛ فهو من **الناحية اللغوية** يعدّ قاموساً مرتباً على الموضوعات ، فمثلاً عن (الحمار) يقول أبو سعيد الأصمعىّ : « هو الحمار ، والعَيْر ، والمِسحل ، وجماعة العير أعيار ... » ص ٤١ . ويسوق الأصمعىّ الشواهد لما يقول ، وهى - عادة - من الشعر والرجز ، وعلى هذا المنهج يسير الأصمعىّ فى كلامه عن البقر والغزلان والأرانب وغيرها .

ولا ريب أن هذا الكتاب كان أصلاً من الأصول التى استقى منها واضعو المعاجم العربية مادتهم فيما تلا عصر أبى سعيد الأصمعىّ .

ومن **الناحية الأدبية** يعدّ هذا الكتاب مصدراً من مصادر الشعر العربي القديم ، ويزيدنا ثقة بوجوده ، يضاف إلى ذلك جهد الأصمعىّ فى الشرح ؛ فإنه يضع أيدينا على الفهم الصحيح لمعاني هذا الشعر الذى أورده .

وناحية ثالثة لا تقل أهمية عما سبق ، وهي **القيمة التاريخية** لهذا الكتاب ؛ إذْ هو يمثل لبنة مهمة فى البناء الثقافي عند العرب ، فبه وبغيره من

* الكاتب : مدرس الأدب بكلية دار العلوم . حصل على الدكتوراة فى الأدب الأندلسي من « الجامعة المركزية » بمدريد

القرن من الزمان ، خلالها ظل الكتاب غريب الموطن ، غربىّ الثياب ، تتحلقه الأعين الخضر والزرق ، وتحتضنه خزائن الكتب بأوروبا ، رأيت أن أعيده إلى موطنه الأصلىّ ، وأن أنزع عنه تلك القبعة الغربية وذاك الهندام ، وأوشحه بالإزار العربي والسروال » ص ٦ .

ثانياً : وإذا اقتبس الإنسان آية من القرآن وجب أن يضعها بين قوسين مثل هذه الآية ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا . . ﴾ ، لا أن تكتب كأنها كلام عادىّ ، كما ورد فى الصفحة التاسعة(١) .

ثالثاً : فى رثاء الأصمعىّ لسفيان بن عيينة ورد هذا البيت :

« فَلْيَبْكِ سُفْيَانَ بَاغِي سُنَّةٍ دَرَسَتْ
وَمُسْتَبِيتُ أَثَارَاتٍ وَآثَارِ » ص١٥

والمناسب للمعنى أن تكون : وَمُسْتَبِـينُ بـ (النون) فى آخر الكلمة لا (التاء) .

رابعاً : فى ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم الأصمعىّ يستحسن أن تثبت تواريخ ولادتهم ووفاتهم قدر الإمكان ؛ كي نتأكد من صحة القول بأن الأصمعىّ قد أخذ عنهم ، وكذلك الحال بالنسبة للتلاميذ الذين تلقوا العلم على يد أبي سعيد الأصمعىّ . وهناك شيوخ رووا عن الأصمعىّ ، وروى عنهم هو أيضاً مثل مالك بن أنس ؛ فقد ذكر فى الشيوخ ص ١٩ وذكر فى التلاميذ ص ٢٠ ، والأفضل أن يكون هذا قسماً على حدة .

خامساً : يقول أيمن : « كان منهج رواة كتب الأصمعىّ بصفة خاصة ، وعلماء القرنين الثالث والرابع بصفة عامة أنهم يزيدون فيما يروون من كتب ورسائل ، مما يرونه مفيداً ومتمماً لمادة الكتاب ، ويتبلور هذا ـ جلياً ـ فى كتاب الوحوش الذى حققناه » ص ٣٠ .

هذه المسألة شائكة ؛ إذ المعروف أن رواة اللغة العربية كان يشترط فيهم **العدالة والضبط** ، وهما الشرطان المعمول بهما فى علم الحديث وروايته ، وما أراه أن الأمر لا يعدو أن يكون التلميذ راوى الكتاب يفسر بعض ألفاظ الكتاب الذى يرويه ، أو يعلق عليها ، أو يضيف فوائد ، وهو يعرف متن شيخه ، ويعرف تعليقاته هو ، إذن هو لا يقصد الزيادة فيما يرويه من كتب أو رسائل عن شيخه ، وإلّا لما كان عادلاً ولا ضابطاً ، وعلى المحققين الآن أن يفصلوا بين متن الشيخ وتعليقات التلميذ أو المريد ، وهذا يتطلب جهداً كبيراً ، وصبراً جميلاً* .

والمآخذ التى أخذها أيمن على الأصمعى ص٣١ فيها حَيْف * إذ لا يعقل أن نطلب من الأصمعى ، وقد مضى عليه حوالى اثنىعشر قرناً ، أن يلتزم ما نلتزم به الآن من قواعد المنهج العلمي ، وإنما العدل أن نضع الرجل فى عصره . وأن نحاول أن نعيش معه فى ذلك الزمان ، ونقدره بقدره ، رحم الله علماءنا ؛ فما كانوا يهتمون بالألقاب ولا بالحُطام ، وإنما كانوا يتعلمون ، ويعلمون ابتغاء رضوان الله .

فى النهاية أهنىء صديقنا « أيمن » ؛ لتحقيقه هذا الكتاب ، وأشكره على إهدائه نسخة لى ، وهي ـ بلا ريب ـ طبعة ممتازة ، صدرت عن النادي الأدبي الثقافي بجدة . بالمملكة السعودية ، ونرجو أن يكون نشر النصوص القديمة على هذا النمط من الدقة والضبط والجمال ، وأسأل الله أن يعين أيمن لإخراج نصوص أخرى أكمل وأفضل ، آمين ..

---

(١) أي بعد أن صدر فى كتاب .

* ولعل ذلك يستبين بوضوح عندما تتعدد نسخ المخطوط دون أن يكون بعضها مأخوذاً من بعض .

* مجانبة للصواب .

قراءة في كتاب

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى

تأليف الدكتور/ عبدالعظيم محمود الديب

عرض وتحليل
أحمد السيد تقى الدين

دراسة جديدة تؤكد :

- **مأساتنا مع المستغربين الذين مازالوا يحملون أفكار المستشرقين ..**
- **التاريخ ليس علم الماضى بل هو علم الحاضر ...**
- **تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة خلفتها الحروب الصليبية ..**

« إنما الأمل فى ناشئة من أبناء أمتنا ، مازالوا يتحسسون طريقهم ، عسى ألا يفتنوا بما افتتن به بعض الأساتذة الكبار ، فمن حق هذا الجيل الناشىء ، وهذا النبت البازغ أن نبصره بقضية امتنا ، حتى يعرف خبئها ، ويدرك سرها ، فلا تخدعه عن نفسه وحقيقته تلك الصفوة التى انبهرت بالغرب » .

جاء هذا فى مقدمة أحدث دراسة علمية للدكتور عبدالعظيم محمود الديب تحت عنوان « المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى » ضمن سلسلة كتاب الأمة التى يصدرها مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ، وهو الكتاب السابع والعشرون ضمن هذه السلسلة وصدر فى ربيع الثاني ١٤١١ هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٠ وينتظم (١٣٤) صفحة يدخل فيها تقديم وتعريف للكتاب ومؤلفه كتبه

الأستاذ (عمر عبد حسنة) المشرف على السلسلة .

فى البداية يتناول المؤلف « المنهج فى كتابات الغربيين » بوجه عام فيقول : « كنا نظن أننا فرغنا من هذه القضية ، قضية المستشرقين ووضعنا أعمالهم وجهودهم فى مكانها الطبيعى .. وكنا نتوقع أن أهل الفكر والرأى عندنا قد أدركوا موقع أمتهم وعرفوا قدرها ومكانتها ومكانها .. ولكن للأسف فنحن فى داخل الحصن الثقافى لأمتنا مازلنا .. نرى من يقف فى جمع حاشد من الأكاديميين ويصيح على رءوس الأشهاد : « إن المستشرقين هم الذين أنقذوا أمتنا من الجهالة وأخرجوها من ضلالتها ، ثم يندفع مطالبا بنقل كل من ينقد المستشرقين إلى مصحة للعلاج النفسى » !!

من هنا ينقد الدكتور عبدالعظيم الديب موقف المستغربين مؤكدا أن هؤلاء المستغربين هم مأساتنا ، هؤلاء الذين ديدنهم الاستخفاف بتراث أمتنا بلا سبب وبلا بحث وبلا نظر ، وأبشع من ذلك هذا الإرهاب الثقافى الذى يمارسونه بلا هوادة ولا رحمة ، هذا الإرهاب الذى جعل ألفاظ : « القديم » ، و « الجديد » ، و « التقليد » ، و « التجديد » ، و « التخلف » ، و « التقدم » ، و « الجمود » ، و « التحرر » ، و « ثقافة الماضى » ، و « ثقافة العصر » سياطا ملهبة بعضها سياط حث وتخويف لمن أطاع وأتى ، وبعضها سياط عذاب لمن خالف وأبى .

● **أهداف المستشرقين :**

ثم يقوم الباحث بتحليل أهداف المستشرقين حيث أحصى الأبحاث والكتب التى كتبها المستشرقون عن الإسلام فى الفترة من مطلع

القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين فوجدها تصل إلى نحو ستين ألف كتاب ، وتساءل : « لم كل هذا الاهتمام ؟؟ لم كل هذا العناء ؟؟ » ستون ألف بحث وكتاب فى تاريخ الإسلام وعقائده ومذاهبه وفقهه وسيرة نبيه .. إلخ !! ؟

وأكد المؤلف أن الاستشراق يرمى من وراء ذلك إلى غايتين :

أولاهما : حماية الإنسان الغربى من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته ويجاهد فى سبيله . ولذا كانت غاية الاستشراق منذ نشأته محاولة تبشيع صورة الإسلام وأهله حتى لا يتتابع من بقى من رعايا الكنيسة على الدخول فى الإسلام مثلما فعل أضرابهم من أهل الشام ،

● قراءة فى كتاب المنهج فى كتابات الغربيين

ومصر ، والشمال الأفريقى ، والأندلس ، وكان هذا الفزع يسوق حركة الاستشراق منذ نشأته ويوجهه لتعبئة أتباع الكنيسة ورعاياها وتجييشهم ووضعهم تحت السلاح دائما .

أما الثانية فهى : معرفة الشرق ودراسته : أرضه ومياهه وطقسه ، وجباله وأنهاره ، وزروعه وثماره ، وأهله ورجاله ، وعلمه وعلمائه ودينه ، وعقائده ، وعاداته ، وتقاليده ، ولغاته .. إلخ ، وذلك حتى يعرف موجهو الاستشراق ـ كيف يصلون إليه ، فقد ظلت دار الإسلام مرهوبة مخوفة ، لم تستطع الصليبية المقهورة أن تحاول مجرد محاولة اختراقها لعدة قرون ، ولكنها ما فتئت تدبر وتقدر ، وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام ، لما استعصى عليها اختراقها ، وكان الاستشراق هو رائدها الذى يرتاد لها الطريق ، والذي يعتبر رجاله فى الغرب ذوى صفتين حتى يكون كل منهم مأمونا مصدقا .

الصفة الأولى : أن فى قلبه كل الحمية التى أثارها الصراع بين المسيحية المحصورة فى الشمال ، وبين دار الإسلام الممتنعة على الاختراق .

الصفة الثانية : أن فى صميم قلبه كل ما تحمله قلوب خاصة الأوروبيين وعامتهم وملوكهم وسوقتهم من الأحلام البهيجة والأشواق الملتهبة إلى حيازة كل ما فى دار الإسلام من كنوز العلم والثروة والرفاهية والحضارة .

● تطور الدراسات الاستشراقية

ثم يتحدث الدكتور الديب عن تطور الدراسات الاستشراقية فيؤكد أن الاستشراق مازال وسيظل بعيدا عن المنهج العلمى الصحيح والتجرد للبحث وخدمة الحقيقة وذلك لأسباب كثيرة بعضها راجع لطبيعة الاستشراق وهدفه ونشأته ، وبعضها راجع لعجز طبعى فطرى فى هؤلاء الأعاجم يحول بينهم وبين امتلاك وسائل البحث فى العلوم الإسلامية وأدواتها .

ويستدل المؤلف على صحة ما يقول بعرضه لنماذج من كتابات بعض المستشرقين منهم الدكتور « جلوور » فى كتابه (تقدم التبشير العالمى) الذى نشره عام ١٩٦٠ حيث قال فيه : (إن سيف محمد والقرآن أشد عدو وأكبر معاند للحضارة والحرية والحق ، ومن أخطر العوامل الهدامة التى اطلع عليها العالم إلى الآن) .

وينتقد شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا : (كان محمد « صلى الله عليه وسلم » حاكما مطلقا وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويعمل ما يشاء وكان مجبولا على هذه الفكرة ، فقد كان عازما على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه فى هواه ، أما جيشه العربى فكان يتعطش للتهديد والتغلب ، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم) .

وهكذا أصبح تحامل المستشرقين على الإسلام صفة موروثة وخاصة طبيعية ، تزول المؤثرات ، والدوافع ، والأسباب ، ولا تزول هذه الغريزة فكيف يقال : إن الدراسات الاستشراقية تطورت ؟؟ .

ويؤكد الباحث على أن المستشرقين

لا يتوجهون بهذه الأعمال والبحوث كلها إلا إلى المثقف الغربى الذى يخافون عليه ويحصنونه أن يقع فى إسار الإسلام دينا وفكرا وحضارة ، كأن الاستشراق بهذه الأعمال يضرب ستارا كثيفا من التشويش والتشويه بين المثقف الأوروبى وبين الإسلام .

فهم فى كتاباتهم الأولى كانوا يكتفون بالسب والشتم فى الإسلام وفى رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الترتيب والتنسيق والاستدلال ، وأخذوا فى التعميق وارتداء ثوب البحث وطيلسان الأكاديمية ، لكنهم ظلوا أوفياء لهدفهم الأول وهو تحصين الإنسان الأوروبى ضد الإسلام ، فليس فى الأمر موضوعية ولا منهجية ولا اعتدال ولا استقامة ، وإنما كان هذا التغيير أو التطور ليس إلا فى الأساليب فقط لتتفق مع تطور العقلية الغربية وما يؤثر فيها .

● خطورة الاعتماد على كتابات المستشرقين

ويحذر الدكتور الديب من خطورة اعتماد مفكرى وعلماء المسلمين على كتابات المستشرقين واعتمادهم إياها بوصفها مصادر ومراجع موثوق بها وهو ما لم يكن المستشرقون يحلمون به فلم تشهد الدنيا قط فى تاريخها رجلا غريبا عن الأمة صار مسموع الكلمة فى أدب هذه الأمة وتاريخها وحياة مجتمعها ، بل ودينها ، لم تشهد الدنيا فى تاريخها ما شهدته أمتنا . ويتساءل المؤلف قائلا : « أرأيتم قط رجلا واحدا من غير الانجليز مهما بلغ من العلم والمعرفة كان مسموع الكلمة فى آداب اللغة الانجليزية وخصائص لغتها وفى تاريخ الأمة الانجليزية وفى حياة المجتمع الانجليزي ، يدين له علماء الانجليز بالطاعة والتسليم » ؟ « أليس غريبا أن يكون غير الممكن ممكنا فى ثقافتنا نحن وحدها دون سائر ثقافات البشر قديمها وحديثها ؟ غريب عجيب لامحالة » .

● المستشرقون والتاريخ

ويعرج الدكتور عبدالعظيم إلى الحديث عن « المستشرقون والتاريخ » مؤكدا على أن للتاريخ أهمية عظمى فى بناء الأمم والمحافظة على هويتها وشخصيتها وقدرتها على الاستطالة والشموخ ، فالتاريخ ليس علم الماضى بل هو علم الحاضر والمستقبل فى واقع الأمر وحقيقته فالأمة التى تستطيع البقاء هى الأمة التى لها ضمير حى ومعرفة بالتاريخ وعشق له .

ومن وجهة نظر المستشرقين يعتبر تشويه التاريخ الإسلامى مؤديا بالضرورة إلى تشويه الإسلام ، ولذلك رأينا فعلا وواقعا اتجاه المستشرقين من قديم إلى تشويه هذا التاريخ ، واتخذوا لذلك مناهج وطرقا تؤدى بهم إلى النتيجة التى يريدون ، ويمكن تبين ملامح هذه النتائج إذا ميزنا بين جانبين يتعلقان بالمنهج .. وإلى العدد القادم بمشيئة الله .

أنباء وآراء

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل وفد جمهورية تاجيسكتان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر وفدا من جمهورية (تاجيسكتان) السوفيتية برئاسة القاضي أكبر توره جاز زاده - رئيس القضاء والشئون الإسلامية .

وقد عرض رئيس الوفد خلال اللقاء لأحوال المسلمين في الاتحاد السوفيتي بعد الانفتاح الجديد وحاجة المسلمين إلى دعم الأزهر الشريف .

وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر للوفد مجموعة من المصاحف ، وكتب التراث والمراجع الدينية والكتب الدراسية الخاصة بتعليم اللغة العربية وأشرطة (الفيديو) التي تتناول تاريخ الأزهر الشريف .

الدكتور حامد جامع. وكيلا للأزهر

● أصدر فضيلة الإمام قرارا بنقل فضيلة الدكتور / حامد عبد الحميد جامع أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية مع ندب فضيلته وكيلا للأزهر .

شغل فضيلة الدكتور حامد جامع منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر قبل سفره إلى الكويت حيث عمل مستشارا بوزارة الشئون الإسلامية وعضوا بهيئة تحرير الموسوعة الفقهية الإسلامية بها .

الأزهر يشارك في المؤتمر الدولي لفقهاء المسلمين بنيجيريا

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ محمد حسام الدين وكيل الأزهر بالإنابة سابقا ، والدكتور محمد رأفت عثمان - عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بطنطا - إلى نيجيريا للمشاركة في أعمال المؤتمر الدولي لفقهاء المسلمين الذي ينظمه مركز الدراسات الإسلامية الشرعية بجامعة أحمدو بيلو في الفترة من ١٦ - ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ ٢ - ١٩٩١/١/٦ .

الإمام الأكبر يرحب بمبادرة بوش

أعرب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر عن ترحيبه بالجهود المبذولة في الوقت الراهن لإجراء اتصال بين كبار المسئولين في كل من واشنطن وبغداد لحل أزمة الخليج بالطرق السلمية ، مؤكدا أن السلام هدف إنساني وإسلامي ، وأن هذه الخطوط تمثل فرصة جديدة وجديرة بأن ينتهزها أطراف النزاع لاسيما قادة العراق لإنهاء مشكلة الخليج .

أجازة نصف السنة بالأزهر

تبدأ أجازة نصف السنة للعام ١٤١١ هـ - ٩١/٩٠ لطلاب المعاهد الأزهرية بجميع مراحلها عقب انتهاء دروس يوم الخميس ٢٤ من جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق العاشر من يناير ١٩٩١ . لمدة أسبوعين فقط .

الأذان فى الصلوات الخمس بألبانيا

ذكرت الإذاعة اللندنية أنه لأول مرة منذ أكثر من عشرين عاما يبدأ سكان ألبانيا فى إعلان الأذان للصلاة من فوق مآذن المساجد التى كان الرئيس الألبانى (أنور خوجه) قد أصدر قرارا منذ عام ١٩٦٧ بإغلاقها وإغلاق جميع المؤسسات الإسلامية بألبانيا .

الجدير بالذكر أن المسلمين يشكلون ٧٠ ٪ من السكان فى ألبانيا البالغ عددهم ٣,٥ مليون نسمة .

المسلمون فى الصين واستراليا

فى إحصاء أخير أجرته وكالة الأنباء الإسلامية ـ جدة ـ ذكرت فيه أن عدد المسلمين بالصين بلغ ١٥ مليون مسلم لهم نحو (٤٠) ألف مسجد .

ذكرت الوكالة ـ أيضا ـ أن عدد المسلمين باستراليا زاد بنسبة ٧٠ ٪ فى السنوات الخمس منذ بداية عام ١٩٨١ م إذ بلغ عدد المسلمين نحواً من (٣٠٠) ألف مسلم منتشرين بولايات استراليا ، ويبلغ عدد الجمعيات الإسلامية التى ترعى شئون المسلمين باستراليا خمسا وخمسين جمعية .

كلية إسلامية فى مقدونيا بيوجوسلافيا

صرح الشيخ / شريف دهارى رئيس اتحاد العلماء بجمهورية (مقدونيا) اليوجوسلافية بأنه سوف يوضع حجر الأساس لأول كلية إسلامية فى مقدونيا خلال شهر رمضان المعظم لهذا العام ١٤١١ هـ وستخصص للدراسات الإسلامية والعربية ، وتقبل الطلبة الذين أنهوا دراستهم بنجاح فى المعهد الدينى الثانوى بـ (سكوبيا) عاصمة مقدونيا .

يتكلف بناء الكلية نحو مليونى جنيه وتضم مبنى لإقامة الطلبة والإعاشة ويلحق بالمبنى مطبعة ومسجد وقاعة ندوات .

جدير بالذكر أن الشيخ / شريف دهارى خريج كلية الشريعة جامعة الأزهر .

يدرس بالأزهر الآن نحو من (١٥٠) طالبا من يوجوسلافيا .

عدد المسلمين فى (مقدونيا) ٨٠٠ ألف مسلم .

لجنة المؤتمر الإسلامي لوزارة الإعلام تقرر وضع ميثاق شرف للإعلام الإسلامي

فى فترة من أدق الفترات التى تعيشها أمتنا الإسلامية وفى الفترة من ١٥ من جمادى الأولى ١٩٩٠/١٢/٣ م وحتى ١٧ من جمادى الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠/١٢/٥ م انعقدت لجنة المؤتمر الإسلامى لوزراء الإعلام الإسلاميين وخرجت توصياتها تواكب ما تعانيه الأمة الإسلامية حاليا ، لذا قررت :

أولا : وضع برنامج إعلامى إسلامى لمساندة الكويت وتأكيد انسحاب العراق دون قيد أو شرط .

ثانيا : الأخذ باقتراح دولتى (مصر) و (عمان) بوجوب وضع ميثاق شرف للإعلام الإسلامى .

ثالثا : وضع برنامج إعلامى إسلامى لتأييد انتفاضة الشعب الفلسطيني داخل الأراضى المحتلة .

يهود اليمن - بقية -

وأعجب به وصحبهما معه إلى اليمن . ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأطاعوه ، وأنه قد ثبت الدين اليهودى فى اليمن فى عهد الملك الحميرى ذى نواس أى فى أوائل القرن السادس للميلاد(١٥) .

وإذا بحثنا أصول اليهود فى اليمن (وهى قضية خلافية بين العلماء) سنكتشف عدة آراء رئيسية :

بعض المؤرخين يرى أن اليهود الذين سكنوا اليمن هم من سلالة الفئة المتهودة على يد ملك حمير فى القرن السادس بعد الميلاد(١٦) .

ومنهم إسرائيل ولفنسون ، حيث يقول إن الأغلبية المطلقة التى انتمت لهذا الدين فى اليمن كانت من سكان البلاد الأصليين(١٧) .

ويتحدث (جويتاين) عن اكتشافات جديدة تلقى الضوء على فترة (ذى نواس) ، وأنه قد عرف من مصادر جديدة مكتوبة اسمه الحقيقى وهو (يوسف أسار) ويقول : إن لقب التكريم (أسار) حذفته المصادر المعـادية ، وينهى البروفسور جويتاين مقاله بالنتيجة التى تقول : إن هذه الكتابات الجديدة تقر افتراضه الذى يقول فيه :

«إن يهود اليمن الذين معنا الآن ليسوا من فرع الحميرين المتهودين على الإطلاق»(١٨) .

فى حين يرى الدكتور جواد على : «أن أكثر يهود اليمن هم من أصل عربى»(١٩) .

- يتبع -

---

(١٥) سوسه . أحمد (دكتور) : العرب واليهود فى التاريخ ، العربى للإعلان ، دمشق ، ١٩٧٣ ، ص ٣٣٤ .

(16) Stephan and Nandy Ronart : Encyclopedia of Arabic Civilization, Arab Eastm 1966, p, 384 .

(١٧) ولفنسون : مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

(١٨) هآرتس ، بتاريخ ١٩٥٥/٣/٢٥ .

(١٩) جواد : مصدر سابق ، ص ٢٤ .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حىَّ الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأساً إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « الواقع والمبادىء » د . على أحمد الخطيب	٦٠٩
● باب « مع الإمام الأكبر »	٦١١
● خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة لفضيلة الإمام الأكبر	٦١٢
● فتوى فى بعض احكام تتعلق بالاقليات الإسلامية لفضيلة الإمام الأكبر	٦١٧
● بيان من مشيخة الأزهر فى شأن تدوين الآيات القرآنية	٦٢٠
● بيان من مشيخة الأزهر حول العدوان على المساجد فى الهند	٦٢١
● استجابة الحكومة الهندية لنداء فضيلة الإمام الأكبر	٦٢٢
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير الهند	٦٢٣
● الدعوة إلى الخير للشيخ على حامد عبد الرحيم	٦٢٦
● إمام الفقهاء وكنز العلماء معاذ بن جبل للأستاذ الدكتور عبد العزيز غنيم	٦٢٩
● كلمة وبيان فى الحوادث الراهنة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز	٦٣٤
● قضية القضايا الاقتصادية للأستاذ الدكتور عبد الحميد الغزالى	٦٣٩
● أضواء على تاريخ الثقافة الإسلامية فى غرب افريقيا للأستاذ الدكتور أحمد الحفناوى	٦٤٧
● إنكار ابن سبأ للأستاذ أحمد عرفات القاضى	٦٥٣
● يهود اليمن للدكتور محمد حسن عبد الخالق	٦٥٩
● مقارنة القوات فى معارك الفتح الإسلامى للدكتور محمد بهاء الدين حنفى	٦٦٢
● باب الشعر والشعراء إشراف الأستاذ رشاد يوسف	
● بكائية فى ثنيات الوداع للأستاذ السيد الصديق	٦٦٨
● الأذان للأستاذ عمر موسى البرعى	٦٧٠
● تأملات فى الحياة والموت لأبى العلاء المعرى	٦٧١
● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٦٧٢
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر (علموهم يكونوا لكم) لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٦٧٧
● طرائف ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٦٨٠
● من أعلام الأزهر فضيلة الشيخ حسنين مخلوف لفضيلة الشيخ محمد حسام الدين	٦٨٢
● من أعلام الأزهر عبد الكريم جرمانوس للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٦٨٦
● باب اللغة والأدب والنقد	
● من ذكريات رشيد رضا للأستاذ السيد حسن قرون	٦٩٤
● وقفة مع كتاب الوحوش للدكتور شعبان محمد مرسى	٦٩٨
● قراءة فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى للدكتور عبد العظيم محمود الديب عرض وتحليل أحمد السيد تقى الدين	٧٠٠
● أنباء وآراء إعداد : عبد المنعم فوده مصطفى عبد المجيد	٧٠٤
● القسم الانجليزى د . أنس مصطفى النجار	
● المقالة الثانية : للأستاذ لطفى على سلطان	٧١٣
● المقالة الأولى : د . أنس مصطفى النجار	٧١٨

Divine knowledge cannot be made a basis for man's reckoning, his reckoning will be on the basis of his own personal deeds in his life.

On these two bases, the foundation of patience has been kept; and for this reason, religion demand it. But, he who shuts his eyes from realities by force of his nature is dumb founded when he has to face hardships and his hands and feet become inactive when he has to fight difficulties. His rashness dislikes waiting patiently and he is unable to tolerate it. Therefore, when he has to suffer some kind of failure, or when he faces some hardships, the earth with all its great vastness becomes narrow for him. He wants to come out of these conditions in the twinkling of an eye; but it is obvious that in this effort, he will not be successful, for it is against the temperament of the world and against the precepts of faith. It is quite proper for a Muslim to learn to be patient and to wait. "Man is a creature of haste. I shall show youMy signs; then ye will not ask Me to hasten them (Surat Al-Anbiya, XXI : 37).

"But if ye show patience, that is indeed the best course (Surat Al-Nahl, XVI, 126).

"Who show patient perseverance over their afflictions..." (Surat Al-Hajj, XXII, 35).

"Wait patiently for the decree of Allah" (Surat Al Tur, L11, 48).

Patience relies on two important realities. The first reality is concerned with the nature of this worldly life. Allah, The Most High has not made this world a residence of peace and satisfaction or of reward and recompense, but He has made it a residence of tests and trials. The time which a man spends in this world is really a time for endless experiences. He comes out of one trial to undergo another which is different and harder. Man is tried and tested once by one thing and again by its opposite. A certain human is put to different kinds of trials and there is no other way, except that he should meet the hardship with patience, endurance and steadfastness. Since this life is a testing ground, one must strive hard to overcome difficulties.

The second reality is concerned with the nature and temperament of faith. Faith is the relationship between man and his Creator. As in the relationship between man and man, true friendship and sincerity can only be judged when confronted with unfavourable conditions and bitter circumstances; when dealing with the hardships brought about by the turbulence of time, and when surrounded by various problems. At such time, man's real worth and sincerity can be judged. Exactly similar, is the case of faith. To find out the truth and sincerity about faith it is necessary that a Muslim be tried, he should be put in the crucible of heat to see whether he comes out glowing like the gold, or whether he will be burnt away with the impurities. The Glorious Qur'an says: "Do men think that they will be left alone because they say "We believe" and will not be tested with affliction. We did test those before them . Verily Allah knows those who are sincere and those who are false." (Surat Al-Ankabut XXIX " 2 and 3).

Undoubtedly, Allah's knowledge covers all manifest and concealed matters, and from this test, there will be no addition to His knowledge, because He knows all the conditions from the beginning to the end. The

never befallen anyone. The Prophet never retaliated against anyone for any wrong done to his person.

At the fall of Mecca, no thought of vengeance entered the Prophet's mind and his most bitter foes, who had for over a decade so relentlessly tried to exterminate him, were forgiven by his famous words : "This day there is no reproach upon you and you are all free". The advice that the Prophet generally gave as a teaching to all Muslims was "Restrain yourself, Allah likes those who practice restraint and are kindly". (Sahih Muslim).

Muhammad, the Prophet of Islam (peace and blessing of Allah be upon him) was and will always remain an exemplary pattern. He is the teacher of Muslims in particular and of Mankind in general in matters related to the prosperity, welfare, excellence, and virtue of the human race.

Virtue as a human quality has been defined as "the health of the soul", "the fount whence honour springs". The fundamental roots of virtue are patience, and trust in the Divine Transcendent Power - Allah.

Patience (al - Sabr) and Trust in Allah (al-Tawakkul) are two qualities of the highest order of human elegance, refinement and organization, which only a person of great moral fibre can attain. It is these two traits which are advocated by Islamic teachings, which have been distorted, misinterpreted and misconstrued by less-informed persons to present the very erroneous false understanding that Islam preaches fatalism. Patience does not mean in any way helplessness, pessimism or surrender. On the contrary, it means, steadfastness of purpose, constancy of effort, control of passions, buoyancy of spirit, patient endurance and fortitude in the event of failure, disaster and all states of adversity. The Holy Qur'an repeatedly spells out the various meanings of patience "Sabr".

"O you who believe ! Seek help in steadfastness and prayers; for Allah is with the steadfast." (Surat Al Baqarah, II, 153).

"Those who spend (freely) whether in prosperity or in adversity; who restrain anger and pardon all men - for Allah loves those who do good (Surat Al-Imran, III, 134).

"Those who show patience and constancy and work righteousness; for them is forgiveness (Surat Hud, XI, II).

to all Muslims. The text was addressed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as support at times of great tribulation and provocation; and also to be taught to Muslims by the great teacher of all mankind. The highest reward is achieved by those who practice patient perseverance - directly from Allah. Patience with constancy in those circumstances was in accordance with Allah's own command. The Surah ends with the highest consolation which pious and righteous humans can receive : the assurance that Allah, Almighty is with them and double qualification is indicated for so high an honour; that they should not yield to human passion or anger or impatience; and that they should go on with constancy doing good all around them, to attain the Presence of Allah. The full meaning of the Arabic word 'Sabr" - patience - in all the above verses is : patience, perseverance, constancy, self-restraint.

The traditions of the Prophet exhorted the people to be steadfast and patient in the face of failures, trials and adversity. Several of the Prophet's Hadith provide indications to that effect. "A believer is put on his trial by the loss of wealth and progeny" (Malik and Al-Tirmidhi). "If the person who is treated unjustly bears the injustice for the sake of Allah, and declines to retaliate, then Allah honours him by way of recompense in this life and in the life to come" (Musnad Ahmad). "Considerate action is divine in quality, and hasty one is satanic." (Al-Tirmidhi).

The whole life of the Prophet-peace and blessings of Allah be upon him - is a radiant example of this great quality. His father died before his birth; his mother left him when he was only six; his grandfather who had taken him under his loving care, died two years later. His uncle - Abu Talib - who stood between him and his enemies from Quraysh did not live long. His affectionate wife Khadijah, who cheered and consoled him at every buffet of adversity, died early. All his sons died in infancy; and among his four daughters only Fatimah outlived him. Yet, he bore up to his irreparable losses with great fortitude and did not let sorrow cloud his genial face. His daughter asked him to the death bed of a very dear grandson, but he sent word to console her. "What Allah has taken away was His, and what He gives is His; all His decrees come into effect at the appointed hour."

Thirteen years of persecution, insult and derision at Mecca and nine years of frightful encounters at Al-Madinah were dauntlessly braved; and so were the indigence and vicissitudes of life - so trying and poignant as had

"Be sure We shall test you with something of fear and hunger, some loss in property and lives and fruits", but give glad tidings to those who patiently persevere. Who say, when afflicted with calamity : "To Allah we belong, and to Him is our return". They are those on whom blessings from Allah are bestowed and mercy, and they are the ones that receive guidance (Surat Al-Baqarah, II : 155 - 157). The virtue of patient perseverance is rewarded by glad tidings from the Creator; and upon whom blessings, mercy and also guidance from Allah descend.

"You shall certainly be tried and tested in your possessions, and in your personal selves, and you shall certainly hear much that will grieve you from those who received the Book before you, and from those who worship many gods. But if you persevere patiently and guard against evil; then that will be a determining factor in all affairs". (Surat Al Imran, III : 186). The Ayah refers to the fact that mankind is tried and tested during his lifetime in all attributes of possessions, talent, knowledge, distinctions, belongings, power and health. In fact, everything that happens to an individual and makes up his integrated personality is a means of trial and testing. Therefore, according to Islamic concepts, the quality of Patience is very fundamental requirement.

Again the Glorious Qur'an says: "O you who believe persevere in patience and constancy, and strive well for perseverance and remain steadfast, and be careful of your duty to Allah, and fear Him that you may prosper. (Surat Al Imran, III : 200). The text of this Ayah presents the full integral meaning of patience (Sabr)). It presents patience, perseverance, constancy, self-restraint, and auto-refusal of psychological despair and spiritual sink. These meanings must be exercised within ourselves and in relation to others. In this binding mutual relation, mankind is brought more coherent in the service of humanity and therefore in the service of Allah. This brings about prosperity (Falah), success in our mundane affairs as well as spiritual progress.

"And do thou be patient, for thy patience is but from Allah; nor grieve over them; and distress not thyself because of their plots. For Allah is with those who restrain themselves, and those who do good" (Surat Al-Nahl) (XVI - 127 and 128). In this holy verse, the principles and concepts of conduct during affliction and adversity are presented in concise manner

PATIENCE, A HUMAN VIRTUE

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Patience is a virtue that most certainly crowns all human attributes. In the complicated paths of life when difficulties and misfortunes confront man, and the darkness of suffering becomes long; it is only patience that provides true relief. It is patience that keeps one safe from mental turmoil, and saves one from the muddy mire of disappointment, frustration, despair and from the heavy impact of the stresses and strains of life.

Scholars on humanities consider patience as a tower of light in human life, a basic quality that every human requires to shape his life in this world and in here-after. Patience is an integral part of the complex mental structure of the human mind. Like all mental faculties, patience as a human characteristic must be recognized, and developed to provide fruitful function at all times of human life, most of all at times of need. Throughout the life of every human, there are times of difficulties and hardships during which one should remain committed to the duties and responsibilities, whatever they may be. No doubts or misgivings, no hardships of trouble should prompt the intellect to indulge in despair or mental distress. The faculty of patience inherent within all humans, should be utilized to act as buffering substantiate to all inclinations of despondency, affliction, anxiety, acts of appropriation, grief and disturbing confusion. Such spells of existential anguish and spiritual void are frequent ordinary occurrences in the life of mankind. Therefore, is becomes self wisdom, auto-preservation, and restorative intellectual mechanism to practice the function of patience with confident conviction.

Islamic teachings have repeatedly stressed the fact that man must be prepared within the mental and spiritual framework to confront hardships, adversities and tribulations with the proper understanding and development of the faculty of patience.

The Holy Qur'an repeatedly stressed the need, the function, the importance, and the reward for the practice of patience.

commanders. Al-Ahnaf ibn Qays to command the army to Khorasan; Mugashé ibn Massoud Al-Sulmii to command the army to Ardashir and Sabur; Osman ibn Al-Aas Al-Thaqafy to command the army to Istakher; Sariah ibn Zunaim Al-Kenani to command the army to Darabgird; Suhayl ibn Adii to command the army to Karman; Asem in Amre to command the army to Sagestan; and Al-Hakam ibn Amre Al-Taghlabi to command the army to Mukran. Omar's orders to these armies was to crusade into Persian mainland summoning people to the path of Allah through the peaceful spread of Islamic doctrinal teachings.

Inspite of the Persian defeat at Nahawand, the crusade of these Muslim armies into the Persian mainland was not an easy task. Omar ibn Al-Khattab remained to draw the plans and strategy till the final domination of Muslim warriors over the Persian main land was achieved.

Persians gradually lost ground and retreated. The distress and calamity of the Persian forces became maximum when their retreat made them reach the sharp iron beads. Their losses increased in magnitude at that stage of battle when the Muslims advanced into a final triumphant attack to massacre the Persian forces whose further retreat became impossible. Phayrozan himself fled from the battle ground together with few other remnants of Persian forces reach Hamazan and Dastabi to the west of Nahawand. Muslim contingents lead by Al-Qaqaa ibn Amre followed the retreating Persians, made truce with the citizens of these cities to restore law and order under Muslim domination.

Huzaifah ibn Al-Yaman occupied Nahawand, collected the spoils of battle which reached amounts beyond all expectations. One fifth was entrusted to Al-Saaib ibn Al-Aqraa to take to Al-Madinah. Omar ibn Al-Khattab was anxiously awaiting the news of Nahawand. He was apprehensive and highly concerned about the outcome. He supplicated and prayed for victory. He remained in anticipation of news to reach him from the battle ground until he received the news of victory.

The triumph of Muslims at Nahawand was the start of the total breakdown of Persian Imperial integrity. The Persian mainland had become occupied at Khozestan, and as far north as Nahawand. The backbone of Persian military strength had become severely defeated. Yazdgrid fled further east, shattering the dignity of the Persian imperial house. The Muslim domination became well established over the major parts of the western territories of the Persian mainland. Muslim administration prevailed over the occupied regions, and an air of relative stability prevailed in these parts. The proliferation of Islamic doctrinal teachings progressed as part of Muslim presence in the region.

Omar ibn Al-Khattab recognized through his inherent sagacity and foresight that the Muslim triumph at Nahawand was in reality the gateway to Persia. No Persian resistance would develop strong enough to retard or prevent Muslims to penetrate further east into Persian mainland. The breakdown of the Persian imperial forces was beyond repair. Omar ibn Al-Khattab ordered the formation of Muslim armies, each specified to a certain district of the Persian mainland. Omar also nominated the army

way to face the Persians at Nahawand. Omar also wrote to the Muslim commanders at Al-Ahwaz and Kozestan to engage Persians to prevent them from joining the Persian consortium at Nahawand; and to remain stationed on the borders between Khozestan and the Persian mainland. By these strategic plans, Omar ibn l-Khattab prepared to confront the Persians at Nahawand. The Muslim warriors moved from Al-Ahwaz, Al-Basrah, and Al-Koufah towards Nahawand the capital of what was then known as Persian Iraq. Omar ibn Al-Khattab appointed successors of Al-Numan ibn Muqarin then Huzaifah ibn Al-Yaman, then Nuaym ibn Muqarin.

The Muslim warriors reached the neighborhood of Nahawand after Numan received views from Muslim scouts that the road to Nahawand was safe. The Persians were surprised to find Muslim warriors so close to Nahawand. However, Phyrozan and the Persian troops under his command were well fortified behind the strong walls of Nahwand. The Persians surrounded these walls from the outside with sharp iron beads, making it impossible for horses to tread upon; leaving narrow passages for their own use when they wished to engage the Muslims. The situation remained as such for few days, during which the Muslims became frustrated, not being able to achieve any advantage. Al-Numan ibn Muqarin summoned his staff for a meeting to decide upon a strategy to achieve combat superiority over the Persians. After extensive deliberations, it was decided to engage the Persians and provoke them to open ground outside the city walls. That duty was assigned to Al-Qaqaa ibn Amre who stormed the city walls with what appeared to the Persians a true attack of the city. Al-Qaqaa and his men stood their ground to aggravate the Persians to confront them outside the city walls. When that was achieved, Al-Qaqaa and his men retreated gradually as they offered great resistance. The Persians fell in to the Muslim plan of strategy, and with all their forces followed Al-Qaqaa and his men to the open outside the city walls.

Al-Numan ibn Muqarin had ordered the Muslim warriors to prepare for the advancing Persian forces in pursuit of Al-Qaqaa and his men. The Muslim took shelter to conceal themselves from the Persian troops who had left the walls of Nahawand to follow the decoy retreat of Al-Qaqaa. The Muslim strategy was then completed, Phyrozan at the head of the Persian forces suddenly found themselves surrounded by Muslim warriors. The combat was very intense indeed, both parties spending its utmost to achieve victory. The Persians were struggling for their land; and the Muslims were fighting for their faith. Al-Numan ibn Muqarin fell dead on the field of battle, and gained the honour of martyrdom. He was succeeded in command by Huzaifah ibn Al-Yaman. The Muslims pressed for victory, the

Emperor Yazdgrid energized the feelings of Persians to rally in response to a national campaign against the Muslim invaders. The Muslim triumphs in Khozestan stimulated the national pride of Persians, because part of the Persian mainland had been occupied. Troops from all parts of Persia assembled at Nahawand. A total of hundred and fifty thousand gathered under the command of Phyrozan fortified in the strongholds of Nahawand. All were eager and confident to deliver the final detrimental blow to the Muslims. The aspirations of the Persian military institution was to liberate Khozestan from Muslim domination and to bring back Iraq under Persian rule.

The news of the consortium of Persian forces under Phyrozan, reached Omar ibn Al-Khattab from Abd-Allah ibn Abd - Allah ibn Itban the governor of Al-Kuffah after Saad ibn Abi Waqqas. Omar ibn Al-Khattab analyzed the avenues of Persian purposes, and reached the conclusion that the Persian consortium at Nahawand was a definite threat to the Muslims in Khozestan, and also to those in Iraq. Omar considered that the Persian mobilization was an eminent danger which should be challenged by an organized plan of countermeasures. Omar called for a public hearing, and consulted the eminent companions at Al-Madinah about the course of action that should be adopted to force the situation. Aly ibn Abi Taleb told Omar ibn Al-Khattab "your place among Muslims is like the string to the beads, it joins and hold them; if it cuts, they disperse never to join. Remain where you are, and send to the Muslims of Al-Koufah and Al-Basrah to mobilize themselves against the Persian consortium. We the Muslims were never triumphant by outnumbering our enemy, but our victories were the outcome of our belief". Omar ibn Al-Khattab recognized the wisdom and profundity in the words of Aly ibn Abi Talib, and decided accordingly. After further deliberation, Omar appointed the man who was to lead the Muslims against the throngs of Persian forces at Nahawand; the man was Al-Numan ibn Muqarin.

The man was a veteran during the wars of the apostates, the Iraq crusade and the occupation of Khozestan. Omar ibn al-Khattab wrote to Al-Numan to command Muslim warriors to face the Persian massive forces at Nahawand. Omar also wrote to the governor of Al-Koufah Abd-Allah ibn Itban, and to Abi Moussa Al-Ashari at Al-Basrah, to recruit and mobilize Muslim warriors to join the command of Al-Numan ibn Muqarin on his

OMAR IBN AL KHATTAB

The Triumph At Nahawand

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The Muslim occupation of Khozestan became complete after the surrender of Ramhurmuz, Tostar, Al-Soos, and Gundai - Sabur. The Persian resistance in these territories had been totally defeated, and Muslim dominance over these areas became unchallenged. Inspite of these Muslim triumphs, Omar ibn Al-Khattab remained unwilling and very reluctantly opposing to the idea of Muslim penetration into Persian mainland. The borders of the juvenile Muslim state were secure, and the theopolitical unity of the tribes on the Arab Peninsula, Syria, and Iraq was completed, and with time becoming more adherent. The progressive potential inertia of the Islamic faith was proliferating by the Divine characteristics of its doctrinal beliefs. There was no purpose to endanger Muslim warriors by advancing them further into lands that was alien to them, and very distant from their homeland.

The defeat of the Persian military institution in Khozestan triggered a tenacious obstinate stubborn feeling of retaliation in the minds and feelings of the Persian war lords, to avenge the disgrace that has be fallen them on the hands on Muslim warriors ever since Al-Muthana Ibn Harithah Al-Shibany crusaded into Iraq during the reign of Abu Bakre Al-Siddiq. First, the complete domination over the Arab Iraq, then the penetration on Persian soil, and now the occupation of Khoseztan. That was a situation not at all acceptable to Persian dignity, nor to the Imperial Persian prestige.

The Persian war dignitaries made contact with Emperor Yazdgrid who still remained the central official figure in Persia. They all vowed in promising affirmation to unite under one command to make one last consortium confrontation against Muslims, and drive them off Persian soil. Emperor Yazdgrid dispatched couriers to all parts of the Persian Empire, the mountain ranges, the valleys, to all cities, provinces, and distant regions.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART VI
Jummdah Al-Akhirah 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
The Triumph at Nahawand.
By: Anas Moustafa El Naggar

2. **Patience, A Human Virtue.**
By: Loutfi Ali Soltan.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION